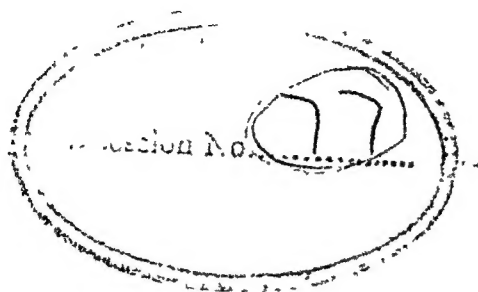


(فهرسة الجزء الثاني من تفسير الخطيب الشربيني)

| | | | |
|--|---------------------------------------|----------------------------------|------------------------------------|
| سورة الرعد ١٤٣ | سورة يوسف عليه السلام ٨٧ | سورة هود عليه السلام ٤٢ | سورة يونس عليه السلام ٢ |
| سورة الاسراء ٢٧٣ | سورة النحل ٢١٤ | سورة الحجر ١٩٢ | سورة ابراهيم عليه السلام ١٦٧ |
| سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ٤٩٤ | سورة طه عليه الصلاة والسلام ٤٤٧ | سورة مريم عليها السلام ٤١٢ | سورة الكهف ٣٤٧ |
| سورة الفرقان ٦٤٦ | سورة النور ٥٩٥ | سورة المؤمنين ٥٦٩ | سورة الحج ٥٣٥ |

* (تمت) *

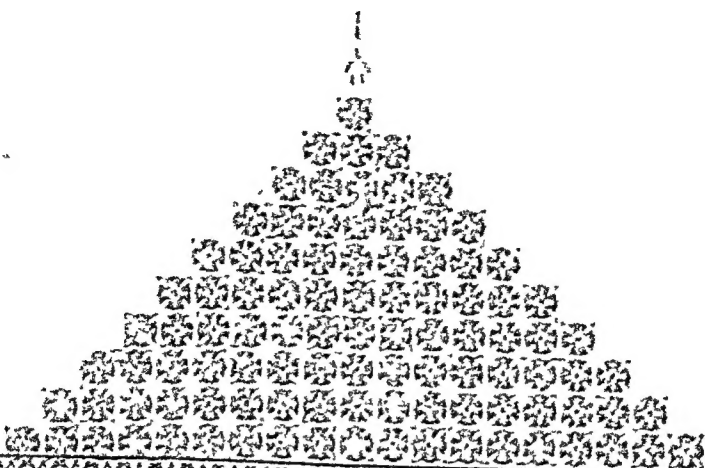
District Library,
TONK (Rajasthan)



الجزء الثاني من السراج المنير في الاغاثة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الشيخ
الامام الخطيب الشربيني قدس الله
روحه وعم بالرحمة
ضميحه
آمين
م

ص ح ٩ ٣٨

4813



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية﴾

الافان كنت في شك الآتين أو الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع أو عشر آيات
وعدد كلماتها ألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة
وستون حرفاً وهي أقول المئين ان جعلنا برائة مع الانفصال من الطوال والافبراة أولاهن
(بسم الله) جامع العباد بعد تشريقهم بحاله من العظمة والامتنان (الرحمن) الذي عمهم
بالايجاد وخص منهم من شاء بالايمان (الرحيم) الذي خص أولياه بالرضوان المبيع للجنان
(الر) قال ابن عباس والضحك الرأما الله أرى والمرأنا الله أعلم وأرى وقيل أنا الرب لا رب
غيري وقال سعيد بن جبيرة الروحم ونون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام على حروف
الهجاء أول البقرة واتفقوا على أن الر وحده ليس آية واتفقوا على أن قوله طه وحده آية
والفرق أن قوله تعالى الر لا يشاكل مقاطع الآتى التي بعده بخلاف قوله تعالى طه فإنه يشاكل
مقاطع الآتى التي بعده وقرأ قالون وابن كثير وحفص بفتح الراء والالف بعدهما وورش بين
اللفظين والباقون بالامالة المحضة (تلك) أى الآيات العظيمة جداً التي اشتملت عليها هذه
السورة والسورة التي تقدمت هذه السورة وهذه الحروف المقطعة المشيرة الى أن القرآن كلام
الله تعالى قد أعجز القادرين على التلقظ بهذه الحروف (آيات الكتاب) أى الذكرا الجامع لكل
خبر وهو هذا القرآن الذى وافق كل ما فيه من القصص كل ما فى التوراة والانجيل من ذلك فدل
ذلك على صدق الآتى به قطعاً لأنه لم يكن يعرف شيئاً من الكتابين ولا جالس أحد أبعله (الحكيم)

أَيُّ الْحَكَمِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَكُنَ لِلنَّاسِ) أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ اسْتَفْهَامُ انْكَارٍ لِلتَّعَجُّبِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (عَجَبًا) خَبَرٌ كَانَ وَالْعَجَبُ تَغْيِيرُ النَّفْسِ بِمَا لَا تَعْرِفُ سَبَبَهُ بِمَا خَرَجَ عَنِ الْعَادَةِ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَامِلَ عَلَى الْعَجَبِ وَهُوَ اسْمُ كَانَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَنَّهُ أَوْحَيْنَا) أَيُّ اِيْحَاؤُنَا (أَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ) أَيُّ مَنْ أَهْلُ مَكَّةَ وَمِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِفُونَ صَدَقَهُ وَنُسَبَهُ وَأَمَاتَهُ قِيلَ كَانُوا يَقُولُونَ الْعَجَبُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجِدْ رَسُولًا يَرْسُلُهُ إِلَى النَّاسِ الْإِيْتِمُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ مِنْ فُرْطِ حِمَا قَتَلَهُمْ وَقَصُورُ تَطْرَهُمْ عَلَى الْأُمُورِ الْعَاجِلَةِ وَجَهْلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ وَهُوَ لَمْ يَكُنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُرُ عَنْ عَظَمَائِهِمْ فِيمَا يَعْتَبَرُ فِيهِ الْإِنْفَاءُ الْمَالِ وَخُفَّةُ الْمَالِ أَهْوَنُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَلِذَلِكَ كَانَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَبْلَهُ كَذَلِكَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى وَمَا أُمُوكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَ بَارِئِنَا (أَنَّهُ أَنْذَرَ النَّاسَ) عَامَّةً أَيُّ أَعْلَاهُمْ مَعَ الْخَوْفِ مَا أُمَامَهُمْ مِنَ الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ وَأَنَّ هِيَ الْمَفْسَرَةُ لِأَنَّ الْإِيْحَاءَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا) انْمَاعَهُمْ فِي الْإِنْذَارِ لِأَنَّهُ قِيلَ أَنَّ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ أَوْ هَفْوَةٍ جَلِيلَةٍ أَوْ حَقِيرَةٍ عَلَى اخْتِلَافِ الرُّتَبِ وَتَبَايُنِ الْمَقَامَاتِ وَخُصَّصَ الْبَشِيرَةُ لِذَلِكَ لِلسَّلَامِ الْكَافِرَ مَا يَصِحُّ أَنْ يُبَشِّرَ بِهِ (أَنَّهُ) أَيُّ بَأَنَّ (لَهُمْ قَدَمٌ) أَيُّ سَلَفٌ (صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ فِي مَعْنَى قَدَمٌ صَدَقَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَجْرًا حَسَنًا مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَقَالَ مُجَاهِدٌ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ صَلَاتُهُمْ وَصَوْمُهُمْ وَصَدَقَتُهُمْ وَتَسْبِيحُهُمْ وَقَالَ الْحَسَنُ عَمِلَ صَالِحٌ أَسْلَفُوهُ يَقْدِمُونَ عَلَيْهِ وَقَالَ عَطَاءٌ مَقَامُ صَدَقٍ لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا بُؤْسَ فِيهِ وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ هُوَ شَفَاعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَضِيفَ الْقَدَمُ إِلَى الصَّدَقِ وَهُوَ نِعْمَتُهُ كَقَوْلِهِمْ مَسْجِدُ الْجَامِعِ وَصَلَاةُ الْأُولَى وَحُبُّ الْحَصِيدِ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ كُلُّ سَابِقٍ فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ قَدَمٌ قَالَ الشَّاعِرُ

صَلَّ لَذَى الْعَرْشِ وَاتَّخَذَ قَدَمًا * يَنْجِيكَ يَوْمَ الْعَثَارِ وَالْزَلَمِ

وَهُوَ دَوْتُتٌ فَيَقَالُ قَدَمٌ حَسَنَةٌ وَقَدَمٌ صَالِحَةٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرَاءُ مِيقَانٌ) قَرَأَهُ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ بِكسْرِ السِّينِ وَسَكُونِ الْهَاءِ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ لِلْقُرْآنِ الْمَشْتَمَلِ عَلَى ذَلِكَ وَالْبَاقُونَ بفتح السِّينِ وَأَلْفٍ بَعْدَهَا وَكسْرِ الْهَاءِ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ رَبَّكُمْ) الْمَوْجِدُ لَكُمْ وَالرَّبُّ وَالْمُحْسِنُ هُوَ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ) أَيُّ قَدَّرَ وَأَوْجَدَ (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) عَلَى اتِّسَاعِهَا وَكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنْ الْمَنَافِعِ (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيُّ فِي قَدَرِهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ شَمْسٌ وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهَا فِي لَحْظَةٍ وَالْعَدُولُ عَنْهُ لَتَعْلِيمِ خَلْقِهِ التَّشْتِثُ (فَانْقَلَبَ) إِنَّ الْيَوْمَ قَدْ يَرَادُ بِهِ الْيَوْمُ مَعَ لَيْلَتِهِ وَقَدْ يَرَادُ بِهِ النَّهَارُ وَحْدَهُ فَمَا الْمُرَادُ (أَجِيبْ) بِأَنَّ الْغَالِبَ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُ مُرَادٌ بِالْيَوْمِ الْيَوْمُ بِلَيْلَتِهِ وَلَمَّا أَوْجَدَ سَجْدَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا الْخَلْقُ الْكَبِيرَ الْمُتَبَاعِدَ الْأَقْطَارَ الْوَاسِعَ الْإِتِّشَارَ الْمَقْتَرَأَ إِلَى عَظِيمِ التَّدْبِيرِ وَلَطِيفِ التَّصْرِيفِ وَالتَّقْدِيرِ عِبْرَ سَجْدَانِهِ وَتَعَالَى عَنْ عَمَلِهِ فِيهِ عَمَلُ الْمَوْلُوكِ فِي مَمَالِكِهِمْ بِقَوْلِهِ مُشِيرًا إِلَى عَظَمَتِهِ بِأَدَاةِ التَّرَاخِي (ثُمَّ اسْتَوَى) أَيُّ عَمِلَ فِي تَدْبِيرِهِ وَاتَّقَانَ مَا فِيهِ وَاحْكَمَهُ عَمَلُ الْمُعْتَنَى بِذَلِكَ (عَلَى الْعَرْشِ) الْمُنْقَدِّمَ وَصَفَهُ فِي الْأَعْرَافِ بِالْعَظَمَةِ وَلَيْسَتْ ثُمَّ لِتَرْتِيبِ بَلْ كُنَايَةً عَنْ عُلُوِّ الرِّبَّةِ وَبَعْدَ مَنَازِلِهَا ثَمَّ بَيْنَ ذَلِكَ الْإِسْتَوَاءُ بِقَوْلِهِ (يَذُوبُ)

(الامر) كله فلا يخفى عليه عاقبة أمر من الامور لان التدبير اعدل احوال الملك فالاستواء
 كناية عنه وقوله تعالى (ما من شفيح الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته جل وعلا ورد على من زعم
 أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن آذنه (ذالكم الله) أي الموصوف بتلك
 الصفات مقتضية للالوهية والربوبية (أي الذي يستحق العبادة منكم) (فاعبدوه) أي
 وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع فان
 عبادتكم مع التشريك ليست عبادة ولولا فضلهم لم يكن لمن زل أدى زلة طاعة وقوله تعالى
 (أفلاتذكرون) قرأه حفص وحزرة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام الناء
 في الاصل في الذال أي فلا تتفكرون أدنى تفكر فينبئكم عن أنه المستحق للربوبية والعبادة
 لا ما تعبدونه (اليه) تعالى (مرجعكم) أي رجوعكم بالموت والنشور حالة كونكم (جميعا)
 لا يتخلف منكم أحد فاستعدوا للقاءه وقوله تعالى (وعند الله) مصدر منصوب بفعله المقدر مؤكد
 لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعدم من الله وقوله تعالى (حقا) أي صدقا لا خلاف فيه
 مصدر آخر منصوب بفعله المقدر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق) أي يحييهم
 ابتداء (ثم يعيده) أي ثم يميتهم ثم يحييهم وفي هذا دليل على الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه
 ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام الموافقة والاعضاء المركبة
 على غير مثال سبق قادر على اعادة ما بعد تفريقها بالموت والبلي فيركب تلك الاجزاء المتفرقة
 تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاقول مرة أخرى فاذا ثبت القول بجمعة المعاد والبعث بعد الموت
 كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا (والذين كفروا الهتهم شراب
 من حميم) وهو ما حار قد انتهى حره (وعذاب أليم) أي بالغ في الايلام (بما كانوا يكفرون) أي
 بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء) أي ذات ضياء (والقمر نورا) أي ذا نور وخص
 الشمس بالضياء لانه أقوى وآكد من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء لان
 الشمس نيرة في ذاتها والقمر نير بعرض مقابله الشمس والاكتساب منها وقرأ قبل به سمة
 مفتوحة ممدودة بعد الضاد والباقون ياء مفتوحة والضمير في قوله تعالى (وقدره منازل) يرجع
 الى الشمس والقمر أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو يرجع الى القمر
 فقط وتخصيصه بالذكر لسرعة مسيره ومعانية منازل واناطة أحكام الشرع به وان ذلك الله بقوله
 تعالى (لتعلموا عدد السنين والحساب) أي حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملتكم
 وتصرفاتكم لان الشهور المعتمدة في الشريعة مبنية على رؤية الالهة والسنة المعتمدة
 في الشريعة هي السنة القمرية كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب
 الله * (فائدة) * منازل القمر ثمانية وعشرون منزلا واسماؤها الشرطان والبطين والثرى
 والدبران والهقعة والهنة والذراع والثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة
 والعوا والسماك والغفر والزباني والاكسل والقلب والشولة والنعام والبلدة

وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخنية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو
المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على الروح وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور
والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو
والحوت فلكل برج منزلان وثلاث فينزل القمر في كل ليلة منهم منزلا فيستتر ابلتين ان كان
الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل
ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضاءها وانتفاع
الخلق بضوء الشمس وب نور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة
الشمس تنفصل السنة الى هذه الفصول الاربعة والفصول الاربعة تنظم مصالح هذا العالم
وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل والنهار يكون زما نالتكسب والطلب والليل يكون
زما نالراحة (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) أي لم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا تعالى الله عن
ذلك اظهارا لقدرته ودلائل وحدانيته ونظيره قوله تعالى في آل عمران ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى في سورة أخرى وما خلقتنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا (يقص) أي بين (الآيات) أي الدلائل
الباهرة واحدة في اثروا واحدة ببيانها شافيا (لقوم يعلمون) فانهم المستفيعون بالتأمل فيها وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وحفص بالياء والباقون بالنون ولما استدلل سبحانه وتعالى على اثبات الالهية
والتوحيد بقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وثانيا بأحوال الشمس
والقمر استدلل ثالثا بقوله تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار) أي بالجيء والذهاب والزيادة
والنقصان ورابعا بقوله تعالى (وما خلق الله في السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم
وغير ذلك (و) ما خلق الله في (الارض) من حيوان ونبات وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك
* (فائدة) * أقسام الحوادث في هذا العالم محصورة في أربعة أقسام أحدها الاحوال الحادثة
في العناصر الاربعة ويدخل فيها أحوال الرعد والبرق والسهاب والامطار ويدخل فيها
أيضا أحوال البحار والصواعق والزلازل والخسف وثانيها أحوال المعادن وهي بحسبة كثيرة
وثالثها اختلاف أحوال النبات ورابعها اختلاف أحوال الحيوانات وجملة هذه الاقسام
الاربعة داخله في قوله تعالى وما خلق الله في السموات والاستقصاء في شرح هذه الاحوال
لا يدخل تحت الحصر بل كل ما ذكر العقل في أحوال أقسام هذا العالم فهو جزء مختصر
من هذا الباب (آيات) أي دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) الله فانه يحملهم على
التفكير والتذكر وخصهم بالذكرا لانهم المستفيعون بها قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم أن
الدينا مخلوقة لشقاء الناس فيها وان خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا
كان كذلك فلا بد من أمر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليمتيز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال
في الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المبدأ وإثبات المعاد * ولما أقام الله سبحانه وتعالى
الدلائل القاهرة على صحة القول باثبات الاله الرحمن وعلى صحة القول باثبات الاله الرحيم الحكيم

وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها وشرح أحوال من يؤمن بها وقد ابتدأ بأولها ووصفه بأربع صفات مبتدئاً بأولها بقوله تعالى (أَنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أي لا يخافونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف وبمعنى الطمع فمن الأول قول العرب فلان لا يرجو فلان بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي * اذلسمته النحل لم يرج لسعها * أي لم يخفها ومن الثاني قولهم فلان يرجو فلان أي يطمع فيه والمعنى لا يطمعون في ثوابنا والصفة الثانية والثالثة قوله تعالى (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا فِيهَا) فيعـملون لها عمل المقيم فيها مع ما يشاهدونه من سرعة زوالها منهمكين في لذاتها وزخارفها وسكنوا فيها سكون من لا ينزع عنها والصفة الرابعة قوله تعالى (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا) أي دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون النظر فيها بمنزلة الغافل عن الشيء الذي لا يخطر بباله طول عمره ذلك الشيء وبالجملة فهذه الصفات الأربع دالة على شدة بعدهم عن طلب الاستعداد بالسعادات الآخروية ويحتمل أن الصفة الأخيرة لفريق آخر ويكون المراد بالآولين من أنكر البعث ولم يرد إلا الحياة الدنيا بالآخر من اليأس العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له ولما وصفهم الله تعالى بتلك الصفات قال (أُولَئِكَ مَا وَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الشرك والمعاصي ولما شرح أحوال المنكرين الجاحدين ذكر تعالى شرح من يؤمن بها فقال (أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) والاعمال الصالحة عبارة عن الاعمال التي تحمّل النفس على ترك الدنيا وطلب الآخرة والاعمال المذمومة ما يكون بالضد من ذلك (يَهْدِيهِمْ) أي يرشدهم (رَبِّهِمْ بِإِيمَانِهِمْ) أي بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أولاً ويريدونه في الجنة أولاً والحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال مجاهد المؤمنون يكون لهم نور يمشي بهم إلى الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار ومفهوم ترتيب الهداية على الإيمان والعمل الصالح قد دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله جل وعلا بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وإن العمل الصالح كالتممة والرديف ثم إنه تعالى لما وصفهم بالإيمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهي أربعة الأولى قوله تعالى (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) أي يكونون جالسين على سرر مرصوعة في البساتين والأنهار تجري من بين أيديهم ينظرون إليها من أعالي أسرتهم وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سراً فيفهم ما كانت قاعدة عليه ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الأنهار تجري من تحتي أي بين يدي فكذا هذا الثانية قوله تعالى (دَعَاؤُهُمْ فِيهَا) قال بعض المفسرين أي طلبهم لما يشتهون في الجنة أن يقولوا (سُبْحَانَكَ) أي نزهتك من كل سوء ونقيصة (اللهم) أي يا الله فاذا ما طلبوا

بين أيديهم على موائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من
 الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى فذلك قوله تعالى وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأن المراد بقوله سبحانه اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح
 والتحميد والتقديس لله تعالى والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكركر سرورهم وابتهاجهم وكال
 لذاتهم وهذا أولى ويدل عليه ما روى عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يولون ولا يتغوطون ولا
 يتعظون قالوا فبال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما
 يلهمون النفس أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا الثالثة قوله تعالى (وتحيتهم) فيما بينهم
 وتحية الملائكة لهم (فيها) أي الجنة (سلام) وتأنيهم الملائكة أيضاً من عند ربهم بالسلام قال
 تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى سلام قولاً من رب رحيم
 الرابعة قوله تعالى (وآخر دعواهم) أي وآخر دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي أن يقولوا
 ذلك وأن هي الخفة من الثقلة وقد ذكرنا أن بعض المفسرين جعل التسبيح والتحميد على
 أحوال أهل الجنة بسبب الماء كقول والمشروب فانهم اذا شربوا شربوا شربوا شربوا شربوا شربوا
 ذلك الشيء فاذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك قال الرازي وهذا
 القائل ما رقى نظره في دنياه وأخره عن الماء كقول والمشروب وتحقيق مثل هذا الانسان أن يعتنى
 زمرة البهائم وأما المحققون فقد تروا ذلك انه لا ينبغي هذه المبالغة فقد قاله البغوي وتبعه
 جماعة من المفسرين وقال الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة يفتحون بتعظيم الله تعالى وتزنيه
 ويحتمون بشكره والثناء عليه قال البيضاوي المعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وعانوا عظمة الله
 تعالى وكبرياه ومجده ونعمته بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز
 بأصناف الكرامات وألله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الاكرام ولما وصف الله تعالى
 الكفار بأنهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وكفوا عن آيات الله عافلين
 بين ان من غفلتهم أن الرسول متى أئذروهم استعجلوا العذاب جهلاً منهم وسفهاً بقوله تعالى (ولو
 يجعل الله للناس الشر) أي ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم بالشرف فيما لهم فيه مضرة ومكروه
 (استعجل اليهم بالخير) أي كما يحبون أن يجعل لهم اجابتهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) أي لا هلكهم
 ولكن عجلهم نزلت في الضر من الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
 علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ويدل عليه قوله تعالى (فتذر) أي فتترك الذين
 لا يرجون لقاءنا في طغيانهم أي في عرثهم وعنوتهم (يعمهمون) أي يترددون متحيرين وقال ابن
 عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو
 دعاء الرجل على نفسه وأهله وما له بما يكره ان يستجاب له فيه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اتخذ عندك عهداً ان تخلفني انما أنا بشر فأى
 المؤمنين اذيت أو شجيت أو بجلدت أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها الى يوم

القيامة (فان قيل) قابل التمجيل في الآيات بالاستحجال. وكان مقتضى النظم أن يقابل التمجيل
 بالتجمل والاستحجال بالاستحجال. أجب بأن تقدير الكلام ولو يعمل الله للناس الشر تجمله
 للخير حين استعملوه استحجالا كاستحجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه وقال في
 الكشف أصل هذا الكلام ولو يعمل الله للناس الشر تجمله لهم بالخير لأنه وضع استحجالهم
 بالخير موضع تجمله لهم بالخير أشعارا بسرعة اجابته لهم وأسعافه بطلبهم حتى كان استحجالهم
 بالخير تجملا لهم * ولما حكى تعالى عنهم أنهم يستحجلون في نزول العذاب بين أنهم كاذبون في ذلك
 الطلب والاستحجال بقوله تعالى (واذا من الإنسان) أي الكافر (الضر) أي المرض والفقر
 (دعا بالجنه) أي على جنبه مضطجعا (أو قاعا أو قاعا) وفائدة التردد تعميم الدعاء لجميع
 الأحوال وألا صنفا المضار والمعنى أنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه فانه يتضرع
 إلى الله تعالى في إزالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه ليس صادقا في طلب الاستحجال
 (قلنا كشفنا عنه ضره) أي أزلنا عنه ما نزل به (مر) أي مضى على ما كان عليه من الكفر (كان
 لم يدعنا) أي كانه فأسقط الضمير على سبيل التخفيف ونظيره قوله تعالى كان لم يلبثوا (إلى ضره
 منه) قال الحسن نسي ما كان دعا الله فيه وما صنع الله به في إزالة ذلك البلاء عنه وانما جعل
 الإنسان في هذه الآية على الكفر لأن العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة وقول بعضهم كل
 موضع في القرآن ورد فيه ذكر الإنسان فالمراد هو الكافر مردود فقد قال تعالى هل أتى على
 الإنسان حين من الدهر وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين وقال تعالى
 ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تنسوس به نفسه وأما المؤمن اذا ابتلى ببليّة ومحنة وجب عليه رعاية
 أموره وأولها أن يكون راضيا بقضاء الله تعالى غير معترض بالقلب واللسان عليه وانما وجب عليه
 ذلك لانه تعالى مالك على الإطلاق ومالك بالاستحقاق فله أن يفعل في ملكه ما شاء ولانه تعالى
 حكيم على الإطلاق وهو منزّه عن فعل العيب فكل ما فعله فهو حكمة وصواب فيجب عليه الصبر
 وترك القلق فان أبقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل وثانيها أنه في ذلك
 الوقت ان اشتغل بذكر الله تعالى والثناء عليه بدلا عن الدعاء كان أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم
 كناية عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيت أفضل ما أعطى السائلين ولأن
 الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك أن الأول
 أفضل وثالثها أنه تعالى اذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يبالغ في الشكر وأن لا يخلو عن
 ذلك الشكر في السراء والضراء وأحوال الشدة والرخاء فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول
 البلاء وحينئذ يكون المؤمن على الضمن الكافر لأن الكافر منهك في الشهوات والاعراض
 عن العبادات كما قال تعالى (كذلك) أي مثل ما زين لهؤلاء الكافرين هذا العمل القبيح (رب
 للمسرفين) أي المشركين (ما كانوا يعملون) من القبائح لأعراضهم عن الذكروا اتباعهم
 الشهوات وانما سمى الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه بتضييعها في عبادة الاوثان وأتلف ماله في
 البجيرة والسائبة والوصيلة والمزينا هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف

فيهم كيف شاء وقبل هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والافهوا أخس وأحقق
 (ولقد أهلكا القرون) أي الأمم الماضية (من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أي حين أشركوا
 وقوله تعالى (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم حال من الواو باضمار قد
 أو عطف على ظلموا (وما) أي والحال أنهم ما (كانوا يؤمنوا) أي وما استقام لهم أن يؤمنوا ولو
 جاءتهم كل آية لعلته تعالى بأنهم يوتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي (كذلك) أي مثل ذلك
 الجزاء العظيم وهو اهلاكم لما كذبوا رسالهم (فتجزى القوم المجرمين) أي تجزيكم يا أهل مكة
 بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم
 أعلام فيه (ثم جعلناكم) أي أيها المرسل اليهم أشرف رسلنا (خلائف) جمع خليفة (في الأرض
 من بعدهم) أي استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكتها استخلاف من يختبر (المنظر) ونحن
 أعلم بكم من أنفسكم في علم الشهادة لأقامة الحجج (كيف تعملون) من خير أو شر فتجاربكم به
 وقد مر نظائر هذا ومنه قوله تعالى ليسواكم أيكم أحسن عملا وقال صلى الله عليه وسلم إن الدنيا
 خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون وقال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا
 خلفاء إلا ننظر إلى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار قال الزجاج وموضع
 كيف نصب بقوله تعملون أي لا معمول ننظر لأن ما حرف استفهام والاستفهام لا يعمل
 فيه ما قبله لأن له صدر الكلام فلا يتقدمه عامله وظاهر كلامه أن كيف مفعول لتعملون
 وجهور النحاة على أنه حال من ضمير تعملون (واذا تلى عليهم) أي وإذا قرئ على هؤلاء
 المشركين (آياتنا) أي القرآن الذي أرسلناه إليك يا محمد حالة كون تلك الآيات (بينات) أي
 ظاهرات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون
 عذابنا ولا يرجون ثوابنا لأنهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث بعد
 الموت فإنه لا يرجو ثابوا ولا يخاف عقابا (أنت) أي من عندك (بقرآن) أي كلام مجموع جامع
 لما نريد (غير هذا) في نظامه ومعناه (أو بدله) بالفاظ أخرى والمعاني باقصة وقد كانوا عالمين
 بأنه صلى الله عليه وسلم مثلهم في العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا أن يأخذوا في التغيير حرصا على
 اجابة مطالبهم فيبطل مدعاه أو يهلك واختلف في هذا القائل فقال قتادة هم مشركو أهل
 مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية الجحفي والوليد بن المغيرة ومكدر بن حفص وعمر
 ابن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاصي بن عاصم بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
 ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن ليس فيه ترك لعبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه
 عيبها وان لم ينزل الله فقل أنت من عند نفسك أو بدله فأجعل مكان آية عذاب آية راحة أو مكان
 حرام حلالا أو مكان حلال حراما ولما كان كانه قيل فماذا أقول لهم قال الله تعالى (قل) لهم
 (ما يكون) أي ما يصح (لي) ولا يتصور بوجه من الوجوه (أن أبدله من تلقاء) أي قبل
 (نفسى) وانما كتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر
 وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء والباقون بالسكون (ان) أي ما (أتبع إلا ما يوحى إلى) فيما

أصرهم به أو أنها كم عنه أي لا آتى بشئ ولا أدر شيئاً من نحو ذلك الا متبعوا لحي الله تعالى
 واما مردان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل
 ولا نسخ (إني أخاف ان عصيت ربي) أي بتبديله (عذاب يوم عظيم) فإني مؤمن به غير مكذب ولا
 لك كغفري عن يتكلم الهذيان بما لا يخاف عاقبته في ذلك اليوم الذي تدخل فيه كل مريعة
 عما أرضعت وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ولى واني بفتح الياء والباقون بالسكون (قل) يا محمد
 أي هؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلونه عليكم) أي لو شاء
 الله لم ينزل هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم (فإن أدركم به) أي ولا أعلمكم به على لسانى
 وقرأ ابن كثير بخلاف عن البرزى بقصر الهمزة بعد اللام جواب لو أي لا أعلمكم به على لسان
 غيرى والباقون بالمد المنفصل وقوله تعالى (فقد لبنت) أي سكنت قراءة نافع وابن كثير
 وعاصم باظهار الشاء عند التاء والباقون بالادغام (فيكم عمراً) سنين أربعين (من قبله) أي قبل
 أن يوحى الى هذا القرآن لا أتولد ولا أعلمه ففى ذلك إشارة الى أن هذا القرآن معجز خارق العادة
 وتقرى مردان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك
 الوقت وكانوا عالمين بأحواله وأنه ما طالع كتاباً ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من أحد ثم بعد انقراض
 أربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نقائس علم الاصول ودقائق
 علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق وأسرار قصص الاقارب وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء
 والبلغاء وكل من له عقل سليم فانه يعرف أن مثل هذا لا يحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى
 (أفلا تعقلون) أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير لتعلموا أن مثل هذا الكتاب
 العظيم على من لم يعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتاباً ولم يمارس مجادلة أنه لا يكون الا على سبيل الوحى من
 الله تعالى لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم اثبت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء
 اليه * (تنبيه) * أقام صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى اليه بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فاقام
 بالمدينة عشر سنين ووفى وهو ابن ثلاث وستين سنة قال النووي وورد فى عمره صلى الله عليه
 وسلم ثلاث روايات احداها أنه توفى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة والثانية خمس
 وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها واثبتوا رواية ستين بأن راويها
 اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس أيضاً متأولة وحصل فيها الشبهة ولما أقيمت
 الدلائل على أن هذا القرآن من عند الله وجب أن يقال انه ليس فى الدنيا أحد أجهل ولا أظلم
 على نفسه من منكر ذلك كما قال تعالى (فمن) أي لا أحد (أظلم من افترى) أي نعمد (على
 الله كذباً) أي أى كذب كذب من شريك أو ولد أو غير ذلك وكان الاصل مبنى على تقدير أن
 يكون هذا القرآن من عند الله ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميماً وتعليقاً بالحكم بالوصف
 (أو كذب بآياته) أي دلائل توحيديه فكفر بها كما فعلتم أنتم وذلك من أعظم الكذب وقوله تعالى
 (أنه) أي الشأن (لا يفلح) بوجه من الوجوه (الجرمون) أي المشركون تأكيدهما سبق من
 هذين الوصفين (ويعبدون) أي هؤلاء المشركون (من دون الله) أي غيره (مالا يضرهم) أي

ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) أى ان عبدوه وهو الاصنام لانها اجارة وجاد لا تضر ولا تنفع
 والكافرون قادرين على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالافساد واذا كان العباد أصلح
 حالامن المعبود كانت العبادة باطلة لان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الابن بضر
 وينفع بان يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية وكان أهل الطائفة يعبدون اللات وأهل
 مكة يعبدون العزى ومناة وهبل واسفا ونائلة (ويقولون هؤلاء) أى الاصنام التى تعبدوها
 (شفعاً وأعند الله) ونظيره قوله تعالى اخبرنا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقيل
 انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور أنبيائهم وأكبرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا
 بعبادة هذه التماثيل فان أولئك الاكبريم يكونون شفعاء لهم عند الله قال الرازى ونظيره
 فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكبر على اعتقاد أنهم اذا عظموا قبورهم
 فانهم يكونون شفعاء لهم عند الله اهـ ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار وفى هذه
 الشفاعة قولان أحدهما أنهم يزعمون أنها تشفع لهم فيما هم مهم من أمور الدنيا فى اصلاح
 معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعث الموت والشأنى أنهم يزعمون أنها تشفع لهم
 فى الآخرة ان يكن بعث قاله ابن جرير عن ابن عباس وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط
 جهالتهم حيث تركوا عبادة موجدهم الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع
 على توهم أنه ربما يشفع لهم قال النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى
 وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (أتنبئون) أى تخبرون (الله) وهو العالم بكل شئ
 الخميطة بكل محيط (عما لا يعلم) أى لا يوجد له به علم فى وقت من الاوقات استفهام انكار تهكم
 بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذى انبؤا به باطل غير منطوق
 تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه وقوله تعالى (فى السموات ولا فى الارض)
 تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيه ما فهو منتف معدوم وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم
 الله بذلك الشفيع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لكان معلوماً لله تعالى وحيث لم يكن
 معلوماً لله تعالى وجب أن لا يكون معلوماً موجودا وهذا مثل مشهور فى العرب فان الانسان
 اذا أراد نفي شئ عن نفسه يقول ما علم الله ذلك منى ومقصوده أنه ما حصل ذلك الشئ منه قط ولا
 وقع (سبحانه) أى تنزيهه عن كل شئ فيه شائبة نقص (وتعالى عما يشركون) ما مصدرية أو
 موصولة أى عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ أجزوة والكسائى بالتاء على
 الخطأ بقوله أتنبئون الله والباقيون بالياء على الغيبة فكأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
 قل أنت سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذى نزه نفسه
 عما قاله فقال سبحانه وتعالى عما يشركون * ولما أقام تعالى الدلالة القاهرة على فساد القول
 بعبادة الاصنام بين السبب فى كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد بقوله (وما كان الناس الا أمة
 واحدة) أى جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال فى فترة الرسل واختلف
 القائلون بالاول أنهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على دين الاسلام من لدن

آدم الى أن قتل قابيل هابيل وقال قوم الى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا في عهد نوح
 فبعث الله تعالى اليهم نوحا وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من زمن نوح بعد الغرق حيث لم
 يذر الله على الارض من الكافرين ديارا الى أن ظهر الكفر فيهم وقال آخرون من عهد ابراهيم
 عليه السلام الى زمن عمرو بن لحي وهذا القائل قال المراد من الناس في قوله تعالى وما كان
 الناس الا أمة واحدة العرب خاصة (فاختلفوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت
 من ربك) وهو تأخير الحسم الى يوم القيامة وقيل تلك الكلمة هي قوله سبحانه سبقت
 رحمتي غضبي فلما كانت رحمته غالبية اقتضت تلك الرحمة الغالبة اسبال الست على الجاهل الضال
 وامهاله الى وقت الوجدان (لقضى بينهم) أي الناس بنزول العذاب في الدنيا دون يوم القيامة
 (فما فيه يختلفون) من الذين باخلوا المبل وابقوا الحق وكان ذلك فصلا بينهم (ويقولون) أي
 كفار مكة (ولولا) أي هذا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي غير ما جاء به
 كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) يا محمد لولا الكفر والمعاندون (انما الغيب)
 أي ما غاب عن العباد أمره (فقه) أي هو المختص بعلمه ومنه الآيات فلا يأتي بها الا هو وانما
 على التبليغ (فاتظروا) أي نزول ما اقترحتوه وقبل نزول العذاب ان لم يؤمنوا (انني معكم من
 المنتظرين) أي لما يفعله الله تعالى بكم لعنادكم وبخودكم الآيات وكفى بالقرآن وحده آية
 باقية على وجه الدحر يديعة في الآيات رقية المسلك بين المعجزات مع عجزكم عن معارضته بتبديل
 او غيره فأى عناد أعظم من هذا (واذا أذنا الناس) أي كفار مكة (رحمة) أي صحة وسعة
 (من بعد ضراء) أي شدة وبلاء (مستهم) سلط الله تعالى القمط سبع سنين على أهل مكة حتى
 كادوا يهلكون ثم رحمهم فأنزله عليهم المطر الكثير حتى اخضت البلاد وعاش الناس بعد ذلك
 فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى (اذ لهم مكر في آياتنا) بالاستهزاء
 والتكذيب وقيل لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينابوء كذا وعن أبي هريرة رضي
 الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها
 فيصبح طائفة منهم بها كافر بن يقولون مطر نابوء كذا والنوع عند العرب هي منازل القمر اذا
 طلع نجم سقط نظيره (قل الله) أي قل لهم يا محمد الله (أسرع مكرًا) منكم أي أجعل عقوبة وأشد
 أخذًا وأقدر على الجزاء ومعنى الوصف بالسرعية أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم
 والمكر اخفاء الكيد وخومن الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكرفانهم لما قابلوا نعمة
 الله بالمكر قابل مكرهم بأشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا) أي الحفظة الكرام
 الكائنين (يكذبون ما تكفرون) لانهم كانوا يكم قبل كونكم نطفًا ولم يوكوا بكم الا بعد علم موكلهم
 بكل ما تفعولونه ولا يكسبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه وتعالى فانه اذا قضى قضاء
 لا يمكن أن يطلع عليه رساله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين أنه عالم بأمورهم وهم جاهلون
 بأموره علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبب له ما يجعل في نخورهم وقرأ أبو عمرو بسكون
 السين والباقون بالرفع ثم أخذ سبحانه وتعالى بين ما يتضح به أسرع مكره في مثال دال على ما في

الآية قبلها الان المعنى الكلى لا يصل الى افهام السامعين الا بذكر مثال جلي واضح يكشف عن
 حقيقة ذلك المعنى الكلى فقال (هو الذي يسيركم) أي يحملكم على السير في كل وقت تسيرون فيه
 لا تقدرّون على الانفكاك عنه ويحكمكم منه (في البر والبحر) أي يسبب لكم أسبابا توجب سيركم
 فيه - ما قرأ ابن عامر بعد الباء الاولى بنون ساكنة بعد هاشين معجمة مضمومة والباءون بسين
 مهملة منمنوحة بعد هاء مكسورة مشددة ولما كان العطب بسير البحر أظهر مع أن السرفيه
 من أكبر الآيات وأوضح البينات بينه معرض عن ذكر البر بقوله تعالى (حتى اذا كنتم) أي
 كونالابراح لكم منه (في الفلك) أي السفن (فان قيل) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسير
 في البحر مع أن الكون في الفلك متقدم لاحتمال على التسير في البحر (أجيب) بأنه لم يجعل الكون
 في الفلك غاية للتسير بل تقدير الكلام كانه أنه قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جملة تلك
 التسميات الحاصول في الفلك كان كذا وكذا ولفظ الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع فان
 أريد الواحد كان كبناء قفل أو الجمع كان كبناء حجر والمراد هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم)
 أي من فيها وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يدكر غيرهم حالهم ليحببهم منها ويستدعي
 منهم الانكار والتعجب والالتفات في الكلام عن الغيبة الى الحضور والعكس في فصيح كلام
 العرب (بريح طيبة) أي لينة الهبوب (وفر حواجا) أي تلك الريح وبالفلك الجارية بها وقوله
 تعالى (جاءتها) جواب اذا والفسر للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلقاها (ريح عاصف) أي
 شديدة الهبوب فأزجحت سفينتهم وأسأتهم (وجاءهم الموج) أي وجاء ركاب السفينة الموج
 وهو ما ارتفع وعلامة من ضراب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (من كل مكان)
 أي يعتاد مجئ الموج منه فأرجف قلوبهم (وظنوا أنهم أحيط بهم) أي ظنوا ان الهلاك قد
 أحاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط بهم العدو (دعوا الله محصلين) أي من غير
 اشتراك له (له الدين) أي الدعاء لانهم لا يدعون حينئذ غيره لان الانسان في هذه الحالة لا يطمع
 الا في فضل الله ورجته ويصير منقطعاً عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه
 متضرعاً الى الله تعالى وقوله تعالى (لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها وهى الريح
 العاصفة والامواج الشديدة) لتكون من الشاكرين على ارادة القول أو مفعول دعوا
 لانه من جملة القول أي لئلا يكون من الشاكرين لك بالايمان والطاعة على انعامك علينا
 بانجائنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) أي هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من
 الشدة التي كانوا فيها اجابة لدعائهم (اذا هم يبعثون) أي فاجأوا الفساد وسارعو الى ما كانوا عليه
 من الكفر والمعاصي (في الارض) أي جنسها (بغير الحق) فان قيل البغي لا يكون بحق فما
 معنى قوله بغير (أجيب) بأنه قد يكون بحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم
 واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم بيني قرينة فان ذلك افساد بحق
 قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما غير محمود وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى
 الشبهة والآخر كعمل المسلمين ما ذكر (يا أيها الناس انما بعثكم) أي ظلكم (على أنفسكم)

أعوذ بالله عليه خاصة قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأجمل الشر عقاباً البغي
واليسين الفاجرة وروى ثقتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
عباس لو بغي جبل على جبل لدله الباغى وكان المأمون يتمثل بهم ذين البيتين في أخيه
يا صاحب البغي إن البغي مصرعة * فأربع خفير فعال المرء أعدله
فلو بغي جبل يوماً على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنيكث والمكر وعلى تقدير الانتفاع بالبغي
هو عرض زائل كما قال تعالى (متاع الحياة الدنيا) أي لا يتهبأ لكم بغي بعضكم على بعض إلا
أبأ ما قلناه وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضاءها (ثم أينا) بعد البعث (مراجعةكم)
في القيامة (فنتبئكم) أي فنخبركم (بما كنتم تعملون) في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم
عليها وقرأ حفص متاع ينصب العين على أنه مصدر مؤكدة أي تمتعون متاع الحياة الدنيا
والباقون بالرفع على أنه خبر بغيركم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك
متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيركم ولما قال تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم
متاع الحياة الدنيا أتبعه بمثل عجيب ضربه لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا وبشئ تمسك به
ويقوى أعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها بقوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) أي حالها
العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واعتار الناس بها والمثل قول سائر يشبه
فيه حال الثاني بالاول (كأأنزلناه) وحقق أمره وبينه بقوله تعالى (من السماء فاختلط به)
أي بسببه (نبات الأرض) أي اشتبك بعضه ببعض والاختلاط تداخل الاشياء بعضها في
بعض (بما يأكل الناس) من الحبوب والثمار ونحو ذلك (و) بما يأكل كل (الانعام) من
الحشيش ونحوه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أي حسنها ووجدها من النبات
(وازينت) باظهار ألوان زهرها من أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الزهور كالغرس إذا
أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكسنتها وزينت بغيرها من ألوان الزين واصل ازينت
زينت أبدلت الثاء زايًا وأدغمت في الزاي (وظن أهلها) أي أهل تلك الأرض (انهم قادرون
عليها) أي ممكنون من تحصيل جذاها وحصادها (أناها أمرنا) أي قضاؤنا من البرد والحر
المفرط أو غيره (ليلاً ونهاراً) أي في الليل أو في النهار (فجعلناها) أي زرعها (حصيداً) أي
كالخضود بالمناجل وقوله تعالى (كان) محققة أي كانوا (لم تنن) أي لم تكن (بالأمنس) تلك
الزروع والاشجار قائمة على ظهر الأرض وحذف المضاف من فجعلناها ومن كان لم تنن
للمبالغة * (تنبيه) * تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوهاً الاول ان عاقبة هذه الدنيا
التي ينفعها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء في الانتفاع به وقع
البأس منه لأن الغالب أن المتمسك بالدنيا إذا وضع قلبه عليه أو عظمت رغبته فيها يأتية الموت
وهو معنى قوله تعالى حتى إذا فرجوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون أي خاسرون
الدنيا وقد أنفقوا أعمارهم فيها وخاسرون من الآخرة مع أنهم توجهوا إليها الثاني أنه تعالى بين

أنه كالم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغرب بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد
مع أن المنافع التي تحصل فيها مخلوطة بالضرار والمتاعب فان سعادة الدنيا غير خالصة من الآفات
بل هي ممزوجة بالبيات والاستقراء يدل عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق
أتعب نفسه ولم يرزق فقبل يا رسول الله وما هو قال سرور يوم بتمامه الثالث أن مالك ذلك
البيتان لما عر به بآعاب النفس وكدر الروح وعلق قلبه على الانتفاع به فاذا حصل ذلك
السبب المهلك صار العناء الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقاء الشديد له في
المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع قلبه على الدنيا وأتعب
نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العناء الذي تحمله في تحصيل أسباب الدنيا سببا
لحصول الشقاء العظيم له في الآخرة (كذلك) أي مثل هذا التفصيل الذي ذكرناه (نقصل
الآيات) أي نبينها (لقوم يتفكرون) لأنهم المستمعون بها ولما نثر تعالى الغافلين عن الميل إلى
الدنيا بالمثل السابق رغبتهم في الآخرة بقوله تعالى (والله يدعو) أي يعلق دعاءه على سبيل
التجديد والاستمرار بالدعوة (إلى دار السلام) قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسمى
سبحانه وتعالى بالسلام لأنه واجب الوجود لذاته فقد سلم من القضاء والتغير وسلم من احتياجه
في ذاته وصفاته ومن الافتقار إلى الغير وهذه الصفة ليست إلا له سبحانه كما قال تعالى والله الغني
وأنتم الفقراء وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وقيل السلام بمعنى السلامة وقيل
المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار السلام لأن أهلها يحبون بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم
عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن كمال رحمته وجوده
وكرمه على عباده أن دعاءهم إلى الجنة التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأن العظيم لا يدعو إلا إلى عظيم ولا يصف إلا عظيمًا
وقد وصف الله تعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه وعن جابر قال جاءت ملائكة إلى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا إن صاحبكم هذا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث
دعائيا في أجاب الدعاء فدخل الدار وأكل من المائدة ومن لم يجب الدعاء لم يدخل الدار ولم يأكل
من المائدة والدار الجنة والداري محمد صلى الله عليه وسلم (و) الله (يهدى من يشاء) من عباده
بما يخلق في قلبه من الهداية (إلى صراط مستقيم) وهو دين الإسلام عم سبحانه وتعالى بالدعوة
أو لاظهار الحجج وخص بالهداية ثانيا لظهار القدرة لأن الحكم له في خلقه وقال الجنيد
الدعوة عامة والهداية خاصة بل الهداية عامة والصحة خاصة بل الصحة عامة والاتصال خاص
وقيل يدعو بالآيات ويهدي للحقائق والمعارف وقيل الدعوة لله والهداية من الله وقال بعضهم
لاتتفع الدعوة لمن لم يسبق له من الله الهداية (الذين أحسنوا) أي بالإيمان (الحسن) وهي
الجنة (وزيادة) وهي النظر إليه تعالى في الآخرة كما في الحديث الصحيح إذا دخل أهل الجنة
الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب
إليهم منه والزخشرى في كشفه قال في هذا وزعمت المشبهة والمجبرة لأن المعتزلة يشكرون

الرؤية ويرد عليهم قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها انما طرة فأنبت الله لاهل الجنة
أمرين أخذهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحسن الحسنى الحسنة والزيادة عشرة أمثالها وعن الحسن عشرة
أمثالها الى سبعة مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مقفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن ثبيرة
الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم
ولامانع من أن تفسر الزيادة بذلك كله اذ لا تنافي فيها والفضل واسع (ولا يرهق) أي يغشي
(وجوههم قتر) أي سواد (ولا ذلة) أي كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والوهوان
(أولئك) أي هؤلاء الذين وصفهم الله هم (أصحاب الجنة) وقوله تعالى (هم فيها خالدون) إشارة
الى كونهم أئمة آمنة من الانقطاع ولا زوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها * ولما بين
تعالى حال الفضل فيمن أحسن بين حال العدل فيمن أساء بقوله تعالى (والذين كسبوا السيئات)
أي الشر (جزاء سيئة) منهم (بمثلها) بعدل الله من غير زيادة وفي ذلك إشارة الى الفرق بين
السيئات والحسنات لأن الحسنات يضاعف ثوابها للعاملها من الواحد الى العشرة الى السبع مائة
لى أضعاف كثيرة تفضل سلامته تعالى وتكرما وأما السيئة فإنه يجازى عليها بمثلها بعدل الله
تعالى (وترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) عكس أهل الجنة (مالهم من الله من عاصي) أي مانع عنهم
من عذاب الله اذ انزل بهم (كأنما أغشيت) أي ألبست (وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) القوط
سوادها وظلمتها وقرأ ابن كثير والكسائي بسكون الطاء أي جزأ والباقون بفتحها جمع قطعة
أي أجزاء (أولئك) أي هؤلاء الأشقياء (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يتمكنون من مفارقتها
(و) اذكر (يوم نحشرهم) أي الفريقين الناجين والمهالكين العابدين منهم والمعبودين من كل
جانب وناحية الى موقف الحساب حال كونهم (جميعاً) لا يتخلف منهم أحد وهو يوم القيامة
والحشر الجمع بكره الى موقف واحد (ثم نقول للذين أشركوا ما كانكم) أي الزموا مكانكم
لا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعل بكم وقوله تعالى (أنتم) تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر
ليعطف عليه (وشركاؤكم) أي من كنتم تعبدونه من دون الله (فزيلا) أي فرقنا (بينهم) أي بين
المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين تبرأ كل معبود من
دون الله عن عبده وقيل فرقنا بينهم وبين المؤمنين كافي آية وامتازوا اليوم أي المجرمون
والاول أنسب بقوله تعالى (وقال شركاؤهم) هؤلاء المشركين (ما كنتم ايابا تعبدون) أي
انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمرؤكم أن تعبدوا لله اذ أفاض طبعهم واختلفوا في
المراد بهؤلاء الشركاء فقال بعضهم الملائكة واستشهدوا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعاً ثم
نقول للملائكة هؤلاء ايأكم كانوا يعبدون ومنهم من قال هي الاصنام والدليل عليه ان هذا
الخطاب مشتمل على الوعيد والتهديد وذلك لا يليق بالملائكة المقربين وهو شركاء لانهم
جعلوا نصيباً من أمورهم لتلك الاصنام فصبروهم شركاء لا أنفسهم في تلك الاموال ثم اختلفوا
في هذه الاصنام كيف ذكرت هذا الكلام فقال بعضهم ان الله تعالى خلق الحياة والعقل

والنطق فيها فقد رت على ذكر هذا الكلام وقال آخرون إن الله تعالى خلق فيها الكلام من غير أن يخلق فيها الحياة حتى يسمع منها ذلك الكلام والاول أظهر لأن ظاهر قوله تعالى وقال شركاؤهم يمتحنى أن يكون فاعل ذلك القول هو الشركاء (فان قيل) اذا أحيها الله تعالى هل يبقىها أو يفنيها (أجيب) بأن الكل محتمل فان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء وأحوال القيامة غير معلومة الا القليل الذي أخبر الله تعالى عنه في القرآن وعلى لسان أنبيائه وقال بعضهم المراد بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من انس ومالك وجن وشمس وقمر وصنم وهذا أظهر وعلى هذا والاول هو الشركاء لأن الله تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله تعالى مكانكم صاروا شركاء في هذا الخطاب * ولما قال لهم شركاؤهم ذلك قالوا بل كنا نعلمكم فقل شركاؤهم (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه تعالى العالم بكنهه الحال (ان كنا عن عبادتكم لعافين) أى لم نأمر بها ولم نعلم بها وعلى القول بأنها الاصنام فقول ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل فأنها بجمادات لا حس لها بشئ ولا شعور البتة * (تنبيه) * ان هى الخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين الخففة والثقيلة (هنالك) أى فى ذلك الموقف من المكان العظيم الأحوال المتوالى الزلزال (تبلو) أى تختبر (كل نفس) طائعة وعاصية (ما أسلفت) أى ما قدمت من عمل فتعاین نفعه وضربه يؤدى الى سعادة أو شقاوة وقرأ أحزرة والكسائي بناء من التلاوة أى تقرأ ذكر ما قدمت أو من التوفيق تبسج كل شخص علمه فبقوده الى الجنة أو الى النار والباقيون بعد التائباء موحدة من البلوى وهو الاختبار (وردوا الى الله) أى الى جزائه اياهم عما أسلفوا فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره (مولاهم الحق) أى ربهم وستولى أمرهم على الحقيقة ولا الثقات الى سواه من تلك الأباطيل بل انقطع رجائهم من كل ما يدعون به فى الدنيا وهو المراد بقوله تعالى (وضل عنهم) أى ذهب وبطل وضاع (ما كانوا يفكرون) أى يعتمدون كذبه من أن معبوداتهم شركاء ويتقنوا فى ذلك المقام أن توليهم غير الله كان باطلا غير حق * ولما بين فساد عبادة الاوثان اتبعها يذكر الدلائل على فساد هذا المذهب بمجسج الحجة الاولى بقوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات فأنحصر الرزق فى ذلك أما من السماء فيستزل الامطار وأما من الارض فلان الغذاء اما أن يكون نباتا أو حيوانا أما النباتات فلا ينبت الا من الارض وأما الحيوان فهو يحتاج أيضا الى الغذاء ولا يمكن أن يكون غذاء كل حيوان حيوانا آخر والالزم الذهاب الى ما لا نهاية له وذلك محال فثبت ان أغذية الحيوانات يجب انتهائها الى النبات وثبت أن تولد النبات من الارض فثبت القطع بأن الارزاق لا تحصل الا من السماء والارض (أمن تلك السمع) أى الاسماع (والابصار) أى من يستطيع خلقهما وتسويتهم على الحد الذى سوياعليه من البقرة العجيبة * عن على رضى الله تعالى عنه كان يقول سبحان من يصر بشهم واسمع بعظم وأنطق بطم وأجمعهما وحفظهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما أدنى شئ بكلايته وحفظه (ومن يخرج الحى من الميت) كان يخرج الانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت من

الحى) كان يخرج المنطقة من الانسان والبيضة من الطائر وقيل المراد أن يخرج المؤمن
 من الكافر والكافر من المؤمن. وقرأنا فحقن وحجزة والكسائي ميت في الموضوعين بعد
 الميم بكسر الميم المشددة والباقون بعد الميم يسكون الميم (ومن يدبر الامر) أى ومن يلى
 تدبير أمر الخلاق وهو تعميم بعد تخصيص وذلك لأن أقسام تدبير الله تعالى في العالم السفلي
 وفي العالم العلوي وفي عالم الارواح والاجساد أمور لانهاية لها وذكر كلها كلمة معذرة فلما ذكر
 بعض تلك الافصيل عقبها بالكلام الكلى ليدل على الباقي ثم بين تعالى أن الرسول صلى الله
 عليه وسلم إذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال (فسيقولون الله) إذ لا يقدر على التكبر
 والعناد في ذلك لفرط وضوحه وإذا كانوا يقولون بذلك (فقل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) الشرك
 مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل بفضل الله تعالى واحسانه
 (فذا لكم الله ربكم الحق) أى الثابت ربوبيته ما لا ريب فيه وإذا ثبت أن هذا هو الحق وجب
 أن يكون ماسوا ضلالا لأن الفقيضين يمنع أن يكونوا حقيقين وأن يكونوا باطلين فإذا كان أحدهما
 حقا وجب أن يكون ماسوا باطلا كما قال تعالى (فذا بعد الحق الا الضلال) إذ لا واسطة بينهما
 فهو واستفهام تقرير أى ليس بعده غيره فمن اخطأ الحق وهو عبادة الله تعالى وقع في الضلال
 ولذلك شبه عنه قوله تعالى (فأنى) أى فكيف ومن أى جهة (تصرفون) أى تعدلون عن
 عبادته وأنتم تقولون بأن الله هو الحق (كذلك) أى كما حقت الربوبية لله تعالى أو أن الحق بعدم
 الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق (حق كلمة ربك) في الازل (على الذين فسقوا) أى عتدوا
 في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح وقوله تعالى (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أى حق
 عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك والمراد بكلمة الله العدة بالعذاب وهو لا ملائمة جهنم
 الآية وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون أو ذلك تفسير لكلمته التى حقت وقرأنا فحق
 وابن عامر كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الالف بعد الميم على الافراد الحجة الثانية
 قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء (هل من شركائكم) الذين زعموهم شركاء وأشركوهم
 في أمركم من أنعامكم وزرعكم (من يبدأ الخلق) كما بدأ به ليصح لكم ما ادعيتهم من الشراكة
 (ثم يعيده) كما كان (فان قيل) هم غير معترفين بالاعادة فكيف احتج عليهم تعالى بها كالاتداء في
 الازام بها (أجيب) بأنهم الظهور برهانها وان لم يقروا بها واضعت موضع ما ان دفعه دافع كان
 مكابرا راد الظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في انكارهم لها منكرون
 أمر مسلم اعترافا بصحته عند العقلاء ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم
 في الجواب بقوله تعالى (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لأن الجاههم لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى)
 أى فكيف (تؤفكون) عن عبادته مع قيام الدلائل (فان قيل) ما الفائدة في ذكر هذه الحجة على
 سبيل السؤال والاستفهام (أجيب) بأن الكلام إذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على سبيل
 الاستفهام كان ذلك أبلغ وأوقع في القلب الحجة الثالثة قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهم
 (هل من شركائكم من يهتدى الى الحق) بنصب الحجج وذائق الاختداء وارسال الرسل ولما كانوا

جاهلين بالجواب الحق في ذلك أو معاندين أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب
بقوله تعالى (قل الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة (يهدى الحق) من يشاء لأحدا من رعيته
شركاء فلا شتمتغال بشئ منها عبادة أو غيرها جهل محض قال الزجاج يقال هديت إلى الحق
وهديت للحق بمعنى واحد فالله تعالى ذكره تدين اللغتين في قوله تعالى من يهدى إلى الحق وفي
قوله تعالى قل الله يهدى للحق وقوله تعالى (أفمن يهدى إلى الحق) أي وهو الله تعالى (أحق
أن يتبع آمن لا يهدى) أي يهدى (الأن يهدى) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ
أي الأول أحق (فبالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع من لا يستحق الاتباع
وقوله تعالى (وما يتبع أكثرهم) في تفسيره وجهان الأول وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله
تعالى (الأنظر) لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم بل سمعوه من أسلافهم الثاني وما يتبع
أكثرهم الأنظر في قولهم لا لصنام آلهة وانها شفعاء عند الله تعالى إلا الظن حيث قد وافته
آباءهم قال الرازي والقول الأول أقوى لأن في القول الثاني فحتاج إلى تفسير لا كثير بالكل (أن
الظن لا يغني من الحق) فيما المطلوب فيه العلم (شياً) من الأغواء فدللت هذه الآية على أن كل
من كان ظناً في مسائل الأصول وما كان قاطعاً لا يكون مؤمناً (فان قيل) فقول أهل السنة أنا
مؤمن ان شاء الله يمنع من القدر فوجب أن يلزمهم الكفر (أجاب) الرازي بأن هذا ضعيف من
وجه الأول أن مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أن الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد
والإقرار والعمل فالشك حاصل في أن هذه الأعمال هل هي موافقة لأمر الله تعالى والشك في
أحد أجزاء الماهية لا يوجب الشك في تمام الماهية الثاني أن الغرض من قوله ان شاء الله
تعالى بقاء الإيمان عند الخاتمة الثالث الغرض هضم النفس وكسرها (ان الله عليم) أي بالغ
العلم (بما يقولون) أي من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه وقوله تعالى
(وما كان) عطف على قوله ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الخ فهو حديثه مقول القول
أي قل لهم ذلك الكلام (هذا القرآن) أي الجامع لكل خير مع التأييد بأساليب الحكمة
المعجزة لجميع الخلق (أن يفتري) أي افتراء (من دون الله) أي غيره لأن المفتري هو الذي تأتي به
البشر وكفار مكة زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى به من عند نفسه فأخبر الله تعالى
أن هذا القرآن وحى أنزل عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله
ثم ذكر ما يؤكده هذا بقوله تعالى (ولكن) أنزل (تصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب
الذي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والإنجيل فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزل على نبيه صلى الله
عليه وسلم وأنه معجزة لفاته كان أمماً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم أنه صلى الله
عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه أخبار الأولين وقصص الماضين وقيل تصديق
الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث (وتفصيل الكتاب) أي تبين ما كتب الله من
الأحكام وغيرها (الريب) أي لاشك (فيه) وقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بتصديق
أبو أنزل المحذوف (أم) أي بل (يقولون افتراء) أي اختلقه محمد ومعنى الهمزة فيه للإنكار

(قل) أى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما يقولون (فأتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثله فى البلاغة والقطنة (فان قيل) هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار ويختص بالسور الكبار (أجيب) بأن هذه الآية فى سورة يونس وهى مكينة فكون المراد مثل هذه السورة لانها أقرب ما يمكن أن يشار اليه هكذا أجاب الرازى والاولى التناول لجميع السور فانهم لا يقدرون أن يأثروا بقصر سورة (فان قيل) لم قال فى البقرة بسورة من مثله وهذا بسورة مثله (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولم يكتب ولم يتلذذ لاحد فقيل فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله بناء على أن الضمير يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم أى فليأت انسان يساوى محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوى هذه السورة وحيث ظهر العجز ظهر المعجز فهذا لا يدل على أن السورة فى نفسها معجزة ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه التورة من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم التعلم والتلذذ معجز ثم بين تعالى فى هذه السورة ان تلك السورة فى نفسها معجزة فأن الخلق وان تتأذوا وتعلموا واطالوا وتفكروا لا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور وهو المراد من قوله تعالى (وادعوا من استطعتم) أى فاستمعينوا بمن أمكنكم أن تستمعينوا به (من دون الله) أى غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) أى فى أى آية به من عندى لأن العاقل لا يجزم بشئ الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر باهر * (تنبيه) * مراتب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ستة اولها أنه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأثروا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثانيها أنه تحداهم بعشر سور فقال تعالى فأثروا بعشر سور مثله مغتربات ثالثها أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فأثروا بسورة من مثله رابعها أنه تحداهم بحديث مثله خامسها أن فى تلك المراتب الاربعة كان يطلب منهم أن يأتى بالمعارضة رجل يساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدم التلذذ والتعلم ثم فى هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من أى انسان سواء تعلم العلوم أم لم يتعلمها سادسها أن فى المراتب المتقدمة تحدى واحد من الخلق وفى هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز أن يستعين البعض ببعض فى الاتيان بهذه المعارضة كما قال تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله وهما آخر المراتب فهذا مجموع الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى اثبات ان القرآن معجز ثم ان الله تعالى ذكر السبب الذى لا جله كذبوا بالقرآن فقال تعالى (بل كذبوا) أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه مسرعين فى ذلك (بما لم يحيطوا بعلمه) أى القرآن أول ما سمعوه قبل أن يسدروا آياته من غير شبهة أصلا بل عندا وطمعانا ونفورا بما يحالف دينهم فهو من باب من جهل شيئا عاده والاحاطة ادارة ما هو كالحائظ حول الشئ واحاطة العلم بالشئ العلم به من جميع وجوهه (ولم يأتهم) أى الى زمن تكذيبهم (تأويله) أى تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب وعاقبة ما فيه من الوعيد حتى تبين لهم

أنه صدق أم كذب ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالأخرة عجزهم لما كثر عليهم التحدى
 فجربوا عقولهم في معارضة فضعفت دونها ومع هذا لم يقلعوا عن التكذيب عتدا
 وعنادا (كذلك) أي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر المعجزة
 (كذب الذين من قبلهم) أي من كفار الأمم الماضية فظلموا فأهلكناهم بظلمهم (فانظر) يا محمد
 (كيف كان عاقبة الظالمين) بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك يهلك من
 كذبك من قومك وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد
 من الناس والمعنى فانظر أيها الإنسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذروا أن تفعل مثل فعله
 (ومنهم) أي من قومك يا محمد (من يؤمن به) أي القرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق
 ولكنه يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) في نفسه لغباوته وقلة تدبره (ومنهم من يؤمن به
 في المستقبل بأن يتوب عن الكفر ويبدله بالإيمان ومنهم من يصروا يستمر على الكفر وانما فسرت
 هذه الآية بهذين التأويلين لأن كلمة يؤمن تصلح للحال والاستقبال (وربما علم بالمفسدين)
 أي المبعدين على التفسير الأول والمصرين على التفسير الثاني وفي ذلك تهديد لهم (وان
 كذبوا) أي وان يكذبوا يا محمد بعد الزام الآية (فقل) لهم (لي عمل) من الطاعة وجزاءها
 (ولكم عملكم) من الشر وجزاء عقابه أي فبشرهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء على ولكم
 جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) لا تؤاخذون
 بعلمي ولا تؤاخذ بعملكم واختلف في معنى ذلك فقيل معنى الآية الزجر والردع وقيل بل
 معناه استمالة قلوبهم وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الرازي
 وهذا بعيد لأن شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل
 واحد بأفعاله وبمئات أفعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي حرمة القتال وآية القتال
 ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا انتهى ولا ينبغي هذه المبالغة
 مع مثل من ذكر وقد تبعهم ما جاعة من المفسرين ولما قسم تعالى الكفار قسمين منهم من
 يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون في نهاية البغض له
 والعداوة له ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الأول في
 قوله تعالى (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون إليك) إذا قرأت القرآن وعلمت
 الشرائع باسمعهم الظاهرة ولا يستمعون لشيء عداوتهم وبغضهم لك فان الإنسان إذا قوى
 بغضه لا يخرجه عن نفرة منه صارت نفسه معرضة عن جميع جهات محاسن كلامه (أفأنت
 تسمع الصم) أي أنت تقدر على اسمعهم (ولو كانوا) مع الصم (لا يسمعون) أي لأن الأصم العاقل
 ربما تفرس واستدل إذا وقع في صمخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا
 فقد تم الأمر فكما أنك لا تقدر على اسمع الأصم الذي لا يعقل لا تقدر على اسمع من أصم الله
 تعالى قلبه فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الاستماع بما يستمعون ولم يوفهم لذلك فبشرهم
 بالصم في عدم الاستماع بما يتلى عليهم ثم وصف القسم الثاني في قوله تعالى (ومنهم من يتقرون

(الذين) أي يعاينون دلائل نبوتك ولا يصدّقونك (أفأنت تهدي العمى) أي أتقدر على هدايتهم
 (ولو كانوا) مع العمى (لا يصرون) أي لا بصيرة لهم لأن الأعمى الذي في قلبه بصيرة قد يحدس
 ويتظنّ فأما العمى مع الحق فيجهد البلاء فلا تقدر على هدايته من أعمى الله تعالى بصيرته فهو لاه
 في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصر فلا يقدر على
 إسماعهم وهدايتهم إلا الله تعالى * (تنبيه) * اختلف في أن السمع أفضل أو البصر فمنهم من قال
 السمع واحتج على ذلك بأمر من الله تعالى في الآية ومنها أن القوة السامعة تدرّك السموع من
 جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرّك المرقى إلا من جهة واحدة وهي المقابل ومنها أن
 الإنسان إنما يستفيد العلم من التعلم من الاستدراك وذلك لا يكون إلا بقوة السمع فاستكمال
 النفس بالكمالات العلمية لا يحصل إلا بقوة السمع ومنها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 يراهم الناس ويسمعون كلامهم فتبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية وإنما
 حصلت بسبب ما معهم من الأحوال المسموعة وهو الكلام وتبليغ الشرائع وبيان الأحكام
 ومنها أن المعنى الذي يمتاز به الإنسان من سائر الحيوانات هو النطق بالكلام وإنما يتفهم
 بذلك بالقوة السامعة فتعلق السمع النطق الذي يحصل به شرف الإنسان ومتعلق البصر إدراك
 الألوان والأشكال وذلك أمر مشترك فيه بين الناس وبين سائر الحيوانات ومنهم من قال
 البصر واحتج بأمر من الله تعالى في الآية القوة الباصرة هي النور وآلة القوة السامعة هي الهواء
 والنور أشرف من الهواء ومنها أن جمال الوجه يحصل بالبصر وبذهاب عيبه وذهاب السمع
 لا يورث الإنسان عيباً في جمال وجهه والعرب تسمى العينين الكرّيتين ولا تصف السمع بمثل
 هذا وفي الحديث يقول الله تعالى من أذهبت كرميته فصبر واحتسب لم أَرْضْ له ثواباً دون
 الجنة ومنها أنهم قالوا في المثل المشهور ليس وراء العيان بيان وذلك يدل على أن أكمل وجوه
 الإدراكات هو الإبصار ومنها أن كثيراً من الأنبياء سمع الله وأخلفوا في أنه هل رآه منهم أحد
 أم لا وأيضاً فإن موسى عليه السلام أسمع الله تعالى كلامه من غير سبق سؤال والناس فلما
 طاب الرؤية قال إن تراني وذلك يدل على أن حال الرؤية أعلى من حال السماع وهذا هو الظاهر
 ولما حكم تعالى على أهل الشقاوة بالشقاوة بقضائه وقدره السابق فيهم أخبر تعالى أن تقدير
 الشقاوة عليهم ما كان ظلامته بقوله تعالى (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) أي لانه تعالى في جميع
 أحواله متفضل وعادل فينتصرّف في ملكه كيف يشاء وخالق كلهم عبده وكل من تصرف
 في ملكه بالفضل والعدل لا يكون ظالماً وإنما قال تعالى (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لأن
 فعلهم منسوب إليهم بسبب الكسب وإن كان قد سبق قضاء الله تعالى وقدره فيهم ففي ذلك
 دليل على أن العبد كسباً وأنه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت الجبهة وقرأ آية الكسائي
 بكسر النون مخففة ورفع السين والباقون بنصب النون مشددة ونصب السين ولما وصف تعالى
 هؤلاء الكفار بقوله الأصغاء وترك التدبر أتبعه بالوعيد بقوله تعالى (ويوم نحشرهم) أي
 واذكر يا محمد يوم نحشر هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر إخراج الجماعة

وازعاجهم عن مكانهم (تَكُنْ) أى كأنهم (لم يلبثوا) فى دنياهم والجلجلة فى موضع الحال من
 ضمير نحشرهم البارز أى مشبهين بمن لم يلبثوا (الأساعة) حقيرة (من النهار) أى يستقصرون
 مدة مكنتهم فى الدنيا وفى القبول لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) أى يعرف بعضهم بعضا إذا
 بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال والجلجلة حال مقدرة متعلق الظرف والتقدير يتعارفون
 يوم نحشرهم وقوله تعالى (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) أى بالبعث يحتمل وجهين الأول
 أن يكون على إرادة القول أى يتعارفون بينهم قائمين ذلك الثانى أن يكون كلام الله تعالى
 فيكون شهادة من الله تعالى عليهم بالخسران والمعنى أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسرها لأنه
 أعطى الكثير الشريف الباقى وأخذ القليل الخسيس الفانى (وما كانوا مهتدين) أى إلى
 رعاية مصالح التجارة وذلك لأنهم اغتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصاروا كمن رأى زجاجة
 خسية فظنها جوهرة شريفة فاشتراها بكل ماله فإذ عرضها على الناقدين خاب سعيه
 وفات أملاه ووقع فى حرقه الروع وعذاب القلب وقوله تعالى (وَأَمَّا) فيه ادغام ان الشرطية
 فى ما الزائدة (نريك) يا محمد (بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط
 محذوف أى فذلك (أو توفيك) قبل أن نريك ذلك الوعد فى الدنيا فانك ستراه فى الآخرة
 وهو قوله تعالى (فأليسا) بعد البعث (مرجعهم) فنريك هناك ما هو أقر لعينك وأسر لقلبك
 وقوله تعالى (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم أى أنه تعالى شهيد على
 أفعالهم التى فعلوها فى الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه
 وسلم مع قومه بين أن حال كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم كذلك بقوله تعالى
 (ولكل أمة) أى من الأمم التى خلت من قبلك (رسول) يدعوهم إلى الله تعالى وقوله تعالى
 (فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) فيه اضمحار تقديره فإذا جاء رسولهم وبلغهم ما أرسل به
 اليهم فكذبهم قوم وصدقه آخرون قضى أى حكم وفصل بينهم بالقسط أى بالعدل وفى وقت هذا
 القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه فى الدنيا بأن يهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين
 لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثانى فى الآخرة وذلك أن الله تعالى إذا جمع
 الأمم يوم القيامة للحساب والفصل بين المؤمنين والكافرين والطائعين والعاصين جى بالرسول لتشهد
 عليهم لقوله تعالى وحي بالنبيين والشهداء وقضى بينهم والمراد منه المبالغة فى اظهار العدل
 وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) فى جزاء أعمالهم شيأ بل يجازى كل واحد على قدر عمله فكذلك
 يفعل هؤلاء (ويقولون سئى هذا الوعد) الذى تعدنا به يا محمد من نزول العذاب ومن قيام
 الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) أى فيما تعدونا
 به وانما قالوا باللفظ الجمع على سبيل التعظيم أو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان
 كان كل أمة قالوا رسولها مثل ذلك وهو الموافق لقوله تعالى ولكل أمة رسول قال الله تعالى
 (قل) أى قل لهم يا محمد (لأملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر أدفعه (ولانفعا) من صحة
 أو غنى أجليه (الامأشاء الله) أن يقدرنى عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب أو قيام

الساعة ولا يقدر على ذلك أحد إلا الله تعالى (لكل أمة أجل) أي مدة مضروبة (إذا جاء أجلهم) أي انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون) أي لا يتأخرون (عنه ساعة) ثم عطف على الجملة الشرطية بكما لها (ولا يستقدمون) أي ولا يتقدمون أي ولا يستجملون فإن الوفاء بالوعد لا بد منه والسين فيهما معنى الوجدان أي لا يوجد لهم المعنى الذي يمنع منه الفعل ويجوز أن يكون المعنى لا يجردون التأخر ولا التقدم وإن اجتهدوا في الطلب فيكون في السين معنى الطلب وتدل الآية على أن أحد الأيعون الأبا نقضاء أجله وكذا المقتول لا يقتل إلا على هذا الوجه وقرأه آلون والبري وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الأولى وسهل ورش وفتيل الثانية وأبدلها أنيساحرف مد والباقون بالتحقيق قال الله تعالى (قل) أي قل لهم يا محمد أيضاً (أرايت أن أنا لكم عذابه) الذي تستجملون به (بيانا) أي في الليل بغمة كما يفعل العدو (أو نهرا) أي وقت أنتم فيه تشغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا) أي أي شيء (يستجمل منه) أي من عذابه وعذاب كل مكروه لا يحتمل شيء منه (المجرمون) أي المشركون وضع المجرمون موضع المضرمة للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لأن يستجملوا وبجمل الاستفهام متعلقة بأرايت وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستجبال أو تعرفوا الخطأ فيه (أنتم إذا ما وقع) أي حل بكم (آمنت) أي آمنت بالله أو العذاب وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم وقوله تعالى (الآن) على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا وقت نزول العذاب الآن (وقد كنتم به تستجملون) تكذبا واستهزاء * (تنبيه) * اتفق فالون مع ورش على النقل هنا واتفق القراء كلهم على همزة الوصل التي بعد همزة الاستفهام أن فيها وجهين وهم البدل والتسهيل وقوله تعالى (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر أي من أي قائل كان استهانة بهم وقرأه هشام والكسائي بأشام القاف وهو أن تضم القاف قبل الياء والباقون بالكسر (ذوقوا عذاب الخلد) أي الذي يتخلدون فيه والبيان بتم إشارة إلى تراخي ذلك عن الإهلاك في الدنيا بالمكث في البرزخ أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين (هل) أي ما تجزون إلا بما كنتم تكسبون في الدين من الكفر والمعاصي (ويستنبهونك) أي يستنبهونك يا محمد (أحق هو) أي ما وعدتنا به من نزول العذاب وقيام الساعة وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء قاله حي بن أخطب لما قدم مكة (قل) لهم في جوابهم (أي وربى أنه لحق) أي كائن ثابت لا بد من نزوله بكم * (تنبيه) * أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواو في التصديق فيقال أي والله ولا ينطقون به فحده (وما أنتم بمعجزين) أي بفائتين العذاب لأن من عجز عن شيء فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلت) أي أشركت (ما في الأرض) من الأموال (لا قدرت به) من عذاب يوم القيامة ولم تنفعها الفداء لقلوبها تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (وأسرؤا الندامة لما رأوا العذاب) أي حين عاينوه وأبصروهم صاروا مهوتين متحيرين فلم يطبقوا عنده بكاء ولا صراخا سوى أسرار الندم كالحال فيمن ذهب به ليصلب فإنه يبقى مهوتا متحيرا لا ينطق بكلمة وقيل إنهم أخلصوا لله في تلك الندامة

ومن أخلص في الدعاء أمره وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم لأنهم إنما أتوا بهذا الاخلاص في غير
وقته بل كان من الواجب عليهم أن يأثروا به في دار الدنيا وقت التكليف وقيل المراد بالاسرار
الاطهار وهو من الاضداد لأنهم إنما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ
الرياسة وفي القيامة بطل هذا فوجب الاظهار وليس هناك تخلد (فان قيل) أسر وأجاء على افظ
الماضي والقيامة من الامور المستقبلة (أجيب) بأنهم لما كانت واجبة الوقوع جعل الله
مستقبلها كالماضي (وقضى بينهم) أي بين الخلائق (بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون)
(فان قيل) هذه الآية مكررة (أجيب) بأن الاولى في القضاء بين الانبياء وتكذيبهم وهذه عامة
وقيل بين المؤمنين والكفار وقيل بين الرؤساء والاتباع فان الكفار وان اشتركوا في العذاب
فلا بد أن يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يتسع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وإنه فيكون
في ذلك القضاء تحقيق عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب الباقي لان العدل يمتضي أن ينصف
المظلومين من الظالمين ولا سبيل اليه الا أن يخفف من عذاب المظلومين ويشقل في عذاب الظالمين
وقوله تعالى (ألا ان الله ما في السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب
(ألا ان وعد الله) أي ما وعده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من البعث للجزاء ومن ثواب
الطائع وعقاب العاصي (حق) لا شك فيه (ولم يكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أي
جاهلون عن حقيقة ذلك فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم لقصور عقولهم الاظهار من
الحياة الدنيا (هو) أي الذي يملك ما في السموات والارض (يحيي ويميت) أي قادر على الاحياء
والامانة لا يعذر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء وقوله تعالى (يا أيها
الناس) خطاب عام وقيل لاهل مكة (قد جاءكم موعظة من ربكم) أي كتاب فيه مالكم وعليكم
وهو القرآن (وشفاء) أي دواء (لما في الصدور) أي القلوب من داء الجهل لان داء الجهل أضمر
للقلب من المرض للبدن وأمر اض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات
المهلكة والقرآن من بيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزواجر والتخويف والترغيب
والترهيب والتحذير والتذكير فهو الشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص تعالى الصدر
بالذكر لانه موضع القلب وغيره وهو اعز موضع في الانسان لمكان القلب فيه (وهدي) من
الضلالة (ورجة) أي اكرام عظيم (للمؤمنين) لأنهم هم الذين اتفقوا به دون غيرهم
واختلف في تفسير قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فقال مجاهد وقادة فضل الله القرآن
ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عباس والحسن فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وعن
أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكأب الله
والاسلام وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام
ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن ولا مانع من أن تفسر الآية بجميع ذلك
اذ لا تنافي بين هذه الاقوال والباء في فضل الله وبرحمته متعلقة بمحذوف يفسره ما بعده تقديره
قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتأكيذ والتقرير وايجاب

اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد المفعولين لدلالة
المذكور عليه والقاء داخله لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليفرحوا بهما
فانه لا مفرح به أحق منهما (هو) أى الحديث عنه من الفضل والرحمة (خير مما يجتمعون)
أى من حظام الدنيا ولذا تم القافية وقرأ ابن عامر بالناء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة
(قل) يا محمد لكفار مكية (أرأيتم) أى أخبروني (ما أنزل) أى خلقى (الله لكم من رزق) وانه
تعالى جعل الرزق منزلاً لانه مقدر فى السماء يحصل بأسباب منها (فجعلتم منه) أى من ذلك الرزق
(حراماً وحلالاً) وهو مثل ما ذكره من تحريم السائبة والوصيلة والحام ومثل قولهم هذه
أنعام وحرث حجر ومثل قولهم هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواننا ومثل قولهم سم
ثمانية أزواج من الضأن اثنين (قل) لهم يا محمد (الله أذن لكم) فى هذا التحريم والتحليل (أم)
أى بل (على الله تفترون) أى تكذبون على الله بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون) أى
يتعمدون (على الله الكذب) أى أى شئ ظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أن لا يؤاخذهم
ولا يجازيهم على أعمالهم فهو واستفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والتهديد والوعيد العظيم
لمن يفتري على الله الكذب (ان الله ذو فضل على الناس) بنعم كثيرة لا تحصى منها انزال
الكتب مفصلاً فيها ما يرضيه وما يسخطه ومنها ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها
بما يحتمل عقول الخلق منها ومنها طول أمهالهم على سوء أفعالهم ومنها النعماء عليهم بالعقل
فكان شكره واجبا عليهم (ولكن أكثرهم) أى الناس (لا يشكرون) هذه النعم
ولا يستعملون العقل فى دلائل الله تعالى ولا يقبضون دعوة أنبيائه ولا ينتفعون باستماع كتب الله
وقوله تعالى (وماتكون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فى شأن) أى عمل من الأعمال
وجعه شئون والضمير فى قوله تعالى (وماتلون منه) أما الشأن لان تلاوة القرآن شأن من
شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل حرم معظم شأنه وأما التنزيل كانه قيل وماتلون من التنزيل
(من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له وأما الله تعالى والمعنى وماتلون
من الله من قرآن نازل عليكم وقوله تعالى (ولا تعملون من عمل) أى أى عمل كان تعميم للخطاب
بعد تخصيصه بمن هو رئيسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ذكر حيث خص بمافيه
نخامة وهو الشأن وذكر حيث عمم بقوله تعالى من عمل بما يتناول الجليل والحقير وقيل ان الكل
داخلون فى الخطابين الاولين أيضاً لانه من المعلوم انه اذا خطب رئيس القوم كان القوم
داخلين فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء (الا كنع عليكم شهودا)
أى رقباء نخصي عليكم أعمالكم لان الله تعالى رقيب على كل شئ وعالم بكل شئ اذا تحدث
ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل فى الوجود ههنا من أحوال العباد وأعمالهم
الظاهرة والباطنة داخل فى علمه وشاهد عليه (اذ تفيضون) أى الله شاهد عليكم حين تدخلون
وتخوضون (فيه) أى ذلك العمل وقيل الاقاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تستشرون
فيه يقال أفاض القوم فى الحديث اذا اتشروا فيه (وما يعزب) أى يغيب (عن ربك) يا محمد

(من مثقال) أى وزن (ذرة) وهى التلة الحمراء الصغيرة خفيفة الوزن جدا وقيل المراد بها الهباء وهو الشئ المنبث الذى تراه فى البيت فى ضوء الشمس وقرأ الكسائى بكسر الزاى والباقون بالضم ومن صلاة على القراءتين وانما قيد بقوله تعالى (فى الارض ولا فى السماء) تقريرا بالعقول العامة (فان قيل) لم تقدم ذكر الارض على السماء وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ حيث قال تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فما فائدة ذلك (أجيب) بأن الكلام هنا فى حال أهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية (ولا أصغر من ذلك) أى الذرة (ولأ أكبر) أى منها (الافى كتاب مبین) أى بين وهو اللوح المحفوظ وقرأ جزء برفع الراء من أصغروا كبر على الاستدعاء والخبر والباقون بالنصب على ان ذلك اسم لا وفى كتاب خبرها (آلآن أولياء الله) أى الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من حقوق مكرونا (ولا هم يحزنون) بفوات مأسول وفسرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله بامثال أمره ونهيهم وهذا الذى فسر الله تعالى به الاولياء لامر يديده عليه وعن على رضى الله عنه هم قوم صفر الوجوه من السهر عرش العيون من العبر خص البطون من الخوا وعن سعيد بن جبیر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمى والهيئة وعن ابن عباس الاخبات والسكنة وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمسكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نجيبهم قال هم قوم تحابوا فى الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون فافوا الله ان وجوههم لنور وانهم لعل من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية ونقل النووى فى مقدمة شرح المذهب عن الامامين الشافعى وأبى حنيفة رضى الله تعالى عنهما ان كلامهما قال اذ لم تكن العلماء أولياء لله فليس لله ولى وذلك فى العالم العامل بعلمه وقال القشيرى من شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع فالولى هو الذى نوات أفعاله على الموافقة ولما نفى الله عنهم الخوف والحزن زادهم فقال تعالى ميبنا لتوليتهم بعد أن شرع بتوليتهم له (لهم البشرى) أى الكاملة (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أما البشرى فى الدنيا فنشرت بأشياء منها الرؤيا الصالحة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال البشرى هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وقال صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلميا يخافه فليست معذومته وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لا يضره وقال الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ومنها محبة الناس له وذكروا فى الثناء الحسن وعن أبى ذر قال قالت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن ومنها البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة

أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إليهم مسلين
 مبشرين بالقوز والكرامة وما يروونه من رياض وجوهرهم واعطاء الصنائف بأيمانهم وما
 يقرؤن منها وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى سلام قولاً من رب رحيم وغير ذلك من المبشرات
 بما بشر الله تعالى به عباده المتقين في كتابه وعلى السنة أنبيائه من جنسه وكريم ثوابه فان لفظ
 البشارة مشتق من خير سار يظهر أثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية
 ثم انه تعالى لما ذكر صفة أوليائه وشرح أحوالهم قال تعالى (لا تبدل) أى بوجهه من الرجوه
 (لكلمات الله) أى لا تغير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده والكلمة والقول سواء وظاهر قوله
 تعالى ما يبدل القول لادى وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو)
 القوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشرية وتعظيم شأنه وليس من شرطه
 أن يقع بعده كلام متصل بما قبله (ولا يمزك) يا محمد (قولهم) أى هؤلاء المشركين أى لا يملك
 تكذيبهم وتهديدهم وتشويرهم في تدبيره لا كالأبطال امرئ وسأر ما يتكلمون به في شأنك
 وقرأ نافع بضم الباء وكسر الزاى من آخره والباقيون بفتح الباء وضم الزاى وكلاهما بمعنى وقوله
 تعالى (آن العزة) أى القوة (لله جميعاً) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لأخرن فقيل
 ان العزة لله جميعاً أى ان الغلبة والقهر في مملكة الله جميعاً لا يملك أحد شيئاً منها الا هم ولا
 غيرهم فهو يغلبهم وينصرهم عليهم قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وقال تعالى ان النصر
 رسلنا وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله
 تعالى ان جميع ذلك في ملكه فهو قادر على أن يسلب جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)
 أى البليغ السمع لاقوالهم (العليم) أى المحيط العلم بضمائرهم وجميع أحوالهم فهو البالغ
 القدرة على كل شئ فيجازيهم وهو تعليل لتفرد به العزة لانه تفرد بهذين الوصفين فانتفياً
 عن غيره ومن انتفيا عنه كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون له عزة (فان قيل) قوله تعالى
 ان العزة لله جميعاً بضاد قوله تعالى والله العزة ورسوله وللمؤمنين (أجيب) بالمنع لان عزة
 الرسول والمؤمنين كلها بالله فهى لله (ألا ان الله من فى السموات ومن فى الارض) ملكاً وخالقاً
 (فان قيل) اقد ذكر الله تعالى فى الآية المتقدمة ألا ان الله ما فى السموات والارض بلفظ ما وقال
 هنا بلفظ من فما فائدة ذلك (أجيب) بأنه تعالى غلب فى الآية الاولى ما لا يعقل على من يعقل
 لكثرة وفى هذه غلب العاقل على غيره لشرفه وقيل مجموع الآيتين دال على ان الكل خلقه
 وملكه وقيل ان المراد بمن فى السموات الملائكة ومن فى الارض الثقلان وانما خصهم بالذكر
 لشرفهم واذا كان هؤلاء فى ملكه وتحت قهره فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا وشريكاً
 فهو كالدليل على قوله تعالى (وما يتبع الذين يدعون) أى يعبدون (من دون الله) أى غيره
 أصناماً (شركاء) على الحقيقة وان كانوا يسمونهم شركاء تعالى الله عن ذلك (ان) أى ما (يتبعون)
 فى ذلك (الا الظن) أى ظننا انما آلهة تشفع لهم وانما تقربهم الى الله تعالى ثم بين تعالى ان هذا
 الظن لا يحكم به بقوله تعالى (وان) أى ما (هم الا يخرون) أى يكذبون فى ذلك ويجوز

أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب سيدعون
 وعلى الأول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على
 أحدهم الدلالة وقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي ليزول عنكم التعب
 والكدال فيه بما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش (والنهار مبصرا) أي مضيئا
 تبصرون فيه مطالب أروا قكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما
 ليدلهن على تفرد به استحقاق العبادة وإضافة الابصار إلى النهار مع أنه يصرفه على طريق نقل
 الاسم من المسبب إلى السبب كقولهم ليل نائم لأن الليل سبب السكون قال قطرب تقول العرب
 أظلم الليل أي صار ذا ظلمة وأضاء النهار أي صار ذا ضياء (أن في ذلك) المذكور (آيات) أي
 دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع اعتبار وتدبر فيعملون بذلك أن الذي خلق
 الأشياء كلها هو الله المعبود المقترب بالوحدانية في الوجود ثم ذكر الله تعالى نوعان أباطيل
 الكفار بقوله تعالى (قالوا) أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتخذ الله
 ولدا) قال الله تعالى (سبحانه) أي تنزيها له عن الولد (هو الغني) عن كل أحد وإنما يطلب الولد
 من محتاج إليه ثم بين تعالى غناه بقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) من ناطق
 وصامت ملكا وخلقا وما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما أضافوا إليه عطف بالانكار
 والتوبيخ فقال (إن) أي ما (عندكم من سلطان) أي حجة (بهذا) أي الذي تقولونه ثم بالغ تعالى
 في ذلك الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) حقيقة وحجته وتضييق
 إليه ما لا يجوز إضافة إليه تعالى جهلا منكم والاستفهام للتوبيخ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين
 يحتفلون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويرعون أن له ولدا (إن الذين يفترون) أي
 يتعمدون (على الله الكذب لا يعلمون) أي لا ينجحون في سعيهم ولا يفوزون بطلوبهم بل خابوا
 وخسر وأفانهم لا ينجحون من النار ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من إذا فاز بشيء من المطالب
 العاجل والمقاصد الخسيسة ظن أنه قد فاز بالمقصد والله سبحانه وتعالى أزال هذا الخيال بأن
 قال (متاع في الدنيا) وفيه اضممار تقديره لهم متاع في الدنيا على أنه مبتدأ خبره محذوف ويصح أن
 يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره اقترأهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
 أوحياهم أو تقلبهم متاع في الدنيا وهو أيام يسيرة بالنسبة إلى طول بقائهم في العذاب (ثم الإنسا
 مرجعهم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما) أي بسبب ما (كانوا يكفرون)
 ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر
 والعناد شرع بعد ذلك في قصص الأنبياء وما جرى لهم مع أممهم وذكر الله تعالى منهم في هذه
 السورة ثلاث قصص القصص الأولى قصة نوح عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (واتل)
 يا محمد (عليهم) أي كفار قريش (نبأ) أي خبر (نوح) وذلك ليكون لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولاصحابه أسوة بمن سلف من الأنبياء فإنه كان صلى الله عليه وسلم إذا جمع أتباعه معاملة
 هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كان الأعلى هذا الوجه خفف ذلك على قلبه كما قال المصيبة

اذا عت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ابداء
 الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى اعلنهم بالآخرة ونصرهم وايدهم وقهر أعداءهم كان
 سماع هؤلاء الكفار لامثال هذه القصص سببا لانهم كانوا قلوبهم ووقوع الخوف والوجل
 في صدورهم ولان الكلام اذا طال تقویر في نوع من أنواع العلوم فربما حصل نوع من أنواع
 الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر شرح صدره وطاب قلبه ووجد
 في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميل اقويا ولا نه صلى الله عليه وسلم لما لم يتعلم علما ولم يطالع
 كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على انه صلى الله
 عليه وسلم انما عرفها بالوحى والتنزيل ويبدل من نبأ نوح (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييل
 (يا قوم ان كان كبر) أى شقي وعظم (عليكم مقامى) أى لبتى فيكم ألف سنة الاخسين عاما
 (وتد كبرى) أى وعظى اياكم (بآيات الله) أى بحجته وبيانه فعزمته على قتلى وطردي
 (فعلى الله توكلت) أى فهو حسى وثقتى اوقيا على الدعوة لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة
 قاموا على أرجلهم يعظونهم ليمكون مكانهم يتنا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه
 السلام انه كان يعظ الخواريين قائما وهم قعود (فأجعوا أمركم) أى فاعزموا على أمر تفعلونه
 فى أذى بالاهلاك وغيره (وشركاءكم) أى وادعوا شركاءكم أو الواو بمعنى مع أى مع شركائكم
 وهى الاصنام وانما حثهم على الاستعانة بها بناء على مذهبهم الفاسد واعتقادهم انها تنصر
 وتنتفع مع اعتقادهم انها باجاء لا تنصر ولا تنفع تكينا وتوحيضا لهم (ثم لا يكن أمركم) أى الذى
 تقصدون به (عليكم غمة) أى مستورا من غمة اذا ستره بل اظهره وجاهره فبما جاهره فانه
 لا معارضة لى بغير الله الذى يستوى عنده السر والجهر (ثم اقضوا الى) أى امضوا
 ما فى أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل
 معناه توجهوا الى بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول الصحرة
 لفرعون فاقض ما أنت قاض أى اعمل ما أنت عامل (ولا تنظرون) أى ولا تؤخرون بعد
 اعلامكم اياى ما أنتم عليه وانما قال ذلك اظهارا لقلته بمبالاة وثقة بما وعده به من كلامه
 وعصمته وانهم ان يجردوا اليه سبيلا (فان توليتهم) أى أعرضتم عن تد كبرى (فما سألتكم من أجر)
 أى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فينفركم عنى وتمنوني لاجله من طمع فى أموالكم
 وطلب أجر على عظمتكم ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا فى القلب (ان
 أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذى يمينى به فى الآخرة أى ما أنصحكم الا لوجه الله تعالى لا
 لغرض من أغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من يتبع الناس بعلم أو ارشاد الى طريق الله تعالى
 (وامرت ان أكون من المسلمين) أى انى مأمورا بالاستسلام لكل مكروه يصل الى منكم لاجل
 هذه الدعوة وقيل بدين الاسلام وانما مض فيه غير تارك له قبل قوله أو لم تقبلوه (فكذبوه) أى
 أصرّوا على تكذيبه بعدما ألهمهم الحق وبين أن توليتهم ليست الالعنادهم وتغريهم لاجرم حقت
 عليهم كلمة العذاب (فحينئذ) من العرق (ومن معه فى العلاك) أى السفينة وكانوا اثنا عشر

(وجعلناهم) أي الذين أنجيناهم معه في الفلك (خلافت) في الارض يخلفون الهالكين بالغرق (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان وقوله تعالى (فانظروا) أي أيها الانسان أيا محمد (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له وهذه القصة اذا سمعها من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذب به كان زجرا للمكلفين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للمؤمنين على الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المبتدأ ولهذا الوجه أكثر تعالى ذكره أقاصيص الانبياء عليهم السلام (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلا الى قومهم) لم ينسهم هنا تعالى من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم (فجاءوهم بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات التي تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا) أي فما استقام لهم أن يؤمنوا أشد عنادهم وخذلان الله تعالى إياهم (عما) أي بسبب ما (كذبوا به من قبل) أي أنهم كانوا قبل بعثة الرسل اليهم أهل جاهلية مكذبين بالحق فوقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك) أي مثل ما طبعنا على هؤلاء بسبب تكذيبهم الرسل (نطبع) أي نختم (على قلوب المعتدين) في كل زمن لكل من تعمده العدول فيما لا يحل له فلا يقبل الايمان لانهم ما كذبوا في الضلال واتباعهم المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد * القصة الثانية قصة موسى عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون ومثله) أي أشرف قومه وغيرهم تبع لهم فهو مرسل الى الجميع (يا أياتنا) التسع (فاستكبروا) عن اتباعها والايمان بها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برساله ربهم بعد تبينها وبعظمتها وعن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) أي كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا عن ردها (فلما جاءهم الحق) أي جاء فرعون وقومه (من عندنا) أي الذي جاء به موسى من عنده وعرفوا أنه ليس من عند موسى وهرون لتظاهر المعجزات الظاهرات المزيحة للشك (قالوا) أي غير متأملين له ولا ناظرين في أمره لفرط تمزدهم (إن هذا السحرمين) أي بين ظاهر يعرفه كل أحد وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر الذي لا يظهر الا على كافر أو فاسق وقوله تعالى (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحرا هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحرا أسحرا هذا الخذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحرا هذا وهو استقهاهم على سبيل الانكار بمعنى انه ليس بسحرا ثم احتج على صحة قوله تعالى فقال (ولا يقل الساحرون) فانه لو كان سحرا لاضاعل ولم يظل سحرا السحرة فقلب العصا حية وخلق الجر مع لوم بالضرورة انه ليس من باب التوهم والتخييل فثبت انه ليس بسحرا (قالوا) أي قوم فرعون لموني (أجئتنا بالطقنا) أي لتردنا ونصرفنا والفت والقتل أخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) أي من الدين وعبادة الاصنام

ثم قالوا لموسى وهرون (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض) أى أرض مصر
قال الزجاج سعى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضاً الملوله موصوفون بالكبر
ولهذا وصف ابن الرقات مضعافى قوله

ملككم ملكاً رافعة ليس فيه * جبروت منته ولا كبرياء

ينقى ما عليه الملوله من ذلك ويجوز ان يقصدوا بذلك ذمهما وأنهم ما ان ملكاً أرض مصر نجبراً
وتكبراً كما قال القبطى لموسى عليه السلام ان تريد الآن أن تكون نجباراً فى الارض (وما نحن
لكما بؤمين) أى بصدقين فيما جئنا به (وقال فرعون) لقومه ارادة للمناظرة لمبا أنى به موسى
عليه السلام (اتمنى بكل ساحر عليم) أى بالغ فى علم السحر لئلا يفوت شئ من السحر متأخر
البعض وقرأ حذرة والكسائى بغير ألف بين السين والحاء وتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها
بصيغة فعال دال على زيادة قلق فرعون والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة
ولا ألف بعدها (فلما جاء السحرة) أى كل من فى أرض مصر منهم قالوا لموسى أما أن تلقى
وأما ان نكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا) جميع (ما أنتم ملقون) (فان قيل) كيف
أمرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر (أجيب) بأنه انما أمرهم بالقاء ما معهم من الحبال
والعصى التى معهم لمظهر للخلق انما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لاعلى طريق أنه عليه السلام
أمرهم بالسحر (فلما ألقوا) ما معهم من الحبال والعصى وخيلوا السحرهم أعين الناس
أنهم اتسعى (قال موسى) منكر عليهم (ما جئتم به السحر) قرأه أبو عمرو وبمزة تين الاولى همزة
الاستفهام فهى مفتوحة والثانية همزة وصل وله فيها وجهان التسهيل والبدل فما استقها مية
مبتدأ وجئتم به خبرها والسحر بدل منه وقرأ الباقون به همزة وصل فتسقط فى الوصل أى
الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحراً ثم أخبر موسى عليه السلام بقوله (ان
الله سيبدله) أى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يشبهه
ولا يقويه وقول البيضاوى وفيه دليل على أن السحر افساد وتغويه لإحقيقه له محمول على
ما يفعله أصحاب الحيل بمعوثة الآلات والادوية والافله حقيقة فهو حق عند أهل السنية وهو
علم بكيفية استعدادات تقدر به النفوس البشرية على ظهور التأثير فى عالم العناصر (ويحق)
أى يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) أى بقضائه ووعد الصادق لموسى عليه السلام وقد
أخبر الله تعالى فى غير هذه السورة انه كيف أبطل ذلك السحر وذلك بسبب أن ذلك الشعبان
قد تلقف ذلك الحبال والعصى (ولو كره المجرمون) ذلك * ولما بين تعالى أن قوم موسى شاهدوا
هذه المعجزات ومع ذلك لم يؤمن منهم الا القليل كما قال تعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه)
وانما ذكر تعالى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يغتم بسبب اعراض القوم
عنه واستمرارهم على الكفر بين تعالى أن له فى هذا الباب بسائر الانبياء اسوة لأن الذى ظهر من
موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر اعظيماً ومع ذلك فما آمن له الا ذرية من قومه
والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل والهاء التى فى قومه

راجعة الى موسى أى فما آمن من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل
 الأولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الأباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون واجابته طائفة من
 أبناءهم مع الخوف وقيل راجعة الى فرعون والذرية امرأته آسية ومؤمن آل فرعون
 وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطته (على خوف من فرعون وملأهم) أى خوف منه
 لانه كان شديد البطش وكان قد أظهر العداوة مع موسى واذا علم ميل القوم الى موسى كان
 يبالغ في ايذائهم فلهم هذا السبب كانوا خائفين منه ومن أشرف قومه والضمير لفرعون وجعه
 على ما هو المعتاد في ضمير العظمة لانه ذوا أصحاب يأتمرون به وقيل المراد بفرعون آله كما يقال
 ربعة ومضر (أن يفتنهم) أى يصرفهم ويصدتهم عن الايمان (وان فرعون لعال) أى
 متكبّر قاهر (في الارض) أى أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أى الجاوزين الحد
 فانه كان من أخس العبيد وادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل (وقال
 موسى) لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) أى صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) أى ثقوا به
 واعتمدوا عليه فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) أى مستسلمين لقضاء الله
 تعالى مخلصين له وقيل ان كنتم آمنتم بالقلب وأسلمتم بالظاهر (فقالوا) يجيبين له (على الله
 توكلنا) أى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا قسمة للقوم
 الظالمين) أى لا تسلطهم علينا فيقتلونا (ونحن) أى خلاصنا (برحمتك من القوم الكافرين)
 أى من أيدي قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة وانما قالوا
 ذلك لانهم كانوا مخلصين لاجرم ان الله تعالى قبل توكلهم وأجاب دعاءهم وفجأهم وأهلك من كانوا
 يخافونه وجعلهم خلفاء في الارض وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي
 أن يتوكل أولاً لتجواب دعونه * ولما شرح الله تعالى خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر
 فيهم من التوكل على الله تعالى أتبعه بأن أمر موسى وهرون عليهم السلام باتخاذ البيوت
 بقوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه) أى الذي طلب موازرتة ومعاضدته (أن تتوا)
 أى اتخذوا (لقومكم بيوتا) تسكنون فيها أو ترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنتم
 وقومكم (بيوتكم) أى تلك البيوت (قبلة) مصلى أو مساجد كما في قوله تعالى في بيوت أذن
 الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه موجهة نحو القبلة أى الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها
 وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بيوتاً ويوتكم برفع الباء والمباقون بالخفض (وأقيموا الصلاة)
 فيها ذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة الأول أن موسى عليه السلام ومن معه
 كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهر واعلمهم
 ويؤذهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الاسلام بحكمة الثاني
 انه قيل انه تعالى لما أرسل موسى اليهم أمر فرعون بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من
 الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون الثالث
 أنه تعالى لما أرسل موسى اليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى

وهرون وقومهما بالتخاذل المساجد على رغم الاعداء وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر الاعداء وقد خص الله تعالى موسى وهرون في أول هذه الآية بالخطاب بقوله تعالى أن تتوا لقومكم لأن التبرؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاور ثم عزم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة لأن جعل البيوت مساجد وقامة الصلاة مما ينبغى أن يفعله كل أحد ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال تعالى (وبشر المؤمنين) أى بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لأن الغرض الاصلى من جميع العبادات حصول هذه البشارة فخص الله تعالى موسى به بالبدل بذلك على أن الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وإن هرون عليه السلام تبع له ثم أن موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة الظاهرة ورأى القوم مصرين على الجحد والعناد والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أوقلا سبب اقدامه على الجرائم وكان جرمهم هو لاجل حبهم الدنيا يزكرو (ولهذا السبب قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه) أى أشرف قومهم على ما هم عليه من الكفر والكبر (زينه) أى عظمة يتزينون بها من الحلية واللباس وغيرهما من الدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر ونحو ذلك (وأموالا) أى كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (في الحياة الدنيا) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان لهما من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ثم بين غايتها لهما فقال مفتحا بالنداء باسم الرب ليعيدها وتابعة من مثل حالهم (ربنا) أى يا ربنا آتيتهم ذلك (ليضلوا) أى في خاصة أنفسهم ويضلوا غيرهم (عن سبيلك) أى دينك واللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل لام كى أى آتيتهم كى تفننهم وقيل هو دعاء عليهم بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غير ذلك وقرأ عاصم وحزرة والكسائى بضم الياء والباقون بالفتح (ربنا) اطمس على أموالهم) أى امسخها وغبرها عن هيئتها قال قتادة صارت أموالهم وحرثهم وزروعهم وجواهرهم حجارة وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها اصحاحا وأنصافا وثلاثا واربعا ودعاهم بن عبد العزيز بنجر ريطه فيها أشياء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة مشقوقة وانها كالخبر قال السدى مسح الله تعالى أموالهم حجارة والتخيل والثمار والدقيق والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع (واشد على قلوبهم) أى اطبع عليها واستوثق حتى لا تنشرح للإيمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض وقوله تعالى (قال قد أجبت دعوتكما) فيه وجهان الاول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال دعوتكما وذلك أن من يقول عند دعاء الداعى آمين فهو أيضا داع لان قوله آمين تأويله استجب فهو سائل كما ان الداعى سائل أيضا الثانى أن يكون كل منهما ذكر هذا غاية ما فى الباب أن يقال انه تعالى حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله تعالى وقال موسى ربنا وهذا لا ينافى أن يكون هرون قد ذكر

الدعاء أيضا وأما قوله تعالى (فاستجبوا) فعناء استجاب على الدعوة والرسالة والزيادة في الزام
الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلا تستجلا قال ابن جرير إن فرعون لبث
بعد هذا الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعه عاتيل الذين لا يعلمون) أي الجاهلين الذين يظنون أنه متى
كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصلا في الحال فرعبا أجاب الله تعالى دعاء الانسان في مطلوبه
الا أنه انما رعبا يوصله اليه في وقته المقدور والاستجبال لا يصدر الا من الجهال وهذا كما قال
تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام اني أعظك أن تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل على
أن ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما أن قوله تعالى لن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على
صدور الشرك منه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن ذكوان بخفيف النون والباقون بتشديدها
لان نون التوكيد تنقل وتختف ولما أجاب الله تعالى دعاءهم أمر بني اسرائيل وكافوا ستمائة
ألف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم وبسر لهم أسبابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع
انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى (وجاوزنا) أي قطعنا بيتي
اسرائيل) أي عبدا لنا المخلص لنا (البحر) حتى بلغوا الشط حافظين لهم (فأتهمهم فرعون
وجنوده) أي لحقهم وأدركهم يقال تبعه وأتبعه اذا أدركه ولحقه (بغيا وعدوا) أي ظلما
وعدوانا وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل فلما أدركهم فرعون قالوا لموسى أين المخلص
والمخرج البحر أمنا وفرعون وراءنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله تعالى
الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فصر به فانطلق لموسى وقومه فكان كل فرق كالطود العظيم
وكشف عنه وجه الارض وانتشر لهم البحر فلما وصل فرعون الى البحر هابوا دخوله وكان فرعون
على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه وميكائيل يسوقهم
حتى لم يشد منهم احد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر تقههمهم جبريل على فرس وخاض
البحر فلما وجد الحصان ريح الاثني لم يملك فرعون من أمره شيئا فغرق البحر واتبعه جنوده حتى
اذا كما لو اجتمعوا في البحر وهم أولهم بالخروج النظم البحر عليهم فلما أتاه الغرق أتى بكلمة
الانخلاص كما قال تعالى (حتى اذا أدركه الغرق) أي لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (لا اله الا
الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) (فان قيل) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمنت
وثانيها قوله لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأنا من المسلمين فما السبب في عدم
القبول (اجاب) العلماء عن ذلك بأجوبة منها أنه آمن عند نزول العذاب والايان والتوبة
عند معارضة الملائكة والعذاب غير مقبول ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا ودرس جبريل في فيه من جبال البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلآن) تؤمن (وقد
عصيت قبل) وضيعت التوبة في وقتها وأثرت دنيالك الفانية على الآخرة الباقية (وكنتم من
المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان والتوبة حتى أغلق بابها بجنود الموت ومعارضة
الملائكة وانما قال له وكنتم من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين ومنها أن فرعون انما
قال هذه الكلمة ليتوصل بهم الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده الاقرا بوحداية

الله تعالى والاعتراف له بالربوبية فلم ينفعه ما قال في ذلك الوقت ومنها أن فرعون كان من الدهرية
 المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى ولذلك قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به
 بنو إسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في إيمانه ومثل هذا الاعتقاد الفاسد لا تنزل ظلمته
 إلا بنور الحق القطعية والدلائل اليقينية ومنها ما روي في بعض الكتب أن بعض أقوام بني
 إسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به
 بنو إسرائيل انصرف ذلك إلى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الحكمة
 في حقه سبباً لزيادة الكفر ومنها أن الإيمان إنما كان يتم بالاقتران بوحداية الله تعالى وبالإقرار
 بنبوته موسى عليه السلام وفرعون لم يقرب بالنبوة فلم يصح إيمانه ونظيره أن الواحد من الكفار
 لو قال ألب مرة أشهد أن لا إله إلا الله فإنه لا يصح إيمانه إلا إذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول
 الله فكذا هنا ومنها أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بنفتهوى ما قول الأمير في عبد نشأ
 في مال مولاه ونعمته فكفر بنعمته وادعى السيادة دون فكتب فرعون فيه يقول أبو
 العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر بنعمته أن يغرق في البحر ثم أن
 فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام إليه خطه (فان قيل) فما فائدة دس جبريل في فم فرعون
 ذلك لأنه في تلك الحالة إما أن يكون التكليف ثابتاً أم لا فإن كان فكيف يمنع من التوبة وإن
 كان غير مكلف فلا فائدة في ذلك (أجيب) بأن التكليف كان ثابتاً وجبريل عليه السلام لم يفعل
 ذلك من قبل نفسه فإنه عبد مأمور والله تعالى يفعل ما يشاء كما قال تعالى فإن الله يضل من يشاء
 ويهدي من يشاء وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وهكذا فعل
 بفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاء على تركه الإيمان أولاً فادس الجاني فم فرعون من
 جنس الختم والطبع على القلب ومن الناس من قال قائل هذا القول هو الله تعالى لأنه ذكر بعده
 (فالיום نجيبك) أي نخرجك من البحر (بيدك) أي جسمك الذي لا روح فيه كما لا سواها
 لم يتغير وأخرجك من البحر عزاً تاماً من غير لباس أو أن المراد بالبدن الدرع قال الميثم البدن
 هو الدرع الذي يكون قصير الكمين وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب
 يعرف به فأخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف (تسكون لمن خلغاك) أي بعدك
 (آية) أي عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بني
 إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم لبروه ويشاهده الخلق على ذلك الذل والمهانة بعدما سمعوا
 منه قوله أنار بكم الأعلى ليعلموا أن دعواه كانت باطلاً وإن ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء
 الملك آل أمره إلى ما يرون لعصيانته ربه (وإن كثيراً من الناس عن آياتنا للغافلون) أي لا يعتبرون
 بها وهذا الكلام ليس إلا كلام الله تعالى ولكن القول الأول أشهر (ولقد بؤنا) أي أنزلنا
 (بني إسرائيل مبوءاً صدق) أي منزلنا صامراً ضياء وهو مصر والشام وإنما وصف المكان
 بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق
 وقدم صدق والسبب فيه أن الشيء إذا كان كاملاً صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه وقيل أرض

الشأم والفرس والاردن لانهم ابلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أى
 الحلالات المستلذات من الفواكه والحبوب والالبان والاعمال وغيرها فأورث تعالى
 بنى اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من المناطق والصامت والحراث والنسل
 كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها (فما اختلفوا)
 أى هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل فى أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أى
 جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على
 نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوباً عندهم وكانوا يخبرون بمبعثه وصفته ونعته ويفتخرون
 بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فأمن به بعضهم كعبد الله بن
 سلام وأصحابه وكفريه بعضهم بغيا وحسدا وإيثارا لبقاء الرياسة وانهم ما اختلفوا فى دينهم الا
 من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا أحكامها (آن ربك) يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة) أى الذى
 هو أعظم الايام (فتما كانوا) أى بأفعالهم الجبلية (فيه يختلفون) أى فيتميز الحق من
 الباطل والصادق من الزنديق ويسكن كلاداره واختلف المفسرون فيمن الخطاب بقوله تعالى
 (فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) أى التوراة (من قبلك) أى
 فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه فقبل هو النبي صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والمراد أمته
 كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تقطع الكافرين والمنافقين وقوله تعالى لن أشرك ليحبطن
 عملك وقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأتى الهين من دون الله
 ومن الامثلة المشهورة اياك أعنى واسمعى يا جارة والذى يدل على صحة ذلك وجوه الاقول قوله
 تعالى فى آخر السورة يا أيها الناس فين أن ذلك المذكور فى أول الآية على سبيل الرمز هم
 المذكورون فى هذه الآية على سبيل التصريح الثانى أنه صلى الله عليه وسلم لو كان شاكاً فى
 نبوته نفسه لكان شك غيره فى نبوته أولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية الثالث اذا قدر
 أن يكون شاكاً فى نبوته نفسه فكيف يزول ذلك الشك باخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم
 فى الاكثر كفار فثبت أن الخطاب وان كان فى الظاهر معه صلى الله عليه وسلم الا أن المراد هو
 الامة ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له أمير وتحت رايه ذلك الأمير جمع فاذا
 أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب
 على ذلك الأمير الذى جعله أميراً عليهم ليكون ذلك أشد تأثيراً فى قلوبهم وقيل
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته ولكن الله تعالى علم أنه صلى الله عليه وسلم
 لا يشك فى ذلك الا أن المقصود أنه متى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول يا رب لا أشك ولا
 أطلب الحجية من قول أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة ولهذا قال
 صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل أحدا منهم ونظير هذا قوله للملائكة هؤلاء اياكم كانوا
 يعبدون والمقصود أن يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك أنت وإينا من دوزنهم بل كانوا
 يعبدون الحق وكما قال تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأتى الهين

والمقصود منه أن يصريح عيسى عليه السلام بالبراعة من ذلك فكذلك هنا وقرأ ابن كثير
 والكسائي بنقل حركة الهمزة إلى السين والباقيون بالهمزة وسكون السين وقيل الخطاب
 لكل من يسمع أي ان كنت أيها السامع في شك عما نزلنا على لسان نبينا إليك وفيه تنبيه على أن
 من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم وأظهر هذه الأقوال
 أولها وهذه الأقوال تجري في قوله تعالى (لقد جاءك الحق من ربك) أي الآيات القاطعة
 لا مدخل للمرية فيه (فلا تكونن من الممترين) أي الشاكيين فيه وفي قوله تعالى (ولا تكونن
 من الذين كذبوا بآيات الله فيكونن من الخاسرين) أي الذين خسروا أنفسهم (إن الذين
 حقت عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم قوله تعالى الذي كتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به
 الملائكة أنهم (لا يؤمنون) أي عوتقون كفارا فلا يكون غير ذلك لا يكذب كلامه ولا ينقض
 قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله تعالى به مفقود
 فإن الدليل لا يهدي إلا بإعانة الله تعالى وإذا لم تحصل تلك الإعانة ضاعت تلك الدلائل (حتى
 يروا العذاب الأليم) فحينئذ لا ينفعهم الإيمان كالم ينفع فرعون وقرأ نافع وابن عامر كلمات
 بألف بعد الميم على الجمع والباقيون بغير ألف على الأفراد القصص الثلاثة قصة يونس عليه السلام
 المذكورة بقوله تعالى (فلولا) أي فهلا (كانت قرية) واحدة من قرى الأمم الماضية التي
 أهلكناها (آمنت) أي آمن أهلها عند إتيان الآيات أو عند رؤية أسباب العذاب (فنفعها)
 أي فتسبب عن إيمانها ذلك أنه نفعها (إيمانها) بأن تقبله الله تعالى منها وكشف العذاب عنها
 وقوله تعالى (الاقوم يونس) استثناء منقطع بمعنى لكن قوم يونس (لما آمنوا) أي لما أخلصوا
 الإيمان أول ما رأوا آية العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا) ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي لتضمن حرف التخصيص معناه كأنه قيل
 ما آمن أهل قرية من القرى الهاكية فنفعهم إيمانهم الاقوم يونس (ومنعناهم إلى حين) أي
 إلى انقضاء آجالهم روى عن ابن مسعود وغيره أن قوم يونس كانوا بأرض ينسوى من أرض
 الموصل فأرسل الله تعالى إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان فدعاهم فأبوا فقبل له
 أن العذاب مصحبهم إلى ثلاثة أيام فاخبرهم بذلك فقالوا انالم نجرب عليك كذبا فانظروا فان
 بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصحبكم فلما كان في جوف تلك
 الليلة خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم فلما أصبحوا انقشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم
 قدر ميل وقال وهب غامت السماء غما عظيما أسودها ثلاثا يدخلن دخانا عظيما فهبط حتى غشي
 مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه
 وقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصعيد باقتسامهم ونسائهم وأولادهم وديارهم
 ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والد وولدها من
 النساء والذواب فحن بعضهم إلى بعض وعلت أصواتها واختلطت بأصواتهم وبعجوا ونصرعوا
 إلى الله تعالى وقالوا آمنا بآياتك يا يونس عليه السلام فرجهم الله تعالى واستجاب دعاءهم

وكشف عنهم العذاب بعدما أظلمهم وكل ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه بلغ من قوبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر وكان قد وضع عليه
أساس بنيانه فبرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقيقة علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما نرى
فقال لهم قولوا يا حيّ حين لا حيّ ويا حيّ الموتى ويا حيّ لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم
وعن الفضيل بن عياض اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظمهم منها وَاَجَلْ افعل بنا
ما انت اهل له ولا تفعل بنا ما نحن اهل له وسماأتى بقية القصة ان شاء الله تعالى في سورة والاصافات
(فان قيل) قد حكى الله تعالى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم
يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم فما الفرق بين الحالين (أجيب) بأن فرعون انما تاب بعد أن
شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وأما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت
أمارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل أن ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمرضى يخاف
الموت ويرجو العافية وان الله تعالى قد علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون
فانه لم يصدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه قال الله تعالى (ولو شاء ربك يا محمد لا بك
وصدقك من في الارض كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (جميعا) أي مجتمعين على ذلك في آن واحد
لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشأ أن يصدق ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل وفي
هذا نسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فأخبر الله تعالى أنه لا يؤمن
به الا من سبق له السعادة الازلية فلا تعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى (أفأنت
تكره الناس) أي الذين لم يرد الله ايمانهم (حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس ايمانهم اليك حتى
تكرهم عليه وتحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله تعالى وقضائه وليس
لاحد ذلك سواء كما قال تعالى (وما كان) أي وما ينبغي وما يتأتى (لنفس) أي واحدة فما فوقها
(أن تؤمن) أي يقع منها ايمان في وقت ما (الا باذن الله) أي بارادته لها بالايمان فان هدايتها
الى الله فهو المهدى والمضل وقال ابن عباس بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله (ويجعل) الله
(الرجس) أي العذاب والخذلان فانه سببه وقرأ شعبة وحده بالنون (على الذين لا يعقلون)
أي لا يتدبرون في آيات الله تعالى فينتفعوا بها وهم يدعون أنهم أعقل الناس ويتساقطون
في مساوى الاخلاق وهم يدعون أنهم أبعد الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
* ولما بين الله تعالى في الآيات السابقة أن الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته أمر
بالنظر والاستدلال في الدلائل بقوله تعالى (قل انظروا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين
يسألونك الآيات (ماذا) أي الذي (في السموات والارض) من الآيات ووضح الدلالات
من عجائب صنعه ليدلّكم على وحدته وكمال قدرته في العالم العلوى الشمس والقمر وهما
دليلان على الليل والنهار والنجوم وحركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب
وما يختص بذلك من المنافع وفي العالم السفلى الجبال والبحار والمعادن والنبات والحیوان
وأخصم حال الانسان كل ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال

وفي كل شيء آية * تدل على أنه واحد

القائل

وقرأ عاصم وحزرة في الوصل بكسر اللام والباقون بضمها وأما الهمزة من انظر وافعل القراء
يبتدئون بالضم (وماتغنى الآيات) أي وإن كانت في غاية الوضوح (والنذر) جمع نذير أي الرسل
(عن قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه * (تنبيه) قال النحويون ما هنا تحتسمل وجهين
الأول أن تكون نفياً بمعنى أن هذه الآيات والنذر لا تفيد القابلية في حق من حكم الله تعالى
عليه بأنه لا يؤمن كقولك لا يغني عنك المال إذا لم تنفق والثاني أن تكون استفهاماً كقولك
أي شيء يغني عنهم وهو استفهام بمعنى الإنكار (فهل) أي ما (ينظرون) أي أهل مكة تكذيبك
(الآ) أي ما أي وقائع (مثل أيام) أي وقائع (الذين خلوا من قبلهم) أي من مكذبي الأمم
كالقبط وقوم نوح وما انطوى بينهم من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب (قل) أي قل لهم
يا محمد (فاتظروا) أي العذاب (إني معكم من المستظرين) أي لنزول العذاب بكم وقوله
تعالى (ثم نجي رسلاً والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى (الأمثلة أيام الذين
خلوا من قبلهم) كأنه قيل لنهلك الأمم ثم نجي رسلاً ومن آمن بهم على حكاية الأحوال الماضية
وقرأ أبو عمر ووحده بسكون السين (كذلك) أي كما نجي رسلاً والذين آمنوا معهم من
الهلاك (حقاً علينا الخ المؤمنين) أي نجيكم يا محمد ومن آمن معك وصدقك من الهلاك
والعذاب (فإن قيل) قوله تعالى حقاً بقية قضى الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء (أجيب) بأن
ذلك حق بحسب الوعد والحكم لأنه حق بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على
خالقه شيئاً وهو اعتراض بين المشبهة والمشبّه به ونصب بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك
وقرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بفتحها وأما الوقف عليها في جميع
القراء يقفون على الجيم لأنها امر سومة في المصحف بالجيم بلا ياء فهي في القرآن وقفاً ووصلاً بلا ياء
جميع القراء ولما ذكر تعالى الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله صلى الله عليه
وسلم بإظهار دينه فقال (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت إليهم فسيكوا
في أمرك ولم يؤمنوا بك (إن كنتم في شك من ديني) أي الذي أدعوك إليه أنه حق وأصررت
على ذلك وعبدتم الأصنام التي لا تنفع ولا تضر (فلا أعبد الذين يعبدون من دون الله) أي
غيره وهو الأصنام التي لا قدرة لها على شيء (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) بقبض أرواحكم
التي لا شيء عندكم يعدلها فانه الذي يستحق العبادة وانما خص الله تعالى هذه الصفة للهدى
وقيل إنهم لما استعجلوا بطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على
إهلاككم ونصري عليكم (وأمرت أن) أي بأن (أكون من المؤمنين) أي المصدقين
بما جاء من عند الله وقيل أنه لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الإيمان
لأنه من أعمال القلوب (فإن قيل) كيف قال في شك وهم كفار يعتقدون بطلان ما جاء به
(أجيب) بأنه كان فيهم شاكون أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمره صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى (وأن أقم وجهك للدين) عطف على أن أكون غير أن ضلته

أن محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر
 ليبدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخير منها والطلب والمعنى وأمرت
 بالاستقامة في الدين والاستبعاد فيه بأداء الفرائض والانتها عن القبائح أو في الصلاة
 باستقبال القبلة وقوله (حسبنا) حال من فاعل أقم أو من الدين أو من الوجه ودعناه ماثلاً
 مع الدين غير مدحوخ عنه إلى دين آخر وقوله تعالى (ولا تكونن من المشركين) أي عن يشرك
 بالله في عبادته غيره فتهلك خطا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أقمته أي ولا تكونن أيها
 الإنسان وكذا قوله تعالى (ولا تدع) أي تعبد (من دون الله) أي غيره (مالا ينفعك) أي
 أن عبده (ولا يضرك) أن لم تعبد (فان فعلت) ذلك (فانك اذا من الظالمين) لنفسك لأنك
 وضعت العباداة في غير موضعها والظالم وضع الشيء في غير محله فإذا كان ماسوى الحق معزولاً
 عن التصرف كان إضافة التصرف إلى ماسوى الحق وضع الشيء في غير موضعه فيكون ظلماً
 * ولما ذكر تعالى الأوثان وبين أنهما لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى أنه هو القادر على كل شيء
 وأنه ذو الجود والكرم والرحمة بقوله تعالى (وان يحسبك) أي يصيبك (الله بضرك) كقفر
 ومرض (فلا كشف) أي لا دافع (له الا هو) لانه الذي أنزل بك (وان يردك بحير) كرخاء وصحة
 (فلا راد) أي دافع (لفضله) أي الذي أراد له (يصيبه) أي بالخير (من يشاء من عباده
 وهو الغفور) أي البليغ السر للذنوب (الرحيم) أي البالغ في الأكرام وقرأ أبو عمر ووقالون
 والكسائي يسكون الهاء والباءون بالضم فرج سبحانه وتعالى جانب الخير على جانب الشر من
 ثلاثة أوجه الأول أنه تعالى لما ذكر أساس الضر بين أنه لا يكشف له الا هو وذلك يدل على أنه
 تعالى يزيل المضار لأن الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفعه بل قال انه
 لا أراد فضله وذلك يدل على أن الخير مطلوب بالذات وأن الشر مطلوب بالعرض كما قال صلى الله
 عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال سبقت رحمتي غضبي الثاني أنه سبحانه وتعالى قال في صفة الخير
 يصيبه من يشاء من عباده وذلك يدل على أن جانب الخير أقوى وأغلب الثالث أنه تعالى
 قال وهو الغفور الرحيم وهذا أيضاً يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية أنه
 سبحانه وتعالى بين أنه منفرد بالخلق والابدي والابداع وأنه لا موجد سواه ولا
 معبود الاياه وأن جميع الممكنات مسندة اليه وجميع الكائنات محتاجة فالأيدي مرفوعة
 اليه والحاجات منتهية اليه والعيون والهمة فيه والرجة والحدود فائض منه * ولما قرئت تعالى
 الدلائل المذكورة في التوحيد والنبوة والمعاد وزين أمر هذه السورة بهذه البيانات الدالة
 على كونه تعالى مبتدئ بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة
 العالمية للإتيان لاحد عذر بقوله تعالى (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم
 (قد جاءكم الحق من ربكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى والقرآن
 فلم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) أي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب (فإنما
 يهتدي لنفسه) لانه اتبع الحق الثابت وترك الباطل الزائل فأنقذ نفسه من النار وأوجب لها

الجنة فثواب اهتدائه لمن ضل) أى كفر بها أو بشئ منها (فأما يضل عليها) أى على نفسه لأن
وبالضلالة عليها إلا من ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شئ فقد غر نفسه ثم قال صلى الله
عليه وسلم (وما أنا عليكم بوكيل) أى حفيظ أى موكول إلى أمركم وانما أنا بشير ونذير قال ابن
عباس وهذه الآية منسوخة بآية السيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (وانبج)
يا محمد ما يوحى إليك) بالامتنال والتبليغ (واصبر) أى على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى
يحكم الله) أى بنصرتك عليهم واطهار دينك أو بالأمر بالقتال (وهو خير الحاكمين) إذا لم يكن
الخطأ فى حكمه تعالى لاطلاع على السر أو كاطلاعه على الظواهر فحكمهم يقتل المشركين
والجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يدهم صاغرون وأنشد بعضهم فى الصبر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

سأصبر حتى يعلم الصبر أننى * صبرت على شئ أُمِر من الجمر

وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد نقلته الانصار ثم دخل المدينة
فقال له مالك لم تلتق معاوية قال لم يكن عند نادواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب
أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى أثره قال معاوية
فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا بلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين تشاكلاى

بأناصبرون فتنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

وقول البيضاوى تبع الازمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون حديث
موضوع

﴿سورة هود عليه السلام مكية﴾

الواقم الصلاة الآية والافعلك تارك الآية وأنتك يؤمنون به الآية مائة وثلاثون وثلاث
وعشرون آية وكتابتها ألف وسبعمائة وخمسة عشرة وحروفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة
أحرف وعن أبي بكر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتي هود
وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية

(بسم الله) أى الذى له تمام العلم وكال الحكمة وجميع القدرة (الرحمن) لجميع خلقه بعموم
البشارة والنذارة (الرحيم) لاهل ولايته بالحفظ فى سلوك سبيله وقوله تعالى (الركاب) مبتدا
وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف وتقدم الكلام على أوائل السور أو سورة البقرة وقرأ أبو
عمرو وابن عامر وشعبة وحزمة والكسائى بالامالة والباقون بالفتح وقوله تعالى (أحكمت آياته)
صفة للكتاب وفسر الاحكام بوجوده الا قول أحكمت آياته أى نظمت نظاما محكما لا يقع فيه نقص
ولا خلل كالبناء المحكم المرص ولا يعتبره اخلال من جهة اللفظ والمعنى ولا يستطيع أحد

نقص شيء منه ولا الطعن في شيء من بلاغته أو فضاحته الثاني أن الأحكام عبارة عن منع
 الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ كتاب كما نسفت الكتب والشرايع به كما قال
 ابن عباس الثالث أنهم أحكمت بالجميع والدلائل أوجعت حكمة منقول من حكم بالضم إذا
 صار حكمها لانها مشقة على أمهات الحكم النظرية والعملية وقوله تعالى (ثم فصلت) صفة
 أخرى للكتاب أي بينت بالأحكام والقصاص والمواعظ والأخبار والآنزال فجما فجمها أو فصل
 فيها ونقص ما يحتاج إليه أو يجعلها سورا وقال الحسن أحكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد
 والوعيد * (تنبيه) * معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول
 هي محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل
 وقوله تعالى (من لدن حكيم خبير) أي الله تعالى صفة أخرى للكتاب والتقدير الركب من
 حكيم خبير أو خبر بعد خبر والتقدير الرمن لدن حكيم خبير أو صلة للاحكام وفصلت أي
 أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير قد حصل بين أوائل هذه السورة وبين
 آخرها مناسبة لطيفة كأنه يقول تعالى أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير
 عالم بكيفيات الأمور وقوله تعالى (أن لا تعبدوا الا الله) يحتمل وجوها الأول أن تكون مفعولا
 له والتقدير كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لاجل أن لا تعبدوا الا الله الثاني أن تكون
 مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول قال الرازي والحمل على هذا أولى لأن قوله تعالى
 وأن اسئغفروا معطوف على قوله تعالى أن لا تعبدوا فيجب أن يكون معناه أي لا تعبدوا
 ليكون الامر معطوفا على النهي فإن كونه بمعنى أن لا تعبدوا يمنع عطف الامر عليه الثالث
 أن يكون كلاما مستقلا منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على
 اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (انني لكم منه) أي الله
 (بذير) بالعقاب على الشرك (وبشير) بالثواب على التوحيد كأنه قيل ترك عبادة غير
 الله تعالى بمعنى اتركوها انني لكم منه بذير وبشير كقوله تعالى فاضرب الرقاب * (تنبيه) *
 هذه الآية الكريمة مشقة على أشياء مرتبة الأول أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا الا الله لأن
 ما سواه محدث مخلوق مربوب وانما حصل بتسوية بين الله وإيجاده والعبادة عبارة عن
 اظهار الخضوع والخشوع وهماية التواضع والتذلل وذلك لا يليق الا بالخالق المدبر الرحيم
 المحسن ثبت ان عبادة غير الله تعالى منكزة المرتبة الثانية قوله تعالى (وان استغفروا
 ربكم) المرتبة الثالثة قوله (ثم توبوا اليه) واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على
 وجوه الاول أن معنى قوله وأن استغفروا أي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء
 الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لأن الداعي الى التوبة والحرك عليه هو
 الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة فالاستغفار مطلوب بالذات والتوبة مطلوبة لكونها
 من مهمات الاستغفار وما كان آخرافي الحصول كان أولافي الطلب فلهذا السبب قد
 ذكر الاستغفار على التوبة الثاني وأن استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا أي ارجعوا

إليه بالطاعة الثالث الاستغفار طلب من الله تعالى لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من الانسان
 في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار ليدل على ان المؤمن بحسب عليه أن لا يطلب الشيء الا من
 مولاه فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان
 ويتوسل به الى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى تقدم على الاستعانة بسعي النفس
 ثم انه تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يرتب عليها من الاثار المطلوبة ومن
 المعلوم ان المطالب محصورة في نوعين لانه انما يكون حوله في الدنيا أو في الآخرة اما المنافع
 الدنيوية فهي المرادة من قوله تعالى (يمتعكم متاعا حسنا) أي بطيب عيش وسعة رزق (الى أجل
 مسمى) وهو الموت (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
 وقال أيضا خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولولا أن يكون
 الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليشتمهم سققام فضة فهذه النصوص دالة على أن
 نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبلية ومقتضى هذه الآية أن نصيب المشتغل
 بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما (أجيب) بأن المشتغل بعبادة الله ومحبة مشتغل
 بحسب شيء يمتنع تغيره وزواله وفناؤه فكلما كان امعانه في ذلك الطريق أكثر وتوغل فيه أتم كان
 انقطاعه عن الخلق أتم وأكمل وكلما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور
 أكمل لانه أمن من تغير مطلوبه وأمن من زوال محبوبه وأما من كان مشتغلا بحسب غير الله كان
 أبدا في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله وكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا ولذلك قال تعالى
 في صفة المشتغلين بخدمته قلنحينه حياة طيبة وقيل المراد بالمتاع الحسن عدم العذاب
 بعذاب الاستئصال كما استأصل أهل القرى الذين كفروا وسمى سبحانه وتعالى منافع الدنيا
 بالمتاع لاجل التنبيه على حقارتها وقلمتها ونبه تعالى على كونها منقضية بقوله تعالى الى أجل
 مسمى فصارت هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية وأما المنافع الآخروية فقد
 ذكرها تعالى بقوله تعالى (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل) أي في العمل (فضله)
 أي جزاءه لان مراتب السعادة في الآخرة مختلفة لانها متقدرة بمقدار الدرجات الحاصلة
 في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير متناهية
 فكذلك مراتب السعادات الآخروية غير متناهية فلهذا السبب قال تعالى ويؤت كل ذي
 فضل فضله وقال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة وقال ابن عباس
 من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن
 استوت سيئاته وحسناته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل
 سيئة كتبت له سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها
 في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقي له
 تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آحاده أعشاره وقوله تعالى (وان تولوا) فيه
 حذف احدي التامين أي وان تعرضوا عما حثتكم به من الهدى (فاني) أي فقل لهم اني (أخاف

عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وقيل يوم الشدائد
وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف (إلى الله مرجعكم) أي رجوعكم في ذلك اليوم فيثيب
المحسن على إحسانه ويعاقب المسي على إساءته (وهو على كل شيء قدير) أي قادر على جميع
المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته ومنه الثواب والعقاب وفي ذلك دلالة على قدرة
عالية وجلالة عظيمة لهذا الخاكم وعلى ضعف لهذا العبد والملك القاهر العالی إذا رأى عاجزا
مشرقا على الهلاك فإنه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور ومكنت فأصبح أي فاعف يقول
مصنف هذا الكتاب قد أنفيت عمري في خدمة العلم ومطالعة الكتب ولا رجاء لي في شيء إلا
أنني في غاية الذلة والقصور والكريم إذا قدر عفا فأساء لك يا أكرم الأكرمين وأرحم الراجلين
وسائر عيوب المعيوبين أن تفيض بهال رحمتك على وعلى والدي وأولادي وإخواني
وأحبابي وأن تخصني وإياهم بالفضل والتجاوز والجود والكرم واختلفوا في سبب نزول قوله
تعالى (إلا أنهم يشنون صدورهم) فقال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو
الكلام حلوا المنظر يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنعى
قوله تعالى يشنون صدورهم يخفون ما في صدورهم من الشتماء والعداوة وقال عبد الله بن
شداد نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فنى صدره وظهره
وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخفون ظهورهم
كي لا يسمعوا كلام الله تعالى ولذا كره وروى البخاري عن ابن عباس أنها نزلت فيمن كان يسبحي
أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره
فيتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يشنون صدورهم أي يعرضون
بقلوبهم من قولهم ثبتت عناني (ليست تخفوا منه) أي من الله تعالى بسرهم فلا يطلع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عليه وقيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قيل أنها نزلت في
طائفة من المشركين قالوا إن أرحمنا علينا ستورا واستغشنا ثيابا ووطونا صدورنا على عداوة
محمد كيف يعلم (الآحين يستغشون ثيابهم) أي يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم)
تعالى (مايسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم أي أنه لا تفاوت في علمه تعالى بين
أسرارهم وأعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الإخفاء (أنه) تعالى (عليهم بذات
الصدور) أي بالقلوب وأحوالها وما أعلم تعالى أنه يعلم مايسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على
كونه عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) فذكر
تعالى أن رزق كل حيوان أنما يصل إليه من الله تعالى فالويل لمن عالما بجميع المعلومات لما
حصلت هذه المهمات والدابة اسم كل حيوان دب على وجه الأرض ولا شك أن أقسام
الحيوانات وأنواعها كثيرة وهي الاجناس التي تكون في البر والبحر والجبال والله تعالى
عالم بكيفية طباعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها ومسكنها وما يوافقها ويخالقها فالاله
المدير لطبقات السموات والأرض ولطبائع الحيوانات والنبات كيف لا يكون عالما بأحوالها

روى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعالى قلبه بأحوال أهل فأمره الله تعالى أن
 يضرب عصاه على خخرة فانشقت وخرج منها خخرة ثانية ثم ضرب عصاه عليها فانشقت وخرج
 منها خخرة ثالثة ثم ضرب عصاه عليها فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفيها شئ يجري
 مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع أن الدودة كانت
 تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (فان قيل) إن كلمة على
 للوجوب فبدل على أن إيصال الرزق إلى الدابة واجب على الله تعالى (أجيب) بأنه تعالى إنما
 أتى بذلك تحقيقاً لوصوله بحسب الوعد والفضل والاحسان وحمل على التوكل فيه وفي هذا
 الابهة دليل على أن الرزق قد يكون حراماً لأنه ثبت أن إيصال الرزق إلى كل حيوان واجب
 على الله تعالى بحسب الوعد والله تعالى لا يخلف به ثم قد نرى أن أناساً نالوا كل من الحلال طول
 عمره فلم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما وصل رزقه اليه فيكون الله تعالى قد أدخل
 بالواجب وذلك محال فعلمنا أن الحرام قد يكون رزقاً (ويعلم) تعالى (مستقرها) قال ابن عباس
 هو المكان الذي تأوى إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً (ومستودعها) هو الذي تدفن فيه إذا
 ماتت وقال عبد الله بن مسعود المستقر أرحام الامهات والمستودع المكان الذي يموت فيه
 وقال عطاء المستقر أرحام الامهات والمستودع أصلاب الآباء وقيل الجنة أو النار والمستودع
 القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حنت مستقر أو ساءت مستقر أو معة ما ولا مانع أن
 يفسر ذلك بهذا كله (كل) أي كل واحدة من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها (في
 كتاب) أي ذكرها ثبت في اللوح المحفوظ (مبين) أي بين كما قال تعالى ولا تطب ولا يبأس إلا
 في كتاب مبين ولما أثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالماً بالمعلومات أثبت كونه تعالى قادراً
 على كل المقدور وأما بقوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) أي من
 أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة وتقدم الكلام على تفسير ذلك في سورة الاعراف (وكان
 عرشه على الماء) قال كعب خلق ياقوته خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماءً ثم تعد ثم خلق
 الریح فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء وقال أبو بكر الاصم ومعنى قوله تعالى
 وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملصقاً
 بالآخر وقال حمزة إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق
 القلم فكتب به ما هو خالقه وما هو كائن من خلقه ثم إن ذلك الكتاب سجد لله تعالى وسجد
 ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه ففي هذا دلالة على كمال قدرته تعالى لأن العرش مع كونه
 أعظم من السموات والارض كان على الماء وقد أمسكه الله تعالى من غير دعامة تحته ولا علاقة
 فوقه وقوله تعالى (ليبأسكم) متعلق بخلق أي خلقها ووافقكم لكم ومصلح ليعتبركم وهو أعلم
 بكم منكم (أيكم أحسن عملاً) أي أطوع لله وأورع عن محارم الله وهذا القيام الحجة عليهم وقد
 مر أمثال ذلك ولما بين تعالى أنه إنما خلق هذا العالم لأجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا
 يوجب القطع بمحصول الحشر والنشر لأن الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة

والثواب وتخصيص المسمى بالعقاب وذلك لا يتم الامع الاعتراف بالمعاد والقيامه خاطب تعالى
محمد صلى الله عليه وسلم فقال جلا وعلا (ولئن قلت) يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم
مبعوثون من بعد الموت) أى للحساب والحزاء (ليقولن الذى كفر وان) أى ما (هكذا) أى
القرآن بالبعث أو الذى تقوله (الاسحرمين) أى بين وقرأ حجة والكسائى بفتح السين وألف
بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك راجعا للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بكسر السين وسكون
الحاء ولما حكى تعالى عن الكفار أنهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عنهم نوعا آخر
بقوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) حجي (أمة) أى جماعة من الاوقات (معدودة) أى
قليلة (ليقولن) أى استهزاء (ما يحبسهم) أى ما يمنعهم من الوقوع قال الله تعالى (الايوم يا أيهم)
(كيوم بدر) ليس مصروفاً (أى مدفوعا) العذاب (عنهم وحق) أى نزل (بهم) من العذاب
(ما كانوا به يستهزئون) أى الذى كانوا يستهجلون فوضع يستهزئون موضع يستهجلون لأن
استهجلهم كان استهزاء (فان قيل) لم قال تعالى وحق على لفظ الماضى مع أن ذلك لم يقع
(أجيب) بأنه وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا وبسبب الغة فى التأكيذ والتقرير والتهديد
ولما ذكر تعالى أن عذاب الكفار وان تأخر إلا أنه لا بد وأن يحق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم
وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى (ولئن أذقنا) أى أعطينا (الإنسان) أى
الكافر (منارجة) أى نعمة كفى وحملة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها) أى سلبنا تلك النعمة
(منه أنه ليؤس) أى فنوط من رحمة الله تعالى لقله صبره وعدم ثقته به (كفور) أى بخود
لنعمتنا عليه وأما المسلم الذى يعتقد أن تلك النعمة من جود الله تعالى وفضله واحسانه فانه
لا يحصل له اليأس بل يقول لعلة تعالى يردها على بعد ذلك أحسن وأكمل وأفضل مما كانت (ولئن
أذقناه) أى الكافر (نعماء بعد ضراء مسته) كحملة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين
وهما أذقناه ومستهم من حيث الاسناد اليه تعالى فى الاول والى الضراء فى الثانى نكتة عظيمة
وهى أن النعمة صادرة من الله تعالى فنفس الامنة خبر ما أحديذ خل الجنة لا برجعة الله تعالى
قبل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا والضراء صادرة من العبد كسبب الاله السبب فيه باجته الاله اياه
بالمعاصى غالباً لقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى
ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا غير أن الحسنه احسان وامتحان
والسيئة مجازاة واتقام لخبر ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحق
انقطاع شبع لعلة الاذنب وما يعفو الله أكثر (ليقولن) أى الذى أصابه الصحة والغنى
(ذهب السيئات) أى المصائب التى أصابتني (عنى) ولم توقع زوالها ولا يشكر عليها (انه لفرح)
أى فرح بطر (تفون) على الناس بما أذاقه الله تعالى من نعمائه وقد شغلها الفرح والفخر عن
الشكر فين سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن أحوال الدنيا غير باقية بل هى أبداً فى التغير والزوال
والتحول والانتقال فان الانسان اما أن يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات
كالقسم الاول واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن ينقل من المذكور الى المحبوب كالقسم

الثاني ولما بين تعالى أن الكافر عند الاستلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعماء لا يكون
 من الشاكرين بين حال المتقين بقوله تعالى (إلا أي سكن) (الذين صبروا) على الضراء وعملوا
 الصالحات) أي في النعماء أي فأنهم ان أصابهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا (أولئك
 لهم مغفرة وأجر كبير) فجمع لهم تعالى بين هذين المطاوين أحدهما زوال العقاب والخلاص
 منه وهو المراد من قوله تعالى لهم مغفرة والثاني الفوز بالثواب ودخول الجنة وهو المراد
 من قوله تعالى وأجر كبير (فلعلك) يا محمد (تترك بعض ما يوحي إليك) فلا تبلغهم أيامهم وأنهم
 به فأنهم كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه وقرأ أجزاء والكسائي بالأمالة محضة وورش بين
 اللفظين والباقون بالفتح (وضائق به صدرك) أي بتلاوته عليهم لاجل (أن يقولوا لولا) أي
 هلا (أنزل عليه كنز) يتفقه في الاستنباع كالمولك (أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا وروى
 عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال
 آخرون اننا بالملاتكة ليشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزل (انما أنت نذير) فلا عليك
 إلا البلاغ لا الايتان بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) فمولى عليه انه عالم بحالهم وفاعل
 بهم جراء أقوالهم وأفعالهم (أم) أي بل (يقولون) كفار مكة (اقتراه) أي اختلقه من تلقاء
 نفسه وليس هو من عند الله قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله) في البيان
 وحسن النظم (مفتريات) فانكم عريون مثلي قال ابن عباس هذه السور التي وقع بها هذا
 التحدى معينة وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف
 والانفال والتوبة ويونس وهود وقيل التحدى وقع بمطابق السور وهو متقدم على التحدى
 بسورة واحدة والتحدى بسورة واحدة وقع في سورة البقرة وفي سورة يونس اما تقدم هذه
 السورة على سورة البقرة فظاهر لان هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية وأما في سورة يونس
 فلا ن كل واحدة من هاتين السورتين مكية فتكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة
 يونس كما قاله الرازي وأنكر المبرد هذا وقال بل سورة يونس أولا وقال معنى قوله في سورة يونس
 فأتوا بسورة مثله أي مثله في الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فجزى وافقال لهم
 في سورة هود ان عجزتم عن الايتان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأتوا
 بعشر سور من غير وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة (وادعوا) أي قل لهم يا محمد ادعوا
 للمعاونة على ذلك (من استطعت من دون الله ان كنتم صادقين) في أنه مقتري والضمير في قوله
 تعالى (فان لم يستجيبوا لكم) أي بايتان مادعوهوهم اليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
 لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال تعالى في موضع آخر فان لم يستجيبوا
 لك فاعلم والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم (فاعلموا انما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) أي بما
 لا يعلمه إلا الله تعالى من نظم يعجز الخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه ولا يقدر عليه سواه
 وقوله تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أي وانه (لا اله الا هو) وحده وان توحده واجب
 والاشراية ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) أي ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذ

تحقق عندكم اعجازهم مطلقا وقيل الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعمهم أي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاعتهم أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل أنتم بعد هذه النجاة القاطعة مسلمون أي أسلموا وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبية على قيام الموجب وزوال العذر واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي بعمله الذي يعمل من أعمال البر (نوف اليهم أعمالهم) أي التي عملوها من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) أي في الدنيا (وهم فيها لا يجنون) أي نوصل اليهم أجورا أعمالهم وافية كاملة من غير ينحس في الدنيا وهو ما يرقون فيها من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد ونحو ذلك (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط) أي بطل (ما صنعوا) أي عملوا (فيها) أي الآخرة فلا ثواب لهم (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله تعالى فقال مجاهد نزلت في أهل الرياء قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الا الصغير قالوا يا رسول الله وما الشرك الا الصغير قال الرياء والرياء هو أن يظهر الانسان الاعمال الصالحة لتحمد الله الناس ويعتقدوا فيه الصلاح فهذا هو العمل الذي لغير الله تعالى نعوذ بالله من الخذلان وقال أكثر المفسرين انه نزلت في الكافر وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة واداته الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي به في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها اخيرا وقيل نزلت في المنافقين الذين يطالبون بغزوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها وقيل في اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس وماذا كر تعالى الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة بقوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) قيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والبيئة هي القرآن (ويتلو) أي يتبعه (شاهد) يصدقه (منه) أي من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة شاهده أيضا وقوله تعالى (اماما) أي كتابا مؤتمنا به في الدين (ورجوة) أي على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بسعادة الدارين حال من كتاب موسى والجواب محذوف اظهره والتقدير أفمن كان على بينة من ربه يكن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار ليس مثله بل بينهم تفاوت بعيد وتباين بين وقيل هو من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره والمراد بالبيئة هو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو القرآن ومنه أي من الله ومن قبله كتاب موسى أي ويتلوه ذلك البرهان من قبل مجي القرآن كتاب موسى أي في دلالة على هذا المطلوب لافي الوجود قال الرازي وهذا القول هو الاظهر لقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) وهذه صفة جمع ولا يجوز رجوعه الى محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ويجوز أن تكون للعظيم اوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه وربما يكون هذا أولى كما

جرى عليه بعض المفسرين والاشارة الى من كان على بينة والضمير في به القرآن واذا كان هذا
 الفريق ليس له في الآخرة الا النار فهذا الفريق ليس له في الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أي
 بالنبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (من الاحزاب) أي أصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود
 والنصارى والمجوس (فالتار موعده) يعني في الآخرة روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي الا كان من أهل النار
 قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن
 فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالتار موعده قال بعض العلماء ولما دلت
 الآية على أن من يكفر به كانت النار موعده دل على أن من لا يكفر به كانت الجنة موعده
 وقوله تعالى (فلانك في مرتبة) أي في شك (منه) أي القرآن أو الموعد (انه الحق من ربك)
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبو بذلك
 قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بما أوحينا اليك أو بأن
 موعد الكفار النار ثم وصف الله تعالى هؤلاء المنكرين بالمجاهدين بصفات كثيرة في معرض
 الذم الصفة الاولى كونهم مفتريين على الله كما قال تعالى (ومن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى
 على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه أو أسند اليه ما لم ينزل أو نفي عنه ما أنزله الصفة
 الثانية أنهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان كما قال تعالى (أولئك يعرضون
 على ربهم) أي يوم القيامة (فان قيل) هم لا يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل
 العباد كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا (أجيب) بأنهم يعرضون فيصفحون بشهادة
 الشهاد عليهم كما قال تعالى (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فيحصل لهم من
 الخزي والنعكال ما لا مريد عليه وهذه هي الصفة الثالثة واختلف في هؤلاء الاشهاد فقال مجاهد
 هم الملائكة الذين يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال مقاتل هم الناس كما يقال على رؤس
 الاشهاد أي على رؤس الناس وقال قوم هم الانبياء كما قال تعالى قلنا للذين أرسل اليهم
 ونسأل المرسلين والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار القضيحة (فان قيل)
 العرض على الله يقتضي أن يكون الله تعالى في حيز وهو تعالى منزّه عن ذلك (أجيب) بأنهم
 يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو يكون ذلك عرضا على من يوجب بامر الله
 تعالى من الانبياء والمؤمنين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد
 كشریف وأشراف قال أبو علي الفارسي وكان هذا أرجح لان ما جاء من ذلك في التبريل جاء
 على فعيل كقوله تعالى وجئناك شهيدا على هؤلاء وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول أي عبدى تعرف
 ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال تعالى سترها عليك في الدنيا وقد سترها لك
 اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
 ولما أخبر الله تعالى عن حالهم في عقاب القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (ألا لعنة

الله على الظالمين) فبين تعالى انهم في الحال ملعونون من عند الله وهذه هي الصفة الرابعة
 ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله تعالى (الذين يصدّون عن سبيل الله) أي دينه ثم وصفهم
 بالصفة السادسة بقوله تعالى (ويغوونها) أي يطلبون السبيل (عوجاً) أي معوجة أي كأنهم
 ظلوا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال فقد أضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات
 وتوحيج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي انه يسخر عوجاً وانما يقال ذلك فمن يعرف
 كيف الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم وصفهم بالصفة
 السابعة بقوله تعالى (وهم) أي والحبال انهم (بالآخرة هم كافرون) وتكرر لفظهم تأكيد
 كفرهم وتوغلهم فيه الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله كما قال تعالى
 (أو لئن لم يكونوا همجزيين في الارض) أي ما كانوا همجزيين الله في الدنيا أن يعاقبهم اذ لا يمكنهم
 أن يهربوا من عذابه فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع
 الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالقرب والبعد والقوة والضعف الصفة التاسعة انهم ليس لهم
 أولياء عيّدون عقاب الله تعالى عنهم كما قال تعالى (وما كان لهم من دون الله) أي غيره (من
 أولياء) أي أنصار يعينونهم من عذابه الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قال تعالى
 (يضاعف لهم العذاب) أي بسبب اضلالهم غيرهم وقيل لانهم كفروا بالله وكفروا بالبعث
 والنشور الصفة الحادية عشرة قوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) قال قتادة صم عن سماع
 الحق فلا يسمعون خيراً فينتفعون به (وما كانوا يبصرون) خيراً فإخذوا به قال ابن عباس أخبر
 الله تعالى انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعة الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فانه قال
 ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال فلا يستطيعون خاشعة
 أبصارهم الصفة الثانية عشرة قوله تعالى (أو لئن الذين خسروا أنفسهم) فانهم اشتروا عبادة
 الآلهة بعبادة الله تعالى فكان مصيرهم الى النار المؤبدة عليهم وذلك أعظم وجوه الخسرانات
 الصفة الثالثة عشرة قوله تعالى (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله تعالى من
 دعوى الشرك وان الآلهة تشفع لهم الصفة الرابعة عشرة قوله تعالى (لاجرم أنهم في الآخرة
 هم الا خسرون) أي لا أحد أبين وأكثر خسراناً منهم * (تنبيه) * قال القراء ان لاجرم بمنزلة
 قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً تقول العرب لاجرم انك محسن
 على معنى حقاً انك محسن وقال الزجاج ان كلمة لا نقي لما ظنوا أنه يتقهم - وجرم معناه كسب
 ذلك الفعل والمعنى لا يتقهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة قال
 الانهري وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب وقال سيبويه لا رد على أهل الكفر كما روي عن
 معناه أحق والمعنى أنه أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر
 ولقد طعنت أبا عينه طعنة * جرمت فزاره بعدها أن يغضبوا
 أراد أحقت الطعنة فزاره أن يغضبوا * ولما ذكر تعالى عقوبة الكفار وخسرانهم اتبعه
 بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا ورحمتهم في الآخرة بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) أي اطمانوا إليه وخشعوا إليه إذا لاخبات في اللغة هو
 الخشوع والخضوع وطمانينة القلب ويتعدى إلى وباللام فاذا قلت أخبت فلان إلى كذا
 فعناده اطمان إلى الله وإذا قلت أخبت له فعنائه خشع وخضع له فقوله تعالى أن الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات إشارة إلى جميع عمل الجوارح وقوله تعالى وأخبتوا إشارة إلى أعمال القلوب وهي
 الخشوع والخضوع لله تعالى وإن هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة إلا ب حصول أعمال
 القلب وهي الخشوع والخضوع (أو لئلا) أي الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم خالدون)
 فأخبر تعالى عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال ولما ذكر
 سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن
 سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ذكر
 فيهم أمثالا مطابقا بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الفریقین) أي الكفار والمؤمنين (كلا أعمى
 والاصم) هذا مثل الكافر شبه بالاعمى لتعميه عن آيات الله وبالاصم لتصاميه عن استماع
 كلام الله تعالى وتأنيبه عن تدبر معانيه (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن شبه بالبصير
 والسميع لأن أمره بالصدق من الكافر فيكون كل منهما ما شبه بالبصير والسميع أو يشبه
 الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما على أن تكون الواو في الاصم
 وفي السميع لعطف الصفة على الصفة بخلافه على التشبيه الأول فإنه لعطف الموصوف على
 الموصوف ويعبر عنه بعطف الذات على الذات (هل يستويان) أي هل يستوي الفريقان
 (مثلا) أي تشبيها لا يستويان ويصح أن يكون مثلا صفة لصدر محذوف أي استواء مثلا وأن
 يكون حالا من فاعل يستويان وقوله تعالى (أفلا تدرون) فيه ادغام التاء في الأصل في الدال أي
 تتعظون بضرب الأمثال والتأمل فيها وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفيف الدال والباقون
 بالتشديد وقد جرت عادة الله تعالى بأنه إذا أورد على الكفار أنواع الدلائل اتبعها بالقصص
 ليصير ذكرها مؤكدا لتلك الدلائل وفي هذه السورة ذكر أنواعا من القصص القصص الأولى قصة
 نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واقعد أرسنا نوحا إلى قومه) وقوله (إني لكم) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الهمزة أي بأني والباقون بكسرها على إرادة القول
 (نذير مبين) أي بين المندارة أخوف من العقاب لمن خالف أمر الله تعالى وقوله (أن لا تعبدوا إلا
 الله) بدل من إني لكم أو مفعول مبين (إني أخاف عليكم) أي إن عبدتم غيره (عذاب يوم
 أليم) أي مؤلم موجه في الدنيا والآخرة قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبث يدعو
 قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
 وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد
 الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألف سنة وأربع مائة وخمسين ولما حكى تعالى
 عن نوح عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في نبوته بثلاثة
 أنواع من الشبهات بقوله تعالى (فقال الملا الذين كفروا من قومه) وهم الأشراف (ما زال)

(البشر مثلنا) هذه الشبهة الاولى أى انك بشر مثلنا الامر به لك علينا تنصل بالنبوة ووجوب
 الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان الله تعالى اذا اصطفى عبدا
 من عباده وأكرمه بنبوته ورسالته وجب على من أرسله اليهم اتباعه الشبهة الثانية ما ذكره
 الله تعالى عنهم بقوله تعالى (ومازال أتبعك الا الذين هم أرادنا) أى أسأفلنا كالحاكة وأهل
 الصنائع الخسيسة وهو جمع أرذل بفتح الهمزة كقوله تعالى أكبر حجربها وقوله صلى الله عليه
 وسلم أحاسنكم أخلاقا أوجع أرذل بضم الذا ل جمع رذل يسكون فافهوعلى الاول جمع مفرد
 وعلى الثانى جمع جمع ثم قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الا كابر من الناس والاشراف منهم
 وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة بالدين واتباع الرسول بالانسانا نصب العالمة والمال
 (بادى الرأى) أى اتبعول فى أقول الرأى من غير تثبت وتفكر فى أمرك ولوتفكر واما اتبعولك
 ونصبه على الطرف أى وقت حدوث أقول رأيتهم وقرأ أبو عمرو بادى بهمزة مفتوحة بعد
 الدال والباقون بياء مفتوحة وأبدل السوسى همزة الرأى ألفا وقفصا ووصلا وأما حمزة
 فأبدلها ووقفا لاوصلا الشبهة الثالثة ما ذكره الله تعالى عنهم فى قوله تعالى (وما ترى لكم)
 أى لك ولين اتبعك (علينا من فضل) أى بالمال والشرف والجاه تستحقون به الاتباع منا
 وهذا أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى بالايمان والطاعة لا بالشرف
 والرياسة وقولهم (بل نظنكم كاذبين) خطاب لنوح عليه السلام فى دعوى الرسالة وأدريجوا
 قومه معه فى الخطاب وقيل خاطبوه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وقيل كذبوه فى دعوى
 النبوة وكذبوا قومه فى دعوى العلم بصدقه فغلب المخاطب على الغائبين وما ذكرناه هذه الشبهة
 لنوح عليه السلام (قال) لهم (يا قوم أرايتم) أى أخبرونى (ان كنت على بينة) أى نبوة
 ورسالة (من ربى وآتاني رجة) أى نبوة ورسالة (من عنده) من فضله واحسانه (فعميت)
 أى خفيت والتبست (عليكم) ووجد الضمير آمالا لان المينة فى نفسها هى الرحمة واما لانه لكل
 واحدة منهما وقرأ حفص وحزرة والكسائى بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين
 وتخفيف الميم (أنزلكموها) أى أنكرحكم على قبولها (وأنتم لها كارهون) أى لا تختارونها
 ولا تتأملون فيها لا تقدروا على ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لآزمها قومه ولكنه
 لا يملك ذلك وانفق القراء على ضم النون من أنزلكموها والاتصال باللام رسما وحيث اجتمع
 ضميران وليس أحدهما مرفوعا ووقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الوصل كما فى الآية والفصل
 كان يقال أنزلكم اياها (ويا قوم لأسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر
 معلوم مما ذكر (مالا) أى جعللا تعطونه (ان) أى ما (أجرى الأعلى الله) أى ما ثواب
 تبليغى الاعليه فانه المأمول منه تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة وحزرة والكسائى يسكون الياء
 والباقون بالفتح وقول نوح عليه السلام (وما أنابطارد الدين آمنوا) جواب لهم حين طلبوا
 طردهم فانهم طلبوا من نوح عليه السلام قبل أن يطردوا الذين آمنوا وهم الارذلون فى زعمهم
 فقال ما يجوزنى ذلك (انهم ملاقوا ربهم) أى بالبعث فيخاصعون طاردهم عنده ويأخذهم من

ظلمهم وطردهم أو أنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم. (ولكني أراكم قوما
 تجهلون) أي أن هؤلاء المؤمنين خير منكم أو عاقبة أمركم أو تسفهون عليهم بأن تدعوه
 أراذل (ويا قوم من ينصرني) أي يعني (من الله) أي من عقابه (أن طردهم) عني وهم
 مؤمنون مخلصون (أفلا) أي فهلا (تذكرون) أي تتعظون وقرأ حفص وحزرة والكسائي
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء في الأصل في الذال (ولا أقول لكم عندي
 خزانة الله) أي خزانة رزقه فكأنني لأسألكم ما لا فكذلك لأدعي أني أملك ما لا ولا غرض لي
 في المال لأأخذوا لدفعه وقوله (ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك) فأتعظم به عليكم حتى
 تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا بل طريقي التواضع والخضوع ومن كان هذا شأنه وطر يقته
 كذلك فإنه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الأحرار والسلاطين
 ثم أكد ذلك بقوله (ولا أقول للذين يزدري) أي يتحقرون (أعينكم) أي لا أقول في حقهم
 (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ما وعد الله تعالى لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا (الله أعلم
 بما في أنفسهم) وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة إلى النفاق (أنني
 إذا) أي ان فعلت ذلك (لن الظالمين) لنفسى ومن الظالمين لهم (فان قيل) هذه الآية تدل على
 تفصيل الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فان الإنسان إذا قال لأدعي كذا وكذا
 انما يحسن اذا كان ذلك الشيء أشرف من أحوال ذلك القائل (أجيب) بأن نوح عليه السلام
 انما ذكر ذلك جوابا عما ذكره من الشبهة فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال ولا أقول لكم
 عندي خزانة الله حتى أجعلهم أغنياء وطعنوا فيهم أيضا بأنهم منافقون فقال ولا أعلم الغيب
 حتى أعرف كيفية باطنهم وانما نكيتي بناء الأحوال على الظاهر وطعنوا فيه أنه من البشر
 فقال ولا أقول أني ملك حتى تنفوا عني ذلك وحينئذ فالآية ليس فيها ذلك (فان قيل) في هذه
 الآية دلالة على أن طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصي فكيف طرد محمد
 صلى الله عليه وسلم بعض فقراء المؤمنين لطلب مرضاة الله حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (أجيب) بأن الطرد المذكور في هذه الآية محمول على
 الطرد المطلق على سبيل التأييد والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم محمول على
 التبعية في أوقات معينة رعاية للمصلحة * ولما أن الكفار أوردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه
 السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة أوردوا عليه كلامين الأول ما حكاه الله تعالى عنهم
 بقوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا) أي خاصمتنا (فأكثر جدالنا) أي فأطنبت فيه
 وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان إلا في إثبات
 التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على أن الجدال في تقرير الدلائل وإزالة الشبهات حرفة
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى أن التقليد والجهل حرفة الكفار والثاني ما ذكره الله
 تعالى عنهم بقوله (فأنتنا بما تعدنا) أي من العذاب (أن كنتم من الصادقين) في الدعوى
 والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا (قال) لهم نوح عليه السلام في جواب ذلك (انما يأتيكم به الله

(أَنْ شَاءَ) تَجْلِيلُهُ لَكُمْ فَإِنْ أَمْرُهُ إِلَيْهِ أَنْ شَاءَ بِجَلِّهِ وَأَنْ شَاءَ أُخْرَهُ لَا إِلَى (وَمَا أَنْتُمْ بِعَجْزِينَ) أَيِ بِنَاتَيْنِ
 اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَّا أَجَابَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَأْنِهِمْ خَمَّ الْكَلَامَ بِخَاتَمَةِ قَاطِعَةٍ فَقَالَ (وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نَهْيِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَغْوِيَكُمْ) أَيِ يَضِلُّكُمْ وَجَوَابَ الشَّرْطِ
 مُحْذَوْفٍ دَلَّ عَلَيْهِ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَهْيِي وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَغْوِيَكُمْ فَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ
 أَنْصَحَ لَكُمْ فَلَا يَنْفَعُكُمْ نَهْيِي فَهُوَ مِنْ بَابِ اعْتِرَاضِ الشَّرْطِ عَلَى الشَّرْطِ وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا لَوْ قَالَ
 رَجُلٌ لِرُؤُوسِهِ أَنْتَ طَالِقٌ إِنْ دَخَلْتَ الدَّارَ أَنْ كَلْتُ زَيْدًا فَدَخَلَتْ ثُمَّ كَلْتُ لَمْ تَطْلُقْ فَيَشْطَرُ فِي وَجُوبِ
 الْحُكْمِ وَقَوْعِ الشَّرْطِ الثَّانِي قَبْلَ وَقَوْعِ الْأَوَّلِ وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيرٌ بِالْكَفْرِ
 مِنَ الْعَبْدِ فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ مِنْهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ صَدُورَ الْإِيمَانِ مِنْهُ (هُوَ رَبُّكُمْ) أَيِ خَالِقُكُمْ
 وَالْمُتَصَرِّفُ فِيكُمْ وَفَقِ ارْتِدَائِهِ (وَالِيهِ تَرْجِعُونَ) فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ قَالَ تَعَالَى (أَمْ)
 أَيُّ بَلٍّ (يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ) أَيِ اخْتَلَقَهُ وَجَاءَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَالْهَاءُ تَرْجِعُ إِلَى الْوَحْيِ الَّذِي بَلَغَهُ
 إِلَيْهِمْ (قُلْ) لَهُمْ (إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى أَجْرَائِي) وَهَذَا مِنْ بَابِ حَذْفِ الْمُضَافِ لِأَنَّ الْمَعْنَى فَعَلَى أَثْمِ
 أَجْرَائِي وَالْأَجْرَامُ اقْتِرَافُ الْمُحْظُورِ فِي الْآيَةِ مُحْذَوْفٌ آخِرُهُ وَأَنَّ الْمَعْنَى إِنْ كُنْتُ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى
 عِقَابِ جَرْمِي وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا وَكَذَّبْتَنِي فَعَلَيْكُمْ عِقَابُ ذَلِكَ التَّكْذِيبِ لِأَنَّهُ حَذَفَ هَذِهِ
 الْبَقِيَّةَ لِذِلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِمْ (وَأَنْبَارِي) بِمِثْلِ جَرْمُونِ (أَيِ مِنْ عِقَابِ جَرْمِكُمْ فِي اسْتِنَادِ الْإِفْتِرَاءِ إِلَى
 *) (تَنْبِيهِ) أَكْثَرَ الْمُفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ وَقَالَ مُقَاتِلٌ
 أَمْ يَقُولُونَ أَيُّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ أَفْتَرَاهُ أَيِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَقَ الْقُرْآنَ مِنْ
 عِنْدِ نَفْسِهِ وَهَذِهِ الْآيَةُ وَقَعَتْ فِي قِصَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اثْنَاءِ قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 قَالَ الرَّازِيُّ وَقَوْلُهُ بِعِيدٍ جَدًّا (وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ) أَيِ إِنْ بَسَطْتَ عَلَى
 الْإِيمَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (الْأَمِنْ قَدِ آمَنَ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنْ قَوْمُ نُوحٍ كَانُوا يَضْرِبُونَ نُوحًا حَتَّى
 يَسْقُطَ فَيَلْقَوْنَهُ فِي لَبَدٍ وَيَلْقَوْنَهُ فِي بَيْتٍ يَنْظُمُونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَيُخْرِجُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَيَدْعُوهُمْ
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَوَى أَنَّ شَيْخَانَهُمْ جَاءَا عَلَى عَصَاهُ وَمَعَهُ ابْنُهُ فَقَالَ لِبْنِهِ لَا يَغْوِيَنَّكَ هَذَا
 الشَّيْخُ الْجَنُونُ فَقَالَ يَا أَبَتَاهُ مَكْنَى مِنَ الْعَصَافِ أَخَذَهُمَا مِنْ أَيْمِهِ وَضَرَبَ بِهِمَا نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى
 شَبَّهَ شَجَةً مُسَكَّرَةً فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنَّهُ إِنْ يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ الْأَمِنْ قَدِ آمَنَ (فَلَا تَبْتَئْسَ) أَيِ
 لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ مَهْلِكَهُمْ (بِمَا) أَيِ بِسَبَبِ مَا (كَانُوا يَفْعَلُونَ) مِنَ الشَّرِّ وَتَقْدِيرُهُمْ فَيَحْتَنِظُ
 دَعَا عَلَيْهِمْ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا وَحَكِي مُحَمَّدُ بْنُ
 اسْحَقَ عَنْ عَبْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَطْشُونَ بِهِ فَيَحْتَنِقُونَهُ حَتَّى يَغْشَى عَلَيْهِ فَإِذَا
 أَفَاقَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى تَعَادُوا فِي الْمَعْصَةِ وَاسْتَدْعَيْتُهُمْ مِنْ الْبَلَاءِ وَهُوَ
 يَنْتَظِرُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْجَلِيلِ فَلَا يَأْتِي قَرْنَ إِلَّا كَانَ أَنْجَسَ مِنَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ وَلَقَدْ كَانَ يَأْتِي الْقَرْنَ
 الْآخِرَ مِنْهُمْ فَيَقُولُ قَدْ كَانَ هَذَا الشَّيْخُ مَعَ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا هَكَذَا مَجْنُونًا فَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ شَيْئًا
 فَشَكَّى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلَاؤُنِي أَرَاهَا حَتَّى قَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ
 مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ (وَاصْنَعِ الْفُلَ) أَيِ السَّفِينَةَ (بَاعَيْنَا) قَالَ ابْنُ

عباس بن رضى الله عنه قال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) أى بأمرنا لك كيف تصنعها
(ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أى ولا تراجعني في الكفار ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم
(أنهم مغرِقون) أى محكوم عليهم بالاغراق فلا يسيل الى كفه وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان
وأمر أنك راعلة فأنهم ما هالكان مع القوم ويرى أن جبريل عليه السلام أتى نوحا فقال
إن ربك يأمرني أن تصنع الفلك قال كيف أصنع ولست بخار قال إن ربك يقول اصنع فأنك
بأعيننا فأخذ القدم فجعل ينجر ولا يخطى وصنعها فعملها مثل جوجوا الطير وفي قوله تعالى
(ويصنع الفلك) قولان أحدهما أنه حكاية حال ماضية أى في ذلك الوقت كان يصدق عليه
أنه يصنع الفلك الثاني التقدير فأقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك ثم إن نوحا
عليه السلام أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة
الفلك من القار وغيره وجعل قومه يميزون عليه ويسخرون منه كما قال تعالى (وكلمنا نوحا عليه السلام)
أى جماعة (من قومه يسخرون منه) أى استهزؤا به ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعدما كنت
نبيا فأعظم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم قال ابن عباس رضى الله عنهم ما اتخذ نوح عليه السلام
السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة
بطون فجعل في البطن الأول الوحوش والهوام وفي البطن الأوسط الدواب وركب هو ومن
معه البطن الأعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها في عرضها وروى عن أنس
كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها سقائة وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه
السلام لو بعثت لبارجلنا شاهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كتيب من
تراب فأخذ كفهم من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال كعب بن
حام قال فضرب الكتيب بعصاه فقال قم يا ذن الله فاذا هو قائم ينفض عن رأسه التراب وقد شاب
فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكك قال لا ولكن مت وأنا شاب وليكني ظنفت أنها
الساعة فن ثم شئت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها سقائة ذراع
وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عبد الله
تعالى كما كنت فعاد ترابا قال البغوى والمعروف ان طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال
مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ومائة سنة يعمل الفلك وعن كعب الاخبار ان نوحا عمل
السفينة في ثلاثين سنة وروى أنها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش
والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله
تعالى الى نوح عليه السلام أن اغرذ بذب القليل فغمزه فوقه منه خنزير وخنزيرة فأقبل على
الروث ولما أفسد الفأر في السفينة فجعل يقرض حبالها أوحى الله تعالى اليه أن اضرب بين
عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسمورة وهو القط فأقبل على الفأر فأكله قال الرازي
وأعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني لأنها أمور لا حاجة الى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها
فائدة ألبتة فكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس ههنا ما يبدل على

الجانب الصحيح والذي نعلمه انها كانت في السعة بحيث تسع المؤمنين من قومه وما يحتاجون
 اليه ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن وما آمن معه الا قليل
 فأما تعيين ذلك القدر فغير معلوم (قال) لهم لما سخر وامنه (ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم
 كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فان قيل) السخرية لا تلحق بمنصب النبوة (أجيب) بأن ذلك
 ذكر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كافي قوله تعالى وحرا سبيئة سبيئة مثلها والمعنى ان
 تسخر وامنا فسترون عاقبة سخريتكم وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه)
 أي يهينه في الدنيا وهو الغرق (ويحمل عليه) في الآخرة (عذاب مقيم) وهو النار التي
 لا انقطاع لها وقوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا) أي باهلا كههم غاية لقوله ويضع الفلك وما
 بينهم ما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يتسدا بعدها الكلام واختلف في التنوير في قوله
 تعالى (وفار التنوير) فقال عكرمة والزهرى هو وجه الأرض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام
 اذا رأيت الماء فار على وجه الأرض فارك السفينة وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال فار
 التنوير وقت طلوع الفجر ونور الصبح وقال الحسن ومجاهد والشعبي أنه التنوير الذي يخبر فيه
 وهو قول أكثر المفسرين ورواية عطية وابن عباس لانه جل الكلام على حقيقته ولفظ التنوير
 حقيقته هو الموضع الذي يخبر فيه وهو قول أكثر المفسرين فوجب حمل اللفظ عليه وهو لاء
 احتملوا منهم من قال انه تنوير لنوح ومنهم من قال انه كان لا دم عليه السلام قال الحسن كان
 تنويرا من ججارة كانت حواء تخبر فيه فصارت لنوح فقيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء
 ينور من التنوير فارك السفينة أنت وأصحابك واختلفوا أيضا في موضعه فقال مجاهد
 والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان الشعبي يخلف بالله ما فار التنوير الا من ناحية الكوفة
 وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنوير على عيني الداخل مما يلي باب
 كندة وكان فوران الماء منه على النوح وقال مقاتل كان ذلك تنويرا دم عليه السلام
 وكان بالشأم بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس أنه كان بالهند ومعنى فار نبع على
 قوة وشدة تشبها بغيلان القدر عند قوة النار ولا شبهة ان التنوير لا يفور والمراد فار الماء من
 التنوير فلما فار أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء
 الاقل قوله تعالى (فلما احل فيها) أي السفينة (من كل زوجين اثنين) والزوجان عبارة
 عن كل شئين يكون أحدهما ذكر والاخر أنثى والتقدير من كل شئين هما كذلك فاحمل منهما
 في السفينة اثنين واحد ذكر وواحد أنثى وفي النقص ان نوحا عليه السلام قال يا رب كيف أحمل
 من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير فجعل يضرب سديه في كل جنس
 فيقع الذكور في يده والايتى في يده اليسرى فيحملهما في السفينة وقرأ حفص بتوين لام
 كل أي واحد من كل شئ زوجين اثنين الذكور زوج والايتى زوج (فان قيل) ما الفائدة في قوله
 زوجين اثنين والزوجان لا يكونان الا اثنين (أجيب) بأن هذا على مثال قوله تعالى لا تتخذوا
 الهين اثنين وقوله تعالى نفخة واحدة والباقون بغير تنوين فهذا السؤال غير وارد النوع

الثاني من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحملها في السفينة قوله تعالى
 (وأهلك) وهم أبناءه وزوجته وقوله تعالى (الامن سبق عليه القول) بأنه من المغررين وهو
 ابنه كنعان وأمه راعلة وكانا كافرين حكم الله تعالى عليهما بالهلاك بخلاف سام وحام ويافت
 وزوجاتهم ثلاثة وزوجته المسلمة (فان قيل) الانسان أشرف من سائر الحيوانات فلم يبدأ بالحيوان
 (أجيب) بأن الانسان عاقل فهو لعقله مضطرب الى دفع أسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة فيه
 الى المبالغة في الترغيب بخلاف السعي في تخليص سائر الحيوانات فلهذا السبب وقع الاستدعاء
 النوع الثالث من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بحملها في السفينة قوله تعالى
 (ومن آمن) أي واخل معك من آمن معك من قومك واختلف في العدد الذي ذكره الله تعالى
 في قوله تعالى (وما آمن معه الا قليل) فقال قتادة وابن جرير لم يكن معه في السفينة الا ثمانية نفر
 نوح وامرأته المسلمة وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافت ونسأؤهم وقال ابن اسحق كانوا عشرة
 سوى نسأهم نوح وبنوه الثلاثة وستة اناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا وقال مجاهد كانوا
 اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون نصفهم رجال
 ونصفهم نساء وقال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله تعالى وما آمن
 معه الا قليل فوصفهم بالقلّة فلم يحدد عددا بقدر فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم
 يرد عدد في كتاب الله تعالى ولا في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم نحو ذلك عن
 الرازي وقال مقاتل خّل نوح معه في السفينة جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال
 والنساء وقصد نوح عليه السلام جميع الدواب والطير ليحملها قال ابن عباس أول ما خّل نوح
 الدرّة وآخر ما خّل الحمار فلما دخل الحمار أدخل صدره وتعلق ابليس بذنبه فلم تسقط رجله
 فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان
 معك كلمة زلت على اسنانه فلما قالها خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح
 ما أدخلك علي يا عدو الله قال مالك بدأني تحملي معك فكان معه على ظهر السفينة هكذا قاله
 البغوي قال الرازي وأما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم
 ناري أو هوائي فكيف يؤثر الغرق فيه وأيضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه ولم يرد في ذلك خبر صحيح
 فالاولى ترك الخوض في ذلك قال البغوي وروى أن بعضهم قال ان الحية والعقرب أجنأونا
 عليه السلام فقالا لانا اجلنا معك فقال انكم سبب البلاء فلا أجل لكم فقالا لانا اجلنا فاننا ضمن لك
 أن لانضر أحدا ذكرك فنقرأ حين يخاف مضرتهم ما سلام على نوح في العالمين لم يضرا وقال
 الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض
 كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا (وقال) نوح لمن معه (اركبوا) أي صيروا (فيها) أي
 السفينة وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كركوب في الارض وقوله تعالى (بسم الله بحرأها
 ومرسأها) متصل بركبوا حال من الواو في اركبوا أي اركبوا فيها اسمين الله أو قائلين بسم الله
 وقت اجرائها وارسائها قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله جرت

واذا أراد أن ترسوقال بسم الله رست وقرأ حفص وحزرة والكسائي بنصب الميم من جرت
ورست أى جريم اورسوها وهما مصدران والباقون بضم الميم من أجريت وارسيت أى بسم
الله اجراؤها وارساؤها وأمال الالف بعد الراء أبو عمر ووحفص وحزرة والكسائي محضة وورش
بين اللظنين والباقون بالفتح وذكروا فى عامل الاعراب فى بسم الله وجوها الاول اركبوا بسم
الله الثانى ابدؤا بسم الله الثالث بسم الله اجراؤها (ان ربي لغفور رحيم) أى لولا مغفرته
لفرطتكم ورجته اياكم لما نجياكم بقوله تعالى (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل عليه
اركبوا أى فركبوا مسمين الله تعالى وهي تجري وهم فيها (فى سوج) وهو ما ارتفع من الماء اذا
اشتدت عليه الريح (كالبال) فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسراسل الله تعالى
الطرار بعين يوم اوليله وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء
منهم وجرنا الارض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر فصار الماء نصفين نصف من السماء
ونصف من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر
ذراعا حتى أغرق كل شئ وروى أنه لما كثر الماء فى السكك خافت امرأه على ولدها من الغرق
وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى
بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتهما رفعت الصبي
بيدهما حتى ذهب بهما الماء فلورحم الله تعالى منهم أحد الرحم هذه المرأة وما قيل من أن الماء
طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري فى جوفه كما تسبح السمكة فليس بثابت قال
البضاوى والمشهور أنه علاشواخ الجبال خمسة عشر ذراعاً فان صبح أى انه طبق ما بين السماء
والارض فعل ذلك أى ما ذكر من علو الموج قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان
كافراً كأمه وقيل كان اسمه يام (وكان فى معزل) عزل فيه نفسه اما عن ابيه وأدنيه ولم يركب
معه واما عن السفينة واما عن الكفار كأنه انفرد عنهم وظن نوح عليه السلام أن ذلك انما
كان لانه أحب مضارقتهم ولذلك ناداه بقوله (يا بنى اركب معنا) فى السفينة وقرأ عاصم بفتح الياء
اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة فى قولك يا بنى والباقون بالكسر فى الوصل
ليبدل على ياء الاضافة المحذوفة كما قال الشاعر

يا ابنه عم لا تلوى واجبى ثم حذف الالف للتخفيف (ولا تكن مع الكافرين) أى فى دين ولا
مكان فتملك ولما قال لذلك (قال ساوى) أى التجوى وأصير (الى جبل يعصمى) أى يمنعنى (من
الماء قال) له نوح عليه السلام (لا عاصم) أى لا مانع (اليوم من أمر الله) أى من عذابه وقوله
(الامن رحم) استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحم الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به
من علم الا اتباع الظن وقيل الامن رحم أى الا الراحم وهو الله تعالى وقيل الامكان من رحمته
الله تعالى فانه مانع من ذلك وهو السفينة (وحال بينهما) أى بين نوح وابنه وبين ابنه والجبل
(الموج) المذكور فى قوله موج كالجبال (فكان) ابنه (من المغرقين) أى فصار من المهلكين
بالماء (ولما تناهى الطوفان وأغرق قوم نوح) (قيل) أى قال الله تعالى أوملأ باهره تعالى

يا أرض ابلي ماء (أي اشر به) (ويا سماء ألقني) أي أمسكي ماءك ناداهما بما ينادي به الحيوان
 المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخبوقات ثم أمرهما بما يؤمر به
 أهل التميز والعقل تمثيل الكمال انقيادهما لما يشاء تكويينه فيهما وهما ههنا همزانان مختلفتان من
 كلمتين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة قرأوهما وروافع وابن كثير يبدآن الثانية وواو خالصة
 والباقيون بالتخفيف (وغيض الماء) أي نقص وذهب وقرأ هشام والكسائي بإشمام الغين وهو
 ضم الغين قبل الياء والباقيون بالكسر وكذا وقيل (وقضى الأمر) أي وأنجز ما وعد من أهلاك
 الكافرين وإنجاء المؤمنين (واستوب) أي استقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل
 بالجزيرة قريب من الموصل (وقيل) أي قال الله تعالى أو ملك بأمره تعالى (بعدا) أي هلاك
(للقوم الطامنين) ويحكي أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وإن تكرر
 الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر ويكون مكون فاهروان فاعلها واحد لا يشارك
 في أفعالها فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلي ماء ويا سماء ألقني ولأن يقضى
 ذلك الأمر الهائل غيره ولأن تستوى على متن الجودي وتستقر عليه الابتسوة وإقراره
 وروى أن السفينة لما استقرت بعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على
 جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجلها بالطين فعلم نوح
 أن الماء قد نقص فقبل أنه دعا على الغراب بالخوف فلذا لا يألف البيوت وطوق الحمامة الخضر
 التي في عنقها ودعاها بالآمان فن ثم تألف البيوت وروى أن نوحا ركب السفينة لعشر مئة
 من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الفرق
 وبقي موضعه فطافت به السفينة سبعاً وأودع الجرا الأسود في جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن
 معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنو أقر به بقرب
 الجبل وسميت سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الأرض بعد الطوفان وقيل أنه
 لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل إلى حجرته وهذا لا يأتي على
 القول باطباق الماء قال هذا القائل وسبب نجاته أن نوحاً احتاج إلى خشب ساج للسفينة
 فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشأم فنجاه الله تعالى من الغرق بذلك (فان قيل) كيف
 أغرق الله تعالى من لم يبلغ الحلم من الأطفال (أجيب) بأنه تعالى يتصرف في خلقه لا يستل
 عما يفعل وقيل إن الله تعالى أعظم أرحام نسائهم أربع مائة سنة فلم يولد لهم تلك المدة (ونادي
نوح ربه) أي دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) وقد وعدني أن تحبني وأهلي (وان وعدك
الحق) أي الصدق الذي لا خلاف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) لأنك أعلمهم وأعدلهم (فان
قيل) إذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على ندي بالفاء (أجيب) بأن الفاء
 تفصيل للمحل نادى مثلها في توصاف فعل وقيل نادى أي أراد نداءه فقال رب (قال) الله تعالى
(يا نوح انه) أي هذا الابن الذي سألت نجاته (ليس من أهلك) أي المحكوم بنجاتهم لايمانهم
 وكفره ولهذا علل بقوله تعالى (انه عمل غير صالح) وقرأ الكسائي بكسر الميم ونصب اللام ينف

تنوين ونصب الراء أى عمل الكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح والباقون بفتح الميم ورفع
 اللام ممنونة ورفع الراء أى ذو عمل غير صالح أو صاحب عمل غير صالح لجعل ذات العمل للمبالغة
 كقول الخساء نصف ناقة ترتع * فأنما هي اقبال وادبار * واختلف علماء التفسير هل كان ذلك
 الولد ابن نوح أو لأعلى أقوال الأول وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك
 والاكثرين أنه ابنه حقيقة ويدل عليه أنه تعالى نص عليه فقال ونادى نوح ابنه ونوح أيضا
 نص عليه فقال يا بنى وصرف هذا اللفظ الى أنه رياه وأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف
 للكلام عن حقيقة الى مجازه من غير ضرورة القول الثانى أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد
 ابن على الباقر وقول الحسن البصرى القول الثالث وهو قول مجاهد والحسن أنه ولد حنث
 ولد على فراشه ولم يعلم نوح بذلك واحتج هذا القائل بقوله تعالى فى امرأته نوح وامرأة لوط
 تخاتا هما قال الرازى وهذا قول واه حيث يجب صون منصب الانبياء عن هذه الفضيحة لاسيما
 وهو خلاف نص القرآن وقد قيل لابن عباس ما كانت تلك الحيانة فقال كانت امرأته نوح تقول
 زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيقه اذ انزل به (فلاتسألنى ما ليس لك به علم) أى بما
 لاتعلم أصواب هوام لالان اللاتى بأمثالك من أولى العزم بناء أمورهم على التحقيق وقرأ نافع
 وابن كثير وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والباقون بسكون اللام وتخفيف النون وأثبت
 المياء بعد النون فى الوصل دون الوقف ورش وأبو عمرو وحذفها الباقر وقفا ووصلوا الى
 أعظك) أى بما أعطى كراهة (أن تكون من الخاطئين) فتسأل كما يسألون وانما سمي نداءه سؤالا
 لضمين ذكر الوعد بنجاة أهله واستنجازه فى شأن ولده (قال) نوح (رب انى أعوذ بك أن) أى من
 أن (أسألك) فى شئ من الاشياء (ما ليس لى به علم) تأديبا بذكرك واتعاظا بوعظك (والا تغفر لى)
 أى الان ما فرط منى وفى المستقبل ما يقع منى (وترجئى) اى تسترزلانى وتمتعها وتكرمنى
 (أكن من الخاسرين) أى الغريقين فى الخسارة (فان قيل) هذا يدل على عصمة الانبياء لوقوع
 هذه الزلة من نوح عليه السلام (أجيب) بأن الزلة الصادرة من نوح انما هى كونه لم يستقص
 ما يدل على نفاق ابنه وكفره لان قومه كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يخفى ايمانه
 وموافق لا يعلم حاله فى نفس الامر وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الغرق
 وكان ذلك معلوما وأما أهل النفاق فبقى أمرهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه
 مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التى تكون للاب فى حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله
 لأعلى كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فأخطأ فى ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام
 فى الاكل من الشجرة فلم يصدر عنه الا الخطأ فى الاجتهاد فلم تصدر عنه معصية فلما الى ربه
 تعالى وخشع له ودعاه وسأله المغفرة والرحمة كما قال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم
 تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لان حسنات الاباريسيات المقترين (قيل) أى قال
 الله تعالى أو ملك بأمره تعالى (يا نوح اهبط) أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض
 المستوية (بسلام) أى بعظم وأمن وسلامة (منا) وذلك أن الغرق لما كان عاما فى جميع

الارض فعند ما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الارض شيء مما ينتفع به
من النبات والحيوان فكان كالخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه
من المأكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لأن ذلك
يدل على حصول السلامة وأن لا يكون الامع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة
أردفه بأن وعده بالبركة بقوله تعالى (وبركأتك عليك) وهو عبارة عن الدوام والبقاء والنبات
لأن الله تعالى صير نوحا عليه السلام أباً للبشر لأن جميع من بقى كانوا من نسله لأن نوحا لما خرج
من السفينة مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن ذريته فأنخلق
كلهم من نسله أو أنه لم يكن معه في السفينة الامن كان من نسله وذريته وعلى التقديرين
فأنخلق كلهم من ذريته ويدل على ذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فثبت أن نوحا كان
آدم الاصغر فكان أباً للانباء والخلق بعد الطوفان كلهم منه ومن ذريته وكان بين نوح وآدم
ثمانية أجياد وقوله تعالى (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن تكون من البيان فيراد الامم الذين
كانوا معه في السفينة لانهم كانوا اجاعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب منهم وأن تكون
لا بداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن معك وهي الامم التي آخر الدهر قال في الكشف وهو الوجه
وقوله تعالى (وأمم) بالرفع على الابتداء وقوله تعالى (سمنعهم) أي في الدنيا صفة والخبر محذوف
تقديره ومن معك أمم سمنعهم وانما حذف لأن قوله عن معك يدل عليه والمعنى أن السلام
منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك وعن معك أمم سمنعون في الدنيا (ثم يسهم
من عذاب أليم) في الآخرة وهم الكفار وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل
مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المناع والعذاب كل كافر وقيل المراد بالامم الممتعة
قوم هود وصالح ولوط وشعيب ولما شرح تعالى قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال تعالى
(تلك) أي قصة نوح التي شرحناها وحمل تلك رفع على الابتداء وخبرها (من أنباء الغيب) أي
من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق وقوله تعالى (نوحها اليك) خبر ثان والضمير لها أي
موحاة اليك وقوله تعالى (ما كنت تعلم) أنت ولا قومك من قبل هذا) أي نزول القرآن خبر آخر
والمعنى أن هذه القصة مجهولة عندك وعند قومك من قبل احيائها اليك ونظير هذا ان يقول
انسان لا نعرف هذه المسئلة لأنك ولا أهل بلدك (فان قيل) قد كانت قصة طوفان نوح
مشهورة عند أهل العلم (أجيب) بأن ذلك كان بحسب الاجال وأما التفاصيل المذكورة
فما كانت معلومة أو بأنه صلى الله عليه وسلم كان أمياً لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك
كانت أمته ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر) أي أنت وقومك على
أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة للمتقين)
الشر والمعاصي وفي هذا تنبيه على ان عاقبة الصبر لنبينا صلى الله عليه وسلم النصر والفرج
أي السرور كما كان لنوح وقومه (فان قيل) هذه القصة ذكرت في يونس فما الحكمة والفائدة
في اعادةها (أجيب) بأن القصة الواحدة قد ينتفع بها من وجوه في السورة الاولى كان

الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان أن قومه كانوا يكذبونه بسبب
 أن العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه
 السورة ذكرت لأجل أن الكفار كانوا يبالغون في الإيحاء فذكرها الله تعالى لبيان أن أقدم
 الكفار على الإيذاء والإيحاء كان حاصله في زمان نوح عليه السلام فلما صبر فأزلفه ففكر
 يا محمد كذلك لسأل المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر
 لم يكن تكريرها خاليا عن الحكمة والفائدة * القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى
 في هذه السورة قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وإلى عاد) أي وأرسلنا إلى عاد
 (أحاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا وقوله تعالى (هودا) عطف بيان ومعلوم أن تلك
 الأخوة ما كانت في الدين وإنما كانت في النسب لأن هودا كان رجلا من قبيلة عاد قبيلة من
 العرب كانوا بنو سحامة اليمن (فان قيل) إنه تعالى قال في ابن نوح إنه ليس من أهل قبيلتي أن قرابة
 النسب لا تفيد إذا لم تحصل قرابة الدين وهذا أثبت هذه الأخوة مع الاختلاف في الدين (أجيب)
 بأن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يستبعدون أن يكون رسولا من عند الله تعالى مع أنه واحد
 من قبيلتهم فذكر الله تعالى أن هودا كان واحدا من عاد وأن صالحا كان واحدا من ثمود لازالة
 هذا الاستبعاد ولما تقدم أمر نوح عليه السلام مع قومه استشرى السامع إلى معرفة ما قال
 هود عليه السلام هل عومل قوله أو لا فاستأنف الجواب بقوله (قال يا قوم اعبدوا الله) أي
 وحدوه ولا تشركوا معه شيئا في العبادة (ما لكم من الله غيره) أي هو الهكم لأن هذه الأصنام التي
 تعبدونها ساجدة لا تضر ولا تنفع (فان قيل) كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل إقامة الدليل
 على ثبوت الإله (أجيب) بأن دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والنفوس
 وقلوبهم وجد في الدنيا طائفة يشكرون وجود الإله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم
 من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ
 والباقيون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ومن زائدة (إن أنتم إلا مفترون) أي كانوا في
 عبادة تكلم غيره وكرر قوله (يا قوم) للاستعطاف وقوله (لأأسألكم عليه أجرة إن أجرى الأعلى
 الذي قلوني) أي خلصني خاطب به كل رسول قومه إزالة للثمة وتحيضا للنصيحة فانه لا يتجبع
 ما دامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أي أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل
 والصواب من الخطأ فتعظون ثم قال (ويا قوم) أيضا لما ذكر (استغفروا ربكم) أي استنابه
 (ثم توبوا إليه) من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان (يرسل السماء) أي المطر
 (عليكم مدرارا) أي كثير الدر (ويزدكم قوة إلى قوتكم) أي ويضاعف قوتكم ونازعهم
 بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد
 الحرص فكانوا أخرج شئ إلى الماء وكانوا مدينين غيرهم بما أولوا من شدة القوة والبطش
 والبأس والنجدة مهابين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على السكاح وقيل
 حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقبت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أنه

وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حبابه فقال اني رجل ذومال ولا يولد لي فعلاني شيئا لعل الله
يرزقني ولدا فقال عليه السلام بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى رجا الاستغفار في يوم واحد
سبع مائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته ثم قال ذلك فوفد مرة أخرى
فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويردكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويعبدكم بأموال
وبنين (ولا تقولوا) أى ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حالة كونكم (مجرمين) أى
مشركين * ولما حكى الله تعالى عن هود ما ذكره لقومه حكى أيضا ما ذكره لقومه له وهو أشياء أولها
ذكره تعالى بقوله (قالوا يا هود ما جئنا بسينة) أى بحجة تدل على صحة دعواؤنا وسميت سينة
لانها تبين الحق ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان قد أظهر لهم المعجزات الا ان القوم
لجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشئ من المعجزات وثانيها قولهم (وما نحن لك بمؤمنين) أى مصدقين
أى عبادتها وقولهم (عن قولك) أى صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركى وهذا أيضا
من جهلهم فانهم كانوا يعرفون أن النافع والضار هو الله تعالى وأن الاصنام لا تضر ولا تنفع
وذلك حكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم (وما نحن لك بمؤمنين) أى مصدقين
وفي ذلك اقنطار لمن الاجابة والتصديق ورابعها قولهم (ان) أى ما (نقول) فى شأنك
(الاعتراك) أى أصابك (بعض الهتاء بسوء) لسببك اياها فجعلتك مجنوناً وأفسدت عقلك ثم
انه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك (قال) عود عليه السلام محبباً لهم (الى أشهد الله) على
(وأشهدوا) أنهم أيضاً على (أنى برى) عما تنسرون من دونه) أى الله وهو الاصنام التى كانوا
يعبدونها (فكيدونى) أى احتالوا فى هلاك (جميعاً) أنتم وأصنامكم التى تعبدون أنها تضر
وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع * (فائدة) * اتفق القراء على اثبات الياء فى كيدونى ههنا وقد
ووصلنا لثباتها فى المصحف (ثم لا تنظرون) أى تهملون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام
لانه كان وحيداً فى قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهيمهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر
والجبروت ثقة بالله تعالى كما قال تعالى (انى توكلت على الله ربي وربكم) أى فوضت أمري
اليه واعتمدت عليه (ما من دابة) تدب على الارض ويدخل فى هذا جميع بنى آدم والحيوان
لانهم يدبون على الارض (الا هو آخذ بناصيتهم) أى مالهكها وقاهرها فلا يقع نفع ولا ضرر الا
بإذنه والناصية كما قال الازهرى عند العرب منبت الشعر فى مقدم الرأس وسعى الشعر النابت
ههنا ناصية باسم منبته والعرب اذا وصفوا انساناً بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان الايد
فلان وكانوا اذا أسروا الأسير وأرادوا اطلاقه والتمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة
لقهره ونخوبطوا فى القرآن بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) أى
طريق الحق والعدل فلا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف فيما رزى المحسن بالاحسان
والمسيء بعصيانته وقوله تعالى (فان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أى تعرضوا (فقد أبلغتكم)
جميع (ما أرسأت به اليهم) فان قيل الا بلاغ كان قبل التولى فكيف وقع جزاء الشرط
(أجيب) بأن معناه فان تولوا لم أعاتب على تقصير من جهتي وصرت محجوبين لانكم أنتم

الذين أصررتهم على الكذب وقوله (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم يوحدونه تعالى ويعبدونه (ولا تضررت به) أي الله بأشراككم (شيئاً) من الضرر انما تضررون أنفسكم وقيل لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء (إن ربي على كل شيء حفيظ) صغيراً وكبيراً حقيراً وجليلاً (حفيظ) أي رقيب عالم بكل شيء وقادر على كل شيء فيحفظني أن تنالوني بسوءاً وحفظ لا أعمال العباد حتى يجازيهم بما عملوا وحفيظ على كل شيء يحفظه من الهلاك إذا شاء وبهلكه إذا نشاء (ولما) لم يرجعوا ولم يرجعوا وبينه ولا رغبة ولا رهبة (جاء أمرنا) أي عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله تعالى به اسبع ليال وعناية أيام حسرة وما تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وترفعهم وتضر بهم على الأرض على وجوههم حتى صاروا كأعجاز تفلخ خاوية وهما هم زمان مفتوحان من كلمتين قرأ فالون والبرى وأبو عمر بإسقاط الأولى وقرأ أورس وقيل بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما (فيجيناها ودا والذين آمنوا معه) أي من هذا العذاب وكانوا أربعة آلاف (برجعة منا) لأن العذاب إذا نزل قديماً للمؤمن والكافر فلما أنجي الله تعالى المؤمنين من ذلك العذاب كان برجمته وفضله وكرمه (وفيجيناها من عذاب غليظ) هو عذاب الآخرة ووصفه بالغليظ لأنه أغلظ من عذاب الدنيا أو فيجيناها ودا والذين آمنوا معه من أن يصل إليهم الكفار بسوء مع اجتراحهم في ذلك وفيجيناها من عذاب غليظ هو الریح المدكورة * ولما ذكر الله تعالى قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (وتلك عاد) وهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم كانه تعالى قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم انه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة أما أوصافهم فتلاثة الصفة الأولى قوله تعالى (يحدوا بآيات ربهم) أي بالمعجزات التي أتى بها هود عليه السلام الصفة الثانية قوله تعالى (وعصوا رسله) أي هوداً وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أو لأن من عصى رسولاً فقد عصى جميع الرسل لقوله تعالى لا تفرق بين أحدهم من رسله الصفة الثالثة قوله تعالى (واتبعوا أمراً كل جبار عنيد) أي أن السفلة كانوا يقلدون الرؤساء في قولهم ما هذا إلا بشر مثلكم فأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يريدهم وعصوا من دعاهم إلى الإيمان ولا يريدهم والجبار المرتفع المقرد والعنيد والعنود والمعاند هو المنازع المعارض * ولما ذكر تعالى أوصافهم ذكر أحوالهم بقوله تعالى (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أي جعل اللعن رديها لهم ومتابعا ومصاحباً في الدنيا والآخرة ومعنى اللعنة الإبعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير وقيل اللعنة في الدنيا من الناس وفي الآخرة لعنة على رؤس الأشهاد * ثم انه تعالى بين السبب الأصلي في نزول هذه الأحوال المكروهة بهم بقوله تعالى (الآن عاداً كفروا ربهم) أي كفروا بربهم فحذف الباء أو أن المراد بالكفر الخدأ أي يحدوا بربهم وقيل هو من باب حذف المضاف أي كفروا بعملة ربهم * (تنبيه) * ألا أداة استفتاح لا تذكر إلا بين يدي كلام يعظم موقعه ويحبل خطبه ثم قال (الآن عاداً) لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا أمست وجين لما نزل بهم بسبب ما حكي

عنهم وانما كرر ألا وأعاد ذكرهم تقطيعا لأمريهم وحناءا على الاعاءار بحالهم وقوله تعالى (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدة تمييزهم من عاد الثانية عاد اوم والاعاءار الى استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود القصة الثالثة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وآلى عود) وهم سكان الحجر أى وأرسلنا الى عود (أخاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا كما عطف عليه والى عاد وقوله تعالى (صالحا) عطف بيان وتلك الاخوة كانت في النسب لافى الدين كما ترى هود ثم أخرج قوله عليه السلام على تقدير سؤال بقوله (قال يا قوم) أى يا من يعز على أن يحصل لهم سوء (اعبدوا الله) أى وحدوده وخصوه بالعبادة (مالكم من اله غيره) هو الهكم المستحق للعبادة لاهذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته تعالى بقوله (هو أنشأكم) أى ابتداء خلقكم (من الارض) وذلك أنهم من بنى آدم وآدم خلق من الارض أو أن الانسان مخلوق من المني وهو متولد من الدم والدم متولد من الاغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فأما الحيوانية فإلها كالانسان فوجب انتهاء السلك الى النباتات والنبات متولد من الارض فثبت أنه تعالى أنشأ الانسان من الارض وقيل من بمعنى فى كفى قوله تعالى اذ انودى للصلاة من يوم الجمعة (واستمعكم فيها) أى جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى ان الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذا كان قوم عاد وروى ان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وحصلت لهم الاعمار الطويلة فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فأوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى وأخذ معاوية فى احياء الارض فى آخر عمره فقيس له فى ذلك فقال ما حلتى عليه الا قول القائل

ليس الفتى يفتى لا يستضاه به * ولا يكون له فى الارض آثار
وقال مجاهد استعمركم من العدى أى جعلها لكم ما عستم فاذا ممت انتقلت الى غيركم * ولما بين لهم عليه السلام عظمة الله تعالى بين اهلهم طريق الرجوع اليه بقوله (فاستغفروه) أى آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لاتصح الا بعد الايمان وقدم تر مثل ذلك (ان ربى قريب) من خلقه بعلمه لكل من أقبل عليه من غير حاجة الى حركة (مجيبة) لكل من ناداه لا كعبود اتكم فى الامرين * ولما قرأ لهم عليه السلام هذه الدلائل (قالوا) له (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أى القول الذى جئت به لما ترى فيك من مخايل الرشد والهدى فإنا كنت نعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقوى رجائنا فإنا كنت نعطف علينا فكيف أظهرت العداوة * ثم انهم أضافوا الى هذا التعجب الشديد فقالوا (أنتم أنان نعبدا) كان (بعبد آبائنا) من الآلهة ومقصودهم بذلك التمسك بطرف التقليد ووجوب متابعة الآباء والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا أجعل الآلهة الهيا واحدا ان هذا الشئ عجاب ثم قالوا (وانا لنى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد وترك عبادة الاصنام (مرىب) أى موقع فى الريبة وهى قلق النفس وانتقاء الظمأينة باليقين والرجاء تعلق

النفس عجبي والخير على جهة الظن ونظيره الامل والطمع والنهي المنع من الفعل بصيغة لا تفعل
 وقولهم هذا مبالغة في تزييف كلامه (قال) صالح عليه السلام مجيبا لهم (يا قوم ارايتم) أى
 أخبروني (ان كنت على بينة) أى بيان وبصيرة (من ربي) وأتى بحرف الشك على سنبل الحزم
 ليلأتم الخطاب حال المخاطبين (وأتأتى منه رحمة) أى نبوة ورسالة (فمن ينصرتنى) أى يعننى
 (من الله) أى عذابه (ان عصيته) أى ان خالفت أمره فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به
 (فما تريدونى) أى بأمركم لى بذلك (غير تحسير) أى غير تضليل قال الحسن بن الفضل لم يكن صالح
 فى خسارة حتى يقول فما تريدونى غير تحسير وانما المعنى فما تريدونى بما تقولون الانسبى اياكم
 الى الخسارة * ولما كانت العادة فى من يدعى النبوة عند قوم يعبدون الاصنام أن يطلبوا المعجزة
 وأمر صالح عليه السلام هكذا كان يروى أن قومه خرجوا الى عبد لهم فسألوه أن يأتهم بآية
 وأن يخرج لهم من بحيرة معينة أشاروا اليها ناقة فدعاهم فخرجت كما سألوها أشار اليها بقوله
 (ويا قوم هذه ناقة الله) وضافتم الى الله اضافة تشريف كبيت الله (لكم آية) أى معجزة من
 وجوه أحدها أنه خلقها الله تعالى من الصخرة ثانياها أنه تعالى خلقها فى جوف الجبل ثم شق
 الجبل عنها ثالثاها أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر ثم ولدت فصلا يشبهها رابعاها أنه تعالى
 خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة خامساها ما روى أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب
 يوم آخر سادسها أنه كان يحصل منها لبن كثير فيكفى الخلق العظيم به فكل واحد من هذه الوجوه
 معجزة قوى وليس فى القرآن إلا أن هذه الناقة كانت آية معجزة وأما بيان أنها كانت آية معجزة من
 أى الوجوه فليس فيه بيان * (تنبيه) * آية نصب على الحال وعاملها معنى الإشارة ولكم حال
 منها تقيمت عليها لتسكروا ولو أخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ثم قال
 لهم (فذروها) أى اتركوها على أى حالة كان ترككم لها (تأكل) مما أرادت (فى أرض الله)
 من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها فاصارت مع كونها آية لهم تنفعهم ولا تنضرهم لانهم كانوا
 يذبحون بلبنها ثم انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فان
 الخصم لا يحب ظهور جهة خصمه بل يسعى فى اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب
 كان يخاف من اقدارهم على قتلها فلهذا احتاط وقال (ولا تمسوها بسوء) أى بعقر أو غيره ثم
 توعدهم بقوله (فياخذكم) ان مستموها بسوء (عذاب قريب) أى فى الدنيا لا يتأخر عن مسكم
 لها الا يسيرا وذلك تحذير شديد لهم فى الاقدام على قتلها فخالقوه (فعقروها) وذبحوها (فقال)
 لهم عند بلوغه الخبر (تمتعوا) أى عيشوا (فى داركم) والتمتع التلذذ بالمنافع والملاذاتى تدرك
 بالخواص وذلك لا يحصل الا للحي وفى المراد من الدار وجهان أحدهما البلد ونحوه البلد
 الديار لانه يدار فيها أى يتصرف فيها يقال ديار بكر لبلادهم الثانى دار الدنيا أى تمتعوا فى الدنيا
 (ثلاثة أيام) وذلك أنهم لما عقروا الناقة أنذرهم صالح عليه الصلاة والسلام بنزول العقاب بعد
 هذه المدة قال ابن عباس انه تعالى لما أمهلهم تلك الايام الثلاثة فقد رغبهم فى الايمان ثم
 قالوا صالح عليه السلام وما علامة ذلك قال تصيروا وجوهكم فى اليوم الاول مصفرة وفى

الثاني حجة روى الثالث مسودة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم مسودة
 أيقنوا حينئذ بالعذاب فتحنطوا واستعدوا للعذاب فصحبهم اليوم الرابع كما قال تعالى (ذلك)
 أي الوعد العالي الرتبة في الصدق (وعد غير مكذوب) أي فيه فانسع في الظرف بجذف الحرف
 واجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه (أي ورب يوم شهدناه) سليمان وعامر *
 أو غير مكذوب على الجازأ ورعد غير كذب على أنه مصدر وقوله تعالى (فلما جاء أمرنا ننجينا صالحا
 والذين آمنوا معه برحمة منا) في تفسيره وقرائة الله - جزئين وعدد الذين آمنوا معه مثل ما تقدم
 في قصة عاد (و) نجيينا حم (من خزي يومئذ) وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم أو فضيحتهم يوم
 القيامة وقرأ نافع والهمزة في فتح الميم من يومئذ على البناء لضافتها إلى مبنى وكسرها
 الباقون على الاعراب والاول أكثر (ان ربك هو القوي) وهو يغلب كل شيء (العزير) أي
 القادر على منع غيره من غير أن يقدر أحد عليه ثم أخبرته على عن عذاب قوم صالح بقوله (وأخذ
 الذين ظلموا) أي أنفسهم بالكفر (الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة
 واحدة فهلكوا جميعا أو أتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم في صدورهم فاستوا جميعا كما
 قال تعالى (فأصبحوا في ديارهم جاثين) أي باركين على الركبتين * (تنبيه) * إنما قال تعالى
 وأخذ ولم يقل وأخذ لأن الصيحة محمولة على الصباح وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث
 بفواصل فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث وقوله تعالى (كان) مخففة من الثقيلة واسمها
 محذوف أي كأنهم (لم يغنوا) أي بقيوا (فيها) أي ديارهم ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال
 غنيت بالمكان إذا أقمت به وقوله تعالى (ألا ان غود كفر واربعهم ألابعدا النود) تفسيره
 ما تقدم في قوله تعالى ألا ان عادا كفر واربعهم الآية وقرأ حفص وجزء ألا ان غود بغير تنوين
 للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة والباقون بالتنوين للذهاب إلى الحى أو إلى الأب الأكبر
 ومن نون وقف على ألف بعد الدال ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة وقرأ الكسائي
 بعد النود بتنوين غود مع الكسر لما مر والباقون بغير تنوين مع الفتح لما مر أيضا القصة
 الرابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة
 في قوله تعالى (واقعد جات رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي باسحق ومن وراءه اسحق يعقوب
 والمراد بالرسول الملائكة ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة واختلف في الزائد على ذلك وأجمعوا على
 أن الأصل فيهم كان جبريل عليه السلام واقتصر ابن عباس وعطاء على أقل الجمع فقالوا كانوا
 ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الذاريات بقوله تعالى
 هل أتاك حديث إبراهيم المكرمين وفي الخبر ونبتهم عن ضيف إبراهيم وقال
 الضمخاني كانوا تسعة وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال
 السدي كان جبريل ومعه أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن
 قال النحويون ودخلت كلمة فدهمنا لأن السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد
 للتوقع ودخلت اللام في لقدننا كيدنا خبر (قالوا سلاما) أي سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا

على معنى ذكر واسلاماً أى سلوا (قال سلام) أى أمركم أو جوا بى سلام أو وعليكم سلام
 * (تنبيه) * قوله سلام أكمل من قوله السلام لأن التكثير يفيد السكال والمبالغة والتمام
 ولهذا صرح وقوعه مبتدأ لأن النكرة اذا كانت موصوفة جاز جعلها مبتدأ وأما لفظ السلام
 فانه لا يفيد الامامية (فان قيل) فلاى شئ ما كنى الاول فى التحلل من الصلاة عند النوى
 (أجيب) بأن ذلك سنة متبعة وقراءتة والكسائى بكسر السين وسكون اللام ولا ألف بعدها
 والباقون بفتح السين واللام وبعدها ألف قال الفراء ولا فرق بين القراءتين كما يقال
 حل وحلال وحرم وحرام وقيل سلم هو يعنى الصلح أى نحن سلم صلح غير حرب (فألت أن جاء
 بهجمل حنيد) أى فما أبطأ مجيئه به والحنيد المشوى على الحجارة المحمجة فى حفرة من الارض
 وكان سميناً يقطر ودكه كما قال تعالى فى موضع آخر فجاء بهجمل سمين قال قتادة كان عامة مال
 ابراهيم البقر روى أن ابراهيم عليه السلام مكث خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاعتم لذلك
 وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءته الملائكة رأى أضيقاً لم ير منهم فحمل
 قراهم وجاء بهجمل سمين مشوى (فلما رأى أيديهم) أى الاضياف (لأنصل اليه) أى
 لا يمتدون أيديهم اليه (نكرهم) أى أنكرهم وأنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس)
 أى أضر فى نفسه (منهم خيفة) أى خوفاً قال قتادة وذلك انهم كانوا اذ انزل بهم ضيف فلم
 يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وانما جاء بشر (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (أنا ملائكة
 الله (أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما غدا له أيدينا لانا لا نأكل كل (وأمر أنه) أى ابراهيم
 سارة وهى ابنة عم ابراهيم (قائمة) وراء السترة سمع محاورتهم وأعلى رؤسهم للخدمة فسمعت
 البشارة بالولد التى دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى (ففتحك) سروراً من تلك البشرى
 لزوجها مع كبره وبعاطفته من غيرها لانها كانت عجوزاً عقيماً فأزيل ذلك الظن عنها بقوله تعالى
 (فبشرناها) أى على اسان الملائكة تنشر بفالها وتفتحها شأنها (ياحق) تله (ومن وراء
 اسحق يعقوب) أى يكون يعقوب عليه السلام ابناً لاسحق عليه السلام فتعيش حتى ترى ولد
 ولدها قال البقاعى والذى يدل على هذا التقدير من انهم بشروه بالولد قبل امر أنه فسمعت
 فحجبت ما يأتى عن نص التوراة وساقى عن التوراة عبارة مطولة وقيل بسبب سرورها زوال
 الخيفة أو هلاك أهل الفساد وقيل فضحكت لخاضت كما قال الشاعر

عهدى بسلى ضاحكاً فى لبانة * أى حائضاً فى جماعة من النساء وهذا يرد على الفراء حيث
 قال ضحكت بمعنى حاضت لم تسمع من ثثة وقال آخر * تفحك الضبع لقتلى هذيل * أراد انها
 تحمض فرحاً * (تنبيه) * ههنا همزان مكسورتان من كلمتين قرأ قالون والبرزى بتسهيل الاولى
 مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدأها أيضاً حرف مد وقرأ أبو عمرو وباسقاط
 أحدهما مع المد والقصر والباقون بتحقيق الهمزتين ولا الف بينهما (قالت يا ويلتا) هذه
 كلمة يقال عند أمر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألدوا ناعجوز) وكانت ابنة ثبعين
 سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد تسع وتسعين سنة (وهذا يعلى) أى زوجى سعى بذلك لانه

قيم أمرها وقولها (شَيْخًا) نصب على الحال قال الواحدى وهذا من لطيف النحو وغامضه
 فإن كلمة هذا الإشارة فكان قولها وهذا بعل شَيْخًا قائم مقام أن يقال أشير إلى بعل حال كونه
 شَيْخًا والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهى الشيخوخة وكان ابن مائة وعشرين سنة
 فى قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (أن هذا الشئ عَجِيبٌ)
 أى أن الولد من هرمين فهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قَالُوا) أى
 الملائكة لسارة (أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) منكرين عليها ذلك أى لا تعجبين من ذلك فإن الله
 تعالى قادر على كل شئ وإذا أراد شيئاً كان سره عاقاً خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة
 ومهبط المعجزات وتخصيصهم عز يد النعم والكرامات ليس يستغرب (رحمة الله وبركاته)
 عليكم أهل البيت) أى بيت إبراهيم وأهل منصوب على المدح أو النداء المقصد التخصيص
 كقولهم اغفر لنا أيها العصاة وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل
 على أن أزواج الرجل من أهل بيته (أنه) تعالى (حميد) أى محمود على كل حال أو فاعل
 ما يستوجب به الحمد (مجيد) أى كثير الخير والاحسان * القصة الخامسة التى ذكرها الله تعالى
 فى هذه السورة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (فلما ذهب عن إبراهيم الروح)
 أى الخوف وهو مأوٍجس من الخيفة حين أنكر أضيافه واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته
 البشرى) بدل الروح بالولد أخذ (بمجادلنا) أى يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط) وجواب لما
 أخذ بمجادلنا لأنه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن إبراهيم الروح
 جادلنا (فان قيل) كيف جادل إبراهيم الملائكة مع علمه بأنهم لا يمكنهم مخالفة أمر الله وهذا
 منكر (أجيب) بأن المراد من هذه المجادلة تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم
 فيه من الكفر والمعاصى لأن الملائكة قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية أو أن يجادلته انما
 كانت فى قوم لوط بسبب مقام لوط فيهم ولهذا قال إبراهيم عليه السلام أرايتم لو كان فيها
 نجسون رجال من المؤمنين أتهم لكونهم قالوا لا قال أو أربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال
 فعشرون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل مسلم أتهم لكونهم قالوا لا
 فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا فى سورة العنكبوت فقال ولما جاءت رسلنا
 إبراهيم بالبشرى قالوا انما هلكوا أهل هذه القرية ان أهلكها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا
 نحن أعلم بما فيه النصيحة وأهلها الا امر أنه كانت من الغابرين قال ابن جرير وكان فى قري
 لوط أربعة آلاف ولو كانت هذه المجادلة مذمومة لما مدحه بقوله تعالى (ان إبراهيم لحليم)
 أى لا يتجمل مكافأة غيره بل يتأني فيها فيؤخر أو يعفو ومن هذا حاله يجب من غيره هذه الطريقة
 وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم ثم ضم الى ذلك ما يتعلق بالحلم وهو قوله تعالى (آوَاهُ)
 أى كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) أى رجاع فلما اطال مجادلتهم قالوا له
 (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أى الجدال وان كانت الرحمة يدلك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر
 ربك) أى قضاؤه الا زلى بعذابهم وهو أعلم بحالهم (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) أى لا سبيل

الى دفعه وردّه (ولما جاءت رسلنا لوطاً) أى هؤلاء الملائكة الذين بشروا ابراهيم بالولد قال ابن
 عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وهو ابن أخى ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وبين
 القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب من دمن بنى آدم وكانوا فى غاية الحسن ولم
 يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى (سرى بهم) أى حزن بسبيهم (وضاق بهم ذرعاً) أى صدر ايقال
 ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع فى مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوط انظر الى حسن
 وجوههم وطيب روائحهم تخاف عليهم خبت قومه وأن يعجز عن مقاومتهم وقيل ساء ذلك لانه
 عرف بالآخرة انهم ملائكة الله تعالى وانهم جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه (وقال هذا
 يوم عصيب) أى شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أى شديده مأخوذه من العصابة التى تشد
 بها الرأس قال قتادة خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأثروا لوط انصف النهار وهو
 فى أرض له يعمل فيها وروى أنه كان يحتطب وقد قال الله تعالى لهم لا تملكوهم حتى يشهد
 عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه وانطلق بهم فلما مضى ساعة قال لهم ما يلعبكم من أمر
 هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انهم الشتر قرية فى الارض عما يقول ذلك أربع
 مرات وروى أن الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره ولم يعلم بذلك أحد الا أهل بيت
 لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومه وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط
 (وجاء قومه) لما علموا بهم (يهيرون) أى يسرعون (اليه) قاله ابن عباس وقال الحسن
 الاهرار المشى بين مشيين (ومن قبل) أى قبل مجيئهم الى لوط وقيل من قبل مجى الرسل اليهم
 (كانوا يعملون السيئات) أى الفساعات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهى اتيان الرجال
 فى أذبارهم لوط (قال) لقومه حين قصدوا أضفاه وظنوا انهم غلمان من بنى آدم (يا قوم هؤلاء
 بناتى) قال مجاهد وسعيد بن جبیر أراد بيناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لأن كل نبي هو
 أبو أمته كالوالد لهم أى فترجوا منهن وقيل أراد بنات نفسه عرضهن عليهم بشرط
 الاسلام وقيل كان فى ذلك الوقت وفى تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر كما زوج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن الربيع قبل الوحى وهما
 كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لكم) أى أنظف
 فعلاً (فان قيل) أفعّل التفضيل يقتضى كون العمل الذى يطلبونه طاهراً ومعلوم انه فاسد لانه
 لا طهارة فى اتیان الرجال (أجيب) بان هذا جار مجرى قوله تعالى أذلك خير من لأم شجرة الزقوم
 ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد اعل هبل
 قال الله اعل وأجل ولا عمالة بين الله تعالى والصم وانما هو كلام خرج مخرباً المقابلة ولهذا
 نظائر كثيرة (فاتقوا الله) وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والمعاصى (ولا تحزون) أى
 تفزعوني (فى ضيق) أى أضفاني (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق فبأمر بالمعروف
 وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق) أى حاجة (وانك لتعلم ما تريد)
 أى من اتیان الذكور وما لتنافيه الشهوة فعند ذلك (قال) أى لوط عليه السلام (لو أن لى بكم

قوة أي طاقة (أو آوى إلى ركن شديد) أي عشيرة تنصرف في شتته وكنهه
صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد والركن الشديد نصر الله
ومعونه فكان النبي صلى الله عليه وسلم استغرب من لوط عليه السلام قوله أو آوى إلى ركن
شديد وعده نادراً إذ لا يمكن أن يشد من الركن الذي كان يأوى إليه وجواب لوط محذوف تقديره
لبطشت بكم أو ولد فعتكم روى أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب
فدوروا الجدار فلما رأته الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا يا لوط انزل ربك إن يصلوا
إليك) بسوء فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم
فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها ثمر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منقطوم
وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجودهم فطمس أعينهم كما قال تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان إلى بيت لوط
قوما مسخرة * (تنبيه) * لن يصلوا إليك بجله موضحة للتي قبلها لانهم إذا كانوا رسل الله لن
يصلوا إليه ولن يقدر واعي ضرره ثم قالوا له (فأسر بأهلك بقطع) أي طائفة (من الليل)
وقرأ نافع وابن كثير بعد الفاء همزة وصل من السمرى والباقون بهمزة قطع من الاسراء (ولا
يلتفت منكم أحد) أي لا ينظر إلى ورائه لئلا يرى عظيم ما نزل بهم وقوله (الامرأتك) قرأه
ابن كثير وأبو عمرو ورفع الناء على أنه بدل من أحد والباقون بالنصب على أنه استثناء من الأهل
أي فلا تسربها (أنه مصيها ما أصابهم) فلم يخرج بها وقيل خرجت والنقت فقالت واقوماه
خافنا فقتلها روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا له (إن موعدهم الصبح) قال
أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) أي فأسرع الخروج عن أمرت بهم (فلما
جاء أمرنا) أي عذابنا بهلاكهم (جعلنا عاليها) أي قراهم (سافها) روى أن جبريل
عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط المؤتفكات المذكورة في سورة براءة وكانت
خمس مدائن وفيها أربع مائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرفع المدائن كلها حتى جمع أهل
السماصياح الديكة ونهق الحمر ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم أسقطها مقلوقة
إلى الأرض (وأمرت أناعليها) أي المدن بعد قلبها وقيل على شذاذها وهو بضم الشين المعجمة
وبذا لين مجتئين أو لاهما شتدة وهم الذين ليسوا من أهلها يكونون في القوم وليسوا منهم
(سجارة من سجيل) أي من طين طبع بالمار كما قال تعالى في موضع آخر من طين وقيل مثل السجل
وهو الدلو الظميمة (منضود) أي متابع يتبع بعضها بعضا (مسومة) أي معلة عليها اسم
من يربى بها وقال أبو صالح رأيت منها عند أم هانئ وحى سجارة فيها خطوط سحر على هيئة الخزع
وقال الحسن عليه السلام الخواتيم وقال ابن جرير كان عليا سابع علم بها أنها ليست من سجارة
الأرض وقوله تعالى (عند ربك) ظرف لها (ومهي) أي تلك السجارة (من الظالمين) أي
مشركي مكة (يبعد) أي بشئ بعيد أو بكان بعيد لأنها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد
الأنها إذا وقعت منها فهي أسرع شئ لحوقا بالمري فكانت لها مكان قريب منه وفيه وعبد لهم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل فقال يعني ظالمى مكة ما من ظالم منهم الا وهو
يعرض عليه حجر فيسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هي قرية من ظالمى مكة
يمزجون عليهم فى مسيرهم * القصة السادسة التى ذكرها الله تعالى فى هذه السورة قصة شعيب عليه
السلام المذكورة فى قوله تعالى (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين وهى قبيلة أبوه مدين بن
ابراهيم عليه السلام وقيل هو اسم مدينة بناها مدين المذكور وعلى هذا فالقدير وأرسلنا
الى أهل مدين فحذف المضاف للدلالة على الكلام عليه (أخاهم) أى فى النسب لافى الدين و(شعيبا)
عطف بيان وكان قائلاً قال فما قال لهم فقيل (قال) ما قال اخوته من الانبياء فى البداية بأصل
الدين (يا قوم) مستعطفاً لهم مظهر اغاية الشفقة (اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به
شيئاً (ما لكم من النعمة) فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت الى الله تعالى دعوتهم وهذا
وحدته قطعى الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعاً من تباعد اعصارهم وتناثر ديارهم
وان بعضهم لم يعلم بالاعوام ولا عرف أخبار الناس الامن الى اليوم ولما دعاهم الى
العدل فيما بينهم وبين الله تعالى دعاهم الى العدل فيما بينهم وبين عبيده فى أقبح ما كانوا
اتخذوه بعد الشر لئلا ينافقوا (ولا تنقصوا) بوجه من الوجوه (الميكال والميزان) أى لا الكيل
ولا آله ولا الوزن ولا آله والكيل تعديل الشئ بالآلة فى القلة والكثرة والوزن تعديله
فى الخفة والثقيل فالكيل العدل فى الكمية والوزن العدل فى الكيفية ثم علل ذلك بقوله (أتى
أراكم بخير) أى بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف قال ابن عباس كانوا موسرين فى نعمة
وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النعمة
ان لم يؤمنوا ويتوبوا وهو قوله (واتى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم يحيط
بكم فيما كنتم جميعاً وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة ومنه قوله تعالى
وان جهنم لمحيطة بالكافرين والمحيط من صفة اليوم فى الظاهر وفى المعنى من صفة العذاب
وذلك مجاز مشهور كقوله هذا يوم عاصيب (ويا قوم أوفوا) أى أتموا اتماماً حسناً (الميكال
والميزان) أى الكيل والوزن وآتم ما (فان قيل) النهى عن النقصان أمر بالايفاء فافادة
قوله تعالى أوفوا (أجيب) بأنهم هموا أولاً عن القبيح الذى كانوا عليه من نقص الميكال والميزان
لأن فى التصريح بالقبيح تنبيه على النهى وتغيير الله ثم ورد الأمر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول
مصرحاً بالنظر لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجوبه مقيداً (بالقسط) أى ليكون الايفاء على
وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمر بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل
وأمر مندوب اليه غير المأمور به وقد يكون محظوراً كما فى الربا وقوله تعالى (ولا تبخسوا الناس
أشياءهم) تغميمهم بعد تخصيص فانه أعم من أن يكون فى المقدار وفى غيره فانهم كانوا يأخذون
من كل شئ يباع كما تفعل السماصرة وكانوا يسكنون الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون
من الأشياء فنهوا عن ذلك فظهر بهذا البيان ان هذه الاشياء غير مكررة بل فى كل واحد منها فائدة
زائدة والحاصل انه تعالى نهى فى الآية الاولى عن النقصان فى الميكال والميزان وفى الثانية أمر

باعطاء قدر الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة
 ولهذا قال الفقهاء انه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من الرأس
 فكأنه تعالى نهى أولاً عن سعي الانسان في أن يجعل مال غيره ناقصا لتحصل له تلك الزيادة
 وفي الثاني أمر بأن يسعى في تنقيص مال نفسه ليخرج بالتعيين عن العهدة كما قيده بقوله تعالى
 بالقسط وفي الآية الثالثة نهى عن النقص في كل الاشياء وكذا قوله تعالى (ولا تشوا
 في الارض مفسدين) فان العتوب مع تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد ومفسدين حال
 مؤكدة لمعنى عاملها وفائدتها الخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام
 (بقيت الله) قال ابن عباس يعني ما أبقي الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن (خير
 لكم) مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام
 (أن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما قلت لكم وأمر تكلم به * (فائدة) * بقيت رسعت هنا
 بالناء المجرورة وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي والباقون وقفوا عليها بالهاء (وما
 أنا عليكم بحفيظ) أعلم جميع أعمالكم وأقدر على كفكم عما يكون منها فسادا ولما أمرهم
 شعيب عليه السلام بشئين بالتحديد وبترك الخس (قالوا) له (يا شعيب) سمعوه باسمه استخفافا
 وغلظة وأنكروا عليه متزئين به (أصلوا أن تأمر) أي تفعل معك فعل من يأمر رداءتكم فما
 (أن نترك ما يعبد) أي على سبيل المواظبة (أباؤنا) من الاصنام فخذف الذي هو التكليف
 لأن الانسان لا يؤمر بفعل غيره قالوا له ذلك في جواب أمره لهم بالتحديد (أو) نترك
 (أن نفعل) أي دأبنا (في أموالنا ما نشاء) من قطع الدراهم والدنانير وفساد المعاملة
 والمقاهرة ونحوها مما يكون افساد للمال قالوا له ذلك في جواب النهي عن التطفيف والامر
 بالايفاء وانما أضافوا ذلك الى صلته بهم كما استزاء بهما واشعارا بأن مثل هذا لا يدعو اليه
 داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما توظب عليه وكان شعيب عليه
 الصلاة والسلام كثير الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلي تغاضوا وتضاحكوا
 وقصدوا بقولهم أصلوا أن تأمر أن السخرية والهزء كما أنك اذا رأيت معطوها ياطالع كتباً ثم
 يذكر كلاما فاسدا فيقال له هذا فائدة مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزء فكذا هنا وقرأ حفص
 وحزرة والكسائي أصلوا أن تأمر بالافراد والباقون بالجمع والناء بالرفع في القراءتين وغلظ ورش
 اللام في أصلوا أن تأمر وقولهم له (أنك لانت الحليم الرشيد) تم كهم به وقصدوا وصفه بذلك كما
 يقال للبخيل الخسيس لورا لحاتم لسجداك وعلوا انكار ما سمعوه منه واستبعدوه بأنه موسوم
 بالحلم والرشد المانعين من المبادرة الى مثل ذلك ثم أخرج قوله عليه الصلاة والسلام على تقدير
 سؤال بقوله (قال يا قوم) مستعظا لهم لما يبينهم من عواطف القرابة منبههم على أحسن النظر
 فيما ساقه على سبيل القرص والتقدير لم يكون أدعى الى سبيل الوفاق والانصاف (أرايتم) أي
 أخبروني (أن كتب على يمينه) أي برهان (من ربي) وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله
 (ورزقني) والضمير في (منه) لله تعالى أي من عنده بأعنته بلا كد مني في تحصيله وعظم الرزق

بقوله (رزقاً حسناً) جليلاً وما لا حلالاً لم أظلم فيه أحدًا وجواب الشرط محذوف أي فهل يسوغ
مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه فأخلفه في أمره
ونعيمه وهذا اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء (وما أريد
أن أخالفكم) أي واذهب (إلى ما أنتم أكرم عنه) فارتكبه (أن) أي ما (أريد) أي فيما أمركم به
وأنتم أكرم عنه (الاصلاح) أي ما أريد إلا أن أصلحكم بعظمتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف
ونهي عن المنكر (ما استطعت) أي وهو الابلاغ والانداز فقط والاستطيع اجباركم على
الطاعة لأن ذلك إلى الله تعالى فإنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء (وما توفيتني) أي لأصابة الحق
والصواب (إلا بالله) أي لا ببعوته وتأييده (عليه) لا على غيره (توكت) أي اعتمدت في جميع
أموري فإنه القادر على كل شيء وما عساه عاجز وهذه الصيغة تفيد الحصر فلا ينبغي لآدم أن
أن يتوكل على أحد إلا على الله تعالى وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب
المبدأ وأما قوله (وآلهم أئيب) ففيه إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضاً تفيد الحصر لأن قوله وآلهم
أئيب يدل على أنه لا مأب للخلق إلا إلى الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر
شعباً قال ذلك خطيب الأنبياء الحسن مراجمته قومه (ويا قوم لا تجرمكم) أي لا يكسبكم
(شقاق) أي خلاف وهو فاعل يجرم والضمير مفعول أول والمفعول الثاني (أن يصيبكم) عذاب
العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة قال في الكشف جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول
واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنباً وكسبه وجرمته ذنباً وكسبته آياه ومنه قوله تعالى لا تجرمكم
شقاقى أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم
(أو قوم صالح) من الرجفة (وما قوم لوط منكم بعيد) لافي الزمان ولا في المكان لأنهم كانوا
حديثي عهد بهم لا كههم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فإن القرب في الزمان
والمكان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم
واحذروا من مخالفة الله وما زعمته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب (فان قيل) لم قال بعيد
ولم يقل بعيدين (أجيب) بأن التقدير وما أهلاً كههم بشئ بعيد وأيضاً يجوز أن يسوى في قرب
وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤث لورودهما على زنة المصادر التي هي المصهيل والنهي
ونحوهما انتهى (واستغفروا ربكم) أي آمنوا به (ثم توبوا إليه) عن عبادة غيره لأن التوبة
لا تصح إلا بعد الإيمان وقدم مثل ذلك (إن ربى رحيم) أي عظيم الرحمة للثابتين (ودود) أي
محبه لهم * ولما بالغ عليه السلام في التقرير والبيان أجابوه بأنواع فاسدة الأول (قالوا) له
(يا شعيب ما نفقه) أي ما نفهم (كثيراً مما تقول) (فان قيل) أنه كان يخاطبهم بلسانهم فلم
قالوا ما نفقه (أجيب) بأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم لشدة انشغالهم عن كلامه وهو قوله تعالى
وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وأنهم فهموه ولكنهم ما أقاموا له وزناً فذكروا
هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بجديته ما أدرى ما تقول
النوع الثاني قولهم له (وانا نأثر الدنيا ضعيفاً) أي لا قوة لك فتنتع مما ان أردناك بسوء أو ذليلاً

لا عزك وقيل أعي بلغة جبر قاله قتادة وفي هذا تجويز العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ
 لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لانه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر قاله
 الحسن * النوع الثالث قولهم له (ولو لارهاطك) أى عشرتك وعزمتهم عندنا لكونهم على ما نسأ
 لانخوف من شوكتهم (لرجئناك) بالجارية حتى يموت والرهاط من الثلاثة الى عشرة وقيل الى
 السبعة والمقصود من هذا الكلام انهم ينووا انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم
 وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترام رهاطه * النوع الرابع قولهم له (وما أنت علينا بعزير) أى
 لاتعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهاطك لانهم من
 أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا ولما خوف الكفار شعيبا عليه السلام بالقتل
 والايذاء حكى الله تعالى عنهم ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان * الاول (قال) لهم (يا قوم)
 مستعطفًا لهم مع غلظتهم عليه (أرأيتى أعز عليكم من الله) المحيط بكل شئ قدرة وعلما حتى
 نظرتم اليهم في لقابتي منهم ولم تنظروا الى الله تعالى في قربي منه لما ظهر على من كرامته تعالى
 (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أى جعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باسرا ككم به والاهانة
 لرسوله قال في الكشف والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره
 قولهم في النسبة الى الامس اسمي بكسر الهمزة وقوله (ان ربي بما تعملون محيط) أى انه عليم
 بأحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها * النوع الثانى قوله (ويا قوم اعملوا على مكاتبتكم) والمكاتب
 الحالة التى يمكن صاحبها من عمله والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المسكنة والقدرة
 وكل ما في وسعكم وطاعتكم من افعال النشور الى (انى) أيضا (عامل) بما آتاني الله من القدرة
 والطاعة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) فمن موصولة مفعول العلم
 (فان قيل) لم يقل فسوف تعلمون (أجيب) بأن ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل
 وأما حذف الفاء فيجعله جوابا عن سؤال مقدر وهو المسمى في علم البيان بالاستئناف الباني
 تقديره انه لما قال (ويا قوم اعملوا على مكاتبتكم انى عامل فكأنهم قالوا فاذا يكون بعد ذلك فقال
 سوف تعلمون فظهر أن حذف حرف الفاء ههنا كدل في بيان الفصاحة والتحويل لانه استئناف
 (وارتقبوا) أى انتظروا عاقبة أمركم (انى معكم رقيب) أى منتظر والرقيب بمعنى الرقيب من
 رقبه كالضرب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى
 المرتقب كالنقيب والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (ولما جاء أمرنا) بعذابهم واهلاكهم (فحينئذ
 شعيبا والذين آمنوا معه برجة) أى بفضل (منا) بأن هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة (فان قيل)
 لم جاءت قصة عاد وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالفاء (أجيب) بأن قصة عاد ومدين
 لم يسبقه ما ذكر وعدي مجرى مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانما ذكر ابعدا للوعد
 وذلك قوله تعالى وعد غير مكذب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بقاء السببية (وأخذت
 الذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بالشرك والجنس (الصيحة) أى صيحة جبريل عليه السلام
 صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وما تواجدوا جميعا وقيل آتتهم صيحة من السماء (فأصبحوا

في ديارهم جاغين) أي ياركين على الركب ميتين (كان لم يغنوا) أي كأنهم لم يقيموا (فيها) أي
 ديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الأيام)
 أي هلاكا (المدين كما بعدت غود) انما شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة لكن صحتهم
 كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب
 الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب
 فأخذتهم الصيحة من فوقهم * القصة السابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي آخر
 قصصها قصة موسى عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا)
 أي التوراة مع ما فيها من الشرائع والاحكام (وساطان ميين) أي برهان بين ظاهر على صدق
 نبوته وبرسالته وقيل المراد بالآيات المعجزات وبالسلطان المبين العصا لانها أظهر الآيات
 وذلك لأن الله تعالى أعطى موسى تسع آيات بينات وهي العصا والميد البضاء والطوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين ومنهم من أبدل نقص
 الثمرات والسنين باطلال الجبل وخلق البحر قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لأن
 صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره والعلماء سلاطين بسبب كمالهم في القوة
 العلمية والمالوك سلاطين بحسب مامعهم من القدرة والمكنة إلا أن سلطنة العلماء أكمل
 وأقوى من سلطنة المالوك لأن سلطنة العلماء لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة المالوك تقبلهما
 ولأن سلطنة المالوك تابعة لسلطنة العلماء لأن سلطنة العلماء من جنس سلطنة الانبياء وسلطنة
 المالوك من جنس سلطنة الفراعنة (الى فرعون) طاغية القبط (وملته) أي أشراف قومه الذين
 تتبعهم الاذناب لأن القصد الاكبر رفع أيديهم عن بني اسرائيل (فاتبوا أمر فرعون) أي
 اتبعوا طريقه فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساد على من له
 أدنى مسكة من العقل ولم يتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات الظاهرة الباهرة
 لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) أي بسديد ولا حميد العاقبة
 ولا يدعو الى خير وقيل رشيد ذو رشد وانسلاخ فرعون من الرشد كان ظاهرا لانه كان دهريا
 نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله وانما يجب على أهل كل بلد أن يشتهوا بطاعة
 سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وكل الرشد في عبادة الله تعالى ومعرفته فلما كان هو نافيا
 لهذين الامرين كان خالعا عن الرشد بالكلية (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم
 في الدنيا الى الضلال أو كما تقدم قومه في الدنيا فأدخلهم البحر وأغرقهم فكذا يتقدمهم في
 القيامة فدخلهم النار كما قال تعالى (فأوردتهم النار) (فان قيل) لم يقل يقدم قومه فيوردهم
 النار بل أتى بلفظ الماضي (أجيب) بأنه انما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحققة ونزل
 النار له منزلة الماء فسمى اتيانهم وردها ولهذا قال تعالى (وبئس الورد المورد) وردهم لأن
 الورد انما يراد لتسكين العطش وقبريد الالكاد والنار ضده (فان قيل) لفظ المار مؤنث فكان
 مقتضى ذلك أن يقال وبئس الورد المورد (أجيب) بأن لفظ الورد مذكر فكان التذكير

والتأنيث جائز في كونه قول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فمن ذكر غلب المنزل ومن أنث بجى
 على تأنيث الدار (وأتبعوا في هذه) أى الدنيا (لعنة) أى طردوا وبعد اعن الرحمة (ويوم القيامة)
 أى واتبعوا يوم القيامة لعنة أخرى فهم ملعونون في الدنيا والآخرة وتظيره قوله تعالى في سورة
 القصص واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (بئس الرفد) أى العون
 (المرفود) رفدهم سأل رافع بن الأزرق ابن عباس عن ذلك فقال هو اللعنة بعد اللعنة وقال قتادة
 ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وكل شيء جعلته عوناً لشيء فقد
 رفده به وسميت اللعنة عوناً لأنها إذا تبعتم في الدنيا أبعدهم عن الرحمة وأعانتهم على ما هم فيه من
 الضلال وسميت رفداً أى عوناً لهذا المعنى على التهكم كقول القائل = تحية بينهم ضرب وجيع =
 وسميت معاناً لأنها أوردت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديتين إلى طريق الجحيم ولما ذكر تعالى
 قصص الأولين قال تعالى (ذلك) أى المذكور وهو مبتدأ خبره (مرأى القري) أى أخبار
 أهل القري وهم الأمم السالفة في القرون الماضية وقوله تعالى (نقصه عليكم) أى تخبرك به
 يا محمد خبراً بعد خبر وفائدة ذكر هذه القصص على النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم السامع أن
 المؤمن يخرج من الدنيا مع الشقاء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة وإن الكافر
 يخرج مع اللعنة في الدنيا والعقاب في الآخرة وإذا تكررت هذه الأقاصيص على السمع فلا بد
 وأن يلين القلب ويخضع النفس وترزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر
 والاستمدال وفي أخباره صلى الله عليه وسلم بهذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلمذ دلالة
 على نبوته فإن ذلك لا يكون إلا بوحي من الله تعالى (منها) أى القري (قائم) أى باق كالزرع القائم
 ذلك أهل دونه (و) منها (حصيد) أى عافى الأثر كالزرع المحصود هلك مع أهله (وما ظلمناهم) أى
 باهلاً كهم بغسب ذنب (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي وقال ابن عباس يريد
 وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استحقوا بحقوق الله
 تعالى (فأأغنت) أى دفعت (عنهم آلهتهم) أى أصنامهم (التي يدعون) أى يعبدون (من دون
 الله) أى غيره (من شيء) أى شيئاً من مزيدة (لما جاء أمر ربك) أى عقابه (وما زادهم) بعبادتهم
 (غير تريب) أى غير تخسير وقيل تدمير ولما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه
 بما فعله بأهم من تقدم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما خالفوا الرسل وما ورد عليهم من
 عذاب الاستئصال وبين أنهم ظلموا أنفسهم فخل بهم العذاب في الدنيا قال تعالى بعده (وكذلك)
 أى ومثل ذلك الأخذ العظيم (أخذ ربك إذا أخذ القري وحى) أى القري (ظالمة) والمراد
 أهلها وتظيره قوله تعالى وكم أهل كمان قرية بطرت معيشتها وقوله تعالى وكم قصتنا من قرية
 كانت ظالمة فبين تعالى أن عذابه ليس مقتوراً على من تقدم بل الحال في أخذ كل الظالمين
 يكون كذلك * ولما بين تعالى كيفية أخذ الأمم المتقدمة ثم بين تعالى أنه إنما يأخذ جميع الظالمين
 على ذلك الوجه اتبعه بما يزيد تأكيداً وتقوية بقوله تعالى (إن أخذنا ليم) أى مؤلم (شديد)
 أى صعب مفتت القوى وعن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ان الله تعالى ليل للظالم حتى اذا اخذهم لم يقله ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذهم آليم شديد وفي هذه الآية الكريمة والحديث الشريف دلالة على أن
من أقدم على ظلم فانه يتدارك بالتوبة والابابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا يقع
في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية مختصة بظالمى الامم الماضية
بل هي عامة في كل ظالم وبعضه الحديث (ان في ذلك) أى ما ذكر من عذاب الامم الماضية
واهلها بهم (آية) أى لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب) يوم الحياة (الآخرة) لانه ينظر
ما أحل الله تعالى بالمجرمين في الدنيا وما هو الا أنموذج لما أعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه
وشدة اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطف في زيادة التقوى والخشية
من الله تعالى وقوله (ذلك) إشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع) أى
فيه (الناس) أى ان خلق الآولين والآخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون ثم وصفه
تعالى بوصف آخر بقوله تعالى (وذلك يوم مشهود) أى يشهده أهل السموات وأهل الارض
(وما يؤخره) أى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (الاجل) أى وقت (معدود) أى معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى (يوم يأتي) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التاءين
أى لا تكلم (نفس الاباذنه) تعالى وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الباء بعد التاء
من يأتي وصلا ووقفا وحذفها الباقون وأما التاء من تكلم فشدها البرزى في الوصل وخففها
الباقون (فان قيل) كيف يوفق بين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (أجيب) بأن ذلك اليوم يوم طويل له موافق
ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا يؤذن لهم
وفي بعضها يؤذن لهم فيستكلمون وفي بعضها يحتم على أفواههم وتبكم أيديهم وتشهد أرجلهم
(فإنهم) أى الناس (شقي و) منهم (سعيد) أى فمنهم من سبقت له الشقاوة فوجب له النار بمقتضى
الوعيد ومنهم من سبقت له السعادة فوجب له الجنة بموجب الوعد وعن علي رضي الله تعالى
عنه قال كفى جناسة في بقيع الغرقدة فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله
وبينه محصرة ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منقوسة الا قد كتب مكانها من
الجنة أو النار فقالوا يا رسول الله أفلا تسكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما
من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير
الى عمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى الآية وبقية
الغرقده ومقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمحصرة كالسوط والعصا مما يسكه
الانسان بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بثلث المخصرة أو باليد أو نحو
ذلك حتى يورث فيه (فأما الذين شقوا) في علمه تعالى (ففي النار لهم فيها زفير) وهو صوت شديد
(وشهيق) وهو صوت ضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الزفير بمنزلة
ابتداء صوت الجير بالنهيق والشهيق بمنزلة آخر صوت الجار اذا رده في صدره وقيل الزفير

في الخلق والشهيق في الصدر وعلى كل المراد منهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم (خالدين فيها)
 وقوله تعالى (مادامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما سموات الآخرة وأرضها رهي
 مخلوقة دائمة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 والسموات وقوله تعالى وأورثنا الارض تتبوا من الجنة حيث نشاء لأنه لا بد لأهل الآخرة مما
 يقبلهم ويظلمهم أما ما يخلقها الله تعالى أو يظلمهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء وكل ما استقر
 قدمك عليه فهو أرض والوجه الثاني أن المراد مدة دوامه ما في الدنيا (آلآ أي غير (ما شاء ربك)
 من الزيادة على مدتهم مما لا منتهى له وذلك هو الخلود فيها أبدا (أن ربك فعال لما يريد) من غير
 اعتراض (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء
 ربك) كما تقدم ودل عليه قوله تعالى (عطاء غير مجدود) أي مقطوع وقيل الاستثناء في أهل
 الشقاوة يرجع الى قوم من الموحدين يدخلهم الله تعالى النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها
 فيكون ذلك استثناء وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن
 البعض من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من
 الاشقياء لما روى عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بالشقاوة وفي رواية
 ان الله تعالى يخرج ما شاء من النار يدخلهم الجنة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض
 قوم ما سقى من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله بفضلهم ورحمته الجنة وفي رواية أنه
 صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة
 فيسمون الجنة من وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس
 فيها أحد أي من أهل البكا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن تحلى طبقتهم التي كانوا فيها
 وان نازع في ذلك الزمخشري على مذهبه الفاسد من أن أهل البكا يخرجون في النار وأما
 الاستثناء في أهل السعادة فيرجع الى مدة ابتئهم في النار قبل دخولهم الجنة أو ان الاستثناء
 راجع الى الفريقين فانهم مفارقوا الجنة أيام عذابهم وان التأبيد من مبداء معين ينقص
 باعتبار الابتداء كما ينقص باعتبار الانتهاء وهو لا وان شقوابه ما نههم فقد سعدوا بما نههم
 ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله تعالى فيهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان شرطه أن تكون صفة
 كل قسم منتقاة عن قسمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانتقال حقيق أو مانع
 من الجميع من الجنة والنار مدة تعميهم في الدنيا واحباستهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى
 البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى
 خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه لو شاء ربك لأخرجهم منها ولكنه لا يشاء
 لانه تعالى حكم لهم بالخلود وقال القراء هذا الاستثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله كقولك والله
 لا ضربك الا ان أرى غير ذلك وعزيمتك ان تضربه وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأبيد
 على عادة العرب يقولون لا ايتك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الدليل
 والنهار يعنون أبدا وقيل ان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا

وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة وهو الفوز برضوان الله تعالى ولقائه كما قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر وقد أخصص وحيزة والكسائي سعد وادغم السنين على البناء للمفعول من سعد الله بمعنى أسعده والباقون بقصعها وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاءً والحال من الجنة ولما شرح الله تعالى أفاضل عبدة الاوثان ثم اتبعه بأحوال الاشقياء وأحوال السعداء شرح للرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قومه فقال (قل أنتك) يا محمد (في مربة) أي شك (مما يعبد هؤلاء) المشركون من الاصنام أنسانعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أي كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيهم) أي حفظهم من العذاب (غير منقوص) أي كمالا غير ناقص ولما ذكر تعالى في هذه الآية اعراضهم عن الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأنزل عليه من الكتاب سلاها أخيه موسى عليه السلام بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة الجامعة للخير) (فاختلف فيه) أي الكتاب فآمن به قوم وكفرو به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للغلائي الى يوم القيامة (لقضى) أي لوقع القضاء (بينهم) أي بين من اختلف في كتاب موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه بانزال ما يستحقه المبتل ليتخذه الحق ولكن سبقت الكلمة ان القضاء الكامل انما يكون يوم القيامة كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الآية ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين تعالى أنه به لان كل طائفة من اليهود تنسكركها فيه وفعلها فعل الشايف فقال تعالى مؤكدا (وانهم لفي شك) أي عظيم محيط بهم (منه) أي من الكتاب والقضاء (مريب) أي موقع في الريب والهمة والاضطراب مع ما رأوا من الآيات التي منها سمع كلام الله تعالى ورؤية ما كان يتجلى في جبل الطور من خوارق الاحوال وقيل الضمير في وانهم راجع لكفار مكة وفي منه للقرآن (وان كلاً) أي كل الخلائق وقوله تعالى (لما) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدّر تقديره والله (ليوفينهم ربك أعمالهم) فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار وقرأ نافع وابن كثير وشعبة بخفيف وان والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر وعاصم وحيزة بتشديد ميم لما والباقون بالتخفيف * (فائدة) * قال بعض الفضلاء انه تعالى لما أخبر عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التأكيدات أولها كلمة ان وهي للتأكيد وثانيها التفضلة كل وهي أم الباب في التأكيد وثالثها اللام الداخلة على خبر ان تفيد التأكيد أيضاً ورابعها حرف ما اذا جعلناه على قول القراء موصولا وخامسها المضمرة وسادسها اللام الثانية الداخلة على جواب القسم وسابعها الذون المذكورة في قوله تعالى ليوفينهم بجميع هذه الالفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على ان أمر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والنشر ثم أردفه بقوله

تعالى (أنه بما يعملون خبير) وهو من أعظم المؤكدات فانه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال
عباده فقبه وعد للمحسنين وعيد للمكذبين الكافرين ولما بين تعالى أمر الوعد والوعيد قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاستقم) أى على دين ربك والعمل والدعاء اليه (كما أمرت) والامر
في ذلك للتأكد فانه صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليه فهو كقولك للقاتم قم حتى
آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك وتوطئة لقوله تعالى (ومن تاب معك) أى
وليس مستقم أيضاً على دين الله والعمل بطاعته من آمن معك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهى ولا تزوغ عنه وروغان الثعلب وأشار صلى الله عليه
وسلم الى شدة الاستقامة بقوله شيتنى هود وأخواتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد ولا أشق من هذه الآية وعن بعضهم وأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له يروى عنك انك قلت شيتنى هود فقال نعم فقلت بأى آية
قال قوله تعالى فاستقم كما أمرت وعن سفيان ابن عبد الله الثقي قال قلت يا رسول الله قل لى
فى الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال قل آمنت بالله ورسوله ثم استقم قال الامام الرازى
ان هذه الآية أصل عظيم فى الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بأعمال الموضوء مرتبة
فى اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله تعالى فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر فى الزكاة بأداء
الابل من الابل والبق من البقر وجب اعتبارها وكذا القول فى كل ما ورد أمر الله تعالى به
اتهى ولما كانت الاستقامة هى التوسط بين طرفى الافراط والتفريط نهى عن الافراط بقوله
تعالى (ولا تظفوا) أى لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة افراطاً فان الله تعالى
اغما أمركم ونهاكم لتهدى أنفسكم لانفسكم لا حاجته الى ذلك ولن تطيقوا ان تقدروا الله حق قدره
والدين معين لم يشأه أحد الاغلبه كما ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلبه فسدوا وقاربوا وبسروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشئ من الدلجة فقوله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ضد العسر اراد به التسهيل
فى الدين وترك التشديد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى وقوله
وسددوا أى اقصوا السداد فى الامور وهو الصواب وقاربوا أى اطلبوا المقاربة وهى القصد
الذى لا غلوف فيه ولا تقصير والغدوة الروح بكرة والروح الرجوع عشاء والمراد منه اعملوا بالنهار
واعملوا بالليل أيضاً وقوله واستعينوا بشئ من الدلجة اشارة الى تقلله ولما نهى تعالى عن الافراط
وهو الزيادة تصریحاً أفهم النهى عن التفريط وهو النقص عن المأمور بتلويحاً من باب أولى ثم
علل ذلك مؤكداً تنزيلاً لمن يفرط أو يفرط منزلة المنكر فقال (انه بما يعملون بصير) أى عالم بأعمالكم
كلها لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم عليها (ولا تتركوا) أى عملوا (الى الذين ظلموا) أدنى ميل
(فمنكم النار) أى تصيبكم بجرها والنهى متناول للاسقاط فى هواهم والانقطاع اليهم
ومضاجبتهم ومجالستهم وزيارتهم وصرافيتهم والرضا بأعمالهم والتشبيه بهم والتزى بزيمهم ومد
العين الى زهرتهم وذكرهم بمخافته تعظيم لهم وتأمل قوله تعالى ولا تتركوا فان الركون هو الميل

اليسير وحكى أن الموفق صلى خلف الامام فقراً بهذه الآية تغشى عليه فلما فاق قيل له في ذلك
 فقال هذا أمين ركن الى من ظلم فكيف بالظالم ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في
 الدين عافانا الله وإياه أبابي بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعوا لله لك
 ويرجلك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله تعالى بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه
 وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى ليعيننه للناس ولا يكتمونه وأعلم
 أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك أنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدونك بمن
 لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبان دور عليك رضى باطلهم وجسرابعبرون عليك
 الى ملاذهم وسلم يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب
 الجاهلاء فما أيسر ما عروا لك في جنب ما خربوا غليلك وما أكرماً أخذوا منك فما أفسدوا عليك
 من دينك فإياؤم منك أن تكون بمن قال الله تعالى فيهم تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فأنك تعامل من لا يبجل ويحفظ عليك من لا يعقل فداو
 دينك فقد دخله سقم وهي زائدة فقد حضر السقر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض
 ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم وأدلايسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن
 الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عملاً أى من الظلة وعن محمد بن سلمة الذباب
 على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال صلى الله عليه وسلم من دعا الظالم بالبقاء فقد
 أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى
 شربة ماء فقال لا فيسقى له يموت فقال دعه يموت وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من أولياء)
 أى أعوانا وأنصارا يمنعوك من عذابه حال من قوله فتمسك النار أى فتمسك النار وأنتم على هذه
 الحالة (ثم لا تنصرون) أى لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله في القيامة ففي هذه
 الآية وعيد لمن ركن الى الظلة بأن نعمة النار فكيف يكون حال الظالم في نفسه ولما أمر تعالى
 بالاستقامة أرفده بالامر بالصلاة بقوله تعالى (وأتم الصلاة) وذلك يدل على أن أعظم العبادات
 بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى (طريق النهار) الغداة والعشي أى الصبح والظهر
 والعصر وقوله تعالى (وزاناً) جمع زانعة أى طائفة (بين الليل) أى المغرب والعشاء (أن
 الحسنيات) كالصلوات الخمس (يذهبن) أى يكفرن (السيئات) أى الذنوب الصغار لما رواه مسلم
 أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت
 الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر
 وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو أيتم لو أن نهرًا
 يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله
 لا يبقى من درنه شيء فقال ذلك مثل الصلوات الخمس يجوع الله بها الخطايا وعن جابر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم
 خمس مرات وعن الحسن أن الحسنات قول العبد سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

وسبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر بن عمر قال أتتني امرأة وزوجها بعثته
النبي صلى الله عليه وسلم في بعث فقالت بعني بدرهم ثم قال فأعجبني فقلت أن في البيت غمرا هو
أطيب من هذا فالحق بي فدخلت معي البيت فأهويت إليها فقبلت فأفأت أبابكر فذكر ذلك
له فقال استرعي نفسك وتب ولا تجبر أحد فأفأت عمر فذكر ذلك له فقال استرعي نفسك وتب
ولا تجبر أحد فأفأت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال أخنت رجلا غاريا في سبيل
الله في أهله بمثل هذا حتى تمنى أنه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار وأطرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى إليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
إلى قوله تعالى (ذلك ذكرى للذاكرين) أي عظة للمتقين قال أبو اليسر فأتته فقراها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم للناس عامة
قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن مسعود أن رجلا
أصاب من امرأة قبلة فأقى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فزلت فقال رجل يا رسول الله
ألهذا خاصة فقال بل للناس كافة وعن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله أرايت رجلا لي امرأة ليس بينهما معرفة وليس يأتي الرجل إلى امرأته شيئا الا قد أتى
هو إليها الا أنه لم يجامعها قال فأنزله الله تعالى هذه الآية وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ
ويصلي فقال معاذ بن جبل فقلت يا رسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين
عامة قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر
والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبار من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح
ولها ثلاث شرائط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلمة الثاني الندم على فعله الثالث العزم
التمام على أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة
ان شاء الله تعالى والاشارة في قوله تعالى ذلك ذكرى إلى ما تقدم ذكره من قوله تعالى فاستقم كما
أمرت إلى أهكما وقيل هو اشارة إلى القرآن وقوله تعالى (واصبر) خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم أي واصبرا محمد علي أذى قومك أو على الصلاة وهو قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجر أعمالهم وعدل عن الضمير لكون كالبهائم
على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر احسان وإيماء بأنه لا يعتد بهم ما دون الاخلاص ولما
بين تعالى أن الامم المتقدمة من حل بهم عذاب الاستئصال بين أن السبب فيه أمر ان السبب
الاول انه ما كان فيهم قوم يهتدون عن الفساد في الارض فقال تعالى (فلولا) أي فهلا (كان من
القرون) أي من الامم الماضية (من قبلكم أو لوبقية) أي أصحاب رأي وخير وفضل (ينهون
عن الفساد في الارض) وسمى الفضل والجود ببقية لأن الرجل يستبق مما يخرج منه أجوده
وافضله فصارت مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه فسر
بت الحاشية * ان تذبوا ثم يأتي بقتكم * ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقاءا ويجوز
أن تكون البقية بمعنى القوى كالبقية بمعنى القوى أي فهلا كان منهم ذور بقاء على أنفسهم

وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه * (قائمه) * حكى عن الخليل أنه قال كل ما في القرآن من كلمة لولا فعمناه هلا الا التي في الصفات قال صاحب الكشف وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصفات لولا أن تداركه نعمة من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا أن يتسائل انتهى وقوله تعالى (الاقليم من أنجيئنا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا من أنجيئنا من القرون ثم وعان الفساد وسائرهم تاركون للنهي السبب الثاني لنزول عذاب الاستئصال قوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أي مانعوا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) أي كافرين * (تنبيه) * قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمحل لأن المعنى الا قليلا من أنجيئنا منهم ثم وعان الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نحو وان كان معناه واتبعوا أجزاء الاتراف فالواو للحال فكأنه قيل أنجيئنا القليل وقد اتبع الذين ظلموا أجزاءهم وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغموربا لا ثام أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ثم بين تعالى أنه ما أهلك أهل القرى بظلم بقوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) أي بشرك (وأهلها مصلحون) فيما بينهم والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحال أن عذاب الاستئصال لا ينزل لأجل كون القوم معتقدين الشرك بل انما ينزل ذلك العذاب اذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الأيذاء والظلم ولهذا قيل ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال في الاثر الملك يبق مع الكفر ولا يبق مع الظلم وانما نزل على قوم نوح وهو ذو صالح ولوط وشعيب عذاب الاستئصال لما حكى الله تعالى عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أي أهل ملة واحدة وهي الاسلام كقوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة وفي هذه الآية دليل على ان الامر غير الارادة وأنه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد وان ما أراد به يجب وقوعه والمعتزلة يعملون هذه الآية على مشيئة الابطاء والاجبار ولهذا قال الزمخشري يعني لا يضرهم الى أن يكونوا أهل ملة واحدة (ولا يزالون مختلفين) أي على أديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرِك ومسلم فكل أهل دين من هذه الأديان يختلفون في دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة وفي رواية ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة فنتنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة والمراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء كالقدرية والمعتزلة والرافضة والمراد بالواحدة هي ملة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله (فان قيل) ما الدليل على أن الاختلاف في الأديان فلم لا يجوز أن يحمل على الاختلاف في الألوان واللسنة والأرزاق والاعمال (أجيب) بأن الدليل عليه ما قبل هذه

الآية وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فيجب حمل الاختلاف على
 ما يجزئهم من أن يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى (الامن رحم ربك)
 أي أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه فيجب حمل الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه ذلك
 وفي هذه الآية دلالة على أن الهداية والايان لا تحصل الا بتخليق الله تعالى لان تلك الرحمة
 ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذرات كل
 ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا أن يقال تلك الرحمة هو أنه سبحانه وتعالى خلق فيهم تلك
 الهداية والمعرفة (ولذلك خلقهم) أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وخلق أهل الرحمة
 للرحمة روى عن ابن عباس أنه قال خلق الله أهل الرحمة ثلاثا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان
 يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا والحاصل أن الله تعالى خلق
 أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف
 وهم أهل الباطل ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق وهم أهل الحق ومصيرهم
 الى الجنة ويدل لذلك قوله تعالى (وَعَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ) وهي (لاملا أن جهنم من الجنة) أي الجن
 (والناس أجعين) وهذا صريح بأن الله تعالى خلق أقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقههم
 لأعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ولما ذكر تعالى
 القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر نوعين من الفائدة أولهما تثبيت القواد بقوله تعالى
 (وَكَلَّا) أي وكل نبا (نقص عليك) وقوله تعالى (من أنباء الرسل) أي تخبرك به بيان لكل وقوله
 تعالى (ما ثبت به فؤادك) بدل من كلا ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات
 نفسه على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى وذلك لان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبليّة
 فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت واذا سمع الرسول
 صلى الله عليه وسلم هذه القصص وعلم أن حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل
 الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه * الفائدة الثانية قوله تعالى (وجاهد في هذه الحق) أي
 في السورة وعليه أكثر أوفي هذه الانبياء المقتصة فيها وقال الحسن في هذه الدنيا قال الرازي
 وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع لانه لم يجز للدنيا ذكر حتى يعود الضمير لها (فان قيل) قد جاءه
 الحق في غير هذه السورة بل القرآن كله حق وصدق (أجيب) بأنه انما خصم بالذكر تشرىفها
 (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وخصمهم بالذكر لا لتقاعسهم بذلك بخلاف الكفار فذكر تعالى
 أمورا ثلاثة الحق والموعظة والذكرى أما الحق فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد
 والعدل والنبوة والمعاد وأما الموعظة فهي اشارة الى السفر عن الدنيا وتبجج أحوالها وأما
 الذكرى فهي اشارة الى الإرشاد الى الاعمال النافذة الصالحة في الدار الآخرة ولما بلغ تعالى
 الغاية في الانذار والاعذار والترغيب والترهيب أتبع ذلك بأن قال لرسوله صلى الله عليه وسلم
 (وقل للذين لا يؤمنون أعمالوا على مكاتكم) أي حالكم وفيه وعيد وتهديد وان كانت صيغته
 صيغة الامر فهو كقوله تعالى لا يلبس واستغفر من استغفرت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك

ورجلت وقر أشعبة بعد الذون بالق على الجمع والباقون بغير ألف على الأفراد (أنا عاملون) أي على حالنا التي أمرنا بها (واستأزوا) أي ما بعدكم الشيطان به من الخذلان (أنا منتظرون) أي ما يحل بكم من نعم الله تعالى وعذابه فهو ما نزل على أمثالكم وقبيل أنا منتظرون ما وعدنا الرحمن من أنواع الغفران والاحسان ثم أنه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة فقال (ولله غيب السموات والأرض) أي علم ما غاب فيها ما فعله سبحانه وتعالى نافذ في جميع مخلوقاته خفيها وجليلها (واليه) أي لا إلى غيره (يرجع الأمر كله) أي إليه يرجع أمر الخلق كله في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وحفص بن غصم الباء وفتح الجيم على البناء للمفعول والباقون بفتح الباء وكسر الجيم ولما كان أول درجات السيرة إلى الله تعالى عبوديته وآخرها التوكل عليه قال تعالى (فاعبده) ولا تستغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) أي تق به في جميع أمورك فإنه كافيك (ومارك بغافل عما تعملون) فيحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء على المطالب والباقون بالياء على الغيبة * (فائدة) * قال كعب الأحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود وقول اليسئواي تعالى ثم خشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وضاح وشعيب ولو لم وابن هبم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء حديث موضوع

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية كلها﴾

مائة واحد عشر آية وعدد كلماتها ألف وتسع مائة وست وتسعون كلمة
وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي وسع كل شيء قدرة وعلم (الرحمن) لجميع خلقه المئين لهم طريق الهدى (الرحيم) الذي خص خزبه بالابعاد عن مواطن الردى وقوله تعالى (الر) تقدم الكلام على أوائل السور أول سورة البقرة وقرأ ورش باللاملة بين بين وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحجزة والكسائي باللاملة المحضة والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول هذه السورة فعن سعيد بن جبيرة أنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتلوه على قومه فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فزت هذه السورة فتلاها عليهم فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها أمثاني فقالوا لو ذكرتنا فنزل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وعن ابن عباس أنه قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة وقوله تعالى (تلك) إشارة إلى آيات هذه السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة المسماة بالر هي (آيات السكاب) أي القرآن (المئين) أي المئين فيه الهدى والرشد والحلال والحرام المظهر للحق من الباطل الذي ثبت فيه قصص الأولين والآخرين وشرحت فيه أحوال المتقدمين (أنا أنزلناه) أي الكتاب (قرأنا غريباً) أي بلغه العرب لكي يعلموا معانيه ويفهموا ما فيه أروى أن علماء اليهود قالوا

لكبراء المشركين اسألوا محمد الم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف
 فانزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بالفاظ عربية ليتمكنوا من
 فهمها والتقدير اننا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف حال كونه قرأنا عن بنيان وسمى بعض
 القرآن قرآن الان القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض (لعلكم) بأهل مكة (تعلقون) أي
 ارادة ان تفهموا وتحيطوا بعمانيه ولا يلتبس عليكم ولوجعلناه قرآنًا محمداً قالوا والوافصلت
 آياته واختلف العلماء هل في القرآن شيء بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن
 لسانا بغير العربية فقد أعظم على الله القول واحتجهم هذه الآية اننا أنزلناه قرآنًا عربيا وروى عن
 ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب من سجيل ومسكاة واليم واستعبرق
 وجمع بعض المفسرين بين القولين بأن هذه الالفاظ لما تكلمت به العرب ودارت على ألسنتهم
 صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها انسبت اليهم
 وصارت لهم لغة وهو جمع حسن (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي أحسن الاقتصاص
 لانه اقتصر على أبداع الاساليب والقصص اتباع الخبر بعضه بعضا وأصله في اللغة من قص الاثر
 اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى
 اننا نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان أو قصة يوسف عليه
 السلام خاصة وسميها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح
 للذين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء
 وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك قال خالد بن معدان في سورة يوسف ومريم يتفكده فيها
 أهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الاستراح اليها (بما) أي بسبب
 ما (أوحينا) أي بأخبارنا (اليك) يا محمد (هذا القرآن) الذي قالوا فيه انه مفترى فحين يتابع
 القصص القصص بعد القصص حتى لا يشك شك ولا يعتري ممتزئة من عند الله (وان كنت من
 قبله) أي ايجابنا اليك أو هذا القرآن (لمن الغافلين) أي عن قصة يوسف واخوته لانه صلى الله
 عليه وسلم انما علم ذلك بالوحي وقيل لمن الغافلين عن الدين والشرعية وان هي الخففة من
 الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين الناقية وقوله تعالى (اذ قال يوسف لاهله) بدل من
 أحسن القصص أو منصوب بإضمار اذ كرو يوسف اسم عبري وقيل عربي ورد بأنه لو كان
 عربيا لصرف وسئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسف العبد
 واجتمع في يوسف فسمي به وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الكريم ابن
 الكريم ابن الكريم ابن يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقوله (يا أبت) أصله
 يا أبي فعوض عن الباء التانيث لتساها في الزيادة ولذلك قلنا ابن كثير وابن عامر هاهنا في
 الوقف ووقف الباقر بالتاء كالرسم وفي الوصل بالتاء للجميع وفتح التاء في الوصل ابن عامر
 وكسر هاء الباقر (انني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) قال أهل التفسير رأى يوسف
 عليه الصلاة والسلام في منامه وكان ابن اثني عشرة سنة وقيل سبع عشرة وقيل سبع سنين

لسلة الجمعة وكانت ليلة القدر كان أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر
 فسجدوا له وفسروا الكواكب باخوته وكانوا أحد عشر يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم
 والشمس والقمر بأية وأتمه يجعل الشمس للام لانها مؤنثة والقمر للاب لانهم مذكروا والذي رواه
 البيضاوي تبعا للكشاف عن جابر من أنهم وديا قال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن النجوم
 التي رآهن يوسف فأخبره بأسمائها فقال اليهودي اى والله انها الاسماؤها قال ابن الجوزي
 انه موضوع وقوله (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرار
 لان الرؤية الاولى تدل على أنه شاهد الكواكب والشمس والقمر. والثانية تدل على أنه شاهد
 كونهم ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قيل له
 كيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وقال آخرون يجوز أن يكون أحدهما من الرؤية
 والاخر من الرؤيا وهذا القائل لم يبين أن أيهما يحمل على الرؤية وأيها يحمل على الرؤيا
 قال الرازى قد ذكر قول الجمل غير مبين (فان قيل) قوله رأيتهم وقوله ساجدين لا يليق
 الا بالعقلاء والكواكب جادات فكيف جاءت اللفظة المخصوصة بالعقلاء في حق الجمادات
 (أجيب) بأنها لما وصفت بالسجود ضارت كأنها تعقل وأخبر عنها كما أخبر عن يعقل كما قال
 تعالى في صفة الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يصرون وكفى قوله تعالى يا أيها النمل
 ادخلوا مساكنكم (فان قيل) لم أفرد الشمس والقمر بالذكر مع أنهم من جملة الكواكب
 (أجيب) بأنه أفردهم مالم يفضلهم ما وشرفهم ما على سائر الكواكب كقوله تعالى وما لا تثكنه
 وجبريل وميكال وهل المراد بالسجود نفس السجود حقيقة أو التواضع كالأهـ ما محتمل
 والاصل في الكلام محله على الحقيقة قال أهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد
 الحب ليوسف عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظنوا ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف
 هذه الرؤيا وكان تأويلها أن أبوه واخوته يخضعون له وخاف عليه حسدهم وبغيتهم
 (قال) له أبوه (يا بني) بصيغة التصغير للشفقة أول صغر سنه على ما تقدم وقرأ حفص
 في الوصل بفتح الباء والباقون بالكسر والتشديد للجميع (لا تقتصر رؤياك على اخوتك)
 أى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فكيد والكيد) أى فيصتالوا في هلاكك
 (فان قيل) لم يقل فيكيد ولم يقل فكيدونى (أجيب) بأن هذه اللام تأكيده للصلة بكقوله
 لرؤيا تعبرون وكقوله نصحتك ونصحت لك وشكوتك وشكوتك وقيل صلة بكقوله لرؤيا
 يرهبون (ان الشيطان للانسان عدو مبين) أى ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء فلا يألوا
 جهدا في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وعن أبي قتادة قال كنت
 ارأى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والحلم
 من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحبه فلا يحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فلا يحدث به
 وليقتل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرفا فانها لا تضرمه وعن أبي
 سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من

الله فليصمد الله عليهما وليحدث بهما. وإذا رأى غير ذلك مما يكره فأنما هي من الشيطان
 فليسته مد بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تنضرم. وعن أبي رزين العقيلي أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال: رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر
 ما لم يحدث بها فإذا حدثت بهما سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها إلا ليبياً أوحياً
 وانما أضيفت الرؤيا المحبوبة إلى الله إضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وإن كانتا جميعاً
 من خلق الله تعالى وتدبيره وإرادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروهة ويرفعها
 فيستحب إذا رأى الشخص في منامه ما يجب أن يحدث به من يجب وإذا رأى ما يكره فلا
 يحدث به وليستعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليقتل ثلاثاً وليتحول عن جنبه الآخر
 فانها لا تنضرم فإن الله تعالى جعل هذه الأسباب سبباً لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة
 سبباً لوقاية المال قال الحكماء: إن الرؤيا الرديئة تظهر تعبيرها عن قريب والرؤيا الجيدة إنما
 يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب فيه أن رجة الله تعالى تقتضي أن لا يحصل الأعلام بوصول
 الشر إلا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الأعلام بالخبر فانه يحصل
 متقدماً على ظهوره زمن طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب وقوع حضور ذلك الخير
 أكثر وأتم ولهذا لم تظهر رؤيا يوسف عليه السلام إلا بعد أربعين سنة وهو قول أكثر المفسرين
 وقال الحسن البصري: كان بينهم ما ثمانون سنة حتى اجتمع على ابويه وإخوته وخر واله ساجدين
 (وكذلك) أي وكما اجتنبك ذلك الإطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكال
 نفس (بجيتيك) أي بختار له ويصطفيك (وبك) بالدرجات العالية واجتباؤه الله تخصيصه بفيض
 الهوى يحصل منه أنواع المرامات بلا سعي من العبد وذلك مخصوص بالانبياء وبعض من
 يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين وقوله (وبك) كلام مستأنف خارج عن التشبيه
 والتقدير وهو يعلمك (من) أي بعض (تأويل الأحاديث) من تأويل الرؤيا وغيرها من
 كتب الله تعالى والأخبار المروية عن الأنبياء المتقدمين وكان يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا
 وغيرها غاية والتأويل ما تولى إليه عاقبة الأمر (ويعتد عليه) بالنبوة قال ابن عباس لأن
 منصب النبوة أي ومع الرسالة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الأنبياء فهذا
 من تمام النعمة عليهم لأن جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة والنبوة فالكمال المطلق
 والتمام المطلق في حق البشر ليس إلا النبوة والرسالة وقيل بجيتيك بالنبوة ويعتد عليه
 بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما سعادات الدنيا فلا كثار من الأولاد والخدم والاتباع
 والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الشئاء والمجد وأما سعادات الآخرة
 فالعلوم الكثيرة والأخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي
 أولاده وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر
 فلزم حصولها لآل يعقوب وأيضاً أن يوسف عليه السلام قال إنى رأيت أحد عشر كوكباً وكان
 تأويله أحد عشر نفساً لهم فضل وكال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الأرض لأنه لا شئ أضوأ

من السكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضى أن تكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسل (فان قيل)
 كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام
 (أجيب) بأن ذلك وقع منهم قبل النبوة والعصمة من المعاصي انما تعتبر بعد النبوة لا قبلها على
 خلاف فيه (كما أتمها على أبيك) بالنبوة والرسالة وقيل اتمام النعمة على ابراهيم عليه السلام
 خلاصه من النار واتخاذهم خلافا على اسحق خلاصه من الذبح وفداؤه بذبح عظيم على قول ان
 اسحق هو الذبح (من قبل) أى من قبل هذا الزمان وقوله (ابراهيم واسحق) عطف بيان
 لابيوك ثم ان يعقوب عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بقوله (ان ربك
 عليم) أى بليخ العلم (حكيم) أى بليخ الحكمة وهى وضع الاشياء فى ألقن مواضعها (أقد كان
 فى) خبز (يوسف واخوته) وهم أحد عشر يهوذا وروبل وشمعون ولاوى وزبولون
 قال البقاعى بزاي وباء موحدة وبشجر وأتمهم ليان بنت ليمان وهى ابنة خال يعقوب وولده
 من سر يسين احدهما زاني والاخرى يلقم كذا قاله البغوى وقال الرازى والاخرى بلهمة
 أربعة اولاد وأسماؤهم دان ونفتالى قال البقاعى بنون مفتوحة وفاء ساكنة ومثناة فوقية
 ولا من بعدهما وبجاد وأشر ثم توفيت لما فترج باختيار ارحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل
 جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ (آيات) أى علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته
 فى كل شئ (للسائلين) عن قصصهم قال الرازى ولان لم يسأل عنها وهو كقول تعالى فى أربعة أيام
 سواء للسائلين وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود سألوه عن قصة يوسف
 وقيل سألوه عن سبب انتقال ولدي يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر فذكر لهم قصة يوسف
 فوجدوها موافقة لما فى التوراة فحببوا منه فكان دلالته على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه
 لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يخالس العلماء وأصحاب الاخبار ولم يأخذ عنهم شيئا فدل ذلك على
 أن ما أتى به وحى سماوى وأوحاه الله تعالى اليه وعرفه به وهذه السورة تشتمل على أنواع من
 العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف عليه السلام وما حقق الله تعالى فيها من حسد اخواته
 وما آل اليه أمره من الملائكة ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه
 أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر وقرأ ابن كثير آية
 على التوحيد والباقون على الجمع (آذ) أى واذا كراذ (قالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعض
 بعد أن بلغتهم الرؤيا وقالوا ما يرضى أن تسجد له اخوته حتى يسجد له أبواهم (ليوسف واخوته)
 أى بنيامين (أحب الى أيتامنا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا
 ان زيادة محبة لهما أمر ثابت لاشبهة فيه وخبر المبتدأ أحب ووجدلان أفضل يستوى
 فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان أم مؤنثا اذ لم يعرف أو لم يصف وقيل اللام لام قسم تقديره
 والله ليوسف وانما قالوا واخوه وهم جميعا اخوته لان أتمهما كانت واحدة والواو فى قولهم
 (ونحن عصبه) والواو الحال أى يفضلهم فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما
 ولا منفعة ونحن جماعة أقوىاء نقوم برافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما الفضل لنا بالصكرثرة

والمنفعة عليهما والعصبة والعصاة العشرة فافوقها وقيل الى الاربعين سمو بذلك لانهم
 جماعة تعصب بهم الامور ويستكني بهم النوايب (ان ابا نالي ضلال) أي خطا (مبين)
 أي بين في اثاره حب يوسف وأخيه عليهما والقرب المقتضى للحب في كلنا واحد لانافي النبوة
 سواء ولنا منزلة تقتضي تفضيلنا وهي انا عصبة لنا من النفع له والذب عنه والكفاية
 ما ليس لهما * (تنبيه) ههنا سؤالات الاول ان من المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على
 بعض يورث الحقد والحسد فلم أقدم يعقوب عليه السلام على ذلك (أجيب) بأنه انما فضلهم
 في المحبة والمحبة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيها ولا يلحقه في ذلك لوم * الثاني كيف
 اعترضوا على أيهم وهم يعلمون انه نبي وهم مؤمنون به وأجيب بانهم وان كانوا
 مؤمنين بنبوته لكن جوزوا أن يكون فعله باجتهاد ثم ان اجتهادهم أدى الى تخطئة أيهم
 في ذلك الاجتهاد لكونهم أكبر سنا وأكثر نفعا وغاب عنهم ان تخصص مصهما بالبر كان لوجه
 أحدهما أن أمهما ماتت ثانيها أنه كان في يوسف من آثار الرشد والنجابة ما لم يجده في سائر
 أولاده ثالثها أنه وان كان صغيرا إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى وأشرف
 مما كان يصدر عن سائر أولاده والحاصل أن هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل
 النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الخصمين في دين الآخر
 الثالث أنهم نسبوا آباهم الى الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد لا الضلال
 في الدين * الرابع أن قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أيينا منا محض حسد والحسد من أمتها
 الكائر لاسما وقد أقدموا بسبب ذلك الحسد على أمور مذمومة منها قولهم (اقتلوا يوسف
 وأطرحوه أرضا) أي بحيث يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه ومنها القاؤه في ذل العبودية
 ومنها أنهم أبقوا آباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم ومنها اقدمهم على الكذب وكل ذلك
 يقدر في العصمة والنبوة (أجيب) بما تقدم أن ذلك كان قبل النبوة وقرأ نافع وابن كثير
 وهشام والكسائي بضم التنوين من مبين في الوصل والباقون بالكسر فان وقف القارئ على
 مبين وامتنع في الابتداء يتدبى بالضم للجميع وقولهم (يخل لكم وجه أيكم) جواب الامر
 أي يصف لكم وجه أيكم فيقبل بكيته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يرازعكم في محبته
 أحد وقولهم (وتكفروا) مجزوم بالعطف على يخل لكم أو منصوب باضمار ان (عن بعده)
 أي قبل يوسف وأطرحه (قوموا صالحين) بأن توبوا الى الله تعالى بعد فعلكم فانه يعفو عنكم
 وقال مقاتل يصلح أمركم فيما بينكم وبين أيكم (قال قائل منهم) هو يرمي وذاوذن أحسنهم رأيا فيه
 وهو الذي قال فلن أبرح الارض وقيل رويل وكان أكبرهم سنا (لا تقتلوا يوسف وألقوه)
 أي أطرحوه (في غيابة الجب) أي في أسفله وظلمته والغيابة كل موضع سترشأ وغيبه عن النظر
 قال القائل فان أنا بوما غيتني غيابتني * فسيروا يسرى في العشرة والاهل
 ارادوا به حفرة التي يدفن فيها والجب البئر الكبيرة التي ليست مطوية تحت جبالها انما قطعت
 قطعاً ولم يحصل فيها شيء غير القطع من طي أو ما أشبهه وانما ذكر الغيابة مع الجب دلالة على

أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب لا يلحقه نظر الناظرين قال بعض أهل العلم إنهم
 عزموا على قتله وعصمه الله تعالى رجة بهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعين واختلف في موضع ذلك
 الجب فقال قتادة هو بيت المقدس وقال وهب هو بأرض الأردن وقال مقاتل هو على ثلاثة
 فراسخ من منزل يعقوب وقرأ نافع بألف بين الياء والتاء على الجمع والباقون بغير ألف على
 التوحيد (يلتقطه) أي يأخذه (بعض السيارة) جمع سيار أي المبالغ في السير وذلك الجب
 كان معروفاً رده عليه كثير من المسافرين فاذا أخذوه ذهبوا به إلى ناحية أخرى فستريح منه
 (إن كنتم فاعلين) أي ما أردتم من التفريق فاكنفوا بذلك ولما أجمعوا على التفريق بين
 يوسف وأبيه بضرب من الخيل (قالوا) اعمالاً للعبلة في الوصول إليه مستغفهيهم على وجه
 التعجب لأنه كان أحسن منهم السوء فكان يحذرهم عليه (يأبأباً ما لك لا تأمناء على يوسف
 و) (الحال) (إن الله لياستحيون) أي فاعلمون بحسنته وحفظه * (تنبيه) * اتفق القراء على إخفاء
 النون الساكنة عند النون المتحركة وانفقوا أيضاً على ادغامها مع الهمزة (أرسله مع غداً)
 أي إلى البحراء (ترجع) أي تنسج في أكل القواكه ونحوها وأصل الرجع أكل البهائم
 في الخصب في زمن الربيع ويستعار للانسان إذا أريد به الأكل الكثير (ونلعب) روى
 أنه قيل لابي عمرو كيف يقولون نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وأيضاً جاز أن يكون
 المراد باللعب الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 لما عرفه لا بكر اتلاعيها وتلاعبك وأيضاً كان لعينهم الاستباق والاتصال والغرض منه
 المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم أنا ذهبتناستبق وانما سموه لعباً لأنه
 في صورته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء وسكن العين
 أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي وكسرها الباقون في الوصل ولقبيل وجه آخر
 وهو أنه ثبت الياء في ترجع بعد العين وقفاً ووصلاً (وان الله لحافظون) أي يبلغون في الحفظ له
 حتى نرده اليك سالماً قال أبو يمان واتصب غداً على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق
 على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد وأصل غداً غداً وغذفت الواو
 انتهت ثم إن يعقوب عليه السلام اعتذر لهم بعد ذلك الأول ما حكاه الله تعالى عنه بقوله (قال
 آني ليحزنني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب لأنه كان
 لا يقدراً أن يصبر عنه ساعة وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي
 والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) بالرفع واللعب أو إلقاه اهتمامكم به
 وكان يعقوب عليه السلام رأى في النوم أن الذئب شد على يوسف فكان يحذره من أجل هذا
 ذكر ذلك وكأنه لفتنهم العلة وفي أمثال العرب السلام فكل بالمنطق والمراد به الجنس وكانت
 أرضهم كثيرة الذئاب (قالوا) يحسبن عن الثاني عما يلين الاب لا رساله مؤكدين لتطبيب خاطره
 دالين على القسم بلامه (لئن أكله الذئب ونحن) أي والحال أنا (عصبة) أي جماعة عشيرة
 رجال بمنزلهم تعصب الامور وتكفي الخطوب وأجابوا عن القسم بما أغنى عن جواب الذئب

يقولهم (أنا إذا) أي إذا كان هذا (الطاسرون) أي كاملون في الخسارة لانا إذا ضيعنا أمانا
فمن لمساواه من أموالنا أشد تضيقا وأعرضوا عن جواب الاقل لأن حقدهم وغيظهم
كان بسبب العذر الاول وهو شدة حبه فلما سمعوا ذلك المعنى تغافلوا عنه وأقله أن يقولوا
ما وجه الشح بفراده يوما والسماح بفرادنا كل يوم وقرأ الذيب ورش والسوسى والكسافى
بإبدال الهمزة ياء وقفوا وصلوا وحزوا وقالا وصلا والباقون بالهمزة وقفوا وصلوا وقوله تعالى
(فلما ذهبوا به) فيه اضمحاض واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه
في غيابة الجب) أي وعزموا على القائه فيها ولا بد من تقدير جواب وهو جعلوه فيها وحذف
الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذكور دليلا عليه وهنا كذلك قال وهب وغيره
من أهل السير والخبار أن اخوة يوسف قالوا له ما تشاق أن تخرج معنا الى مواشينا فتصيد
وتستبق قال بلى قالوا فاسأل أباك أن يرسل معنا قال يوسف أفعل فدخلوا جميعا على أبيهم
وقالوا يا أبانا ان يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال
نعم يا أبت انى أرى من اخوتي اللين واللفظ فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب عليه الصلاة
والسلام يكره مفارقتهم ويحب مرضاه فآذن له فأرسله معهم فلما خرج جوابه من عندهم جعلوا
يحملونه على رقابهم وأبوهم ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء ألقوه على الارض
وأطروا الهامى أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعلوا كلما جاء الى
واحد منهم واستغاث به يضربه فلم ير منهم رحما فاضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبناء
ويا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من اخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبناء ما أسرع ما نسوا
عهده وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذه روبيل فخلده به الارض ثم جلس على صدره وأراد قتله
فقال له مه لا يا أختي لا تقتلنى فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام الكاذبة قل لروياك
تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف يهودا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين
من يريد قتلى فأدركه رجلة ورقة فقال له يا اخوتاه ما على هذا عاهدتوني فأنظروا به
الى الجب ليطرحوه فيه فجاءوا به على بئر على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا
يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي
أستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال انى لم أر
شيئا ألقوه فيها وكان في البئر ما فسقط فيه ثم أوى الى حفرة كانت في البئر فقام عليه فنادوه
فظن أنهم ارجوه أدركته فأجابهم فأرادوا أن يضربوه بصخرة ليقتلوه فنعهم يهودا من ذلك وكان
يهودا يأتيه بالطعام ويبقى فيها ثلاث ليال (وأوحينا اليه) في الجب في صغره وهو ابن سبع
عشرة سنة أودونها كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام في صغرها وفي القصص ان
ابراهيم عليه السلام حين أتى في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من
حرير الجنة فألبسه اياه ودفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعل يعقوب
في حمية علقها بيوسف فأخرجها جبريل وألبسه اياها (لثيبتهم) أي لتخبرهم بعد هذا اليوم

(بأمرهم) أي بصنعهم (هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أي أنك يوسف اعلو شأنك وبعد عن
 أوهامهم وطول العهد المغير للهيأت كما قال تعالى فعرّفهم وهم له منكرون والمقصود من ذلك
 تقوية قلبه وأنه سيخلص بما هو فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم وبصبرون تحت أمره
 ونهيه وقهره روى أنهم لما دخلوا عليه لطلب الحنطة عرفهم وهم له منكرون ودعوا بالصواع
 فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال أنه ليخبرني هذا الجمام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له
 يوسف فطر حقه وقلم لا يبيكم أكله الذئب وقيل لا يشعرون بأبيهم إنما اليك وأنت في البر بأنك
 ستجبرهم بصنعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم أنهم لو عرفوه فرجما زاد احسد لهم
 وكانوا يقصدون قتله وقيل إن المراد من هذا الوحي الإلهام كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم
 موسى وقوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل (و) لما كان من المعلوم أنه ليس بعد هذا الفعل
 الذي فعلوه إلا الاعتذار (جاءوا أباهم) دون يوسف (عشاء) في ظلمة الليل لا ليتقرس أبوههم
 في وجوههم إذا رآهم في ضياء النهار ضده ما جاءوا به من الاعتذار وقد قيل لا تغلب
 الحاجة في الليل فإن الحياة في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتستلج في الاعتذار
 (يكون) والبكاء بغير الدمع من العين والآية تدل على أنه لا يدل على الصدق لاحتمال
 التصنع روى أن امرأة طاعت إلى شريح فبكت فقال الشعبي يا أبا أمية أمارها تبكي
 فقال قد جاء أخوة يوسف يكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للإنسان أن يقضي إلا بالحق فعند
 ذلك فزع يعقوب عليه السلام فقال هل أصابكم في غمكم شيء قالوا لا قال فما فعل يوسف (قالوا)
 يا أبانا انا ذهبنا نسبق قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
 لا سبق إلا في خف أو نضل أو حافر يعني بالنضل الرمي وقيل العدو ولتبتين أينما أسرع عدوا
 (وتركنا يوسف) أخانا (عند متاعنا) أي ما كان معنا مما نحتاج إليه في ذلك الوقت من ثياب
 وزاد ونحو ذلك (فأكله) أي فتسبب عن انقراذه أن أكله (الذئب وما) أي والحال أنك ما
 (أنت بمؤمن) أي بمصدق لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أمانة (لنا ولو كأمصادقين) في هذه القصة
 لمحبة يوسف عندك فكيف وأنت تسيء الظن بنا وقيل لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا
 وإن كنا صادقين عند الله تعالى (و) لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أمانة (جاءوا على قيصه) أي يوسف
 عليه السلام (بدم كذب) قال القراء أي مكذوب فيه إلا أنه وصفه بالمصدر على تقدير ذي كذب أو
 مكذوب أطلق على المصدر مبالغة لأنه غير مطابق للواقع لأنهم ادّعوا أنه دم يوسف عليه السلام
 والواقع أنه دم محله ذبحوها ولطخوا القميص بذلك الدم قال القاضي ولعل غرضهم
 في نزع قيصه عند القائه في غيابة الحب أن يفعلوا هذا تو كيد الصدقهم اذ بعد أن يفعلوا
 ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المغصية من أن يقترب بها الخذلان فلورقوه مع الخنث
 بالدم لكان الاتهام أقوى فلما شاهد يعقوب عليه السلام القميص جميعا علم كذبهم
 روى أن يعقوب عليه السلام أخذ القميص منهم وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
 بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالدم ذبا أحلم من هذا كل ابنى ولم يترك قيصه * (تنبيه)

على قيصه محله النصب على الظرفية كأنه قيل وجأوا فوق قيصه بدم كما تقول جاء على جماله بأجماله ولا يصح أن يكون حالا متقدمة لأن حال المجرور لا يتقدم عليه قال الشعبي قصة يوسف كاهنا في قيصه وذلك أنهم لما ألقوه في الحب نزعوا قيصه ولطخوه بالدم وعرضوه على أبيه ولما شهد الشاهد قال إن كان قيصه قد من قبل ولما أتى بقميصه الى يعقوب وألقى على وجهه ارتد بصيرا ثم ذكر تعالى أن اخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) أي زينت (لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه به واختلقت في السبب الذي عرف به كونهم كاذبين على وجوه الاقول أنه كان يعرف الحسد الشديد في قلوبهم الثاني كان عالما بأنه حتى لأنه عليه السلام قال ليوسف وكذلك يحتسبك ربك وذلك دليل على كذبهم في ذلك القول الثالث أنه لما رأى قيصه صحيحا قال كذبتم لوأكله الذئب لخرق ثوبه وقيل أنه لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلاه وتركا قيصه وهم الى قيصه أخرج منهم الى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف بسبب ذلك كذبهم وقوله (فصبر جميل) مرفوع بالابتداء لكونه موصوفا وخبره محذوف والتقدير فصبر جميل أولى من الجزع ومنهم من أضمر المبتدأ قال الخليل الذي أفعله صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وقال الفراء فهو صبر جميل وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر الجميل فقال صبر لا شكوى فيه فن بن لم يصبر كما قال يعقوب إنما أشكوى بني وحزني الى الله وقال مجاهد فصبر جميل من غير جزع وقال الثوري إن من الصبر أن لا تحدث بوجعك ولا بصمتك ولا تترك نفسك وروى أن يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه وكان يرفعهما بخرقه فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحران فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني فقال يا رب خطيئة أخطأتم أفاغفرها لي وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الإفك أنها قالت والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن اعتذرت لا تعذروني فتدلى ومثلكم كمثل يعقوب وولده والله المستعان على ما تصفون فأنزل الله تعالى في عذرهما ما أنزل وقوله فصبر جميل يدل على أن الصبر على قسمين قدي يكون جميلا وقدي يكون غير جميل فالصبر الجميل أن ينكشف له أن هذا البلاء من الحق فاستغراقه في شهود نور المبلى بمنعه من الاشتغال بالشكايه من البلاء ولذلك قيل المحبة التامة لا ترد ادبا للوفاء ولا تنقص بالحقاء لانهم الوازدادت بالوفاء لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض فهذا هو الصبر الجميل وأما الصبر لا للرضا بقضاء الله تعالى بل كان لسائر الأغراض فذلك الصبر لا يكون جميلا (فان قيل) الصبر على قضاء الله تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين فغير واجب بل الواجب إزالة لاسيما في الضرر العائد الى الغير فلم يصبر يعقوب على ذلك ولم يبالغ في البحت مع شدة رغبته في حضور يوسف ونهاية حبه له وكان من بيت عظيم شريف وكان الناس يعرفونه ويعتقدون فيه (أجيب) بأنه يحتمل أن يكون منبع من الطلب يوحى تشديد اللعنة عليه زيادة في أجره أو أنه لو بالغ في البحت لعماء أقدموا على إيذائه ولم يمكنوه من الطلب والفحص

فرأى أن الاصبوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلمة الى الله تعالى وقال (والله
 المستعان) أي المطلب منه العون (على ما تصفون) أي تذكرون من أمر يوسف والمعنى أن
 اقدامه على الصبر لا يكون الاجعونة لله تعالى لأن الدواعي النفسانية تدعوه الى اظهار الجزع
 وهي قوينة والدواعي الروحانية تدعوه الى الصبر فكان الحاربة وقعت بين الصنفين فلم تحصل
 اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة فقوله فصبر جميل يحجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان
 على ما تصفون يحجرى قوله ويا المستعين * ولما أراد الله تعالى خلاص يوسف من الحب بين
 سبيه بقوله تعالى (وجاءت سيطرة) وهم القوم المسافرون سمو بذلك لانهم يسفرون في الارض
 وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فانطلقوا بهمون على غير طريق
 فهبطوا على أرض فيها حب يوسف وكان الحب في قفرة بعيدة عن العمران أي لم يكن
 الا للارعاة روى أن ماله كان لمخاف ذبح حين ألقى يوسف فيه فلما نزلوا أرسلوا رجلا يقال له
 مالك بن ذعر اطلب الماء فذلك قوله تعالى (فأرسلوا واردهم) أي الذي يريد الماء ليستقي منه
 والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشمية والدلاء (فأدلى) أي أرسل (دلوه) في
 البئر يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها والدلو معروف والجمع الدلاء
 فلما أرسلها تعاقب بالحبل يوسف عليه السلام فلما خرج فاذا هو بسلام أحسن ما يكون قال
 صلى الله عليه وسلم أعطي يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت
 جدته قد أعطيت سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وأمه بئلى الحسن وحكى الثعلبي
 عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه بعد الشعر فخنم العينين مستوى الخلق
 أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خفيص البطن صغير السرة وكان
 اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من شيايه لا يستطيع أحد
 وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصورة
 قبل أن يصب الخطيئة فلما رآه مالك بن ذعر (قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة
 لنفسه كأنه قال تعالى فهذا أوانك وعن الاعمش أنه قال دعا امرأة مها بشرى فقال يا بشرى
 وعن السدي أن المدلى نادى صاحبه وكان اسمه بشرى فقال يا بشرى كما قرأه حزة وعاصم
 والكسائي فانهم قرؤا بحذف الياء بعد الالف والباقون بأثبات الياء وقيل ذهب به فلما دنا من
 أصحابه ضاح بذلك وروى أن جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين أخرجه منها واختلف
 في ضمير (وأسرته بضاعة) الى من يعوده وفيه قرآن الاوّل أنه عائدا الى الوارد وأصحابه
 أخفوا من الرفقة أنهم وجدوه بالحب وذلك أنهم قالوا ان قلنا للسيارة المتقطناه شاركونا وان
 قلنا اشتريناها سألونا الشركة فالاصوب أن نقول ان أهلا لنا جاعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه
 لهم بمصر والثاني ونقل عن ابن عباس أنه قال وأسروهم بمعنى اخوة يوسف أسروا شأنه وذلك
 أن يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فلم يجده في البئر فأخبر اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر
 وأصحابه نزول فأقنوههم فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبدنا أتى منا وتابعهم يوسف على ذلك

لانهم توقعوه بالقتل بلسان العبرانية قال الرازي والاول اولى لان قوله واسر وبضاعة يدل
 على أن المراد أنهم أسرهم وحال ما حكموا بأنه بضاعة وذلك انما يليق بالوارد لا باخوة يوسف
 * (تنبيه) * البضاعة القطعة من المال تبجل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعتة قال الزجاج
 وبضاعة منصوب على الحال كانه قال واسر وهو حال ما جعلوه بضاعة ولما جعل تعالى هذا البلاء
 سببا للوصول الى مصر ثم صارت وقائعها الى أن صار ملكا بعصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم
 فكان العمل الذي عملته الاعداء في دفعه عن ذلك المطلوب صيره الله تعالى سببا لحصول ذلك
 المطلوب فلهذا المعنى قال تعالى (والله عليم) أي بالغ العلم (بما يعملون) أي لم يخف عليه ما فعلوه
 يوسف وأبيهم (وسرهم) أي باعوه اذ قد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى
 بعته وانما جعل هذا الشراء على البيع لان الضمير في سرهم وفي كانوا فيه من الزاهدين يرجع
 الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير يعود الى مالك بن زعر
 وأصحابه وعلى هذا يكون لفظ الشراء على أبيه وقال محمد بن اسحق ربك أعلم أاخوته باعوه
 أم السبارة واختلفوا في معنى قوله تعالى (بئس بنحس) فقال الضحالة أي حرام لان عن الحر
 حرام وسعى الحرام بنحس لانه مجنوس البركة وقال ابن مسعود أي زبوف وقال عكرمة أي
 بئس قليل ويدل ايذا قوله تعالى (دراهم معدودة) لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان
 أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون مادونها اعدا اذا بلغتها وهي أوقية وزونها واختلفوا
 في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس كانت عشرين درهما فاقسموها درهمين درهمين وعلى
 هذا لم يأخذ أخوه بنيامين شقيقه منها شيئا وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما وقال
 عكرمة أربعين درهما (وكانوا) أي اخوته (فيه) أي يوسف (من الزاهدين) لانهم لم يعلموا منزلته
 عند الله تعالى ومعنى الزهد قلته الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه وأصله القلة
 يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم
 تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه وقيل الضمير في كانوا السبارة لانهم
 التقطوه والمثقف للشيء منها ونبه خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه لاجرم باعوه بأوكس
 الاثمان روى في الاخبار أن مالك بن زعر انطلق هو وأصحابه يوسف وتبعهم اخوته يقولون
 اسمعوا وتقوامنه لانه أبى فذهبوا به حتى أتوا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه بقطيع
 أو اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والمالك يومئذ الريان بن الوليد رجل من
 العمالق وقد آمن يوسف ومات في حياة يوسف فلما بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف
 الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة
 واستورزه ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله تعالى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث
 وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان المالك في أيامه فرعون موسى عاش
 أربع مائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
 من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين أبيضين

وقال وهب بن منبه قدمت السيارة يوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع
 فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وكان وزنه
 أربع مائة رطل وكان عمره حينئذ سبع عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطيفر
 من مالِك بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته) واسمها زليخا
 وقيل راعيل (أكرمي مثواه) قال الرازي اعلم ان شيئاً من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن
 ولم يثبت أيضاً في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات فاللائق
 بالعاقل أن يحترز من ذكرها انتهى ولكن البغوي ذكرها وتبعه على ذلك جماعة من المفسرين
 واللام في امرأته متعلقة بقال لا بأشتره والمثوى موضع الإقامة أي اجعلني منزلي ومقامه
 عندنا كريماً أي حسننا مرضياً يدل على قول يوسف انه ربي أحسن مثواي والمراد بتقديمه
 بالاحسان وتعهديه بحسن الملكية حتى تكون نفسه طيبة في صحبة أساكنة في كنفنا قال
 المحققون أمر العزيز امرأته باكرام مثواه دون اكرام نفسه يدل على أنه كان ينظر اليه على
 سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالي ولما أمر باكرام مثواه
 علل ذلك بأن قال (عسى أن ينفعنا) أي يقوم باصلاح مهماتنا وينفعه بالربح ان أردنا بيعه
 (أو نتخذة ولداً) أي تنبأه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز
 يوسف حيث قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب حين قالت لا يها في موسى
 استأجره وأبو بكر في عمر حيث استخلفه (وكذلك) أي وكما يجنيه من القتل والحب وعطفنا
 عليه قلب العزيز (مكاليوسف في الارض) أي أرض مصر قال البقاعي التي هي كالارض
 كلها لكثرة منافعها بالملك فيها التمكنه من الحكم بالعدل والنبوة وقوله تعالى (ولنعلمه من
 تأويل الاحاديث) أي تعبیر الرؤيا عطف على مقدر متعلق عكاً أي لنمكنه أو لوازئدة
 (والله غالب على أمره) أي الامر الذي يريد له الله تعالى فعال لما يريد ولا دافع لقضائه ولا مانع
 عن حكمه في أرضه وسماؤه وعلى أمر يوسف أراد اخوته قتله فغلب أمره عليهم وأرادوا أن
 يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب أمره وظهر اسمه واشتهر ثم باعوه ليهكون مملوكاً
 فغلب الله أمره حتى صار ملكاً وسجداً بين يديه ثم أرادوا أن يضربوا أباهم ويطيّبوا قلبه
 حتى يخلو لهم وجهه فغلب أمره تعالى فأظهره على مكرهم واحتمات عليه امرأه العزيز
 لتخذه عن نفسه فغلب أمره تعالى فعصمه حتى لم يمسسوه بل هرب منه غاية الهرب ثم بذلت
 جهدها في اذلاله والقاء التهمة عليه فأبى الله تعالى الا اعزازه وبرائه ثم أراد يوسف عليه
 السلام ذكر الساقى له فغلب أمره تعالى فأفساه ذكره حتى مضى الاجل الذي ضرب به الله تعالى
 له وكمن أمر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد الى أنه لا أمر لغيره (ولكن أكثر الناس)
 وهم الكفار (لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله تعالى أو أن أكثر الناس لا يعلمون ما هو صانع
 يوسف وما يريد منه فن تأمل في الدنيا وعجائب أحوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء
 الله تعالى غالب * ولما بين تعالى أن اخوته أساءوا اليه وصبر على تلك الشدائد والحن ومكنه

في الارض اتبع الامر بتمام النعمة عليه بقوله تعالى (ولما بلغ أشده) أي منتهى شبابه وقوته
 وشده تقول العرب بلغ فلان أشده إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته وهذا اللفظ مستعمل
 في الواحد والجمع يقال بلغ فلان أشده وبلغوا أشدهم وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال السدي بلغ
 ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين وقيل
 أقصاه اثنان وستون سنة قال الأطباء إن الانسان يحدث في أقول الامر ويزيد كل يوم شيئاً فشيئاً
 إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال ثم يأخذ في التراجع إلى أن ينتهي إلى العدم والحق كالقمر (آتيته
 حكماً) أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكمايين الناس (وعلماً) أي علم تأويل الاحاديث وقيل
 المراد بالحكم النبوة والرسالة وتقدم أن قوله تعالى وأوحينا أنه وحى حقيقة قال الرازي فلا
 يبعد أن يقال إن ذلك الوحي اليه في ذلك الوقت لا لاجل بعثته إلى الخلق بل لاجل تقوية قلبه
 وإزالة الحزن عن صدره ولاجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام (وكذلك) أي ومثل
 ذلك الجزاء الذي جزى الله به (تجزي المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضاً يعني
 المهتمدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام وعن الحسن
 من أحسن عبادة ربه في شيعته آتاه الله الحكمة في آياته * ولما أخبر تعالى أن سبب النعمة
 عليه إحسانه اتبعه دليله فقال تعالى (وراودته التي هو في بيتها) أي امرأة العزيز راودت يوسف
 (عن نفسه) لأن المارة في غاية الحسن والجمال طمعت فيه ويقال إن زوجهما كان عاجزاً
 والمرادة مفاعلة من راوودا إذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل
 الخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتمل أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهو
 عبارة عن التمثل لمواقفه أياها (وعلق الابواب) أي أطبقها وكانت سبعة والتشديد للتكثير
 أو للمبالغة في الايثاق لأن مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية لاسيما إذا كان حراماً ومع
 قيام الخوف الشديد (وقالت) له (هيت) أي تهيأت وقصعت (لث) خاصة فاقبل إلى وامتثل
 أمرى قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويدوصه ومه ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة
 وقرأ فافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقرأ هشام بعد الهاء بهمزة ساكنة والباقون
 بياء ساكنة وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتحها والباقون بالفتح (قال) أي يوسف عليه السلام (معاذ
 الله) أي أعوذ بالله واعتصم به وألجأ اليه مما تدعيني اليه (أنه) أي الذي اشتراني (ربى) أي
 سدي (أحسن مشواي) أي أكرم منزلي فلا أخونه في أهله وقيل أنه أي الله ربى أحسن مشواي
 أي آواني ومن بلاء الجلب أنجاني (أنه لا يفلق الظالمون) أي إن فعلت هذه الفعلة فأنا ظالم ولا يفلق
 الظالمون (ولقد همت به وهم بها) أي قصدت لمخالطته وقصدت لمخالطتها والهم بالشئ قصده
 والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بشئ أعاضه والمراد به متهميل الطبع ومنازعة
 الشهوة لا القصد الاختباري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر
 الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل
 الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضامثل هم امرأة العزيز

فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم
 يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل كما روى عن أبي هريرة رضي الله
 تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا
 أكتبها حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشرة أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة
 فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها قال في الكشف ويجوز أن يريد بقوله
 وهم به أشارف أن بهم بها كما يقول الرجل قتله لولم أخف الله يريد مشاركة القتل ومشافهته
 كأنه شرع فيه (ولأن رأى) أى بعين قلبه (برهان ربه) أى الذى آتاه إياه من الحكم والعلم
 أى لهم به الكنه كان البرهان حاضر الديه حضور من براه بالعين فلم بهم أصلاً مع كونه فى غاية
 الاستعداد لذلك لما آتاه الله تعالى من القوة مع كونه فى سن الشباب فلولا المراقبة لهم به التوفير
 الداعى غير أن نور الشهود محاسنها أصل وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه عليه السلام مع أنه
 الذى تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء
 وأن السجين أحب إليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزأ من أراد
 بأهلك سوءاً الآية من مطلق الإرادة ومع ما يتعمم من تقدير ما ذكر بعد لولا فى خصوص هذا
 التركيب من أساليب كلام العرب فإنه يجب أن يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه
 ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولان ربنا على قلبها أى لا بدت به وأما ما ورد
 عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس الجامع وبأنه
 حل تكسراويله وقعد بين شعبها الأربع وهى مستقلة على قفاها ومن تفسير البرهان بأنه سمع
 صوتا ياله وإياها فلم يكثر له فسمعها نائيا فلم يعمل به فسمعها ثالثاً عرض عنها فلم يجمع فيه حتى
 مثل له يعقوب عاضاً على أتمته وقيل ضرب يده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل
 ولدي يعقوب ولده اثنا عشر ولداً الا يوسف فإنه ولده أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته
 حين هم وقيل صبح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زان قاعد لا ريش له وقيل بدت
 كصف فيما بينهم ما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وأن عليكم لحافظين كراما كاتين
 فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقر بوالزنا أنه كان فاحشة وساء سبيها فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا
 يوم ترجعون فيه الى الله فلم يجمع فيه فقال الله تعالى بل جبريل عليه السلام أدركه عبدى قبل أن
 يدرك الخطيئة فاشط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان
 الانبياء وقيل رأى عمال العزيز وقيل قامت المرأة الى عنقه كان هناك فسترته وقالت أستحي أن
 يرانا فقال يوسف استحييت بما لا يسمع ولا يصر ولا أستحي من الجميع العليم بذات الصدور فلم
 يصح منه شئ عن أحد منهم مع أن هذه الأقوال التى وردت عنهم إذا جمعت تنافضت وتكاذبت
 قال الزمخشري وهذا ونحوه ممن يورده أهل الجبر والحشو الذين دينهم بهت لله وأنبيائه
 فأخزى الله أولئك فى إرادهم ما يؤدى الى أن يكون انزال الله السورة التى هى أحسن القصص
 فى القرآن العربى المبين ليقسدى بنى من أنبياء الله تعالى فيما ذكره وأهل العدل والتوحيد

ليسوا من مقاتلهم ورواياتهم بحمد الله بسيل وأطال في رد ذلك وكذا فعل الرازي وقيل وهم
 بها أي بزجرها وعظها وقيل هم بها أي غمها امتناعه منها وقيل هم بها أي نظرا إليها وقيل هم
 بضر بها ودفعتها وقيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء عن إلى يوسف عليه
 السلام ميل شهوة حتى نبأ الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبة كل من رآه عن حسنه
 (كذلك) أي مثل ذلك التثبيت تنبته في كل أمر (لنصرف عنه سوء) أي الهمم بالزنا وغيره
 (والفحشاء) أي الزنا وغيره وقيل سوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء
 هي الزنا فكانه قيل لم فعل به هذا فقيل انه (من عبادنا) أي الذين عظمناهم (المخلصين) أي في
 عبادتنا الذين هم خير صرف لا يخالطهم غش وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام
 بعد الخاء والباقون بالفتح قال الرازي فوروده باسم الفاعل دل على كونه آتيا بالطاعات
 والقربات مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه
 لحضرته وعلى كلا اللفظين فانه من أدل الالفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه وهذا مع قول
 ابليس لا غوينهم أجمعين الاعداء منهم المخلصين شهادة من ابليس أن يوسف عليه السلام برى
 من الهم فمن نسبته إلى الهم ان كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان
 كانوا من أتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته قال ولعلمهم بقولون كافي
 أول الامر فلا مذهب ابليس الا نازنا وبخرا عليه في السقاغة كما قال الجزوري

وكنتم قتي من جند ابليس فارتقى * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى
 فلو مات قبلي كنت أحسن بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

ثم ذكر سبحانه وتعالى مبالغته في الامتناع بالحد في الهرب دلبلا على اخلاصه وأنه لم يهجم أصلا
 فقال (واستبقا الباب) أي أوجد المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا الهرب منها وهذه لمنعه
 فكل منهما بذل أقصى جهده في السبق فحقته عند الباب الاقصى مع أنه قد كان سبقها بقوة
 الرجولية وقوة الداعية إلى الفرار إلى الله تعالى ولكن عاقبة اتقان المكر بكون الابواب كانت
 مغلقة فكان يستغل بفتحها فعلق بأدنى ما وصلت اليه من قبضه وهو ما كان من ورائه
 خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هو عنها وهربه منها ففتحها فأراد الخروج ففتحته (و) لم
 تزل تنازعته حتى (قذبت) أي شقت (قبضه) وكان القصد (من در) أي الناحية من الخلف منه
 وانقطعت منه قطعة فبقيت في يدها (وألقيا) أي وجدا (سيداها) أي زوجها اقطير وهو العزيز
 تقول المرأة لبعولها سيدى ولم يقل سيدهما الا لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة
 (لدى) أي عند (الباب) جالس مع ابن عم المرأة (فان قيل) كيف وجد الباب وقد جمعه في قوله
 وغلقت الابواب (أجيب) بانه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار
 فقد دروى كعب الاحبار ان يوسف لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من
 الابواب فلما رأت المرأة ابن عمها حاسنه وخافت التهمة فسأبت يوسف بالقول (وقالت)
 (زوجها) ماجرا (من أراد باهلك سوءا) أي فاحشة زنا وغيره ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة

حبها له فقالت (الآن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب اليم) أي مؤلم بأن يضرب بالسياط ونحوها وانما بدأت بالسجن قبل العذاب لأن الحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوما ويومين ولم ترد السجن الطويل فأنه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال في حق موسى عليه السلام في قوله لئن اتخذت الهاغيري لأجعلنك من المسجونين فلما سمع يوسف عليه السلام مقالها (قال) مبرئاً نفسه (هي) بضمير الغيبة لاستحيائه بمواجهتها بإشارة أو ضمير خطاب (راودتني عن نفسي) أي طلبت مني الفاحشة فأبيت وفرت منها وذلك أن يوسف عليه السلام ما كان يريد أن يذ كر ذلك القول ولا يهتك سترها ولا يكت لمأ قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى إزالة هذه التهمة عن نفسه وصدقه لعمرى فيما قال لا يحتاج الى بيان أكثر من الحال الذي كان فيه وهو أنهم سمعوا عند الباب ولو كان الطلب منه لما كان الا في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت وأشرف موضع فيه وأيضا هو عبد لهم والعبد لا يمكنه أن يتسلط على مولاه الى هذا الحال وأيضا أن المرأة زينت نفسها على أكل الوجوه وأما يوسف فما كان عليه أثر من آثار تزيين النفس فكان الخاق هذه الفتنة بالمرأة أو لى ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه برى من الريب وان المرأة هي المذنبه وهو قوله تعالى (شهد شاهد من أهلها) أي وحكمكم حاكمكم من أهل المرأة واختلفوا في هذا الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى كرامة ليوسف عليه السلام وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال تكلم في المهد أربعة وهم صغار شاهد يوسف وابن ماسطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب رواه الامام أحمد وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع أمه فزركب حسن الهيئة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وبهذا الاعتبار صاروا خمسة وزاد الثعلبي سادسا وهو يحيى بن زكريا عليه ما السلام وزاد غيره على ذلك ولعل الحصر فيما ذكر في الحديث كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض وأوصلهم السيوطي الى أحد عشر ونظمهم فقال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخند وديريه مسلم
وطفل عليه مهر بالامة التي * يقال لها تني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقالت طائفة عظيمة من المفسرين انها كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليهم ا فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا أنا لا ندري أيكما قد قام صاحبه ولكن (آن كان قميصه قدّم من قبل) أي من قدّام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدّم من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) لانه لو لا ادباره

منها واقبالها عليه لما وقع ذلك فعرف سيد حاصمة ذلك بلا شبهة كما قال تعالى (فلما رأى) أى
 سيدها (قيصه) أى يوسف عليه السلام (قد من دبر قال) لها زوجها قاطع وقد قطع بصدقه
 وكذبها موكد الاجل انكارها (أنه) أى هذا القذف له (من كيد كن) معشر النساء
 والكيد طاب الانسان بما يكره (ان كيد كن عظيم) والعظيم ما ينقص مقدر غيره عنه حسا
 أو معنى (فان قيل) كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
 وهلا كان مكر الرجال أقوى من مكر النساء (أجيب) بأن الانسان ضعيف بالنسبة لخلق
 ما هو أعظم منه كخلق السموات والارض وبأن كيدهن أدق من كيد الرجال والطف وأخفى
 لأن الشيطان عليهن لتقصهن أقدر ومكرهن في هذا الباب أعظم من كيد جميع البشر
 لأن لهن من المكر والحيل والكيد في اتمام مراءهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب
 ولأن كيدهن في هذا الباب يورث العار ما لا يورثه كيد الرجال ولما ظهر للقوم براءة يوسف
 من ذلك الفعل المنكر حكى تعالى أنه قال (يوسف) أى يا يوسف (اعرض) أى انصرف بكليتك
 مجاوزا (عن هذا) الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع وينشر بين الناس ثم التفت الى المرأة
 وقال لها (واستغفري ذنبك) أى توبى الى الله تعالى عما رميت يوسف به من الخطيئة وهو يرى
 منها (انك كنت من الخاطئين) أى الاتمين قال أبو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة
 فاكتفى منها بالاستغفار وقيل ان القائل المذكور هو الشاهد (فان قيل) كيف قال من الخاطئين
 بلفظ التذكير (أجيب) بأنه قال ذلك تغليباً للذكور على الاناث وأن المراد انك من نسل
 الخاطئين فمن ذلك النسل سرى ذلك العرق الخبيث فيك ثم شاع الخبر واشهر (وقال نسوة)
 أى وقال جماعة من النساء وكن نجسا امرأة الى ابي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب
 وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيشه غير حقيقي
 واذلك لم يلحق فعلا تاء التأنيث وقوله (في المدينة) أى مدينة مصر طرف أى أشعن الحكاية في
 مصر واصفة نسوة وقيل مدينة عين شمس (امرات العزيز) وانما أضفها الى زوجها ارادة
 لإشاعة الخبر لأن النفس الى سماع أخبارا ولى الاخطار أميل ويردن قطفير والعزير الملك
 بلسان العرب ورسم امرأة بالتاء المجرورة ووقف عليه ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء
 والباقون بالتاء وأما الروصل فهو بالتاء للجميع (تراودفتها) أى عبدها الكنعاني يقال فتأى
 وفتسأى أى عبدى وجارىتى (عن نفسه) أى تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها (قد شغفها حبا)
 أى شغاف قلبها وهو حجاب حتى وصل الى فؤادها وجب انصب على التمييز وقيل جلدة رقيقة
 يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والحب * مكان انشغاف بتبعيه الاصابع

وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الشين والساقون بالادغام (انا
 لتراها) أى نعم لم أرها علما هو كالروية (في ضلال) أى خطا (مين) أى بين ظاهر حيث تركت
 ما يجب على أمثالها من العقاب والستر بسبب حبها اياه (فلما سمعت) زليخا (بمكرهن) أى قولهن

وانما سمى ذلك مكررا لوجوه الاول ان النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعاهن رؤية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن انهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتهمد عذرهما عندهن الثاني ان زليخا أسرّت اليهن جهال يوسف عليه السلام وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما أظهرن السر كان ذلك مكررا الثالث انهن وقعن في غيبتها والغيبة انما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر (أرسلت اليهن) تدعوهن لتقيم عذرهما عندهن قال وهب اتخذت مأدبة وودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتي فيهن الخمس (واعتمدت) أى أعددت (لهن متكا) أى طعما ما يقطع بالسكين وهو الاترج وانما سمى الطعام متكا لانه يتكا عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتسكا * وشربنا الخلال من قلله

والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث لانهم كانوا يتكثرون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك جاء النهي عنه في الحديث أن يأكل الرجل متكنا وقال صلى الله عليه وسلم لا آكل متكنا وقيل انه أزيلت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضع الوسايد ودعت النسوة الاثني عشرها بحجب يوسف عليه السلام (وأتيت) أى أعطت (كل واحدة منهن سكيناً) أى لئلا كل بها وكانت عادت من أن يأكل اللحم والزواك بالسكين (وقالت زليخا ليوسف عليه السلام اخرج عليهن) أى النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينت به واختبأته في مكان وقرأ أبو عمرو وعاصم وحجة والكسائي بكسر التاء في الوصل والباقون بالضم وأما الابداء فجميع القراء يبتدون الهزبة بالضم (فلما رأيته) أى النسوة (أكبرته) أى أعظمته ودهشن عند رؤيته اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرنه بحجبتن الجمال الفائق والحسن الكامل وكان يوسف قد أعطى شطرا لحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت يوسف ليلة أسرى بي الى السماء كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال ابن اسحق كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يلاّ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ويقال انه ورث حسن آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى قبل أن يخرج من الجنة وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرنه يعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حضت وحققة دخلت في الكبر لانها بالحض تخرج من حدة الصغر الى حدة الكبر وكانت أبا الطبيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واسترذا الجمال ببرقع * فان لحث حاضت في الخدور العواتق

وقيل آمنين قال السكيت

ولما رأته الخليل من رأس شاقق * صهلان وأمنين المنى المدفقا

وقال الرازي انما أكبرنه لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات وشاهدن فيه شهادة الهيبة وهيبته ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتماد عليهن وكان الجمال العظيم مقروبا تلك الهيبة فوقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن

(وقطعن أيديهن) أي جرحنها بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج ولم يجدن الا لم من فرط الدهشة يوسف وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن حاش لله) أي تنزيها له الرسم بغير ألف بعد الشين وقرأ أبو عمر وفي الوصل دون الوقف بألف بعد الشين والباقون بغير الف وقفاً ووصلاً (ما هذا) أي يوسف عليه السلام (بشراً) وأعمال ما عمل ليس هي اللغة القديحية الجبازية وبديل عليها هذه الآية وقوله تعالى ما هن أمهاتهم (أن) أي ما (هذا الاملاك كريم) أي على الله لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النعمة البشرية فان الجمع بين الجمال الرائي والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة (قالت) أي زليخا للنسوة لما رأت يوسف ودهش عند رؤيته (قد ليكن) أي فهذا هو (الذي لمتني فيه) أي في محبته قبل أن تتصوره حق صورته ولو تصورته بما عاينت لعذرتني ثم انما صرحت بما فعلت فقالت (واقدر راودته عن نفسه فاستعصم) أي فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبت وانما صرحت بذلك لانها علمت انها لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم قالت (وان لم يفعل ما أمره) أي وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (ليسجنن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونا من الصاغرين) أي الذليلين المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعيتك اليه فاختر يوسف عليه السلام السجن على ما دعت اليه فلذلك (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه) وان كان هذا مما تشبهه النفس وذلك مما تنكره نظراً الى العاقبة فان الاول فيه الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة والثاني فيه المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة (فان قيل) ان الدعاء كان منها فلم أضافه اليهن جميعاً (أجيب) بأنهن خوفنه من مخالفتها وزيين له مطاوعتها وقيل انهن دعونه الى أنفسهن قال بعض العلماء لو لم يقل السجن أحب الي لم يتسل بالسجن والاولى بالبعد أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الله الصبر بقوله له سألت الله البلاء فاسأله العافية رواه الترمذي (والا) أي وان لم (تصرف عني كيدهن) أي فيما أردن مني بالتثبيت على العصمة (أصب) أي أمل (اليهن) يقال صبا فلان الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن) أي أضر (من الجاهلين) أي من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح وفي ذلك دليل على أن من ارتكب ذنباً انما يرتكبه عن جهالة والقصد بذلك الدعاء ولذلك قال تعالى (فاستجاب له ربه) أي فأجاب الله تعالى دعاءه الذي تضمنه هذا الشئ لان الكريم يغنيه التلويح عن التصريح كما قيل

إذا أتى عليك المرء يوماً * كفالك من تعرضه النساء

(فصرف عنه كيدهن) أي فثبتته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) أي لدعاء المتجئين اليه (العليم) أي للضماير والنيات فيجب ما صرح فيه القصد وطاب منه العزم (ثم بدأ) أي ظهر (لهم) أي العزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) أي الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقتل القهص وقطع النساء أيديهن واستعصام عنهن (ليسجننه حتى) أي الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس وذلك ان

المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه
 وأنا لا أقدر على اظهار عذري فاما أن تاذن لي فأخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستني
 فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى يسقط عن السنة الناس ذكر هذا الحديث
 وحتى تقل الفضيحة فحبسه * (تنبيه) * في فاعل بدا أربعة أوجه أحسنها انه ضمير يعود على
 السجن بفتح السين أي ظهر لهم حبسه والثاني ان الفاعل ضمير المصدر المقهور من الفعل وهو
 بدا أي بدا لهم بداء والثالث انه مضمير يدل عليه السياق أي بدا لهم رأى والرابع أنه محذوف
 وليس حبسه قائم مقامه أي بدا لهم السجن مخذوف وأقيمت الجملة مقامه وليس الجملة فاعلا لان
 الجمل لا تكون كذلك وقيل الحبس هنا خمس سنين وقيل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس
 يوسف اثنتي عشرة سنة وقال الرازي والصحيح ان هذه المقادير غير معلومة وانما القدر المعلوم انه
 بقي مسجوناً مدة طويلة لقوله تعالى واذكر بعد أمة وعن عكرمة قال قال رجل ذورأي للعزيز
 متى تركت هذا العبد يعتذر الى الناس ويقص عليهم أمره فتركه في بيته لا يخرج الى الناس
 فان خرج للناس عذروه وفضحوا أهلك فأمر به فسجن (ودخل معه السجن قتيان) وهما
 غلامان كانا للوليد بن زوان العمليقي ملك مصر الأكبر أحدهما مخبازه صاحب طعامه
 والاخر ساقيه صاحب شرابه غضب الملك عليهم ما خبسهما وكان السبب فيه ان جماعة من
 أشرف مصر أرادوا المكر بالملك واعتبأه وقتله فضعفوا الهذين الغلامين ما لا على أن يسما الملك
 في طعامه وشرابه فأجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم
 الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال
 الخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرى فلم يضره وقال الخباز
 كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلك فأمر بحبسهما وكان يوسف عليه
 السلام حين دخل السجن قال لاهله اني أعبر الاحلام فقال أحد القتيين لصاحبه هلم فلنجرب
 هذا العبد العبراني فنتراى له رؤيا قال ابن مسعود وما رأيا شأوا وانما الما ليحزب يوسف وقال قوم
 بل كانا رأيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما صاحبا الملك
 حبسهما وقد رأيا رؤيا فقامت يوسف قصصا على تماريما (قال أحدهما) وهو صاحب
 شراب الملك (انني أراني أعصر خجرا) (فان قيسل) كيف يعقل عصر الخمر (أجيب) عن ذلك
 بثلاثة أقوال أحدها أن يكون المعنى أعصر عتب خمر أي العنب الذي يكون عصيره خمر
 مخذوف المضاف الثاني ان العرب تسمى الشيء باسم ما يؤول اليه تقول فلان يطبخ دبا وهو يطبخ
 عصيرا الثالث قال أبو صالح أزد وعمان يسمون العنب بالخمر ف وقعت هذه اللفظة الى أهل مكة
 فنطقوا بها قال الخصال نزل القرآن بالسنة جميع العرب وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأنني
 في بستان واذا فيه شجرة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فخنيت او كان كأس
 الملك يدي فعصرته فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر اني أراني أجعل فوق رأسي خبزا
 تأكل الطير منه) وذلك انه قال رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان

الطعام وسباع الطير تنهش منه (بنينا) أى أخبرنا (بتأويله) أى بتفسيره (اننا نراك من المحنين)
أى فى علم التفسير لانه متى عبر لم يخطئ كما قال وعلمتني من تأويل الاحاديث وقيل فى أمر الدين
لانه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فانه كان يصوم اثنى عشر يوم الليل كله
ومن كان كذلك فانه يوثق بما يقوله فى تعبير الرؤيا وفى سائر الامور وقيل فى حق الشركاء
والاصحاب لانه كان يعود مرضاهم ويؤنس حزينهم واذ اذاق على أحدهم وسع عليه واذا
احتاج أحدهم جمع له شياً قيل انه لما دخل السجن وجد قوماً اشتد بلاؤهم وانقطع رجاءهم
وطال حزنهم فجعل يسكنهم ويقول اصبروا وابشروا وتوحيروا فافقه ولون بارك الله فيك يا فتى
ما أحسن وجهك وخلقت وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف
ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن والله يا فتى
لو استطعت نخلت سبيلك ولكن سأحسدن جوارك فكمن فى أى بيوت السجن شئت وروى
أن القسطنطين لما رأى يوسف قال لقد أحببتك حين رأيتك فقال لهما يوسف أشدكما الله أن لا تحيانى
فوالله ما أحببني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحببتني عتي فدخل على بلاء ثم أحببني
أبى فألقيت فى الحب وأحببتني امرأة العزيز فخبت فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبر
لهما ما سألاهما لما علم فى ذلك من المكروه على أحدهما (قال) معرض عن سؤالهما أخذ فى غيره
من اظهار المعجزة فى الدعاء الى التوحيد (لا يا تيسك طعام ترزقانه) أى فى منامك (الانباتك)
(بتأويله) أى فى البقطة (قيل أن يا تيسك) تأويله وقيل أراد به فى البقطة يقول لا يا تيسك طعام
ترزقانه من منازلكم اطعمانه الانباتك بتأويله بقدره ولونه والوقت الذى يصل اليك قبل
أن يصل وأى طعام أكلتم ومتى أكلتم وهذه المعجزة عيسى عليه السلام حيث قال وأنبئكم
بما أنا كلون وما تدخرون فى سيوتكم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم
فقال ما أنا بكاهن (ذلكم) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمنى ربي) وفى ذلك
حث على ايمانهم ثم قواه بقوله (انى تركت ملة) أى دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون) وكره اذ ظهروا له التأكيد لشدة انكارهم للمعاد وما ادعى يوسف عليه السلام النبوة
وأظهر المعجزة أظهر أنه من أهل بيت النبوة بقوله (وانتبع ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب)
ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوه اليه من التوحيد فان الانسان متى ادعى حرفة آية
وحدة لم يستبعد ذلك منه وأيضاً فكل درجة ابراهيم واسحق ويعقوب أمر مشهور فى الدنيا
فاذا أظهر أنهم آباؤه عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان اقيادهم له أتم وتأثير لولهم
بكلامه أكل (فان قيل) انه كان نبياً فكيف قال اتبع ملة آبائى والنبي لا بد وأن يكون
مختصاً بشريعة نفسه (أجيب) بأن أمره التوحيد الذى لا يتغير وأمره كان رسولا من عند الله
تعالى الا انه كان نبى على شريعة ابراهيم عليه السلام وقرأ عاصم وحزرة والكسائى يسكون
ياء آبائى والباقون بالفتح (ما كان) أى ماصح (لنا) معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) لأن الله
تعالى طهره وطهر آباءه عن الكفر ونظيره قوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد وانما قال من شئ

لأن أمتاف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد
 الكواكب ومنهم من يعبد الملائكة فتقوله من شيء رد على هؤلاء الطوائف وارشاد إلى الدين
 الحق وهو أنه لا موجد ولا خالق ولا رازق الا الله (ذلك) أي التوحيد (من فضل الله علينا)
 بالوحى (وعلى الناس) أي سائرهم ببعثنا الارشادهم وتبليغهم عليه (ولكن أكثر الناس) أي
 المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذه النعمة التي أنعم الله تعالى بهم عليهم لانهم تركوا عبادته
 وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الايمان فقال (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن
 فأضافه ما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة تسروق فيها غير مسروقة فكذلك
 السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام أو ياسا كنى
 السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار (أأرباب) أي آلهة
 (مقترون) أي متباينون من ذهب وفضة وصقر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير
 ومتوسط وغير ذلك (خير) أي أعظم في صفة المدح وأولى بالطاعة (أم الله الواحد القهار)
 أي المتوحد بالالوهية الذي لا يغالب ولا يشارك في الربوبية غيره خير والاستفهام للتعريض
 وفي الهزتين في أرباب من القراءات ما في أنذرهم وقدمت (فان قيل) هل يجوز التفاضل بين
 الاصنام وبين الله تعالى حتى يقال انه اخير أم الله (أجيب) بأن ذلك خرج على سبيل الفرض
 والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخير فهي خير أم الله الواحد القهار * ثم بين عجز الاصنام
 فقال (ما تعبدون) وانما خاطبهم بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالثنية في المخاطبة لانه أراد جميع
 من في السجن من المشركين والعبادة خضوع القلب في أعلى مراتب الخضوع وبين حقارة
 معبوداتهم وسفالتها بقوله (من دونه) أي الله الذي قام البرهان على الهيئته وعلى اختصاصه
 بذلك (الآسماء) وبين ما يريد وأوضحه بقوله (سميتموها) أي ذوات أوجدتم لها أسماء (أنتم)
 سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جاد خالية عن المعنى لاحقيقة لها (وأباؤكم) من قبلكم
 سموها كذلك (ما أنزل الله بها) أي بعبادتها (من سلطان) أي حجة وبرهان (أن الحكم)
 أي ما الحكم (آلله) أي المختص بصفات السكال والحكم فصل الامر عما تدعو اليه الحكمة
 (أمر) وهو النافذ الامر المطاع الحكم (أن لا تعبدوا الاياه) لانه المستحق للعبادة لاهذه
 الاسماء التي سميتموها آلهة * ولما أقام الدليل على هذا الوجه الذي كان جديرا بالإشارة الى فضله
 أشار اليه بأداة البعد تنبيهها على علو مقامه وعظيم شأنه فقال (ذلك) أي الشأن الاعظم وهو
 توحيدهم وافرادهم عن خلقه (الدين القيم) أي المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس)
 وهم الكفار (لا يعلمون) ما يسيرون اليه من العذاب فيشركون * ولما أقر يوسف عليه السلام
 أمر التوحيد والنبوة عاد الى الجواب عن السؤال الذي ذكره فقال (يا صاحبي السجن) أي
 الذي يحصل فيه الانكسار للنفس والرقعة في القلب فتخلص فيه المودة ولما كان في الجواب
 ما يسهو الخبائر بهم ليجوز كل منهما انه الفائز فان ألقاه الى التعيين كان ذلك عذرا له في الخروج
 عن الايق فقال (أما أحدكم) وهو صاحب شراب الملك (فيسق ربه) أي سيده (خرا) على

عادته والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعوه الملك فيرده الى رتبته التي كان عليها هذا وتاويل رؤياه (وأما الآخر) وهو صاحب طعام الملك (فصلب) والسلال الثلاثة ثلاثة أيام ويدعوه الملك فيصلبه (قتل كل الطير من رأسه) هذا وتاويل رؤياه قال ابن مسعود فلما سمع قول يوسف عليه السلام قالاماً يأنساً أنما كأن لعب فقال لهما يوسف عليه السلام (قضى) أى تم (الامر الذى فيه تستقيان) أى تطلبان الاقتناء فيه عمل بالبقوة فسألتما عن تأويله وهو تعبير رؤيا كما كذبنا أو صدقنا ألم أقله عن جهل ولا غلط (وقال) يوسف عليه السلام (لذى ظن) أى علم وتحقق فالظن أى العلم لانه قاله عن وحى لقوله قضى الامر ويجوز أن يكون ضمير ظن الساقى فهو حينئذ على بابيه (أنه نأج منه) وهو الساقى (أذكرنى عند ربك) أى سيدك ملك مصر بما رأيت منى من معالى الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدى مما ربيت به والمراد بالرب هنا غير المراد به في قوله أأرباب متفرقون فنجبا الساقى وصلب صاحبه وفق ما قاله لهما يوسف عليه السلام واختلف في ضمير (فأنساه الشيطان ذكر ربه) على قولين أحدهما أنه يعود الى الساقى وهو قول جماعة من المفسرين أى فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وعليه أكثر المفسرين أنه يرجع الى يوسف عليه السلام وقال الرازى أنه الحق أى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه تعالى حتى استعان بخلق مثله وتلك غفلة عرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالخلق في رفع الظلم جائزة في الشريعة الا ان حسنات الابرايسات المقررين فهذا وان كان جائز العامة الخلق الا ان الاولى بالصديقين أن يقطعوا وانظرهم عن الاسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا بالاسباب الاسباب فلهذا صار يوسف عليه السلام مواخذا بهذا القول ولم يؤاخذه تعالى في تلك القصة البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فنعلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرأ مما نسب اليه الجهال والحشوية اليه (فان قيل) كيف يمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه (أجيب) بأن ذلك انما كان شغل خاطر وأما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه واختلف في قدر البضع في قوله تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) فقال مجاهد ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس ما دون العشرة قال البغوى وأكثر المفسرين ان البضع في هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملة اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أبواب البلا سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لا طيلق حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قابى كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا بكته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث ثم بكى الحسن وقال فحن اذا نزل بنا بلا ففرغنا الى الناس ذكره المعلى مر سلا وبغير سند وقال الحسن أيضا دخل جبريل على يوسف عليهما السلام في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا أخا المنذرين ما لى أراك بين

الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر يا ابن الطاهر ين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك
 أما استحييت مني واستشفعت لادميين فوعزتي لا لبنتك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو
 في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا بألي وقال كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك
 من خلقت قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن حببك الى أهلك قال الله قال فمن
 أنجالك من كرب البر قال الله تعالى قال فمن صرف عنك سوء القبحاء قال الله قال فكيف
 استشفعت بأدمي مثلك قال محمد بن عمر الرازي في تفسيره والذي جربته من أقول عمرى الى آخره
 ان الانسان كلما عول في أمر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك سببا للبلاء والمحنة والشدة
 والرزنة واذا عول على الله تعالى ولم يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن
 الوجوه فهذه التجربة قد استقرت لي من أقول عمرى الى هذا الوقت الذي بلغت الى السابع
 والخمسين فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للانسان في التعويل على شيء سوى فضل الله
 تعالى وأحسناته * ولما نادى فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رؤيا
 عجيبه هائلة كما قال تعالى (وقال الملك انى أرى) أى رأيت عبر بالمضارع حكاية الحال لشدّة
 ما هاله من ذلك (سبع بقرات سمان) أى خرجن من نحر ربابس والسمن زيادة البدن من الشحم
 واللحم وسمان جمع سمينة ويجمع سمين أيضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال رجال
 كرام ونساء كرام (يا كهّن) أى يتلعهن (سبع) أى من البقر (بحاف) جمع بحفا أى مهازيل
 خرجن من ذلك النهر * (تنبيه) * جمع بحفا على بحاف والقياس بحف نحو حواء وحجر جلاله على
 سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظم على التظليل والنقيض على النقيض (و) انى أرى (سبع
 سنبلات خضر) أى قد انقعد حبا (و) انى أرى سبع سنبلات (آخر بابسات) أى قد أدركت
 فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان طالعها بما نص من حال
 البقرات والسنبلة نبات كالقصبه فيها حلة محبوب منتظمة فكانه قيل فكان ماذا قيل قال
 الملك بعد أن جمع السحرة والكهنة والمعبرين (يا بهائم اللام) أى الاشراف النبلاء الذين علا
 العيون مناظرهم والقلوب ماثرهم (أفتوتى فى رؤياى) أى أخبرونى بتأويلها (ان كنتم للرؤيا
 تعبرون) أى ان كنتم علمين بعبارة الرؤيا فاعبروها * (تنبيه) * اللام فى الرؤيا من زيادة فلا تعلق
 لها بشئ وزيد لتقدم المعمول تقوية للعامل كما زيدت اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال
 لما يريد ولا تزداد فيما عدا ذلك الا ضرورة وقيل ضمن تعبرون معنى ما يتعدى باللام تقديره ان كنتم
 تتدبرون لعبارة الرؤيا وقيل متعلقة بمعدوف على أنها البيان كقوله تعالى وكأنا فاعيه من
 الزاهدين تقديره أعنى فيه وكذلك هذا تقديره أعنى للرؤيا وعلى هذا يكون مفعول تعبرون
 محذوف تقديره تعبرونها وفى الآية ما يوجب حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما
 قالوا فقيل (قالوا) هذه الرؤيا (أضغاث) أى اخلاط (أحلام) مختلطة مختلفة مشبهة جمع ضغث
 بكسر الصاد واسكان الغين المعجمة وهى قبضة حبشيس مختلطة الرطب باليابس والاحلام جمع حلم
 بضم الحاء واسكان اللام وضما وهو الرؤيا فقيدها بالاضغاث وهو ما يكون من الرؤيا باطلا

لكونه من حديث النفس ووسوسة الشيطان لكونها تشبه أخلط النبات التي لا تناسب بينها
 لأن الرؤيا تارة تكون من الملك وهي الصحيحة وتارة تكون من تحزين الشيطان وتخليطاته
 وتارة من حديث النفس ثم قالوا (وما نحن) أي بأجمعنا (بتأويل الاحلام) أي المنامات الباطلة
 (بعالمين) أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية للتعذر
 ولما سأل الملك عن هذه الرؤيا واعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب تذكروا ذلك الشرابي واقعة
 يوسف عليه السلام لانه كان يعتقد فيه كونه متبحراً في هذا العلم كما قال تعالى (وقال الذي نجا)
 أي خلص (منهما) أي من صاحبي السجن وهو الشرابي ان في الحبس رجلاً فاضلا صالحا
 كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والخباز عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق في كل ما ذكر وما
 أخطأ في حرف فكانت هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام ولم يذكروا الشرابي الا بعد
 طول المدة كما قال تعالى (وآذ كر) بالذال المهملة أي طلب الذكر بالذال المعجمة وزنه افتعل (بعد
 أمة) أي وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجمعة أي مدة طويلة والجملة اعتراض ومقول
 القول (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) أي الى يوسف عليه السلام فانه أعلم الناس فأرسلوه اليه
 قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولم يكن السجن بالمدينة فأناؤه فقال الساقى المرسل اليه
 مناديا له نداء القرب تحببا اليه (يوسف) وزاد في التحجب بقوله (أيها الصديق) أي البليغ
 في الصدق والتصديق لانه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وهذا يدل
 على أن من أراد أن يتعلم من رجل شيئا فانه يجب عليه أن يعظمه وأن يخاطبه بالالفاظ المشعرة
 بالاجلال ثم انه أعاد السؤال يعني اللفظ الذي ذكره الملك فقال (أفئسا) أي اذكر لنا الحكم (في
 سبع بقرات سمان) أي رآهن الملك (يا كاهن سبع) من البقر (سبع سنبلات) (في سبع سنبلات)
 جمع سنبله وهي مجمع الحب من الزرع (خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في
 رؤيا ذلك ونعم ما فعل من ذكر السؤال بعين اللفظ فان نفس الرؤيا قد تختلف بحسب اختلاف
 الالفاظ كما هو مذکور في ذلك العلم ثم قال (لعلني أرجع الى الناس) أي الى الملك وجماعته
 بفتواي قبل ما منعني (لعلهم يعلمون) أي بتأويل هذه الرؤيا وقيل ينزل في العلم وقرأنا نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح الياء والباقون بالسكون (قال) يوسف عليه السلام معبرا
 لتلك الرؤيا اما البقرات السمان والسنبلات الخضراء فسبع سنين مخضبات وأما البقرات الجفاف
 والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجذبة فذلك قوله (ترزعون سبع سنين) وهو خبر بمعنى
 الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وإنما خرج الامر في صورة الخبر
 للمبالغة في الايجاب فيجعل كآفة وجده فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله
 فذروه في سنبله وقوله (دأبا) نصب على الحال أي دائمين أي سبع سنين متتابعة على عادتك
 في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجهد واجتهاد وهذا تأويل السبع السمان والسنبلات
 الخضراء وقرأ حفص بفتح الهمزة وسكنها الباقون وأبدلها بالسوسى ألفا ووقفا وصلح وجزء وقفنا
 فتنط (فاحصدتم فذروه) أي اتركوه (في سنبله) لئلا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك أبقي له على

طول الزمان (الاقلياماتاً كاون) أى ادرسوا قليلا من الخطبة لئلا كل بقدر الحاجة أمرهم
 بحفظ الاكثر لو قت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدة كما قال (ثم يأتى من بعد ذلك) أى
 السبع المخصبات (سبع شداد) أى مجربات صعب وهى تأويل السبع العجاف والسنبلات
 اليابسات (يا كن ما قدمته لهن) أى يأكل أهلتهن ما اذخرتم لاجلهن فأسند اليهن على الجاز
 تطبيقا بين المعبر وهو يأكلهن سبع عجاف والمعبر به وهو يأكل ما قدمته لهن (الاقلياماتاً
 تحصنون) أى تحزرون وتذخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء فى الحصن بحيث
 يحفظ ولا يضيع (ثم يأتى من بعد ذلك) أى السبع المجربات (عام فيه يغال الناس) أى يعطرون
 من الغيث وهو المطر وقيل ينقذون من قول العرب استمغنت فأعاني (وفيه يعصرون)
 من العنب خرا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم دهنا وأراد بذلك كثره النعم والخير وقال
 أبو عبيدة بن جحون من الكرب والشدّة والجذب وقرأ جزء والكسافى بالتاء على الخطاب لأن
 الكلام كله مع الخطاب والباقيون بالياء على الغيبة ردّا الى الناس * ولما رجع الشراى الى الملك
 وعرض عليه التعبير الذى ذكره يوسف عليه السلام استحسنه (وقال الملك) أى الذى العزيز
 فى خدمته (أتوفى به) لاسمع ذلك منه وآكرمه وهذا يدل على فضيلة العلم فانه سبحانه وتعالى
 جعل علمه سببا للخلاص من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن
 الاخرى به فأتاه الرسول لىأتى به الى الملك (فلما جاءه) أى يوسف عليه السلام عن قرب من الزمان
 (الرسول) بذلك وهو الساقى وقال له أجب الملك (قال) له يوسف عليه السلام (ارجع الى ربك)
 أى سيدك الملك ولم يخرج معه حتى يظهر برهانه للملك ولا يراه بعين النقص ولذلك قال (فأسأله
 ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) وانما قال يوسف عليه السلام فأسأله ما بال النسوة ولم يقل
 فأسأله أن يفتس عن حالهن لأن قوله فأسأله يحتمل أن يكون بمعنى المسئلة أى أسأله عن شأنهن
 وان يكون بمعنى الطلب وهو ان يفتس عن شأنهن فحسن تقييده بلفظ ما الذى يسأل به عن
 حقيقة الشيء ليبيحه أن يتحرك للفتيش عن حالهن لأن الانسان حر يص على تحقيق الشيء
 ويستكشف أن ينسب الى الجهل به بخلاف ما لو قال سله ان يفتس أى اطلب منه فانه لا يسأل
 بهذا الطلب ولا يلتفت اليه لاسيما الملوك وانما يتعرض لسيده مع ما صنعت به كراما
 ومراعاة للادب وقدم سؤال النسوة وخص حالهن لتظهر براءة ساحته لانه لو خرج فى الحال
 لربما كان يبقى فى قلب الملك من تلك التهمة أثر فلما التمس من الملك أن يفتس عن حال تلك
 الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد ذلك وجهه لا بقدر أحد أن يطلع به تلك الرذيلة
 وان يتوصل بها الى الطعن فيه وفى ذلك دليل على أنه ينبغي للشخص أن يجتهد فى نفي التهم
 ويتقن موارعها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد عجب من يوسف وصبره والله يغفر له
 حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترطت أن
 يخرجونى ولقد عجب من منة حيث أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبنت
 فى السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان حلميا ذاناة
 واصل الحديث فى الصحيحين مختصرا وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع لأنه

صلى الله عليه وسلم كان في الامر منه مبادرة وبجمله لو كان مكان يوسف والنواضع لا يصغر كبريا
 ولا يضع رفيعا ولا يظلم الذي حق حقه لكنه يوجب لصاحبه فضلا ويلبسه جلالة وقدرا وقوله
 والله يغفر له مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم المخاطب من توقيره وتوقيره حرمة كما تقول لمن تعظمه
 عفا الله عنك ما صنعت في أمرى ورضى الله تعالى عنك ما جوابك عن كلامي وقوله ان كان
 الحليم ان هي الخففة من الثقلية والاناة الوفاق وقيل هو اسم من التائي في الامور وقرأ ابن
 كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها
 (ان ربى) أى الله (بكيدهن عليم) حين قلن أطع مولانا وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد
 بعلم الله تعالى عليه وأنه يرى مما عيب به والوعيد لهن على كيدهن وقيل المراد بربى الملك
 وجعله له بالنفس لكونه مرياله وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن ولما
 قال يوسف عليه السلام ذلك وأبى أن يخرج من السجن قبل تبين الامر رجع الرسول الى الملك
 فأخبره بما قال عليه السلام فكانه قيل فافعل الملك فقيل (قال) للنسوة بغدان جمعهن وامرأة
 العزيز جمعهن (ما خطبكن) أى ما شأنكن العظيم وقوله (اذراودتن) أى خادعتن (يوسف
 عن نفسه) دليل على أن براءته كانت متحققة عند كل من علم القصة وانما خاطب الملك جميع
 النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز وحدثها ليكون أستر لها وقيل ان امرأة العزيز
 راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرهن بطاعتها فلذلك خاطبهن فكانت قيل فاقبلن قيل (قلن
 حاش لله) أى عياذ بالملك الاعظم ونزير الامم هذا الامر (ما علمنا عليه) أى يوسف عليه
 السلام وأغرقت في النسي فقلن (من سوء) أى من خيانة في شئ من الاشياء ولما أن يوسف
 عليه السلام راعى جانب امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فذكرهن
 ولم يذكر تلك المرأة البتة وعرفت المرأة أنه انما ترك ذكرها رعاية لحقها وتعظيم الجانيها واخفاء
 للامر عنها ارادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزال الغطاء والوطاء فلذلك
 (قالت امرأة العزيز) مصرحة بحقيقة الحال (الآن حصص الحق) أى ظهر وتبين (أنا
 راودته) أى خادعته (عن نفسه) وأكدت ما أفصح به مدحا ونقيا لكل سوء بقولها مؤكدا
 لاجل ما تقدم (وانه لمن الصادقين) أى الغريقين في هذا الوصف في نسبة المرادة الى وتبرئة
 نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراءته وأنه لم يقع منه ما ينسب به الى شئ من سوء البتة فمن
 نسب بعد ذلك هما أو غيره فهو تابع لحزب الهوى في نبي من المخصلين قال الرازي رأيت في بعض
 الكتب ان امرأة جاءت بزوجه الى القاضي وادعت عليه المهر فأمر القاضي بأن تكشف
 عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر
 بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما أكرمتني الى هذا الحد فاشهدوا اني أبرأت ذمتك من كل
 حق لي عليك ولما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام وأخبره بشهادته ببراءته قال (ذلك)
 أى الخلق العظيم في تثبت في السجن الى أن تبين الحق (ليعلم) العزيز باقرارها وهي في الامن
 وثأفى محل الضيق والخوف علما مؤكدا (اننى لم أخنه) أى في أهله ولا في غيرها (بالغيب) أى

والحال أن كلامنا غائب عن صاحبه هذا قول الأكثرين أنه قول يوسف عليه السلام قال
 الفراء ولا يعد وصل كلام انسان بكلام آخر اذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى إن
 الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا كلام بلقيس ثم قال الله تعالى
 وكذلك يفعلون وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال الله
 تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ثم ختم الكلام بقوله (وان الله لا يهدي) أي يستدوينجس
 بوجه من الوجوه (كيد الخائنين) أي ولو كنت خائناً لما خلصني الله من هذه الورطة العظيمة
 وحدث خلصني منها أظهر اني برى عما نسبوني اليه وقيل انه كلام امرأة العزيز والمعنى اني
 وان كنت أحت عليه الذنب في حضوره لكني ما أحت الذنب عليه في غيبته أي لم تقل فيه وهو
 في السجن خلاف الحق ثم انهم بالغت في تأكيد هذا القول وقالت وان الله لا يهدي كيد
 الخائنين يعني اني لما أقدمت على الكيد والمكر لاجرم افتضحت وانه لما كان برأ من الذنب
 لاجرم طهره الله تعالى منه * واعلم ان هذه الآية على القول الاول دالة على طهارة يوسف عليه
 السلام من وجوه كثيرة الاول قولها أنا راودته عن نفسه والثاني قولها وانه لمن الصادقين
 وهو إشارة الى أنه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي والثالث قول يوسف عليه السلام
 ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والحشوية يذكرون أنه لما قال يوسف هذا الكلام قال له جبريل
 عليه السلام ولا حين هممت قال الرازي وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية
 في كتاب معتقد أي وانما أسندها بعضهم لابن عباس بل هم يلحقونها بهذا الموضع سعيًا منهم في
 تحريف ظاهر القرآن ورابعها أن اقدامه على قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب مع أنه خانه
 بأعظم وجوه الخيانة اقدام على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة
 بوجه ما والادغام على مثل هذه الوقاحة من غير فائدة أصلاً لا يليق بأحد من العقلاء فكيف
 يليق اسناده الى نبي مرسل من سلاله الانبياء الاصفياء فثبت أن هذه الآية تدل دالة قاطعة
 على براءته مما يقول الجاهل والحشوية واختلفوا في تفسير قوله (وما أبرئ نفسي) لأن ذلك
 يختلف باختلاف ما قبله لأن قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ان كان من كلام يوسف عليه
 السلام وقدم أنه قول الأكثرين فهو أيضاً كلامه وان كان من كلام المرأة فهذا أيضاً كلامها
 فعلى الاول قد تمسك به الحشوية وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب
 قال له جبريل ولا حين حالت تسكة سراويلك فعند ذلك قال يوسف عليه السلام وما أبرئ نفسي
 (ان النفس لا مارة بالسوء) أي بالزنا (الامارحيم) أي عصم منه (رب ان ربي غفور) أي اللهم الذي
 همته (رحيم) أي لو فعلته لتساب على وهذا ضعيف كما قاله الرازي لما تقدم أن الآية المتقدمة
 برهان قاطع على براءته من الذنب وانما قال ذلك عليه السلام لانه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه
 بالغيب كان ذلك جارياً مجرى مدح النفس وتزكيتها وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم
 فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما أبرئ نفسي والمعنى وما أؤذي نفسي ان النفس لا مارة
 بالسوء مبالغة الى القبايح رغبة في المعصية وعلى الثاني أنها لما قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه

بالغيب قالت وما أبرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين أحلت الذنب عليه وقلت
 ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته في الحبس كلها أرادت الاعتذار بما
 كان واختلاف في قوله (وقال الملك) فنههم من قال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذي
 هو الملك الأكبر قال الرازي وهذا هو الاظهر لوجهين الاول أن قول يوسف اجعلني على
 خزائن الارض يدل عليه الثاني قوله استخلصه لنفسى يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا
 وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالصا للعزيز فعدل هذا على أن هذا الملك هو الملك الأكبر
 انتهى وانما صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الالتباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأه
 العزيز من كلام يوسف عليه السلام ولو كان السك من كلامها الاستغنى بالضمير ولم يحتاج الى
 ابرازه (اقموني به استخلصه لنفسى) أى اجعله خالصا لدون شريك قال ابن عباس فأتاه
 الرسول فقال له ألق عنه ثياب السجن وألبسه ثيابا جديدا و قم الى الملك فدعاه أهل السجن وهو
 يومئذ ابن ثلاثين سنة واعتسل وتنظف ولبس ثيابا جديدا بعد أن دعاه أهل السجن فقال
 اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه
 منازل الباقى وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشهادة الاعداء
 ثم أتى الملك فلما رآه غلاما خشنا فقال أيعلم هذا رؤيا ولا يعلمها السحرة والكهنة ثم أقعده
 قدامه وقال له لا تحف وألبسه طوقا من ذهب و ثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة مزينة
 كدابة الملك وروى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في الحبس وقال قل اللهم
 اجعل لى من عندك فرجا وفرجا وارزقنى من حيث لا أحسب فقبل الله تعالى دعاءه وأظهر
 هذا السبب في تخلصه من السجن وروى أن يوسف لما دخل عليه قال اللهم انى أسألك
 بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال ما هذا اللسان
 قال هذا اللسان عجمي اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال هذا اللسان آباءى قال
 وهب كان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجنبي
 يوسف عليه السلام وزاد بالعربية والعبرانية (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف عليه السلام
 وشاهد منه ما شاهد من جلال النبوة وجمال الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة
 أقبل عليه وقال انى أحب أن أسمع منك تأويل رؤياى شفاها فأجابته بذلك الجواب شفاها
 وشهد قلبه بصحة فعند ذلك (قال) له (انك اليوم لدينامكين أمين) أى ذو مكانة وأمانة
 على أمرنا فأتى أيتها الصديق (قال) أرى أن ترزع فى هذه السنين الخمسة زرعاً كثيراً وتبنى
 الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنين المجذبة بعنا الغلال فيحصل بهذا الطريق
 مال عظيم فقال الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) جمع
 خزانة وأزاد خزائن الطعام والاموال والارض أرض مصر أى خزائن أرضك مصر وقال
 الربيع بن أنس أى خرج مصر ودخله روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فى هذه الآية قال رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من

ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى سنة فأقام في بيته سنة مع الملك قال الرازي وهذا
 من العجائب لأنه لما تناقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن
 الوجوه * ولما سارع في ذكر هذا الالتباس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن
 ترك التصرف أتم والتقوى بض بالكيفية إلى الله تعالى أولى ثم قال (إني حفيظ علي) أي ذو
 حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب وحاسب (فان قيل) لم طلب يوسف عليه السلام الامارة والنبي
 صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة ولم طلب الامارة من سلطان كافر ولم
 يصبر مدة ولم أظهر الرغبة في طلبها في الحلال ولم طلب أمر الخزانة في أول الامر مع ان هذا
 يورث نوع تهمة ولم مدح نفسه وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم ولم ترك الاستثناء في هذا وقد
 قال تعالى ولا تقولن شيئا في فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله فهذه سبعة أسئلة (أجيب) عنها
 بأن الأصل في جواب هذه الأسئلة ان التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه بخلافه
 أن يتوصل اليه بأي طريق كان وانما كان ذلك واجبا عليه لوجوه الاول أنه كان رسولا حقا
 من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه مراعاة الامة بقدر الامكان والثاني أنه علم بالوحي
 أنه سيحصل القبط والضيق الشديد ففعل الله تعالى أمره أن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لا جده يقل
 ضرر ذلك القبط في حق الخلق والثالث أن السعي أيضا في ايصال النفع إلى المستحقين ورفع
 الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول فكان مكافئا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه
 وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الابه فهو واجب وانما مدح نفسه
 لأن الملك وان علم كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بأنه ينبغي بهذا الامر وأيضا مدح النفس
 انما يكون مذموما اذا قصد به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل وأما هذا
 الوجه فليس بدموم وقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد به تركية حال من لا يعلم كونها من كرامة
 والدليل قوله تعالى بعد هذه الآية هو أعلم بمن اتقى أما اذا كان الانسان عالما بأنه صدق وحق
 فهذا غير ممنوع منه وانما ترك الاستثناء لانه لو ذكره بما اعتقد الملك فيه انه انما ذكره لعله أنه
 لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلهذا المعنى ترك الاستثناء ولما سأل يوسف عليه
 السلام ما تقدم قال معلما بأنه قد أجيب بتخيير الله تعالى له (وكذلك) أي كأنعامنا عليه
 بالخلاص من السجن (مكاليوسف في الارض) أي أرض مصر (يتبوا) أي ينزل (منها حيث
 يشاء) بعد الضيق والحسب قال ابن عباس وغيره ولما انقضت السنة من يوم سأل الامارة دعاه
 الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في اصبعه وقلده سيفه وجعل له سريرا من ذهب مكلا بالدر
 والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا فقال يوسف عليه السلام
 أما السرير فأشربه ملكا وأما الخاتم فأدبره أمره وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آباءي
 وأمره أن يخرج نفخ لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لونه فانطلق
 حتى جلس على ذلك السرير وودانت له الملوك ودخل الملك بيته وقوض اليه أمر مصر وعزل
 قبطير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان الملك مصر خزان

كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل امره وقضاه نافذا في مملكته ثم مات قطيعا بعد ذلك فزوجه
 الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا بما كنت تريدين قالت أيها الصديق لا تبنى
 فاني كنت امرأه حسناء فاعمة كما ترى في ملك ودينار وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك
 الله في حسنك وهيتتك فغلبتني نفسي فوجدتها يوسف عليه السلام عذرا فأصابها فولدت له
 ذكرين أفرائيم ومينشا فأقام العدل بمصر وأحببه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من
 الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدرهم والدنانير في السنة الأولى ثم بالحلى
 والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب في السنة الثالثة ثم بالعبيد والأماء في السنة الرابعة ثم
 بالضباع والعقار في السنة الخامسة ثم بأولادهم في السنة السادسة ثم براقبهم في السنة
 السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبد الله فقال الناس ما رأينا كالיום ملكا أبجل
 ولا أعظم من هذا صار كل اخلق عبيدا لله فلما جمع ذلك قال اني أشهد الله اني أعتقت أهل مصر
 عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع أحدا ممن يطلب الطعام أكثر من جل بعير
 له لا يضيق الطعام على الباقيين هذا المخلص ما قاله البغوي والرحمشرى وغيرهما قال الرازي
 والله أعلم بحقيقة الحال وروى ان يوسف عليه السلام كان لا يشبع من طعام في تلك
 الايام فقبل له تبجوع ويملك خزائن الارض فقال ان شيعت نسيب الجائع وأمر يوسف طبخ
 الملك أن يجعل غداه نصف النهار وأدب ذلك أن يذيق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين قال
 البغوي فمن ثم جعل المولود غداهم نصف النهار قال الله تعالى (نصيب) أي شخص (برحمتنا من
 نساء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نؤتيهم أجورهم عاجلا وأجلالاً ان اضاعة
 الاجر اما أن تكون للعجز أو للجهل أو للخل والكل ممسح في حق الله تعالى فالاضاعة ممسحة
 (ولا اجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال الرازي وهذا
 تنصيص من الله تعالى على أن يوسف عليه السلام كان في الزمان السابق من المتقين وليس
 ههنا زمان سابق يحتاج الى بيان أنه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذي قال الله تعالى
 فيه ولقد همت به وهم بها فكأن هذا من الله تعالى شهادة بأنه عليه السلام كان في ذلك الوقت
 من المتقين وايضا قوله ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنه كان من المخلصين
 فثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل
 الحشوي يقول انه كان من المذنبين ولا شك أن من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التأكيدات
 كان من الاخسرين * ولما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى
 بلاد الشام وأرض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف عليه السلام
 لا يعطى أحدا أكثر من جل بعير وان كان عظيما تقسب طابين الناس وتراحم الناس عليه ونزل
 باليعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنه الى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف
 لأمه وأبىه فذلك قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف) وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربات من ارض
 فلسطين تغورا الشأم وكانوا أهل ابل وشيما فدعاهم أبوهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني أن

بصرهم لما كاسوا الحايييع الطعام فجهزوا اليه واقدوه لتستروا منه ما يحتاجون من الطعام
وههنا هم منان مختلفتان من كلمتين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبشهيل الثانية والباقيون
بالتحقيق * ولما أمرهم أبوهم بذلك خرجوا حتى قدموا مصر (قد خلوا عليه فعرفهم) قال ابن
عباس بأول نظرة اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه (وهم له منكرون) أي لم
يعرفوه وذلك لوجوه الأول أنه عليه السلام أمر بحجابه بأن يوقفوهم من البعد وما كان يسكنهم
معهم بالابواسطة الثاني أنهم حين ألقوه في الحب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور البعثة وكبر
الجنة قال ابن عباس وكان بين ان قدفوه في البروتين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه
وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان يرى ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي
عنقه طوق من ذهب ثم أن يوسف عليه السلام أمر بانزالهم وكرامهم وكانت عادته أن لا يزيد
أحدا على حل بعير وكانوا عشرة فاعطاهم عشرة أجمال كما قال تعالى (ولما جهزهم بجهازهم)
أي وفاهم كيلهم والجهاز ما بعد من الامتعة للثقة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى أخرى
وما ترف به المرأة الى زوجها فقالوا ان لنا شيئا كبيرا وأخا خربق معه وذكرنا أن أباهم
لاجل سنه وشدة حرته لم يحضر وان أحاهم في خدمة أبيه ولا بد لهما أيضا من جلين آخرين
من الطعام فلما ذكرنا ذلك قال يوسف عليه السلام فخذ ايدل على أن حب أيسكم له أزيد من
حبه لكم وهذا شيء عجيب لانكم أنتم مع جلالكم وعقلكم وأدبكم اذا كانت محبة أيسكم
لذلك الاخ أكثر من محبته لكم دل ذلك على أنه أعجوبة في العقل والادب فجئوني به حتى
أراه كما قال تعالى حكايه عنه (قال استوني بأخ لكم من أبيكم) أي الذي خلفه عنده وقيل
انه لما انظر اليهم وكلمه بالعبرانية قال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم قالوا
قوم من أرض الشام أصابنا ما أصاب الناس فخننا فتمسكنا فقتل لعلمكم بجنم تستظروا الى عورة
بلادنا قالوا والله لسننجوا سييس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له
يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قالوكم كتم قالو كذا انني عسرف ذهب أخ لنا الى البرية فهلك
فيها وكان أحبنا الى أيينا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال وأين الابن الآخر قالوا عند أيينا
لانه أخو الذي هلك وأبوه مبتلى به قال فن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا بلاد
لا يعرفنا فيها أحد فقال يوسف عليه السلام فأتوني بأخيكم الذي من أيسكم ان كنتم
صادقين فأننا أرضي بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه قال فدعوا بعضهم
عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فآفترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا
في يوسف فخلفوه عنده ثم انه قال لهم (الأترون أني أوفى الكمل) أي أتمه ولا أبخس منه شيئا
وقرأ نافع بفتح الهمزة من أني والباقيون بالسكون وأما الياسمن أوفى بجميع القراء ينتهون في
الوقف لثباتها في الرسم وحذفوها في الوصل لالتقاء الساكنين (وأن اخيرا المنزلة) أي
المضيفين فانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من
يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى أنهم عيون وجواسيس ولوشافهم بهذا الكلام

فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوفى الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يعد من يوسف
 عليه السلام مع كونه صديقا أن يقول لهم انتم عيون وجواسيس مع أنه يعرف برأيهم
 عن هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بحال الصديق ثم قال عليه السلام (فان لم تأتوني به) أي
 بأخيكم (فلا كيل) أي فلا مبرة (لكم عندي) ولم نغضبهم من غيرهم (ولا تقربون) نهي أو عطف
 على محل فلا كيل لكم أي تحرموا ولا تقربوا مني ولا تدخلوا ديارى فجمع لهم عليه السلام
 بين الترغيب والترهيب فالترغيب في قوله الأول والترهيب في قوله الثاني لأنهم كانوا في نهاية
 الحاجة إلى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله إلا من عنده ومع ذلك لم يخطر ببالهم أنه يوسف فكانه
 قبل فما قالوا فقبل (قالوا ستراد) أي بوعده لا خلف فيه حين نصل (عنه آياه) أي سمع كلمة فيه
 وتنازعوا الكلام ويحتمل فيه وتلطفت في ذلك ولا ندع جهدا (وانا لفاعلون) أي ما أمرتنا
 به والتمناؤه (و) لما أرغبهم وأرهبهم في شأن أخيه (قال لفتيته) أي علمائه الكياليين جمع
 في وقرا حفص وحجرة والكسائي بألف بعد الباء المثناة تحت وبعد الألف نون مكسورة
 والباء نون بالياء المثناة تحت ثم بناء مشاة فوق مكسورة (اجعلوا بضاعتهم) أي التي أتوا بها
 عن الميرة وكانت دراهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها كانت النعال والأدم
 (في رحالهم) جمع رجل أو عيتم التي يحملون فيها الطعام (لعلهم يعرفونها) أي بضاعتهم (إذا
 انقلبوا) أي رجعوا (إلى أهلهم) وفتحوا أو عيتم (لعلهم يرجعون) البنا واختلف في السبب
 الذي من أجله ردي يوسف عليه السلام بضاعتهم في رحالهم على أوجه الأول أنه أراد أن يكون
 ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع تلك
 الدراهم في رحالهم حتى تبقى حجة إلى أن يصلوا إلى أبيهم الثاني أراد أن يعرف آياه أنه
 أكرمهم وطلبهم لمزيد الأكرام فلا يثقل على أبيه إرسال أخيه الثالث مقصوده أن يعرفوا أنه
 لا يطلب ذلك إلا لاجل الأذى والظلم ولا يطلب زيادة الثمن الرابع أراد أن يحسن إليهم على
 وجه لا يلحقهم فيه عيب ولا منة الخامس قال القراء أنهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم وقع
 في قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد أنبياء
 ف يرجعون ليعرفوا السبب فيه ويردوا الملك إلى مالكه السادس أراد به التوسعة على أبيه لأن
 الزمان كان زمان القحط السابع رأى أن أخذ عن الطعام من أبيه ومن أخوته على شدة حاجتهم
 إلى الطعام لو لم الثامن خاف أن لا يكون عند أبيه من المال ما يرجعون به مرة أخرى التاسع
 أنهم متى فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا أن ذلك كرم من يوسف عليه السلام وخفاء
 فبعثهم ذلك إلى العود إليه والحرص على معاملته عليه السلام (فلما رجعوا) أي أخوة يوسف
 عليه السلام (إلى أبيهم قالوا يا أبا) أنا قد مناعنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان
 رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامة فقال يعقوب عليه السلام اذارجعتم إلى ملك مصر
 فأقروهم مني السلام وقولوا له أنا أنا نأيد عولك عينا أوليتنا ثم قال لهم أين سمعون قالوا ارتبته ملك
 مصر وأخبروه بالقصة وقولهم (منع منا الكيل) فيه قولان أحدهما أنهم لما طلبوا الطعام

لاخيه م الغائب عندهم منعوا منه والثاني أنهم منعوا الكيل في المستقبل وهو قول
 يوسف عليه السلام فلا كيل لكم عندي ولا تقر بون ويدل له ما قولهم م فأرسل معنا
 أخانا بنيامين ن تكمل فان حزمة والكسائي قرأه بالياء أي يكمل لنفسه وهذا يدل لقول
 الأول والباقي بالنون أي تكمل نحن وإياه وهذا يدل لقول الثاني و إناله لحافظون عن
 أن يناله مكر ومحن حتى ترده اليك فلما قالوا يعقوب عليه السلام هذه المقالة قال لهم هل
أمينكم أي أقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمينكم لي فيه بما يسوغي تأميننا مستقبلا
عليه أي بنيامين الا كما أمستكم أي في الماضي على أخيه يوسف عليه السلام من
أقبل فانكم أكدمتم غاية التأكيد فلم تحفظوه ولم تردوه إلى والامن اطمئنان القلب إلى
 سلامة النفس فاناني هذا لا آمن عليه الا الله تعالى قالته المحيط علما وقدره خير حفظا منكم
 ومن كل أحد فقيه التفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وقرأ حفص وحزمة
 والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء والباقيون بكسر الحاء وسكون الفاء وهو منصوب
 على التمييز في القراءتين ويتحمل الاولى نصب على الحال اللازمة و هو أرحم الراحمين أي
 أرحم من أن يفجعني به بعد مصيبي بأخيه فلا يجمع على مصيبتين و لما أرادوا تقر بفتح
 ما قدموا به من الميرة فتحوا متاعهم أي أوعيتهم التي جاورها من مصر و جدوا بضاعتهم أي
 ما كان معهم من كنعان لشراء القوت ردت اليهم و الوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة
 أو ما يغني عنها فكأنه قيل ما قالوا فقبل قالوا أي لا يهيم عليه السلام بأبائنا ما استفتها منه
 أي أي شيء نبغى أي تريد جميع القراء أثبتوا الياء وقفا ووصلا لثباتها في الرسم فكأنه قال
 لهم ما الخبر فقالوا يا سائل ذلك وتأكد السؤل في استصحاب أخيه هذه بضاعتنا ردت إلينا
 هل من مزيد على ذلك أكرموا أحسن مشاونا وابعادنا ورد علينا ما عنا و لما كان التقدير
 ورجعوا إليه بأخيها فيظهر له نصحناء وصدقنا و غير أهنا أي نجلب اليهم الميرة برجعنا إليه
 والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد إلى بلد و نحفظ أخانا فلا يصيبه شيء مما تخشى عليه تأكيده
 للوعد بحفظه و زداد كيل بعير لأخيها ذلك كيل يسير أي سهل على الملك لسخائه وحرصه
 على البذل وقيل قصر المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بحسب الحبس والتأخير وقيل قليل
 فأبى أخانا معننا حتى نبذل تلك القلة بالكثرة فكأنه قيل ما قال لهم فقبل قال يعقوب
 عليه السلام لن أرسله أي بنيامين كائنا معكم أي في وقت من الاوقات حتى توثقوا
 موثقا أي عهدا مؤكدا من الله قرأ ابن كثير بإثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا
 وأبو عمرو بإثبات الياء وقفا لا وصلا وحذفها الباقيون وقفا ووصلا وقوله لنأتني أي كلكم
به أي تحلفوا بالله لتأتني به من الاتيان وهو المجيء في كل حال جواب القسم أو المعنى حتى
 تحلفوا بالله لتأتني به الا أي في حال أن يحاط أي تحصل الاطاعة بحصية من المصائب
 لا طاعة لكم بها يحكم فتهلكوا من عند آخركم كل ذلك زيادة في التوثق بما حصل له من
 المصيبة يوسف عليه السلام وان كان الاعتماد في حفظه انما هو على الله تعالى وهذا من باب

اعقلها ووق كل فأجابوه الى ذلك كما قال تعالى (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على
 ما نقول) نحن وأنتم (وكيل) أى شهيد وأرسله معهم بعد ذلك (فان قيل) لم أرسله معهم
 وقد شاهد منهم ما شاهد في يوسف عليه السلام (أجيب) بأن ذلك لوجوه أحدها أنهم
 كبروا وما لوا الى الخير والصالح الثاني انه كان شاهداً انه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد
 والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام الثالث لعل الله أوحى اليه وضمن حفظه
 وايصاله اليه (و) لما عزمو على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء
 رجل واحد (قال) لهم (يا بني لا تدخلوا) اذا قدمتم الى مصر (من باب واحد) من أبوابها
 (وادخلوا من أبواب) واحترز من أن تكون متلاصقة أو متقاربة جداً بقوله (متفرقة)
 أى تفرقا كثيراً وهذا حكم التكليف للابصار بالعين وهي من قدر الله تعالى وقد ورد
 شرعنا بذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق
 وفي رواية عن أحمد بن حنبل عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان
 شيء سابق القدر لسبقته العين وفي رواية عن جابر أن العين لتدخل الجمل القدر والرجل
 القبر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعينكم بكلمات
 الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم اسمعيل
 واسحق صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر النبيين وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فوجدته شديد الوجع ثم عدت اليه في آخر النهار
 فرأيت به معافى فقال أن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقبك من كل شيء
 يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فأفقت وفي رواية أن بني جعفر بن أبي طالب
 كانوا غلماناً يضافوا لآسماء يا رسول الله أن العين اليهم سريرة فاسترق لهم من العين فقال لها
 نعم وفي رواية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا
 يا رسول الله أصابته العين فقال أما تسترقون له من العين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان
 يؤمر العائش أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين الذي أصيب بالعين ولما خاف يعقوب عليه السلام
 أن يسبق من أمره هذا الى بعض الاوهام أن الحذر يغني عن القدر نفي ذلك بقوله عليه السلام
 (وما أغني) أى ادفع (عنكم) بقولي ذلك (من الله من شيء) قدره عليكم وانما ذلك شفقة
 ومن مزيدة للتأكيدها علم أن الانسان مأمور بأن يراعي الاسباب المعبرة في هذا العالم بأن
 يجوزم بأنه لا يحصل الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يدفع القدر فالانسان مأمور بأن يحذر
 الاشياء المهلكة والاعذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان
 ومع ذلك يكون جازماً بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يحصل في الوجود الا ما أراه
 الله تعالى فبقوله عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة إشارة الى
 رعاية الاسباب المعبرة في هذا العالم وقوله وما أغني عنكم من الله من شيء إشارة الى عدم
 الالتفات الى الاسباب بل الى التوحيد المحض والبراءة من كل شيء سوى الله تعالى ولما قصر

الامر كله اليه تعالى وجب رد كل أمر اليه وقصر النظر عليه فقال منها على ذلك (ان الحكم
 الا لله) وحده الذي ليس الحكم الا له (عليه) أي على الله وحده (توكلت) أي جعلته
 وكلي فرضيت بكل ما يفعل (وعليه) وحده (فليتوكل المتوكلون) أي الثابتون في باب
 التوكل فان ذلك من أعظم الواجبات من فعله فاز ومن أغفله خاب وقد ثبت بالبرهان ان لا حكم
 الا لله فلزم القطع بأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى وذلك يوجب أن
 لا توكل الا على الله تعالى فهذه مقام شريف عال والشيخ أبو حامد الغزالي أكثر في تقرير
 هذا المعنى في كتاب التوكل من كتب احياء علوم الدين فمن أراد الاستقصاء فمه فليطالع
 ذلك الكتاب * ولما قال يعقوب عليه السلام وما أغنى عنكم من الله من شيء صدقه الله
 تعالى في ذلك فقال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان) ذلك
 التفرق (بغنى عنهم من الله) أي من قضائه وأغرق في النفي فقال (من شيء) أي مما قضاه
 عليهم كما تقدم من قول يعقوب عليه السلام فسر قوا وأخذ بنينا من يوجد ان الصواع في رحله
 وتضاعفت القيمة على يعقوب عليه السلام وقوله تعالى (الاحاجة) استثناء منقطع أي
 لكن حاجة (في نفس يعقوب) وهي الوصول الى ما أمر به شفقة عليهم (قضاها) يعقوب عليه
 السلام وبرزها من نفسه الى أولاده فعملوا فيها بما راده فاغنى عنهم الخلاص من عقوق أبيهم
 فقط (وانه) أي يعقوب عليه السلام مع أمره لبنيه بذلك (لذو علم) أي معرفة بالحكمين حكم
 التكليف وحكم التقدير واطلاع على الكونين عظيم (لما علمناه) بالوحى ونصب الخبيث ولذلك
 قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره * ولما كان قد بينا أن كل أحد يكون
 كذلك أي يعلم ما علمه نفي ذلك سبحانه وتعالى بقوله جل شأنه (ولكن أكثر الناس) أي لاجل
 ما نالهم من الاضطراب (لا يعلمون) أي ليسوا بذوى علم لما علمناههم لاعراضهم عنه واستمقراغ
 قواهم في الاهتمام بما وقع التكليف لهم به ومن أحوال الدنيا ومقابله فطرهم القويعة السليمة
 بردها الى ما تدعوهم اليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون طبع الخلق * ولما أخبر تعالى عن
 دخولهم الى البلد أخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه السلام فقال (ولما دخلوا)
 أي اخوة يوسف عليه السلام (على يوسف) في المقدمة الثانية بأخيهم بنيامين قالوا هذا أخونا
 فقال أحسنتم واحتسبتم وسجدوا خير ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم منزلهم ثم أضافهم
 وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً
 أجلسني معه فقال يوسف لقد صار أخوك هذا وحيداً فأجلسه معه على مائدته وصار يواكله
 فلما كان الليل أمر أن ينزل كل اثنين منهم يتناقض بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معي على
 فراشي كما قال تعالى (أوى) أي ضم (اليه أخاه) فبات معه وجعل يوسف يضعه اليه ويشمه
 ثم قال له ما اسمك فقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد هلكت أمه قال
 وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهسل لك من ولد قال نعم عشرة بنين ولما رأى تاسفه
 لاخ له هلك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك فقال ومن يجبد أخاً مثلك ولكنك لم يلدك

يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف وقام اليه وعانقه (وقال انى أنا أخوك فلا تبس) أى لا تحزن
 (بما كانوا يعملون) أى بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن اليك فلا تلتفت الى
 أعمالهم المنكرة التى قد أقدموا عليها وقد جعنا الله تعالى على خير ولا تعلمهم بشئ من ذلك وقرأ
 نافع وابن كثير وأبو عمرو يفتح الياء والباقون بالسكون ومتبعون النون من أناقبل الهمزة
 المفتوحة نافع والباقون بالقصر ثم انه ملاهم أو عيبتهم كما أرادوا وكان في المرة الاولى أبطأ
 في تجهيزهم في طول المدة ليعترف أخبارهم من حيث لا يشعرون ولذلك لم يعطف بالفاء وأسرع
 في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراد أخيه من غير رقيب بالحيلة التى دبرها فلذلك أنت
 الفاء فى قوله (فلما جهزهم) أى اعجل جهازهم وأحسنه (بجهازهم جعل) بنفسه أو بما أدونه
 (السقاية) أى المشربة التى كان يشرب بها (فى رحل أخيه) أى وعاء طعام أخيه بنيامين
 كما فعل بيضاعهم فى المرة الاولى قال ابن عباس كنت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من
 فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر وجعلها يوسف عليه
 السلام ميكال لا يكال بغيرها وكان يشرب فيها قال الرازى هذا بعيد لان الاناء الذى يشرب
 فيه الملك لا يصلح أن يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تسمى بها قال وهذا أيضا بعيد لان الآنية
 التى تسمى الدواب فيها لا تكون كذلك قال والاصوب أن يقال كان ذلك الاناء شيا له قيمة
 اما الى هذا الجلد الذى ذكره فلا والسقاية والضواغ واحد ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه
 السلام حتى انطلقوا وذهبوا مثرا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلفهم من
 استوفقهم وحبسهم (ثم أذن) أى أعلن فيهم النداء (مؤذن) قائلا برفع صوته وان كانوا
 فى غاية القرب منه بمادل عليه اسقاط الاداة (أيها العير) أى القافلة قال أبو الهيثم كل ما سير
 عليه من الابل والحمير والبغال فهو عير قال وقول من قال العير الابل خاصة باطل فقوله أيها العير
 أى أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي قال القراء كانوا أصحاب ابل وقال مجاهد كانت
 العير حميرا وقرأ ورش يبادل همزة مؤذن واوا وقفا ووصلا وجزءا فى الوقف فقط والباقون
 بالقصر (انكم لسارقون) فقفوا حتى ننظر الذى فقدنا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه فى خفاء
 من خزائنه (فان قيل) هل كان هذا النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان بأمره فان كان
 بأمره فكيف يليق بيوسف عليه السلام مع علو منصبه أن يهتأقوا ماؤى نفسهم الى السرقة
 كذبا وبهنا نأوان كان بغير أمره فهلا أظهر برأتهم عن تلك التهمة (أجيب) بأجوبة الاول
 أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال لست أفارقك قال لاسمى الى ذلك الاستدبر
 حيلة أنسبك فيها الى ما يليق بك قال رضيت بذلك وعلى هذا لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام
 لانه قد رضى به فلا يكون ذلك ذنبا الثانى انكم لسارقون يوسف من آية الاتهم ما أظهرها
 هذا الكلام فهو من المعارض وفى المعارض مندوحة من الكذب الثالث أن المنادى
 انما ذكر النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا يخرج أن يكون كذبا الرابع ليس فى القرآن
 ما يبدل على أنهم قالوا هذا بأمر يوسف عليه السلام قال الرازى والاقرب الى ظاهر الحال أنهم

فعلوا ذلك من أنفسهم لانهم لم يطلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم غلب على
 ظلمهم أنهم الذين أخذوها * ولما وصل اليهم الرسول قال لهم ألم نحسن ضيافتكم ونكرم مثواكم
 ونضيقكم كلبكم وفعلنا بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وماذا قالوا سقاية الملك فقد ناهوا ولا نهم
 عليهم غيركم فذلك قوله تعالى (قَالُوا) الحال أنهم قد (أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ) أى على جماعة الملك المنادى
 وغيره (مَاذَا) أى ما الذى (تَفْقِدُونَ) بما يمكنه أخذه والفقدان ضد الوجود (قَالُوا نَفْقَدُ) وكان
 للسقاية اسمان فعبروا بقولهم (صَوَاعُ الْمَلِكِ) والصواع هو الميكال وهو السقاية المتقدمة سموه
 تارة كذا وتارة كذا وانما اتخذوا هذا الاناء ميكالا لعززه ما يكال به فى ذلك الوقت (ولمن جاء به
 حل بعير) أى من الطعام والبعر يطاق لغة على الذكرك خاصة وأطلقه بعضهم على الناقة أيضا
 وجعله نظير انسان وهو ما جرى عليه الفقهاء فى باب الوصية والجمع فى القلة على أبعرة
 وفى الكثرة على بعران (وَأَنَابَهُ زَعِيمٌ) قال مجاهد هذا الزعيم هو الذى أذن والزعيم الكفيل وهذه
 الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم وقد حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فى قوله الزعيم غارم واذا ورد فى شرعنا ما يقر شرع غيرنا هل يكون شرعنا فى ذلك خلاف
 والراجح أنه ليس بشرع لنا (فان قيل) كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا
 (أجيب) بأنهم لم يكونوا سراقا فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون ذلك جمالة
 أو أن مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم فى ذلك الزمان (قَالُوا) أى اخوة يوسف
 عليه السلام (تَاللَّهِ) التاء حرف قسم وهى عند الجمهور بدل من واو القسم والواو بدل من الباء
 فهى فرع الفرع فلذلك ضعفت عن التصريف فى الاسماء فلا تدخل الاعلى الجلالة السكرية
 أو الرب مضافا للعبادة أو الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحمن لم يميز أى والله (لَقَدْ عَلِمْتُمْ)
 أى بما جربتم من أمانتنا قبل هذا فى كون مجيئنا (مَابِئْنَا) وأكذوا النبى باللام فقالوا
 (لَنَفْسِدَ) أى نوقع الفساد (فى الارض) أى أرض مصر (وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كُنَّا) أى بوجه من
 الوجوه (سارقين) أى موصوفين بهذا الوصف قطعاً (فان قيل) من أين علموا ذلك (أجيب) بأن
 ذلك يعلم مماراً ومن أحوالهم وقيل لانهم ردوا البضاعة التى جعلت فى رحالهم قالوا فلو كنا
 سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا اذا
 دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم كى لا تتناول شيئا من حروث الناس (قَالُوا) أى أصحاب يوسف
 عليه السلام المنادى ومن معه (فاجزأوه) أى السارق وقيل الصواع (أَن كُنْتُمْ كَادِبِينَ)
 فى قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم الجزاء مقابلة العمل بما يستحق من خير وبشر (قَالُوا)
 وثوقا منكم بالبراءة واخبارا بالحكم عندهم (جزأوه من وجد فى رحله) ولتحققهم البراءة علقوا
 الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم أكذوا ذلك بقولهم (فهو جزأوه) قال ابن عباس
 ضكان ذلك الزمان كل سارق بسرقة فلذلك قالوا ذلك أى فالسارق جزأوه أن يسلم
 بسرقة الى المنروق منه فيسترق سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب فى حكم السارق
 وكان يحكم ملك نصير أن يضرب السارق ويغرم ضغنى قيمة المسروق فأراد يوسف أن يحبس

أخاه عنده فرد الحكم اليهم ليتكمن من حبسه عنده على حكمهم (كذلك) أي الجزاء (فجزى
الظالمين) بالسرقه قال أصحاب يوسف فلا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف عليه السلام
فأمر بتفتيشها بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) لثلاثتهم فلم يجد فيها شيئاً (ثم)
أي بعد تفتيش أوعيتهم والتأني في ذلك (استخرجها) أي السقاية أو الصاع لانه يذكر ويؤث
(من وعاء أخيه) فلما خرج الصاع من وعاء بنيامين تكس أخوته رؤسهم من الحياء وأقبلوا
على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل
ما زال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء
ذهبتم بأخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصاع في رحلي هو الذي وضع البضاعة
في رحالكم فأخذ بنيامين رقيقاً وقل ان المنادى وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رجالهم
وهم الذين استخرجوا الصاع من رحله فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف عليه السلام * (نبيه) *
ههنا همزتان مختلفتان من كلمتين قرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبأبدال الثانية ياء والباقون
بالتحقيق (كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) خاصة بأن علمناه آياه جزاء لهم
على كيدهم يوسف عليه السلام في الابتداء وقد قال يعقوب ليوسف عليه السلام فيكيدوا
لك كيداً والكيد من الخلق الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالحق فالمراد من هذا الكيد هو
ان الله تعالى ألقي في قلب أخوته بأن حكموا أن جزاء السارق هو أن يسرق لاجرم لما ظهر
الصاع في رحله ~~حكموا~~ كما عليه بالاسترقاق وصار ذلك سبباً لتكمن يوسف عليه السلام من
امساك أخيه عند نفسه * ولما كان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وهو في حق الله تعالى
محال حمل على الغاية ونهايته هنا اللقاء الانسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه لاسمى له
الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محال على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا ان أخوة
يوسف سعوا في ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقوله تعالى (ما كان) أي
يوسف (ليأخذ أخاه في دين الملك) أي حكمه بيان للكيد لان جزاءه كان عنده الضرب
وتغريم مثلي ما أخذ لانه يستعبد وقوله تعالى (الأن يشاء الله) فيه وجهان أحدهما
أنه استثناء منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله أخذه في دين غير دين الملك وهو دين آل يعقوب عليه
السلام ان الاسترقاق جزاء السارق والثاني انه مفرغ من الاحوال العاتية والتقدير
ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله أي اذنه في ذلك * ولما كان يوسف عليه
السلام انما ~~كان~~ من ذلك يعاود درجته وتكمنه ورفعته بعدما كان فيه عندهم من
الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتا الى مقام التكلم (نرفع درجات من نشاء) أي
بالعلم كما رفعنا درجته وكان الاصل درجاته ولكنه عمم لانه أدل على العظمة فكان أليق
بمظهرها وفي هذه الآية دليل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى
لما هدى يوسف عليه السلام الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك ورفع درجته على أخوته ووصف
ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى نرفع درجات من نشاء عندما حكى عنه دلائل التوحيد والبراءة

عن الهيبة الشمس والقمر والكواكب وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بتوين الناء والباقون
بغير تنوين (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى أن ينتهي
العلم الى الله تعالى فالتعالى فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن التعلم وفي الآية دليل على ان
اخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب أن يتهم العالم
نفسه ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في العليسة في العلوم لانه لا يتخلو عالم من عالم
فوقه * ولما حصل لاخوة يوسف من اخراج الصواع من رحل بنيامين ما حصل فكأنه قيل
فما كان فعلهم عند ذلك فقيل (قالوا) تسليمة لانفسهم ودفعه للعار عن خاصتهم (ان يسرق)
ولم يجوزوا بسرقة لعلمهم بامانة وظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دس بضاعتهم
في رحالهم وكان قد قال لهم ذلك (فقد سرق أخ له من قبل) أي يوسف وكان غرضهم من
ذلك انالسنا على طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه محتصان بهذه الطريقة لانهم ما من أثم أخرى
واختلفوا في التي نسبوها الى يوسف عليه السلام على أقوال فقال سفيان بن عيينة أخذوا حاجة
من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاهم أساتل وقال مجاهد جاءه سائل فأخذ بيضة من
البيت فناولها للسائل وقال وهب كان يحبها الطعام من مائدة يعقوب للفقراء وقال سعيد بن
جبير كان جده أبو أمته كافرا يعبد الوثن وأمرته أمته أن يسرق تلك الاوثان ويكسرها فاعلها يترك
عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذه السرقه وقال محمد بن اسحق ان يوسف عليه السلام كان
عند عمته ابنة اسحق وكانت تحبه حباً شديداً فأرادت أن تمسكه عند نفسها وكان قد بقي
معها منطقة لايها اسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدتها على وسط يوسف عليه السلام
من تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت انه سرقها وكان عليهم أن من سرق يبترق فقال يعقوب
عليه السلام ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى ماتت فتوصلت بهذه الحيلة
الى امساكه عند نفسها قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها سرقة ولكنها تشبهها
فغيره بها عند الغضب وقيل انهم كذبوا عليه وبهمته وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب على
يوسف بعد تلك الوقائع وبعد انقضاء المدة الطويلة قال الرازي وهذه الواقعة تدل على ان قلب
الحاسد لا يطمئن من الغل البتة (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها) أي يظهرها (لهم) والضمير
للكلمة التي هي قوله (قال) أي في نفسه (أنتم شرمتمكم) أي من يوسف وأخيه أي
لسرقتكم أخاكم من أيكم وظلمكم له وقيل الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي
قولهم فقد سرق أخ له من قبل وعلى هذا يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها
في حقه (والله أعلم) منكم (بما تصفون) أي تقولون وأنه ليس كما قلتم قال أصحاب الاخبار
والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصاع من رحل بنيامين نقره وأذناه الى أذنه ثم قال
ان صاعى هذا يجزئني أنكم كنتم اثني عشر رجلا لابل واحد وانكم انطلقتم بأخ لكم من أيكم
فبعته فقال بنيامين أيها الملك ان صاعك يجزئني من جعله في رحلي ثم نقره وأذناه من أذنه فقال
ان صاعى غضبان وهو يقول كيف تسألوني عن صاحبي وقد رويت مع من كنت قالوا فغضب

روبيل لذلك وكانوا اولاد يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقيم لغضبه شيء
 وكان اذا صاح ألقى كل حامل جلها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذامه أحد من
 ولاد يعقوب عليه السلام يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشد هم وروى أنه قال لاختوته
 كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة فقال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك
 أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق ودخلوا على يوسف فقال روبيل لآخوتي علينا أخانا
 أولا يصيحن صيحة لا تبقى بمصر أمنا حامل الألق ولدها وقامت كل شعرة في جسده حتى
 خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب روبيل فبه وروى خديده فالتفت به
 فذهب الغلام فسه فسكن غضبه فقال لاختوته من مسنى منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال
 روبيل ان هنا بذرا من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروى أنه غضب ثانيا فقام اليه
 يوسف فركضه برجله وأخذ ثلابيه فوقع على الارض وقال أنتم يا معشر العبرانيين تظنون
 أن لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم الى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم الى تخليصه خضعوا وذلوا
 وقالوا يا أيها العزيز نخطبوه بما يليق بالكبرياء لهم (أن له) أي هذا الذي وجد الصواع
 في رحله (أبا شيخنا كبيرا) أي في سنه وقدره وهو مغرم به لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه
 (نأخذ أحدنا مكانه) وأحسن الى أبيه بارئ له اليه (اننا نأله) أي نعلك علما هو كالرؤية أو بحسب
 ما رأينا له (من المحسنين) أي العريقين في صفة الاحسان فاجر في أمرنا على عادة احسانك فكانه
 قيل فما أجابهم قيل (قال معاذ الله) دونصب على المصدر وحذف فعله وأضيف الى المفعول أي
 نعوذ بالذي لا مثله لمعاذ اعظيما من (أن نأخذ الاس وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل سرق متاعنا
 لانه لم يفعل في الصواع فعل السارق ولم يقع منه قبل ذلك ما يصح اطلاق الوصف عليه ثم عابه
 بقوله (اننا اذا) أي اذا أخذنا أحدنا مكانه (الظالمون) أي عريقون في الظلم في دينكم فلم تطلبون
 ما هو ظلم عندكم ولما استأسيهم بما قال عن اطلاق بنينا من حكي الله تعالى ماتم لهم من
 الرأي فقال (فلما) اذ بالالفاء على قرب زمن تلك المراجعات (استأسيوا) أي ايسوا (منه) لما
 رأوا من احسانه واطفه ورحمته بأساس شديد بارأوا من ثباته على أخذه بعينه وعدم استبداله
 (خلصوا) أي انفردوا عن غيرهم حال كونهم (تحييا) وهو صدر يصلح للواحد وغيره أي ذوى
 نجوى يناجى بعضهم بعضا فكانه قيل خافوا لواقيل (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل وقيل
 في الفضل والعلم وهو يوحنا وقيل شععون وكان له الرئاسة على اخوته (ألم تعلموا) مقرر لهم
 بما يعرفونه مع قرب الزمان ليستد توجهم في بذل الجهد في الخلاص من غضب أبيهم (أن
 أبائكم) أي الشيخ الكبير الذي فجعتهم في أحب ولده اليه (قد أخذ عليكم) أي قبل أن
 يعطيكم هذا الولد الآخر (موثقا) أي عهدا وثيقا (من الله) في أخيك وانما جعل حلقهم بالله
 موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته وقوله (ومن قبل ما فرطتم) في هذه الآية وجوه
 أظهرها أن ما من يدة فيه علق الظرف بالفعل بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم أي قصرتم في
 حق يوسف وشأنه وزيادة ما كثيرة وبه بدأ الزمخشري وغيره وقيل انهم أصدرت به في محل رفع

بالابتداء والخبر هو قوله (يوسف) أي وتقر بطكم كائن أو مستقر في يوسف وإلى هذا ذهب
 القارسي وقيل غير ذلك ولا نطيل بذلك كما ذكره في هذا القدر كفاية (فلن ابرح) أي أفارق
 (الارض) أي أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) أي بالعود اليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخى
 (وهو خير الحاكمين) أي أعدلهم (فان قيل) هذه الواقعة من أولها إلى آخرها تزوير وكذب
 فكيف يجوز ليوسف عليه السلام أن يعمل مثل هذه الاعمال بآيئه ولم يخبره بكانه وحبس أخاه
 أيضا عنده مع علمه بشدة وجدان أبيه عليه وشدة غمه وفيه ما فيه من العقوق وايداء الناس من
 غير ذنب لاسيما ويعلم أنه اذا حبس أخاه عنده بهذه التهمة فإنه يعظم حزن أبيه ويشد غمه فكيف
 يلقى بالرسول المعصوم المبالغة في التزوير إلى هذا الحد (أجيب) بأجوبة كثيرة للعلماء وأحسنها
 أنه انما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لأن أمره وانما أمره الله تعالى بذلك لينزله يعقوب عليه
 السلام فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آباءه والله تعالى أسرار لا يعلمها أحد من
 من خلقه وهو المتصرف في خلقه بما يشاء فهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة
 مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عبادهم ثم قال كبيرهم (ارجعوا إلى
 أبيكم) دوني (فقلوا) له أي متلففين في خطابكم (يا أبانا) وأكدوا ما التكم فإنه ينكرها
 وقلوا (ان ابنك سرق) (فان قيل) كيف يحكمون عليه بأنه سرق من غير بينة وهو قد أجابهم
 بالجواب الشافي فقال الذي جعل الصاع في رجلى هو الذي جعل البضاعة في رجلكم (أجيب)
 بأنهم لما شاهدوا الصاع وقد أخرج من متاعه غلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى
 السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما
 شهدنا) عليه (الاجماع لنا) ظاهر من رؤيتنا الصاع يخرج من دعائه وأما قوله وضع الصاع
 في رجلى من وضع البضاعة في رجلكم فالفرق ظاهر لأن ههنا لما رجعوا بالبضاعة إليهم
 اعتبروا بأنهم هم الذين وضعوها في رجلكم وأما ههنا الصاع فان أحد الميعترف بأنه هو الذي
 وضع الصاع في رجلكم فلهذا السبب غلب على ظنهم أنه سرق فشهدوا بئنا على الظن (وما كنا
 للغيب) أي ما غاب عنا حين أعطينا الموثق (حافظين) أي ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا
 إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أختاننا ما لنا إلى حفظه سبيل وحقيقة
 الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى ففعل الصاع دس في رجلكم ونحن لانعلم ذلك
 فافعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في ربضاعتنا (واسأل القرية) أي أهلها على
 خندق المضاف وهو مجاز مشهور وقيل انه مجاز لكنه من باب اطلاق المحل وارادة الحال (التي
 كافيها) وهي مصر عما أخبرناك به يخبرك لصدقا فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية
 من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر (واسأل) (العير) أي القافلة وهم قوم من كنعان
 جيران يعقوب عليه السلام (التي أقبلنا فيها) والسؤال طلب الاخبار بأداته من الهمزة أو هل
 أو غيرهما والقرية الأرض الجامعة لحدود فاصلة وأصلها من قرى الماء بجمعة والعير قافلة
 الجير من العير بالفتح وهو الجار هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل في غير الجير ولما كان ذلك

بالانكار لما يهتق من كرم أخيههم أكدوه بقولهم (وانا) أي والله انا (اصادقون) في أقوالنا
ولما رجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل (قال) لهم (بل سؤلت)
أي زينت تريننا فيه غي (لكم أنفسكم أمرا) أي حدثتكم بأمر ففعلتموه والافأ أذرى الملك
أن السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) أي فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل صبرى أو أجل وقدم
مثل ذلك في واقعة يوسف الأنة قال فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا (عسى الله أن
يأتيني بهم) أي يوسف وشقيقه بنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر (جميعا) أي فلا يتخلف
منهم أحد وانما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنة
علم أن الله تعالى سيجعل له فرجا ويخرجنا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى
وتفرس أن هذه الأفعال نشأت عن يوسف عليه السلام وأن الامر يرجع الى سلامة واجتماع
ثم علل هذا بقوله (انه هو العليم) أي البليغ العلم بما خفي عنان من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة الى
المقاصد (الحكيم) أي البليغ فيما يديره ويقضيه (و) لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام
بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين (تولى عنهم) أي انصرف بوجهه عنهم لما
توالى عنده من الحزن (وقال يا أسفا) أي يا أسفى (على يوسف) أي تعال هذا أوانك والاسف
أشد الحزن والحسرة والالاف بدل من ياء المتكلم وانما أسف على يوسف دون أخويه والحادث
انما هو مصيبتهم ما لا ن مصيبتهم كانت قاعدة المصائب والحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان
ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول كما قال مقيم بن نورية لما رأى قبر اجدد اجدد
حزنه على أخيه مالك

فقالوا أتسكى كل قبر رأيته * لغير نوى بين النوى والدكادك

فقلت نعم أن الاسى يبعث الاسى * فدعنى فهذا كله قبر مالك

ولانه كان واثقا بجحيمهم ما دون حياته وفي حديث رواه الطبراني لم تعط أمة من الامم ان الله وانا
السبه راجعون عند المصيبة الأئمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه
ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وايضا عيناها) أي أنمحق سوادهما وبدا يابضا (من الحزن)
أي من كثرة البكاء عليه وقيل عند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها ابيضت
من يابض ذلك الماء وقيل ضعف بصره حتى صار يذرك اذرا كالطيفاء وقيل عى وقال مقاتل
لم يصبر بهم ما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام قيل ان جبريل عليه
السلام دخل على يوسف في السجين فقال ان بصر أيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على
رأسه وقال ليت أعمى لم تلدني ولم أكن حزنا على أبي (فان قيل) هذا اظهار الجزع وجار مجرى
الشكاية وهو لا يليق بمثل يعقوب عليه السلام (أجيب) بأنه لم يذكر الا هذه الكلمة ثم عظم
بكائه ثم أمسك لسانه عن النباحة وذكر ما لا ينبغي ولم يظهر الشكاية مع أحد من الخلق
وبدل لذلك قوله (فهو كظيم) أي مغصوم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما أشكو بى وحزنى الى
الله فكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبتة وقويت محنته صبر وتجرع الغصة وما أظهر

الشكايه به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجزيل روى ان يوسف عليه السلام قال
 لجبريل عليه السلام هل لك علم يعقوب قال نعم قال فكيف حزنه قال حزن سبعين نكلى وهى
 التى لها ولد واحد يوت قال فقول له أبر قال نعم أجر مائة شهيد ولعل أمثال ذلك لا يدخل تحت
 التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد وأيضاً البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب واناعلى
 فراقك يا ابراهيم لحزن ونون رواء الشيخان * (تنبيه) * شرف الانسان باللسان والعين والقلب
 فبين تعالى أن هذه الثلاثة كانت غريقة فى الغم فاللسان كان مشغولاً بقوله يا أسفا والعين
 بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذى يشبه الوعاء المملوء الذى سدت فلا يمكن خروج الماء
 منه وهذا المنفعة فى وصف ذلك الغم * ولما وقع من يعقوب عليه السلام ذلك كان قائلاً يقول
 فما قال له أولاده فقيل (قالوا) له حنقنا من ذلك (تالله تفتق) أى لا تفتقوا أى لا تزال (تذكر
 يوسف) تفجعاً ففتق جواب القسم وهو على حذف لا كقول الشاعر

فقلت عني الله أبرح قاعدا * ولو قطع وارأسى اليك وأوصالى

ويدل على حديثها أنه لو كان مشتبها لا قرن بلام الابتداء ونون التوكيد معاً عند البصريين
 أو أحدهما عند الكوفيين فتفتقوا هنا ناقصة بمعنى لا تزال كما تقرر ورسمت فتقوا بالواو (حتى) إلى
 ن (تكون حرضا) أى مشرفاً على الهلاك لطول مرضه وهو مصدر يستوى فيه الواحد
 وغيره (أو تكون من الهالكين) أى الموتي (فان قيل) لم حلفوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك
 قطعاً (أجيب) بأنهم بنوا الأمر على الظاهر قال أكثر المفسرين قائل هذا الكلام هم أخوة
 يوسف وقال بعضهم ليس الإخوة بل الجماعة الذين كانوا فى الدار من أولاده وخدمه * ولما قالوا
 له ذلك فكان قائلاً يقول فما قال لهم فقيل (قال) لهم (انما أشكوا بى) والبت أشد الحزن
 سعى بذلك لانه من صعبوته لا يطاق حمله فيباح به وينشر (وحزنى) مطلقاً وان كان سببه خفيفاً
 يقدر الخلق على ازالته (الى الله) المحيط بكل شئ علماً وقدره لا الى غيره فهو الذى تنفع الشكوى
 اليه (وأعلم من الله) أى الملك الاعلى من اللطف بنا أهل البيت (مالاتعلمون) فباتت بالفرج
 من حيث لا أحتسب وفى ذلك اشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وذكر
 اسباب هذا التوقع أموراً أحدها أن ملك الموت أتاه فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني
 يوسف قال لا يا بى الله ثم أشار الى جانب مصر وقال اطلبه من ههنا ولذلك قال (يا بى اذهبوا
 فتحسسوا) أى والتحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قرىب من التحسس بالجسم وقيل التحسس
 بالخاء يكون فى الخبر والجسم يكون فى الشر ومنه الحاسوس وهو الذى يطلب الكشف عن
 عورة الناس والمعنى تحسسوا وخبروا (من) أخبار (يوسف وأخيه) أى اطلبوا خبرهما
 وثانيها أنه علم أن رؤيا يوسف عليه السلام صادقة لأن أمارات الرشد والمكالم ظاهرة فى حق
 يوسف عليه السلام ورؤيا مثله لا تحظى وثالثها العلة تعالى أوحى اليه أنه سيوصله اليه ولكنه
 تعالى ما عين الوقت فلهذا بقى فى القلق ورابعها قال السدى لما أخبره بنو بسيرة الملك وكال

حاله وأقواله وأفعاله طمع في أن يكون هو يوسف وقال بعيداً أن يظهر في الكفار من بعده ثم
 تطفئ بينه وقال لهم (ولاً تأسوا) أي تقنطوا (من روح الله) قال ابن عباس من رحمة الله
 وقال قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله (انه لا يأس من روح الله الا القوم
 الكافرون) أي الغريقون في الكفر قال ابن عباس ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء
 ويحمده على الرخاء والكافر على الضد من ذلك فان اليأس من رحمة الله لا يحصل الا اذا اعتقد
 الانسان أن الله العالم غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكريم بل هو
 بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر واذا كان اليأس لا يحصل الا لمن كان كافراً وقرأ البزى بعد التاء
 هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل الا لمن كان كافراً وقرأ البزى بعد التاء
 من تأسوا وبعد اليأس من لا يأس بألف وبعدها ياء مفتوحة بخلاف عنه والباقيون بهم حصة
 مفتوحة قبلها ياء ساكنة * ولما قال يعقوب عليه السلام لبنيه ذلك قبلوا منه هذه الوصية وعادوا
 الى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف عليه السلام (قالوا يا أيها العزيز) وكان العزيز
 لقب الملك مصر يومئذ (مسنأ وأهلنا) أي من خلفناهم ورأنا (الضر) أي لا بسنا ملابسة
 فحسها (وجئنا بضاعة) وقالوا (من جاة) أما نقصها أو لرداءتها أو لهما جميعاً وقال الحسن
 البضاعة المزجاة القليلة واختلفوا في تلك الرداءة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة
 لا تقبل في ثمن الطعام وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل الاقط وقيل النعال والادم
 وقيل ان دراهم مصر كان ينقش فيها صورة يوسف عليه السلام والدراهم التي جاؤا بها اما كان
 فيها ذلك فما كانت مقبولة عند الناس ثم سبوا عن هذا الاعتذار لانه أقرب الى رجة أهل
 الكرم قولهم (فأوف لنا الكيل) أي شفقة علينا بسبب ضعفنا (وتصدق) أي تفضل (علينا)
 زيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل ترجو ثوابه ولما رأوا أفعاله تدل على تمسكه بدين الله تعالى علوا
 ذلك بقولهم (ان الله) أي الذي له الكمال كله (يجزي المتصدقين) أي وان كانت على غنى قوى
 فكيف اذا كانت على أهل الحاجة والضعف * (فائدة) * سئل سفيان بن عيينة هل حرمت
 الصدقة على نبي من الانبياء سوى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال سفيان ألم تسمع قوله
 وتصدق علينا الآية يريد أن الصدقة كانت حلالا لهم ولا يهيم وروى أن الحسن سمع رجلاً
 يقول اللهم تصدق على قال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبعي الثواب قل اللهم أعطني
 وتفضل على (فان قيل) اذا كان ابوهم أمرهم أن يتحسوا من يوسف وأخيه فلم عادوا الى
 الشكوى (أجيب) بأن المتحسب يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز
 وضوارة الحال وقلة المال وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا لنجربه في هذه الامور
 فان رقق قلبه لنا ذكركم ناله المقصود والاسكتنا فقدموا هذه المقدمة قال أبو اسحق ذكر لي
 أنهم لما كلموه بهذا الكلام أدركته الرقة على اخوته فافرض دمه فباح بالذي كان يكره فلهذا
 (قال) لهم (هل علمتم) مقرر لهم بعد ان استأنسوا به قال البقاعي والظاهر ان هذا كان بغير
 ترجمان (ما) أي قبح الذي (فعلتم يوسف) أي أخيكم الذي حلمتم بينه وبين أبيه (وأخيه) في

جعلكم اباد فريد امنه ذابلا بينكم ثم في قولكم له لما وجد الصاع في رحله لا يزال يا نينا البلاء
من قبلكم يا بني راحيل وانما قال لهم ذلك نجا لهم وتحرر يضا على التوبة وشفقة عليهم لما
راى من عجزهم وعسكنتهم لامعانة وتثريا وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخلص
بنيامين وذكر والده ما عوفيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وقوله (اذا نتم جاهلون)
أى فاعلون فعلهم اولانهم كانوا حينئذ ضيما ناطيا شين تلويا الى معرفته فقد روى أنه لما قال هذا
تيسم وكان في تيسمه أمر من الحسن لا يجهله منه من رآه ولو مرة واحدة فعرفوه بذلك فلذلك
(قالوا أئنا لك لا نيت يوسف) استقهم تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقيل عرفوه بنظرة
وخلة حين كلمهم وقيل رفع التاج عن رأسه فأوعلامه بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان
لسارة ويعقوب واسحق مثلها وقرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر وقرأ قالون
وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستقهم وقرأ ورش
بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستقهم أيضا وقرأ الباكون بتحقيق الهمزة مع
القصر ولهمشام وجه ثان وهو المد وقيل انهم لم يعرفوه حتى (قال) لهم (أنا يوسف) وزادهم بقوله
(وهذا أخى) بنيامين شقيقى وانما ذكر لهم ليزيدهم ذلك معرفة له وتبيناتى أمره وليبنى عليه
قوله (قدم من الله علينا) قال ابن عباس بكل خير فى الدنيا والآخرة وقال آخرون بالجمع بينا بعد
التفرقة (أنه من يتق) أى المعاضى (ويصبر) أى على البليات وأذى الناس وقال ابن
عباس يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن (فان الله
لا يضيع أجر المحسنين) والمعنى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لاشتماله على المتقين وقرأ قبل بآيات الباء بعد القاف وقفا ووصلا واختلف
المعربون فى ذلك على وجهين أجودهما أن أثبات حرف العلة فى الجزم لغة لبعض العرب
وأشدوا عليه قول قيس بن زهير

ألم يأتيك والاباء تنبى * بما لاقت لبون بنى زياد

(وقول الآخر)

هجوت زبان ثم جئت معتذرا * من هجوزبان لم تهجو ولم تدع

(وقول الآخر)

إذا العجوز غضبت فطلقي * ولا ترضاها ولا تلقى

والشأنى أنه مرفوع غير محجوز ومن موصولة والفعل صلته فلذلك تم بآيات لامة وسكن يصبر
لتنوالى الحركات وان كانت فى كلمتين وقرأ الباكون بالحدف وقفا ووصلا ولما ذكر يوسف عليه
السلام لآخوته ان الله تعالى من عليه وأنه من يتق ويصبر فان الله تعالى لا يضيعهم صدقوه فيه
واعترفوا بالفضل والمربة ولذلك (قالوا) متقسمين بقولهم (تالله) أى الملك الاعظم (لقد أترك
أى اختارك) (الله علينا) بالعلم والعقل والحلم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك واحتج بعضهم
بهذه الآية على ان آخوته ما كانوا أنبياء لان جميع المناصب التى تكون مغايرة لمنصب النبوة

كالعدم بالنسبة اليه فلو شار كوه في منصب النبوة لما قالوا ذلك ثم قالوا (وان كانا طائفتين) أي
 والحال ان شأنا انا كما مدينين بما فعلنا معك ولذلك اذننا الله تعالى لك فكأنه قيل ما قال لهم
 على قدرته وتمكنه مع ما سلف من اهااتهم له فقيل (قال) لهم قول الكرام اقتداء باخوانه من
 الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (لا تثريب) أي لا لوم ولا تعنيف ولا هلاك (عليكم اليوم)
 وانما خصه بالذكرا لانه مظنة التثريب فاذا اتى ذلك فيه غاظنك بما بعده ولما أعفاهم من
 التثريب كانوا في مظنة السؤال عن كمال العقوب والمزبل للعقاب من الله تعالى فاتبعه الجواب عن
 ذلك بالدعاء لهم بقوله (يقفر الله) أي الذي لا اله غيره (لكم) أي ما فرط منكم وعبر في هذا الدعاء
 بالمضارع ارشاد لهم الى اخلاص التوبة ورغبتهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران
 فقال (وهو) تعالى (أرحم الراحمين) لجميع العباد لاسيما العايب فهو جدير بادراك النعم روى
 أنهم أرسلوا اليه انك لتدعونا الى طعامك وكرامتك بكرة وعشيا ونحن نستحي مما فرط منا فقال
 ان أهل مصر ينظرونني وان ملكك فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبد ابعشرين
 درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم اخوتي واني من
 ذرية ابراهيم عليه السلام ولما اقر أعينهم بعد اجتماع شملهم بازالة ما يخشونه دنيا وأخرى
 سأل عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدى قالوا ابضت عيناه من الحزن فأعطاهم قميصه وقال
 (اذهبوا بقميصي هذا) وهو قميص ابراهيم عليه السلام الذي لبسه حين ألقى في النار عريانا
 فأناه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه
 اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك في قصبة من فضة
 وسد رأسها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في
 البئر عريانا جاءه جبريل وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه في الوقت
 جاءه جبريل عليه السلام وقال ارسل ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يبع على مبتلى ولا
 على سقيم الاعوف في دفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال اذا وصلت الى أبي (فالقوه على
 وجه أبي بات) أي يصير (بصيرا) أي يرذ اليه بصره كما كان أو يأت الى حال كونه بصيرا
 (واثوني) أي أبي وأنتم (بأهلكم) أي مصاحبين لكم (أجمعين) لا يتخلف منكم أحد فرجعوا
 بالقميص لهذا القصد وروى أنهم ذاهوا الذي حل القميص لما الطخوه بالدم فقال لا يحل
 هذا غيري لافرحه كما أكرنته فحمله وهو خاف من مصر الى كنعان وبينهما مائتان فرسخا (ولما
 فصلت العير) من عريش مصر وهو آخر بلاد مصر الى أول بلاد الشام (قال أبوه) لولده
 ومن حوله من أهلهم مؤكدا للعله أنهم يشكرون قوله (اني لاجد ربح يوسف) أو صلته اليه ربح
 الصبا باذن الله تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر قال مجاهد هبت ربح فصفت
 القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واقتلت يعقوب فوجد ربح الجنة فعلم عليه السلام
 أنه ليس في الدنيا من ربح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال أهل المعاني ان الله تعالى
 أوصل اليه ربح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المنحة ومحجي وقت الفرج من المكان

البعيد ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل ومعنى أجدر يرجح يوسف أشم وعبر بالوجود دلالة وجدان له بحاسة الشم (لولا أن تفقدون) أي تنسبونني إلى الخرف قال أبو بكر الأنباري أفند الرجل إذا خرف وتغير عقله وعن الأصمعي إذا كثرت كلام الرجل من خرف فهو مقند قال في الكشف يقال شيخ مقند ولا يقال عجوز مقندة لانهم لم تكن في شبهم أذات رأى حتى تفند في كبرها وقيل التفند الفساد يقال فندت فلانا إذا فسد رأيه ورددته قال بعضهم

يا صاحبي دعا لومي وتفندي * فليس مافات من أمر مجرد

ولما ذكر يعقوب عليه السلام ذلك (قالوا) أي الحاضرون عنده (تالله أنك لقي ضلالك) أي حبك (القديم) أي يوسف لا تنساه ولا تذله عنه على بعد العهد وهو كقول اخوة يوسف ان أبانا لقي ضلال مبين وقال مقاتل معنى الضلال هنا الشقاء أي شقاء الدنيا والمعنى أنك لقي شقاءك القديم بما تكابده من الإحزان على يوسف وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قدم مات فكان يعقوب في ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب ثم انهم بعجلوا له بشيرا فأسرع قبل وصولهم بالقميص (فلما) وزيدت (أن) لئلا كبد مجيئه على تلك الحالة وزيدتها بعد لما قبس مطرد (جاء البشير) وهو يهودا بذلك القميص (اللقاء) أي طرحه البشير (على وجهه) أي يعقوب وقيل اللقاء يعقوب على وجه نفسه (فارتد) أي رجع (بصيرا) أي صيره الله بصيرا كما كان كما يقال طالت الغفلة والله تعالى هو الذي أطالها * ولما ألقى القميص على وجهه وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحرانه فعند ذلك (قال) لبنيه (ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا قال السهيلي لما جاء البشير إلى يعقوب عليه السلام أعطاه في بشارته كلمات كان يرويه عن أبيه عن جده عليهم السلام وهي بالطفاف فوق كل لطيف الطف في أمور كلها كما أحب ورضي في ديني وآخرى وروى أن يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الا نعمت النعمة فعند ذلك (قالوا يا أبانا) منادين بالاداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعد هالماله من عظيم الوقع (استغفر) أي اطلب من الله تعالى أن يغفر (لناذوبنا) أي التي اقترفتها هم قالوا مؤكدين تحقيقا للاخلاص في التوبة (انا كنا خاطئين) أي متعمدين لللاثم بما ارتكبنا في أمر يوسف عليه السلام ومن حق العترف بذنبه أن يصفح عنه ويسئل له المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فكانه قيل فما قال لهم فقبل (قال) لهم (سوف استغفر) أي اطلب أن يغفر (لكم رب) الذي أحسن الى بأن يغفر لبي حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقاء والربوبية ملك هو أتم الملك على الإطلاق وهو ملك الله تعالى وظاهر هذا الكلام أنه لم يستغفر لهم في الحال بل وعدهم بأن يستغفر لهم بعد ذلك

واختلفوا في سبب هذا المعنى على وجوه فقال ابن عباس والاكثرون أراد أن يستغفر
لهم في وقت السحر لأن هذا الوقت أوفق الأوقات لرجاء الاجابة وفي رواية أخرى أنه أخر
الاستغفار إلى ليلة الجمعة لانهم أوفق لأوقات الاجابة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
في ثيف وعشرين سنة وقال طاووس أخر إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وقيل
استغفر لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني أداوم على هذا الاستغفار في الزمان
المستقبل وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزئي على
يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما فعلوا في حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه اني قد
غفرت لك ولهم أجمعين وعن الشعبي قال أسأل يوسف أن عفا عنكم أسأستغفر لكم ربي (أنه
هو الغفور الرحيم) كل ذلك تسكيناً لقلوبهم وتصحيحاً لجاههم وروى أن يوسف عليه السلام
كان بعث مع البشير إلى يعقوب عليه السلام مائتي راحلة وجهازا كثير الياقوت يعقوب
وأهله وولده فتهيأ يعقوب عليه السلام للخروج إلى مصر فخرج بهم فلما دنا من مصر كلم يوسف
الملك الذي فوقه فخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وركب
أهل مصر معهم ما أبجعهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب عيشى وهو يتوكأ على يده وذاقنظر
إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد
منهم من صاحبه ذهب يوسف يديه بالسلاسل فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلاسل فقال
يعقوب السلام عليكم يا مذهب الاحزان وقال الثوري لما التقى يعقوب ويوسف عليه السلام
عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ابيضت عيناك ألم
تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن يسلب دينك في حال بيني وبينك فذلك
قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى) أى ضم (إليه أبويه) قال الحسن أباه وأمه وكانت
حبة اكرامها بما يميزان به وغلب الاب في التسمية لذكوريته وعن ابن عباس أنها حالته
لسا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين قال البغوي وفي بعض التفاسير ان الله تعالى أحيا
أمه حتى جاءت مع يعقوب إلى مصر (فأن قيل) ما معنى دخولهم عليه قبل مصر (أجيب) بأنه
حين استقبلهم نزل بهم في خيمة أو بيت هناك فدخلوا عليه وضم إليه أبويه (وقال) مكرما
(ادخلوا مصر) أى البلد المعروف وأنى بالشرط للامن لا للدخول فقال (ان شاء الله آمين) من
جميع ما ينوب حتى محافطتهم في حق وفي حق أخى روى أن يعقوب عليه السلام وولده دخلوا
مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منهم مع موسى عليه السلام والمقاتلون
منهم سقانة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الصبيان والشيوخ (و) لما استقرت
بهم الدار بدخول مصر (رفع أبويه) أى أجلسهما معه (على العرش) أى السرى الرفيع
والرفع هو النقل إلى العلو (وخرأله) أى اخنأه له أبواه واخوته (سجدا) أى سجودا انحناء
والتواضع قد يسمى سجودا كقول الشاعر * ترى الإكم فيها سجد للجوارف لا وضع جبهة وكان
تحتهم في ذلك الزمان وأنهم وضعوا الجباه وكان ذلك على طريقة النخبة والتعظيم لا على طريقة

العبادة وكان ذلك جائزًا في الأمم السالفة فتسخت في هذه الشريعة. وروى عن ابن عباس أنه قال معناه خذوا لله سجدة بين يدي يوسف عليه السلام فيكون سجود شكر لله لأجل وجدان يوسف ويدل عليه قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وخذوا له سجدة وذلك يشعر بأنهم سجدوا على السرير ثم سجدوا لله تعالى ولو أنهم سجدوا ليوسف لسجدوا لله قبل السجود على السرير لأن ذلك أدخل في التواضع (فان قيل) هذا التأويل لا يطابق قول يوسف عليه السلام (وقال يا أبت هذا أنا ويل رؤياي من قبل) والمراد منه قوله أني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين أي رأيتهم ساجدين لأجلي أي أنهم سجدوا لله لطلب مصلحة والسعي في اعلام منصبه وإذا كان هذا محتملا لاسقاط السؤال قال الرازي وعندي أن هذا التأويل متعين لأنه يبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة وأما أنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا وشكروا النعمة وجدانه فإنه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت إلى الكعبة قال حسان

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن

أليس أول من صلي لقبلتكهم * واعرف الناس بالآثار والسنن

ثم استأنف يوسف عليه السلام فقال (قد جعلها ربي) أي الذي رباني بما أوصاني إليها (حقا) أي مطابقة للواقع لتأويلها وتأويل ما أخبرني به أبت والتأويل تفسير ما يؤول إليه معنى الكلام وعن سلمان رضي الله تعالى عنه أن ما بين رؤياه وتأويلها أربعون سنة وعن الحسن أنه ألقى في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم وصل إلى أبيه وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة (وقد أحسن) أي أوقع احسانه (بي) تصديقا لما بشرني به من انعام النعمة وتعديبه أحسن بالباء أدل على القرب من التعديبه بالي وإن كان أصل أحسن أن يتعدى بالي كما قال تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك وقيل ضمن معني لطف فتعدى بالياء كقوله تعالى وبالوالدين إحسانا وقال (إذا أخرجني من السجن) ولم يذكر إخراجهم من الحب لوجوه أولها أنه قال لا خوته لا تتريب عليكم اليوم ولو ذكر واقعة الحب لكان ذلك تزييلا لهم فكان إهماله جاريا مجرى الكرم ثانياً أنه لما خرج من الحب لم يصير ملكا بل صيره عبداً وأغصار ملكا بعد إخراجهم من السجن فكان هذا الإخراج أقرب من أن يكون انعاما كاملا. ثالثاً أنه لما خرج من الحب وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة المرأة ولما خرج من السجن وصل إلى أبيه واخوته فكان هذا أقرب إلى المنفعة مع أن اللفظ محتمل للجب أيضا لكنه احتمال خفي. ولما كان يعقوب وولده بأرض كنعان وتحول إلى بدو قال ابن عباس ومنه قدم علي يوسف قال يوسف عليه السلام (وجاء بكم من البدو) أي من أطراف بادية فلسطين وذلك من أكبر النعم كما جاء في الحديث من يراد الله به خيرا ينقله من البادية إلى الحاضرة والبدو ضد الحاضرة وهو من الظهور يقال بدا يد وأذا سكن في البادية يروى عن عمر إذا بدونا جفروا أي تحلقنا بأخلاق البدوين قال الواحدي البدو بسط من الأرض يظهر فيه

الشخص من بعيد وأصله من بدأ يد وبدوا ثم سمي المكان باسم المصدر وفي الآية دلالة على أن
 فعل العبد خلق الله تعالى لأنه أضاف أخرجه من السجن إلى الله تعالى ومجيئهم من البدء إليه
 (من بعد أن نزع) أي أفسد (الشيطان) بسبب الحسد (بين وبين أخوتي) وأصل النزغ
 دخول في أمر لافساده (فان قيل) إضافة يوسف عليه السلام الخير إلى الله تعالى والشر إلى
 الشيطان تقتضي أن فعل الشر ليس من الله تعالى كما قاله بعض المبتدعة ولو كان منه لضافه إليه
 (أجيب) بأن إضافة هذا الفعل إلى الشيطان مجاز لأن الفاعل المطلق هو الله تعالى في الحقيقة
 قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فثبت بذلك أن الكل من عند الله تعالى وبفضائه
 وقدره وليس للشيطان فيه مدخل إلا بالقاء الوسوسة والتحرير لفساد ذات العبد وذلك باقدار
 الله تعالى إياه على ذلك كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن
 دعوتكم فاستجبتم لي ولما كان حصول الاجتماع بينه وبين أخوته وأبويه مع الألفة والمحبة
 وطيب العيش وفرار البال وكان في غاية البعد عن العقول إلا أنه تعالى لطيف قال يوسف
 عليه السلام (إن ربي لطيف لما يشاء) أي لطيف التدبير له إذ ما من صعب إلا وثقده فيه مشيئة
 ويتسهل دونها فإذا أراد حصول الشيء سهل أسأله به فحصل وإن كان في غاية البعد عن الحصول
 (أنه هو العليم) بوجود المصالح والتدابير (الحكيم) أي الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى
 وجهه يقتضي الحكمة روى أن يوسف عليه السلام طاف بأبيه في خزائنه فلما أدخله خزائنه
 القراطس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى علي ثمان مراحل قال
 أمرني جبريل بذلك قال أو ما نسأله قال أنت أقرب مني إليه فسأله فقال جبريل الله أمرني
 بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فبلاخفتني ولما حضر يعقوب عليه السلام
 الموت وصي يوسف عليه السلام أن يحمله ويدفنه عنده فدفن بنفسه فدفنه ثم عاد إلى مصر
 وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة * ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم ناقت نفسه إلى الملك الدائم
 فقال (رب قد آتيتني) وافتخ بقدره لأن الحال حال توقع السامع لشرح حال الرؤيا (من الملك)
 أي بعضه بعد بعدى منه جداً وهو ملك مصر (وعلمتني من) أي بعض (تأويل الأحاديث)
 طبق ما بشرني به أي وأخبرت به أنت من التمكن والتعليم قبل قولك والله غالب على أمره ثم
 ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال (فاطر) أي خالق (السموات والأرض) ثم أعلمه بما هو
 أعلم به منه من أنه لا يقول على غيره في شيء من الأشياء (أنت ولي) أي الأقرب إلى باطنها
 وظاهرها (في الدنيا والآخرة) أي لا ولي في غيرك والولي يفعل لموليه الأصل والاحسن فأحسن
 لي في الآخرة أعظم مما أحسنت لي في الدنيا روى أنه صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن
 رب العزة جل وعلا أنه قال من شغلته ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين
 فلهذا المعنى من أراد الدعاء لا بد وأن يقدم عليه ذكر الثناء على الله تعالى فهذا يوسف
 عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد آتيتني من الملك وعلمتني
 من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض ثم ذكر عقبه الدعاء وهو قوله (توفني) أي

اقض روي واقيتا ما في جميع أمرى حسا ومعنى حال كوفى (مسلم) ولما كان المسلم
 حقيقة من كان عريقا في الاخلاص عقبه بقوله (وألحقني بالصالحين) ونظيره ما فعله الخليل
 عليه السلام في قوله الذى خلقني فهو يهدين فن ههنا الى قوله رب هب لي حكما تعالى الله تعالى
 ثم من قوله رب هب لي حكما الى آخر الكلام دعاء فكذا هنا * (تنبيه) * اختلف في قوله توفى
 مسلما هل هو طلب منه للوفاء أم لا فقال قتادة سأل ربه اللجوء به ولم يمتني قط الموت قبله
 وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفني على
 الاسلام فهذا اطلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب
 الوفاة واللفظ صالح للامرين ولا يعنى الرجل العاقل اذا اكمل عهده أن يمتني الموت وتعظم
 رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان الخطباء والبلغاء وان أطلبوا في مدته الدنيا الا أن حاصل
 كلامهم يرجع الى ثلاثة أمور أحدها ان هذه السعادات سريعة الزوال مشرفة على الفناء
 والام الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجودها وثانيها انها غير حاصلة بل هي
 موزجة بالمنغصات والمكدرات وثالثها ان الاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما
 كان حصة الاراذل أعظم بكثير من حصة الافاضل فهذه الجهات الثلاثة منفردة عن هذه
 اللذات ولما عرف العاقل انه لا يحصل تحصيل هذه اللذات الامع هذه الجهات الثلاثة المنفردة
 لا يجرم معنى الموت ليتخلص عن هذه الآفات ومنها أن تداخل اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلاثة
 أنواع لذة الاكل ولذة النكاح ولذة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة وأما لذة الاكل فقبحها
 عيوب أحدها ان هذه اللذة ليست لذة قوية فانه لا يمكن ابقاؤها فان الانسان اذا أكل وشبع
 لم يبق فيه الا لذة اذبالاكل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية وثانيها انها في نفسها خسيسة
 وان الاكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبراق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء منفرد ولما يصل
 الى المعدة يظهر فيه الاستحالة الى الفساد والتفنن والعقوبة وذلك أيضا منفرد وثالثها ان جميع
 الحيوانات الخسيسة مشاركة فيها ورابعها ان الاكل انما يطلب عند اشتداد الجوع والجوع
 نقص وافة وخامسها ان الاكل مستحق عند العلاء حتى قبل من كانت همته ما يدخل في بطنه
 فقيمه ما يخرج من بطنه فهذه اشارات مختصرة الى معاييب الاكل وأما لذة النكاح فها ذكر
 في الاكل حاصل ههنا مع أشياء أخرى ان النكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تكثر الاطفال
 فتكثر الحاجات الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيال في المال بطرق لانها به لها وربما
 صارها لكسب طلب المال وأما لذة الرياسة فعيوبها كثيرة منها أن يكون على شرف الزوال
 في كل حين وأوان ومنها انه عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال ومنها أنه يكون عند
 زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال فالعاقل اذا تأمل في هذه المعاني
 علم قطعها انه لا صلاح له في طلب هذه اللذات فيكون لقاء الله عنده أربع فية معنى الموت وعن عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان ميمون بن مهران بات عنده فرأه كثير البكاء والمساءلة للموت
 فقال له صنع الله لك خيرا كثيرا أحيت سنبا وأمت بدعا وفي حيانك خير وراحة لاهل مسلمين فقال

أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وبجع له أمره قال توفني مسلماً وألحقني بالصالحين
(فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون أنهم يموتون لامحالة على الاسلام فكان هذا
الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل وانه لا يجوز (أجيب) بأن حال كمال المسلم أن يستسلم
لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وتطمين النفس
وينشرح الصدر وينفسح القلب في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد
الكفر والمطلوب ههنا هو الاسلام بهذا المعنى (فان قيل) ان يوسف عليه السلام كان من أكابر
الانبياء والصالح أول درجة المؤمنين فالواصل الى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية
(أجيب) بأن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يعنى بأن يلحقه بأبائه ابراهيم واسماعيل
واسحق ويعقوب والمعنى ألحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم وولد ليوسف عليه السلام من امرأة
العزير ثلاثة افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورجلة امرأة أيوب عليهم السلام ولما تأقت
نفسه الى الملك المخلد وتغنى الموت فلم يأت عليه أسبوع حتى توفاه الله عز وجل طباطباً هراً وتشاح
الناس في دفنه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركة حتى هموا بالقتال فرأوا
أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفونه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليحرق عليه الماء
وتصل بركة الى جميعهم قال عكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فأخصب ذلك الجانب
وأجسد الجانب الآخر فقل الى الجانب الايسر فأخصب ذلك الجانب وأجسد الآخر
فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فأخصب الجانبان الى أن أخرجه موسى عليه السلام
ودفنه بقرب آبائه بالشام وقديس الله تعالى زيارته وزيارة آبائه في عام شرعت في هذا التفسير
سنة أربع وستين وتسعمائة جمعني الله تعالى وآبائي وأهلي وأصحابي وأحبائي معهم في دار
كرامته * ولما تم الذي كان من أمر يوسف عليه السلام واخوته على الوجه الاحكم والصراط
الاقوم من ابتدائه الى انتهائه قال تعالى مشيراً الى أنه دليل كاف في تصحيح نبوته صلى الله عليه
وسلم بقوله (ذلك) أي الذي ذكرته لك يا محمد من قصة يوسف عليه السلام وما جرى له مع اخوته
ثم صار الى الملك بعد الرق (من انباء الغيب) أي أخبار ما غاب عنك (نوحيه اليك) أي الذي
أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحينا اليك (والحال انك) ما كنت لديهم أي عفا اخوة
يوسف عليه السلام (اذ) أي حين (أجمعوا أمرهم) أي عزموا على أمر واحد وهو القاء
يوسف في الحب (وهم يكرهون) أي يدبرون الاذى في الخفية يوسف والمعنى ان هذا النبأ غيب
لانه صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولا تلمذ لاحد ولا كانت البلدة بلدة العلماء وآبائه صلى الله
عليه وسلم بهذه القصة الطويلة على وجه لا يقع فيه تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن
غير أن يقال انه حاضر معهم لا بد وأن يكون معجزاً وقوله تعالى وما كنت لديهم ذكر على سبيل
التكليم بهم لان كل أحد يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان معهم ولم أسألت قريش واليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم كقصة له أبو حنيفة عن ابن الانباري عن قصة يوسف عليه السلام
فزلت مشروجة هذا الشرح الشافي مبينة هذا البيان الوافي فأتمل صلى الله عليه وسلم أن يكون

ذلك سبب اسلامهم فخالقوا تأميلة عزاء الله تعالى بقوله (وما أكره الناس) أى أهل مكة (ولو
 حرصت) على إيمانهم (بمؤمنين) لعبادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك إشارة إلى ما ذكر الله
 تعالى في قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم نفي عنه التهمة بقوله
 تعالى (وما ننسأ ألهم عليه) أى على تبليغ هذا الكتاب الذى أوحيناها إليك وأغرق في النقي فقال
 (من أجر) حتى يكون سؤالك سببا لأن يتهموك وأيقولوا لولا أنزل عليه كثر ليسغن به عن سؤالنا
 ثم نفي عن هذا الكتاب كل غرض دينوى بقوله تعالى (ان هو الا ذكر) أى عظة من الله تعالى
 (للعالمين) عامة ثم ان الله تعالى أخبر عنهم انهم لما تأملوا الآيات الدالة على توحيده تعالى
 بقوله تعالى (وكأين) أى وكفى (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى (في السموات) كالدبرين
 وسائر الكواكب والصاب وغير ذلك مما لا يحصىه الا الله تعالى (والارض) من الجبال
 والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصىه الا الله تعالى (يعتزون عليها) أى يشاهدونها (وهم عنها
 معرضون) أى لا يفتكرون فيها فلا يحب اذ لم يتأملوا في الدلائل على نبوتك فان العالم مملوء من
 دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ثم انهم يعتزون عليها ولا يفتنون اليها * ولما كان ربما قيل
 كيف يوصفون بالاعراض وهم يعتقدون ان الله تعالى فاعل ذلك الآيات بين ان اشراكهم
 سقط لذلك بقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله) حيث يقرّون بأنه الخالق الرازق (الا وهم
 مشركون) بعبادته الاصنام قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم لم يقولوا الله لكنهم كانوا
 يثبتون شركا في العبودية وعن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في تلبية مشركي العرب كانوا
 يقولون في تليبتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنون الاصنام وعنه أيضا
 أن أهل مكة قالوا الله ربنا وحمده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوجدوا بل أشركوا وقال عبدة
 الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاء فعندنا عندنا وقالت اليه ودربنا الله وحده وعزير ابن الله
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهو لا وربنا وقال
 المهاجرون والانصار ربنا الله وحده لا شريك له ولما كان أكثر هؤلاء لا يتقادون بالاعذاب
 قال تعالى (أفأمنوا) انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد (أن تأتيتهم) في الدنيا (غاشية) أى نقمة
 تغشاهم وتسلمهم (من عذاب الله) أى الذى له الامر كله كما أتى من ذكرنا قصصهم من الامم
 (أو تأتيتهم الساعة بغتة) أى فجأة وهم عنها في غاية الغفلة وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أى
 بوقت آتياها قبله كالتأكيده لقوله بغتة * ولما كان صلى الله عليه وسلم مبلغا عن الله تعالى أمره
 أن يأمرهم باتباعه بقوله تعالى (قل) يا أعلی الخلق وأصفاهم وأعظمهم نصحا واخلاصا (هذه)
 أى الدعوة الى الله تعالى التى أَدْعُوا اليها (سبيلى) أى طريقى التى أَدْعُوا اليها الناس وهى
 توحيد الله تعالى ودين الاسلام وسبيل الانبياء لان الطريق المؤدى الى ثواب الجنة ادعو
 الى الله) أى الى توحيده والايان به (على بصيرة) أى حجة واضحة وقوله (انا) تأكيده لم يستتر
 فى ادعوه وعلى بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة وقوله (ومن اتبعنى) أى من آمن بى
 وصدق بما جاءنى عطف عليه لان كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد ادعاه قدور وسعه

الى الله وهذا دل على أن الدعاء الى الله انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على
بصيرة مما يقول ويقرن فان لم يكن كذلك والافهو محض الغرور وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعون اليه * (فائدة) * جميع القراء يثبتون
الباء وقفا وصلاتها في الرسم (وسبحان) أى وقل سبحان (الله) تنزيها للتعالي عما يشركون
به (وما أنا من المشركين) أى الذين اتخذوا مع الله ضدا وبندا ولما قال أهل مكة للنبي صلى الله
عليه وسلم هلا بعث الله ملكا قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك) الى المكلفين (الرجال) أى
مثل ما انت رجل لا ملائكة ولا اناثا كما قاله ابن عباس ولا من الجن كما قاله الحسن (يوحى اليهم)
أى بواسطة الملائكة مثل ما يوحى اليك وقرأ أحفص قبل الواو بالنون وكسر الحاء والباقون
بالباء وفتح الحاء وضم الهاء من اليهم حمزة على أصله وكسرها الباقون (من أهل القرى) أى من
أهل الامصار والمدن المنية بالمدروا والحجرو ونحوه لامن أهل البوادي لأن أهل الامصار أفضل
وأعلم وأكمل وأعقل من أهل البوادي ومكة أم القرى لانها تجمع لجميع الخلائق لما أمر وابه
من حج البيت وكان العرب كلهم بأقربها فكيف تعجبوا في حقك قال الحسن لم يبعث الله نبيا من
البادية لغلظتهم وجفاءهم ثم تدهم سبحانه وتعالى بقوله تعالى (أفلم يسيروا) أى هؤلاء
المشركون المكذبون (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين
لرسل والآيات فيحذروا تكذيبك ويعتبروا بهم وبما حل بهم من عذابنا * ولما أن الله تعالى نبى
المؤمنين عند نزول العذاب بالام الماضية المكذبة وما في الآخرة خير لهم من ذلك بقوله تعالى
(ولدار الآخرة) أى ودار الحلال الآخرة أو الساعة الآخرة أو الحياة الآخرة (خير) وهى
الجنة (الذين اتقوا) الله من حياة ما آلهاموت وان فرحوا فيها بالحال وان امتدت ألف
عام وكان عيشها كله رغدا من غير آلام (أفلا يعقلون) فيستعملون عقولهم فيتبعون الداعي الى
هذا السبيل الاقوم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لاهل مكة والباقون بالياء
على الغيبة لهم وللمشركين المكذبين وقوله تعالى (حتى اذا استأيسر الرسل) غاية لمخذوف دل
عليه الكلام أى لا يغروهم عمادى أيامهم فان من قبلهم أمهلوا حتى أيسر الرسل من النصر
عليهم في الدنيا ومن ايمانهم لانهم ما بهم في الكفر مترفين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا)
أى أثبت الرسل (أنهم قد كذبوا) بالتشديد كما قرأه غير حمزة وعاصم والكسائي تكذبا لا ايمان
بعده وأما بالتخفيف كما قرأه هؤلاء فالمعنى ان الام ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعده وابه من
النصر عليهم (جاءهم نصرنا) لهم بخذلان أعدائهم (فنبى من نساء) أى النبى والمؤمنون وقرأ
ابن عامر وعاصم بنون مضومة بعد هاجيم مشددة وياء بعد الجيم مفتوحة والباقون بنون
الاولى مضومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم وسكون الباء (ولا يرد بأسنا) أى عذابنا (عن
القوم المجرمين) أى المشركين ما نزل بهم * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه القصص وحث
على الاعتبار بها بقوله أفلم يسيروا أتبعه بأن في أحاديثهم أعظم عبرة فقال حمزة على تأملها
والاستبصار بها (لقد كان في قصصهم) أى يوسف واخوته أو في قصص الرسل (عبرة) أى عظة

عظيمة (لاولى الآيات) أى لذوى العقول المبرأة من شوائب السكدر يعتبرون بها الى ما يسهدهم
 لأن من قدر على ما قص من أمر يوسف عليه السلام لقادر على أن يعز محمد صلى الله عليه وسلم
 ويعلى كلمته وينصره على من عاداه كائنا من كان كما فعل يوسف وغيره * ولما كان من أجل العبرة
 في ذلك القطع بحقيقة القرآن بنه تعالى على ذلك بتقدير سؤال فقال تعالى (ما كان حديثا يفترى)
 أى يخلق لأن الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفترى به لأنه
 لم يقرأ الكتب ولم يملك لاحد ولم يخالف العلماء في الحال أن يفترى هذه القصة بحيث تكون
 مطابقة لما رآوه في التوراة من غير تفاوت كما يعلم من قوله تعالى (ولكن تصديق الذى بين يديه)
 أى من الكتب الالهية المنزلة من السماء كاللوراة والانجيل ففي ذلك اشارة الى أن هذه
 القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف عليه السلام (و) زاد على
 ذلك بقوله (تفصيل) أى تبين (كل شئ) أى يحتاج اليه من الدين اذ ما من أمر ديني الا وله سند
 من القرآن بوسط أو بغير وسط وقيل المراد تفصيل كل شئ من واقعة يوسف مع أبيه واخوته
 قال الواحدى وعلى التفسيرين جميعا فهو من العام الذى أريد به الخاص كقوله تعالى ورحمى
 وسعت كل شئ أى يجوز أن يدخل فيها وقوله تعالى وأوتيت من كل شئ (وهدى) من الضلال
 (ورجة) ينال بها خير الدارين (القوم يؤمنون) أى يصدقون خصهم بالذكر لانهم هم الذين
 اتفقوا به كقوله تعالى هدى للمتعقين فسبحان من أنزله معجزا باهرا وقاضيا بالحق لا يزال ظاهرا
 ومارواه البضاوى تعالى الكشاف من أنه صلى الله عليه وسلم قال علما أقرأكم سورة يوسف فانه
 أياما سلم تلاها وعلما أهلها وما ملكت عينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا
 يحسد أحدا حديث موضوع والله أعلم

﴿سورة الرعد مكية﴾

الاولاين ال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية أو مدينة الاولون
 قرآناسيرت به الجبال وهى ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية وعدد كلماتها
 ثمانمائة وخمسة وخمسون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف
 (بسم الله) الحق الذى كل معاده باطل (الرحمن) الذى عم الرغبة والرهبة بعموم الرحمة
 (الرحيم) الذى خص من شاء بمبارضاه عظيم الرحمة (المر) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم
 وأرى وقال في رواية عطاء أنا الله الملك الرحمن وقد تقدم الكلام على شئ من أوائل السور
 في أول سورة البقرة وقرأها لولن وابن كثير وحقق بالفح وقرأورش بين وبين والباقرن بالامالة
 (تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقيل المراد بالكتاب
 السورة الكاملة ووصفت بالكمال من تعريف الكتاب بأل لأن خبر المبتدا اذا عرف بلام
 الجنس أفاد المبالغة وقوله تعالى (والذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن مبتدا وخبره (الحق)
 أى الموضوع كل شئ منه في موضعه على ما تدعو اليه الحكمة الواضحة الذى لا يتخلف شئ منه

عن مطابقة الواقع من بعث ولاغيره (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (لا يؤمنون)
 لا خلاهم بالنظر والتأمل فيه قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمد يقول من تلقاء
 نفسه فرد الله تعالى عليهم بذلك * وما ذكر تعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقبه ما يدل على
 صحة التوحيد المعاد بأمور أحدها قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي سوارى جمع
 عمود كما قدم رأديم أو عماد كاهب واهاب والعمود جسم مستطيل يمنع المرتفع أن يميل (ترونها)
 أي وأنتم ترون السماء من فوقة بغير عمد من تحتها تستند لها ولا من فوقها علاقة تستكسها فالعمد
 منفية بالكلمة قال انايس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة في ذلك دلالة عظيمة
 على وحدانية الله تعالى لأن هذه الاجسام العظيمة بقيت واقفة في الجوا العالي ويستحيل أن
 يكون بقاءها هناك لا عيانها ولذا انها هذا برهان باهر على وجود الاله القادر القاهر وقيل الضمير
 راجع الى العمدة أي انه اعمد اولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على
 جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدينا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة
 قال الرازي وهذا التأويل في غاية السقوط لأن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف
 فأى دلالة تنبئ فيها على وجود الاله * (تنبيه) * الله مبتدأ والذي رفع السموات خبره ويجوز
 أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر ثانياه قوله تعالى (ثم استوى على العرش) بالحفظ
 والتدبير والقهر والقدرة أي ان من فوق العرش الى ماتحت الثرى في حفظه وتدبيره وفي
 الاحتياج اليه وتقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما فيه كفاية وثالثه قوله تعالى
 (ويجزي) أي ذلل (الشمس والقمر) لمنافع خلقه مقهوران يجريان على ما يريد (كل) منهما
 (يجري) في فلكه (لاجل مسمى) أي الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وعند مجي
 ذلك الوقت تنقطع هذه الحركات وتبطل تلك التسميرات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله
 اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وعن
 ابن عباس للشمس مائة وعشرون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم انها تقود مرة
 أخرى الى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا
 فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى هذا وتحققه أنه تعالى قدر لكل واحد من تلك
 الكواكب سيرا الى جهة خاصة بقدر خاص من السرعة والبطء وحينئذ يلزم أن يكون لها
 بحسب كل لحظة ولحظة حالة أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك * ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل
 قال (يدبر الامر) أي يقضي أمر ملكه من الايجاد والاعداد والاحياء والامانة والاغناء
 والافقار ويدخل فيه انزال الوحي وبعثه الرسل وتكليف العباد وفي ذلك دليل عجيب على كمال
 القدرة والرحمة وذلك لأن هذا العالم المعلوم من اعلاء العرش الى ماتحت الثرى أنواع
 وأجناس لا يحيط بها الا الله عز وجل والدليل المذكور يدل على أن اختصاص كل واحد منها
 بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الا من الله تعالى ومن المعلوم أن من اشتغل
 بتدبير شئ آخر فانه يشغله شأن عن شأن فالعاقل اذا تأمل في هذه الآيات علم أنه تعالى يدبر عالم

الاجساد وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغل شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على أنه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات والممكنات * ولما كان هذا ينافي الالبس فيه قال تعالى (يفصل) أي بين (الآيات) التي برزت الى الوجود وتدبرها الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها بمبتدعائه فيفرقها ويبين بينهما مباينة الالبس فيها تقريرا بالعقول لكم وتدريباً للفهم ومكم لتعلموا أنهم يفعل الواحد المختار * ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالاً على تمام القدرة وغاية الحكمة وكان البعث لفصل القضاء والحكم بالعدل واظهار العظمة هو محط الحكمة علل ذلك بقوله (لعلكم) يا أهل مكة (بآلاء ربكم) بالبعث (توقنون) فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها على عظمها وكثرتها قادر على ايجاد الانسان وحياته بعد موته يروى أن واحداً قال لعلني بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسجدونهم ويحسبون دعاءهم الآن دفعة واحدة وحاصل الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيازك الكوكبية في الجو العالي لا يبعد أن يرد الارواح الى الاجساد وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن * (تنبيه) * اليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهي سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك * ولما ذكر تعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته من رفع السماء بغير عمد وأحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الارضية بقوله تعالى (وهو الذي عتد الارض) أي بسطها طولاً وعرضاً اثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولوشاء لجعلها كالجدار والازح لا يستطاع القرار عليها هذا اذا قلنا ان الارض مسطحة لا كرة وعند أصحاب الهيئة أنها كرة فكيف يقولون بذلك ومد الارض ينافي كونها كرة كما ثبت بالدليل (أجيب) بأن الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشهد كالسطح كما أن الله تعالى جعل الجبال أو تادامع أن العالم من الناصر يستقرون عليها فكذلك ههنا ومع هذا قاله تعالى قد أخبر أنه مد الارض ودحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيع والله تعالى أصمد قديلاً وأبين دليلاً من أصحاب الهيئة هذا هو الدليل الأول من الدلائل الارضية الثاني منها قوله (وجعل) أي وخلق (فيها) أي الارض (رواسي) أي جبالاً ثوابت واحداً راسية أي ثابتة باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك ولا يتحرك ما هي راسية فيه وهذا لا بد وأن يكون بتخليق القادر والحكيم قال ابن عباس أول جبل وضع على وجه الارض جبل أبي قبيس ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف بجمعت جمع الاسم كحائط وكاهل قاله أبو حيان الثالث منها قوله تعالى (وأَنهَاراً) أي وجعل في الارض أنهاراً جارية لتنافع الخلق والنهر الجري الواسع من مجارى الماء وأصله الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيائه الرابع منها قوله تعالى (ومن كل الثمرات) وهو متعلق

بقوله تعالى (جعل فيها) أي الارض (زوجين اثنين) أي وجعل فيهما من جميع أنواع
 الثمار صنفين اثنين والاختلاف اقامن حيث الطعم كالخلو والحامض أو اللون كالا سود
 والابيض أو الحجم كالصغير والكبير أو الطبيعة كالخار والبارد (فان قيل) الزوجان لا بد وأن
 يكونا اثنين فما القائدة في اثنين (أجيب) بأنه قيل انه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيسه
 الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم أن المراد النوع
 أو الشخص فلما قال اثنين علم أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لأقل ولا أزيد فمكأن
 الناس وان كان فيهم الآن كثرة فابتدأهم من زوجين اثنين بالشخص آدم وحواء فكذلك
 القول في جميع الاشجار والزرع انما من منها قوله تعالى (يغشى) أي يغطي (الليل) بظلمته
 (النهار) أي وانهار الليل بنوره فيعتدل فعلهما على ما قدره الله تعالى له ما في السير من
 الريادة والنقصان وذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهرة لكل ذي عقل انها تدبيرة
 بفعله واختياره وقهره واقتداره وقر أشعة وحزمة والكسافي بفتح الغين وتشديد الشين
 والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين * ولما ذكر تعالى هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة
 جمعها وانطابها بالفكر فقال تعالى (آن في ذلك) أي الذي وقع التحدث عنه من الآيات
 (آيات) أي دلالات (اقوم يفكرون) أي يتفكرون في الفكر فيستدلون بالصنعة على
 الصانع وبالسبب على المسبب والتفكير والتدبر تصرف القلب في طلب معاني الاشياء ثم انه
 تعالى ذكر دليل الاظهار اجدد بقوله تعالى (وفي الارس) أي التي أنتم سكانها انشاهدون
 ما فيها مشاهدة لا تقبل الشك (قطع) أي بقاع مختلفة (متجاورات) أي متقاربات يقرب
 بعضها من بعض واحدة طيبة والاخرى سبخة لا تنبت وأخرى صالحة للزرع لاشجار وأخرى
 بالعكس وأخرى قليلة الربع وأخرى كثيرة مع انتظام الكل في الارضية وهو من دلائل قدرته
 تعالى (وجنات) أي بساتين فيها أنواع الاشجار من نخيل وأعناب وغير ذلك كما قال تعالى (من
 أعذاب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي التخلات يحدها أصل واحد وتشعب فروعهما
 ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعني أنهم من أصل واحد
 (وغر صنوان) أي متفرقات مختلفة الاصول وسمى البستان جنة لانه يستز بأشجاره الارض
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفع العين واللام والنون الثانية من صنوان والراء من
 غير مع التنوين في العين واللام والنون وعدم التنوين في الراء والباقون بالخفض في الربعة
 وعدم التنوين في الراء * ولما كان الماء بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف
 مع اتحاد الاب والام أعجب وأدل على الاسناد الى الواحد المسبب لا الى شيء من الاسباب قال
 (تسقى) قراءة ابن عامر وعاصم بالماء على التسديد كبر أي المذكور وقرأه الباقي بالتاء على
 التأنيث أي الجنات وما فيها (بماء واحد) فتخرج أغصانها ثماتها في وقت معلوم لا تسخر
 عنه ولا تتقدم والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل في حده جواهر سيال به قوام
 الارواح (وتفضل بعضها على بعض في الاكل) أي في الطعام ما بين حلو وحامض وغير ذلك

وفي الشكل والرائحة والمنفعة وغير ذلك وذلك أيضا مما يدل على التدار الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار قال مجاهد وذلك كمثل بني آدم صالحهم وخبثيتهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم وكانت الارض طينة واحدة في يد أي في قدرة الرحمن فسطحها فصارت قطعاً ما بورت فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتهم وأشجارها وغرها ونباتهم وتخرج هذه سبخها ولحمها وخيشها وكل يبتغي بما واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم قتلهم ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقرأ حمزة والكسائي بالياء ليطابق قوله تعالى يدبر الامر والباقون باخون وقرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع (آن في ذلك) أي الامر العظيم الذي ذكرناه (آيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم بالتدبر والتفكير في الآيات الدالة على وحدانيته تعالى * ولما ذكر تعالى الدلائل القاهرة الدالة على معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد بقوله تعالى (وإن تعجب) أي يا كرم الخلق من تكذيب الكفار لك بعد ان كنت تعرف عندهم بالصادق الامين (ف تعجب) أي فحقيق أن يتعجب منه (قولهم) أي منكري البعث (أنذا كنا تراباً) أي بعد الموت (أئننا لنخلق جديداً) أي خلق بعد الموت كما كنا قبله ولم نجعلوا أن القادر على انشاء الخلق ومات تقدم على غير مثال قادر على اعادةهم (وقيل) وإن تعجب من اتحاد المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بأن الله تعالى خلق السموات والارض وهو يضر ويمنع وقد رأوا قدرة الله تعالى وما ضرب لهم به الامثال ف تعجب قولهم ذلك والعجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقال المتكلمون العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية وقرأ أبو عمرو وخلاص الكسائي بادغام الباء في الفاء والباقون بالانفصال (تبسبه) * هنا آيات في كل منهما همزتان فقرأ قالون بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية ويدخل بينهما ألفا على الاستفهام وفي الآية الثانية همزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر وورش كذلك الا أنه لا يدخل بين الهمزتين في أنذا ألفا وينقل في الثاني على أصله وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير ادخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الاولى وتسهيل الثانية فيهما وأبو عمرو وكذلك مع ادخال ألف بينهما وابن عامر في الاول بهمزة مكسورة بعد هذا ال مقفوحة على الخبر وفي الثاني بهمزة مفتوحة و همزة مكسورة محققة على الاستفهام وأدخل هشام بينهما الفاء بخلاف عنه والباقون بهمزتين محقتين الاولى مقفوحة والثانية مكسورة ولا ألف بينهما في الموضعين * (فائدة) * جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعاً في سبع سور والاحد عشر مكررة قصير اثنين وعشرين في هذه السورة موضع والثاني والثالث في سورة الاسراء والرابع في المؤمنون والخامس في النمل والسادس في العنكبوت والسابع في السجدة

والثامن والتاسع في الصافات والعاشر في الواقعة والحادي عشر في الزاغات وأذكر ان شاء الله تعالى في كل سورة من السور المذكورة مذهبهم في محله (أو لئلك) أي الذين جمعوا أنواعا من البعد من كل خير (الدين كفر وبرهم) أي غطوا ما يجب اظهاره بسبب الاستهانة بالذي بدأ خلقهم ثم رباهم بأنواع اللطف فإذا أنكرهم ومعادهم فقد أنكروا ببدأهم (وأولئك) البعداء البغضاء (الأغلال) يوم القيامة (في أعناقهم) بسبب كفرهم والغل طوف من حديد تقيمه به اليد في العنق رقيق المراد بالأغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الأسير الذليل بالعل وقيل انهم مقيدون بالضلال لا يرجي فلاحهم (وأولئك) أي الذين لا خسارة أعظم من خسارتهم (أصحاب النار هم فيها خالدون) أي ثابت خلودهم دائما لا يخرجون منها ولا يموتون ولما كان صلى الله عليه وسلم يهددهم نارة بعذاب يوم القيامة ونارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب يوم القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الاولى وكما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له جئنا بهذا العذاب وطأوا منه اظهارة وانزلنا على سبيل الطعن واظهارة ان الذي يقوله كلام لا أصل له نزل (ويستجيبونك) أي استمراء وتكذيبا والاستجبال طلب التجميل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدر له (بالسيئة) أي العذاب قبل الحسنه) أي الرحمة وذلك أن مشركي مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم * (تنبيه) * قوله قبل الحسنه فيه وجهان أحدهما متعلق بالاستجبال ظرفا له والثاني أنه متعلق بمحذوف على أنه حال مقدرة من السيئة قاله أبو البقاء (وقد) أي والحال أنه قد خلت من قبله المثلثات جمع مثله بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أولا يعتبرون بها (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) والالم يترك على ظهره اداة كما قال تعالى ولولوا أخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهره من دابة وقال ابن عباس معناه لذو تجاوز عن المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) لاهصرين على الشرك الذين ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وشديد العقاب اذا عاقب * ولما بين سبحانه وتعالى أن الكفار طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب طعنهم في الحشر والنشر أولا ثم طعنوا في نبوته في نبوته بسبب طعنهم في صحة ما يهددهم به من نزول عذاب الاستئصال ثانيا ثم طعنوا في نبوته بأن طلبوا منه المعجزة والبيئة ثالثا وهو المذكور في قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا) أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي مثل عصا موسى ونامة صالح وذلك لانهم أنكروا كون القرآن من جنس المعجزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر الكتب وإتيان الانسان بتصنيف معين وكاتب معين لا يكون معجزا مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم راغبا في اجابة مقترحاتهم لشدة التفاته الى ايمانهم قال الله تعالى له (انما أنت منذر) أي ليس عليك الا الانذار والتحذير وليس عليك إتيان الآيات (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم الى ربه بما يعطيه من الآيات لا بما يقتضون

وقرأ ابن كثير في الرقة يا بعدد الاله في الرسل يا بعدد الوترين الاله والباسقون بنو
 الرقة والرسل مع توحيد الاله - ولما قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ياتوا بشعرهم الله
 تعالى عن نظام قدرته وقال تعالى (الله يعلم ما تخسرون) من ذكر وغيره وواصل
 ومعه عدد وغير ذلك (وما نفيش) أي نخس (الارحام) من ذرية الاله (وما نفيش) أي من ذرية الاله
 فتدركون سبعة أشهر - أزيد عليها الاله تدين عند الامام أبي سفيان والاربع عند الامام الشافعي
 والي خمس عند الامام مالك رضي الله تعالى عنهم - وقيل ان الضميمة والاربعين وشهرين
 جسدان ينفصلان في بطن أمه أربعين ولذا يسمى هروما وقيل ما تنفسه الرضيع من الاولاد ونزله
 منهم - يروى ان شرب بكتان رابع أربعة في بطن أمه وقيل من ثمار الرزق فيخرج
 ناقصا والزيادة تمام سلقته وقيل ما تنفسه بالسطح عن ان يسموعا راد بالتمام وقيل ما تنفسه
 بطنه ويردم الجنب وذلك انه اذا سال الدم في وقت الحمل وضعف الولد ونقص جسده اربعة
 ذلك فقال ابن عباس كل سال الحية في رقت الحمل يولم يولد في ذرية الاله يوم القيامة على الجبر
 ويعدل الامر والاية فتمتلج جميع ذلك اذا لا في هذه الاقوال ويدل للآية قوله تعالى
 (وكل شيء) من هذا وغيره من الآيات المتكررات وغيرها (عند) أي في بطن أمه وقدرته (بشعره)
 في كنفه وتحت لحيته لا يجاوز ولا يتغير عنه لانه تعالى عالم بذيبة - كل شيء في بطن أمه على الوجه
 المشبه بالمبين - قوله تعالى عند مجوز أن يكون مجزورا الحمل في ذرية الاله أو من فوضه
 منه لكل أو منه وبه نظر فانه قوله تعالى (عند) أي في بطن أمه الذي يتعلق به الجسد في بطن أمه
 (عالم الغيب) وهو ما غاب عن كل محسوس (والشهادة) وهو ما شاهد به وقيل الغيب هو
 المعلوم والشهادة هو المجهود وقيل الغيب ما غاب عن العلم والشهادة ما حشر في العلم
 (الكبير) أي العظيم (المتعال) عن خلقه بالقرائن المتعددة التي تنسبها له تعالى موصوف
 بالعلم الكامل والقدرة الشاملة وقرأ ابن كثير في الرقة والاربع يا بعدد الام والباسقون بنو
 ياء وقفا وواصل - ولما كان علمه تعالى شاملا لجميع الاشياء قال تعالى (وما نفيش) أي في بطن أمه
 تعالى (من أسر القوم) أي أسكن في نفسه (ومن جهر به) أي أظهره فسادا وقوى
 في بطن أمه الى المستر بالقول والظاهر به (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالليل) أي بظلامه
 (ومبارك) أي ظاهر بذهابه في سر به (بالنار) والسرب يشق السين ويكون الراد الطريق
 وقال ابن عباس سواء ما أضرته العلوب وأظهرته الاستسنة وقال مجاهد سواء من يتبع على
 التبع في ظلمات الليل ومن يأتي في الظلم ارا الظلم على سبيل التوارى والستر في (له) يعنى
 الممنون في قوله - سواء منهم من أسر القوم ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل أو لا انسان
 (معبود) أي ملائكة تعبدوه والذي عليه الجهر وان المراد باللائكة الملائكة والنجاسات
 ومنهم بالمعصيات اما لا يجل أن ملائكة الليل تعبد ولا تترك النور وبالندس وانه الاجل منهم
 يتعبدون أعاد الاله ابد ويتعبدون بالليل والكتب ويشتغل من عمل غلام عاد اليه فتعبد
 فعل هذا المراد من المعصيات ملائكة الليل والنهار روى عن عثمان انه قال يا رسول الله أخبرني

عن العبدكم دعه من ملك فقال صلى الله عليه وسلم ذلك عن عبيدك الحسنات وهو أمر على الذي
على الشمال فاذا علمت حسنة كتبت عشرا واذا علمت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب
اليمين اكتب قال لا علم له أن يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فاذا قال ثلاثا قال اكتب
أراحنا الله منه فئس القرين ما أقل من اقبت الله واستحيما منه فهو قوله تعالى له معقبات (من
بين يديه) أي قدامه (ومن خلفه) أي ورائه وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لربك
رفعك وان تجبرت قصرك وملكك على شقيك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا يدع أن
تدخل الحية في فيك وملكك على عنيك فهذه عشر وأملاك على كل آدمي ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار فيهم عشرون ملكا على كل آدمي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر
وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بكم كيف تركت عبادي
فيقولون تركناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك وكل يحفظه من الجن
والانس واليوات في نومه وبيقظته (فان قيل) الملائكة ذكور فاذكروا في جمع الاناث وهو
المعقبات (أجيب) بجوابين الاول قال القراء المعقبات ملائكة معقبية واحدها معقب
ثم جمعت معقبية معقبات كما قيل أبناات ورجالات جمع ابناء ورجال والذي على التسديد
قوله تعالى (يحفظونه) والثاني وهو قول الاخفش انما أنثى أكثره ذلك منها نحو نساء
وعامة وعوذكر واختار في المراد من قوله تعالى (من أمر الله) على أقوال أحدها أنه
على التقديم والتأخير والتقدير له معقبات من أمر الله يحفظونه ثانياً ان فيه اختصاراً أي ذلك
الحفظ من أمر الله أي مما أمر الله تعالى به فحذف الاسم وأبقى خبره وثالثها أن كلمة من معناها
الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وباعائه وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم
ملائكة يذوبون عنكم في مطعكم ومشربكم وعوراتكم تحفظكم الجن وقال ابن جريج
معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات (فان قيل) ما الفائدة في تخصيص هؤلاء
الملائكة مع بني آدم وتسلطهم عليهم (أجيب) بأن الانسان اذا علم أن الملائكة تحصى عليه
أعماله كان الى الخذل من المعاصي أقرب لأن من اعتقد جلالة الملائكة وعلم مراتبهم فاذا
حاول الاقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الاقدام اليها كما يزجره
اذا حضر من يعظمه من البشر واذا علم أن الملائكة تحصى عليه تلك الاعمال كان ذلك أيضاً
ردعاً عنها واذا علم أن الملائكة يكتبونها كان الردع أكمل ولما دل ذلك على غاية القدرة
والعظمة قال تعالى (أن الله) مع قدرته (لا يغير ما قوم) أي لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا) أي
الذي (بأنفسهم) من الاحوال الجيلة الى الاحوال القبيحة (وإذا أراد الله بقوم سوءاً) أي
هلاكا وعذابا (فلا مرد له) أي لا يقدر أحد لا من المعقبات ولا من غيرها أن يرد ما نزل به من
من قضائه وقدره (وبالهم) أي ان أراد الله بهم سوءاً (من دونه) أي غير الله (من وال)
بلى أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم وقرأ ابن كثير في الوقف باثبات الياء بعد اللام دون

الوصل والباقون بغيره بعد اللام وقفا ووصلا ولما خوف الله تعالى بقوله وإذا أراد الله بقوم
سواً أتبعه بذكريات تشبه النعم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض
الوجوه بقوله تعالى (هو الذي يريكم البرق خوفاً) أي للمسافرين من الصواعق (وطمعا) أي
للمقيم في المطر. وقيل إن كل شيء يحصل في الدنيا يحتمل الخير والشر فهو خير بالنسبة إلى
قوم وشر بالنسبة إلى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج إليه في أوانه وشر في حق من
يضره ذلك أما بحسب المكان وأما بحسب الزمان والبرق معروف وهو لمعان يظهر من بين
السحاب (ويشئ) أي يخلق (السحاب الثقال) أي بالمطر * (تنبيه) * خوفاً وطمعا مصدران
نأصهما مجذوف أي يخافون خوفاً وتطمعون طمعاً ويجوز غير ذلك والسحاب قال علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه غراب الماء وهو غيم ينسحب في السماء وهو اسم جنس جمعي واحد
بجاءته وأكبر المفسرين على أن الرعد في قوله تعالى (ويسج الرعد بحمده) على أنه اسم للملك
الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه ولا يرد ذلك عطف الملائكة عليه في قوله
تعالى (والملائكة) أي تسبيحه (من خيفته) أي الله لانه أفرد بالذكر تشريفاً له كما في قوله تعالى
وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل قال ابن عباس أقبلت يهود على النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب قال ابن الأثير والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب ياف ويضرب به
الصبيان بعضهم بعضاً وهي آلة تزرعهم الملائكة السحاب وتسوقه وقد جاء تفسير المخراق
في حديث آخر وهو سوط من نور تترجبه الملائكة السحاب وعن ابن عباس أنه قال من سمع
صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير
فإن أصابته صاعقة فعلى دينه وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث
وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى
لو أن عبادي أطاعوني لسيقمتهم المطر بالليل وأطاعت الشمس عليهم بالنهار ولم أسمعهم صوت
الرعد وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يئمر وأنه يجوز
الماء في نقرة إبهامه وأنه يسبح الله تعالى إذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح
فعندهما ينزل المطر وعن الحسن أن الرعد خلق من خلق الله ليس بملك وقد اختلفت الروايات
في ذلك ففي بعضها أنه ملك موكل بالسحاب وفي بعضها أنه ملك ينطق بالغيث كما ينطق الراعي
بغنمه وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الأبل بحداده وفي بعضها
أنه ملك سمي به وهو الذي تسمعون صوته وقد مرت الإشارة إلى ذلك في البقرة وقيل هؤلاء
الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعواناً فهم خائفون خاضعون طائعون وقيل المراد
بهم جميع الملائكة راسية تظهر وقوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب
المهلك تنزل من البرق فتحرق من تصيبه (فيصيبهم من يشاء) فيهلك (وهم يجادلون في الله)
حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم والكذب التشديد في الخصومة روي أن عامر

ابن الطفيل واربد بن ربيعة أخا لبيد وقد ادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضدين لقتله
فأخذهم عامر بالمجادلة ودار اربد من خلقه ليمضيه بالسيف فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اللهم اكفني ما جاشت فأرسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامر بغدة فمات
في بيت سلوية فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية فترأت وعن الحسن أنه قال
كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نقرأ يدعونه الى الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هم هو أمن
ذهب أوفضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم مقالته فأنصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعنى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يريدهم على مقالته الاولى وقال أجب محمد الى رب لا أراه
ولا أعرفه فأنصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى وأخبت فقال ارجعوا اليه
فرجعوا فيبيناهم عنده ينارونه ويدعونه وهو يقول هذه المقالة اذار تفتت سخابة فسكانت
فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس بخاوا يسعون ليخبروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
احترق صاحبكم فقالوا من أين علم فقالوا أوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) واختلف المفسرون في
قوله تعالى وهو شديد المحال فقال على رضى الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس شديد الحول
وقال مجاهد شديد القوة وقال أبو عبيدة شديد القوة والمغالبة واختلف في قوله تعالى (له) أي
الله (دعوة الحق) فقال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وقال
الحسن الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق (والذين يدعون) أي وهم الكفار (من
دونه) أي غير الله وهي الاصنام (لا يستجيبون) أي الاصنام (لهم) أي الكفار (بشيء) مما
يطالبونه من نفع أو دفع ضرر (الا) أي الاستجابة (بكسطة) أي كاستجابة باسط (كفيه الى الماء)
أي على شفير البئر يدوه (ليسمع فاه) أي بارتفاعه من البئر اليه (وما هو) أي الماء (ببلاغه) أي
فاه أبداً لانه جمد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته فكذلك ما هم بمستجيبين لهم أبداً لأن
أصنامهم كذلك وقيل شهوا في قلبه فأنه دعائهم لا لهمهم عن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه
فبسط كفيه ناشراً أصابعهما ولم يصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من مشربه ثم أنه
تعالى عنهم في أنه لا يستجاب لهم بقوله تعالى (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي ضياع لامنفعة
فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا آلهم لم تستطع اجابتهم وقيل المراد بالدعاء في الحالين
العبادة وقوله تعالى (ولله يسجد من في السموات والارض) يحتفل أن يراد به السجود على حقيقته
وهو وضع الجبهة على هذا فيكون قوله تعالى (طوعاً) للملائكة والمؤمنين من النقيض حالتي
الشدة والرخاء وقوله تعالى (وكرهاً) للكافرين والمنافقين الذين أكرهوا على السجود بالسيف
وأن يراد به التعظيم والاعتراف بالعبودية فكل من السموات والارض معترف بعبودية الله

تعالى كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وأن يراد به الانقياد والخضوع وترك
الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته نافذة
في الكل * (تنبيه) * قوله تعالى طوعا وكرها اتماما لعمول من أجله واما حال أي طائعين وكرهين
واختلف في تفسير قوله تعالى (وظلالهم بالغدو) أي البكر (والاصال) أي العشايا أي تسجد
فقال أكثر المفسرين كل شخص سواء كان مؤمنا أو كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد
طل المؤمن يسجد لله تعالى وهو طائع وظل الكافر يسجد لله تعالى وهو كاره وقال الزجاج جاء
في التفسير ان الكافر يسجد لغدير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري ولا يبعد أن يخلق الله
تعالى في الظلال عقولا وأفهاما تسجد بها لله وتخضع وقيل المراد من سجود الظلال ميلها من
جانب الى جانب وطولها بسبب انحناء الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وهي منقادة
سلسلة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدو والاصال بالذكر
لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين * (تنبيه) * الغدو جمع غداة كقنى وقناة
والاصال جمع الاصل والاصل جمع أصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس * ولما بين تعالى
ان كل من في السموات والارض ساجد لله تعالى عدل الى الرد على عباد الاصنام بقوله تعالى
(قل) يا أشرف الخلق على الله تعالى لقومك (من رب السموات والارض) أي من مالكمها
وما قيمها ومبدعها وخالقها (قل الله) أي أجب عنهم بذلك ان لم يقرولوه ولا جواب لهم غيره
ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه ولقنهم الجواب به وروى أنه لما قال للمشركين ذلك عطفوا
عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله تعالى فأجاب بذلك ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله
تعالى (قل) لهم (أفأنتخذتم من دونه) أي غير الله (أولياء) أي أصناما تعبدونها (لا يملكون
لا نفسهم نهعا) يجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه فكيف يملكون لكم ذلك وقرأ ابن كثير وحفص
بأظهار الدال في أأنتخذتم عند التاء والباقون بالادغام ثم ضرب الله تعالى مثلا للمشركين الذين
يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمي والبصير)
قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن وانما مثل الكافر بالاعمى لانه لا يهتدى سبيلا فكذلك
الكافر لا يهتدى سبيلا * ثم ضرب الله مثلا لايمان والكفر بقوله تعالى (أم هل تستوى
الظلمات أي الكفر والنور) أي الايمان الجواب لا وقرأ شعبة وجزء والكسائي يستوى
بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وأما اللام من هل هنا فلا تدغم على القراءتين
(أم جعلوا الله شركاء) والهمزة للانكسار وقوله تعالى (خلقوا كخلقهم) صفة شركاء أي خلقوا
سموات وأرضين وشمسا وقراوجبالا وبحارا وجناتنا وانسا (فقتلوا خلقا) أي خلقا الشركاء
بخلق الله (عليهم) من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ولا ما خلق الله ثم فاعتمدوا استحقاق
عبادتهم بخلقهم وهذا استقبحهم انكار أي ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق
ولما كان من المعلوم قطعا أن جوابهم ان الخلق كله لله لم تهم الحجة فقال تعالى (قل) لهؤلاء
المشركين (الله خالق كل شيء) أي مما يصح أن يكون مخلوقا فهو من العموم الذي يراد به

الخصوص فلا يدخل في ذلك صفات الله تعالى وإذا كان لا خالق غيره فلا يشارك في العبادة
 أحد فوجب أن يتفرد بالالهية كما قال تعالى (وهو الواحد) أي الذي لا يجانسه شيء وكل ما سواه
 لا يتلوه عن مماثل بمثاله وأين رتبة من مماثل من رتبة من لا مثل له (القيار) الذي كل شيء تحت
 قهره فدخل تحت قضائه ومشيئته وأرادته ثم ضرب تعالى مثلا للحق والباطل بقوله تعالى (أنزل
 من السماء) أي السحاب أو السماء نفسها (ماء) أي مطرا (فسال أودية) أي أنها رجعت واد
 وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتكبرها
 لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع (بقدرها) أي بقدرها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار
 أوجه داره في الصغر والكبر (فاحتل السيل زبداريا) أي عاليا عليه هو ما على وجهه من
 قذرو وغمره (ومما تودون عليه في النار) أي من جواهر الأرض الذهب والفضة والنحاس
 والحديد (ابتقاء) أي طاب (حلبة) أي زينة (أو متاع) أي يتفجع به كالأواني إذا أديت
 وآلات الحرب والحراث والمقصود من هذا بيان منافعتها (زبد مثله) أي مثل زبد السيل وهو
 خبثه الذي ينقيه الكبر ومن لا ابتداء أو للتبعض وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالياء
 على الغيبة على أن الضمير للناس وأضماره للعلم به والباقون بالناء على الخطاب (كذلك) أي مثل
 هذا الضرب العلى الرب المتبين السبب (يضرب الله) أي الذي له الأمر كله (الحق والباطل)
 أي مثلهما فإنه تعالى مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي يتزل من السماء فتسيل به الأودية
 على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعه
 ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والفتى والآبار ومثل الباطل في قلبه تنفعه وسرعة
 زواله بزبد هما وهو قوله تعالى (فأما الزبد) أي من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فيذهب
 جفاء) قال أبو حيان مضجلا أي متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له وقال ابن الأباري متفرقا
 واتصاه على الحال (وأما ما ينفع الناس) من الماء ومن الجواهر الذي هو مثل الحق (فيمكث
 في الأرض) أي يثبت ويبقى لينتفع به أهلها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب (يضرب) أي يبين
 (الله) الذي له الأحاطة الكاملة علما وقدره (الأمثال) فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت
 في غاية الغموض قال أهل المعاني هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وان علا على
 الحق في بعض الاوقات والاحوال فإن الله يحقه ويظله ويجعل العاقبة للحق وأهله كزبد الذي
 يعلو على الماء فيذهب الزبد فيبقى الماء الصافي الذي يتفجع وكذلك الصفون هذه الجواهر يبقى
 ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينقيه الكبر عما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق
 والباطل وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه باليمان كمثل الماء الصافي الذي يتفجع به
 الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كمثل الزبد الذي لا يتفجع به البتة ثم انه تعالى لما ذكر الحق
 والباطل ذكر ما لا اله الا الله من الثواب والعقاب فقال تعالى (لذين استجابوا لربهم) أي أجابوه
 إلى ما دعاهم اليه من التوحيد والعدل والنوبة وبعث الاموات وانترام الشرائع الواردة
 على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الحسن) قال ابن عباس وقال أهل المعاني الحسن

هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخاصة عن شوائب المضرة الدائمة الخاصة عن
 الانقطاع المقرونة بالعظيم والاجلال ولم يذكر تعالى الزيادة ههنا لانه تعالى ذكرها في سورة
 أخرى وهي قوله تعالى الذين أحسنوا الحسنى وزيادة هذا ما لاهل الحق وأما ما لاهل الباطل
 فهو ما ذكره بقوله جل من قائل (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة فلهم أنواع ثلاثة من العذاب
 والعقوبة فالنوع الاول قوله تعالى (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لا يقربوا به) أى
 جعلوه فسكالاً أنفسهم بغاية جهدهم لأن المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل ما سواه فهو
 انما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضر والالم والتعب وكان مالها
 لما يساوى عالم الاجناس والارواح فانه يرضى بأن يجعله فداء نفسه لأن المحبوب بالعرض لابد
 وأن يكون فداء لما كان محبوباً بالذات والكفاية في به عائدة الى ما في قوله ما في الارض والنوع
 الثاني من أنواع العذاب الذى أعده الله تعالى لهم ما ذكره بقوله تعالى (أولئك لهم سوء
 الحساب) وهو المناقشة فيه وعن النخعي بأن يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر منه شيء وانما نوقشوا
 لانهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذى هو الدنيا
 وبقوا محرومين من الفوز بسعادة خادمة المولى والنوع الثالث من عقوباتهم ما ذكره بقوله
 تعالى (وما وآتهم) أى مرجعهم (جهنم) وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاشتغال بخدمة المولى
 عاشقين للذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيحترقون على مفارقتهم وليس عندهم شيء آخر
 يجبر هذه المصيبة فذلك كان مأواهم جهنم * ثم انه تعالى وصف هذا المأوى بقوله عز من قائل
 (وبئس المهاد) أى الفراش والمخصوص بالذم محذوف أى جهنم * ونزل في حوزة وأبي جهل
 وقيل في عمار وأبي جهل (أفنى يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق) أى يؤمن به ويعمل بما فيه وهو
 حوزة وعمار رضى الله تعالى عنهما (كن هو أعمى) أى أعمى البصيرة ولا يؤمن به ولا يعمل بما فيه
 وهو أبو جهل قال ابن الخازن في تفسيره وحل الآية على العموم أولى وان كان السبب شخصوا
 والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن هو لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل
 بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدى لرشد (انما يترك) أى يتعطل (أولوالباب) أى أصحاب العقول
 الذين يطلبون من كل صورة معناها ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون من ظاهر كل حديث
 الى سره ولبابه (الذين يوفون بعهده الله) أى ما عاهدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
 قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه (ولا ينقضون الميثاق) أى ما واثقوه من المواثيق بينهم
 وبين الله تعالى وبينهم وبين العباد فهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن
 يوصل) أى من الايمان والرحم وغير ذلك والا كثرون على أنه أراد به صلة الرحم عن أبي
 موسى ان عبد الرحمن بن عوف عاد أباً للدرداء فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول فيما يحكى عن ربه تعالى أنا الرحمن وهي الرحم شقت لهما اسمى فمن وصلها
 وصلته ومن قطعها قطعته أوقال بنه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله وعن

أي هرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن ييسر له في رزقه وأن
 يسأله في أثره فليصل رحمه ومعنى يسأله أي يسأل ويأخر والمراد به تأخير الأجل وفيه قولان أحدهما وهو
 المشهور أنه يراد في عمره زيادة حقيقة والثاني يشاركه في عمره فكأنه قد زيد فيه وعن ابن عمر بن
 العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل
 الذي إذا انقطعت رجه وصلها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تأتي يوم القيامة أباها
 السنة ذلقة الرحم فتقول أي رب قطعت والأمانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب
 كفرت وعن الفضيل بن عياض إن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم فقالوا من خراسان
 قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن كل الأحسان وكان له دجاجة
 فأساء إليه لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أي وعبيده عموما والخشية خوف يشوبه تعظيم
 (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) أي على
 طاعة الله تعالى وعن معاصيه وفي كل ما ينبغي الصبر فيه وقال ابن عباس صبروا على أمر الله
 وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي ومرجع البكل
 واحد فان الصبر الحبس وهو يخرج مرارة منع النفس عما تحب مما لا يجوز فعله (ابتغاء) أي
 طلب (وجه ربهم) أي رضا لا طلب غيره من جورا وسمعة أو رياء أو لغرض من أغراض الدنيا
 أو نحو ذلك (وأقاموا الصلاة) أي المفروضة وقيل مطلق الصلاة فيدخل فيه الفرض والنفل
 (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة فإن لم يتهم بترك الزكاة
 فالأولى أن يؤدوها سرا وإن كان يتهم بتركها فالأولى أن يؤدوها علانية وقيل المراد بالسرا
 صدقة التطوع وبالعلانية الزكاة وقيل المراد بالسرا ما يؤدونه من الزكاة بنفسه وبالعلانية
 ما يدفعه إلى الإمام (ويذرون) أي يدفعون (بالسنة السبئية) كالجهل بالحلم والذي بالصبر
 روى عن ابن عباس قال يدفعون بالصلح من العمل السيئ من العمل وهو معنى قوله تعالى
 إن الحسنة يذهب السيئات وقوله صلى الله عليه وسلم إذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تحبها
 السر بالسرا والعلانية بالعلانية وعن عتبة بن عامر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيق قد خدقته ثم عمل
 حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج إلى الأرض وقال ابن
 عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا
 وإذا طهروا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن عمر ليس الواصل من وصل ثم وصل تلك مجازاة لكن
 من قطع ثم وصل وعطف من لم يصله وليس الحليم من ظلم ثم حلم حتى إذا هيج قوم احتج السكّن
 الحليم من قدر ثم عفا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمره بتغييره
 وروى أن شقيقا البلخي دخل على ابن المبارك فاستكرأ فقال له من أين أنت فقال من بلخ فقال
 وهل تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقة أخصابه قال إذا منعوا صبروا وإذا أعطوا شكروا
 فقال ابن المبارك طريقة كلامها هكذا فقال شقيق فكيف ينبغي أن يكون الأمر فقال الكاملون

هم الذين اذا منعوا وشكروا واذا أعطوا آثروا (أو لئلا) أى العالو الرتبة (لهم عقبى الدار)
 وبينها تعالى بقوله (جَنَاتِ عَدْنٍ) أى اقامة لا تنفكا لها يقال عدن بالمكان اذا أقام به ثم
 استأنف بيان نعمتهم به بقوله تعالى (يَدْخُلُونَهَا) ولما كانت الدار لا تطيب بدون الاجبة قال
 تعالى عاطفا على الضمير المرفوع (وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ) أى الذين كانوا سببا في ايجادهم فيشمل
 ذلك الاباء والامهات وان علوا (وَأَزْوَاجَهُمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) أى الذين تسببوا عنهم والمعنى أنه يلحق
 بهم من صلح من آهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضائلهم بآلههم وتعظيم الشأنهم - ويتقال ان من أعظم
 موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيتمذاكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص
 منها والقوز بالجنة ولذلك قال الله تعالى في صفة أهل الجنة انهم يقولون يا ليت قومي يعلمون بما
 غفر لي ربى وجعلني من المكرمين وفى ذلك دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين
 بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم
 والتقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع وفسر ابن عباس الصلاح بالتصديق فقال
 يريد من صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل أعمالهم قال الرازى قوله وأزواجههم ليس فيه
 ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها ومات عنه وما روى عن سودة
 انها لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعنى يا رسول الله أحشرنى بجملة نسائك
 كالدليل على ما ذكرناه وعلى هذا من تزوجت بغيره قيل انها تخير بين ما هم ذات تعالى فى ترغيبهم
 بقوله تعالى (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ) لان الاكثار من ترداد بسل الملك أعظم فى الفخر وأكثر
 فى السرور والعز - ولما كان اتيانهم من الاماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الادب
 والكرم قال تعالى (مَنْ كُلِّ بَابٍ) قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها
 فرسخ لها ألف باب مصارعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم (سلام عليكم) أى
 فأضمر القول هنالدلالة المكلام عليه (بما صبرتم) على أمر الله والباء للسببية أى بسبب صبركم
 أو البدلية أى بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه (فان قيل) به يتعلق قوله بما صبرتم قال
 الزمخشري محذوف تقديره هذا بما صبرتم وقال البضاوى متعلق بعلينكم أو بمحذوف لا بسلام
 فان الخبر فاصل مع أن الزمخشري قال ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم
 بصبركم وهذا أظهر ورد الاول بأن الممنوع منه انما هو المصدر المؤول بحرف مصدرى وفعل
 والمصدر هنا ليس كذلك * ولما تم ذلك تسبب عنه قوله تعالى (فَنَعَمْ عَقْبَى الدار) وهى المسكن
 فى قرار المهيا بالابنية التى يحتاج اليها والمرافق التى ينفع بها والعقبى الانتهاء الذى يؤدى اليه
 الابتداء من خيرا أو شر والخصوص بالمدح محذوف أى عقبكم * ولما ذكر تعالى صفات السعداء
 وما يترتب عليهم من الاحوال الشريفة العالمية أتبعها بذكر أحوال الاسقياء وذكر ما يترتب
 عليهم من الاحوال الخزية المكربة وأتبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان
 كاملا فقال تعالى (وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ) أى فيعملون بخلاف موجهه والنقض التفرين
 الذى ينشئ تأليف البناء (من بعد ميثاقه) أى الذى أوثقه عليهم من الإقرار والقبول

(ويقطعون ما) أى الذى (أمر الله به أن يوصل) وذلك فى مقابلة قوله من قبل والذين يصلون ما
أمر الله به أن يوصل يجعل من صفات هؤلاء القطع بالصد من ذلك الوصل والمراد به قطع ما يوجب
الله تعالى وصله أى المال من المحاسن الجلية والخفية التى هى عين الصلاح ويدخل فى ذلك وصل
الرسول صلى الله عليه وسلم بالموا لاة والمعونة ووصل المؤمنين ووصل الأرحام ووصل سائر
من له حق (ويفسدون) أى يوقعون الفساد (فى الأرض) أى فى أى جزء كان منها بالظلم وتهميج
الفتن والدعاء الى غير دين الله تعالى (أو لئلا) أى البعداء البغضاء (لهم اللعنة) أى الطرد
والبعد (ولهم سوء الدار) والدار لهم هى جهنم وليس لهم فيها الا ما يسوء الصائرا إليها * ولما حكّم
تعالى على من نقض عهده فى قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون فى الدنيا ومعذبون
فى الآخرة فكأنه قيل لو كانوا أعداء الله تعالى لما فتح الله عليهم أبواب النعم والذات فى الدنيا
فأجاب الله تعالى بقوله تعالى (الله ييسر الرزق) أى يوسعه (لمن يشاء ويقدر) أى يضيقه على من
يشاء سواء فى ذلك الطائع والعاصى ولا تعلق لذلك بالكفر والايان فقد يوجد الكافر موسعا
عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن موسعا عليه دون الكافر فالدين ادا ر امتحان * ولما كانت السعة
مظنة الفرح الا عند من وفقه الله تعالى قال الله تعالى (وفرحوا) أى كفار مكة فرح بطر
(بالحيوة الدنيا) أى بما نالوه فيها الا فرح سرور بفضل الله والعافية عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى
يستوجبوا نعم الآخرة (وما بالحيوة الدنيا) أى بكآلها (فى الآخرة) أى فى جنمها (الامتاع) أى
حقير متلاش يتبع به ويذهب كجمالة الراسكب وهى ما يتجمل من عتبات أو شرية ماء سويق
أو نحو ذلك (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على هذا الرسول
(آية) أى علامة بينة (من ربه) أى المحسن اليه كالعصا والمد موسى والناقة لصالح لهم يهديها
فمنهم به * وأمر الله تعالى أن يجيبهم بقوله (قل) أى لهؤلاء المعاندين (ان الله يضل من يشاء)
اضلاله فلا تغنى عنه الايات شيأ وان أنزلت كل آية (ويهدي) أى يرشد (إليه) أى الى دينه
(من أناب) أى رجع اليه كأبى بكر الصديق وغيره من تبعه من العشرة المشهودة لهم بالجنة
وغيرهم ولو حصلت آية واحدة فلا تستغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله تعالى
فى طلب الهداية وقوله تعالى (الذين آمنوا) بدل من أناب أو خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن)
أى تسكن (قلوبهم بذكر الله) أى أنسابه واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمة ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده أو بالقرآن الذى هو أقوى
المعجزات وقال ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت (فان قيل) قد قال
الله تعالى فى سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد
الاطمئنان فكيف الجمع بين هاتين الآيتين (أجيب) بأنهم اذا ذكروا العقاب ولم يأمنوا
أن يقدموا على المعاصى فهناك يحصل الوجع واذا ذكروا واعدة بالنواب والرجة سكنت
قلوبهم الى ذلك وحينئذ حصل الجمع بينهما (الآية ذكر الله) أى الذى له الجلال والاكرام لا يذكر
غيره (تطمئن) أى تسكن (القلوب) ويثبت اليقين فيها وقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا

الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) واختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح
 لهم وقرّة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال النخعي خير لهم وكرامة وقال
 سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحسبية قال الرازى وهذا القول ضعيف لأنه ليس في القرآن
 إلا العربي لأسماء واستقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر وعن أبي هريرة وأبي الدرداء
 أن طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها
 في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها
 منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور
 والمسليق وقال مقاتل وكل ورقة منها تظل أمة عليهم ملك يسبح الله تعالى بأنواع التسبيح وعن
 أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة
 سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكلها وعن معاوية بن قرة عن أبيه رفعه طوبى شجرة غرسها
 الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلى والحلل وان أغصانها ترى من وراء سور الجنة
 وفي رواية عن أبي هريرة أنه قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تنفتحي لعبدى
 عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن راحلة برجلها
 وزمامها وهيئتها كما يشاء وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت يأؤه واوالضم ما قبلها مصدر
 لطاب كبشرى وزلني ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا (وحسن ما ب) أى حسن المنقلب
 (كذلك) أى مثل ارسال الرسل الذين قدمنا الإشارة اليهم في آخر سورة يوسف وفي غيرها
 (أرسلناك في أمة) أى جماعة كثيرة (قد خلت من قبلها) أى تقدمتها (أتم) طال اذا هم
 لانبيائهم ومن آمن بهم واستنزأهم بهم في عدم الاجابة حتى كأنهم توأمو بهذا القول
 فليس يبدع ارسالك اليهم (لتلق) أى لتقرأ (عليهم) أى على أمتك (الذى أوحينا اليك) من
 القرآن وشرائع الدين (وهم) أى والحال أنهم (يكفرون بالرحن) أى بالبلغ الرحمة الذى
 وسعت رحمة كل شئ وقال قتادة هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهل بن
 عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل
 اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهل بن عمرو لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنى
 مسيلة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحن
 أى انهم يكفرونه ويجحدونه قال البغوى والمعروف ان الآية مكسمة وسبب نزولها
 ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين
 فقال ان محمد يدعو الله ويدعو لها آخر يسبح الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحن اليمامة
 فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فإله الاسماء الحسنى
 وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
 اسجدوا للرحن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم
 معرفته (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت) أى اعتمدت عليه في أمورى كلها (وابه متاب)

أي من جعي ومن جمعكم روى أن أهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فاتاهم النبي صلى الله
 عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم فقال لعبد الله بن أمية الخزومي سير لنا جبل مكة حتى
 ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها وأخى لنا بعض أمواتنا النساء لهم أحق
 ما نقول أم باطل فقد كان عيسى يحيى الموتى وسخر لنا الريح حتى نركبها إلى البلاء فقد كانت
 الريح مسخرة لسلیمان فليست بأهون على ربك من سليمان فزل قوله تعالى (ولو أن قرآنا
 سیرت به الجبال) أي نقلت عن أماكنها (أو قطعت) أي شقت (به الأرض) من خشية
 الله تعالى عند قراءته فجعلت أنهارا وعبونا (أو كلم به الموتى) أي بأن يحيوا وجواب لو محذوف
 أي لكان هذا القرآن في غاية ما يكون من الصحة واكتفى بمعرفة السامعين مراده وهذا
 معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقبل تقديره لما آمنوا
 ونقل عن الفراء أن جواب لوهي الجملة من قوله وهم يكفرون ففي الكلام تقديم وتأخير وما
 بينهم اعتراض وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن لو أن قرأ ناسيرت به الجبال أو قطعت به
 الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا بالمسيح من علمنا فيهم (فان قيل) لم حذف
 التاء في قوله تعالى وكلم به الموتى وثبتت في الفعلين قبله (أجيب) بأنه من باب التغليب لأن الموتى
 يشمل المذكو والمؤث (بل الله الأمر) أي القدرة على كل شيء (جميعا) وهذا اضرب عنا
 تضعف لمن معنى النبي أي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لكن الارادة
 لم تتعلق بذلك لعله تعالى بأنه لا يلين قلوبهم ويؤيد ذلك قوله تعالى (أفلم يأس الذين آمنوا)
 عن ايمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم الذين آمنوا (أن) أي
 بأنه (لويشاء الله) أي الذي له صفات الكمال (لهدى الناس جميعا) أي إلى الايمان من غير آية
 ولكنه تعالى لم يشأ هذه تجميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا) أي جميع الكفار (تصميم
 بما) أي بسبب ما (صنعوا وقارعة) أي نازلة وداهمة تقرعهم بأنواع البليات تارة بالجلد وتارة
 بالسلب وتارة بالقتل وتارة بالأسر وغير ذلك واختلف في الكفار على قوانين قبل أرادهم جميع
 الكفار لأن الوقائع الشديدة التي وقعت لبعض الكفار من ذلك أوجبت حصول الغم في قلب
 الكل وقيل المراد الكفار من أهل مكة والالف واللام للمعهود السابق ويدل لهذا قول
 ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيها اليهم (أو تحل)
 أي تنزل نزولا ثابثا تلك القارعة (قريبا من دارهم) أي فتوهن أمرهم وقيل معناه أو تحل أنت
 يا محمد بجيشك قريبا من دارهم مكة كالحل بالحديبية (حتى يأتي وعد الله) أي بالنصر وظهور
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه بفتح مكة أو بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى عليه
 السلام فينقطع ذلك لأنه لا يبقى على الأرض كافر وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لأن الله
 يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (إن الله لا يخلف الميعاد) لا متناع الكذب في كلامه تعالى
 * ولما كان الكفار يسألون هذه الآيات منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستنزاء
 والسخرية وكان ذلك يشق عليه ويتأذى من تلك الكلمات أنزل الله تعالى تسلية له ونصير له

على سفاهة قومه (واقصد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك (فأملت للذين كفروا) أى أطلت المدة تأخير العقوبة (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أى هو واقع موقعه فكذلك أفعّل عن استهزأ بك والاملاء الامهال بأن يترك مدة من الزمان فى راحة وأمن كالبيعة على لها فى المرمى وهذا استفهام معناه التعجب وفى ضمنه وعيد شديد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى أورد على المشركين ما يجرى مجرى الخجاج وما يكون توخيها لهم وتجييبا من عقولهم فقال تعالى (أفئن هو قائم) أى رقيب (على كل نفس بما كسبت) أى علمت من خير وشر وهو الله تعالى القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات ولا بد لهذا الكلام من جواب فإن من موصولة صلتها هو قائم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره من ليس بهذه الصفة وهى الاصنام التى لا تنفع ولا تضر تدل على هذا المحذوف قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) وتطهيره قوله تعالى أفئن شرح الله صدره للاسلام الآية تقديره من قسا قلبه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر مقابلا للمبتدأ وقد جاء مبينا كقوله تعالى أفئن يخلق من لا يخلق وقوله تعالى (قل سمعهم) فيه تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى سمعهم بأسمائهم الحقيقية فانهم اذا عرفوا حقائقهم أنها سجارة أو غير ذلك مما هو مركز العجز ومحل الفقر عرف ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الآراء ثم قيل أرجعتم عن ذلك الى الاقارب بأنهم من جلة عباده (أم تنبؤونه) أى تنبؤونه (عما لا يعلم) وعلمه محيط بكل شئ (فى الارض) من كونها آلهة ببرهان قاطع (أم) تسعونهم شركاء (بظاهر من القول) أى بحجة اقناعية يقال بالقم وكل ما لا يعلم فليس بشئ وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز ولما كان التقدير ايسر لهم على شئ من هذا برهان قاطع ولا قول ظاهر بنى عليه قوله تعالى (بل زين) أى وقع التزيين بأمر من لا يرد أمره على يد من كان من شياطين الانس أو شياطين الجن (الذين كفروا مكرهم) أى أمرهم الذى أرادوا به ما يراى بالمكر من اظهار بشئ وباطن غيره وذلك أنهم أظهر وأت شر كما هم آلهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس بهم فى الباطن الاتقليد الا بآء وأظهر وأنهم يعبدونها لتقر بهم الى الله زلفى وانتفع لهم وهم لا يعقدون بعنا ولا نشورا فصارت كل ذلك من فعلهم فعل الماكر (وصيدوا) غيرهم (عن السبيل) أى طريق الهدى الذى لا يقال لغيره سبيل فان غيره عدم بل العدم خير منه فيهم لم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا وأضلوا وليس ذلك بحجيب فان الله أضلهم (ومن يضل الله) أى الذى له الامر كما يارادة اضلاله (فقاله من هاد) وقرأ ابن كثير بأبواب الياء بعد الدال فى الوقف دون الوصل والباقيون بغير ياء وقفا ووصلا وكذلك من واق وكذا ولا واق ولما أخبر الله تعالى بتلك الامور المذكورة بين أنه جمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة بقوله تعالى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والامير والذم والاهانة واغتنام الاموال واللعن ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد فى المشقة بسبب القوة والشدّة

وكثرة الأنواع والدوام وعدم الانقطاع ثم بين تعالى أن أحد الأيقين من عذابه بقوله تعالى
(وما لهم من الله من واق) أي مانع يمنعهم إذا أراد بهم سوءاً في الدنيا ولا في الآخرة والواق
فاعل من الوقاية وهي الجزع ليدفع الأذية * ولما ذكر تعالى عذاب الكفار في الدنيا والآخرة
أتبعه بذكر ثواب المتقين بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الجنة) أي التي هي مقرهم (التي وعد
المتقون) واختلف في أعراب ذلك على أقوال الأول قال سيبويه مثل الجنة مبتدأ وخبره
محذوف والتقدير فيما قصصناه عليك مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة جنة من صفتها
كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد
أسمر والرابع الخبر (أكلها) أي مأكولها (دائم) لانه الخارج عن العادة فقد وصف الله تعالى
الجنة بثلاثة أوصاف الأول تجري من تحتها أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الثاني
أن أكلها دائم لا ينقطع أبدًا بخلاف جنة الدنيا والثالث قوله تعالى (وظلها) أي دائم ليس كظل
الدنيا لا تنسخه الشمس ولا غيرها إذ ليس فيها شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل مدود لا ينقطع ولا يزول
ثم أنه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين تعالى أنهم المتقين بقوله تعالى (تلك) أي
الجنة العالية الأوصاف (عقبى) أي آخر أمر (الذين اتقوا) أي الشرك ثم كرر الوعيد
للكافرين بقوله تعالى (وعقبى) أي منتهى أمر (الكافرين النار) لاغير وفي ترتيب النظمين
اطماع للمتقين واقناط للكافرين واختلف في قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) على قولين
الأول أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالكتاب القرآن (يفرحون بما أنزل إليك) من
أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والأحكام والتقصص (ومن الأحزاب) أي الجماعات
من اليهود والنصارى وسائر الكفار (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة (فان قيل)
الأحزاب منهم ~~ك~~كرون كل القرآن (أجيب) بأنهم لا يشكرون كل ما في القرآن لانه ورد فيه
اثبات الله تعالى وإثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الأنبياء والأحزاب لا يشكرون كل
هذه الأشياء والقول الثاني أن المراد بالكتاب التوراة وبأهلها الذين أسلموا من اليهود والنصارى
كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم غنائون رجلاً أربعون من نجران
وغناية من اليمن واثنتان وثلاثون من أرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه
والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين وقيل كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء
فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن تبعه من أهل الكتاب ساءهم قلّة ذكر الرحمن مع كثرة ذكره في
التوراة فلما كثر الله تعالى ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه يعني مشركي مكة حين كتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رجلاً اليأسمة
يعني مسيلاً فأنزل الله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون * ثم أنه تعالى لما بين هذا جمع كل ما يحتاج
إليه المرء في معرفة المبدأ والمعاد وبينه بألفاظ قليلة فقال (قل) أي يا أكرم الخلق على الله تعالى
(إنما أمرت) أي وقع إلى الأمر الجازم الذي لا شك فيه ولا تغيير عن له الأمر كله (أن أعبد

الله) أى وحده ولذلك قال (ولا أشرك به) شيئاً (إليه) وحده (أدعوا إليه ما ب) أى مرجعى
 للجزء إلا إلى غيره (وذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أى
 القرآن (حكماً) والحكم فصل الأمر على الحق (عربياً) بلسانك ولسان قومك وانما سعى القرآن
 حكماً لأن فيه جميع التكليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان سبب الحكم جعل
 نفس الحكم على سبيل المبالغة وروى أن المشركين كانوا يدعون النبي صلى الله عليه
 وسلم إلى مله أبانه فوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب بأن يصلى إلى قبلتهم بعد
 ما حوله الله تعالى عنها بقوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار فيما يدعونك إليه من
 ملتهم (بعد ما جاء من العلم) أى بأنك على الحق وأن قبلتك هي السكينة (مالك من الله من
 ولي) أى ناصر (ولا واثق) أى مانع من عذابه قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه
 وسلم والمراد أمته * ونزل لما عير الكفار النبي صلى الله عليه وسلم بكمرة النساء (ولقد أرسلنا
 رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً) أى نساء ينكحونهن فكان لسلیمان ثلثمائة امرأة وسبع مائة
 سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة (وذرية) أى أولاد فأنت مثلهم وكانوا يقولون
 أيضاً لو كان رسولاً من عند الله لكان أى شئ طلبناه منه من المعجزات أتى به فرد الله تعالى
 عليهم بقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله) أى يارادته لأن المعجزة الواحدة
 كافية في إزالة العذر والعلل وفي اظهار الحق والبينة وأما الزائد عليها فهو مفض إلى مشيئة
 الله تعالى ان شاء أظهرها وان لم يشأ لم يظهرها لا اعتراض لاحد عليه في ذلك * ولما توعدهم
 صلى الله عليه وسلم نزول العذاب وظهور النصر له ولقومه وتأخر ذلك عنهم قالوا لو كان نبياً
 صادقاً لما ظهر كذبه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (لكل أجل) أى مدة (كتاب) أى مكتوب
 قد أتب فيه ان أمر كذا يـكون في وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاثان
 بالآيات وغيرها اثباتاً ونسخاً على ما تقتضيه الحكمة * ولما اعترضوا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقالوا ان محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمر بخلافه غداً وما سبب ذلك الا أنه
 يقول من تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (يحيوا الله ما يشاء) أى يحوه من الشرائع
 والاحكام وغيرها بالنسخ في رفعه (ويثبت) ما يشاء ايمانه من ذلك بأن يقره ويمضى حكمه كقوله
 تعالى ما ننسخ من آية الى قوله تعالى ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 وعاصم بسكون الشاء المثناة وتخفيف الباء الموحدة والباقون بفتح الشاء وتشديد الباء الموحدة
 * (تنبيه) في هذه الآية قولان أحدهما أنها عامة في كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ وهذا
 مذهب عمر وابن مسعود وغيرهما قالوا ان الله يحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل
 والسعادة والشقاوة والايان والكفر وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يطوف
 بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها وان كنت كتبت علي
 الشقاوة فأحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فأفك عموماً تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب
 ومثله عن ابن مسعود وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض

الا تار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رجه فيرد الى ثلاثة ايام والرجل
 يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رجه فيرد الى ثلاثين سنة وروى ان الله تعالى ينزل اى امره
 في آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل فينظر في الساعة منهم في ام الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد
 غيره فيعموما يشاء ويثبت والقول الثانى ان هذه الآية خاصة في بعض الاشياء دون بعض
 واختلفوا على هذا القول فقال سعيد بن جبير وقادة يحجوا الله ما يشاء من الشرائع والفرائض
 فيسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا يسخه وقال ابن عباس يحجوا الله ما يشاء ويثبت الا الرزق
 والاجل والسعادة والشقاوة واستدل لهذا بما رواه حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنظفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق
 سمعها وبصرها ووجدها وعلجها وعظمها ثم قال يارب اذكر أم آنى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب
 الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أشقى أم سعيد
 فيكتبان فيكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم يطوى الصحف فلا يرا دولا ينقص وقال عطية عن ابن
 عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يرجع لمعصية الله تعالى فيموت على ضلاله فهو الذى
 يحجوا الذى يثبت يعمل الرجل بطاعة الله فيموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن
 يحجوا ما يشاء أى من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يجئ أجله الى أجله وعن سعيد بن جبير قال
 يحجوا ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يحجوا الله ما يشاء
 من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
 وقال السدى يحجوا الله ما يشاء يعنى القمر ويثبت ما يشاء يعنى الشمس بيانه قوله تعالى فيحجوا نآية
 الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقال الريح هذا فى الارواح يقبضها الله تعالى عند النوم فى
 أراد موته أمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الانفس
 حين موتها الآية وقيل ان الله تعالى يثبت فى أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محجاة
 وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يحجوا الله الديناء يثبت الاخرة وقيل ان الحفظة
 يكتبون جميع أعمال بنى آدم وأقوالهم فيمحجوا الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب
 وقبل هذا فى المحن والمصائب فهى مثبتة فى الكتاب ثم يحجوها بالدعاء والصدقة (وعنده) تعالى
 (أم الكتاب) أصل الكتب والعرب تسمى كل ما يجرى مجرى الأصل للشيء أما ومنه أم الرأس
 للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهى أم لما حولها من القرى فكذلك أم الكتاب هو الذى
 يكون أضلا لجميع الكتب وفيه قولان الاول أنه اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يتبدل وجميع
 حوادث العالم العلوى والسفلى يثبت فيه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله
 ولا شئ ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى قيام الساعة والقول الثانى ان أم
 الكتاب أصله الذى لا يغير منه شئ وهو الذى كتب فى الازل وقال ابن عباس فى رواية عكرمة
 هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يحجوا ما يشاء منه ويثبت وعنده أم الكتاب لا يغير منه شئ وعلى
 هذا فالكتاب الذى يحجوا منه ويثبت هو الكتاب الذى تكتبه الملائكة على الخلق وعن ابن

عباس قال ان الله لو حاطه وظا منسيرة شمسائة عام من دوة نضاء له دفنان من ياقوته لله فقه في كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يحومها يشاء ويثبت وعند أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه * ولما كان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استهجال السيئة مما وعدوا به وكانت النفس رجمت وقوع ذلك البعض وإثباته لمؤمن به غيرهم تقريرا لفصل النزاع قال تعالى (واما نرينك) يا محمد وأكده بتأكيده للاعلام بأنه لا يخرج عليه في ضلال من ضل بعد ابلاغه (بعض الذي نعدهم) أي من العذاب وأنت حتى تمتازيد أو تريد أصحابك قبل وفائك فذلك شافيك من أعدائك والوعد الخبر عن خير مضمون والوعد الخبر عن شر مضمون والمعنى ههنا عليه وسماه وعد التزييلهم اياه في طاب نزل وله منزلة الوعد (أو توفيتك) أي قبل أن نرينك ذلك فلا لوم عليك ولا عتب (فانما عليك البلاغ) أي ليس عليك الا التبليغ الرسالة اليهم وليس عليك أن تجازيهم ولا أن تأتيتهم بالمقترحات والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ واتما فيه ادغام فون ان الشرطية في ما الزائدة (وعليها الحساب) أي علينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم فلا تحتفل بأعراضهم ولا تستهجل بعذابهم * (تنبيه) * قال أبو حيان هنا شرطان لان المعطوف على الشرط شرط فيكون لكل شرط ما يناسب أن يكون جزاء مرتب عليه والتقدير واما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من أعدائك واما توفيتك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مررت الاشارة الى ذلك ولما وعد الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يريه بعض ما يعده أو يتوفاه قبل ذلك بين تعالى ان آثار حصول تلك المواعيد وعلا ماتها قد ظهرت وقويت بقوله تعالى (أولم يروا) أي كفار مكة (أنا نأت الارض) أي نقصد أرض هؤلاء الكفرة (تنقصها من أطرافها) بما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشر لأرضابعد أرض حوالى أرضهم هذا قول ابن عباس وقبادة وجاعة وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي مثله وعطاء وجاعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء ويؤيد هذا ما رواه عمر بن العاص أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم ائتزا عايتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فاستلوا فافتوا بغير علم فذلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي انما مثل الفقهاء كمثل الانث اذا قطعت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الا قول حتى يتعلم الآخروا ذاهلك الا قول قبل أن يتعلم الآخروا ذاهلك الناس وقيل لسعد بن جبيرة ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم ثم أثبت تعالى لنفسه أمرا اكيدا فقال (والله) أي الملك الاعلى (يحكم) في خلقه بما يريد لانه (لامعقب) أي راد لان التعقيب رد الشيء بعد فصله (لحكمه) وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كاش لا يمكن تغييره * (تنبيه) * محل جملة لامعقب لحكمه انصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاني زيد لا بحمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وهو) عز

وجعل مع تمام القدرة (سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم
 بالقتل والاجلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير
 والشر فجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب إليهم وقد تقدم
 الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا وقوله تعالى (وقد مكر الذين من قبلهم) أي
 من كفار الامم الماضية قبل مكر وانبيائهم مثل نمرود مكر براهيم وفرعون مكر موسى واليهود
 مكر وابعيسى فيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (ولله المكر جميعاً) أي أن مكر
 جميع الماكرين حاصل بخليقه واراذه لانه تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد فالمكر
 لا يضره الا باذنه ولا يؤثر الا بتدبيره فيه أمان له صلى الله عليه وسلم من مكرهم فكانه قبل اذا كان
 حدوث المكر من الله تعالى وتأثيره في المكور به من الله وجب أن لا يكون الخوف الا من الله
 تعالى لا من أحد من الخلقين وذهب بعض المفسرين الى أن المعنى فله جزاء المكر وذات
 أنهم لما مكر وانبيائهم بين الله تعالى أنه يجازيهم على مكرهم قال الواحدي والاول أظهر
 القولين بدليل قوله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) أي ان اكساب العباد مع ائمة الله تعالى
 وخلاف المعاصم تمتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة لعبد على الفعل والترك فكان الكل
 من الله فيجازيهم على أعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين ثم انه تعالى أكد
 ذلك التمهيد بقوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار) أي العاقبة المحيطة في الدار الآخرة
 ألهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وبالالف بعد الكاف
 على الافراد والكاف مفتوحة والقاء مكسورة مخففة والباقون بالالف بعد القاء على الجمع
 فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشددة فنقرأ بالافراد أراد الجنس كقوله تعالى ان الانسان
 لفي خسر ليوافق قراءة الجمع وقال عطاء المستهزؤن وهم خمسة والمقتسمون وهم ثمانية وعشرون
 وقال ابن عباس يريد أبا جهل قال الرازي والاول هو الصواب أي ليوافق قراءة الجمع كما مر
 ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه عطف عليه بعد شرح
 ما استتبعه قوله تعالى (ويقول الذين كفروا استمرسلاً) أي لكونك لا تأتي بمقرحاتهم مع
 أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل يوماً انه قادر عليها فكانه قبل لما أقول لهم فقال تعالى (قل) لهم
 (كفى بالله) الذي له الاحاطة الكاملة (شهيداً) أي ببلغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر
 وما بطن (ينبئ وينسكم) يشهد بتأييد رسالي وتصحيح مقالي بما أظهر لي من الآية وأوضح من
 الدلالة بهذا الكتاب ويشهد بتكذيبهم بإدعائكم القدرة على المعارضة وترككم لها عجزاً وهذا
 أعلى مراتب الشهادة لأن الشهادة قول يقيد غلبة الظن بأن الامر كما شهد به والمعجزة فعل
 مخصوص يوجب القطع بكونه رسولاً من عند الله واختلف في قوله تعالى (ومن عنده علم
 الكتاب) فروى العوفي عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى أي أن كل من كان عالماً
 من اليهود والنصارى بالانجيل علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله لما
 يجد من الدلائل الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهادته وأنكره من أنكره منهم والشأن

ان المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا بهم عبد الله بن سلام و سلمان الفارسي و عقيم الداري وقال الحسن و مجاهد و الزجاج و سعيد بن جبير و من عنده علم الكتاب هو الله تعالى قال الحسن لا والله لا يعنى الا الله والمعنى كنى بالله الذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم ما فى اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وهذا أظهر كما استظهره البقاعي وان كان عطف الصفة على الموصوف خلاف الاصل اذ يقال شهد هذا زيد الفقيه لزيد الفقيه لانه جازى الجملة وقيل معناه ان علم أن القرآن الذى جئتمكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علم بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله أعلم بمراده ومارواه البيضاوى تبعاً للزحسرى وتبعهما ابن عادل من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل صحاب مضى وكل صحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهده الله حديث موضوع

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية﴾

الاقوله تعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله الاتين وهى اثنتان وخسبون آية وعدد كلماتها ثمانمائة واحد وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثه آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (الر) تقدم الكلام عليها أول يؤنس وهو ذو قوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هذا القرآن كتاب أو الران قلنا انها مبتدأ والجملة بعده صفة ويجوز أن يرتفع بالابتداء وخبره الجملة بعده وجازا لابتداء بالنكرة لانها موصوفة تقديرا تقديره كتاب أى كتاب يعنى عظيم من بين الكتب السماوية (أنزلناه اليك) بأشرف الخلق عند الله تعالى (لتخرج الناس) أى عامة قومك وغيرهم بدعائك اياهم (من الظلمات) أى الكفر وأنواع الضلالة (الى النور) أى الايمان والهدى قال الرازى والآية دالة على أن طرق الكفر والبعد كثيرة وأن طريق الحق ليس الا واحد الا انه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو افظ مفرد وذلك يدل على أن طرق الجهل والكفر كثيرة وأن طريق العلم والايمان ليس الا واحدا * (تبسبه) القائلون بأن معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول احتجوا بهذه الآية وذلك يدل على أن معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم وأجيب بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان نبيا وأما المعرفة فهى انما تحصل من الدليل وقوله تعالى (بأذن ربهم) متعلق بالخراج أى بتوفيقه وتسهيله ويدل من الى النور (الى صراط) أى طريق (العزيز) أى الغالب (الحميد) أى المحمود على كل حال المستحق لجميع الحماد وفي قوله (الله) قرأتان فقرأ نافع وابن عامر برفع الهاء وصلوا وابتداء على انه مبتدأ أخبره (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى ملكا وخلة أقرأ السابقون بالجر على أنه بدل أو عطف بيان وما

بعد صفة * (تنبيه) * ذهب جماعة من المحققين الى أن قولنا الله جاز مجرى الاسم العلم
 لذات الله سبحانه وتعالى وذهب قوم آخرون الى أنه لفظ مشتق قال الرازي والحق عندنا
 هو الأول لأن الاتمة لما اجتمعت على أن قولنا لا اله الا الله يجب التوحيد المحض علماً أن قولنا
 الله جاز مجرى الاسم العلم وقد قال تعالى هل تعلم له سمياً أي هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك
 يدل على قولنا الله اسم لذاته المخصوصة ولذا استشكل قراءة الجر إذا الترتيب الحسن أن يذكر
 الاسم ثم يذكر عقبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور وأما الخالق الله فلا
 يحسن وأجيب عن ذلك بأنه لا يبعد أن تذكر الصفة أولاً ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة
 أخرى كما يقال مرت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد
 الله الذي له ما في السموات وما في الارض والآية تفيد حصر ما في السموات وما في الارض له
 لا لغيره وذلك يدل على أنه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله وأنه تعالى خالق لعمال العباد لانها
 حاصلة في السموات والارض فوجب القول بأن أفعال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والمالك
 عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة لله وإذا ثبت أنها مقدورة لله وجب وقوعها بقدره الله
 والالكان العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف
 على الكفار بالوعيد فقال تعالى (وويل للكافرين) أي الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة
 الذي له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيئاً البتة بل هو مملوك لله تعالى لانه من
 جلته ما في السموات وما في الارض وويل مبتدأ وجازا لا ابتداء به لانه دعاء كسلام عليكم
 وللكافرين خبره وقوله تعالى (من عذاب شديد) أي يعذبهم في الآخرة متعلق بويل ولا يضر
 الفصل بالخبر ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين يستحبون) أي يختارون (الحياة الدنيا على الآخرة)
 أي يؤثرونها عليها (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله (وينغونها)
 أي السبيل (عوجاً) أي معوجة والاصل ويغنون لها زبغاً وميلاً لحذف الجار وأوصل الفعل
 الى الضمير (أو لئلا) أي الموصوفون بهذه الصفات (في ضلال بعيد) أي عن الحق واستناد
 البعد الى الضلال اسناد مجازي لان البعيد هم الضلال يملهم عن الباقي الى الفاني * ثم ذكر
 ما يجرى مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول)
 أي في زمن من الازمان (الابلسان) أي لغة (قومه) أي بالنسبة الى الرسول فلانه تعالى بين
 أن سائر الانبياء كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة وأما أنت يا محمد فبعثت الى عامة البشر وكان
 هذا الانعام في حقك أكمل وأفضل وأما بالنسبة الى عامة الخلق فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث
 رسولا ابلساناً أو لئلا القوم (ليبين لهم) ما أمروا به فيقهوه عنه يسر وسرعة لأن ذلك
 أسهل لفهم أسرار تلك الشريعة والوقوف على حقائقها وأبعد عن الغلط والخطأ * (تنبيه) *
 تمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية على أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يرسل
 لغير العرب من وجهين الأول أن القرآن لما كان نازلاً بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب
 ما فيه من الفصاحة إلا العرب وحينئذ لا يكون القرآن حجة الا عليهم الثاني أن قوله تعالى

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك يدل على أنه
مبعوث إلى العرب فقط ورد عليهم بأن المراد بالقوم أهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله
تعالى قل يا أيها الناس أنى رسول الله إليكم جميعاً بل إلى الثقلين لأن التحدى كما وقع مع الأنس
وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ثم بين سبحانه وتعالى أن الأضلال والهداية يشيئته بقوله
تعالى (فيضل الله من يشاء) اضلاله (ويهدي من يشاء) هدايته فانه تعالى هو المضل الهادي
وليس على الرسل إلا التبليغ والبيان والله تعالى هو الهادي المضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز)
في ملكه فلا راد له عن مشيئته (الحكيم) في صنعه فلا يهدي ولا يضل إلا بالحكمة * ولما بين تعالى
أنه إنما أرسل محمد عليه الصلاة والسلام إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور وذكر
كامل انعامه عليهم وعلى قومه في ذلك الأرسال وفي تلك البعثة أتبع ذلك بشرح بعثة سائر
الأنبياء إلى أقوامهم وكيفية معاملتهم أقوامهم لهم ليكون ذلك تصبيراً له صلى الله عليه وسلم
على أذى قومه وإرشاداً له إلى كيفية معالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص
بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام فقال (ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا) أى العصا والسند والجراد والقمل والضفادع والدم وخلق البحر وانفجار العيون
من الحجر وإفلال الجبل والتمت والسواوى وسائر معجزاته (أن أخرج قومك) أى بنى إسرائيل
(من الظلمات) أى الكفر والضلال (إلى النور) أى الإيمان والهدى * (تنبيه) * يجوز
أن تكون أن مصدرية أى بأن أخرج والباء في آياتنا الحال وهذه للتعديدية ويجوز أن تكون
مفسرة للرسالة بمعنى أى ويصكون المعنى أى أخرج قومك من الظلمات أى قلناه أخرج
قومك كقوله تعالى وانطلق الملائمة منهم أن امشوا (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس بنعم
الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السابقة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وفى المثل
من سريومايره قال الرازى معناه من رأى في يوم سروره بحصر غيره رآه غيره فى يوم آخر
بحصر نفسه وقال تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس والمعنى عظمهم بالترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والترغيب والوعيد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم من آمنوا
بالرسل فيما سلف من الأيام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأمر الله وعذابه وانتقامه من كذب
الرسل فيما سلف من الأيام مثل منازل بعباد وعود وغيرهم من العذاب ليرغبوا فى الوعد فيصدقوا
ويحذروا من الوعيد فيتروا التذكير وقيل بأيام الله فى حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة
والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم
ملوكاً بعد أن كانوا عبيداً (أن فى ذلك) أى التذكير العظيم (آيات) على وحدانية الله تعالى
وعظمته (لكل صبار) أى كثير الصبر على الطاعة وعن المعصية (شكور) أى كثير الشكر
لأنهم وانما خص الصبور والشكور بالاعتبار بالآيات وإن كان فيها عبرة لكل لأنهم المستفعدون
بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانهم ليست لغبرهم فهو كقوله تعالى هدى للمتقين فان

الانتفاع لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا آمنا لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة
 ولما أمر الله تعالى موسى أن يذكرهم بأيام الله حكى عنه أنه ذكرهم بما لله تعالى (واذ قال
 موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) وقوله (اذنجاكم من آل فرعون) ظرف للنعمة بمعنى
 الانعام أى اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت (يسومونكم سوء العذاب) بالاستعداد
 (ويذبحون) أى تذبحا كثيرا (أبناءكم) أى المولودين (ويستحيون) أى يستبقون (نساءكم)
 أحياء وذلك كقول بعض الكهنة أن مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملك
 فرعون (فان قيل) لم ذكر تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واو وذكره في النمل (أجيب)
 بأنهم انما حذفوا في سورة البقرة لانهم افسسوا لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير
 لا يحسن ذكر الواو وهنا أدخل الواو فيه لانه نوع آخر لانهم كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب
 غير التذبيح فليس تفسير العذاب (وفي ذلكم بلاء) أى انعام وابتلاء (من ربكم عظيم) لان
 الابتلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمنة جميعا ومنه قوله تعالى وينالوكم بالشر والخير فتنة (فان
 قيل) تذبيح الابناء فيه بلاء وأما استحياء النساء فكيف فيه ابتلاء (أجيب) بأنهم كانوا
 يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالامه فكان ذلك ابتلاء وقوله تعالى (واذ) أى
 واذا ذكرنا (تأذن ربكم) فهو أيضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى أذن كنوع
 وأوعده غير أنه أبلغ لما في الفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل نعمتي
 بالتوحيد والطاعة (لازيدنكم) نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم فان الشكر قيد
 الموجود وصيد المفقود والشكر عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطئ النفس
 على هذه الطريقة ثم قدرتي العبد عن تلك الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات
 الى النعمة ولا شك أن منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى ومعرفته وأما الزيادة
 في النعمة فهي على قسمين روحانية وجسمانية فالاولى هي أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة
 أقسام نعمة الله تعالى وأنواع فضله وكرمه وأما الثانية فلأن الاستقراء دل على أن كل من كان
 اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر نسال الله تعالى القيام بواجب شكر
 النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه وإحسانه ويفعل ذلك باهلينا وأحبائنا ثم انه تعالى لما ذكر
 ما يستحقه الشاكر ذكر ما يستحقه مقابله بقوله تعالى (ولئن كفرتم) أى بجدتم النعمة بالكفر
 والمعصية لا عذبكم دل عليه (أن عذابي لشديد) أى لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ومن عادة
 أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعيد ويعرض بالوعيد * ولما بين موسى أن الاشتغال بالشكر
 يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة والاشتغال بالكفران النعم يوجب العذاب الشديد
 وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده أن منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى
 صاحب الشكر وصاحب الكفران وأما المعبود والمشكور فانه متعال عن أن ياتفع بالشكر
 أو يستضر بالكفران فلا جرم قال تعالى (وقال موسى ان فكفروا أنتم) يا بني اسرائيل (ومن
 في الأرض) وأكده بقوله تعالى (جميعا) أى من الثقلين فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم

وحرمتموها الخبر كله (فإن الله لغني) عن جميع خلقه فلا يزيداد بشكر الشاكرين ولا ينقص
 بكفر الكافرين (سجد) أي محمود في جميع أفعاله لانه فيها متفضل عادل وقوله تعالى (ألم تأتوكم)
 يا بني اسرائيل (نبأ) أي خبر (الدين من قبلكم قوم نوح) وكانوا ملء الارض (و) نبأ (عاد) قوم
 هود وكانوا أشد الناس أبدانا (و) نبأ (عوذ) قوم صالح وكانوا أقوى الناس على نحت الصخور
 وبناء القصور ويحتمل أن يكون من كلام موسى أو كلام مبتدأ من الله تعالى لقوم محمد صلى
 الله عليه وسلم وهو استغفهم تقرير وقوله تعالى (والذين من بعدهم) أي بعد هؤلاء الامم
 الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) فيه قولان الاول أن يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله تعالى
 لان المذكور في القرآن جملة فاما ذكر العدد والعمر والكيفية والسكينة فغير حاصل والقول
 الثاني ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا أخبارهم أصلا كذبوا رسالهم نعرفهم أصلا ولا يعلمهم الا
 الله ولذلك كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يتعاون علم
 الانساب الى آدم عليه السلام وقد نفي الله علمها عن العباد وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان
 واسماعيل ثلاثون أبابا يعرفون وتظهر هذه الآية قوله تعالى وقرؤنا بين ذلك كثيرا وكلا ضربا له
 الامثال وكلا تبرنا تبريرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعنه صلى
 الله عليه وسلم أنه كان في انتسابه لا يجاوز معدن عدنان بن أدروق قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون
 به أرحامكم وتعلموا من النجوم ما تستدلون به على الطريق قال الرازي والقول الثاني أقرب
 ولما جاءتهم أي هؤلاء الاقوام الذين تقدم ذكرهم (رسلهم بالبينات) أي الدلائل الواضحات
 والمعجزات الباهرات أو اباء موراؤها ما خكاها الله تعالى عنهم بقوله تعالى (فردوا) أي الامم
 (أيديهم في أفواههم) وفي ذلك احتمالات الاول ان الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها
 غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا على كذبكم بالبينات والثاني أنهم لم يسمعوها
 كلام الانبياء بحجوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما
 يفعل ذلك من غلبه الضحك فيضع يده على فيه والثالث أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم
 مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث والرابع
 أنهم أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم وإلى ما تكلموا به من قولهم الكفر كما حكى الله تعالى ذلك عنهم
 بقوله تعالى (وقالوا انا كفر بايعا أرسلتم به) أي على زعمكم أي ان هذا جوابنا لكم ليس عندنا
 غيره اقناطالهم من التصديق هذا هو الامر الثاني الذي أنواه وقبل الضمير في ردوا راجع
 للرسل عليهم السلام وفيه وجهان أحدهما أن الكفار أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على
 أفواههم ليسكتوا ويقطعوا الكلام والثاني ان الرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي
 أنفسهم على أفواه أنفسهم فان من ذكر كلاما عن قوم وأنكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما
 وضع يده نفسه على فم نفسه وغرضه أن يعرفهم أنه لا يعود الى ذلك الكلام البتة والامر الثالث
 قولهم (وانا لني شئ) أي شئ (تدعوننا) أيها الرسل (اليه) أي من الدين (مرتب) أي
 موجب الرتبة أي موقع في الرتبة والشبهة والريسة قلق النفس وان لا تنظم الى الامر الذي

يشك فيه (فان قيل) انهم قالوا اولانا كفرة نابعاً برسلمة فكيف يقولون ثانياً وانما لي شك
والشك دون الكفر (أجيب) بأنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسول كلهم حصل لهم شبهة توجب
الشك لهم فسالوا ان لم نتدع الجزم واليقين في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين من تايين في
صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم * ولما قال هؤلاء الكفار للرسول
ذلك (قالت) لهم (رسلمهم) محيين (آي الله شك) أي هل تشكون في الله وهو استفهام انكار رأى
لشك في توحيد الله للدلائل الظاهرة عليه منها قوله تعالى (فاطر) أي خالق (السموات والارض)
أي وما فيه من الانفس والارواح والارزاق وقرأ أبو عمرو ورسلمهم هنا وفيما ترفى جاءتهم
رسلمهم باسكان السين والساقيون بالرفع * ولما أقاموا الدليل على وجود الله تعالى وصفوه بكل
الرجة بتولهم (يدعوكم) أي الى الايمان بعبادته وقولهم (ليغفر لكم) اللام متعلقة ببدعوا أي
لاجل غفران ذنوبكم كقوله

دعوت لما نالني مسورا * فلي فلي يدي مسورا

ويجوز أن تكون معدية كقوله دعوتك لزيد والتقدير يدعوكم الى غفران ذنوبكم وقوله (من
ذنوبكم) قال السيوطي من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله أو تبعية لاخراج حقوق
العباد اه أي والمغفور لهم ما بينهم وبين الله تعالى قال الرازي والعاقلي لا يجوز له المصير الى كلمة
من كلام الله تعالى بأنهم ازادته من غير ضرورة اه وقال في الكشف ما علمته جاء هكذا الا
في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي
الله وأمروا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يوقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وأن
لا يستوي بين الفريقين في المعاد اه قال الرازي وأما قول الكشف فهو من باب الظلمات
لان هذا التبعض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام
فاسدا (وبوخركم) أي ولا يفعل بكم فعل من تعهدون من الملو في المعالجة في الاهلاك
لمن خالفهم بل يؤخركم (الى أجل مسمى) أي الى وقت قد سماه بين مقداره يبلغكم وانه أنتم
أنتم به والاعاجيل بكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان أنتم ما أنتمتم (فان قيل) أليس قال تعالى
فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال هنا يؤخركم الى أجل
مسمى (أجيب) بأن الاجل على قسمين متعلق ومنهم (قالوا) أي الامم مجيبين للرسول (ان) أي
ما أنتم أيها الرسل (الابشر مثلنا) أي لافضل لكم علينا لم يخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله
تعالى الى البشر رسلا لجلهم من جنس أي من البشر في زعم القائلين أفضل وقول الكشف
وهم الملائكة بخلاف مذهبه (تريدون أن تصدقونا عما كان بعد آبائنا) أي ما تريدون بقولكم
هذا الامم ناعن آلهتنا التي كان آبائنا يعبدونها (فأقولنا بساطان ميين) أي بحجة ظاهرة على
صدقكم * ولما حكى الله تعالى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم
الصلاة والسلام جوابهم عنها بقوله تعالى (قالت لهم رسلمهم) مجيبين لهم (ان) أي ما نحن

(الابشر مثلكم) كما قلتم فساوا أن الامر كذلك لكنهم يشعرون أن القائل في البشرية لا يمنع
 من اختصاص بعض خصص النبوة بقوله نعم (ولكن الله يعنى) أى يتفضل (على من يشاء من
 عباده) بالنبوة والرسالة فصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف كما قال تعالى
 الله أعلم حيث يجعل رسالته (وما كان) أى ماصح واستقام (لنا أن نأتيكم بشلطان الا باذن
 الله) أى الاباحة لا نأعيدهم بربون فليس بيننا الاثبات بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى
 نأتيكم بما اقترحتموه وانما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالى فله أن يخص كل نبي بنوع من
 الآيات (وعلى الله فليستوكل) بأمر حتم (المؤمنون) أى يثقوا به فلا يخاف من تخويفكم
 ولا تلمت إلى تهديدكم فان توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله فان الروح متى كانت
 مشرفة بالمعارف الالهية مشرفة باضواء علم الغيب قلنا تبالى بالاحوال الجسمانية وقلنا تقيم
 لها وزنا في حالتى السراء والضراء فلها ذو كوا على الله وعزوا على فضله وقطعوا أطماعهم
 عن سواه وعموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً وليا ألا ترى إلى
 قولهم (وما لنا أن لا نتوكل على الله) أى أى عذر لنا فى أن لا نتوكل عليه (وقد هدا ناسبنا) أى
 وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشداً من فارق شرف العبودية ووصل إلى مقام الاخلاص
 والمكاشفة يقيم عليه أن يرجع في أمر من الامور إلى غير الحق وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى
 يعصم أوليائه والمخلصين في عبوديته عن كيد أعدائهم ومكرهم وقرأ أبو عمر وبسكون الباء
 والباقون بالرفع وكذلك لرسولهم سكن أبو عمر والسين ورفعها الباكون ثم قالوا (وانصبرن على
 ما آذيتونا) فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وأن يصير غلبا قاهرا والباطل
 لا بد وأن يصير مغلوبا مقهورا ثم قالوا (وعلى الله فليستوكل المتوكلون) فان قيل أى فرق بين
 التوكلين (أجيب) بأن الاول لاستحداث التوكل والثانى طلب دوامه أى فليثبت المتوكلون
 على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم * ولما حكى الله تعالى عن الانبياء عليهم السلام
 انهم اكنتمو فى دفع شرور أعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياطة حكي عن
 الكفار أنهم بالغوا فى السفاهة بقوله تعالى (وقال الذين كفروا والرسولهم) مستهينين لمن قصر
 النجاءهم عليه (التختر جنكم من ارضا) أى التى لنا الآن الغلبة عليهم (اولتعودن فى ملتنا) أى
 حلفوا ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم أم الرسل واما عودكم الى ملتنا أى ديننا (فان قيل)
 قد يفهم هذا بظاهره أنهم كانوا على ملتهم قبل ذلك (أجيب) بأن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو
 كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لا تشكك سمعهم يستعدون صار ولكن عاد يقولون ما عدت
 أراه عاد لا يكلمنى ما عاد فلان مال وقد أجبنا الامة على ان الرسل من أول الامر انما انشؤا
 على التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولما آمن معه فغلبوا الجماعات
 على الواحد وقيل أولتعودن فى ملتنا أى الى ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عند
 ذكر معانيه وعدم التعرض له بالطعن والقدح * ولما ذكر الكفار هذا الكلام قال تعالى (فأوحى
 اليهم) أى الرسل (ربهم) وقوله تعالى (لهم لكن الظالمين) أى الكافرين حكاية تقتضى اضممار

القول أو أجرى الايصاء مجرى القول لانه ضرب منه (وليسكنكم الارض) أى أرضهم
 (من بعدهم) أى بعدهم هلاكهم وتظيره قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
 الارض ومغاربهم وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم قال الزمخشري وعن النبي صلى الله
 عليه وسلم من أذى جاره ورثه الله داره قال ولقد عاينت هذا فى مدة قريبة كان لى خال يظلمه عظيم
 القرية التى أنا فىها ويؤذنى فيه فأت ذلك العظيم وما كنى الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالى
 يترددون منها ويأمرن وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم
 به وسجدنا شكر الله تعالى (ذلك) أى النصر وإراث الارض (لمن خاف مقامى) أى موقفى وهو
 موقف الحساب لأن ذلك الموقف موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة وتظيره وأما من
 خاف مقام ربه وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامى أى خافى
 فالمقام مقعدهم مثل ما يقال سلام على المجلس العالى والمراد السلام على فلان (وخاف وعبد) قال
 ابن عباس ما أوعدت من العذاب وهذا يدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعيد
 لأن العطف يقتضى المغايرة وفى تفسير قوله تعالى (واستفتحوا) قولان أحدهما طلب الفتح
 أى واستنصروا الله تعالى على أعدائهم وهو كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح والثانى
 الفتح المحكم والقضاء أى واستحكموا الله وسألوه القضاء بينهم وهو مأخوذ من الفتاحة وهى
 الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فعلى القول الاول المستفتح هم الرسل
 لأنهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أيسوا من إيمانهم قال نوح رب لا تذر على
 الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على أموالهم وقال لوط انصرفنى على
 القوم المفسدين وعلى القول الثانى قال الرازى فالاولى أن يكون المستفتح هم الامم وذلك أنهم
 قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق
 من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وكقول آخرين ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين
 (وخاب) أى خسرو هلاك (كل جبار) أى متكبر عن طاعة الله وقيل هو الذى لا يرى فوقه
 أحدا وقيل هو المتعظم فى نفسه المتكبر على أقرانه واختلفوا فى قوله تعالى (عند) فقال مجاهد
 معاند للحق ومجانبه وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة
 هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل هو المحجب بما عنده * ولما حكم تعالى على الكافر بالخيمة
 ووصفه بكونه جبارا عند اوصاف كيفية عذابه بأمور الاول قوله تعالى (من ورائه) أى
 امامه (جهنم) أى هو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد وقال الشاعر

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

ويقال أيضا الموت وراء كل أحد وقال تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى
 امامهم وقال ثعلب هو اسم لما توارى عنك سواء كان خلفك أم قد املك فيصيح اطلاقا لفظ الورا
 على خلف وقد امد وقال ابن الانبارى وراء بمعنى بعد قال الشاعر * وليس وراء الله للخلق مهرب
 ومعنى الآية على هذا ان الكافر بعد الخيمة يدخل جهنم الامر الثانى ما ذكره تعالى بقوله

(ويسقى) أى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما يسيل من جوف أهل النار محتطاً بالقيح والمدم
 جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر
 (فان قيل) علام عطف ويسقى (أجيب) بأنه عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
 يلقي فيها ما يلقي ويسقى من ماء صديد (يتجرعه) أى يتكاف أن يمتلعه مرة بعد مرة لمرارته
 وحرارته ونقته (ولا يكاد يسيغه) أى ولا يقدر على ابتلاعه قال الزمخشري دخل كاد لا مبالغة
 يعنى ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساعة كقوله تعالى لم يكديراها أى لم يقرب من
 رؤيتها فكيف يراها (فان قيل) كيف الجمع على هذا الوجه بين يتجرعه ولا يكاد يسيغه
 (أجيب) بجوابين أحدهما أن المعنى ولا يسيغ جميعه كانه يتجرع البعض وما أساغ الجميع
 والثانى أن الدليل الذى ذكرنا محال على وصول ذلك الشراب الى جوف ذلك الكافر لأن ذلك
 ليس باساعة لأن الاساعة فى اللغة اجراء الشراب فى الحلق واستطابة المشروب والكافر يتجرع
 ذلك الشراب على كراهية ولا يسيغه أى لا يسيغ طيبه ولا يشربه شراباً واحدة وعلى هذين
 الوجهين يصح حل لا يكاد على نفي المقاربة الامر الثالث ما ذكره تعالى بقوله تعالى (وأيامه
 الموت) أى أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب (من كل مكان) أى من سائر الجهات وقيل من
 كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وأهبار رجله (وما هو يميت) فيستريح وقال ابن
 جرير تفاق نفسه عند خبيرة فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكان من جوفه فتسفعه
 الحياة الامر الرابع ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ومن ورائه) أى ومن بين يديه بعد ذلك العذاب
 (عذاب غليظ) أى شديد كل وقت يستقبله أشد مما قبله وقيل هو الخلود فى النار وقيل هو قطع
 الانفاس وجسدها فى الاجساد وما ذكره تعالى أنواع عذابهم بين بعده ان سائر أعمالهم تصير
 باطلا ضائعة وذلك هو الخسران الشديد بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الذين كفروا بربههم
 أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وصلة ورحم وفك أسير واقرأه ضيف وبر والذى عدم الانتفاع
 بها (كماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) أى شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر
 عليه كما قال تعالى (لا يقدرون) أى الكفار يوم الجزاء (عما كسبوا) أى عملوا فى الدنيا (على
 شئ) أى لا يجدون لهم ثوابا فقد شترطه وهو الايمان وقرأ نافع الرياح بالجمع والباقون بالافراد
 (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حساباتهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) أى الخسران
 الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجع عودها * (تنبيه) * فى ارتفاع قوله تعالى مثل
 أوجه أحدها وهو مذهب سيئويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يلى عليكم مثل الذين
 كفروا وتكون الجملة من قوله تعالى أعمالهم كماد مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول
 كيف مثلهم فقيل أعمالهم كماد والثانى وهو مذهب القراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا
 بربههم كماد محذوف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله تعالى أعمالهم ومثله
 قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين
 كذبوا على الله مسودة الثالث أن يكون التقدير صفة الذين كفروا أعمالهم كماد كقوله صفة

زيد عرضه مصون وماله مبذول الرابع أن تكون أعمالهم بدلا من قوله مثل الذين كفروا
والتقدير مثل أعمالهم وقوله تعالى كرماد هو الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى (المر) أى تنظر
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على الالتفات
(أن الله خلق السموات) على عظمها وارتفاعها (والارض) على تباعد أقطارها واتساعها
وقوله تعالى (بالحق) أى بالحكمة والوجه الذى يحق أن تخلق عليه متعلق بخلق وقرأ جزة
والكسائي بألف بعد انهاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض الارض والماقون بغير ألف بعد
الهاء وفتح اللام والقاف ونصب الارض (ان يشأ ذهابكم) أيها الناس (ويأت) بديكم (بخلق
جديد) أطوع منكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق
أصولهم وما يوقف عليه تخلفهم قدر أن يبدلهم بخاق آخر ولم يمنع عليه كما قال تعالى (وما
ذلك على الله بعزيز) أى بمنع فانه تعالى قادر بذاته ولا اختصاص له بقدر ووردون مقدور
ومن هذا شأنه كان حقيقا أن يؤمن به ويعبد بجاه ثوابه وخوف من عقابه يوم الجزاء * ولما ذكر
تعالى أصناف عذاب هؤلاء الكفار وذكر عقبه أن أعمالهم تصير محبطة بما لا تذكر كيفية
مجادلتهم عند عسك اتباعهم بهم وكيفية اقتضاهم عندهم بقوله تعالى (وبرزوا) أى
الخلايق من قبورهم (لله جميعا) والتعبير فيه وفيما يأتى بالماضى وان كان معناه الاستقبال
لتحقق وقوعه لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كانه قد
حصل ودخل فى الوجود وتظهر ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار * (تنبيه) البروز فى اللغة
الظهور وبعد الاستمرار وهو فى حق الله تعالى محال فلا بد من تأويله وهو من وجهين الاول أنهم
كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويفتنون أن ذلك خاف على الله تعالى فاذا
كان يوم القيامة انكشفوا لله عن أنفسهم وعلوا أن الله تعالى لا يخفى عليه خافية الثاني انهم
خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله تعالى وحكمه * ثم حكى الله تعالى عنهم أن الضعفاء
يقولون للرؤساء هل تقدرون على دفع عذاب الله تعالى عنا بقوله تعالى (فقال الضعفاء) أى
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الرأى (للذين استكبروا) أى المتبوعين الذين طلبوا اليكبر
وآذعوه فاستغفروهم به حتى تكبروا على الرسل وقوله تعالى (أنا كآلكم تبعاً) يصح أن يكون
مصدرا نعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف وأن يكون جمع تابع أى تابعين لكم فى تكذيب
الرسل فكنتم سبب ضلالتنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم المساعدين لهم على
أباطيلهم (فهل أنتم) أى فى هذا اليوم (مغنون) أى دافعون (عنا من عذاب الله) أى من
انتقامه (من شئ) فان قيل فما الفرق بين من فى عذاب الله وبين من فى شئ (أجيب) بأن الاولى
للتبيين والثانية للتبعية كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو من بعض عذاب
الله ويجوز أن يكونا للتبعية معاً بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعند
هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا أنهم قالوا (لو هذا نالنا الله) أى الذى له صفات الكمال
(أهديناكم) أى لو أُرشدنا الله تعالى لأرشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكنه لم يهدنا فاضلنا

وكنتم لتابعنا فاضلناكم ولما كان الموجب لقولهم هذا الجزع قالوا (سواء علينا) أى نحن
وأنتم (أجر عنا أم صبرنا) أى مستوعبنا الجزع والصبر والجزع أبليغ من الحزن لانه يصرف
الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) أى منجى ومهرب مما نحن فيه
من العقاب * (تنبيه) * يحتمل أن يكون هذا من كلام المتبوعين وأن يكون كلام الفريقين
ويؤيد الثاني ما روى أنهم يقولون فى النار فعلاوا الجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا يتبعهم
الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا يتبعهم الصبر فعند ذلك يقولون
ذلك وقال محمد بن كعب القرظي بلغنى أن أهل النار استعاثوا بالخنزيرة كما قال الله تعالى
وقال الذين فى النار خنزيرة جهنم ادعوا ربكم فيخفف عنا يومئذ العذاب فرددت الخنزيرة عليهم
أولئك تأتيتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فرددت الخنزيرة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين
الا فى ضلال فلما يتسواما عند الخنزيرة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألو الموت فلا يجيبهم
ثم انهم سنة والسنة ثمانمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم
ما كنتم فلما أيسوا مما عنده قال بعضهم لبعض ذلك ولما ذكر تعالى المناظرة التى وقعت
بين الرؤساء والاتباع من كفرة الانس أرذفها بالمناظرة التى وقعت بين الشيطان وبين
اتباعه بقوله تعالى (وقال الشيطان) الذى هو أول المتبوعين فى الضلال ورأس المصلين
والمتكبرين (لما قضى الامر) أى أحكم وفرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
أخذ أهل النار فى لوم ابليس وقرعوه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقابل يوضع له
منبر من نار فيجتمع أهل النار اليه يلو منونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله (إن الله
وعندكم وعند الحق) أى بالبعث والجزاء على الاعمال فصدقكم (ووعدتكم) أن
لاجنة ولا نار ولا حشر ولا حساب (فأخلفتكم) أى الوعد فلم أقل شيئا الا كان زيفا
فاتبعتمونى مع كوني عدوكم وتركتكم رهوا وهو وليكم * (تنبيه) * فى الآية اضمحار من
وجهين الاول ان التقدير ان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم كما تقدم تقريره ووعدتكم
فأخلفتكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدونها وليس
وراء العيان بيان ولانه ذكر فى وعد الشيطان الاخلاف فدل ذلك على الصدق فى وعد الله
تعالى الثانى أن قوله ووعدتكم فأخلفتكم الوعد يقتضى منه عولا ثانيا وحذف هذا للعلم به
والتقدير ووعدتكم أن لاجنة ولا نار ولا حشر ولا حساب كما تقرّر ولما بين غروره بين سهولة
اغترارهم بزيادة فى تدعيمهم فقال (وما كان لى عليكم من سلطان) أى سلطان فى زيادة أى
قوة وقدرة أقهركم على الكفر والمعاصى وألجئكم على متابعتى وقوله (الا أن دعوتكم) استثناء
منقطع قال النحويون لان الدعاء ليس من جنس السلطان فعنه ان لكن دعوتكم (فاستجبت لى)
محكمين الشهوات لان النفس تدعو الى هذه الاحوال الدنيوية ولا يتصور كيفية السعادات
الآخوية والكمالات النفسانية والله يدعو اليها ويرغب فيها كما قال والآخر خير وأبقى قال
الرازى وعندى انه يمكن أن يقال كلمة الا ههنا استثناء حقيقى لان قدرة الانسان على جل الغير

على عمل من الاعمال تارة تكون بالقهر والقسر وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه بالقائه
 الوسوس اليه فهذا نوع من أنواع التسليط اه ثم قال لهم (فلا تلوموني) أي لانه ما كان مني
 الا الدعاء والبقاء والنسوة (ولوموا انفسكم) لانكم سمعتم دلائل الله تعالى وجاءتكم الرسل
 فكان من الواجب عليكم أن تلتفتوا الى ولا تسمعوا قولي فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة
 كان اللوم بكم أولى باجابتى ومتابعى من غير حجة ولا دليل (فان قيل) لم قال الشيطان فلا تلوموني
 وهو لوم بسبب اقدامه على تلك الحالة والنسوة الباطلة (أجيب) بأنه أراد ان لا تلوموني
 على فعلكم ولوموا انفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجه من هداية الله تعالى لكم * ثم قال
 تعالى حكاية عن الشيطان انه قال (ما أتاكم مني بشئ فمما يحضركم من العذاب
 فأزِيل سر اختكم منه) (وما أنتم بمصرحني) أي بغيري فيما يحضرنى منه وقرأ ما عدا اجزة بفتح الياء
 مع التشديد وقرأ اجزة بكسر الياء مع التشديد على الاصل في التقاء الساكنين لان ياء الاعراب
 ساكنة وياء المتكلم أصلها السكون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين قال البضاوى
 وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع حركة ياء الاضافة اه
 فقولاه أصل مرفوض أي متروك عند النحاة والافهوه قراءة متواترة عند القراء فيجب المصير اليها
 لانها وردت من رب العالمين على لسان سيد المرسلين وقول القراء واعلمها من وهم القراء فانه
 قل من سلم منهم من الوهم ممنوع فقد قال أبو حيان هي قراءة متواترة نقلها السلف واقتنى
 آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ وقبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل
 اللغة أنها الغلة لكن قل استمعها ونص قطرب على أنها الغلة في بني يربوع ونص على أنها
 صواب أبو عمرو بن العلاء سئل عنها والقاسم بن معن من رؤساء الكوفيين قال الله تعالى
 حكاية عن الشيطان انه قال (انى كفرت بما أشركتوني من قبل) أي كفرت اليوم بأشراكم
 اياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى
 كفروا بأشراكم اياه تبرؤ منه واستنكاره له كقوله تعالى انابا منكم ومما تعبدون من
 دون الله كفرا بكم روى البغوى بسنده عن عقبه بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في حديث الشفاعة يقول عيسى ذلك النبي الاتمى فيما توتنى فإذن الله لى أن أقوم فيثور
 مجلسى من أطيب ريح شهما أحد حتى آتى ربي فيشفعنى ويجعل فى نوراً من شجر رأسى الى
 ظفر قدمى ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير
 الشيطان هو الذى أضلنا فإتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا
 فانك أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أثنى ريح شهما أحد ثم يعظم لهمهم ويقول عند ذلك
 ان الله وعدكم وعد الحق الآية قال فى الكشف وقوله (آن الظالمين) أى الكافرين (لهم
 عذاب أليم) أى ولم من كلام الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول ابليس وانما حكى
 الله تعالى ما سبه قوله فى ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين فى النظر لعاقبتهم والاستعداد
 لما لا بد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا فى انفسهم ذلك المقام الذى يقول فيه الشيطان

ما يقبل فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم* ولما بالغ سبحانه وتعالى في شرح حال الاشقياء من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء وما أعد لهم من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) وكونها اداة أسرارها بقوله تعالى (خالدين فيها) وهو حال مقدرة والتعظيم حصل لهم من وجهين أحدهما قوله تعالى (بإذن ربهم) لأن تلك المنافع انما كانت بفضل الله تعالى وانعاما والثاني قوله تعالى (تحتهم فيها سلام) لأن بعضهم يحجب بعضا بهذه الكلمة والملائكة يحبونهم بها كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب يحبيهم أيضا بهذه التحية كما قال تعالى سلام قولاً من رب رحيم ويحتمل أن يكون المراد اسمهم لما دخلوا الجنة سلاماً من جميع آفات الدنيا وحسراتها وفنون آلامها واسقامها وأنواع همومها وزعموها لأن السلام مشتق من السلامة* ولما شرح سبحانه وتعالى أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ذكر مثاليين الحال في حكم هذين القسمين بقوله تعالى (آلم تر) أي تنظر والخطاب يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره وأن يكون لكل فرد من الناس أي ألم تر أيها الانسان كيف ضرب الله أي المحيط بكل شيء علماً وقدره (مثلاً) سيره بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول ثم بينه بقوله تعالى (كلمة طيبة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين هي لا اله الا الله (كشجرة طيبة) قال ابن مسعود وأنس هي النخلة وعن ابن عباس هي شجرة في الجنة وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صديداً فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا صغير القوم وروى عنه عن مكان عمر فاستحييت فقال له عمر يا بني لو كنت قلتم كانت أحب الي من جر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانها النخلة قيل الحكمة في تشبيه الانسان بالنخلة من بين سائر الاشجار أن النخلة أشبه به من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار يتشعب من جوانبها بعد قطع رأسها وأنها تشبه الانسان بحيث انها لا تحتمل الا باللقاح لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قبل ومن عمتنا قال النخلة (أصلها نابت) أي في الارض (وفرعها) أي غصنها (في السماء) أي في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه (قوتى) أي تعطى (أكلها) أي ثمرها (كل حين بإذن ربها) أي بآرادته والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقدار هذا فقال نجاهد الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال قتادة ستة أشهر يعني من حين طلوعها الى وقت صرامها وقال الربيع كل حين يعني كل غداة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً فيؤكل منها الجار والطلع والبلج والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل الثمر اليابس الى

حين الطرى الرطب فأكلها دأتم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل كلمة
 الإخلاص بالشجرة لأن الإيمان ثابت في قلب المؤمن كشوت أصل هذه الشجرة في الأرض
 وعمله يصعد إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فكذلك
 فرع هذه عال في السماء وتنال بركته وثوابه كل وقت والمؤمن كلما قال لا إله إلا الله صعدت إلى
 السماء وجاءه بركتها وخبرها وثوابها ومنفعتا ولأن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء
 عرف راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق القلب وقول
 اللسان وعمل بالآبادان ثم نبه تعالى على عظم هذا المشل ليقبل على تدبره ليعلم المراد منه فيلزم
 فقال (ويضرب الله) أي الذي له الأحاطة الكاملة (الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) أي
 يتعظون فإن في ضرب الأمثال زيادة أفهام وتذكير وتصوير للمعاني العقلية فيحصل الفهم
 التام والوصول إلى المطلوب * ولما ذكر مثل حال السعداء تبعه بمثل حال الأعداء فقال (ومثل
 كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي الحنظل وقيل النوم وقيل الكشوت
 بمثلثة في آخره قال الجوهرى نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال
 الشاعر هي الكشوت لأصل ولا ورق * ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر
 وقيل شجرة الشوك (اجتثت) أي استؤصلت (من فوق الأرض) أي عروقها قريبة
 منه (مألهامن قرار) أي أصل ولا عرق فكذلك الكفر بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات
 ولا قوة وعن عبادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض
 مستقرا ولا في السماء مصعد إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيامة * ولما وصف
 الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت) أنه تعالى يثبتهم بها (في الحياة الدنيا) أي في القبر وقيل قبل الموت
 (وفي الآخرة) أي يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل في القبر على القول الثاني * ولما
 وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) أي الكفار
 أنه تعالى لا يهديهم للجواب الصواب (ويفعل الله ما يشاء) أي إن شاء هدي وإن شاء أضل
 لا اعتراض عليه وروى عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم إذا سئل
 في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا وضع في القبر
 ويوقى عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فمعهما نقيع لؤلؤة ما كنت تقول في هذا
 الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى
 مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهم
 جميعا قال قتادة ذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق أو الكافر
 فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لأدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال
 ما أدري ولا تليت ثم يضرب بمطارقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعها من يليه غير
 الثقلين

الثقليين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 فرغنا من دفنها وانصرف الناس قال انه لا يسمع خفق نعالكم اناه منكروا وكبرا عينهما
 مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقروا أصواتهما مثل الرعد فيجاساته فيسألانه
 ما كان يعبد ومن نبته فان كان ممن يعبد الله تعالى قال كنت أعبد الله ونبي محمد صلى الله
 عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فأمنابه واتبعناه فذلك قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا
 بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقال له على اليقين حيث وعليه تمت وعليه تمت
 ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له في حفرة وان كان من أهل الشك قال لا أدري سمعت الناس
 يقولون شيئا أقفله فيقال له على الشك حيث وعليه تمت وعليه تمت ثم يفتح له باب الى النار
 ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفع أحدهم في الدنيا ما أنبت شيا فتمشه وقوم الأرض فتضم
 عليه حتى تختلف أضلاعه فتسأل الله الثبات لنا ولوالدينا ولا جبابنا في الدنيا والآخرة انه كريم
 جواد ثم انه تعالى عاد الى وصف الكافرين فقال (المرتر) أي تنظر وفي الخطاب ما تقدم (الى
 الذين بدلوا) والتبديل جعل الشيء مكان غيره (نعمة الله) أي التي أسبغها عليهم من كلمة
 التوحيد ومن جميع النعم الدنيوية وقبيل الرزق وغير ذلك بأن جعلوا مكان شكرها (كفرا)
 وهم يدعون أنهم أشكروا الناس للاحسان وأعلامهم هم في الوفاء وأبعدهم عن الجفاء (وأحلو)
 أي أنزلوا (قومهم) أي الذين تابعوهم في الكفر باضلالهم اياهم (دار البوار) أي الهلاك
 مع ادعائهم انهم أذب الناس عن الجار فضلا عن الأهل روى البخاري في التفسير انهم كفار
 أهل مكة وقوله تعالى (جهنم) عطف بيان (يصلونها) أي يدخلونها (وبئس القرار) أي المقر
 (وجعلوا لله) أي الذين يعلمون انه لا شريك له في خلقهم ولا رزقهم لان له الكمال كله (أندادا)
 أي شركاء وقوله تعالى (أضلوا عن سبيله) أي دين الاسلام فيه قرأتان قرأ ابن كثير وأبو عمرو
 بفتح الهمزة من ضل يضل والمباقون بضم الهمزة أضل يضل وأبس الضلال ولا الضلال
 غرضهم في اتخاذ الأنداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض * ولما حكى الله تعالى عنهم هذه
 الأنواع الثلاثة من الأعمال القبيحة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي تهديد الهم فانهم
 لا يشكون في قولك وان عاندوا (تتعوا) بدنيا كم قليلا (فان مصيركم) أي مرجعكم (الى النار)
 في الآخرة ولما أمر الله تعالى الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بتعيم الدنيا أمر
 المؤمنين بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال بقوله تعالى (قل لعبادي)
 فوصفهم بأشرف أوصافهم وأضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا الهم فيه ثم اتبع هذا الوصف
 ما يناسبه من ادعائهم ليسيدهم بقوله تعالى (الذين آمنوا) أي أوجدوا هذا الوصف
 (يقوموا الصلاة وينفقوا عما رزقاهم) فيه وجهان أحدهما يصح أن يكون جوابا لأمر محذوف
 تقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا بيقوموا الصلاة وينفقوا والثاني يصح
 أن يكون هو أمرهم امقولا محذوفاً منه الإلام أي ليقوموا ليصح تعلق القول بهما وانما أحسن ذلك
 ههنا ولم يحسن في قوله

محمد تفقد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من شيء تبالا

أى تسأل به أى تكثر به لدلالة قل عليه (سرا وعلاينة) أى ينفقون أموالهم فى حال السر والعلاينة وقبل المراد بالسر صدقة التطوع وبالعلاينة اخراج الزكاة الواجبة * (تنبيه) * فى انتصاب سر أو علاينة وجوه أحدها أن يكون على الحال أى ذوى سر وعلاينة بمعنى مسررين ومعلنين والثانى على الظرف أى وقت سر وعلاينة وثالثها على المصدر أى انفاق سر وانفاق علاينة * ولما أمرهم الله تعالى بأقامة الصلاة والانفاق أشار الى عدم التهاون بذلك بقوله عز وجل (من قبل أن يأتى يوم) أى عظيم جدا ليس كشيء من الأيام التى تعرفونها (لا يبع فيه) أى فى شترى المقصر ما يدار له به تقصيره أو يفقد به نفسه (ولا خلال) أى مخاللة أى صداقة تنفع فى ذلك اليوم قال مقاتل انما هو يوم لا يبع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة فكان الله تعالى يقول أنفقوا أموالكم فى الدنيا حتى تجددوا ثواب ذلك الانفاق فى مثل هذا اليوم الذى لا يحصل فيه مباحة ولا مخاللة ونظير هذه الآية قوله تعالى فى سورة البقرة لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة (فان قيل) كيف نفي الله تعالى المخاللة فى هاتين الآيتين مع أنه تعالى أثبت فى قوله تعالى الاخلا بومئذ بعضهم لبعض عدوا والمتقين (أجيب) بأن الآية الدالة على نفي المخاللة محمولة على نفي المخاللة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخاللة محمولة على حصول المخاللة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى * ولما طال الكلام فى وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وكانت العمدة العظمى والمنزلة الكبرى فى حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وفى حصول الشقاوة فقد ان ذلك ختم تعالى أحوال الفريقين بقوله تعالى (الله) أى الملك الاعلى المحيط بكل شيء ثم اتبعه بالدلائل الدالة على وجوده وبكال علمه وقدرته وذكرنا عشرة أنواع من الدلائل أو لها قوله تعالى (الذى خالق السموات) وثانيها قوله تعالى (والارض) وهما أكبر خلقا منكم وأعظم شأننا وثالثها قوله تعالى (وأنزل من السماء ماء) فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وتوشى به المطعوم والملبوس * (تنبيه) * الله مبتدأ وخبره الذى خلق ورزقا منقول لا يخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويصح أن يكون المراد بالسماء هنا السحاب اشتقاقا من السمو والارتفاع وأن يكون الحرم المعهود فينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض وقد ذكرت ذلك فى سورة البقرة وفى غيرها ورابعها قوله تعالى (وسخر لكم الفلك) أى السفن (لتجروا فى البحر) أى بالركوب والحمل (بأمره) أى بمشيئته وإرادته وخامسها قوله تعالى (وسخر لكم الأنهار) أى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم لأن ماء البحر لا ينتفع به فى سقى الزروع والثمار ولا فى الشراب فكان ذلك نعمة من الله تعالى وسادسها وسابعها قوله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر) حال كونهما (دائبين) أى جاريتين فى فلكيهما لا يفتران فى سيرهما وانارتهم ما وتأثيرهما فى انارة الظلمة واصلاح النبات والحيوان الى آخر الدهر وهو انتقاء عمر الدنيا وذهابها والشمس سلطانها النهار وبها تعرف فصول السنة وهى أفضل من القمر لكثرة نفعها والقمر سلطانها الليل وبه يعرف انتضاء

الشهور وكل ذلك بتسخير الله تعالى وانعامه وثامنها وتاسعها قوله تعالى (وسخر لكم
 الليل والنهار) يتعاقبان فيكم بالضياء والظلمة والزيادة والنقصان وذلك من نعم الله تعالى على
 عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليعتصموا فيه من فضله وعاشرها قوله تعالى
 (وأتاكم من كل ما سألتموه) أي عما أنتم محتاجون اليه على حسب مصالحكم فأنتم سألتموه
 بالقوة * ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما أنعم به على عباده بين أن العبد عاجز عن حصرها
 وعدّها بقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تحيطوا بها ولا تطيعقوا عدّها
 وبلغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الاجمال وأما على التفصيل فلا يقدر عليه
 ولا يعلمه الا الله تعالى (إن الانسان) أي الكافر وقال ابن عباس يريد أبا جهل (اظلم)
 أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كفور لنعم ربه وقيل ظالم في المشقة يشكو ويجزع كفار
 في النعمة يجمع وينع (فان قيل) لم قال تعالى هنا ان الانسان اظلم كفار وفي الخلل ان الله
 لغفور رحيم (أجيب) بأنه تعالى يقول للعبد اذا حصلت لك النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها
 وأنا الذي أعطيتها فحصل لك عند أخذها وصفان وهما كونك ظالوما كفارا ولي وصفان عند
 إعطائها وهما كونك غفورا رحما والمقصود كأنه يقول ان كنت ظالوما فأنا غفور وان كنت
 كفارا فأنا رحيم أعلم بحزلك وتقصيرك فلا أقابل تقصيرك الا بالتوقير ولا أجازي جزاءك الا بالوفاء
 ونسأل الله حسن العاقبة والرجة * ولما بين الله تعالى بالدلائل المتقدمة أن لا معبود الا الله
 سبحانه وتعالى وأنه لا تجوز عبادة غير الله البتة حكى عن ابراهيم عليه السلام مبالغة في انكاره
 عبادة الاوثان بقوله تعالى (واذ) أي واذا كرلهم مذكرا أيام الله خبر ابراهيم اذ (قال ابراهيم
 رب) أي المحسن الى تاجبة دعائي (اجعل هذا البلدا) أي مكة (آمنا) أي ذا أمن وقد أجاب
 الله تعالى دعاءه فجعله حرما لا يسفل فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد فيه ماله ولا يمتلي
 خلاء (فان قيل) أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلدا آمنا
 (أجيب) بأن المسؤول في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني
 أن ينزل عنها الصفة التي كانت حاصله لها وهي الخوف ويجعل لها تلك الصفة وهي الامن كأنه
 قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (فان قيل) كيف أجاب الله تعالى دعاءه مع ان جماعة من
 الجبابرة قد أغاروا عليه وأخافوا أهلها (أجيب) بجوابين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام
 لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود
 بحمد الله تعالى فلم يقدر أحد على اضرار مكة (فان قيل) برد على هذا ما ورد عنه صلى الله عليه
 وسلم أنه قال يحترق الكعبة ذوا السويقتين من الحبشة (أجيب) بأن قوله تعالى اجعل هذا
 البلد يعني الى قرب يوم القيامة وخراب الدنيا فهو عام مخصوص بقصة ذى السويقتين فلا
 تعارض بين النصين والجواب الثاني أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله تعالى واسأل القرية
 أي أهلها وهذا الجواب عليه أكثر المفسرين وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في
 بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان

من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله وحتى أن الوحوش إذا كانت خارجة الحرم استوحشت
 وإذا كانت داخله الحرم استأنست لعلها أنه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن
 حاصل بحمد الله بحكمه وحرمها (واجبني) أي بعدني (وبني أن) أي عن أن (نعبد الأصنام)
 أي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون
 في الفائدة في قوله اجبني عن عبادة الأصنام (أجيب) بأنه عليه الصلاة والسلام انما سأل
 ذلك خضعا لنفسه واظهارا للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل على أن
 عصمة الانبياء متوفيق الله تعالى وحفظه اياهم (فان قيل) كان كفار قريش من آبائهم مع انهم
 كانوا يعبدون الأصنام فكيف أجيب دعاؤه (أجيب) بأن المراد من كان موجودا حال الدعاء
 ولا شبهة أن دعوته كانت مجابة فيهم وأن هذا الدعاء مخصوص بالمؤمنين من أولاده والدليل
 عليه أنه قال عليه السلام في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه
 فإنه ليس منه وتطيره قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح والصنم المنحوت على خلقة
 البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهو وثن قاله الطبري ولذا الماسئل ابن عيينة كيف
 عبدت العرب الأصنام فقال ما عبدوا أحد من بني اسمعيل صنما واحتج بقوله تعالى واجبني وبني
 أن نعبد الأصنام انما كانت انصاب الجبارة لكل قوم قالوا البيت جبر فخيشه انصبنا حجرا فهو
 بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر أي يطوفون به أسابيع تشبهها بالكعبة ويسمونه الدوار
 بضم الدال مشددة وقد تنفتح قال الجوهري دوار بالضم صنم وقد تنفتح فاستحب أن يقال طاف
 بالبيت ولا يقال دار بالبيت قال الرازي وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز
 أن يريدهم هذا الدعاء الا عبادة غير الله والحجر كالصنم في ذلك ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم أنه قال
 (رب انهن) أي الأصنام (أضلن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها * (تنبيه) * اتفق كل الفرق
 على أن قوله أضلن مجاز لانهم اجسادات والجماد لا يفعل شيئا البتة الا انه لما حصل عند عبادتها
 أضيف اليها كما نقول فتنهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها ثم قال (فمن تبعني)
 أي على التوحيد (فانه مني) أي فانه جار مجرى بعضي لفرط اختصاصه بي وقربه مني (ومن
 عصاني) أي في غير الدين (فانك غفور رحيم) وهذا صريح في طلب الرحمة والمغفرة لاولئك
 العصاة واذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثبت حصولها في
 حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه ما مورب الا قدما به كما قال تعالى واتبع مله ابراهيم وقبل ان هذا
 الدعاء كان قبل أن يعلم ابراهيم ان الله لا يغفر الشرك وقبل انك قادر أن تغفر له وترجه بأن تنقله
 عن الكفر إلى الاسلام وقبل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب فلا يعجلهم حتى
 يتوبوا قال الرازي واعلم أن هذه الالوه ضيقة وارتضى ما تقر رأولا * (تنبيه) * حكى الله
 سبحانه وتعالى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع انه طلب من الله تعالى سبعة أمور
 الاول طلب من الله تعالى نعمة الامان وحورب اجعل هذا البلد آمنا المطلوب الثاني أن يرزقه
 الله تعالى التوحيد ويصونه عن الشرك وهو قوله واجبني وبني أن نعبد الأصنام المطلوب

الثالث قوله (ربنا انى أسكنت من ذريتى) أى بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى فحذف المنفعل على هذا القول وهم اسمعيل ومن ولده منه فان أسكانه متضمن لاسكانهم (بواد) هو وادى مكة المشرفة لكونه فى فضاء منخفض بين جبال تجري فيه السيول (غير ذى زرع) أى لا يكون فيه من الزرع قط فانه جري لا ينبت فقوله تعالى قرآن عريضا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج (عند بيتك المحترم) أى الذى حرمت التعرض له والتمأون به وجعلت ماحوله حرما لمكانه أولاده لم يزل منعاه عز رايها به كل جبار كالشئ المحترم الذى حقه أن يجتنب أولاده محترم عظيم الحرم لا يحل انتهاكه أولاده حرّم على الطوفان أى منع منه كما سمي عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه أولاده أمر الصائرين اليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل أولاده حرّم موضع البيت حين خلق السموات والارض وحقه بسبعة أملاك وهو مثل البيت المعمور الذى بناه آدم فرفع الى السماء السادسة وروى ان هاجر كانت أمة لاسارة فوهبها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فقالت سارة كنت أريد أن يهب الله لى ولدا من خديله فنفخ فيه ورزقه خادمى وغارت عليهما وقالت لابراهيم بعد همامنى وناشدته بالله أن يخرجهم ما من عندها فنقلها الى مكة واسمعيل رضيع حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عند هاجر ابافيه ثم رزقاه فيه ماء ثم قتل ابراهيم منطلقا فتيبته أم اسمعيل وقالت يا ابراهيم أين تذهب وقد تركك هذا الوادى الذى ايس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مراروا وهو لا يلتفت اليها فقالت له الله أمر لى بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا به ولأه الدعوات وروع يديه وقال ربنا انى أسكنت من ذريتى حتى بلغ بشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدم فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يلهوى أو قال يتلطف فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى من أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسك ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث فاذا هبى بالماء عند موضع زمزم فبعث بعقبه أو قال يجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقاها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم برحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعان الارض كالراية يأتمه السبيل فمأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فتنزلوا فى أسفل مكة فنظروا طائرا فقالوا ان هذا الطائر يريد على الماء

لعهد ناهيها الوادي ومافيه ماء فأرسلوا جرياً ويزرين فأداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا
 وأتم اسمعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن نزل عندك فقاتل نعم ولكن لاحق لكم في الماء
 قالوا نعم قال ابن عباس قالت ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فتزلوا وأرسلوا الى أهلهم
 فززلوا معهم حتى اذا كان بهم أهل آيات منهم فشب الغلام وتعلم العربية منهم والفهم وأعجبهم
 حتى شب فلما أدرك زوجه وامرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسمعيل
 وتقدم تمام هذه القصة في سورة البقرة ثم قال (رب ليقيموا الصلاة) الامام كى متعلقة
 بأسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادي المققر الذي لاشئ فيه الا إقامة الصلاة عند بيتك المحترم
 ويعمره بذكرك وعبادتك وماتعمر به مساجدك ومعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها
 على البقاع مستعبدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالهدى كوف عند بيتك والطواف به
 والركوع والسجود حوله مستزليين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك وتكرير النداء وتوسطه
 للاشعار بأنهم المقصود باذات من اسكانهم هناك والمقصود من الدعاء توفيقهم لها (فاجعل
 أفئدة) أى قلوبا محترقة بالاشواق (من الناس) ومن للتعبيض والمعنى واجعل أفئدة بعض
 الناس (تهوى) أى تميل (اليهم) ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لرجحتكم
 عليه فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لجت اليهود
 والنصارى والجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون وقال ابن عباس لو قال أفئدة
 الناس لجت اليه فارس والروم والناس كلهم ولما دعا لهم بالدين دعا اليهم بالرزق فقال
 (وارزقهم من الثمرات) ولم يقل وارزقهم الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء ايصال
 بعض الثمرات اليهم ويحتمل أن يكون المراد ايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم على سبيل
 التجارات كما قال تعالى تجي اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الصيفية والربيعية
 واخر يفيقه في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجب وأن يكون المراد عمارة القرى بالقرب منها
 لتحصيل تلك الثمار وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما أنه قال كانت الطائف من أرض
 فلسطين فلما قال ابراهيم ذلك رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقاً للعزم (لعلهم يشكرون)
 يدل على أن المقصود للعاقلة من منافع الدنيا أن يتفرغ لاداء العبادات واقامة الطاعات فان
 ابراهيم عليه السلام بين أنه انما يطلب تيسير المنافع على أولاده لاجل أن يتفرغوا لاقامة
 الطاعات واداء الواجبات ولما طلب عليه السلام من الله تعالى تيسير المنافع لأولاده
 وتسهيلها عليهم مذكراً أنه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور في المستقبل فانه تعالى هو
 العالم بها والمحيط بأسرارها فقال (ربنا انك تعلم ما نخفى) أى نسر (وما نعلن) وهذا هو المطلوب
 الرابع والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا قبيح ما نخفى من الوجود بسبب
 حصول الفرقه بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفى من الحزن المتمكن في القلب
 وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين جابر حين قالت له عند الوداع الى من تكلمنا قال الى الله
 أكلكم قالت الله أمر له بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا واختلف في قوله تعالى (وما يخفى على

الله من شئ في الارض ولا في السماء) وقيل من تمة قول ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على
الله الذي هو عالم الغيب من شئ في أي مكان والاكثر ثرون على انه قول الله تعالى تصديقا
لابراهيم فيما قال كقوله تعالى وكذلك يفعلون ولقطة من تمة الاستغراق كأن قيل وما يخفى
عليه شئ ماء ولما تم ابراهيم عليه السلام ما دعا به أتبعه الحمد على ما رزقه من النعم بقوله تعالى
(الحمد لله) أي المستجمع لصفات الكمال (الذي وهب لي) أي أعطاني (على الكبير) أي وهب لي
وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبير استغنا ما للنعمة واظهار المافيه من المجزة
(اسماعيل واسحق) ومقدار ذلك السن غير معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقال
ابن عباس ولدا اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنى
عشرة سنة (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عند ما سكن اسمعيل واته
في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولده اسحق فكيف يمكنه أن يقول ذلك (أجيب) بأن هذا
يقضي أن ابراهيم انما ذكر هذا الكلام في زمن آخر لا عقب ما تقدم من الدعاء قال الرازي
ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان
كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى * (تنبيه) * قوله على الكبير يعني مع كقوله
اني على ما ترين من كبري * أعلم من حيث يؤكل الكرم

وهو في موضع الحال * ولما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الافصاح
والتصريح قال (ان ربي) أي المحسن اليّ (السميع الدعاء) أي لجيبه (فان قيل) الله تعالى
يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه (أجيب) بأن هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وقبله
ومنه سمع الله لمن حده المطلوب الخامس قوله (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي معذلا لها
مواظبا عليها * (تنبيه) * في الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لأن قوله تعالى
حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبي وبني أن نعبد الاصنام يدل على ان ترك المنهيات
لا يحصل الا من الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل على ان فعل المأمورات لا يحصل
الا من الله تعالى وذلك تصريح بأن ابراهيم عليه السلام كان مصير اعلی أن الكل من الله تعالى
وقوله تعالى (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني أي واجعل بعض ذريتي كذلك لان
كلمة من في قوله ومن ذريتي للتبعيض وأما ذكر هذا التبعض فلا أنه علم باعلام الله تعالى انه
يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين المطلوب السادس
أنه عليه السلام لما دعا الله تعالى في المطلوب المذكور دعا الله تعالى في أن يقبل دعاءه فقال
(وبنا وقبل دعاء) قال ابن عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى وأعتزلكم وماتدعون من
دون الله وقيل دعائي المذكور المطلوب السابع قوله (ربنا) أي أيها الملك لا مورا المدبر لنا
(اغفر لي) * فان قيل ان طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة ذنب (أجيب) بأن المقصود من
ذلك الانجاء الى الله تعالى وقطع الطمع الا من فضله وكرمه ورجته ثم أشبهه معه أقرب الناس
اليه وأحقهم بشكره فقال (ولو ادري) * فان قيل كيف جاز أن يستغفر لو ادريه وكنا

كافرين (أجيب) بوجوه الأول أن المنع منه لا يعلم إلا بتوقيف قلعه لم يجد منه منعاً وظن
 كونه جائزاً الثاني أراد بوالديه آدم وحواء الثالث كان ذلك بشرط الاسلام وقال
 بعضهم كانت أمة مؤمنة ولذلك خص آباءه بالذكى في قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه * ثم دعا
 لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله (وللمؤمنين) أى العريقين في هذا الوصف (يوم
 يقوم) أى سيدو ويظهر (الحساب) وقيل أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكثرت بذكر
 الحساب لكونه مفهوماً عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء مخليله
 ابراهيم عليه السلام وفيه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة فتسأل الله تعالى أن يغفر لنا ولوالدينا
 ولشايئنا ولا حبا بنا ولن ننظر في هذا التفسير ودعا لمن كان سبباً فيه بالمغفرة * ولما بين تعالى
 دلائل التوحيد ثم حكى عن ابراهيم عليه السلام أنه طلب من الله تعالى أن يصونه عن الشرك
 وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة وان يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة عقبه بقوله
 تعالى مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) لأن الغفلة
 معنى يمنع الانسان عن الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو ويغترى الانسان
 من قلة التحفظ واليقظ وهذا في حق الله تعالى محال والمقصود من ذلك التنبيه على أنه ينتقم
 للمظالم من الظالم فقيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بأنه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم
 ولا يتركه مغفلاً عنه وعن سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال
 هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه (فان قيل) كيف يليق به صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله
 موصوفاً بالغفلة وهو أعلم الناس به (أجيب) بوجوه الأول أن المراد به التثبت على ما كان
 عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً كقوله لا تدع مع الله الها آخر والثاني أن المقصود منه بيان
 أنه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظالم والثالث أن المراد ولا تحسبنه
 معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقيض والقطمير
 والرابع أن يكون هذا الكلام وان كان خطاباً مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر إلا أنه
 يكون في الحقيقة خطاباً مع الأمة * ثم بين تعالى أنه (انما يؤخرهم) أى عذابهم (ليوم) موصوف
 بخمس صفات الصفة الاولى قوله تعالى (تشخص فيه الابصار) أى أبصارهم لا تنقر مكانها
 من هول ما ترى في ذلك اليوم الصفة الثانية قوله تعالى (مهيضين) أى مسرعين الى الداعي
 أو مقبلين بأبصارهم لا يبطرون هيبة وخوفاً وقيل المهبط الخاضع الذليل الساكن الصفة
 الثالثة قوله تعالى (مقنعي رؤسهم) أى رافعيها اذا اقناع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف
 من صفاتهم أنهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء يبطر
 بصره الى الارض وقال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد
 الصفة الرابعة قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أى بل تثبت عيونهم شاخصة لا يبطرون
 بعينهم ولا يكن عيونهم مقنوعة مدودة من غير تحريك للاجفان قد شغلهم ما بين أيديهم
 الصفة الخامسة قوله تعالى (وأقنعتهم) أى قلوبهم (هواء) أى خالية من العقل لفرط الحيرة

والدهشة وقال فتبادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماناتها * (تبيينه) * اختلقوا في وقت حصول هذه الصفات فقبل انهم عند المحاسبة بدليل انه تعالى انما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك بأنه يوم يقوم الحساب وقيل انهم تحصل عند ما يتفرقون عن فريق فالسعداء يذهبون إلى الجنة والاشقياء إلى النار وقيل يحصل عند اجابة الداعي والقيام من القبور قال الرازي والاول أولى (وأندرا الناس) يا محمد أي خوفهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (يوم يأتيهم العذاب) أي الذي تقدم ذكره وهو مخوف أصبارهم وكونهم مهطعين مقنعي رؤسهم (فمقول الذين ظلموا) أي كفروا (ربنا أخرنا) أي بأن تردنا إلى الدنيا (إلى أجل قريب) إلى أمد واحد من الزمان قريب (نحب دعوتك) أي بالتموحيد وتدارك ما فرطنا فيه (وتتبع الرسل) فيما يدعوننا إليه فيقال لهم تو بخا (أولم تكونوا أقمتم) أي حلفتم (من قبل) في الدنيا (مالكم) وأكذبتني بقوله (من زوال) أي مالكم عنها التثقال ولا بعث ولا نشوركما قال في آية أخرى وأقسموا بالله جهداً بما لهم لا يبعث الله من يموت وكانوا يقولون لأزوال لنا من هذه الحياة إلى حياة أخرى ومن هذه الدار إلى دار المجازاة لأنهم كانوا يشكرون أن يزولوا عن حياة إلى موت أو عن شباب إلى هرم أو عن غنى إلى فقر ثم انه تعالى زادهم تو بخا آخر بقوله تعالى (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر من الأمم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أي وظهر لكم بما شاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما نواز عندكم من أخبارهم (وضربنا) أي وبيننا (لكم الأمثال) في القرآن أن عاقبتهم عادت إلى الويل والحزى والنكال مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك الممجل وذلك في كتاب الله تعالى كثير * ولما ذكر تعالى صفة عقابهم أتبعه بذكر كيفية مكرهم بقوله تعالى (وقدمكرهم) أي الشديد العظيم الذي استقر غوافيه جهدهم واختلاف في عود الضمير في مكر وعلى وجوه الاول أن يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور والثاني إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (وأندرا) يا محمد الناس وقدمكر قومك مكرهم وذلك المكر هو الذي ذكر الله تعالى في قوله (واذمكر بك الذين كفروا اليثوث أو يقتولك أو يخرجوك) (وعند الله مكرهم) أي ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه بكم هو أعظم منه وقيل ان مكرهم لا ينزل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كسبوت الجبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قول آخر وهو أنهم أنزلت في غرود الجبار الذي حاح إبراهيم في ربه فقال غرودان كان ما يقول إبراهيم حقا فلا انتهى حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فهم أمر غرود صاحبه فاتخذ لنفسه نابوتا وجعل له بابا من أعلاه وبابا من أسفله وربط قوائم الأربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الأربع من النابوت عصيا أربعة وعلق على كل واحدة منها قطعة لحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك النابوت فلما أبصرت النسور تلك اللعوم تصاعدت في جوع

كقرصة البقاء ليس فيها علم لاحد أخرجه في الصحيحين العنبراء بعين المهمة وهي البيضاء
 الى حجر ولها مذاهبها بقرصة البقاء وهو الجير لا يعرض الجير القاتق المائل الى الحجر كان النار
 ملبت يهاض وجهه الى الحجر وقوله ليس فيها علم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد لتبديل هبتها
 وصفتم اوزوال جمالها وجميع بنائهم فلا يبقى فيها اثر تبديل به وعن ابن مسعود انه قال تبديل
 الارض بأرض كالفضة البيضاء نقية لم يفسد فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي
 طالب كرم الله وجهه الارض من فضة والسموات من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبيرة
 تبديل الارض خبيرة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وعن الضحاك الأيض من فضة كالأحماض
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية
 فأين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان أن حسبراً
 من اليمودسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبديل الارض غير الارض
 قال هم في القالة دون الجسر قال الرازي واعلم أنه لا يعد أن يقال المراد من تبديل الارض
 والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم والسموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى ولا
 ان كتاب الارباب في علمين وقوله تعالى كلاً ان كتاب الفجر ان في صحيح (وبرزوا) أي خرجوا من
 قلوبهم (الله) أي حكمه والوقوف بين يديه تعالى للعباد (الواحد) أي الذي لا شريك له
 (القهار) أي الذي لا يذافعه شيء عن مراده كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الوايد القهار وما
 وصف نفسه سبحانه وتعالى بكونه قهاراً بين عجزهم وذلتهم بقوله تعالى (وترى) يا محمد أي تبصر
 (المجرمين) أي الكافرين (يومئذ) أي يوم القيامة ثم ذكر تعالى من صفات عجزهم وذلتهم أموراً
 الصفة الاولى قوله تعالى (مقرنين) أي مشدودين (في الاصفاد) جمع صفد وهو القيد قال
 الكلبي كل كافر مع شيطان في غل وقال عطاء هو معنى قوله تعالى واذا النفوس زوجت
 أي قرنت فمقرن نفوس المؤمنين بنفوس الحور والعين ونفوس الكافرين بقرنائهم من الشياطين
 وقيل هو قرن بعض الكفار ببعض فتضم تلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الظالمية
 بعضها الى بعض اكونهم امتسكة متجانسة وتنادى ظلمة كل واحدة منها الى الاخرى وقال ابن
 زيد قرنت أيديهم وأزواجهم الى رقابهم بالاغلال الصفة الثانية قوله تعالى (سرايلهم)
 أي قصههم جمع سرايل وهو التميمي (من قطران) وهو شئ يتخالب من شجر يسمى الابل فيطبخ
 وتطلى به الابل الجرب فيحرق الجرب بجماداته وحده وقدرته الى داخل الجوف
 ومن شأنه أنه يتسارع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منقن الريح فتطلى به جلود أهل النار
 حتى يصير ذلك الطلاء كالسرايل فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لذع القطران
 وحرقه واسراع النار في جلودهم والتون الوحش وتقر الريح وأيضا التفاوت بين قطران
 القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين المارين الصفة الثالثة قوله تعالى (وتغشى) أي تغطى
 (رجوههم النار) وظاهره قوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب وقوله تعالى يوم يصحبون
 في النار على رجوههم ولما كان موضع العلم والجهل هو القلب وموضع الكفر والوهم هو

الرأس وأثر هذه الاحوال يظهر في الوجه فلهذا خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار
العقاب فيهما فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافسدة وقال في الوجه وتغشى
وجوههم النار وقوله تعالى (ليجزى الله) متعلق بيزروا (كل نفس ما كسبت) أى من خير
أو شر وهذا أولى من قول الواحدى المراد منه أنفس الكفار لأن ما سبق ذكره لا يابق أن
يكون جزاء لاهل الايمان * ولما كان حساب كل نفس جديراً بأن يستعظم قال (إن الله سريع
الحساب) أى لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى ولا شأن عن شأن وقوله تعالى (هـ) (هذا
إشارة الى القرآن الذى يخرج الناس من الظلمات الى النور نزل منزلة الحانم وقيل الى السورة
(البلاغ) أى كان غاية الكفاية فى الايصال (لناس) والموعظة لهم وقوله تعالى (واينذروا)
أى وليخوفوا (به) عطف على محذوف ذلك المحذوف متعلق ببلاغ تـ ديره أى لينصروا
واينذروا وقيل الواو مزيدة واينذروا متعلق ببلاغ (وليعلموا) أى بما فيه من الحجج على
وحدانية الله تعالى (أنما هو) أى الله (الله واحد) فيستدلوا بذلك على أن الله واحد لا شريك
له (وليدكر) بادغام التاء فى الاصل فى الذال أى يعظ (أو لوالالباب) أى أصحاب العقول
الصافية من الاكدار والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اعظ * (تنبيه) * ذكر سبحانه وتعالى
لهذا البلاغ ثلاث فوائد مستفادة من قوله تعالى واينذروا به وتالمه والحكمة فى انزال الكتب
تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى منتهى كتابها التوحيد واستصلاح
القوة العملية التى هى التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بعمد وآله
وفعل ذلك بوالديننا وأحبابنا ومارواه البيضاءى تبعاً لمخشي من انه صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنة بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من
لم يعبد حديث موضوع قال العلامة ابن جماعة فى شرح منظومة ابن فرج ألقى أولها غراي
صحيح فرع من غرائب الجوينى يكفر وواضع الحديث أى والمشهورة عدم تكفيره

﴿سورة الحجر مكية﴾

وهى تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وعدد حروفها
ألفان وسبع مائة وستون حرفاً

(بسم الله) الملك الواجد القهار (الرحمن) الذى أسبغ نعمه على سائر بريته فمجزت عن وصفه
الإفكار (الرحيم) الذى خص أهل ولايته بنجاتهم من النار وقوله تعالى (الر) ذكر فيه الفتح
والامالة أول يونس وقيل معناه أنا الله أرى وقد منّا الكلام على أوائل السور فى أول سورة
البقرة وقوله تعالى (تلك) إشارة الى آيات هذه السورة أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى
القرآن والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (وقرآن مبين) أى مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة
صفة وقيل المراد بالكتاب هو السورة وكذا القرآن وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل
وبالقرآن هذا الكتاب ثم بين سبحانه وتعالى حال الكفار يوم القيامة بقوله تعالى (ربما يؤذ)

أى يتنى (الذين ~~كفروا~~) اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين في ذلك اليوم (لو كانوا مسلمين) وقبل حين يعاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت ورب للتكثير فانه يكثر منهم تنى ذلك وقيل للتقليل فان الاحوال تدهشهم فلا يقيمون حتى يتموا ذلك الا فى أحيان قليلة فان قيل لم دخلت رب على المضارع وقد أورد دخولها الاعلى الماضى (أجيب) بأن المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحقيقه فكأنه قيل رجاؤهم وقرأعاصم ونافع يتخفف باء رجاؤهم والباقون بالتشديد قال أبو حاتم أهل الجواز يخففون رجاؤهم وقيل ~~وبكر~~ يشقونها ولما تمادوا فى طغيانهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ذرهم) أى دعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكير والتصيحة وخلصهم (يا كواويهمعوا) بدينهم وتنفيد شهوراتهم والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالاً بعد حال كالتقرب فى أنه طلب القرب حالاً بعد حال (ويلهمهم الامل) أى ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واسه مقامة الاحوال عن أخذ حظه من السعادة وعن الاستعداد للمعاد وقرأ أبو عمر وفى الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسائي برفع الهاء والميم والباقون بكسر الهاء ورفع الميم وأما الوقف فالجميع بكسر الهاء والكلام على الهاء الثانية وأما الهاء الاولى فكسورة للجميع وقفار وصلها ولما كان هذا أمر الایسته تغلب به الأحق تسبب عنه التهديد بقوله تعالى (فسوف يعلمون) أى ما يحصل بهم بعد ما فسحنالهم فى زمن التمتع من سوء صنيعهم وهذا قبل الامر بالقتال * (تنبيه) فى الآية دليل على أن ايثارا التلذذ والتنعيم فى الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمتع فى الدنيا من أخلاق الهالكين والاخبار فى ذم الامل كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وعن على رضى الله تعالى عنه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق * ولما هددهم تعالى بآية التمتع والهاء الامل أتبعه بما يؤكده الزجر بقوله تعالى (وما أهلكنا من قرية) أى من القرى والمراد أهلها ومن مزيدة (الاولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب بحمد دود مكتوب فى اللوح المحفوظ لاهلاكها * (تنبيه) المستثنى جله واقعة صفة لقرية والاصل أن لا تدخلها الواو وكقوله تعالى الالهامندرون وانما توسطت لتأكد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال فى الحال جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب * (فائدة) رسم كتاب هنا بثبات الالف ثم بين تعالى الآية السابقة بقوله تعالى (ما تسبق) وأكد الاستغراق بقوله تعالى (من أمة) وقيل من مزيدة كقولك ما جاءنى من أحد أى أحدوين ان المراد بالكتاب الاجل بقوله تعالى (أجلها) أى الذى قدرناه لها (وما يستأخرون) أى عنه * (تنبيه) انت الامة أو لانت ذكرها آخر اجلا على اللفظ فى الاول وعلى المعنى فى الثانى قال البقاعى وانما ذكره لئلا يصرفوه الى خطابه صلى الله عليه وسلم تغشوا وفى الآية دليل على أن كل من مات أو قتل فانما مات بأجله وان من قال يجوز أن يموت قبل أجله مخطئ * ولما بالغ تعالى فى تهديد الكفار ذكر

شبههم في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي
 القرآن في زعمه (أنك المجنون) انما نسبوه الى الجنون اما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا
 حقان عند الله لان الرجل اذا سمع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنونا واما لانه عليه
 الصلاة والسلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا أنهم اجنون ويدل
 عليه قوله تعالى أولم يتفكر وأما بصاحبهم من جنسة ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم
 فقالوا (لوما) أي حلا (تأتينا باللائكة) أي يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان
 كنت من الصادقين) في ادعائك للرسالة وان هذا القرآن من عند الله ولما كان في قولهم
 أمران أجاب الله تعالى عن قولهم الثاني لانه أقرب بقوله تعالى (ما نزل الملائكة الا بالحق)
 أي الا تنزل ملائكة بالحق والاصلح ولا حكمة في أن تأتيكم بهم عيانا شاهدونهم ويشهدون
 لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى
 وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب وقرأ شعبة بضم
 التامع فتح الزاي ورفع الملائكة وحقق وحزة والكسائي بنونين الاولى مضمومة والثانية
 مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملائكة والباقيون بالتام مفتوحة مع فتح الزاي ورفع الملائكة
 وشدد التاء البري في الوصل وأما الزاي فهي مشددة للجميع من يفتح ومن يكسر (وما كانوا)
 أي الكفار (إذا) أي اذا تأتيهم الملائكة (منظرون) أي لزال الامهال عنهم فبعذبوا في الحال
 ان لم يؤمنوا ويصدقوا وكان حينئذ يفوت ما قضينا به من تأخيرهم واخراجهم من أرونا عياله من
 اصلاهم ثم أجاب تعالى عن الأول بقوله تعالى مؤكدا للتكذيبهم (اننا نحن) بما لنا من العظمة
 والقدرة (نزلنا) أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام (الذكر) أي القرآن (واناله
 لحافظون) أي من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى ولو كان من
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر
 أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه كلمة واحدة أو حرفا واحدا
 وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف
 والتبديل والزيادة والنقصان (فان قيل) فلم اشتغلت الصحابة بحجج مع القرآن في المصحف وقد
 وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه (أجيب) بأن جمعهم القرآن في
 المصحف كان من أسباب حفظ الله تعالى آياته فانه تعالى لما أراد حفظه قبضهم لذلك قال أصحابنا
 وفي هذه الآية دلالة قوية على كون البسملة آية من أول كل سورة لان الله تعالى قد وعد حفظ
 القرآن والحفظ لا معنى له الا أن يبقى مصونا من الزيادة والنقصان فلو لم تكن البسملة آية من
 القرآن لما كان مصونا من التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم
 زادوا جازا أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة وقيل الضمير
 في له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وان الحمد لحافظون عن أراد به سواء فهو وكقوله
 تعالى والله يعصمك من الناس ولما أساء الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في الأول وخاطبوه

بالسفاهة وقالوا انك لمجنون وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء قال سبحانه وتعالى
 نسليه له على وجه راد عليهم (ولقد أرسلنا من قبلك) أى رسلا تحذف ذكر الرسل لدلالة الارسل
 عليه وقوله تعالى (في شيع) أى فرق (الاولين) من باب اضافة الصفة الى الموصوف كقوله تعالى
 حق اليقين سمو اشيعا للمتابعة بعضهم بعضا فى الاحوال التى يجتمعون عليها فى الزمن الواحد
 والشيع جمع شعبة وهى الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة وقالى الفراء
 الشيعة هم اتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان (وما يأتهم)
 عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل على مضارع الا وهى معنى الحال
 ولا على ماضى الا وهى قريب من الحال والاصل وما كان يأتهم (من رسول) أى على أى وجه
 كان (الا كانوا به) جبهة وطبعها (يستزنون) كاستزاع قومك بك فصيروا فاصبروا (كذلك)
 أى مثل ادخالنا التكذيب فى قلوب هؤلاء المستزئين بالرسول (فسلكت) أى ندخله (فى قلوب
 المجرمين) أى كفار مكة المستزئين (لا يؤمنون به) أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل
 بالقرآن وفى الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل فى قلوب الكفار والسالك ادخال الشئ
 فى الشئ كالخط فى الخط والريح فى المطعون ومنه قوله تعالى ما سلكتكم فى سقر وقيل
 الضمير فى نسلكتكم يعود لذلك كما أن الضمير فى به يعود اليه وجعله لا يؤمنون به حال من ذلك
 الضمير والمعنى على هذا امثل ذلك السلك نسلكت الذى فى قلوب المجرمين مكذبا به غير مؤمن به قال
 البيضاوى وهذا الاستدلال ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه
 اهـ وما أعدت الضمير عليه فى ذلك هو ما قاله ابن الخازن وجرى عليه الجلال السيوطى ر قوله
 تعالى (وقد دخلت سنة الاولين) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وعيد شديد
 ليكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل منازل بالام الماضية المكذبة وقال الزجاج قدمضت سنة الله
 فى أن يسلك الكفر والضلال فى قلوبهم قال الرازى وهذا أليق بظاهر اللفظ وقرأ أبو عمرو ووجزة
 والكسائى بادغام تاء التأنيث فى السين والباقون بالاظهار وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من
 السماء) الآية هو المراد فى سورة الانعام فى قوله تعالى ولنزلائنا عليك كتابا فى قرطاس الآية
 أى الذين يقولون لوماتأيننا بالملائكة فلو أنزلنا الملائكة (فظلوا فيه) أى فظلت الملائكة
 (يعرجون) أى يصعدون فى الباب وهم يرونها عيانا (لقالوا) أى من عتوهم فى الكفر (انما
 سمعنا بآبائنا) أى سمعت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير
 بالتحفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة الباقيين بالتحديد (بل نحن قوم مسحورون)
 أى قد سحرنا محمد بذلك أى كما قالوا عند ظهروهم من الآيات كأنشق القمر وما جاء به
 النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذى لا يستطيع الجن والانس أن يأثروا بمثله وقيل
 الضمير فى يعرجون للمشركين أى تظل المشركون يصعدون فى ذلك الباب فيضطرون فى
 ملكوت السموات وما فيها من العجائب لما آمنوا العنادهم وكفروهم وقالوا انما سحرنا وقرأ
 الكسائى بادغام لام فى النون والباقون بالاظهار وما أجاب الله تعالى عن شبهة منكبرى

النبوة والقول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد ودلائل التوحيد منها سماوية ومنها أرضية
 بدأ منها يذكر الدلائل السماوية فقال مفتتحا بحرف التوقيع (ولقد جعلنا) بما لنا من العظمة
 والقدرة الباهرة (في السما بروج) قال اليت البروج واحد هـ بروج من بروج الفلك والبروج
 هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا ظهرت وأرادهم المنازل التي
 تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء
 والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
 والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريح وله الحمل والعقرب والزهرة
 ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس
 ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو وهذه البروج
 مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة
 مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية
 يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال
 مجاهد هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريد بنجوم هذه البروج وقرأ نافع وابن كثير وابن
 ذكوان وعاصم بإظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام (وزيناها) أي السماء بالشمس
 والقمر والنجوم والاشكال والهيئات البهيمة (للتناظرين) أي المعتبرين المستدلين بها على
 توحيد خالقها ومبدعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلق صورته (وحفظنا هاهنا من كل
 شيطان رجيم) أي مرجوم وقيل ملعون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يتجمعون عن
 السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما
 ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من
 السموات كلها فأنهم من أحديد يريد استراق السمع الارضي بشهاب فلما منعوا تلك المقاعد
 ذكروا ذلك لابلis فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا والله هذا حدث وقوله تعالى (الامن استرق السمع) يدل من
 كل شيطان رجيم وقيل استثناء منقطع أي لكن من استرق السمع واستراق السمع اختلاسه
 قال ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا
 يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب كما قال تعالى (فأتبعه شهاب مبین) وهو شعلة
 من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البرق يشبه شهاب النار فلا يخطئ أحدا
 فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله ومنهم من يخبله فيصير
 غولا يفضل الناس في البوادي روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
 قضى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان
 فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو
 السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فخرها وبد بين أصابعه

فيسمع الكلمة فيلقبها الى من تحتها ثم يلقبها الاخر الى من تحتها حتى يلقبها الى لسان الساحر
 أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها
 مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا قصة ذلك الكلمة التي سمعها من
 السماء (فان قيل) اذا جاز أن يسمع الشيطان أخبار الغيوب من الملائكة يخرج الاخبار عن
 المغيبات عن كونه معجزا لدلائل الصدق لان كل غيب يخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم
 قام فيه الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجزا لدلائل الصدق (أجيب) بأننا أثبتنا كون
 محمد صلى الله عليه وسلم رسولا بسائر المعجزات ثم بعد العلم بقبوله تقطع بأن الله تعالى أعجز
 الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيب معجزا ولما شرح
 الله تعالى الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي أنواع النوع
 الاول قوله تعالى (والارض مدناها) قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء قال البغوي
 يقال انهم امسروا خمسمائة سنة في مثلها حيث من تحت الكعبة (فان قيل) فهل يدل ذلك على
 أنهم بسيطة أو كره عظيمة على ما يقوله أرباب الهيئة (أجيب) بان ليس في الآية دلالة على شيء من
 ذلك لان الارض على تقدير كونها كرهة فهي في غاية العظمة والكرة العظيمة ترى كالسطح
 المستوي وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وسأني زيادة على ذلك ان شاء الله تعالى في
 سورة والنازعات النوع الثاني قوله تعالى (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت واحدها
 راس والجمع راسية وجمع الجوع رواسي وهو كقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تمسد بكم
 قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرسلها الله تعالى
 بالجبال الثقال لكي لا تمسد بأهلها وقيل ان الله تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق
 الارض وفواحيها لانها كالاعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال
 النوع الثالث قوله تعالى (وأبنتنا فيها) واختلف في عود ضمير فيها فقيل يعود الى الارض لان
 أنواع النبات المنتقع به يكون في الارض وقيل الى الجبال لانهم أقرب مذكور وقوله تعالى
 (من كل شيء موزون) وانما يوزن ما يتولد من الجبال والاولى عوده لهما واختلافهما في
 المراد بالموزون فقال ابن عباس أي معلوم وقال مجاهد أي مقدار معين تنقصه حكمته وقال
 الحسن أعني به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد ونحو ذلك مما يستخرج
 من المعادن والاولى أنه جميع ما ينبت في الارض والجبال لان ذلك نوعان أحدهما يستخرج
 من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون وبعضه بالكيل وهو يرجع الى
 الوزن لان الصاع والمقدار بالوزن (وجعلنا لكم فيها) أي انعاما منا وتنفصلا عما
 (معارش) وهي بياض ريحة من غير متجمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا
 من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها (و) جعلنا لكم (من لستم به برازقين) من العبيد
 والانعام والدواب والطير فانكم تنفقون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله
 تعالى وبعض الجهال يظنون في أكثر الامور انهم هم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد

وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق يرزق الخدم والخدام والمملوك والمالك لأنه تعالى خلق الاطعمة
 والاشربة وأعطى القوة الغاذية والهاضمة والالم يحصل لاحد رزق (فان قيل) صبغة من مختصة
 من يعقل (أجيب) بأنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله تعالى حيث قال وما من دابة في
 الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فغلب من يعقل على غيره حكى أن الماء قد
 قل في بعض الاودية والجبال واشتد الحر قال بعضهم فرأيت بعض تلك الوحوش رفعت رؤسها
 الى السماء عند اشتداد عطشها قال فرأيت الغيوم قد أقبلت وأمطرت وامتلأت الاودية
 * (تنبيه) * قيل لا يجوز أن يكون ومن لسبب له برازقن مجرور اعطفا على الضمير المجرور لا يقال
 أخذت منك وزيد الا باعادة الحافظ كما في قوله تعالى واذا أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك
 ومن نوح والراح الجواز كما قرئ قوله تعالى تساءلون به والارحام بالخفض في القراءات السبع
 وهذا أعظم دليل * ولما بين سبحانه وتعالى أنه أثبت لهم كل شيء موزون وجعل لهم معاش أشعر
 بذكر ما هو السبب لذلك فقال تعالى (وان) أي وما (من شيء) أي مما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة
 وهي لانهاية لها (الا عند خزائنه) أي قادرون على ايجادها وتكوينه أضعاف ما وجد منه
 فضرب الخزائن مثلا لا قدره على كل مقدور وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال
 في العرش مثال جميع ما خلق الله في البحر والبر والخزائن جمع خزانة وهي اسم المكان الذي
 يخزن فيه للتحفظ وقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل المطر لانه سبب الارزاق لبي آدم والوحش
 والطير والدواب ومعنى عندنا أي في حكمته تعالى وتصرّفه وأمره وتدبيره (وما ننزله) من يفاع
 القدرة (الا بقدر معلوم) أي على حسب المصالح وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر
 يقال لا ينزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله ولما أتم ما أراد من
 آتني السماء والارض وختمه بشمول قدرته لكل شيء أتبعه ما ينشأ عنهم مما هو بينهم مودعا في
 خزائن قدرته بقوله تعالى (وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع الممر
 (لواقع) أي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب فهي لاقحة يقال ناقحة لاقحة اذا حملت الولد
 وقال ابن مسعود يرسل الله تعالى الريح فتحمل الماء فتجده في السحاب ثم تجريه قدرته كما تدر
 اللقحة ثم تمطر وقال عبيد بن عمير يبعث الله تعالى الريح المنيرة فتسير السحاب ثم يبعث الله المولفة
 فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعلها ركائما ثم يبعث الله اللواقح تلقيح الشجر وعن ابن عباس
 قال ما هبت ريح قط الا جئت النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها راحة ولا
 تجعلها ريحما وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح
 قال اللهم اني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها
 وشر ما أرسلت به وقرأ حزقيا بالافراد والباقون بالجمع (فأنازلنا) أي بعظمتنا بسبب تلك السحاب
 التي حملتها الريح (من السماء) أي الحقيقية أو وجهتها أو السحاب لان الاسباب المترتبة يسند
 الشيء نارة الى القريب منها وتارة الى البعيد (ماء) وهو جسم مائع سيمال به حياة كل حيوان
 من شأنه الاعتذاء (فأسقيناهكم) أي جعلناه لكم سقيا يقال سقيت ماء يشربه وأسقيته أي

مكنته منه ليسقي به ماشيته ومن يريد وثقي سبحانه وتعالى عن غيره ما أثبتة أولاً لنفسه بقوله
 (وما أنتم له) أي لذلك الماء (بخازنين) أي ليست خزائنه بأيديكم والخزن وضع الشيء في مكان
 مهمه المحفوظ فثبت أن القادر عليه واحد مختار ومن دلائل التوحيد الأحياء والأمانة كما قال
 تعالى (وانا نحن فحي) أي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فحيي بها من نشاء من الحيوان
 بروح البدن ومن الروح بالمعارف ومن النبات بالنمو وان كان أحدهما حقيقة والآخر مجازاً
 لأن الجمع جائز (ونمت) أي لنا هذه الصفة فنبرز بها من عظمة متنا منشاء (ونحن الوارثون) أي
 الارث التيام اذا مات الخلائق الباقيون بعد كل شيء كما كانوا شيء فليس لاحد تصرف بامانة
 ولا احياء فثبت بذلك الوحدة اية والفعل بالاختيار فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت آثار
 القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى (واقعد علمنا المستقدمين منكم) وهو من قضينا بعونه
 أولاً من لدن آدم فيكون في موته كأنه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من أهله مجتهداً
 بالعلاج في تأخيرهم (ولقد علمنا المستأخرين) أي الذين غد في أعمارهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا
 كأنهم يسابقون الى ذلك وان عاجلوا الموت بشرب سم أو نحوه أو عاجلهم غيرهم بضر بهم
 بسيف أو غيره فعرف من ذلك قطعاً أن الفاعل واحد مختار وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين
 الأموات والمستأخرين الأحياء وقال عكرمة المستقدمين من خلق الله تعالى والمستأخرين
 من لم يخلق وقال الحسن المستقدمين في الطاعة والخير والمستأخرين المستبطون عنه
 وقيل المستقدمين من القرون الاولى والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
 المستقدمين في الصفوف والمستأخرين فيما وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيعقن
 خلف الرجال فربما كان في الرجال من في قلبه رية فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء
 من في قلبها رية فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها
 (تنبيه) في سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف النبي
 صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول صف حتى لا يراها ويتأخر بعضهم
 حتى يكون آخر صف فاذا ركع نظر من تحت ابطه فزلت والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم
 حرض على الصف الأول فازدحموا عليه وقال قوم بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا
 ونشتري دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) أي
 المستقدمين والمستأخرين للجزاء ونوسط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غيره
 وتصدير الجمله بأن لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه
 بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله تعالى (انه حكيم) أي باهر الحكمة
 متقن في أفعاله (عليه) وسع علمه كل شيء ولما استدل سبحانه وتعالى بتخليق الحيوانات على صحة
 التوحيد في الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب بقوله تعالى
 (واقعد خلقنا الانسان) قال الرازي والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه آدم عليه السلام ونقل

في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر أنه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو أبو نألف ألف آدم
 أو أكثر سمي انسانا لظهوره وادراك البصرا به وقيل من النسيان لانه عهد اليه نفسي (من
 صلصال) أي من الطين الشديد اليابس الذي لم تصببه نار اذا انقرته سمعت له صلصلة أي صوتا
 وقال ابن عباس هو الطين اذا انضبت عنه الماء تشقق فاذا حركت تقعقع وقال مجاهد هو الطين
 الممتن واختاره الكسائي وقال الفراء هو طين خلط برمل فصار له صوت عند انقره وقال الرازي
 قال المفسرون خلق الله تعالى آدم من طين قصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالا
 لا يدري أحدا ما راد به ولم يرو شيئا من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح (من حجا) أي طين
 أسود ممتن (مسنون) أي مصور بصورة الآدمي وقال ابن عباس هو التراب المبتل الممتن وقال
 مجاهد هو الممتن المتغير قال البغوي وفي بعض الآثار أن الله تعالى خمر طينة آدم وتركه حتى صار
 متغيرا أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام قال ابن الخازن والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكره
 بعضهم أن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض واليه
 الإشارة بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم إن ذلك التراب بله بالماء
 وجأ حتى اسود وأنتز ريمحه وتغير واليه الإشارة بقوله تعالى من جامس سنون ثم إن ذلك الطين
 الأسود المتغير صورته الله بصورة انسان أجوف فلما جف وييس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له
 صلصلة واليه الإشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس يفخر في الشمس ثم نفخ
 فيه الروح فكان بشرا سويا * ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق الانسان ذكر ما خلقه قبل من الجنان
 فقال تعالى (والجنان) قال ابن عباس هو أبو الجن كما كان آدم عليه السلام أبو البشر وابلوس أبو
 الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون ويمشون ويموتون كبنى آدم وأما
 الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا ذمامات ابليس وقال وهب أن من الجن من يولد
 له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتولدون ولا يأكلون
 ولا يشربون وهم الشياطين قال ابن الخازن والاصح أن الشياطين نوع من الجن لا شترأهم
 في الاستتار سموا اجنالا توارى بهم واستتارهم عن الاعين من قولهم سم جئ الليل اذا ستر
 والشیطان هو العاني المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر واتصاف الجنان بفعل
 يفسره (خلقناه من قبل) أي قبل خلق الانسان (من نار السموم) أي من ريمح حارة تدخل
 مسام الانسان فتقتله من قوة حرارتها قال الرازي فالريح الحارة في النار وهي افيج كما ورد في
 الخبر انها من فيج جهنم انتهى ويقال السموم بالنهار والحروب بالليل وقال الكلبي عن أبي صالح
 السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الحجاب فاذا أحدث
 الله تعالى أمرا خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فآلهة التي تسمعون خرقت ذلك الحجاب
 وعن ابن عباس هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجن وتلاه هذه
 الآية وعن الضحاك عن ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من
 نار السموم وخلق الجن الذين ذكرنا في القرآن من نار ما من نار وما الملائكة خلقوا

من النور* ولما ذكر الله تعالى حدوث الانسان الاول واستدل بذكره على وجود الاله القادر
 المختار ذكر بعده واقعة بقوله تعالى (وَإِذْ أَىٰ وَادٍ كَرِيًّا أَشْرَفَ الْخَلْقِ قَوْلَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ
 (قَالَ رَبِّكَ) أَىِ الْحَسَنِ الْبَلِكِ بِتَشْرِيفِ أَيْكَ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَشْرِيفِكَ (لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقُ
 بَشَرًا) أَىِ حَيَوَانًا كَثِيفًا يَأْشُرُونَ بِالْإِقْوَاعِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ لَا يَأْشُرُونَ لِلْطُّفِ أَجَامِهِمْ عَنْ
 إِبْشَارِ الْبَشَرِ وَالْبَشَرَةُ ظَاهِرُ الْجِلْدِ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مَنْ صَلَّاهُ مِنْ جَامِئِينَ)
 تَقْدِمُ تَفْسِيرَهُ (فَإِذَا سَوِيْتَهُ) أَىِ عَدَلْتَهُ وَأَتَمَمْتَهُ وَهَيَّأْتَهُ لِلْفَتْخِ الرُّوحَ فِيهِ بِالْفِعْلِ (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
 رُوحِي) أَىِ خَلَقْتُ الْحَيَاةَ فِيهِ وَلَيْسَ ثُمَّ نَفَخَ وَلَا مَنْفُوخٌ وَانْمَافُوخٌ وَأَضَافَ الرُّوحَ إِلَيْهِ تَشْرِيفًا
 كَمَا يَقَالُ بَيْتُ اللَّهِ وَهُوَ مَا يَصِيرُ بِهِ الرُّوحُ عَالِمًا وَأَشْرَفَ مِنْهُ مَا يَصِيرُ بِهِ الْعَالَمُ عَامِلًا خَاشِعًا وَسَبَّأَتِي
 الْكَلَامَ عَلَى الرُّوحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ سَجْدَةٍ عَنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ
 (فَقُلْ) أَىِ اسْقُطُوا (لَهُ) تَعْظِيمًا حَالٍ كَوْنَكُمْ (سَاجِدِينَ) وَتَقْدِمُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْكَلَامَ
 عَلَى مَنْ يَخْطُبُ بِالْسُّجُودِ وَهُوَ كُلُّ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ أَوْ مَلَائِكَةِ الْأَرْضِ
 وَهُوَ سُجُودُ الْخَبَاءِ وَغَيْرِهِ (فَسَجِدُوا لِلْمَلَائِكَةِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (كُلُّهُمْ أَجْعُونَ) قَالَ سَيِّدُ نَبِيِّهِ
 تَأْكِيدًا بَعْدَ تَأْكِيدِ دُوسْتِ الْمُبْرَدِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَوْ قَالَ فَسَجِدُوا لِلْمَلَائِكَةِ احْتِمَالٌ أَنْ يَكُونَ سَجْدُ
 بَعْضِهِمْ فَلَمَّا قَالَ كُلُّهُمْ زَالَ هَذَا الْإِحْتِمَالُ فَظَهَرَ أَنَّ سَجْدَهُمْ بِأَسْمِهِمْ سَجْدُ وَاشْتَمَعْتُ هَذَا بَقِي احْتِمَالٌ وَهُوَ
 أَنَّ سَجْدَهُمْ سَجْدُ وَادْفَعَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ سَجْدُ كُلِّ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَلَمَّا قَالَ أَجْعُونَ ظَهَرَ أَنَّ الْكُلَّ
 سَجْدُ وَادْفَعَةٍ وَاحِدَةٍ قَالَ الرَّجُلُ وَقَوْلُ سَيِّدِهِ أَجْعُونَ مَعْرِفَةٌ فَلَا يَكُونُ حَالًا وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى (الْإِبْلِيسُ) أَجْعُوا عَلَى أَنْ إِبْلِيسَ كَانَ مَأْمُورًا بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ هَلْ كَانَ
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَمْ لَا وَقَدْ سَبَقَتْ هَذِهِ الْمَسْئَلَةُ عَلَى الْأَسْتِصَاعِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (أَتَى أَنْ
 يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ) أَىِ لَا أَدَمَ اسْتِثْنَاءً تَقْدِيرُهُ إِنْ قَائِلًا قَالَ هَلْ سَجْدُ فَقِيلَ أَيْ ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرَ
 عَنْهُ (قَالَ) اللَّهُ تَعَالَى لَهُ (بِإِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَسْكُونَ) أَىِ أَنْ تَكُونَ وَلَا مَزِيدَ أَىِ مَا مَنَعَكَ أَنْ
 تَسْكُونَ (مَعَ السَّاجِدِينَ) لَا أَدَمَ (قَالَ) لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ) جَسَمَانِي كَثِيفٌ وَالْإِلَامُ تَأْكِيدُ الْبَشَرِ
 أَىِ لَا يَصْغُرُ مَنِي وَيُنَافِي حَالِي أَنْ أَسْجُدَ وَأَنَا مَلَكٌ رُوحَانِي الْبَشَرِ (خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ
 مَسْنُونٍ) وَهُوَ أَخْضَرُ الْعُنَاصِرِ وَخَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَهِيَ أَشْرَفُهَا اسْتِثْنَاءً أَدَمَ بِاعْتِبَارِ النَّوْعِ
 وَالْأَصْلِ وَقَدْ سَبَقَ الْجَوَابُ عَنْهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ * (تَنْبِيهِ) * قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَوْصَلَ هَذَا الْخُطَابَ إِلَى إِبْلِيسَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ رُسُلِهِ وَضَعَفَ لِأَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ فِي الْجَوَابِ لَمْ أَكُنْ
 لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ فَقَوْلُهُ خَلَقْتَهُ خُطَابُ الْحُضُورِ لِاخْتِطَابِ الْعَجَبَةِ وَظَاهِرُهُ يَقْتَضِي
 أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ مَعَ إِبْلِيسَ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَأَنَّ إِبْلِيسَ تَكَلَّمَ مَعَ اللَّهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ فَكَيْفَ يَعْقِلُ هَذَا
 مَعَ أَنَّ مَكَلَّمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ مِنْ أَعْظَمِ الْمَذَاهِبِ وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ فَكَيْفَ يَعْقِلُ حُصُولَهُ
 لِأَرْأْسِ الْكُفْرِ وَرَيْسِهِمْ * (وَأَجِيبْ) * بِأَنَّ مَكَلَّمَةَ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا تَكُونُ مَنْصَبًا عَالِيًا إِذَا كَانَتْ
 عَلَى سَبِيلِ الْأَكْرَامِ وَالْأَعْظَامِ فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَلَى سَبِيلِ الْإِهَانَةِ وَالْإِذْلَالِ فَلَا (قَالَ) اللَّهُ تَعَالَى لَهُ
 (فَاخْرُجْ مِنْهَا) أَىِ مِنَ الْجَنَّةِ وَقِيلَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَقِيلَ مِنْ زُمْرَةِ الْمَلَائِكَةِ وَتَقْدِمُ الْكَلَامَ

على ذلك أيضا في سورة الاعراف (فانك رجيم) أي مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد
 رجيم بالجحر أو شيطان رجيم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة)
 أي هذا الطرد والابعاد (اليوم الدين) قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العباد
 بأعمالهم مثل قوله تعالى مالك يوم الدين (فان قيل) كلمة الى تفيد حصرا انتهاء الغاية فهذا يفيد
 ان اللعنة لا تحصل الا الى يوم الدين وعند القيامة يزول اللعن (أجيب) بجوابين الاول أن
 المراد التأييد وذكر القيامة أبعد غاية ذكرها الناس في كلامهم كقوله تعالى مادامت السموات
 والارض في التأييد والثاني أنه مذموم مدعو عليه باللعن في السموات والارض الى يوم
 القيامة من غير أن يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا يترن اللعن معه فيصير اللعن حينئذ
 كالزائل بسبب أن شدة العذاب تذهل عنه ولما جعله الله تعالى رجما ملعونا الى يوم القيامة
 فكان قائلا يقول فماذا قال فقيل (قال رب) فاعترف بالعبودية والاحسان اليه (فأنظرنى)
 أي أخرى والانظار تأخير المحتاج للنظر في أمره والفاء متعلقة بمجدد دل عليه فان خرج
 منها فانك رجيم (اليوم يعنون) أي الناس أراد أن يجدد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت
 اذ لا موت بعد وقت البعث (قال) الله تعالى مجيب الاول دون الثاني بقوله تعالى (فانك من
 المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وهو المسمى فيه أجلك عند الله وهو النفخة الاولى وما يتبعها
 من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد (فان قيل) كيف أجابه الله تعالى الى ذلك الامهال
 (أجيب) بأنه انما أجابه الى ذلك زيادة في بلائه وشقائه وعذابه لالا كرامه ورفع مرتبته
 * ولما أجيب لذلك كأنه قيل فماذا قال فقيل (قال رب) أي أيها الموجد والمدبر بقوله
 (بما أغويتني) أي خيبتني من رجلك الباء فيسه للقسمة ومصدرية وجواب القسم (لازين)
 أي أقسم باغوائك اياي لا زين (الهم في الارض) حب الدنيا ومعاصيك كقوله فبعزتك
 لاغوينهم أجمعين الا انه في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وهذا أقسم باغواء
 الله وهي من صفات الافعال والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم
 بصفات الافعال والراجح فيها العصة (ولاغوينهم) أي بالاضلال عن الطريق الحميدة بالقاء
 الوسوسة في قلوبهم ولاجلتهم (أجمعين) على الغواية وقوله (الاعباد منهم المخلصين) قرأه
 ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه
 الباقر بن يقطين أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم
 ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال الرازي والذي جله على هذا الاستثناء أنه لا يصير كاذبا
 في دعواه فلما احتراز ابليس عن الكذب علم ان الكذب في غاية الخساسة * (تنبيه) * قال
 رويم الاخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه منه عوضا من الدارين ولا عوضا من الملكين
 وقال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده
 ولا هو فيفعله وذكر القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه
 السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال سر استودعته قلب

من أحب من عبادي * ولما ذكر ابليس أنه يغوي بني آدم الامن عصمه الله بتوفيقه وتضمن هذا
الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته (قال تعالى (هَذَا) أَي الَّذِي ذَكَرْتَهُ مِنْ
حَالِ الْمُسْتَنَفَى وَالْمُسْتَنَفَى مِنْهُ (سَرَّاطُ) أَي طَرِيقُ (عَلَى مُسْتَقِيمٍ) أَي لَا انْحِرَافَ عَنْهُ
لَأَنِّي قَضَيْتُ بِهِ وَحَكَمْتُ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ وَلَوْلَمْ تَقُلْ أَنْتَ * وَلَمَّا قَالَ ابْلِيسُ لَارْزُقْنِي فِي الْأَرْضِ
وَلَا غَوْيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ الْأَعْبَادُ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ أَوْ هُمْ هَذَا أَنْ لَمْ يَسْلُطْنَا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ غَيْرَ الْمُخْلِصِينَ
فَمِنْ تَعَالَى كَذِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ سِوَاءِ أَكَانُوا مُخْلِصِينَ أَوْ لَمْ يَكُونُوا
مُخْلِصِينَ بَلْ وَمَنْ أَتَبَعَ مِنْهُمْ ابْلِيسُ بِاخْتِيَارِهِ صَارَتْ بِعَالِهِ وَلَكِنْ حُصُولُ تِلْكَ الْمَتَابِعَاتِ أَيْضًا لَيْسَ
لِأَجْلِ ابْلِيسِ وَأَوْ هُمْ إِنْ لَعَلَّ عَلَى بَعْضِ عِبَادِ اللَّهِ سُلْطَانُ نَافِيٍّ تَعَالَى كَذِبُهُ وَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ
عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سُلْطَانٌ وَلَا قُدْرَةٌ أَصْلَابُهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّ عِبَادِي) أَيَ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ (لَيْسَ لَكَ)
أَيَ بُوْجُوهٍ مِنَ الْوُجُوهِ (عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) أَيَ لَتَرُدَّهُمْ كَلِيمٌ عَمَّا يَرْضِيهِ وَيُظْهِرُ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلُهُ
تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ ابْلِيسِ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي وَقَالَ تَعَالَى
فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشِيرُونَ (الْأَمْنُ اتِّعَاكُ) أَيَ تَعَمُّدُهُمْ وَرَغْبَةُ فِي اتِّبَاعِكَ (مَنْ الْغَاوِينَ)
أَيَ وَمَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ فَأَنَّى جَعَلْتَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا بِالْتَزْيِينِ وَالْإِغْوَاءِ وَثَلَّ سَقِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ
عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ تَلْقِيهِمْ فِي ذَنْبٍ يَضِيقُ عَنْهُ عَذْوَى وَقِيلَ إِنَّ
الْإِضَافَةَ لِلتَّشْرِيفِ فَلَا تَشْمَلُ إِلَّا الْخُلَاصَ فَخَيْثُذَ يَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مَنَّةً طَعَامًا فَدَائِدُهُ وَفِيهِ بَصُورَةٌ
الْإِسْتِثْنَاءُ عَلَى تَقْدِيرِ الْإِنْقِطَاعِ التَّرْغِيبِ فِي رِبَّةِ التَّشْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ وَالرَّجُوعِ عَنْ اتِّبَاعِ
الْعَدُوِّ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ ذَوِي الْإِنْفُسِ الْإِيْمِيَّةِ وَالْهَمُّ الْعَلِيَّةُ يَتَأَفَّسُونَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ
وَيُرَوْنَهُ كَمَا هُوَ الْحَقُّ أَعْلَى مَرَامٍ (وَأَنْ جَاهَهُمْ لَوْ عَدَّهُمْ) أَيَ الْغَاوِينَ وَهُمْ ابْلِيسُ وَمَنْ تَبِعَهُ
(أَجْمَعِينَ) ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُمْ مُتَقَاوِنُونَ فِيهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (لَهَا) أَيَ لِبُجْهَتِهِمْ (سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) أَيَ
سَبْعَ طَبَقَاتٍ قَالَ عَلَى رِضَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ أَنْ تَدْرُونَ كَيْفَ أَبْوَابُ النَّارِ هَكَذَا وَوَضَعَ أَحَدُ
يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى أَيَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ الْخَنَاطَ عَلَى الْعَرْضِ
وَوَضَعَ النِّسِيرَانَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ النَّارُ سَبْعَةُ دَرَكَاتٍ أَوَّلُهَا جَهَنَّمُ ثُمَّ لَطْفِي
ثُمَّ الْحَطْمَةُ ثُمَّ السَّعِيرُ ثُمَّ سَقَرُ ثُمَّ الْجَحِيمُ ثُمَّ الْهَآوِيَةُ (تَنْبِيْهُ) مَخْصِيصٌ لِلْعَدَدِ لِأَنَّ أَهْلَهَا سَبْعَ فِرَقٍ
وَقَبْلَ جَعْلِ سَبْعَةِ عَلَى وَفْقِ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْأَذْنِ وَاللِّسَانِ وَالْبَطْنِ وَالْفَرْجِ
وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ لِأَنَّهُمْ أَصْدَارُ السِّيَاطِ فَكَانَتْ مَوَارِدُهَا الْأَبْوَابُ السَّبْعَةُ وَلَمَّا كَانَتْ هِيَ بَعْثُهَا
مَوَارِدُ الْخَسَنَاتِ بِشَرَطِ النِّبَةِ وَالنِّبَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ زَادَتْ الْأَعْضَاءُ وَاحِدًا فَجَعَلَتْ أَبْوَابُ
الْجَنَانِ ثَمَانِيَةً قَالَ تَعَالَى (لِكُلِّ بَابٍ) أَيَ مِنْهَا (مِنْهُمْ) أَيَ مِنَ الْغَاوِينَ خَاصَّةً لَا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا
مُخْلِصٌ (بِحَرْفٍ) أَيَ أَنْصِيبُ وَقَرَأَ شُعْبَةُ بِضَمِّ الرَّأْيِ وَالْبَاقُونَ بِالسَّكُونِ (مَقْسُومٌ) أَيَ مَعْلُومٌ فَكُلُّ
دَرْكَةٍ قَوْمٌ يَسْكُنُونَهَا قَالَ الْفَخَّارُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى أَهْلُ التَّرْجِيدِ الَّذِينَ أَدْخَلُوا النَّارَ يَعْذِبُونَ
بِقُدْرَةِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ فِي الثَّانِيَةِ النَّصَارَى وَفِي الثَّلَاثَةِ الْيَهُودَ وَفِي الرَّابِعَةِ الصَّابِئُونَ وَفِي

الخيامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان
 المنافقين في الدرك الاسفل من النار وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لهم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أفتى أو قال على أمة محمد ولم
 شرح تعالى أحوال أهل العقاب أتبعه بصفة أهل الثواب بقوله تعالى مؤكداً الإنكار المكذبين
 بالبعث (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك بالله تعالى كما قال جهور الصحابة والتابعين وهو
 الصحيح لأن المتقي هو الآتي بالقوى مرة واحدة كما أن المضارب هو الآتي بالضرب مرة واحدة
 والقاتل هو الآتي بالقتل مرة واحدة فكأنه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضارباً أو قاتلاً
 كونه آتياً بجميع أنواع الضرب والقتل ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقياً كونه آتياً
 بجميع أنواع القوى لأن الآتي بفرد واحد من أفراد القوى يكون آتياً بالقوى لأن كل فرد
 من أفراد الماهية يجب كونه مشتملاً على تلك الماهية (في جيات) أي بساتين قال الرازي
 أما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فيكون
 المجموع أربعة وقوله ولن خاف مقام ربه جنتان يؤكد ما قلناه لأن من آمن بالله لا ينفك قلبه
 من الخوف من الله تعالى وقوله تعالى ولن خاف يكفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة
 وقوله تعالى (وعيون) قال الرازي يحتمل أن يكون المراد منها ما ذكره الله تعالى في قوله مثل الجنة
 التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين
 وأنهار من عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون منابع مغيرة لتلك الأنهار
 (فان قيل) هل كل واحد من المتقين محتص بعيون أو تجرى تلك العيون بعضها الى بعض
 (أجيب) بأن كل واحد من الوجهين محتمل فيجوز أن يحتص كل واحد بعين يتفقع هو بها
 ومن يحتص به من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجاتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل
 أن يجرى من بعضهم الى بعض لأنهم يطهرون عن الحقد والحسد وقرأنا فاع أبو عمرو وهشام
 وحفص برفع العين والباقون بالكسر وقرأ بكسر الشوين في الوصل أبو عمرو وابن ذكوان
 وعاصم وحزة والباقون بالضم ولما كان المنزل لا يحسن الا بالسلامة والانس قال تعالى
 (ادخلوها) أي يقال لهم ذلك (بسلام) أي سالمين من كل آفة مرحبابكم (آمنين) من ذلك دائماً
 ولما كان الانس لا يكمل الا بالجنس مع كمال المودة وصفاء القلوب عن الكدر قال تعالى (وزعنا)
 أي بما لنا من العظمة والقُدرة (ما في صدورهم من غل) أي حقد كامن في القلب ويطابق على
 الشحماء والعداوة والحسد والبغضاء فكل هذه الخصال المذمومة داخله في الغل لأنها كامنة
 في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمهم بهم الى
 الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد حالة كونهم (أخواناً) أي متضافين
 حالة كونهم (على سرر) جمع سرير وهو مجلس رفيع موطأ للسرور وهو مأخوذ منه لأنه مجلس
 سرور قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم اريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر
 والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء الى الجابية (مقابلين) لا يرى بعضهم قفا بعض فان المقابل

التواضع وهو نقیض التدابر ولا شك أن المواجهة أشرف الأحوال وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه تدور بهم الاسرة جيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين * (تبيينه) * ليس المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخاطبة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وعن الجنيدي أنه قال ما أحلى الاجتماع مع الاصحاب وما أمر الاجتماع مع الاضداد وقوله تعالى (لا يمسهم فيها نصب) أي اعياء وتعب وجهود ومشقة استئناف أحوال بعد حال أحوال من الضمير في متقابلين وقوله تعالى (وما هم منها بخبرين) المراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكما لا بلا نقصان وفوزا بلا حرمان * ولما ذكر تعالى أحوال المتقين وأحوال غيرهم أتبع ذلك بقوله تعالى (نبي) أي خسريا أفضل الخلق (عبادي) اخبارا جليلا (أني أنا) أي وحدي (الغفور) أي للمؤمنين (الرحيم) بهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء من عبادي واني والباقون بالسكون وأما الهمزة في نبي فلم يبدلها الا حجة في الوقف فقط وكذا الهمزة من نبيهم ونقل عن حجة كسر الهاء في الوقف (وَأَنْ عَذَابِي) أي وحدي للعصاة (هو العذاب الاليم) أي المولم * (تبيينه) * في هذه الآية لطائف الاولى أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه وهذا تشریف عظيم ألا ترى انه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلالا الثانية انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيد بالفاظ ثلاث اولها قوله تعالى أني وثانيها قوله أنا وثالثها ادخال حرف الالف واللام على قوله تعالى الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل أني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم الثالثة انه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ اليهم هذا المعنى فكانه أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة والرابعة انه لما قال نبي عبادي كان معناه نبي كل من كان معترفا بعبوديته وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك يدخل فيه المؤمن العاصي وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك منها عهده تسعة وتسعين وأرسل في خلقه رحمة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار وعن عبادة رضي الله تعالى عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم العبد قدر عقوب الله ما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه الى قتلها وعنه صلى الله عليه وسلم أنه مرتب بقوم من أصحابه وهم يصحكون فقال أتضحكون وقد ذكر الجنة والنار بين أيديكم فقل نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم * ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة ثم أزدفه بذ كر دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة ووصف الاشقياء والسعداء أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليكون سماعها مرغبا في العبادة الموجهة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا عن المعصية الموجهة لاسحقاق دركات الاشقياء واقبح من ذلك بقصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (ونبيهم) أي خبر يا سيد المرسلين عبادي

(عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثناعشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل عليه السلام
 (فان قيل) الضيف هو المنضم الى غيره لطلب القرى (أجيب) بأن هؤلاء هم اهل هذا الاسم لانهم
 على صورة الضيف فهو من دلالة التضمن وقيل أيضا ان من يدخل دارا انسانا ويتجنى اليه
 يسمى ضيفا وان لم يأكل (اذ دخلوا عليه) أي ابراهيم وكان يكنى أبا الضيفان كان لقصره أربعة
 أبواب لكي لا يقوته أحد (فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما وسلمت سلاما (قال) ابراهيم عليه
 السلام بلسان الحال أو المقال (أنا) أي أنا ومن عندي (منكم وجاؤون) أي خائفون وكان
 خوفهم لاستماعهم من الاكل أولانهم دخلوا به يرادون وبغير وقت والوجل اضطراب
 النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) أي لا تخف (أنا) رسل ربك (تبشركم بالام) أي ولد
 ذكر في غاية القوة ليس كالأولاد الشيوخ ضعيفا وقرأ جزء بفتح النون وسكون الباء وضم
 الشين مخففة والباء قن بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة (عليه) أي ذي علم كثير
 هو اسحق عليه السلام كاذكر في هود وتقدم ذكر القصة هناك باسمها (قال) ابراهيم عليه
 السلام (أبشركم بوقتي) أي بالولد وقوله (على أن منى الكبر) حال أي مع منه اياي (فان
 قيل) كيف قال (قيم) أي فبأي شيء (تبشرون) أي ينو الى ذلك بيانا شافيا مع أنهم
 قد ينو اما بشروا به وما فائدة هذا الاستفهام (أجيب) بأنه أراد أن يعرف أن الله تعالى
 هل يعطيه الولد مع بقائه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا
 الاستفهام ان العادة جارية بأنه لا يحصل في حالة الشيخوخة النامية وانما يحصل في حال
 الشباب أو انه استفهام تعجب ويدل اذ ذلك قولهم (قالوا بشركم بالحق) قال ابن عباس
 يريدون بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ويخرج
 من صلب اسحق ذرية مثل ما أخرج من صلب آدم وقولهم (فلا تهن) أي بسبب
 تبشيرنا (من القاطنين) أي الآيسين منى لابراهيم عليه السلام عن القنوط ونهى الانسان عن
 الشيء لا يدل على كونه فاعلا للمنهى عنه كافي قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم
 حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه (قال ومن يقنط) أي يأس من هذا اليأس (من
 رحمة ربه) أي الذي لم يزل احسانه عليه (الافاضلون) أي المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح
 في ربهم من تمام القدرة وانه لا تضمره معصية ولا تنفعه طاعة وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر
 النون والباء ففتحها ولما تحقق عليه السلام بشرى ورأى ايمانهم محتفين على غير الصفة
 التي يأتي عليها الملك للوحى وكان هو وغيره من المعارفين بالله عالمين بأنه ما ينزل الملك الا بالحق كان
 ذلك سببا لان يسألهم عن أمرهم ليزول وجهه كله ولذلك (قال) عليه السلام (فما بقاء السبب
 خطبكم) أي شأنكم قال أبو جيان وانطرب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد اه وقال
 الزماني انه الامر الجليل (أي المرسلون) فانكم ما جئتم الا لامر عظيم يكون فبالاين هالت
 وناج (قالوا انا أرسلنا) أي أرسلنا العزيز الحكيم الذي أنت أعرف الناس في هذا الزمان به
 (الى) اهلاكم (قوم) أي ذوى منعة (بجزمين) أي كافرين وهم قوم لوط وقوله تعالى (الآل لوط)

فيه وجهان أحدهما انه استثناء متصل على أنه مستثنى من الضمير المستكن في مجرمين بمعنى
أجرموا كلهم الآل لوط فانهم لم يجرموا ويكون معنى قوله تعالى (الناجيوهم أجمعين) أى
لايمانهم استئناف اخبار بنجاتهم لكونهم لم يجرموا ويكون الارسال حينئذ شاملا للمجرمين
والآل لوط لاهلاك أولئك وانجاء هؤلاء والناهي انه استثناء منقطع لأن آل لوط لم يندرجوا
في المجرمين البتة فيكون قوله تعالى الناجيوهم أجمعين جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بالآل لوط
لأن المعنى لكن آل لوط منجوههم وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذون وتخفيف الجيم والباقون
بفتح الذون وتشديد الجيم وقوله تعالى (الامرأته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم على
الأول وعلى الثاني لا يكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل الناجيوهم
اعتراضا وقوله تعالى (قدرنا) قرأ شعبة بتخفيف الدال والباقون بالنشدديد (انهم المني الغابرين) أى
من الباقين في العذاب لكفرها* (تنبيه)* معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غيره
يقال قدره هذا الشيء لهذا أى اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات أى جعلها على
مقدار الكفاية ويفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله تعالى عليه وقدره عليه أى جعله على
مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا (فان قيل) لم أسند
الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم مع أنه لله عز وجل (أجيب) بأنهم انما ذكروا هذه العبارة
لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر
والأمر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار مالهم من الاختصاص بذلك الملك
فكذلك هنا ولما بشر الملائكة عليهم السلام ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون
بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ابراهيم عليه السلام الى لوط وآله وهذه هي القصة الثانية
المذكورة في هذه السورة قال تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون) ههنا هم زان مقتدر حتان من
كلتين فقرأ القون واليزى وأبو عمرو وباسقاط واحدة منهما مع المد والقصر وقرأ ورش وقيل
بتسهيل الثانية وابدأها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين وكذا وجاء أهل المدينة (قال)
لهم (انكم قوم منكرون) لانهم دخلوا عليه هجما فاستنكروهم وخاف من دخولهم لاجل شر
يوصلونه اليه ولاجل انهم كانوا شبانا مردا احسان الوجوه فخاف أن يهجم قومه عليهم بسبب
طلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله عليه السلام انكم قوم منكرون
أى لا أعرفكم ولا أعرف انكم من أى الاقوام انتم ولاى بغرض دخلي على فعد ذلك (قالوا)
أى الملائكة (بل جئناك بما) أى بالعذاب الذى (كانوا) أى قومك (فيه يمترون) أى يشكون
في نزولهم وبالجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض له منه من حيث
أنه لا يرجع الى نفسه فيما هو عليه ثم أكدوا ما ذكره بقولهم (وأنتناك بالحق) أى باليقين
الذى لا يشك فيه ثم أكدوا هذا التأكيد بقولهم (وانا الصادقون) أى فيما أخبرناك به
(فأسر بأهلك) أى فذهب بهم في الليل (يقطع من الليل) أى في طائفة من الليل وقيل هى آخره
قال الشاعر افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم

كأنه طال عليه الليل فخطب ضجيجته بذلك أو كان يجب طول الليل للوصال وقرأ نافع وابن
 كثير بوصول همزة فاسم بعد الفاء من السرى والباقون بالقطع وهما يعني (وأتبع أدبارهم)
 أي وكن على آثار أهلك وسر خلفهم وتطلع على أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) أي لا يلهي
 ألبهم منازلهم من البلا وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجم من آل لوط (وامضوا
 حيث نؤمرون) أي إلى المكان الذي أمركم الله بالمضي إليه قال ابن عباس هو الشام وقال
 الفضيل حيث يقول لكم جبريل وذلك إن جبريل أمرهم أن يمضوا إلى قرية معينة ما عمل أهلها
 عمل قوم لوط وقيل إلى الأردن وقيل إلى مصر (تنبيه) حيث هتأ على بابها من كونها طرف
 مكان منهم ولا يها مها تعدي إليها الفعل من غير واسطة (وقضينا) أي وأوحينا (إليه) ولما ضمن
 قضينا معنى الإيحاء تعدي إلى ومثله وقضينا إلى بني إسرائيل وقوله تعالى (ذلك الأمر) منهم
 تفسيره (أن دابر هؤلاء مقطوع) أي مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وقوله تعالى
 (مصحين) حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجعله للعمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في
 معنى مدبري هؤلاء أي يتم استئصالهم في الصباح (وجاء أهل المدينة) أي مدينة من مدائن قوم
 لوط وهي سدوم بسين مهملة وذال موحدة وأخطأ من قال بعملة (يستبشرون) أي باضياف لوط
 طمعا فيهم وليس في الآية دليل على المكان الذي جاءه إلا أن القضية تدل على أنهم جاؤا دار
 لوط وقيل إن الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل إلى قوم لوط وقيل
 امرأة لوط أخبرتهم بذلك قال الرازي وبالجملة فالقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المردم أيا ناقط
 أصبح وجهه أولا أحسن شكلا منهم فذهبوا إلى دار لوط طلبا منهم لاولئك المرد والاستبشار
 اظهار السرور ولما وصلوا إليه (قال) لهم لوط (إن هؤلاء ضيقي) أي وحق على الرجل الأكرام
 الضيف (فلا تفخخون) فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزم به العار وإذا قصد
 الضيف بسوء كان ذلك احانة لصاحب المحل ثم أكد ذلك بقوله (واتقوا) أي خافوا (الله)
 في أمرهم (ولا تحزون) أي ولا تتجأوني فيهم بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة من الخزي وهي
 الحياء أو لا تذوني بسببهم من الخزي وهو الهوان (قالوا) أي قومه في جواب قوله لهم
 (أولم تنهك عن العالمين) أي عن أن تضف أحدا من العالمين وقيل أولم تنهك أن تدخل الغربة
 المدينة فانا نطلب منهم الفاحشة وقيل أولم تنهك أن تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل
 أحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنهم بقدر وسعته ثم (قال) لهم (هؤلاء بناتي) أي نساء القوم
 لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساءهم بناته فكانت له بنات لوط وهن بنات لوط
 وخلاوا بني فلا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) أي ما أقول لكم أوفياء الشهوة والكلام في ذلك
 قدمر بالاستقصاء في سورة هود وقرأ نافع بفتح ياء بناتي والباقون بسكونها قال الله تعالى لنبيه
 محمد صلى الله عليه وسلم على لسان ملائكته (لعمرك) أي وحياتك وما أقدم بحياة أحد غيره
 وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى (انهم لفي سكرتهم) أي شدة غفلتهم التي أزال
 عقولهم (بعمهون) أي يتحيزون الخطاب للوط عليه السلام قالت له الملائكة ذلك أي

فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك * (تنبيه) * اعلموا مبتدأ محذوف الخبر
 وجوبا وانهم وما في حيزه جواب القسم تقديره لعمر كقبحي أو عيني انهم والعمر والعمر
 بالفتح والضم واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمتفوح لا يشار الاخف فيه وذلك لان
 الحلف كثير الدور على السننهم بلعمرى ولعمر ك (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة هائلة مهلكة
 وهل هى صيحة جبريل عليه السلام قال الرازى ليس فى الآية دليل على ذلك فان ثبت بدليل
 قوى قيل به والى ليس فى الآية دليل الا انهم جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله تعالى
 (مشرقين) أى داخلين فى وقت الشروق وهو بزوغ الشمس حال من مفعول أخذتهم ثم بين
 سبحانه وتعالى ما نسب عن الصيحة معقبها بقوله تعالى (فجعلنا) أى جعلنا من العظيمة والقدرة
 (عاليها) أى مدائنهم (سافلهما) بأن رفعها جبريل عليه السلام الى السماء وأسقطها مقلوبة
 الى الارض (وأمرنا عليهم) أى أهل المدائن التى قلبت المدائن لاجلهم (حجارة من سجيل)
 أى طين طليح بالنار * (تنبيه) * دلت الآية الكريمة على أن الله تعالى عندهم ثلاثة أنواع
 من العذاب أحدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها أنه جعل عاليها سافلهما وثالثها أنه أمطر
 عليهم حجارة من سجيل وتقدمت الإشارة الى ذلك فى سورة هود (أن فى ذلك) أى المذكور
 من هذه الأنواع (آيات) أى دلالات على وحدانية الله تعالى (للمتوسمين) أى للمتأخرين
 المتعبرين جمع متوسم وهو الناظر فى السمعة حتى يعرف حقيقة الشئ وسمته (وانها) أى هذه
 المدائن (لبسيل) أى طريق قريش الى الشام (مقيم) أى لم يندرس بل يشاهدون ذلك
 ويرون أثره أفلا يعتبرون ثم قال سبحانه وتعالى مشير الى زيادة الحث على الاعتبار بالتأكيده
 (أن فى ذلك) أى هذا الأمر العظيم (آية) أى علامة عظيمة فى الدلالة على وحدانيته تعالى
 (للمؤمنين) أى كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف أن ذلك انما كان لاجل
 أن الله تعالى استقم لانبياؤه من أولئك الجهال أما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على
 حوادث العالم وقائعهم ثم ذكر تعالى القصة الثالثة وهى قصة شعب عليه السلام بقوله
 تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أى وانه (كان) أى جيله وطبعا (أصحاب الايكة) وهم
 قوم شعيب عليه السلام وقد ذكر الله تعالى قصتهم فى سورة الشعراء والايكة الشجر
 المتكاثف وقيل الشجر الملتف وقال ابن عباس هى شجر المقل وقال الكلبي الايكة الغيضة
 أى غيضة شجر بقرب مدين (الظالمين) أى عريقين فى الظلم شكذبيهم شعيبا عليه السلام
 (فانتقمنا منهم) أى بسبب ذلك قال المفسرون اشتد الحزن فيهم أياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا
 فهلكوا عن آخرهم وقوله تعالى (وانهما) فيه قولان الأول ان المراد قري قوم لوط والايكة
 والقول الثانى أن الضمير للايكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة
 دل بذكرها على مدين فجاء ضميرهما (لبامام) أى طريق (مبين) أى واضح والامام اسم لما يؤتم به
 قال القراء انما جعل الطريق اماما لانه يؤتم ويتبع وقال ابن قتيبة لأن المسافرين يأتم به حتى
 يصل الى الموضع الذى يريد ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهى قصة صالح عليه السلام بقوله

تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهم غود قوم صالح عليه السلام وديارهم بين المدينه
 الشريفة والشام (المرسلين) أي كاهنهم يتكذب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك
 لان الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في اثبات
 الرسالة بالمعجزة على حد سواء ثم أتبع ذلك قوله تعالى (ولا تيناهم) أي بما لنا من العظمة والقدرة
 على يد رسولهم صالح عليه السلام (آياتنا) أي آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزات كالناقة
 وكان فيها آيات كثيرة كخر وجهها من الصخرة وعظيتم خلقها وقرب ولادتها وغزارة لبنها وانما
 أضاف الآيات اليهم وان كانت لنبيهم صالح عليه السلام لانه مرسل من ربهم اليهم بهذه الآيات
 (فكانوا عنها) أي الآيات (معرضين) أي تاركينها غير ملتفتين اليها لا يتفكرون فيها ثم أخبر تعالى
 عنهم أنهم كانوا مثل هؤلاء في الأمن من العذاب والغفلة عما يراد بهم مع أنهم كانوا أشد منهم
 فقال تعالى (وكانوا يفتخون) والفتخ قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسخ (من الجبال)
 أي التي تقدم اناجعلها هارواسي (يوتأنين) عليهما من الانهدام وتغيب اللصوص وتخريب
 الاعداء لو ناقموا لا كبوتكم التي لا بقاء لها على أدنى درجة وفراورث وأبو عمر ووقف
 برفع الباء والباقون بكسرهما (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة العذاب (مصبحين) أي وقت الصبح
 (فأاغثنى) أي ما دفع عنهم (الضر والبلاء) ما كانوا يكسبون أي يعملون من بناء البيوت
 الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وعن جابر رضى الله تعالى عنه مررنا مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآن تكونوا باكين
 حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأمر عتي
 خلقها ولما ذكر تعالى هذه القصص تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فإنه اذا سمع ان الامم السالفة
 كانوا يعاملون أنبياء الله بمثل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهة قال تعالى (وما خلقنا
 السموات والارض) أي على ما لها من العلو والسعة والارض على ما لها من المنافع والغرائب
 (وما بينهما) من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم ومن المياه والرياح والصحاب المنبت عنه
 النبات وغير ذلك (الابالحق) أي الاخلاق المنبسطا بالحق فيتم فكر فيه من وفقه الله تعالى ليعلم
 النشأة الآخرة هذه النشأة الاولى (وان الساعة) أي القيامة (لا تتيه) لا تحاله فيجازي الله
 تعالى كل أحد بعمله ثم انه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبة بعد ذلك في الصفيح عن سيئاتهم
 بقوله تعالى (فاصفح الصفح الجليل) أي اعرض عنهم اعراضا لا يرجع فيه ولا تنجل بالانتقام
 منهم وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازي وهو بعيد لان المقصود من ذلك أن يظهر الخلق
 الحسن والصفو والصفح فكيف يصير منسوخا اه والاول جرى عليه البغوى وجماعة من
 المفسرين ثم عل تعالى هذا الامر بقوله (ان ربك) أي المحسن اليك الامر لك بهذا (هو) أي
 وحده (الخلق) أي المتكرز منه هذا الفعل (العليم) أي البالغ العلم بكل المغلومات فليست
 أقوالهم وأفعالهم الامنه سبحانه وتعالى لانه خالقها وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد
 عليه في أخذ حقل فإنه نعم المولى ونعم النصير ولما صبره الله تعالى على أذى قومه وأمره أن يصفح

الصفح الجليل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى أفضل خلقه بما بقوله تعالى
 (ولقد آتيناك) يا أفضل الخلق بالناس العظيمة والقدرة كما آتيناها لهما تقدم (سبعاً) يكون
 كل سبع منها كفيلاً باغلاق باب أبواب من النيران السبعة وهي أم القرآن الجامعة لجميع معاني
 القرآن التي أمرنا بأعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركاً بلفظها وتذكراً بمعانيها
 وتخصيصها لها عن بقية الذكر الذي تكفلنا بحفظه والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة
 لأنها سبع آيات وهذا ما عليه أكثر المفسرين روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي
 السبع المثاني رواء أبو هريرة وقيل المراد سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة ففصل
 الانفال وبراءة لأنها في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية البسملة وقيل الحواميم السبع
 وقيل سبع صحائف وهي الاسابيع وقوله تعالى (من المثاني) صفة للسبع وهو جمع واحد
 مثناة والمثناة كل شيء ينثى أي يجعل اثنين من قولك نثيت الشيء ثباتاً أي عطفته وضممت اليه
 آخر ومنه يقال ركبتي الدابة ومرقعيها مثاني لأنها اثنتي بالفخذ والعنق ومثاني الوادي معاطفه
 أما تسمية الفاتحة بالمثاني فلوجوه الاول أنها اثنتي في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة الثاني
 أنها اثنتي بما بعدها فيما يقرأ معها الثالث أنها قسمت قسمين اثنتين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم
 قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين والحديث مشهور وروى عنه في
 وجه تسميتها صلاة عند ذكرها الرابع أنها قسمت اثنا ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق
 الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء الخامس أن كلماتها مثناة مثل
 الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وأما
 السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك وما فيها
 من الثناء كأنها تنثى على الله تعالى بأفعاله العظيمة وصفاته الحسنى * (تنبيه) * من في من المثاني
 اما البيان أو للتبعض اذا أردت بالسبع الفاتحة والطوال والبيان ان أردت الاسباع قال
 الرخخشري ويجوز أن تكون كتب الله كلها مثاني لأنها اثنتي عليها فيها من المواعظ المكررة
 ويكون القرآن بعضها وقوله تعالى (والقرآن العظيم) أي الجامع لجميع معاني القرآن
 السماوية المتكفل بخير الدارين مع زيادات لا تحصى فيه أوجه أحدها أنه من عطف بعض
 الصفات على بعض أي الجامع بين هذين النعتين الثاني أنه من عطف العام على الخاص إذ
 المراد بالسبع اما الفاتحة واما الطوال فكانت ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم باندراجها في
 العموم الثالث أن الواو مقعمة * ولما عرف سبحانه وتعالى رسوله عظيم نعمه عليه فيما يتعلق
 بالدين وهو أنه آناه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ثم نهاه عن الرغبة في الدنيا بقوله تعالى
 (لا تغتنم عيني) أي لا تشغل سرّك وخطرك بالالتفات (الى مآمتنا به أزواجهم) أي
 أمنا من الكفار والزوج في اللغة الصنف وقد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن
 كل شيء قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحد أوتي في الدنيا أفضل
 مما أوتي فقد صغر عظمه وعظم صغره وأتوا أول سبعين بن عيينة هذه الآية بقول النبي صلى الله

عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أى لم يستغن وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما
لا تدين عينك أى لا تمن ما فضلناه أحدنا من متاع الدنيا وقيل أتت من بعض البلاد سبع
قوافل لليهود قرينة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينها وأيقضناها في طاعة الله تعالى فقال الله تعالى لقد أعطيتكم
سبع آيات هن خير من هذه القوافل السبع وقتر الواحدى هذا المعنى فقال انما يكون ما ذا
عنيبه الى الشئ اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر الى الشئ تبدل على استحسانه وعنيبه وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من متاع الدنيا روى أنه نظر الى نعم بنى المصطلق
وقد عوس في أبو الهيا وأبعارها وهو أن تجف أبو الهيا وأبعارها على أخفاها اذا تركت من
العمل أيام الربيع فتكثر شهوها ولحومها وهي أحسن ما تكون وعن أبي هريرة رضى الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى
من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) نهى له عن
الالفتات اليهم ان لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ولما نهى سبحانه وتعالى عن الالتفات
الى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع للقرءاء المسلمين بقوله تعالى (واخفض جناحك)
أى أن جانبك (للمؤمنين) أى العريقين في هذا الوصف واصبر نفسك معهم وافرقتهم ولما
أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ
ما أرسل به اليهم بقوله تعالى (وقل انى أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم ان لم تؤمنوا
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء والباقون بالسكون (المبين) أى البين الانذار وقوله
تعالى (كما أنزلنا) أى العذاب (على المقتسمين) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى سموا بذلك
لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فوافق كتبهم آهوا به وما خالف كتبهم كفروا به
وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد هذه السورة لى وقال آخر هذه السورة لى
وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا ببعضهم
بعضها وقال قتادة أراد بالمقتسمين كفار قريش قال سموا بذلك لان أقوالهم تقسمت في القرآن
فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الاولين وقال ابن
السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا طرق مكة وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهبلا من أهل
مكة قيل سبعة عشر وقيل أربعين وقال انطلقوا فاقترعوا على طرق مكة حيث يمر بكم أهل
الموسم فاذا سألوكم عن محمد فقل بعضكم انه مجنون وليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم
انه ساحر وليقل بعضكم انه ساحر فذهبوا وقعدوا على طرق مكة يقولون ذلك لمن يمر بهم من حجاج
العرب وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام نصبوه حكما فاذا جاءوا سألوا عما قال أولئك
فمقول صدقوا فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقوله تعالى (الذين جمعوا القرآن عشرين) نعت
للمقتسمين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى جزؤا القرآن أجزاء فآمنوا بما وافق التوراة
والانجيل وكفروا بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله ففرقوه وبددوه وقيل كانوا يستهزئون به

فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول بعضهم سورة آل عمران لي وقيل اقساموا القرآن فقال
 بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين وقيل هم أهل
 الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤه من كتبهم فيكون ذلك
 تسليما لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن منيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر
 وأساطير الاولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب فحرفوا عنهم * (تنبيه) * عشرين جمع
 عضة وهي الفرقة والعشرين الفرق وتقدم معنى جعلهم القرآن كذلك وقيل العضة السحر بلغة
 قريش يقولون هو عاضه وهي عاضه وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضه
 والمستعضه أي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضة وهو الكذب والبهتان يقال عضه
 عضها وعضيته أي رماه بالبهتان وقيل جمع عضوا مأخوذا من قولهم عضيت الشيء أعضيه إذا فرقته
 وجعلته أجزاء وذلك أنهم جعلوا القرآن أعضاء مفارقة فقال بعضهم سحر وقال بعضهم أساطير
 الاولين ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن
 عشرين بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) فيكون الضمير عائدا على المقتسمين
 لانه الاقرب ويحتمل أن يعود على جميع المكلفين لأن ذكرهم تقدم في قوله تعالى وقل اني أنا
 النذير المبين أي لجميع الخلق قال جماعة من المفسرين يستلون عن لاله الا الله وقال أبو
 العالية يستلون عما كانوا يعبدون وما أجابوا به المرسلين (فان قيل) كيف الجمع بين قوله تعالى
 فوربك لنسألنهم أجمعين وبين قوله تعالى فيومئذ لا يستل عن ذنبه انس ولا جان (أجيب) بأن
 النفي ينصرف الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لأن يوم القيامة يوم طويل وفيه
 مواقف يستلون في بعضها ولا يستلون في بعض آخر وتطيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال
 في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ثم قال تعالى لنسألنهم الله عليه وسلم
 (فاصدع) أي اجهر بعلو وشدة فارهاين الحق والباطل وقرأ حمزة والكسائي بإشمام الصاد
 الساكنة قبل الدال والباقون بالصاد الخالصة (بما) أي بسبب ما (تؤمن) به أمر النبي صلى
 الله عليه وسلم في هذه الآية فاطهار الدعوة روى عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستحقا حتى
 نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض) أي اعراض من لا يبالي (عن المشركين)
 بالصفح الجليل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ولا تلتفت الى لومهم اباله على اظهار الدعوة قال
 بعض المفسرين كالبعوى وهذا منسوخ بآية القتال قال الرازي وهو ضعيف لأن معنى هذا
 الاعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا * ولما كان هذا الصدع في غاية الشدة عليه صلى
 الله عليه وسلم لكثرة ما يلقي عليه من الاذى خفف عنه سبحانه وتعالى بقوله معللا له (انا) أي
 بمالئامن العظمة والقدرة (كفيناك المستزئين) أي شر الذين هم عريقون في الاستهزاء وهم
 خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والاسود
 ابن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث ووصف سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله تعالى (الذين
 يجعلون مع الله الها آخر) وقيل ليس بصفة بل مبتدأ وتضمنه معنى الشرط - قلت القاء في خبره

وهو (فسوف يعاين) أي عاقبة أمرهم في الدارين * ولما ذكر سبحانه وتعالى أن قومه
يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون قال له تعالى (ولقد نعلم) أي تحقق وقوع علمنا (أنك)
أي على مالك من العلم وسعة البطان (يضيق صدرك) أي يوجد ضيقه ويتجدد (بما يقولون)
أي من الأسهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لأن الجملة البشرية والمزاج الانساني يقتضي
ذلك فعند هذا قال تعالى (فصبح) ملتبسا (بمحمد دربك) أي نزهه عن صفات النقص وقال
الضحاك قل سبحان الله وبمحمد و قال ابن عباس فصل يأمر ربك (وكن من الساجدين) أي
من المصلين روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حربه أمر فزع إلى الصلاة وقدمت معناه في
سورة البقرة * (تنبيه) * اختلف الناس كيف صار الاقبال على الطاعات سبباً لزال ضيق
القلب والحزن فقال العارفون المحققون إذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات يتنور
باطنه ويشرق عليه وينفصح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا
يلتفت اليها وقال بعض الحكماء إذا نزل بالانسان بعض المكروه فزع إلى الطاعات فكأنه
يقول يا رب يجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو أقميتني في المكروهات فأنا عبد لم يبين
يديك فافعل بي ما تشاء (واعبد دربك حتى يأتيك اليقين) قال ابن عباس يريد الموت وتسمى
الموت يقيناً لأنه أمر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حياً وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى
الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن أسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (فان قيل) أي فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد
يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات (أجيب) بأن المراد منه واعبد ربك في جميع زمان
حياتك فلا تخل لحظة من لحظات الدينام بهذه العبادات وعن عمر رضي الله عنه قال نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً عليه اهتاب كبش قد نطق به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب
الطعام والشراب ولقد رأيته عليه حلة ثراها أو قال شريته له بما تقي درهم فدعاه حب
الله وحب رسوله إلى ما ترون وما رواه البيضاوي تبعاً للزحشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستترين
بحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

﴿سورة النمل مكية﴾

الاقوله تعالى وان عاقبهم الى آخر السورة وحكي الاصم عن بعضهم أنها كلها مكية وقال آخرون
من أولها إلى قوله كن فيكون مدني وما سواه مكي وعن قتادة بالعين وكس وتسمى سورة النمل
والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزه عن
شوائب النقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النمل لما ذكر من شأنها في دقة الفهم في ترتيب

بيوتها ورحبها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسائها وجعله شفاء مع أكلها
 من الثمار النافعة والضارة وغير ذلك من الأمور ووسمها بالنعم واضح وهي مائة وعشرون
 آية وألفان وعشمان وأربعون كلمة وعددها سبع مائة وسبعة آلاف وسبعة مائة وسبعة آلاف
 (بسم الله) أي المحيط بآخرة الكمال فباشاء فعل (الرجن) أي الذي عمت نعمته جلجل خلقه
 وحقيقه صغيره وكبيره (الرحيم) أي الذي خص من شاء بنعمته النجاة عما يسخطه عياريه وقوله
 تعالى (أتى أمر الله) فيه وجهان أحدهما أنه ماض لفظا مستقبلا معنى إذا المراد به يوم القيامة
 وأغما برزه في صورة ما وقع وانقضى تحقيقه له وصدق المخبر به والشأن أنه على بابها والمراد
 مقدماته وأوائله وهو نصر رسوله صلى الله عليه وسلم أي جاء أمر الله ودنا وقرب فانه يقال في
 الكلام المستأنه قد أتى ووقع اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع يقال لمن طلب الاعانة
 وقرب حصولها جاء له الغوث أي أتى أمر الله وعدا (فلا تستجبلوه) وقوا عاقل بحجته فانه واقع
 لا محالة روي أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعيه السبابة
 والوسطى قال ابن عباس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة * ولما مر
 جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم قالوا الله أكبر قامت الساعة وروى
 أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا أي محمد أصلى الله عليه وسلم يزعم
 أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تقولون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا
 ما نرى شيئا فنزل اقتراب اللئاس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى
 شيئا مما نتخو فتابه فنزل أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم
 وظنوا أنهم اقدأت حقيقة فنزل فلا تستجبلوه فاطمأؤا فكان الكفار قالوا سلنا لك يا محمد إلا أنا
 نعبد هذه الاصنام لنشفع لنا عند الله تعالى فنخلصنا من هذا العذاب المحكوم به فأجابهم الله
 تعالى بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزيها له (وتعالى عما يشركون) أي تبرأ سبحانه وتعالى بالاوصاف
 الحميدة عن أن يكون له شريك في ملكه وقرأ آخرة والكسائي أي بالامالة وقرأ ورش بالفتح وبين
 اللفظين والباقون بالفتح وقرأ آخرة والكسائي عما يشركون في الموضعين بالتاء على وفق قوله
 فلا تستجبلوه والباقون بالياء على الغيبة على تلوين الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أولهم
 وغيرهم * ولما أجاب سبحانه وتعالى الكفار عن شبهتهم بقوله تنزيها لنفسه عما يشركون وكان
 الكفار قالوا هب ان الله تعالى قضى على بعض عبيده بالشر وعلى آخرين بالخير ولكن كيف
 يمكنك أن تعرف هذه الأمور التي لا يعلمها إلا الله تعالى وكيف صرت تبحث تعرف أسرار
 الله تعالى وأحكامه في ما كرهه وملكوته فأجابهم الله تعالى بقوله (ينزل الملائكة) قال ابن عباس
 يريد بالملائكة جبريل وحده قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع إذا كان ذلك الواحد رئيسا
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وتخفيف الزاى والباقون بتشديد ها والمراد (بالروح) الوحى أو القرآن
 فان القلوب تحيا به من موت الجهالات وقوله تعالى (من أمره) أي بإرادته حال من الروح (على
 من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أنه)

أى الشان (لآله إلا أنا) أى لا اله غيرى وقوله تعالى (فاتقون) أى خافونى رجوع الى مخاطبتهم
 بما هو المقصود * (تنبيه) * فى قوله تعالى ان أنذروا ثلاثة أوجه أحدها أنها المفسرة لأن
 الوحي فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوحي قال تعالى وكذلك أوحينا اليك
 روحا من أمرنا الثانى أنها المحففة من الثقبيلة واعمها ضمير الشأن محذوف الثالث أنها
 المصدرية التى من شأنها نصب المضارع ووصلت بالامر كقولهم كتبت اليه بأن قم والآية تدل
 على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وان النبوة عطاءة * ولما وُحِدَ سبحانه وتعالى نفسه ذكر
 الآيات الدالة على وحدانيته من حيث انه اندل على أنه تعالى هو الموجد لا اصول العالم
 وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة بقوله تعالى (خالق السموات) أى التى هل السقف المظلل
 (والارض) أى التى هى البساط المقل (بالحق) أى أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع
 وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى) أى تعاليات الوصف (بما يشركون) به
 من الاصنام * ولما كان خلق السموات والارض غيبا تقدمه وكان خلق الانسان على هذه
 الصفة شهادة فتكون أقوى فى الدلالة على وحدانيته تعالى قال تعالى (خلق الانسان) أى
 هذا النوع (من نطفة) أى آدم عليه السلام من مطلق الماء ومن تفرع منه بعد نزول وجه حواء
 من ماء مقيد بالدق الى أن صيره قويا شديدا (فأذا هو خصيم) أى شديد الخصومة (مبين) أى
 بينها روى أن أبى بن خلف الجعفى وكان يشكر البعث جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم
 رميم فقال تزعم يا محمد أن الله يحيى هذا العظم بعد ما قدرتم فترت هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله
 تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم قال الخازن فى تفسيره والصحيح ان الآية عامة فى كل
 ما يقع فيه الخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وجلها على الغيوم أولى ولما كان أشرف الاجسام
 الموجودة فى العالم السفلى بعد الانسان سائر الحيوانات وأشرفها الانعام ذكرها بقوله تعالى
 (والانعام) أى الازواج الثمانية الضأن والمعز والابل والبقر ونصبه بفعل يفسره
 (خلقها) قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال (لكم فيها دفء)
 أى ما يدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار قال
 ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها
 دفء قال الرازى قال صاحب النظم وأحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله تعالى خلقها
 والدليل عليه أنه عطف عليه ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال * ولما
 ذكر تعالى الانعام ذكر لها أنواعا من المنافع الاول قوله تعالى لكم فيها دفء النوع الثانى
 قوله تعالى (ومنافع) أى ولكم فيها منافع من نسلها ودرها وركوبها والجل عليها وسائر
 ما ينتفع به من الانعام وانما عبر تعالى عن ذلك بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف
 الاعم لأن الدر والذسل قد ينتفع به فى الاكل وقد ينتفع به فى البيع بالنقود وقد ينتفع به بأن
 يسدل بالثياب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل
 النوع الثالث قوله تعالى (ومنهاتا كلون) فان قيل تقديم الظرف يفيد الحصر لأن تقديم

الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (أجيب) بأن الأكل من هذه الانعام هو الذي يعتده الناس في معاشهم وأما الأكل من غيرها كالذجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فليس يعتد به في الأغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الغالب في الأكل من هذه الانعام (فان قيل) منفعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم قدمت منفعة اللباس عليه (أجيب) بأن منفعة اللباس أكثر من منفعة الأكل فلهذا قدمت على منفعة الأكل (ولكم فيها جلال) أي زينة (حين تريحون) أي تردونهم من مراعيها إلى مراحيها بالعشي (وحين تسرحون) أي تخرجونهم بالغداة إلى المريع فان الألفية تنزبنهم في الوقتين وتجعل أهلها في أعين الناظرين إليها (فان قيل) لم قدمت الراحة على التسريح (أجيب) بأن الجلال في الراحة أظهر اذا أقبلت ملائى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها فمخرج أهلها به يختلف تسريحها إلى المريع فانها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع ثم تأخذ في التفرق والانتشار للمريع في البرية فليس في التسريح تحمل كافي الراحة النوع الرابع قوله تعالى (وتحمل أبقالكم) جمع ثقل وهو متاع المسافر (إلى بلد) أي غير بلدكم أوردتم السفر إليه (لم تكونوا بالغيه) أي غير واصلين إليه على غير الأبل (الابشق الانفس) أي الأبكفة ومشقة والشق بكسر الشين نصف الشيء أي لم تكونوا بالغيه إلا بقصصان قوة النفس وذهاب نصفها وقال ابن عباس يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإلى مصر قال الواحدى والمراد كل بلد لو تكلفتم بالوغه على غير أبل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لأن متساعراً أهل مكة كانت إلى هذه البلاد (فان قيل) المراد من قوله تعالى والانعام خلقها لكم الأبل فقط بدليل أنه وصفها إلى آخر الآية بقوله وتحمل أبقالكم إلى بلد وهذا الوصف لا يليق إلا بالأبل (أجيب) بأن المقصود من هذه الآيات تعدد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصل في الكل وبعضها مختص ببعض والدليل عليه أن قوله ولكم فيها جلال حاصل في البقر والغنم مثل حصوله في الأبل * (تنبيه) * احتج منكر وكرامات الأولياء بهذه الآية فانهم ادل على أن الإنسان لا يمكنه الانتقال من بلد إلى بلد إلا بشق النفس وحمل الأثقال على الأبل ومشتوا الكرامات يقولون أن الأولياء قد يتقلون من بلد إلى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة وكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلاً واذ بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول به في سائر الصور اذ لا قائل بالفرق وأجاب المثبتون بأننا خص عموم هذه الآية بالأدلة الدالة على وقوع الكرامات (إن ربكم) أي الموجد لكم والمحسن إليكم (لرؤف) أي بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بما يرضيه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد (رحيم) أي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب وقوله تعالى (والخيل) أي الصاهلة وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط (والبغال) أي المتولدة بينها وبين الجير (والخير) الناهقة عطف على الانعام أي وخلق هذه الحيوانات (لتزكوها) أي لأجل أن تزكوها وفي نصب قوله تعالى (وزينة) أوجه أحدها أنه مفعول من أخله وانما وصل الفعل إلى

الأول باللام في قوله تعالى لتركبوها والى هذا بنفسه لاختلاف شرطه في الاقل وهو عدم اتحاد
 الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب مخاطبون بخلاف الثاني الثاني انها منصوبة
 على الحال وصاحب الحال اتمام فعول خلقها واما فعول لتركبوها فهو مصدر اقيم مقام
 الحال الثالث أن يتصب بتقدير فعل قدره الزمخشري بقوله وخلقه ازينه وقدره ابن
 عطية وغيره بقولهم وجعلها زينة الرابع أنها مصدر افعول محذوف أى وتزينون بها زينة
 * (تنبيه) * احتج القائلون وهم ابن عباس والحاكم وأبو حنيفة ومالك بتحريم لحوم الخيل
 بهذه الآية قالوا منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان
 هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكره تعالى علمنا أنه يحرم أكله لان الله تعالى خص الانعام
 بالاكل حيث قال تعالى ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعملنا أنها
 مخلوقة للركوب لا للاكل واحتج القائلون باباحة أكل اللحم من الخيل وهم سعيد بن جبير
 وعطاء وشريح والحسن والشافعي بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى
 عنهم ما قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة وبما روى
 عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجر الاهلية وأذن في
 الخيل وفي رواية أن كانا في زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم
 عن الجمار الاعلى هذه رواية البخارى ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل
 والبغال والحمر وكأنا قد أصابنا منحة فمننا النبي صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمر ولم ينهنا
 عن الخيل وأجابوا عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها محتصة بذلك
 وانما خص هاتين المنفعتين بالذكر لانهما معظم المقصود ولهذا سكت عن حمل الاثقال على
 الخيل مع قوله تعالى في الانعام ونحمل أثقالكم ولم يلزم من ذلك تحريم الاثقال على الخيل وقال
 الواجدى لودت هذه الآية على تحريم أكل هذا الحيوان لكان تحريم أكلها معلوما في
 مكة لاجل أن هذه السورة مكية ولو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين أن
 لحوم الجر الاهلية حرمت عام خير رأى وذلك في المدينة باطلا لان التحريم لما كان حاصلا قبل
 هذا اليوم لم يكن تخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة قال الرازى وهذا جواب
 حسن متين وقال ابن الخازن والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة
 للكتاب * ولما كان نص الآية يقتضى أن الخيل والبغال والحمر مخلوقة للركوب والزينة
 وكان الاكل مسكوتا عنه ودار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم
 الخيل وتحريم لحوم البغال والحمر أخذنا به جميعا بين النصين * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه
 الانواع من الحيوان ذكر باقيها على سبيل الاجمال بقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) وذلك
 لان أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان
 في شرح عجائب أحوالها لكان المذكر ربع كتبه المجلدات الكثيرة كالفطرة في البحر فكان
 أحسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء

ومقاتل والضخالة عن ابن عباس أنه قال إن عن يمين العرش نهران نور مثل السموات السبع
والارضين السبع والجوار السبعة يدخل فيه جبريل كل يوم ويغتسل فيزداد نورا الى نوره
وجالا الى جماله ثم ينقض فيخلق الله تعالى من كل نقضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل
كل يوم منهم سبعون ألفا البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا لا يعودون اليه الى
أن تقوم الساعة سبحانه من له هذا الملك العظيم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وفسر
قادة الآية بالسوس في النبات والدود في القواكه وفسرها بعضهم بما أعد الله تعالى لاهل
الجنة في الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * ولما شرح الله تعالى
دلائل التوحيد قال تعالى (وعلى الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (قصده السبيل) أي بيان
الطريق المستقيم انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها اراحة للعدل وازالة للعلل ليلك من هلك
عن بينة ويحجي من حجي عن بينة والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال
(ومنها) أي السبيل (جائر) أي حائد عن الاستقامة (فان قيل) هذه الآية تدل على أن الله
تعالى يحب عليه الارشاد والهداية الى الدين وازاحة العلل والاعذار كما قال به المعتزلة لانه
تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على الوجوب قال تعالى والله على الناس حج البيت
(أجيب) بأن المراد على الله تعالى بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب
الصحيح (فان قيل) لم غير أسلوب الكلام حيث قال في الاول وعلى الله قصد السبيل وفي الثاني
ومنها جائر دون وعليه جائر (أجيب) بأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر
انما جاء بالعرض ثم قال تعالى (ولو شاء) هدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (أجمعين)
فتمتدنون اليه باختيار منكم قال الرازي وهذا يدل على أن الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما
أراد منهم الايمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لاتقاء غيره * ولما ذكر تعالى نعمه على عباده بخلق
الحيوانات لاجل الانتفاع وازينة عقبه بذكر انزال المطر لانه من أعظم النعم على عباده فقال
(هو) أي لا غيره مما تدعى فيه الالهية (الذي أنزل) أي بقدرته الباهرة (من السماء) اما
من نفسها أو من غيرها أو من جهتها أو من السحاب كما هو شاهد (ماء) أي واحد اتحدت
بالذوق والبصر (لكم منه) أي من ذلك الماء (شراب) أي تشربونه وقد بين تعالى في آية
أخرى أن هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي (فان قيل) ظاهر هذا أن
شرابنا ليس الا من المطر (أجيب) بأنه تعالى لم ينف أن يشرب من غيره وبتقدير الحصر لا يمنع
أن يكون الماء العذب تحت الارض من جملة ماء المطر سكنه الماء بدليل قوله في سورة المؤمنون
وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكاه في الارض (ومنه) أي من الماء (شجر) أي ينبت بسببه
والشجر هنا كل نبات من الارض حتى الكلاء وفي الحديث لاتأكلوا من الشجر فانه
سحت يعني الكلاء (فان قيل) قال المفسرون في قوله تعالى والتجيم والشجر يسجدان المراد
من التجيم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق (أجيب) بأن عطف الجنس
على النوع وبالضد مشهور وأيضا فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط

أصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرياح إذا اختلطت وقال تعالى حتى يحكموا فيها شجر
 بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلأ فوجب إطلاق لفظ الشجر عليه ويصح
 أن يكون المراد بالشجر هنا ماله ساق لأن الأبل تقدر على رمي ورق الأشجار البكار وحينئذ
 فإطلاق الشجر على الكلأ مجاز (فيه) أي الشجر (تسمون) أي ترعون مواشكم يقال أستم
 المشيمة إذا خليتها ترعى وسامت هي إذا رعت حيث شئت قال الزجاج أخذ ذلك من
 السومة وهي العلامة لأنم تؤثر في الأرض برعيها علامات وقال غيره لأنم تعلم الأرض في
 الرعي * ولما ذكر تعالى الحيوانات تفصيلاً واجبالاً ذكر الثمار تفصيلاً واجبالاً بقوله تعالى
(ينبت أي الله لكم به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والخيول والأعناب ومن كل
الثمار) فبعد أن ذكر الزرع وهو الحب الذي يفتات به كالخطة والشعير والارز لان به قوام
البدن وثى يذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن وبارك فيه وثالث يذكر النخيل لأن غرها
غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنه شبيه النخيل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر
تعالى سائر الثمار اجبالاً لنبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده لأن الحبة
الواحدة تقع في الطين فإذا مضى عليها مقدار معين من الوقت نفذ في داخل تلك الحبة أجزاء
من رطوبة الأرض ونذاوتها فتفتخ الحبة فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة
شجرة صاعدة من داخل الأرض إلى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الأرض
وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة ثم أن تلك الشجرة لاتزال تزداد وتنمو وتقوى ثم
تخرج منها الأوراق والأزهار والأكام والثمار ثم أن تلك الثمرة تشتمل على أجسام مختلفة
الطباع مثل العنب فإن قشره وعجمه باردان يابسان كشيئان ولحمه وماءه حاران رطبان لطيفان
والى ذلك الإشارة بقوله تعالى (أن في ذلك لآية) بينه على أن فاعل ذلك تام القدرة بقدر على
الاعادة وأنه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريد وإنما تحصل معرفة ذلك (لقوم يتفكرون)
فما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته فيؤمنون * ثم ذكر سبحانه وتعالى أشياء تدل على أنه
الفاعل المختار بقوله تعالى (وسخر لكم) أي أيها الناس لإصلاح أجوالكم (الليل) للسكنى
(والنهار) للمعاش ثم ذكر آية النهار فقال (والشمس) أي لمنافع اختصاصها ثم آية الليل
فقال (والقمر) لأمور علقها به (والنجوم) أي الآيات نصبها لها * ثم نبه على تغيرها بقوله
تعالى (مسخرات) أي بأنواع التغير لما خلقها له على أوضاع دبرها (بأمره) أي بإرادته
سبب إصلاحكم وصلاح ما به قواكم دلالة على وحدانيته تعالى وفعله بالاختيار ولو شاء تعالى
لأقام أسباباً غيرها وأعنى عن الأسباب وقرأ ابن عامر برفع الأربع وهي الشمس والقمر
والنجوم ومسخرات على الابتداء والخبر ووافقه حفص في الاثنين الأخيرين والنجوم مسخرات
لا غير والباقيون بالنصب عطفاً على ما قبله في الثلاثة الأولى وفي الرابع وهو مسخرات
على الحال * ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الأشياء وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم
ذلك بقوله (أن في ذلك) أي التسخير العظيم (آيات) أي دلالات متعددة كثيرة عظيمة

(لقوم يعقلون) أي يتدبرون فيعلمون أن جميع الخلق تحت قدره وقدرته وتسخره لما أرادهم منهم وقوله تعالى (وما ذرا) أي خلق (لكم في الأرض) عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات وقيل أنه في موضع نصب بفعل محذوف أي وخلق هكذا قدره أبو البقاء وكأنه استبعد تسلط سخر على ذلك فقد رفع لائقا وقوله تعالى (مختلفا) حال منه وقوله تعالى (ألوانه) أي في الخلقة والهيئة والكيفية فاعل به (أن في ذلك لآية لقوم يذكرون) أي يتعظون * (تنبيه) * ختم تعالى الآية الأولى بالتفكير لأن ما فيه يحتاج إلى تأمل ونظر وختم الثانية بالعقل لأن مدار ما تقدم عليه وختم الثالثة بالتذكر لأنه نتيجة ما تقدم وجع الآيات في الثانية دون الأولى والثالثة لأن ما ينطبع بها أكثر ولذلك ذكر معها العقل * ولما استدل سبحانه وتعالى على إثبات الآلهة وألأجرام السموات والأرض وثانيها يبدن الإنسان وثالثها بجائز خلقه الحيوان ورابعها بجائز النبات ذكر خامسها بجائز العناصر وبدأ بالاستدلال بعنصر الماء بقوله تعالى (وهو) أي لا غيره وقرأ قالون وأبو عمر والكسائي بسكون الهاء والباقيون بضمها (الذي سخر البحر) أي ذلله وهبها لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر وغير ذلك قال علماء الهيئة ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في الماء فذلك هو البحر المحيط وجعل في هذا الزرع المسكون سبعة أبحر قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر والبحر الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار فمن تسخيرها للخلق ما مر ومنه جعلها بحيث يتمكن الناس من الاتقاء بها بالركوب والغوص وبغير ذلك فنافع البحار كثيرة وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع الأولى قوله تعالى (لنا كما وامنه) أي بالاصطيد وغيره من لحوم الأسماك (لحماطريا) لا تجد أنعم منه ولا ألين وهو أرطب اللجوم فيسرع إليه الفساد فيبادر إلى أكله عند باقي ذلك دلالة على كمال قدرته تعالى وذلك أن السمك لو كان كاه ما لحما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لأنه لما خرج من البحر الملح اللحم الطري في غاية العذوبة علم أنه يخلق الله وقدرته لا يحسب الطبع وعلم بذلك أن الله تعالى قادر على إخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى (وتسخر جوامينه) أي يجهدكم في الغوص وما يتبعه (حلية) أي اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) أي نسأوكم وهن بعضكم فكان اللابس أنتم ولأن زينة النساء بالخلي انما هو لأجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) أي السفن (مواسر) أي تنخر الماء أي تشقه ببحريها (فيه) أي مقبله ومدبرة وذلك أنك ترى سفينتين أحدهما تقبل والآخرى تدبر بربح واحدة وقال مجاهد تنخر الرشح السفن يعني أنها إذا جرت يسمع لها صوت وقال الحسن مواسر يعني ملوأة متاعا وقوله تعالى (ولتبغوا) أي لتطلبوا عطف على تاركوا وما بينهم اعتراض وقيل عطف على محذوف تقديره لتبتغوا بذلك ولتبغوا (من فضله) أي من سعة رزقه بركوبهم للتجارة والوصول إلى البلدان الشاسعة (ولعلكم تشكرون) الله على هذه النعم التي أنتم عاجزون عنها ولا تسخره ثم انه تعالى ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الأرض بقوله تعالى (وأنقى

في الارض رواسي) أي جبال الاثواب (أن تميد) أي كراهة أن تميل وتضطرب (بكم) وقيل
 لثلاثين بكم والاول قدره البصريون والثاني قدره الكوفيون وقد تقدم مثل ذلك في قوله
 تعالى بين الله لكم أن تضلوا روى أن الله تعالى خلق الارض فجعلت عمود فقالت الملائكة
 ما هي عمود أخذ على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدرك الملائكة ثم خلقت وقوله تعالى
 (وأنها) عطف على رواسي لأن الالتقاء بمعنى الخلق والجمع ألا ترى أنه تعالى قال في آية
 أخرى وجعل فيها رواسي من فوقها وقال تعالى وألقيت عليك محبة مني وذكر تعالى الانهار
 بعد الجبال لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (و) جعل لكم فيها (سبلا) أي
 طرقا مختلفة تسلكون فيها أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان
 (لعلكم تهتدون) أي تلك السبل الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى فلا تضلوا (و) جعل
 لكم فيها (علامات) أي من الجبال وغيرها جاعلة علامة تهتدون بها في أسفاركم * ولما كانت
 الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأوضحها برا وبحرا يلاونها رابنه على عظمها بالآيات الى مقام
 الغيبة لأفهام العموم للتأليف أن الخطاب مخصوص والامر لا يتعداه فقال تعالى (وبالنجم)
 أي الجنس (هم) أي أهل الارض كاهم وأولى الناس بذلك المخاطبون وهم قريش ثم العرب
 كلها القطر معرفتهم بالنجوم (يهتدون) وقدم الجبار تنبيهها على أن الدلالة بغيره بالنسبة اليه
 سافله وقيل المراد بالنجم الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقيل الضمير لقريش لأنهم
 كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم * ولما ذكر سبحانه
 وتعالى من عجائب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكانت
 هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته
 وأنه تعالى المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادة الله واشتغل بعبادة
 هذه الاصنام العاجزة التي لا تنفع ولا تضر ولا تقدر على شيء (أفمن يخلق) أي هذه الاشياء
 الموجودة وغيرها (كن لا يخلق) شيئا من ذلك بل على ايجاد شيء ما فكيف يليق بالعقل أن
 يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة وترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى (فان قيل) ذلك
 الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان
 حق الزام أن يقال أفمن لا يخلق كن يخلق (أجيب) بأنهم لما جعلوا غير الله مثل الله تعالى
 في تسميته باسمه والعبادة له وسوا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوا بها
 فأنكر عليهم ذلك بقوله تعالى أفمن يخلق كن لا يخلق (فان قيل) من لا يخلق ان أريد به جميع
 ما عبد من دون الله كان ورود من واضحا لان العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع عن ولو جى
 أيضا بما لجاز ان أريد به الاصنام فلم يخفى على من لا يخلق هو لا يخلق (أجيب) بأنهم سموها
 آلهة وعبدوها فأجرها مجرى أولى العلم ألا ترى الى قوله تعالى على اثره والذين تدعون من
 دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والى قول الشاعر
 بكيت الى سرب القطا اذ مررت بي * فقلت ومثلي بالنكاح جدير

أَسْرَبَ الْقَطَاحِلُ مِنْ بَعِيرِ جَنَاحِهِ * لَعَلَّ إِلَى مِنْ قَدْ هَوَيْتَ أَطِيرُ
وَكُلَّ قَطَاةٍ لَا تَعِيرُ جَنَاحَهَا * نَعِيشُ بِذِلِّ وَالْجَنَاحِ قَصِيرُ

فَأَوْقَعُ مِنْ عَلَى سَرَبٍ لِمَا عَامَلَهُ مَعَامِلَةُ الْعُقُلَاءِ وَقِيلَ لِلْمَشَاكَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَخْلُقُ وَقِيلَ
الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ يَخْلُقُ لَيْسَ كَنْ لَا يَخْلُقُ مَنْ أَوَّلَى الْعِلْمُ فَكَيْفَ بِمَا لَا عِلْمَ عِنْدَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى أَلَهُمْ أَرْجُلُ
يَمْشُونَ بِهَا يَعْنِي أَنَّ الْأَلْهَةَ حَالَهُمْ مَخْطُوعَةٌ عَنْ حَالِ مَنْ لَهُمْ أَرْجُلُ وَأَيْدٍ وَأُذَانٌ وَقُلُوبٌ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ
أَحْيَاءُ وَهُمْ أَمْوَاتٌ فَكَيْفَ تَصِحُّ لَهُمُ الْعِبَادَةُ إِلَّا أَنَّهُمْ لَوْ صَحَّتْ لَهُمْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ لَصَحَّ أَنْ يَعْبُدُوا
* وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَدْرُ ظَاهِرًا غَيْرَ خَافٍ عَلَى أَحَدٍ فَلَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَدْقِيقِ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ بَلْ
يَجْزِي التَّذَكُّرُ فِيهِ كَفَايَةً تَنْفَهُمْ وَعَقْلُ خَتَمَ تَعَالَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بِمَا شَهِدَ وَهُوَ
مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ قَدْ وَثَّقُوا * (تَبَيَّنَ) * احْتِجَّ أَهْلُ السُّنَنِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ
غَيْرَ خَالِقٍ لِأَفْعَالِ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ تَعَالَى مِيزَ نَفْسَهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَعْبُدُوهَا بِصِفَةِ الْخَالْقِ لِقَوْلِهِ
الْفَرْضُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَنْ لَا يَخْلُقُ بَيَانُ تَمِيزِهِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِصِفَةِ الْخَالْقِ وَهُوَ أَنَّهُ
اسْتَحَقَّ الْإِلَهِيَّةَ وَالْعِبَادِيَّةَ لِكُونِهِ تَعَالَى خَالِقًا وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ الْعَبْدَ لَوْ كَانَ خَالِقًا لَشَيْءٍ لَوَجِبَ
كُونُهُ لَهُمَا عِبُودًا وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ بَاطِلًا عَلِمْنَا أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخَلْقِ وَالْإِبْجَادِ وَلَمَّا
كَانَتْ الْمَقْدُورَاتُ لَا تَحْصَى وَأَكْثَرُهَا نِعَمٌ عَلَى الْعِبَادِ مَذْكُورَةٌ لَهُمْ بِخَالْقِهِمْ قَالَ مُتَسَائِلُهُمْ بِأَحْسَنِهِ
مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُمْ (وَأَنْ تَعْبُدُوهُ) كَلِمَةُ (نِعْمَتُ اللَّهِ) أَيُّ أَنْعَامِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَا رُبَّ
غَيْرِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَعَاقِبَةِ الْجَسْمِ وَأَعْطَا النُّظَرَ الْحَسْبَ وَالْعَقْلَ السَّامِعَ وَبَطَشَ الْيَدَيْنِ
وَمَشَى الرَّجْلَيْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ وَمَا خَلَقَ لَكُمْ عَمَّا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا
حَتَّى لَوْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَعْرِفَةَ أَذْنِي نِعْمَةٍ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ لَعَجَزَ عَنْهَا وَعَنْ مَعْرِفَتِهَا وَحَصْرِهَا فَإِنْ تَبِعَهَا
بِقُوَّةِ الْحَصْرِ (لَا تَحْصُوهَا) أَيُّ لَا تَنْضُبُ طَوَاعِدُهَا وَلَا تَبْلُغُهُ طَاقَتُكُمْ مَعَ كَثْرَتِهَا وَأَعْرَاضُكُمْ
بِجَلِّهِ عَنْ شُكْرِهَا وَالْعَبْدُ إِذَا أَنْعَمَ نَفْسَهُ فِي الْقِيَامِ بِالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَبَالَغَ فِي شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ
تَعَالَى فَإِنَّهُ يَكُونُ مُقْصِرًا لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ كَثِيرَةٌ وَأَقْسَامُهَا عَظِيمَةٌ وَعَقْلُ الْخَلْقِ قَاصِرٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ
بِعِبَادِيهِ أَفْضَلًا عَنْ غَايَتِهَا لَكِنِ الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ مَفْصُلًا
وَبِجْمَلِهَا (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ) أَيُّ لَمْ يَقْصِرْكُمْ فِي الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا يَعْنِي النِّعْمَةَ كَمَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ (رَحِيمٌ)
بِكُمْ فَوَسَّعَ عَلَيْكُمْ النِّعْمَ وَلَمْ يَقْطَعْهَا عَنْكُمْ بِسَبَبِ التَّقْصِيرِ وَالْمَعَاصِي وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَكُونُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ) فِيهِ وَجْهَانِ الْأَوَّلُ أَنَّ الْكُفَّارَ مَعَ كُفْرِهِمْ كَانُوا يَسْرُونَ أَشْيَاءَ وَهُوَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَعْلَمُونَ أَيُّ وَمَا يَظْهَرُونَ مِنْ أَذَاهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ أَحْوَالِهِمْ سِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَأَنْ دَقَّتْ
وُخْفِيَّتْ وَالْوَجْهَ الثَّانِي أَنَّهُ تَعَالَى لِمَا ذَكَرَ الْأَصْنَافَ وَذَكَرَ عَجْزَهَا فِي الْآيَةِ الْمَقْدَمَةِ ذَكَرَ فِي هَذِهِ
الْآيَةِ أَنَّ الْإِلَهَ الَّذِي يَسْتَحَقُّ الْعِبَادَةَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكُلِّ الْمَعْلُومَاتِ سِرِّهَا وَبِجَهْرِهَا وَهَذِهِ
الْأَصْنَافُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَلَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ * ثُمَّ وَصَفَ تَعَالَى هَذِهِ الْأَصْنَافَ بِصِفَاتِ الْأَوَّلَى
مَذْكُورَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) أَيُّ تَعْبُدُونَ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيُّ الْأَصْنَافِ وَتَعْتَقِدُونَ

انها آلهة وقرأعاصم بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (لا يخلقون شيئاً وهم
 يخلقون) أى يصورون من الحجارة وغيرها (فان قيل) قوله تعالى فى الآية المتقدمة أفن يخلق
 كمن لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيئاً وهم يخلقون وهذا هو المعنى المذكور فى تلك
 الآية المذكور فافائدة هذا التكرار (أجيب) بأن فائدته أن المعنى المذكور فى الآية
 المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور فى هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون
 كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار فكأنه تعالى بدأ بشرح نقصهم فى ذواتهم
 وصفاتهم فبين أولاً أنهم لا تخلق شيئاً ثم بين ثانياً أنها كما لا تخلق غيرها فهى مخلوقة كغيرها
 الصفة الثمانية قوله تعالى (أموات) أى جمادات لا روح لها (غير أحياء) اذ الاله الذى يستحق
 أن يعبد هو الحى الذى لا يموت (فان قيل) علم من قوله أموات أنها غير أحياء فافائدة فى ذكره
 (أجيب) بأن من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التى ينشئها الله تعالى حيوانا
 وأجساد الحيوانات التى تتبع بعد موتها وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك
 أعرق فى موتها وقيل ذكر للتأكيده لأن الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم فى نهاية
 الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة
 وغرضه الاعلام بكون المخاطب فى غاية الغباوة فى أنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة
 الصفة الثالثة قوله تعالى (وما يشعرون) أى الاصنام (أيان) أى وقت (يعنون) أى وما تعلم
 هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء ثم كما يحالها لان شعور الجاد محال فكيف بشعور ما لا يعقله
 حتى الآلى القيوم سبحانه وتعالى وقيل الضمير راجع للاصنام قال ابن عباس ان الله تعالى
 يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطين فيؤمر بالكل الى النار قيل المراد بقوله تعالى
 والذين تدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم
 أموات أى لا بد لهم من الموت غير أحياء أى باقية حياتهم وما يشعرون أى لا علم لهم بوقت
 بعثهم * ولما زيف سبحانه وتعالى طريقة عبدة الاصنام وبين فساد مذاهبهم قال تعالى (آلهكم)
 أى أيها الخلق جميعا المعبود بحق (الله) أى متصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل
 أوان وكل زمان وكل مكان (واحد) لا يقبل التعدد الذى هو مثال النقص بوجه من الوجوه
 لان التعدد يستلزم إمكان التمايز المستلزم للعجز المستلزم للبعد عن رتبة الالهية (فالذين)
 أى فتسبب عن هذا أن الدين (لا يؤمنون بالآخرة) أى دار الجزاء ومحل اظهار الحكم
 الذى هو غرة الملك والعدل الذى هو مدار العظمة (قلوبهم منكورة) أى جاحدة للوحدانية
 (وهم) أى والحال أنهم يسبب انكار ذلك (مستكبرون) أى متكبرون عن الاعيان بها
 (لأجرهم) أى حقاً (ان الله يعلم) علماً غيبياً وشاهداً (ما يسرون) أى ما يخفون مطلقاً وبالنسبة
 الى بعض الناس (وما يعلنون) أى يظهرهم فيجازيهم بذلك * ولما كان فى ذلك معنى التهديد
 علل ذلك بقوله تعالى (انه) أى العالم بالسر والعلن (لا يحب المستكبرين) أى على خلقه فما
 بالمتكبرين على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى عدم محبتهم انه يعاقبهم

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغص الناس ومعنى بطر الحق أنه يستكبر عند سماع الحق فلا يقبله ومعنى غص الناس استنقاصهم وازدراؤهم * ولما بالغ سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد وأورد الدلائل القاهرة في إبطال مذاهب عبدة الأصنام قال تعالى عاظفا على قلوبهم منكورة (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وقوله تعالى (يا) استقهامية و(ذا) موصولة أي ما الذي (أنزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وسلم واختلف في قائل هذا القول فقبل كلام بعضهم لبعض وقيل قول المسلمين لهم وقيل قول المقتسمين الذين اقتسموا مذاهل سكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (قالوا) مكابرين في أنزال القرآن هو (أساطير) أي أكاذيب (الآيات) مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضتهم أقصر سورة منه مع علمهم بأنهم أفصح الناس وأنه لا يكون من أحد من الناس متقدم أو متأخر قول الا قالوا أبلغ منه (فان قيل) هذا كلام متناقض لانه لا يكون منزلا من ربههم وأساطير (أجيب) بأنهم قالوه على سبيل السخرية كقوله إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون واللام في قوله تعالى (ليحملوا) لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وذلك لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كان عاقبتهم بذلك أن يحملوا (أوزارهم) أي ذنوب أنفسهم وانما قال تعالى (كامله) لئلا يتوهم أنه يكفر عنهم شيء بسبب البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا بل يعاقبون بكل أوزارهم (يوم القيامة) الذي لا شك فيه ولا محيص عن إثباته قال الرازي وهذا يدل على أنه تعالى قد سبق قطعه بعض العقاب عن المؤمنين إذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة (و) يحملوا أيضا (من) جنس (أوزار) الجواهر الضعفاء (الذين يضلونهم) وقوله تعالى (بغير علم) حال من مفعول يضلونهم أي يضلون من يعلم أنهم ضلال أو من الفاعل وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل وانما حصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الاثم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير إذا سن سنة حسنة أو سيئة فيحتمل تبعه عليه الجماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعطيهم ثوابه وعقابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة أو السيئة والقيحة وليس المراد بأن الله يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه

الاتباع الى الرؤساء ويدل لذلك قوله تعالى ولا تزدوا زرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس
 للإنسان الا ما سعى * (تنبيه) * قال الواحدى لفظه من في قوله تعالى ومن أوزار ليست
 للتبعيض لانها لو كانت كذلك لنعص عن الاتباع بعض الاوزار وقد قال صلى الله عليه وسلم
 لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا لكنهم للجنس كما قدرت ذلك في الآية الكريمة أى ليجملوا من
 جنس أوزار الاتباع وقيل انه للتبعيض وجرى عليه اليساوى تعالى لمخشوى (الأساء) أى
 بش (ما يزدون) أى يجهلون جملهم هذا وفى هذا وعيد وتهديد لهم (فان قيل) ان الله تعالى حكى
 هذه الشبهة عن القوم ولم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فى السبب فى ذلك (أجيب) بأن
 السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقتين الأولى أنه صلى الله عليه وسلم تحداه
 أولا بكل القرآن وثانيا بعشر سور وثالثا بسورة فججزا عن المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا
 الثانى أنه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها فى آية أخرى وهى قوله تعالى اكتبها فهى على عليه بكرة
 وأصيلا وأبطلها بقوله تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ومعناه أن القرآن
 يشتمل على الاخبار بالغيوب وذلك لا يتأتى الا بمن يكون عالما بأسرار السموات والارض * ولما
 ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لاجرم
 اقتصر فى هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة ثم انه
 سبحانه وتعالى بالغ فى وصف وعيد هؤلاء الكفار بقوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم) أى من
 رأوا آثارهم ودخلوا فى ديارهم (فأتى الله) أى أمره (بنيانهم من القواعد) أى من جهة العمدة
 التى بنوا عليها مكرهم (فخر) أى سقط عليهم السقف من فوقهم (وصار سبب هلاكهم وقرأ أبو
 عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسافى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء
 وضم الميم وأما الوقف فحزرة بضم الهاء على أصله والباقون بالكسر (وآثامهم العذاب من
 حيث لا يشعرون) أى من جهة لا يتخطر ببالهم وهذا على سبيل التمثيل أى التشبيه والتخييل
 لافساد ما أبرموه من المكرب بالرسول فجعل الله هلاكهم فيما أبرموه كحال قوم نوا بنوا نوح وهدوه
 بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن تضعضت فسقط عليهم السقف فهلكوا واثخوه من
 حفر لا خبى به جبا وقع فيه منكبا وقيل هو غمر وذن كنعان حين بنى المصرح بابل لم يعد الى
 السماء قال ابن عباس كان طول المصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب كان طوله
 فرسخين فأهب الله تعالى الريح فألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي وهم تحتهم قال البغوى
 ولما سقط المصرح تبللت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا
 فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى فأتى الله
 بنيانهم من القواعد أى أتى أمرهم فخر بنيانهم من أصلها فخر عليه وعلى قومه السقف أى على
 البيوت من فوقهم فهلكوا * (تنبيه) * قال ابن الخازن فى قول البغوى وكان لسان الناس
 قبل ذلك بالسريانية نظرا لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل
 اليمن عربا منهم جرهم الذين نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان يبايل من العرب طائفة

قديمة قبل ابراهيم عليه السلام انتهى وقد يقال انه كان لسان أكثر الناس بالسريانية فلا
 ينافي ذلك (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف من فوقهم
 (أجيب) بأنهم قد لا يكونون تحته فلما قال تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم دل على انهم كانوا
 تحته وحينئذ يفيد هذا الكلام بأن الآية قد تهذمت وهم ما نوتحتها * ولما ذكر الله تعالى حال
 أصحاب المكركب في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة بقوله عز وجل (ثم يوم القيامة يخزيهم) أي يذلهم
 ويهينهم بعذاب النار (ويقول) لهم الله تعالى على لسان الملائكة توبوا (أي شركائي) أي
 في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون) أي تخالفون المؤمنين (فيهم) أي في شأنهم وقرآنهم
 بكسر الهمزة والباء تشاقوا (قال) أي يقول (الذين آمنوا ألعلم) أي من الأنبياء والمؤمنين
 وقال ابن عباس يريد الملائكة (ان تخزي) أي البلاء المذل (اليوم) أي يوم الفصل الذي يكون
 للناظر فيه العاقبة المأمونة (والسوء) أي كل ما يسوء (على الكافرين) أي الغريقين في الكفر
 الذين تكبروا في غير موضع التكبر وفائدة قوله لهم اظهروا الشجاعة وزيادة الاهانة وحكاية
 لتكون اطعما لمن سمعه * (تنبيه) في الآية دلالة على ان ماهية الخزي وماهية السوء
 في يوم القيامة تختص بالكافرين وهذا ينقي حصول هذه الماهية في حق غيرهم ويؤكد هذا
 قول موسى عليه السلام انا قد اوحى اليك ان العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف
 عذاب هؤلاء الكافرين من وجه آخر فقال سبحانه وتعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) أي
 يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه عليهم السلام وقرأ آخرة في هذه الآية وفي الآية الآتية
 بالياء في الموضعين على التذكير لان الملائكة ذكور والباقيون بالنساء على التأنيت لان لفظ
 الجمع مؤنث (ظالمى أنفسهم) أي بأن عرضوها للعذاب المخلد بكفرهم (فألقوا السلم) أي
 استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت فائنين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك وعدوان فمقول
 لهم الملائكة (بلى) أي بل كنتم تعملون أعظم السوء ثم علل تكذيبهم بقوله تعالى (ان الله
 عليهم بما كنتم تعملون) أي فلا فائدة لكم في انكاركم فيجازيكم به * ولما كان هذا الفعل
 مع العلم سببا لدخول جهنم قال تعالى (فادخلوا) أي أيها الكفرة (أبواب جهنم) أي
 أبواب طبقاتها ودرجاتها (خالدین) أي مقدرين الخلود (فيها) أي جهنم لا يخرجون منها
 وانما قال تعالى ذلك لهم ليكون أعظم في الخزي والغم وفي ذلك دليل على أن الكفار بعضهم
 أشد عذابا من بعض ثم قال تعالى (قلبتهم ممثولى) أي مأوى (المتكبرين) عن قبول التوحيد
 وسائر ما أتت به الرسل * ولما بين تعالى أحوال المكذبين ذكر أحوال الصديقين بقوله تعالى
 (وقيل للذين اتقوا) أي خافوا عقاب الله (ما نآ) أي أى شئ (أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل
 خيرا وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 فإذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر شاعر كاهن كذاب مجنون
 ولو لم تلقه خبيرك فيقول السائل أنا شروافذ ان رجعت الى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه
 فدخل منى فمضى فمضى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث

من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم الآية (فان قيل) لم رفع الاقل
 وهو قوله ثم أساطير الاولين ونصب الثاني وهو قولهم خيرا (أجيب) بأنه ذكر ذلك للفصل بين
 جواب المقرو جواب الجاحد وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه
 وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم
 لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم يتلعموا
 وطابقوا الجواب عن السؤال بينما مكشوفاً مفعولا للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم
 الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)
 أى حياة طيبة وأن الذين أتوا بالاعمال الصالحات الحسنة لهم ثواب حسنة مضاعفة من
 الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى أضعاف كثيرة وأنه تعالى بين أن اعترفهم بذلك
 الاحسان في هذه الدنيا حسنة أى جزاء لهم على احسانهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان * ولما
 كانت هذه الدار سريرة الزوال أخبر عن حالهم في الآخرة فقال (ولدار الآخرة) أى الجنة
 (خير) أى ما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى
 (ولهم دار المقيم) أى دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقال الحسن هى الدنيا لان أهل
 التقوى يتزودون فيها للآخرة وقوله تعالى (جنات) أى بساكن (عدن) أى اقامة خير مشدا
 مخدوف ويصح أن يكون مخصوص بالمدح (يدخلونها) أى تلك الجنات حالة كونها (تجزي)
 من تحتها) أى من تحت غرفها (الانهار) ثم كانت اسئلة أسأل عما فيها من الثمار وغيرها فاجيب
 بأن (لهم فيها ما يشاؤون) أى ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك فهذه الآية تبدل
 على حصول كل الخيرات والسعادات فهى أبلغ من قوله تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذذ
 الاعين لان هذين القسمين داخلان في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون مع أقسام أخرى وعلى أن
 الانسان لا يبعد كل ما يريده في الدنيا لان قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر (كذلك) أى مثل
 هذا الجزء العظيم (يجزى الله) أى الذى له الكمال كله (المتقين) أى الراغبين في صفة التقوى
 ثم حدث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت فقال (الذين تتوفاهم
 الملائكة) أى تقبض أرواحهم وقوله تعالى (طيبين) كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة
 وذلك لانه يدخل فيه اتيانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه
 كونهم موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين
 عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الاربواح
 وانهم لم تقبض الامع البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لايتألم
 بالموت وأكثر المفسرين على أن هذا التوفى هو قبض الاربواح كما مر وان كان الحسن يقول
 انه وفاة الحشر واستدل بقوله تعالى ادخلوا الجنة لانه لا يقال عند قبض الاربواح في الدنيا
 ادخلوا الجنة وأجاب الا كثرون بما سنأى وأدغم أبو عمر والناعم في الطاء بخلاف عنه فبين
 تعالى ان الملائكة (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) فتسلم عليهم وتبلغهم السلام

من الله تعالى كما روى أن العبد المؤمن إذا أشرف على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك
 يا ولي الله الله بقرأ عليك السلام ويشرح بالجنة ويقال لهم في الآخرة هذا جواب الأكرمين
 (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وأنهم لم يلبسوا بهم بالجنة صارت الجنة كما أنهم أدارهم وكانهم
 فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة أي هي خاصة لكم كأنكم فيها * ولما طعن الكفار
 في القرآن بقولهم أساطير الأولين وذكر أنواع التهديد والوعيد ثم أتبعه بذكر الوعد لمن وصف
 القرآن بكونه خيرا أعاد إلى بيان أن أولئك الكفار لا يتجزون عن كفرهم وأقوالهم الباطلة
 إلا إذا جاءتهم الملائكة أو تأتيهم أمر ربك فقال تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة)
 لقبض ارواحهم وقرأ حجة والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وتقدم توجيه ذلك (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وقيل العذاب وقيل أنهم طلبوا
 من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة
 فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك إلا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك وعلى كلا
 التقديرين فقد قال تعالى (كذلك) أي مثل ما (فعل) هؤلاء هذا الفعل البعيد الشنيع فعل
 (الذين من قبلهم) من الأمم السالفة كذبوا رسلهم فأهلكوا (وما ظلمهم الله) بأهلا بهم بغير
 ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم للرسل فاستوجبوا ما نزل بهم
 (فأصابهم) أي فتسبب عن ظلمهم لأنفسهم أن أصابهم (سبات) أي عقوبات وأجزاء سيئات
 (مأعملوا وحاق) أي نزل (بهم) ما كانوا يستهزئون تكبرا عن قبول الحق فحاق بهم جزاءه
 والحق لا يستعمل إلا الشر وقرأ حاق جزاء بالماله والباقون بالفتح (وقال الذين أشركوا)
 للنبي صلى الله عليه وسلم استهزاء ومنع البعثة والتكليف (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء)
 نحن ولا آباؤنا لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهو اعتقاد
 باطل فلذلك استحقوا عليه الذم والوعيد ثم قالوا لهم (ولا حزمنا من دونه من شيء) أي من
 السوائب والبخائر والحماي فهو راض به وبمشيئته وحينئذ فلا فائدة في مجيئك وفي إرسالك
 وهذا عين ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الأنعام في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا
 لو شاء الله الآية قال الله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي من تقدم هؤلاء من
 الكفار من الأمم الماضية كلوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل
 كان قديما في الأمم الخالية ففي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا في قوله تعالى (فهل
 على الرسل إلا البلاغ) أي الإبلاغ (المبين) أي البين فليس عليهم هداية أحدنا عليهم
 تبليغ ما أرسلوا به إلى من أرسلوا إليه * ثم بين تعالى أن البعثة أمر جرت به السنة الإلهية
 في الأمم كلها سببا الهدى من أراد اهتداه وزيادة لضلal من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه
 ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المزاج الخرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد) أي والله لقد
 (بعثنا) أي بما لنا من العظمة التي من اعترض عليها قسم (في كل أمة) من الأمم الذين من
 قبلكم (رسولا) أي كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله) أي الملك

الاعلى وحده. وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة بكسر النون في الوصل والباقون بالضم (واجتنبوا
 الطاغوت) أي الاوثان ان تعبدوها (فمنهم من هدى الله) أي وفقهم للايمان بارشاده (ومنهم
 من حقت) أي وجبت (عليه الضلالة) أي في علم الله تعالى فلم ينفعهم ولم يرددهم
 * (تنبيه) في هذه الآية اثنان دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف
 في عباده هدى من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض عليه فيما يحكم به سابق علمه ثم التفت
 سبحانه وتعالى الى مخاطبتهم اشارة الى أنه لم يبق بعد هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة
 الا الدليل المحسوس للبصر فقال تعالى (فسيروا) أي فان ~~منتم~~ أيها المخاطبون في شك
 من أخبار الرسل فسيروا (في الارض) أي جندوها (فانظروا) أي اذا مرتم ومررت
 بديار المكذبين وآثارهم ثم أشار تعالى بالاستدلال بالآثار التي هي أن أحوالهم مما يجب ان يستدل عنه
 للاعتاظ به فقال (كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (المكذبين) أي من عاد ومن بعدهم
 من الذين تلقيت أخبارهم عن قلدتهم في الكفر من أسلافكم لعلكم تعتبرون * ولما كان
 من المحقق انه ليس بعد الايصال في الاستدلال الى الامر المحسوس الا العناد أعرض عنهم
 ملتفتا الى الرؤف بهم الشفيق عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال مسأله (ان تقرر على
 هداهم) فطلبه بغاية جدته واجتهاده وقد أضلهم الله تعالى لا تقدر على ذلك ثم قال تعالى
 (فان الله لا يهدي من يضل) أي من يرد ضلاله وهو معين بان حقت عليه الضلالة وقرأ عاصم
 وحزرة والكسائي بفتح المياء وكسر الدال والباقون بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول
 قال البيضاوي وهو أبلغ ثم قال تعالى (ومآلهم) أي هؤلاء الذين أضلهم الله وجميع من يضل
 (من ناصرين) أي وليس لهم أحد ينصرهم في الدنيا والآخرة عند مجازاتهم على الضلالة
 لينقذوهم مما يلحقهم عليه من الوبال كما فعل بالمكذبين من قبلهم ثم حكى الله عن هؤلاء القوم
 انهم ينكرون الحشر والنشر بقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية ايمانهم فيها
 (لا يبعث الله من يموت) وذلك أنهم قالوا ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا
 مات وتفرقت أجزأؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا
 حقيقة بعد فنائه وعدمه فكذبهم الله تعالى في قولهم بقوله تعالى (بلى) أي يبعثهم بعد
 الموت فان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان
 وأوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده ولم يكن شيئا قادر على ايجاده بعد اعدامه لان
 النسبة الثانية أهون من الاولى وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدا ان منصوبان
 بفعلهما المقدرا أي وعد ذلك وعدا وحقه حقا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك أي لا علم لهم
 بوصولهم لذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله تعالى ولا هم
 يقبلون أقوال الدعاة اليه الذين أيدهم الله بروح منه لتقيدهم بما يوصل الى عقولهم انها
 قاصرة على عالم الشهادة لا يمكنها الترقى منه الى عالم الغيب بغير واسطة منه سبحانه وتعالى
 فلذلك ترى الانسان منهم يأبى ذلك استبعادا وهو خصم مبين وقوله تعالى (يسينهم) الذي

يختلفون فيه) يتعلق بمادل عليه بلى اى يعثهم ليسين لهمم والضمير لان يموت وهو عام للمؤمنين
والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فى قولهم
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وقولهم لا يعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا فى كل امة رسولا اى بعثناه ليسين لهمم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله
مفترين على الله الكذب ثم بين سبحانه وتعالى تسير الاعادة بقوله تعالى (انما قولنا) اى بما لنا
من العظمة والقدرة (لشئ) ابداء واعادة (اذا اردناه) ان نقول له كن فيكون) اى يتسبب عن
ذلك القول انه يكون * (تنبيه) * قوله تعالى قولنا مبتدا وان نقول خبره فيكون وكن من كان
التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا حدوث شئ فليس الا ان نقول له احدث
فيحدث عقب ذلك من غير توقف (فان قيل) قوله تعالى كن ان كان خطابا مع المعلوم فهو محال
وان كان خطابا مع الموجود فكان امر بالتجصيل الحاصل وهو محال (أجيب) بأن هذا تمثيل
لنفي الكلام والغايات وخطاب مع الخلق بما يعقلون ليس هو خطاب المعلوم لان ما اراد فهو
كائن على كل حال وعلى ما اراده من الاسراع ولو اراد تعالى خلق الدنيا والاخرة بما فيه امن
السموات والارض فى قدر لمح البصر لقد رعى ذلك ولكن خاطب تعالى العباد بما يعقلون وعن
أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يشقى ابن آدم وما ينبغى له ان يشقى ويكذبى وما ينبغى له انما شتمه اياى فيقول ان لى ولدا واما
تكذيبه فيقول ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشقى ولم يكن له
ذلك فاما تكذيبه اياى فقله ان يعيدنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته واما شتمه
اياى فقله اتخذ الله ولدا وأنا الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقرأ
ابن عامر والكسائى بفتح الزون من يكون عطف على يقول أوجوا باللام والباءقون بالرفع
ولما حكى الله تعالى عن الكفار انهم أقسموا بالله جهد أيمانهم على انكار البعث والقيامة دل
ذلك على انهم عمادوا فى النقي والجهالة والجهل والضلال وفى مثل هذه الحالة لا يعد اقدمهم
على ايداء المسلمين وانزال العقوبة بهم وحينئذ يلزم على المؤمنين ان يهاجروا من تلك الديار
والمساكن فبين تعالى حكم تلك الهجرة وما لهؤلاء المهاجرين من الحسنات فى الدنيا والاخرة
بقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله) اى فى حقه ولوجهه لا قامة دينه (من بعد ما ظلموا) وهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم ظلمهم أهل مكة فقرروا بدينهم الى
الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع الله تعالى بين المهاجرين ومنهم من هاجر الى
المدينة أو الحبش وسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال
وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل أخذهم المشركون بمكة بعد ذنوبهم
ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فكان أصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة فى شدة الحر
ويشدونه ويجمعون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه منهم أبو بكر رضى الله عنه
وأعتقه واشترى معه ستة نفر آخر وأما صهيب فقال أنا رجل كبير ان كنت معكم لم أنفعكم

وان كنت عليكم لم أضركم فاقدى منهم بحاله وهاجر فلما رآه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب
وقال عمر له نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نار الاطاعه
(انبؤتهم) أى لنزولهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) وهى المدينة وقيل للنحسن اليهم فى الدنيا بأن
نفتح لهم مكة ونسكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها وقيل أراد بالחסنة فى الدنيا
التوفيق والهداية الى الدين (ولاجرا الآخرة) وهى الجنة والنظر الى وجهه الكريم (أكبر) أى
أعظم (لو كانوا يعلمون) أى الكفار والمتخلفون عن الهجرة مالم يهاجروا من الكرامة لو افقوهم
وقيل انه راجع الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك لرادوا فى اجتماعهم وصبروا وروى أن
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ
بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله به فى الدنيا وما ادخلك فى الآخرة أفضل ثم يقرأ هذه الآية
وقوله تعالى (الذين صبروا) أى على الشدائد وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى
المجاهدة وبذل الاموال والانفس فى سبيل الله محله رفع على تقديرهم أو نصب على المدح ويجوز
أن يكون تابعا للموصول قبله نعتا أو بدلا أو ينافعه محله (وعلى ربهم يتوكلون) أى منقطعين
اليه مفوضين الامر كله اليه * (تنبيه) * ذكر الله تعالى فى هذه الآية الصبر والتوكل وهما
مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاهما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر
الطاعات واحتمال الاذى من الخلق وأما التوكل فهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه
الى الحق كما مرت الاشارة اليه فالاول هو مبدأ السلوك والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه * ونزل
لما أنكروا مشركو مكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل ان يكون رسوله
بشرا فهاهنا لا بعث ملكا الينا (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الى الامم من طوائف البشر
(الارجالا) لاملائكم بل آدميين هم فى غاية الاقدار على الصبر والتوكل الذى هو محيط
الرحال (نوحى اليهم) بواسطة الملائكة فعادة الله جارية مستمرة من أول مبتدأ الخلق الى الآن
لم يبعث رسولا الا من البشر (فاسألوا أهل الذكر) أى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
وانما أمرهم الله تعالى بسؤالهم لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد
أرسل اليهم رسلا مثل موسى وعيسى عليهما السلام من البشر وكانوا بشرا مثلهم فاذا اسالوهم
فلا بد أن يخبروهم أن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك فربما زالت هذه
الشبهة وقال ابن عباس يريد أهل التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد
الذكر يعنى التوراة والذكر هو التوراة وقال الزجاج معناه اسألوا كل من يذكرهم وتحقق
* ولما كان عندهم أحسن من ذلك سماع أخبار الامم قبلهم أشار اليه بقوله تعالى (ان كنتم
أى جملة وطبعا (لاتعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (بالبينات) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالحجج الواضحة
وقيل التقدير ان كنتم لاتعلمون بالبينات (والزبر) أى الكتب فاسألوا أهل الذكر وقيل انه
متعلق بمحذوف جواب ليسوا لم يقتدوا به قليل ثم أرسلوا فقبل أرسلوا بالبينات والزبر وقوله

تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والذكر هو القرآن وانما سمي ذكرا
 لانه موعظة وتذكير (لتبين للناس) كافة أى أعطاك الله تعالى من الفهم الذى فقت فيه
 جميع الخلق واللسان الذى هو أعظم الالسنه وأفصحها وقد أوصلك الله تعالى فيه الى رتبة
 لم يصل اليها أحد (ما نزل) أى ما وقع تنزيله (اليهم) من هذا الشرع المؤدى الى سعادة الدارين
 بتبيين المجمل وشرح ما أشكل من علم أصول الدين الذى رأسه التوحيد ومن البعث وغيره
 فان القرآن فيه محكم وفيه متشابه فالحكم يجب أن يكون مينا والمتشابه هو المجمل فيطلب بيانه
 من السنه (ولعلمهم يتفكرون) فيما أنزل اليهم اذا نظروا أساليبه الفاتقة وبعبانه العالية الرائقة
 فيعتبرون (فان قيل) ان هذه الآية تدل على أن المبين لكل التكليف والاحكام هو النبي صلى
 الله عليه وسلم فالقياس ليس بحجة (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم لما بين أن القياس حجة فن
 رجع في تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان النبي صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه اضممار تقديره المكرات
 السيئات وهم كفار قريش مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبالقرآن في أذيتهم
 والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ثم انه تعالى ذكر في تهديدهم أربعة أمور
 الاول قوله تعالى (أَن يَخْشِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كما خسف بقارون وأصحابه فاذا هم في
 بطنها لا يقدرّون على نوع تقلب بمنابعة ولا غيرها الثاني قوله تعالى (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ) على
 غير تلك الحال (من حيث لا يشعرون) به فيأتيهم بغتة فيهلكهم كما فعل بقوم لوط عليه السلام
 الثالث قوله تعالى (أَوْ يَأْخُذَهُمْ) أى الله بعذابه (في) حالة (تقاربهم) ومشاعرهم حاضرة وقواهم
 مستجمعة وفي تفسيره هذا التقلب وجوه اولها أنه تعالى يأخذهم بالعقوبة في أسفارهم فانه
 تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما أنه قادر على اهلاكهم في الحضر (فما هم بمحجزين)
 أى بفائتين العذاب بسبب ضربهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث كانوا ثانياها
 أنه تعالى يأخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وثالثها أن الله
 تعالى يأخذهم في حال ما يتقلبون في قضايا أفكارهم فيحول الله بينهم وبين اتمام تلك الحيل
 وحمل لفظ التقلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى وقلوبك الامور فانهم اذا قلبوها فقد
 تقلبوا فيها الامر الرابع قوله تعالى (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) وفي تفسير التخوف قولان الاول
 التخوف بفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى أنه تعالى لا يأخذهم بالعذاب
 أولا بل يخيفهم أولا ثم يعذبهم بعده وتلك الاخانة هو أنه تعالى يهلك قرية تغافل التي تليها
 فمأتيهم العذاب والثاني التخوف بمعنى التنقص أى أنه تعالى ينقص شيئا بعد شيء في أنفسهم
 وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذا تنقصه روى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر
 ما تقولون في هذه الآية فسكتوا فقال شيخ من هذيل هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل
 تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير
 تخوف (أى تنقص) الرجل (أى رجل ناقته) منها ما مكأ (أى سناما) قردا

(أى متراكماً ومترفعاً وهو يسكون الراء) كما تخوف عود النبعة السفن
والنبعة بالضم واحدة النبع وهو شجر يتخذ منه السفن والسفن بفتح السين والغاء ما يفتح به
الشيء وهو فاعل تخوف ومفعوله عود فقال عمر عليه السلام يدوانكم قالوا وما يدوانا قال شعر
البحايلة فيه تفسير كما بكم ومعانى كلامكم ومعنى البيت أن رحل ناقته ينقص سنامها
المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود النبعة (فإن ربكم) أى المحسن اليكم باهلاك من يريد
وابقاء من يريد وقوله تعالى (ترؤف) قرأ أبو عمرو وشعبة وحجة والكسائي بقصر الهـ مزة
والباقون بالمد ومعناه بليغ الرحمة لمن يتوصل اليه بنوع وسيلة وكذا من قاطعه أتم مقاطعة واليه
أشار بقوله تعالى (رحيم) أى حيث لم يعاجلهم بالعذاب ولما خوف سبحانه وتعالى المشركين
بالأنواع الأربعة المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال
العالم العلوى والسفلى وتدبير أحوال الأرواح والأجسام ليظهر لهم أنه مع كمال هذه القدرة
الباهرة والقوة الغير المتناهية لا يعجز عن إيصال العذاب إليهم على أحد تلك الأجسام الأربعة
بقوله تعالى (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء) أى من الأجرام التى لها ظلال كشجر وجبل
(تقيق) أى تميل (ظلاله عن اليمين والשמائل) جمع شمال أى عن جانبي كل واحد منهم ما وشبهه
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله والباقون بالياء على الغيبة إلى ما خلق
استعاره من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أى ترجع الظلال من جانب إلى جانب متقادة لله
غير مجتمعة عليه فيما سهر هاله وقال قتادة والضحاك أما العين فأقول النهار وأما الشمائيل فآخره
لأن الشمس وقت طلوعها إلى وقت ائتمائها إلى وسط الفلك تقع الظلال إلى الجانب الغربي
فإذا انحدرت الشمس من وسط الفلك إلى الجانب الغربي وقعت الظلال في الجانب الشرقي
والظلال في أول النهار بتبدئ من يمين الفلك على الربع الغربي من الأرض ومن وقت انحدار
الشمس من وسط الفلك بتبدئ من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقي من الأرض (فان قيل)
ما السبب في ذكر اليمين بلفظ الواحد والشمائيل بصيغة الجمع (أجيب) بأشياء الأول أنه وحد
اليمين والمراد الجمع ولكنه اقتصر في اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدبر الشاني قال
القرآن كأنه إذا وحده ذهب إلى واحد من ذوات الظلال وإذا جمع ذهب إلى كلها وذلك لأن قوله
إلى ما خلق الله من شيء لفظه واحد ومعناه الجمع على ما مر فيتمثل كلا الأمرين الثالث أن العرب
إذا ذكرت صيغة جمع عبرت عن أحد هما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم (تنبيه) * الهمزة للاستفهام وهو استفهام
انكار أى قدرأ وأمثال هذه المصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمه بمعنى الذى ومن شيء بيان لها (فان قيل) كيف بين الموصول
وهو مبهم بشئ وهو مبهم بل أيهم مما قبله (أجيب) بأن شيئاً قد اتضح وظهر بوصفه بالجملة بعده
وهو تقييد لظلاله وقيل الجملة بيان لما وقوله تعالى (تجد الله) حال من الظلال جمع ساجد
كشاهد وشهدوا كع وركع واختلف في المراد من السجود على قولين أحدهما أن المراد منه

الاستسلام والانقياد يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النحلة اذا ماتت لسكرة
الحمل ويقال اسجد للقر في زمانه أي اخضع له وقال الشاعر * ترى الا كم فيها سجد العوافر
أي متواضعة والثاني أن هذه الظلال واقعة على الارض ملتصقة بهم اعلى هيئة الساجد فلما
كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله تعالى عليها هذا اللفظ وكان الحسن
يقول أما ظلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك بتسمي ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر
يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله سواء أكان ذلك الشيء ساجدا أم لا قال الرازي
والاقل أقرب الى الحقائق العقلية والثاني أقرب الى الشبهات الظاهرة وقوله تعالى (وهم
داخرون) أي صاغرون حال أيضا من الظلال فينتصب عنه حالان وقيل حال من الضمير المستتر
في سجد فهي حال متداخلة (فان قيل) الظلال ليست من العقلاء فكيف جازب جمعها بالواو
والذون (أجيب) بأنه تعالى لما وصفها بالطاعة والدخور أشبهت العقلاء أو أن في جملة ذلك
من يعقل فغلب * ولما حكم على الظلال بما يعم أصحابها من جماد وحیوان وكان الحيوان أشرف
من الجماد رقى الحكم اليه بخصوصه فقال (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض) وقوله
تعالى (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات
خلق الله يدبون فيها كما تدب الاناس في الارض وأن يصحكون بيانا لما في الارض وحده ويراد
بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات
الملائكة وكثر ذكرهم بقوله تعالى (والملائكة) خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع
الخلق وأعبدتهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهم ويقوله تعالى والملائكة ملائكة
الارض من الحفظة وغيرهم (فان قيل) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف
سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (أجيب) بأن المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله تعالى وأنه غير متنع عليه وكلا السجودين يحجمهما
معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قيل) هلاجي بمن دون
ما تغلبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (أجيب) بأنه لو جى بمن لم يكن فيه دليل على التغلب
فكان متناولا للعقلاء خاصة فجى بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة للعموم (وهم) أي الملائكة
(لا يستكبرون) عن عبادته ثم علل تخصيصهم بقوله تعالى دلالة على أنهم كغيرهم في الوقوف بين
الخوف والرجاء (يخافون ربه) أي الموجد لهم المدبر لامورهم المحسن اليهم خوفا مبتدأ
(من فوقهم) اشارة الى علو الخوف عليهم وغلبته لهم أو ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وقوله تعالى وانا فوقهم
قاهرون والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له أو تقرير لان من خاف الله لا يستكبر
عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أي من الطاعة والتدبير وفي ذلك دليل على أن الملائكة
مكلفون مذكرون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف
والرجاء كما مررت الاشارة اليه وأنهم معصومون من الذنوب لان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل

على أنهم متقادون لخالقهم وأنهم ما خالفوا في أمر من الأمور كما قال تعالى لا يسبقه وانه بالقول
وهم بأمره يعملون * ولما بين تعالى أن كل ماسوى الله تعالى سواء أ كان من عالم الارواح أم
من عالم الاجساد فهو متقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه أتبعه بالنهي عن الشرك وبالأمر
بأن كل ماسواه فهو مملكه وانه غنى عن الكل بقوله تعالى (وقال الله) فعبر لاجل تعظيم المقام
بالاسم الاعظم الخاص (لاتتخذوا) أى لاتكفوا فاطر تكلم الاولى السليمة المجبولة على معرفة
أن الإله واحد أن تأخذ في اعتقادها (الهيئتين) (فان قيل) انما جعوا بين العدد والمعدود
فيما وراء الواحد والاثني فقالوا عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة لان المعدود عار عن الدلالة
على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فعددان فيه مادلالة على العدد فلا
حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهيئتين (أجيب) باجوبة
أولها قال الرازى وهو الاقرب عندى ان الشئ اذا كان مستنكرامستقبها فن أراد
المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توألى تلك العبارات سببا لوقوف العقل
على ما فيه من القبح والقول بوجود الهيئتين مستقيم في العقول فان أحدا من العقلاء لم يقل
بوجود الهيئتين متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال فالمقصود من تكرار اثنتين تاكيد
التنفير عنه وتوقيف العقل على ما فيه من القبح الثاني أن قوله تعالى الهيئتين لفظ واحد يدل
على أمرين ثبوت الإله وثبوت التعدد فاذا قيل لاتتخذوا الهيئتين لم يعرف من هذا اللفظ ان
النهي وقع عن اثبات الالهيتين أو عن اثبات التعدد أو عن مجموعهما فلما قال لاتتخذوا الهيئتين
اثنتين ظهر أن قوله لاتتخذوا نهى عن اثبات التعدد فقط الثالث في الآية تقديم وتأخير
والتقديم لاتتخذوا الهيئتين الرابع أن الاسم الحامل معنى الأفراد والتثنية دال على
شئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق
اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على قصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت
انما هو له ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوجدانية ثم قال تعالى ذلك
النهي بما اقتضاه السياق من الوجدانية فقال جل ذكره (انما هو) أى الإله المفهوم من لفظ
الهيئتين الذى لا يستحق غيره أن يطلق عليه هذا الضمير المجاز لانه لا يطلق اطلاقا حقيقة على
من وجوده من ذاته (آله) أى مستحق هذا الوصف على الاطلاق (واحد) لا يمكن أن يثنى بوجه
ولأن يمين أبغاية وغير غاية لغناه المطلق عن كل شئ واحتياج كل شئ اليه * ولما دلت الدلائل على
أنه لا بد للعالم من آله وثبت أن القول بوجود الهيئتين محال وثبت أنه لا إله الا الواحد الاحد
الفرد الصمد قال تعالى بعده (فأياى فارهبون) أى خافون دون غيرى والرهبة مخافة مع حزن
واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لانه أبلغ
في الترهيب من قوله فأياى فارهبوه ومن أن يجي ما قبله على لفظ المتكلم * ولما ثبت بالدليل
الصحيح والبرهان الواضح أن إله العالم لا شريك له في الالهية وجب أن يكون جميع الخلق
عبيده وفي ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله) أى الله وأعاد الضمير في قوله تعالى له

على الله الاسم الاعظم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى (ما في السموات والارض) أى
 ما تعبدونه وغيره فكيف تصور أن يكون شئ من ذلك الها وهو ملككم مع كونه محتاجا الى
 الزمان والمكان وغيرهما (وله الدين) أى الطاعة وقوله تعالى (وأصبا) أى دائماً حال من الدين
 والعامل فيه ما في الطرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحديدان له ويطاع الا
 انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فاطاعته واجبة أبداً ولانه
 المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائماً أبداً وقوله تعالى (أفغير الله) أى الذى له
 العظمة كلها (تقون) استقهم انكار والمعنى أنكم بعد ما عرفتم أن الله العالم واحد وعرفتم أن
 كل ما سواه محتاج اليه في وقت دوامه وبقائه فبعد العلم بذلك كيف يعقل أن يكون للانسان
 رغبة في غير الله تعالى أو رهبة من غير الله تعالى * ولما بين تعالى أن الواجب على العاقل أن لا يتق
 غير الله بين أنه يجب عليه أن لا يشكر أحداً الا الله تعالى بقوله تعالى (وما بكم من نعمة) أى من
 نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولداً أو جاه (فن الله) هو
 المتفضل على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه لان الشكر انما يجب على النعمة فثبت
 بهذا أن العاقل يجب عليه أن لا يخاف وأن لا يشكر الا الله تعالى * (تنبيه) * اخرج أصحابنا بهذه
 الآية على أن الايمان حصل بخلق الله فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله ينتج أن الايمان
 من الله وأيضا النعمة عبارة عن كل ما يكون مستقبا به وأعظم الاشياء في النفع هو الايمان فثبت
 أن الايمان نعمة والمسلمون مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان والنعم اتمام دينية وأما
 دينية أما النعم الدينية فهي اتمام معرفة الحق لذاته وأما معرفة الخير لاجل العمل به والنعم الدنيوية
 اتمام نفسانية وأما دينية وأما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحت أنواع خارجة عن
 المحصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مرّت الاشارة الى ذلك عند ذكر هذه
 الآية * ولما كان اخلاصهم له مع ادعائهم الوهية غيره أمر مستبعد اعبر بأداة التراخي والبعد
 في قوله تعالى (ثم اذا مسكم) أى أصابكم أدنى مس (الضر) بزوال نعمة مما أنعم به عليكم
 وقال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة (فاليه) أى لا الى غيره (تجارون) أى
 ترفعون أصواتكم بالاستغانة لما ركز في فطرتكم الاولية السليمة من أنه لا ملجأ ولا منجى منه
 الا اليه (ثم اذا كشف) سبحانه وتعالى (الضر) أى الذى مسكم (عنكم) ونبه على مسارعة
 الانسان في الكفران فقال (آذا فريق) أى جماعة هم أهل فرقة وضلال (منكم) أى أيها
 العباد (بربهم) الذى يفرّون بالانعام عليهم (يشركون) أى يوقعون الاشرار بعبادة غيره (ليكفروا
 بما آتيناكم) أى من النعم * (تنبيه) * في هذه اللام وجهان الاول انها لام كي فيكون المعنى
 على هذا أنهم انما أشركوا بالله ليجدوا نعمة عليهم في كشف الضر الثاني أنها لام العاقبة
 كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم
 بما آتيناكم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالى توعدهم بعد ذلك بقوله تعالى
 (فتبعوا) أى باجتماعكم على عبادة الاصنام وهذا القطع أمر والمراد منه التهديد بقوله تعالى

قل آمنوا به أو لا تؤمنوا وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (فسوف تعلمون) عاقبة
 أمركم وما ينزل بكم من العذاب * ولما بين تعالى بالدلائل القاهرة فساد قول أهل الشرك والتشبيه
 شرح تفاسيل أقوالهم وبين فسادها بأنواع الأول قوله تعالى (ويجعلون) أي المشركون
 (لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) من الحرب والانعام بقولهم هذا الله وهذا شركائنا
 * (تنبيه) الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون عائدا على الأصنام أي أن الأصنام لا تعلم شيئا البتة
 لأنها جاد والجاد لا علم له وقيل عائدا إلى المشركين ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة فيعتقدون
 فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم وليس الأمر كذلك * ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه
 على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة بقوله تعالى (تالله لتسألن) سؤال توبيع وفيه التفات من
 الغيبة إلى الحضور وهو من بديع الكلام وبلغه (عما كنتم تفترون) على الله من أنه أمركم
 بذلك * (تنبيه) في وقت السؤال احتمالان الأول أنه يقع عند القرب من الموت الثاني أنه
 يقع في الآخرة قال الرازي وهذا أولى النوع الثاني قوله تعالى (ويجعلون لله البنات) ونظيره
 قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا كانت خرافة وكناية بقولون الملائكة
 بنات الله قال الرازي أظن أن العرب إنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستئثارهم عن
 العيون فأشبهوا النساء في الاستئثار فأطلقوا عليهم البنات قال ابن عادل وهذا الذي قلناه ليس
 بشئ فإن الجن أيضا مستترون عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات * ولما حكى الله تعالى
 عنهم هذا القول قال تعالى (سبحانه) وفيه وجهان الأول أن يكون المراد تنزيه ذاته عن نسبة الولد
 إليه الثاني تعجيب الخلق من هذا الأمر والجهل الصريح وهو وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبها
 بالولدية إلى الله تعالى قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الأول * ولما ذكر
 الله تعالى ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لأنفسهم مع لزوم الحاجة والضعف بقوله تعالى
 (ولهم ما يشتهون) من البنين وقد يكونون أعداء أعدائهم * ثم أنه تعالى ذكر أن الواحد من
 هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فكيف يشبهه لله تعالى فقال (واذا بشر أحدكم
 بالأنثى) أي أخبر بولادتها (ظل وجهه) أي صار أودام النهار كله (مسودا) من الكآبة
 والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتخجيل كما أن بياض الوجه واشراقه
 كناية عن الفرح والسرور (وهو كظيم) أي مملوء غمظا على المرأة ولا ذنب لها بوجهه والبشارة في
 أصل اللغة الخبر الذي يغير البشارة من حزن أو سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا يكون إلا
 بالخبر الأول فالمراد بالبشارة هنا الأخبار كما مر وقول الرازي أن إطلاقه على الخبر والسرور داخل
 في التحقيق خلاف المشهور (يتواري) أي يستحي (من القوم) أي من الرجال الذين هو فيهم
 (من سوء ما يشربه) خوفا من التعيير وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة
 أحدكم تواري عن القوم إلى أن يعلم ما ولد له فان ولد له ذكرا بهتج وسر بذلك وظهر
 وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أباما مترددا ما إذا فعل بذلك الولد (أي يسكه) أي يتركه بغير قتل
 (على هون) هوان وذلل (أم يدهس في التراب) وذكر الضمير في يسكه ويدهسه نظرا للفظ الولد أو

لكون الاثنى ولدا كما علم عمامة قال ابن ميثاق قال المفسرون كانت المرأة اذا أدركها المخاض
 احترقت حفرة وجلست على شفيرها فان وضعت ذكرا أظهرته وظهر السرور على أهلها وان
 وضعت اثنى استأذنت مستولدها فان شاء أمسكها على هون وان شاء أمرها باللقائها في الحفرة
 وردت التراب عليها وهي حية لتتوت انتهى وعن قيس بن عاصم أنه قال يا رسول الله انى وارىت
 ثمان بنات في الجاهلية فقال له صلى الله عليه وسلم اعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله
 انى ذوابل قال اهد عن كل واحدة منهن هديا وروى أن رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك
 بالحق ما أجد حلاوة الاسلام مذقأ سلبت فقد كانت لى في الجاهلية ابنة فأمرت امرأى أن
 ترينها فأخرجتها فلما انتهت الى واديه بئر بعيدة القعر ألقيتها فيها فقالت يا أبت قتلتنى فكلمنا
 ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام
 وما في الاسلام يهدمه الاستغفار وكانوا في الجاهلية مختلفين في قتل البنات فبعضهم من يحفر
 الحفرة ويدفن فيها الى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من
 يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمة خوفا من أن يطمع فيهن غير الالكفاء وتارة خوفا
 من الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة وكان الذي منهم يريد أن يبعي ابنته تركها حتى
 تكبر ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ويحمله ترعى الابل والغنم في البادية قال الله تعالى
 (الاسماء) أى بنس (ما يحكمون) حكمهم هذا وذلك لانهم بلغوا في الاستكفاف من البنت
 الى أعظم الغايات فأرسلوها أنه يسود وجهه وثانيها أنه يحتج من القوم من شدة نفرة عن البنت
 وثالثها أن الولد محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب نفرة عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على
 أن النفرة عن البنت والاستكفاف عنها قد بلغ مبلغا لا يزداد عليه فكيف يليق بالعاقل أن يثبت
 ذلك لاله عالم مقدس عال عن مشابهة جميع المخلوقات وتظهر هذه الآية قوله تعالى ألكم
 الذكرو له الاثنى تلك اذا قسمه ضيزى ثم قال تعالى (الذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم الكفار
 (مثل السوء) أى الصفة السوء بمعنى القبيحة وهى قتلهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح
 (ولله المثل الأعلى) أى الصفة العليا وهى انه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال
 من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن
 عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا اله الا الله (فان قيل) كيف جاء الله المثل
 الأعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا الله الامثال (أجيب) بأن المثل الذى يضربه الله تعالى حق
 وصدق والذى يذكروه غير باطل (وهو العزيز) الذى لا يمنع عليه شئ فلا نظيره (الحكيم) الذى
 لا يوقع شيا الا فى محله ولما حكى الله تعالى عن القوم عظيم كفرهم وقبح قولهم بين أنه تعالى يهمل
 هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهر الله فضل والرحمة والكرم بقوله تعالى (ولو يؤاخذ
 الله الناس بظلمهم) أى بسبب كفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أى على الارض وانما أضرع
 ذكرها من غير ذكر لاله الناس والدابة عليها (من دابة) أى ان الله تعالى لو أخذ الناس
 بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض (فان قيل) اسم الناس جنس يشمل الكل

فيدخل في ذلك الانبياء فيدل ذلك على عدم عصمتهم (أجيب) بأن ذلك عام مخصوص بقوله
 تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله فالمدكور في هذه الآية اما كل الهامة المستحقين العقاب أو الذين تقدم
 ذكرهم من المشركين ومن الذين أفتوا الله البنات أو جميع الكفار بدليل قوله تعالى ان شر
 الدواب عند الله الذين كفروا وقال قتادة قد فعل الله تعالى ذلك في زمن نوح عليه السلام
 فأهلك جميع الدواب التي على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام روى
 أن أباه ريرة رضى الله تعالى عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضره الله فقال بئس ما قلت
 ان الجباري توت هز الا من ظلم الظالم وقال ابن مسعود ان جعل تعذب في حجرها بذب ابن آدم
 والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة قاله الجوهري وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ الله
 الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء ولم يبق في الارض أحد (ولكن
 يؤخروهم) أي يهلهم بفضلهم وكرمهم وحمله (الى أجل مسمى) أي الى انتهاء أجلهم وانقضاء
 أعمارهم (فأذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) أي لا يؤخرون ساعة
 من الاجل الذي جعله الله تعالى لهم ولا يتقصون منه * (تنبيه) * ههنا همزان مفتوحتان
 من كلمتين فقرأ فالون والبرى وأبو عمرو وباسقاط احدى الهمزتين مع المد والقصر وقرأ ورش
 وقيل بتسهيل الثانية وابدالها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين النوع الثالث من
 الاقاويل الفاسدة التي كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله (ويجعلون الله
 ما يكرهون) لانفسهم من البنات وأراذل الاحوال والشركاء في الرياسة ثم وصف الله تعالى
 جراتهم مع ذلك بقوله تعالى (وتصف) أي وتقول (ألسنتهم الكذب) أي مع ذلك مع أنه قول
 لا ينبغي أن يتخيله عاقل ثم يمينه بقوله تعالى (أن لهم الحسنى) أي عنده أي الجنة كقوله تعالى
 ولئن رجعت الى ربي انى عنده الحسنى ولا جهل أعظم ولا أحكم سوا من أن تقطع بأن من
 يجعل له ما يكره أن يجعل لك ما تحب فكأنه قيل ما لهم عنده فقيل (لا جرم) أي لا ظن ولا تردد في
 (أن لهم النار) أي هي جزاء الظالمين وقيل لا جرم بمعنى حقا (وأنتهم مفرطون) أي متركون
 فيها أو مقدمون اليها وقرأ نافع بكسر الراء أي متجاوزون الحد والباقون بالفتح (فان قيل) انهم
 لم يقرروا بالبعث فكيف يقولون ان لنا الحسنى عند الله (أجيب) بأنهم قالوا ان كان محمد صادقا
 في البعث بعد الموت فان لنا الجنة وقيل انه كان في العرب جمع يقررون بالبعث والقيامة وانهم
 كانوا يبطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا
 حشر فانه يحشر معه كونه نمين تعالى أن مثل هذا الصنيع الذي يصدر من مشركي قريش
 قد صدر من سائر الامم السابقين في حق الانبياء المدة مدين بقوله تعالى (تالله) أي الملك الاعلى
 (لقد أرسلنا) أي بما لنا من القدرة وسلا من الماضين (الى امم من قبلك) كما أرسلنا
 الى هؤلاء (فزين لهم الشيطان) أي المتهرق بالغضب المطرود بالعنة (أعمالهم) الخبيثة
 من الكفر والتكذيب كما زين لهؤلاء فضلا كما ضلوا فاهلكوا وهذا يجري مجرى التسليط

للنبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم والمزبن في الحقيقة هو الله
 تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آلة باللقاء للوسوسة في قلوبهم وليس له
 قدرة على أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله تعالى شقاوته سلطه
 الله عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم اليوم) أي في الدنيا وانما عبر باليوم عن زمانها أي فهو
 وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آية أي لا ولي لهم غيره وهو
 عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم وقيل الضمير لقريش أي زين الشيطان للكفرة المتقدمين
 أعمالهم وهو ولي هؤلاء القوم يغرهم ويغريهم وقيل يجوز أن يقتدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم
 والولي القرين والناصر فيكون نعمتنا للناصر لهم على أبلغ الوجوه (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم
 في الآخرة * ثم ذكر تعالى أنه مع هذا الوعيد الشديد قد أقام الحجة وأزاح العلة بقوله تعالى (وما
 أنزلنا) أي بما لنا من العظمة من جهة العلو (عليك) يا أشرف المرسلين (الكتاب) أي القرآن
 (الأتين لهم) أي للناس (الذي اختلفوا فيه) من أمر الدين مثل التوحيد والشرك وإثبات
 المعاد ونفيه فإنه كان فيهم من ينكر البعث ومنهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب ومنه تحريم
 الحلال كالبحيرة والسائبة وتخليعهم أشياء محرمة كالبيعة (فان قيل) اللام في اتين لهم تدل
 على أن أفعال الله تعالى معلة بالأغراض كقوله تعالى كذب أنزلناه الملك لتخرج الناس وقوله
 وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (أجيب) بأنه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه
 إلى التأويل وقوله تعالى (وهدي ورحمة) أي واكراما عجيبة معطوفان على محل اتين الاتين
 اتصبا على أنهم ما يفعلون لهم الاتين ما فعلوا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على اتين لأنه فعل
 المخاطب لا فعل المنزل وانما يتصّب مفعولا لما كان فعل فاعل الفعل المعلل ولما كان ذلك رجاء
 شملهم وهم على ضلالهم نفاه بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) ونظيره قوله تعالى في أول البقرة
 هدى للمتقين وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث أنهم قبلوه واتقوا به كما في قوله تعالى انما
 أنت منذر من يخشاها لانه انما اتفع بانذاره هذا القوم فقط * ولما انتقض الدليل على أن
 قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به وختمه بما أحياه القلوب في الايمان والعلم بعد موتها
 بالكفر والجهل وكان المقصود الأعظم من القرآن تقرير اصول أربعة الالهيات والنبوات
 والمعاد وإثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار وكان أجل هذه المقاصد الالهيات شرع
 في ذكر الوحدة والقدر والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم
 ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الاشجار وأجلى من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم
 ما تسرون وما تعلنون قوله جامعا في الدليل بين العالم العلوي والعالم السفلي (والله) أي الذي
 له الامر كله (أنزل من السماء) في الوقت الذي يريد (ماء) بالمطر والثلج والبرد (فأحياه)
 أي بذلك الماء (الأرض) بأنواع النبات (بعد موتها) أي يبسها (أن في ذلك) المذكور (آية)
 أي دلالة واضحة على كمال قدرته تعالى (لقوم يسمعون) أي سماع تدبر وانصاف ونظر لأن
 سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها وتفهّمها

استمع ومن لم يسمع بقلبه فكأنه أحمى لم يسمع فلم يتفهم بالآيات ومن الدلائل المذكورة في هذه
 الآية الاستدلال بمجائب أحوال الحيوانات وهو قوله (وَأَن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً) أي اعتبارا
 إذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرتها وقوله تعالى (نَسْفِكُمْ مَّا فِي بَطُونِهِ) استئناف بيان للعبارة وأما
 ذكر لفظ الضمير لانه لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع كإرط والقوم ولأمن اللبس والدلالة
 على قوة المعنى لكونها سورة النعم وأتم في سورة المؤمنون المعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك
 عدته سيبويه في باب ما لا يتصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أيكاش بياء
 بحسبة وشين مجمعة ضرب من الشباب يغزل مرتين ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن
 اللبن لبعضها دون جميعها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون تقول سقيته حتى روى قال
 تعالى وسقاهاهم ربهم شرابا طهورا والباقون بضمها من قولك اسقاها إذا جعل له شرابا كقوله
 تعالى وأسقيناهم ماء فرانا ولما كان في موضع العبارة تخليص اللبن من غيره قدم قوله تعالى (مَنْ
 بَيْنَ فَرْثٍ) وهو النفل الذي نزل إلى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا (ودم لبنا خالصا) أي
 صافيا خلقه الله وسطا بين الفرت والدم يكتشفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي عليه
 أحدهما بلون أو رائحة أو طعم روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إذا أكلت البهيمة
 العلف واستقر في كرشها طمخته فكان أسفه فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد متوسطة
 على هذه الأضفاف الثلاثة تنقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرت في
 الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وأطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن
 الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرت ودم (سأنا للشاربين) أي سهل
 المرور في الخلق وقيل لم يغص أحد باللبن قط * (تنبيه) * قال أهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن
 كما يدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على إمكان الحشر والنشر وذلك لأن هذا العشب
 الذي يأكله الحيوان إنما تولد من الماء والأرض فخلاق العالم بترتيبها آخر يقبل ذلك
 الدم لبنا ثم بترتيبها آخر فأحدث من ذلك اللبن السمين والحين فهذا الاستقرار يدل على أنه
 تعالى قادر على أن يقبل هذه الأجسام من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة فإذا كان كذلك
 لم يتنج أيضا أن يكون قادرا على أن يقبل أجزاء أبدان الأموات إلى صفة الحياة والعقل كما
 كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمر ممكن غير متع
 وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الطفل
 مستحالة على حكمة عجيبة يشهد صريح العقل بأنه لا يتحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر
 وبإياديه من وجوه الأول أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فإذا
 تناول الإنسان غذاء أو شربا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك الماء كقول
 والمشرؤب إلى أن يكمل انضمامه في المعدة ويجذب ما صفي منه إلى الكبد ويبقى الثقل هناك
 فيمتد ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثقل وهذا من المجائب التي لا يمكن حصولها إلا
 بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح حصول

الانطباق تارة والانفتاح تارة أخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى إلا بتقدير الفاعل
الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في حمة الثدي ثقباً صغيراً ومسام
ضيقاً وجعلها بحيث إذا اتصل المص والحلب بتلك الحمة انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك
المسام ضيقة جداً كان لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة وأما الاجزاء الكثيفة
فانه لا يخرج منها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل فالحكمة في احداث تلك
الثقب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حمة الثدي انما تكون كالمصفاة فكل ما كان لطيفاً
خرج وكل ما كان كثيفاً احتبس في الداخل ولم يخرج فهذا الطريق يصير اللبن خالصاً موافقاً
لبدن الطفل سائغاً للشاربين الثالث أنه تعالى ألهم ذلك الطفل الى المص فان الأم كلما ألقت
حمة الثدي في فم الطفل فذلك الطفل في الحال يأخذ في المص ولو لان الفاعل المختار
الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل الخصوص والالام يحصل الانتفاع بتخليق ذلك
اللبن في الثدي وقوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف تقديره
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أي من عصيرهما وحذف الالة نسقيكم عليه وقوله تعالى
(تتخذون منه سكرًا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات
لا على النخيل لانه يصير التقدير من ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليس له ثمرة أخرى
(ورزقاً حسناً) كالتمر والزبيب والدبس والخل * (تنبيه) * في تفسير السكر وجوه الاول هو
الخمر سميت بالمصدر من سكر سكر او سكر انخور شد رشدا ورشدا فان قيل الخمر محرمة فكيف
ذكرها الله تعالى في معرض الانعام (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما ان هذه السورة مكية
وتحریم الخمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية كان في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير
محرمه ومن قال بنسخها النخعي والشعبي الثاني أن الآية جامعة بين العناب والمسنه فالعناب
بالنسبة الى السكر والمسنه بالنسبة الى رزقاً حسناً الوجه الثاني أن السكر هو النبيذ وهو
عصير العنب والزبيب والتمر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد فهو حلال عند
أبي حنيفة رحمه الله تعالى الى حد السكر ويحجج بهذه الآية بقوله صلى الله عليه وسلم الخمر
حرام لعينها وهذا يقتضي أن يكون السكر شيئاً غير الخمر وكل من أثبت هذه المغيرة قال انه
النبيذ المطبوخ الوجه الثالث أن السكر هو الطعام قاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر
* جعلت اعراض الكرام سكرًا * أي تتقلب باعراضهم بان جعلتهم انقلاباً وتناولاً والنقل
ما يتقل به على الشراب قال البغوي وأولى الاقوال ان قوله تعالى تتخذون منه سكرًا منسوخ
انتهى ويدل له قول الحسن ذكر الله نعمته عليهم في الخمر قبل أن يحرمها عليهم وروى عن ابن
عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أجل من ثمرها وروى عنه أيضاً السكر
الحرام منه والرزق زيبه وعنبه ومنافعه * ثم قال تعالى (ان في ذلك) المذكور (لاية) أي
دلالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات
فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله تعالى فيخرج بمصولها على وجود الاله القادر

الحكيم * ولما بين تعالى أن اخراج الالبان واخراج السكر والرزق الحسن من غرات النخل
والاعناب دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها قادرا مختارا حكيمًا إذ كَرَأَن اخراج
العسل الذي جعله الله تعالى شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحل دليل قاطع وبرهان
ساطع على اثبات هذا المقصود بقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) وحى الهام قال الضحاك
الهمها ولم يرسل اليها رسولاً والمراد من الالهام انه تعالى قدر في أنفسهم هذا الاعمال العجيبة
التي يعجز عنها العقلاء من البشر وبيناه من وجوه الاول ما ذكر الله بقوله تعالى (أن اتخذى) أى
بأن اتخذى ويجوز أن تكون مفسرة لان فى الإيجام معنى القول (من الجبال بيوتا) تأويل
اليها وانما سمي ما بنيه لتتعسل فيه بيتاً تشبهاً بيت الانسان فتبنى البيوت المستدسة من اضلاع
متساوية لا يزيد بعضها على بعض يجرد طبعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم مثل تلك البيوت
الابالات وانظار دقيقة الثانية انه ثبت فى الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشككة بأشكال
سوى المستدسات كأن كانت مدورة أو مثلثة أو مربعاً وغير ذلك من الاشكال فانه تبقى
بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة فاحتداه هذا الحيوان الضعيف الى هذه
الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب الثالث ان النحل يحصل بينها واحد كل رئيس
للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقى ويكون نافذاً الحكم على تلك البقية وهم
يخدمونه ويحملونه عند تعبهم وذلك أيضاً من الاعاجيب الرابع انها اذا انفردت عن وكرها
ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول وآلات
الموسيقى فبواسطة تلك الايمان بقدرهم على ردها الى أوكارها وهذه أيضاً حالة عجيبة فلما
امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة كان ليس الاعلى
سبيل الالهام وهو حالة شبيهة بالوحى والوحى قد ورد فى حق الانبياء كقوله تعالى وما كان لبشر
أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب وفى حق الاولياء قال تعالى واذا وحيت الى الحوارين
وبمعنى الالهام فى حق البشر قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وفى حق سائر الحيوانات خاص
قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحل لان الله تعالى فعل الناس العسل الذي
يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذ كرو يؤث وهي مؤنثة فى لغة اعجاز ولذلك أنشأ الله تعالى
وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحد الالهة (و) اتخذى (من الشجر) أى الصالحة بيوتا
(و) اتخذى (مما يعرشون) أى الناس فيبنون تلك الاماكن وذلك أن النحل منه وحشى
وهو الذى يسكن الجبال والشجر والكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت وتربية
الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى يأوى اليها واذ كَرَأَن
يجوز التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من الكرم أو سقف ولا فى كل
مكان منها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرها * (تنبيه) * ظاهر قوله تعالى
اتخذى أمر وقد اختلفوا فيه من الناس من يقول لا بعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول
ولابدع أن يتوجه عليها من الله أمر ونهى وقال آخرون بل المراد منه أنه تعالى خلق فيها

غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله في سورة النمل عند قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم * ولما كان اهم شئ الحيوانات بعد الراحة من همهم المقليل اكل شئ ثنى به فقال (ثم كل من كل الثمرات) أى من كل ثمرة يشتهيها من زهارها وحلواها وذكر ذلك بحرف التراخي اشارة الى عجيب الصنع في ذلك وتيسيره لها * (تنبيه) * انقظ من هذا للتبعض أولاً ابتداء الغاية * ولما أذن لها في ذلك كله وكان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون الا بشقة عظيمة في معاناة السير اليه نبه على خرقه العادة في تيسيره لها بقوله تعالى (فاسلكي سبيل ربك) أى الطرق التي ألهمك الله تعالى أن تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمار وقوله تعالى (ذللاً) جمع ذلول حال من السبل أى مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توغرت ولا تضل عن العود فيها وان بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أى متفاداة لاربابها حتى انهم يقولونها من مكان الى مكان آخر حيث شاؤا وأرادوا الاتستعصى عليهم وقوله تعالى (يخرج من بطونها) فيه عدول عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامة لاجلهم (شراب) أى عسل (مختلف ألوانه) ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلاً بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وقال الرازي انه رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجيبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتذخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطيبة شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجيبين تقرب من طبيعة العسل وأيضاً اننا نساعد ان النحل يتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها شراباً ثخيناً كل تجويف داخل البدن يسمى بطناً فقوله يخرج من بطونها أى من أفواهها انتهى والاول كما قال ابن الخازن وغيره أظهر لانا نشاهد ان العسل يوجد فيه طعم تلك الازهار التي يأكلها النحل وكذا توجد انهم ويريحها وطعمها فيه أيضاً ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت ما هذه الریح التي أجدم منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت فخله العرفط والعرفط شجر الطلع له صمغ يقال له المغافير كرهه الراحمة فعنى جرت فخله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الراحمة الكريهة فثبت بهذا أنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلاً لمكان على لون واحد وقوله كل تجويف داخل البدن يسمى بطناً خلاف الظاهر لان لفظ البطن اذا أطلق لم ير ذبه الا العضو المعروف بطن الانسان وغيره (فيه) أى الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) من الاوجاع كما قال ابن عباس وابن مسعود اما لبعضها كما دل عليه تكبير شفاء واما لكانها بضميمته الى غيره اذ قل مجنون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل أو بدونه بنيت به هذا سقط ما قيل انه يضر بأصحاب الصغراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب

المحرورين ويعطش قال ابن مسعود الغسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
وفي رواية عنه عليكم بالشفاء من القرآن والغسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت قرحة ولا شيء
الا لعل موضع الغسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وعن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي يشتكى
بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه الغسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فأنفع فقال اذهب
فاسقه الغسل فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانت أنشط من عقار
فقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بنور
الوحي الإلهي أن الغسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال
قال صدق الله يعني فيما وعده من أن فيه شفاء للناس وكذب بطن أخيك يعني باستحجالكم
للشفاء في أول مرة وقال مجاهد الضمير في فيه شفاء للناس راجع للقرآن لأن فيه شفاء من
أمرض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس وعلى هذا امت قصة تولد الغسل
من النحل عند قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتداء وقال فيه شفاء للناس
أي في هذا القرآن قال الرازي وهذا قول ضعيف ويدل عليه وجهان الأول أن الضمير في قوله
تعالى فيه شفاء للناس يجب عوده الى أقرب المذكورات وما ذاك الا قوله تعالى شراب مختلف
ألوانه وأما الحكم بعود هذا الضمير الى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو وغيره مناسب
والثاني حديث أبي سعيد الخدري المتقدم * ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ان في ذلك) أي
المذكور (آية لقوم يتفكرون) أي في اختصاص النحل بتلك الطعوم الرقيقة واللطائف
الخفية مثل بناء البيوت المسدسة وغير ذلك فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا
وقدرتنا وقد كثرت في هذه السورة اضافة الآيات الى مخاطبين تارة بالافراد وتارة بالجمع ونوعها
تارة بالعقل وتارة بالفكر وتارة بالذكرو تارة بغيرها * ثم انه تعالى لما أيقظهم من رقدتهم ونبههم
على عظيم غفلتهم شئ ببعض ما في أنفسهم من الأدلة على ذلك فقال (والله) أي المحيط بكل شئ
قدرة وعلما (خلقكم) أي أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم)
أي عند انقضاء آجالكم على اختلاف الانسان فلا يقدر الصغير أن يؤخر ولا الكبير على أن
يقدم فمنكم من يموت على حال قوته (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي أخسه من الهرم
والخراف قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب سن الطفولية والنمو وهو من أول العمر
الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف
وهو من ثلاثة وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل والمرتبة الثالثة سن
الكهولة وهو من الأربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع فيها الانسان في التقص لكنه يكون
نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانهطاط من الستين الى آخر العمر
خسة وسنون سنة تبين النقص ويكون الهرم والخراف قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أرذل العمر خمسة وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة وعن أنس رضي الله

تعالى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والهزم والخل
وأعوذ بك من عذاب القبر وقسمة المحيا والممات وفي رواية عنه كان يقول اللهم اني أعوذ بك
من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وقسمة المحيا والممات (لـ) كيلا يعلم بعد علم شيئا
أي ليصير إلى حالة تشبهه بحال الطفولية في نقصان القوة والعقل وسوء الفهم * (تنبه) * هل
ذلك عام في المسلم والكافر أو يختص بالكافر فيه قولان أحدهما أنه عام والقول الثاني أنه مختص
إذا المسلم لا يزاد بطول العمر إلا كرامة على الله تعالى ولا يقال في حقه أنه رد إلى أرذل العمر قال
الرازي والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فبين
أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما ردوا إلى أسفل السافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يضر
إلى هذه الحالة وقال في قوله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرأوا القرآن
وقال ابن عباس قوله ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال إلا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وهذا يؤيد ما مر (أن الله عليم) بمقادير أعمارهم (قدير) يمت الشاب
النشاط ويبقى الهرم الثاني وفي ذلك تنبيه على أن تفاوت آجال الناس ليس الابتدح فادر حكيم
ركب أبنيتهم وعدل أمر جنتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطبائع
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ * ولما ذكر تعالى المفاوطة في الأعمار المنادية بإبطال الطباع الموجبة
للمساواة إلى الاعتبار لا ولي الأبصار للتخوف كل لحظة من مصيبة الموت تسبعا بالمفاوطة
في الارزاق فقال (وإن الله) أي الذي له الأمر كله (فضل بعضكم) أيها الناس (على بعض في
الرزق) فبعضكم غني وبعضكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم
فيجعل الضعيف العاجز الجاحل أغنى من القوى المحتال العالم فترى أكيس الناس وأكثرهم
عقلاء يفنى عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك وترى أجلف الخلق وأقلهم عقلا
وفهما تفتح له أبواب الدنيا لكل شيء خطر ياله أودار في خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان
السبب في ذلك هو جهل الإنسان وعقله لوجب أن يكون الأعدل أفضل في هذه الأحوال
فلما رأينا أن الأعدل أقل نصيبا وأن الأجهل الأخس أوفر نصيبا علمنا أن ذلك بسبب قسمة
القسام كما قال تعالى أهدم يقسمون رجة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فاتقوا
الله وأجلوا في طلب الرزق وأقبلوا في جمع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار وأنشد
سفيان بن عيينة يقول

كم من قوى قوى في قلبه * مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كأنه من خليج البحر يغترف
(وحكي) أن سليمان المهلب أرسل إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم فردّها الخليل وكتب
إليه هذه الأبيات

أبلغ سليمان أني عنه في سعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال
شعبي بنفسى أني لأرى أن أحسد * يمتوت جزوعا ولا يبقى على حال

فالعجز عن قدرها العجز ينقصه * ولا يزيد فيه حول محتمل
والفقر في النفس لافي المال تعرفه * ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه * يؤس الليب وطيب عيش الاحق

* (تنبيه) * هذا التفاوت ليس مختصا بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا البحر لا ساحل له قال الرازي وقد كنت مصاحبا لبعض المملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه فكانت الخنائب الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما حضرت الاطعمة الشهية والفواكه الكثيرة العطرة عنده وما كان يمكنه أن يتناول شيئا منها وكان من الفقراء من هو صحيح المزاج وقوى البنية كامل القوة وما كان يجد مل فبطنه طعاما فذلك الملك وإن كان يفضل هذا الفقير في المال الآن هذا الفقير كان يفضل ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب واسع اذا اعتبره الانسان عظم تعجبه فيه فتنال الله تعالى أن يغنيانا من فضله وأن يرضينا بما قسم لنا انه كريم جواد * ثم ضرب الله تعالى مثلا للذين جعلوا الله شركاء بقلوبه تعالى (فما الذين فضلوا) أي في الرزق وهم الموالى (برأى رزقهم على ما ملكت ايماهم) أي بجاء على ما رزقناهم من الاموال وغيرها بينهم وبين عماليكهم (فهم) أي المماليك والموالى (فيه سواء) أي شركاء يقول الله تعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم وعماليكهم فيما رزقناهم سواء فكيف يجعلون بعض عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني وقيل معنى الآية أن الموالى والمماليك الله رازقهم جميعا فهم في رزقهم سواء فلا تحسبن الموالى يردون أرزاقهم على عماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على أيدي الموالى للمماليك والمقصود منه بيان أن الرزق هو الله تعالى لجميع خلقه وأن الموالى والمماليك في ذلك الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك وانما ذلك رزقي أجريته اليهم على أيديهم فالرزق للمالك والمملوك هو الله تعالى * وما أقرر سبحانه وتعالى هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه على الخلق فعنده هذا قال (أفبعمته الله) في تقرير هذه البيانات وايضاح هذه البيانات (يحمدون) أي يكفرون وفي ذلك انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره وجعلوا له شركاء يضيقون اليهم بعض ما أنعم به عليهم فيستوون بينهم وبينه في ذلك وقرأ شعبة بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من أحوال الناس ليستدل به على وجوه الاله المختار الحكيم وتنبيه على انعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم بقوله تعالى (والله) أي الذي له تمام القدرة وكمال العلم (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم لتستأنسوا بها ولتكون أولادكم منكم فخلق حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال والنساء فهو خطاب عام فخصه بآدم وحواء فقط خلاف الدليل والمعنى أنه تعالى خلق النساء لتتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم كقوله تعالى فاقبلوا أنفسكم فسلوا على

أنفسكم أى بعضكم بعضاً ونظيرة قوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) والحفدة جمع حافد وهو المسرع بالخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحقد أى نسرع الى طاعتك هذا أصله فى اللغة واختلف فيه أقوال المفسرين فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناءه وعن ابن مسعود انهم أصهاره فهو يعنى الاول وعلى هذا يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بنين الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فهو حفيدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقال الكلبي ومقاتل البنون هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل الذين ليسوا منه أى أولاد المرأة من الزوج الاول قال الرازى والاولى دخول الكل فيه لأن اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك قال الرازى ويحوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كانه قيل جعل لكم منهم أولادهم بنون وهم حافدون أى جامعون بين الامرين انتهى ومع هذا فالمشهور أن الحافد ولد الولد من الذكور والاناث * (فائدة) * قال الاطباء وأهل الطبيعة المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما فى الذكورة واذا انصب من الخصية اليسرى ثم انصب الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تاما فى الانوثة واذا انصب الى الخصية اليمنى وانصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان ذكرا فى طبيعة الاناث واذا انصب الى الخصية اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثى فى طبيعة الذكور وحاصل كلامهم ان الذكور الغالب عليهم الحرارة واليبوسة والغالب على الاناث البرودة والرطوبة وهذه العلة ضعيفة فان فى النساء من مزاجها فى غاية السخونة وفى الرجال من مزاجه فى غاية البرودة فخالفوا الذكور والانثى هو الاله القادر الحكيم * ولما ذكر تعالى انعامه على عبده بالملكوت وما يبينه فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعمات الطيبة فقال (ورزقكم من الطيبات) سواء كانت من النبات وهى الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من الحيوان والمراد بالطيب المستلذ أو الحلال ومن فى من الطيبات لا تتبع بعض لان كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا الا أنموذج منها واختلف فى تفسير قوله تعالى (أفبالباطل يؤمنون) فقال ابن عباس يعنى بالاصنام وقال مقاتل يعنى بالشيطان وقال عطاء بصلة قون ان لى شريكا وصاحبة وولدا (وبنعمت الله هم يكفرون) أى بأن يضيفوها الى غير الله تعالى ويتركون اضافتها الى الله تعالى وقيل الباطل ماسؤل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم من هذه الطيبات وتحريم الخبائث * (فائدة) * رسمت نعمت ههنا بالهاء ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالياء والكسائي يقرأ بالامالة * ولما شرح الله تعالى الدلائل على صحة التوحيد واتبعها بذكر أقسام النعم العظيمة اتبعها بالذ على عبدة الاصنام فقال (ويعبدون من دون الله) أى غيره (ما لا يملك لهم رزقا)

أى تاركين عبادة من يسده جميع الارزاق وهو ذو العلو المطلق الذى رزقهم من الطيبات
 ويعبدون غيره ثم بين تعالى جهة الرزق بقوله تعالى (من السموات والارض) اتماما للرزق
 الذى ياتى من جانب السماء فالمراد بآية من جانب الارض فالنبات والثمار التى تخرج
 منها وقوله تعالى (شياً) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه منصوب على المصدر أى لا يملك لهم ملكاً
 أى شيئاً من الملك والثانى أنه بدل من رزق أى لا يملك لهم شيئاً قال ابن عادل وهذا غير مقيد
 اذ من المعلوم أن الرزق شئ من الاشياء ويؤيد ذلك أن البدل لا يأتى الا لخدمتين البين
 أو التاكيد وهذا ليس فيه بيان لانه أعظم ولا تاكيد والثالث انه منصوب برزقا على انه اسم
 مصدر واسم المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف فى ذلك * ولما كان من لا يملك شيئاً قد يكون
 موصوفاً باستطاعة أن يتكلم بطريق من الطرق ففى الله تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (ولا
 يستطيعون) أى وليس لهم نوع استطاعة أصلاً (فان قيل) انه تعالى قال ويعبدون من
 دون الله ما لا يملك فعبر عن الاصنام بصيغة ما وهى لغیر العاقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا
 يستطيعون وهو مختص بمن يعقل (أجيب) بأنه عبر عنها بالياء اعتباراً باعتبار أنهم انما آلهة وفى
 تفسير قوله تعالى (فلا تضربوا الله الامثال) وجهان الاول قال أكثر المفسرين لا تشبهوا
 الله بخلق فانه واحد لا مثل له ولا شبه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفى ملكه
 فكيف يشبه الخالق بالخلق والرازق بالرزوق والقادر بالعاجز الثانى ان عبدة الاوثان
 كانوا يقولون ان اله العالم أجل وأعظم من ان يعبد اله واحد منا بل نحن نعبد الكواكب
 أو نعبد هؤلاء الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد الاله الاكبر الاعظم كما ان أصاغر
 الناس يخدعون أكبر حفدة الملك وأولئك الاكبر كانوا يخدعون الملك فكذا ههنا (ان الله)
 أى الذى له الامر كله ولا امر لغيره (يعلم) أى خطأ ما أنتم عليه من ضرب الامثال له (وأنتم
 لاتعلمون) ذلك وقيل معناه وأنتم لاتعلمون ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه
 الاصنام ولو علمتموه لتركتم عبادتها * ولما ختم تعالى ابطال مذهب عبدة الاصنام بسبب
 العلم الذى هو مناط السداد عنهم أكد ذلك بضرب مثل بقوله تعالى (ضرب الله) أى الذى له
 كمال العلم وتمام القدرة (مثلاً) بالاحرار والعبيد ثم أبدل من مثلاً (عبداً) وقيد بقوله تعالى
 (مملوكاً) ليخرج الحر لان العبد يطلق على الحر بالنسبة الى الله تعالى وقيد بقوله تعالى (لا يقدر
 على شئ) ليخرج المكاتب ومن فيه شائبة حرية وهذا مثل شركائهم ثم عطف على عبداً قوله
 (ومن) أى وحر انتهى نكرة موصوفة لطابق عبداً (رزقناه منارزقاً حسناً) أى واسعاً طيباً
 (فهو يتق منه) دائماً وهو معنى قوله تعالى (سرا وجهراً) أى يتصرف فيه كيف يشاء وهذا
 مثل الاله وله المثل الاعلى ثم بكتم انكار اعلمهم بقوله تعالى (هل يستترون) أى هذان
 الفريقان الممثل بهما لان المراد الخنس فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين
 أحدهما محترم مقدر والاخر مملوك عاجز فكيف يسوى بين حجر من صوان أو غيره وبين الله
 تعالى الذى له القدرة التامة على كل شئ وقيل ذلك تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق

* (تنبيه) * جواب هل يستوون هو لا يستوون وقوله تعالى (الحمد لله) قال ابن عباس الحمد لله
 على ما فعل باوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل المعنى ان كل الحمد لله وليس شئ من الحمد
 للانعام لانه لا نعمة لها على أحد لانهم اجاد عاجز أي انما الحمد لله لا لغيره فيجب على جميع العباد
 حمد الله لانه تعالى أهل الحماد والثناء الحسن فكأنهم قالوا نحن نعلم ذلك فقيل (بل أكثرهم)
 أي الكفار (لا يعلمون) لكنهم يسوونه غيره ومن نفي عنه أصل العلم الذي هو أعلى صفات
 الكمال كان في عداد الانعام فهم لذلك يشبهون به ما ذكر ويضربون له الامثال الباطلة
 ويضيفون نعمه الى غيره ثم انه تعالى ضرب العبد الاوثان مثلاً آخر بقوله تعالى (وضرب الله
 مثلاً) ثم أبدل منه (رجلين) ثم استأنف البيان لما أبجل فقال (أحدهما أبكم) وهو الذي
 ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم وروى ثعلب عن ابن الاعرابي الابكم
 الذي لا يسمع ولا يصغر وصف الله تعالى هذا الرجل بصفة ثانية بقوله تعالى (لا يقدر على شئ)
 لانه لا يفهمهم ولا يفهم وفي ذلك اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ثم وصفه الله تعالى
 بصفة ثالثة بقوله تعالى (وهو) أي ذلك الابكم العاجز (كل على مولاه) أي تقبل على من ولي
 أمره ويعوله قال أهل المعاني أصله من الغلط الذي هو نقض الحدة يقال كل السكين اذا
 غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الامر اذا نقل
 عليه فلم ينهض فيه ثم وصفه تعالى بصفة رابعة بقوله (أي بما توجهه) أي يرسله ويصرفه ذلك المولى
 (لا يأت بخير) لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم قيل هذا مثل شركائهم الذين هم عمال ووبال على
 عبدتهم ووجههم الله تعالى بقوله (هل يستوى هو) أي هذا الموصوف بهذه الصفات الاربع
 (ومن) أي ورجل آخر على ضد صفته فهو ناطق قادر عالم فطن قوى خبير مبارك ميمون (يأمر)
 أي ورجل آخر يأمر به من العلم والقدرة (بالعدل) أي يبذل النصيحة لغيره (وهو) في نفسه
 ظاهر او باطنا (على صراط) أي طريق واضح (مستقيم) أي عامل فيه بما يأمر به قيل هذا امثال
 المعبود بالحق الذي يكفي عابديه جميع المؤن وهو دال على كمال علمه وتمام قدرته وقيل المراد
 من هذا الابكم عبد لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان
 فيه خير ومولاه وهو عثمان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم وقيل
 المراد كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل من موصوف بتلك الصفات الحميدة
 وهذا القول كما قال الرازي أولى من الاول لان وصفه تعالى اياه بما يكونه ما رجليه يمنع من
 جعل ذلك على الوثن وكذلك بالبيكم وبالك وبالتوجه في جهات المنافع وكذلك وصف الآخر
 بأنه على صراط مستقيم يمنع من جملة على الله تعالى وأيضا المقصود تشبيه صورة بصورة في أمر
 من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدي الصورتين مغايرة للآخرى وأما القول
 الثاني فضعيف أيضا لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك
 غير مختص بشخص معين بل اذا حصل التفاوت في الصفات المذكورة فانه يحصل المقصود
 ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بكمال العلم بقوله تعالى (ولله) أي لا لغيره (غيب السموات

والارض) وهو ما غاب فيه ما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل الغيب
هنا هو قيام الساعة فان عليه غائب عن أهل السموات والارض ثم وصف سبحانه وتعالى كمال
قدرته بقوله تعالى (وما أمر الساعة) وهو الوقت الذي يكون فيه البعث (الا كلح البصر)
أي الا كرجع الطرف من أعلى الحسدة الى أسفلها والمعنى وما أمر قيام الساعة في السرعة
والسهولة الا كطرف العين والمراد منه تقدير كمال القدرة ومعنى قوله تعالى (أو هو أقرب)
ان كلح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحسدة الى أسفلها ولا شك
أن الحسدة مؤلفة من أجزاء فكلح البصر عبارة عن المرور على جملة تلك الأجزاء التي منها تألف
الحسدة ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من
آثات متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآثات فلذلك قال
أو هو أقرب لأنه لما كان أسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا هو لمح البصر لا جرم
ذكره ثم قال أو هو أقرب تبسيها على ما مر ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك فالمراد اذا
بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الابهام على المخاطبين لأنه تعالى يأتي بالساعة أمّا بقدر
لمح البصر أو بما هو أسرع وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء
الذي تقولون فيه هو كلح البصر أو هو أقرب مبالغة كقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون (ان الله) أي الملك الاعظم (على كل شيء قدير) فيقدر على أن يحيي الخلائق
دفعة واحدة كما قدر على احياهم فانه تعالى مهما أراده كان في أسرع ما يكون ثم انه تعالى عاد
الى الدلائل الدالة على وجود الصانع الختار فعطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا قوله عز وجل (والله) أي الذي له العظمة كلها (أخرجكم) بقدرته وعلمه (من بطون
أمهاتكم) حال كونكم عند الانخراج (لأنكم من شيا) من الأشياء قل أو جل فالذي
أخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطون الارض بلفظ بل بطريق الاولى وقرأ آخرة
والكسافي بكسر الهمزة والباءون بضمها وقرأ آخرة بكسر الميم والباءون بفتحها ثم عطف على
أخرجكم قوله تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) آلات لازالة الجهل الذي وقعت
الولادة عليه وفتق مواضعها وسواها وعدلها وأنتم في البطون حيث لا تصل اليه يد ولا يتمكن
من شق شيء منه بآلة فالذي قدر على ذلك في البطن ابداء قادر على اعادته في بطن الارض بل
بطريق الاولى قال البقاعي ولعله تعالى جمعها أي الابصار والافئدة دون السمع لان التفاوت
فيهما أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافئدة هي القلوب التي هيأها الله تعالى للهمم
واصلاح البدن بما أودعها من الحرارة اللطيفة للمعاني الدقيقة (اعلمكم تشكرون) لتصوروا
بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ وأبصرت الآيات في حال يرعى فيها شكركم
لما آفاض عليكم من لطائف صنعه بأن تعرفوا ماله من العلم والقدرة فانه انما أنعم عليكم بهذه
الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (فان قيل) عطف وجعل لكم السمع على
أخرجكم يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرين عن الانخراج من البطون مع أن

الامر ليس كذلك (أجيب) بأن حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضا اذا حملنا السمع على
 الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال ثم انه تعالى ذكر دليلا آخر على كمال قدرته وحكمته
 بقوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسخرات) أى مذلات للطيران (فى جوار السماء) أى فى الهواء
 بين الخفافين مما لا يقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها فى السمع والبصر
 وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعاً أنه تعالى خلق الطير خلقه معها يمكنه الطيران فيها والامساك
 أمكن ذلك لأنه تعالى أعطى الطير جناحاً يسطه مرة ويكسره مرة أخرى مثل ما يعمل
 السابح فى الماء وخلق الجو خلقه طمقة رقيقة يسهل خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان
 الطيران ممكناً ومع ذلك (ما يسبحون) فى الجوع عن الوقوع (إلا الله) أى الملك الاعظم فان جسد
 الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يتسحق بقاؤه فى الجو معلقاً من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه
 فوجب أن يكون الممسك له فى ذلك الجو هو الله تعالى وقرأ ابن عاشر وحزرة بالناس على أنه
 خطاب العامة والباقون بالياء على الغيبة (آن فى ذلك) المذكور (آيات) أى دلالات
 (لقوم يؤمنون) وخصهم بذلك لانهم هم المستمعون بها وان كانت هذه الآيات آيات لكل
 العقلاء ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من دلائل التوحيد بقوله تعالى (والله) أى الذى له الحكمة
 البالغة (جعل لكم من بيوتكم) وأصل البيت المأوى لئلا تمشى فيه (سكناً) أى موضعاً
 لتسكنوا فيه * (تنبيه) * البيوت التى يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة
 من الخشب والطين والآلات التى بها يمكن تسقيف البيوت والى الإشارة بقوله تعالى والله
 جعل لكم من بيوتكم سكناً وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقلها بل الانسان ينقل اليها
 والقسم الثانى القباب والخيام والفساطيط والى الإشارة بقوله تعالى (وجعل لكم من
 جلود الانعام بيوتا) المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر
 فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) أى تتخذونها
 خفيفة يخفف عليكم حملها ونقلها (يوم نطمسكم) أى وقت ترحالكم وعبر باليوم لان الترحال
 فى النهار (ويوم أقامتكم) أى وقت الحضر أو وقت النزول وهذا القسم من البيوت يمكن
 نقلها وتحويها من مكان الى مكان وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين والباء قون
 بالسكون وأضاف قوله تعالى (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الى ضمير الانعام لانها
 من جلته قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والاوبار للابل والاشعار للمعز (أنا) أى
 أى ما يلبس ويفرش (ومتباعاً) أى ما يتجر به وقيل الاثا ما يكتسى به المرء ويستعمله فى الغطاء
 والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به واختلف فى معنى قوله تعالى (الى حين) فقيل الى
 حين تبلى وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد حين وقيل الى يوم القيامة * (تنبيه) * فى نصب
 أنا نا وجهان أحدهما أنه منصوب عطفاً على بيوتنا أى وجعل لكم من أصوافها أنا نا والثانى
 أنه منصوب على الحال واعلم أن الانسان إما أن يكون مقيماً ومسافراً والمسافر إما أن يكون
 غنياً يستعجب معه الخيام أو لا فالقسم الاول أشار إليه بقوله تعالى جعل لكم من بيوتكم سكناً

وأشار إلى القسم الثاني بقوله تعالى وجعل لكم من جبال الانعام بيوتا وأشار إلى القسم الثالث بقوله تعالى (والله) أى الذى له الجلال والاکرام (جعل لكم) أى من غير حاجة منه تعالى (مما خلق) من شجر وجبال وأبقية وغيرها وقوله تعالى (ظللالا) جمع ظل تتقون به شدة الحر وقوله تعالى (وجعل لكم) مع غذاء المطلق (من الجبال أكنانا) جمع كن موضع تسكنون فيه من الكهوف والبيوت المخوة فيها (وجعل لكم) أى امتنا منكم عليكم (سرايل) جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال من قبض أو درع أو جوشن أو غيره أى وسواء كان من صوف أو دكان أو قطن أو غير ذلك (تقيكم الحر) ولم يقل تعالى والبرد لمتقدمه فى قوله تعالى فيها دف وقيل انه اكتفى بأحد المتقابلين وقيل كان المخاطبون بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكان حاجتهم الى ما يدفع الحر فوق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أسنن أنوع الثياب أشرف لأنه تعالى ذكر ذلك النوع لأنه كان النعم بها أشد واعتيادهم للبسها أكثر ولما كانت السرايل نوعا واحدا لم يـ = ردلفظ جعل فقال (وسرايل) أى دروعا من حديد وغيرها (تقيكم بأسكم) أى حربكم أى فى الطعن والضرب فيها * ولما عد الله تعالى أنواع نعمه قال (كذلك) أى كتمام هذه النعمة المتقدمة (بيم) نعمته عليكم فى الدنيا والدين بالبيان والهداية لطريق النجاة والمنافع والتنبية على دقائق ذلك (اعلمكم) يا أهل مكة (تسلمون) أى تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات أحد سواه وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فلم يقبلوا منك وآثروا ذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة فى الكفر (فانما عليكم) يا أفضل الخلق (البلاغ المبين) هذا جواب الشرط وفى الحقيقة جواب الشرط محذوف أى فقد تمهد عذر ذلك بعد ما أذيت ما وجب عليكم من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب وذلك لأن تبليغه سبب فى عذره فأقيم السبب مقام المسبب وهذا قبل الامر بالقتال ثم انه تعالى ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) أى الملك الاعظم التى تقدم عتبه فى هذه السورة وغيرها (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقال السدى نعمة الله يعنى محمد صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام وهو من أعظم النعم التى أنعم الله تعالى بها على عباده ثم ان كفار مكة أنكروه وبخدوه واختلف فى معنى قوله تعالى (وأكثرهم الكافرون) مع أنهم كلهم كانوا كافرين على وجوه الا قول انما قال تعالى وأكثرهم لأنه كان فيهم من لم تقم عليه الحجة من لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل فأراد بالاكثير البالغين الاصحاء. الثانى أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وكان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق الرسول وما ظهر له كونه نبيا حقا من عند الله الثالث انه ذكر الاكثر والمراد الجميع لأن أكثر الشئ يقوم مقام الكل فذكر الاكثر كذكر الجميع وهذا كقوله تعالى الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * ولما بين تعالى من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وذكر أيضا من حالهم أن أكثرهم كافرون اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة بقوله تعالى (ويوم) أى وخوفهم

يوم أو واذكر لهم يوم (تبعث) بعد البعث (من كل أمة شهيدا) هونيبها كما قال تعالى
فكيف اذا اجتمعنا من كل أمة بشهيد وجئتكم على هؤلاء شهيدا يشهدونهم بالها وعليها يوم
القيامة ليحكم تعالى بقوله اجراء الامر على ما يتعارفون وان كان تعالى غنيا عن شهيد وقوله
تعالى (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فيه وجوه أحدها لا يؤذن لهم في الاعتذار كقوله تعالى ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ثانيا لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ثالثا لا يؤذن لهم في الرجوع الى
دار الدنيا والى التكليف رابعا لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم
ليشهد الشهود (فان قيل) ما معنى ثم ههنا (أجيب) بأن معناها أنهم يمتحنون أى يتلون بغير
شهادة الانبياء عليهم السلام بما وطئ منها وانهم يمتعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة
ولا ادلاء بحجة (ولهم يستعجبون) أى لا تزال عتباهم وهى ما يعجبون عليها ويلامون يقال
استعجب فلانا بمعنى اعتته اى ازلت عتياه (واذا رأى الذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بالسكفر
والمعاصى (العذاب) أى عذاب جهنم بعد الموقف وشهادة الشهداء (فلا يحفف عنهم)
ذلك العذاب (ولهم ينظرون) أى لا يمهلون * ولما بين تعالى حاصل أمرهم في البعث وما بعده
وكان من أهم المهتم أمرهم في الموقف مع شركائهم الذين كانوا يرجونهم عطف على ذلك بقوله
تعالى (واذا رأى) أى بالعين يوم القيامة (الذين أشركوا شركاءهم) أى الالهة التى كانوا
يدعونها شركاء من الشياطين وغيرها (قالوا ربنا) أى يامن أحسن المناور بنا (هؤلاء شركاؤنا)
أضافوهم الى أنفسهم لانه لاحقيقة اشركتهم سوى تسميتهم لها الموجبة لضرتهم ثم بينوا
المراد بقولهم (الذين كان دعوا) أى نعبدهم (من دونك) ليقر بونا اليك فأكرمنا لاجلهم جريا
على مناهجهم في الدنيا في الجهل والغباء وخاف شركاؤهم من عواقب هذا القول والاقرار
عليه سطوات الغضب (فألقوا) أى الشركاء (اليهم) أى المشركين (القول) أى يادروا به حتى
كان اسراعهم اليه اسراع شئ ثقيل يلقى من علوا وكذا قولهم فقالوا (أنكم تكاذبون)
في جعلنا شركاء أو أنكم عبدتمونا حقيقة وانما عبدتم أهواءكم كقوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يبعد أن تنطق الاصنام بذلك يومئذ في انهم جلوهم على الكفر والزمواهم اياه
كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى (وألقوا) أى الشركاء
(الى الله) أى الملك الاعلى (يومئذ) أى يوم القيامة (السلام) أى الاستسلام بحكمه بعد
الاستكبار في الدنيا (وضل) أى غاب (عنهم) أى الكفار (ما كانوا يفترون) أى من أن
الاهتهم تشفع لهم * ولما ذكر تعالى وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد الغير
عن سبيل الله بقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى ضوامع كفرهم انهم
منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله وبرسوله (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب)
المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أى بكونهم مفسدين بصدتهم وقيل زدناهم عذابا باجميات
وعقارب كأمثال البخت يستغيثون بالهرب منها الى النار ومنهم من ذكر أن اكل عقرب سمائة
نقرة فى كل نقرة ثلثائة قلة من سم وقيل عقارب لها أنياب كالنخل الطوال ثم كثر سبحانه

وتعالى التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمته الآية السابقة وهو أن الشهادة تقع على الامم لآلهم وتكون بحضورهم فقال (ويوم) أى وخوفهم أو أواذك لهم يوم (نبت) أى بما النامن القدرة (في كل أمة) من الامم والامة عبارة عن القرن والجماعة (شهيد اعليهم) قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها (من أنفسهم) أى منهم لأن كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وبئنا) بما لنا من العظمة (بك) يا خيرا المرسلين (شهيدا على هؤلاء) أى الذين بعثناك اليهم وهم أهل الارض وأكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم تقيد بعثته بشئ وقال ابو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من أعضاء الإنسان حتى انما تشهد عليه وهو الاذان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان قال والدليل عليه ما قاله في صفة الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الاعضاء لا شك أنهم من أنفسهم ورد بأنه تعالى قال شهيدا عليهم فيجب أن يكون غيرهم وأيضا قال من كل أمة فيجب أن يكون ذلك الشهيد من الامة وآحاد هذه الاعضاء لا يصح وصفها بأنهم من الامة ثم بين تعالى أنه أراح علمهم فيما كفوا به فلا حجة لهم ولا معذرة بقوله تعالى (ونزلنا) أى بعظمتنا بحسب التدريج والتعجيم (عليك) يا خير خلق الله (الكتاب) أى القرآن الجامع لهدى (تبياننا) أى بياننا بامنا (لكل شئ) (فان قيل) كيف كان القرآن تبينا لكل شئ (أجيب) بأن المعنى من كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى وحننا على الاجماع في قوله تعالى ويبلغ غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآلهم لاتباع أصحابه والافتداء بأنارهم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مسندة الى بيان الكتاب فمن ثم كان تبينا لكل شئ (وهدى) أى من الضلالة (ورحة) لمن آمن به وصدقته (وبشرى) بالجنة (المسلمين) أى الموحدين خاصة * ولما استقصى سبحانه وتعالى في شرح الوعد والوعيد والرغبة والترهيب أتبعه بقوله (إن الله) أى الملك المستجمع لصفات الكمال (يا أمر بالعدل) قال ابن عباس في بعض الروايات العدل شهادة أن لا اله الا الله (والاحسان) أداء الفرائض وقال في رواية أخرى العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا أحببت له أن يزداد إيمانا وان كان كافرا أحببت له أن يكون أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوخيذ والاحسان هو الاخلاص فيه وقال آخرون يعنى بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقل الا ما هو احسان وأصل العدل المساواة في كل شئ من غير زيادة ولا نقصان فالعدل هو المساواة في المكافأة ان خيرا نخير وان شرا فبشر والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن تعفو عنه وعن الشعبي قال عيسى بن مريم انما الاحسان أن تحسن

الى من أساء اليك ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك وقيل العدل الانصاف
والانصاف أعدل من الاعتراف بالمنع بانعامه والاحسان أن تحسن الى من أساء اليك
وعن محمد بن كعب القرظي قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت يجي سألت
عن أمر جسيم كن لصغير الناس أبا وليكبيرهم ابنا وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك (وايتاء)
أي ومن الاحسان ايتاء (ذی القربى) أي القرابة القربى والبعدى فيندب أن تصلهم من فضل
ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاهم حسن وتودد وروى أبو سلمة عن أبيه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم إن أهل هذا البيت ليكونون تجارا
فتنبى أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ورحمهم * ولما أمر تعالى بالكارم نهى عن المساوى
بقوله تعالى (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس أي الزنا فانه اقبح احوال الانسان
وأشنعها وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع
الاقوال والافعال المذمومة جميعها (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره
المنكر ما لا يعرف في شريعة أو سنة (والبغى) هو الاستيلاء على الناس والتجبر عليهم قيل ان
أعجل المعاصي عقابا البغى ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر ذلك الباغى ونص تعالى على
البغى مع دخوله في المنكر اهتماما به كإبداء الفحشاء لذلك وقال ابن قتيبة في هذه الآية العدل
استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريره خيرا من علانيته والفحشاء والمنكر
والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريره وقال بعض العلماء ان الله تعالى ذكر من
المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة
في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما قبح من الاقوال والافعال وذكر
الاحسان وهو ان يعفو عن ظلمه ويحسن الى من أساء اليه وذكر في مقابلته المنكر
وهو أن ينكر احسان من أحسن اليه وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القرابة
والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم
حقوقهم ولما كان هذا المذكور من أبلغ المواعظ عليه بقوله تعالى (يعظكم) أي بأمركم
بما يرقى قلوبكم من مصاحبة الثلاثة الاول وهي العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ومجانبة
الثلاثة الاخيرة وهي الفحشاء والمنكر والبغى (لعلكم تذكرون) أي لكي تتعظوا وتعملوا بما
فيه رضا الله تعالى وقرأ حص وحزة والكسائي بخفيف المذال والباقون بالتشديد وفيه ادغام
التاء في الاصل في المذال وروى البيهقي في شعب اليمان عن ابن مسعود انه قال أعظم آية
في كتاب الله تعالى الله لا اله الا هو المحي القيوم وأجمع آية في كتاب الله للغير والشر الآيات التي
في النحل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأكثر آية في كتاب الله تقويضا ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وأشد آية في كتاب الله تعالى رجاء قل يا عبادي الذي أسرفوا
على أنفسهم الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء في هذه الآية المأمورية والمنهى عنه على سبيل الاجمال فاما من شيء يحتاج

إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتي به أو يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الآية وعن قتادة ليس من خلق حسن كان من أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويخشونه الأمر الله تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يعايرونه بينهم الانبياء الله عنه وعن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة أن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد لي فأعادها عليه فقال الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ولما اقتربت هذه الجبل التي جمعت بحججها المأمورات والمنهيات ما تضيق عنه الدفاتر والصدور وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب أنها بلغت من البلاغة مبلغا يحصل بدعاية السرور وذكر بعض تلك الأقسام وبدأ بما هو مع جمعة أهم وهو الوفاء بالعهد بقوله تعالى (وَأَوْفُوا) أي أوفعوا الوفاء الذي لا وفاء في الحقيقة غيره (بعهد الله) أي الملك الأعلى الذي عاهدكم عليه بإدلة العقل من التوحيد والبيع والإيمان وغيرهما من أصول الدين وفروعه (إذا عاهدتم) بقبولكم له بأذعانكم لامتثالكم (ولا تنقضوا الأيمان) واحترز عن لغو اليمين بقوله تعالى (بعدتو كيدها) أي تشديد ما فتحنه وأفياء في ذلك دليل على أن المراد بالعهد غير اليمين لأنه أعم منه رقياً أو عمر وبإدغام الدال في التاء بخلاف عنه (والجبال أنكم) قد جعلتم الله أي الذي له العظمة كلها (عليكم كفلاً) أي شاهداً ورفيقاً وقرناً نافعاً وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال قد عند الجيم والباقون بالإدغام وعن جابر رضي الله عنه قال نزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الإسلام فقال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعدتو كيدها ولا تنقضوا الأيمان بعدتو كيدها وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام (إن الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى لم تنقض العهد مثلاً فقال (ولا تكونوا) أي في نقض العهد (كأني نقضت غزاهما) أي ما غزته فهو صائر بمعنى انه قول (من بعد قوة) أي ابرام واحكام وقوله تعالى (أنكنا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل قال مقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها راطلة وقيل ربطة وتلقب بجعواء وكانت خرقاء جماعاً لها وسوسة اتخذت مغزلاً قد رذراع وصنارة مثل اصبع والمكة ظيمة على قدرها فكانت تغزل من الصوف والشعر والوبر هي وجواربها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن غزلهن وكان هذا أدبها وقال السدي كانت امرأة بمكة تسمى خرقاء بمكة تغزل فاذا برمت غزلها نقضته وقال مجاهد نقضت حبلها بعد ابراءها اياه وقال قتادة لو سمعتم بأمرأة نقضت غزلها من بعد ابرامها لقلتم ما أحق هذه وهذا مثل ضرب به الله لمن نكث عهده وقال في قوله تعالى (تخذون أيمانكم دخلاً بينكم) خيانة وغدر انتهى والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويطن فنقضه وانما كانوا يفعلون ذلك (أن) أي بسبب أن (تكون) أو مخافة أن تكون وتكون يجوز أن تكون نامة فتكون (أمة) أي جماعة فاعلموا وأن تكون نافصة فتكون أمة اسمها و (هي) مبتدأ و (أرأيت) أي أكثر (من أمة)

خبره والجملة في محل نصب على الحال على الوجه الاول وفي موضع الخبر على الثاني وأرى مأخوذ
 من رب الشيء يربو اذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف قال مجاهد
 كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجردون من كل أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين
 ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز منهم الله تعالى عن ذلك (انما يلوكم الله) الذي له الملك كله أي
 يختبركم (به) أي يعاملكم معاملة المختبر ليعلم للناس تمسككم بالوفاء واختلاصكم عنه اعتمادا
 على كثرة أنصاركم وقلة أنصار من نقضتم عهد من المؤمنين أو غيرهم مع قدرته سبحانه وتعالى
 على ما يريد فيوشك أن يعاقب بالخالفه فيضعف القوي ويقتل الكثير ويكثر القليل (وليبين
 لكم) أي اذا تجل لفصل القضاء (يوم القيامة ما كنتم فيه مختلفون) أي اذا جازاكم على
 أعمالكم بالثواب والعقاب فاحذروا يوم العرض على مالك السموات والارض وأن من
 نوقس الحساب يهلك (ولو شاء الله) أي الملك الاعلى الذي لا أثر لاحد معه أن يجعلكم أمة
 واحدة لا خلاف بينكم في أصول الدين ولا فروعه (لجعلكم أمة واحدة) أي متفقة على أمر
 واحد وهو دين الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم فهو تعالى (يضل من يشاء)
 عدلا منه تعالى لانه تام الملك ولو كان الذي أضله على أحسن الحالات (ويهدى) بنفسه (من
 يشاء) ولو كان على أخس الحالات والاحوال فبذلك تكونون مختلفين لا يستل عما يفعل
 سبحانه وتعالى (واتسئلن عما كنتم تعملون) في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المفسد
 بعدله تعالى * ولما حذر سبحانه وتعالى عن نقض العهد والايمان مطلقا قال تعالى (ولا تأخذوا
 أيمانكم دخلا) أي فسادا ومكرا وخديعة (بينكم) وليس المراد منه التذير عن نقض مطلق
 الايمان والالزم التكرار الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل المراد منه أولئك الاقوام
 المخاطبين بهذا الخطاب عن بعض أيمان مخصوصة أقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون
 المراد منه الذين يبيعوا النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض العهد لأن قوله تعالى (فتزل) أي
 فيكون ذلك سببلا ن تزل (قدم) هي في غاية العظمة (بعدثوثها) أي عن مركزها التي كانت به
 من دين أو دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائه * (تلبسه) * فتزل منصوب باضمار أن على
 جواب النهي وزل انقدم مثل يذكر لكل من وقع في بلاء بعد عافية أو سقط في ورطة بعد سلامة
 أو حنة بعد نعمة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا (بما) أي بسبب ما (صددتم) أي أنفستكم
 ومنعتم غيركم بأيمانكم التي قد أردتم بها الافساد وخفاء الحق (عن سبيل الله) أي دينه وذلك
 أن من نقض العهد سهل على غيره طرق نقض العهد فيستنبه (ولكنكم) مع ذلك (عذاب عظيم)
 أي ثابت غير منقك اذا متم على ذلك ثم كد سبحانه وتعالى هذا التحذير بقوله تعالى (ولا تشعروا)
 أي ولا تكلفوا أنفسكم بالاجازة كاللنظر أن تأخذوا وتبطلوا (بعهد الله) الذي له الملك
 كله (ثمنا قليلا) أي من حطام الدنيا وان كنتم ترونه كثيرا ثم عالج قلته بقوله تعالى (انما عند الله)

أى الذى له الجلال والاكرام من ثواب الدارين (هو خير لكم) ولا يعدل عن الخير الى غيره
 الا بلوج ناقص العقل ثم شرط علم خيره لكونهم من ذوى العلم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون)
 أى ان كنتم من أهل العلم والتمييز فتعلمون فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك بقوله تعالى (ما عندكم)
 أى من متاع الدنيا ولذاتها (يتقد) أى يفتى فصاحبه منغص العيش أشد ما يكون به اغتباطا
 بانقطاعه (وما عند الله) أى الذى له الامر كله من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (باق) أى دائم روى
 عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دينه
 أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دينه فأثر وما يبق على ما يفتى وقرا ابن كثير باقى
 فى الوقف بالياء والباقون بغيره وأما فى الوصل فالجميع بالتسوين (وليجزين الذين صبروا) على
 الوفاء بما رضى به من الاوامر والنواهي فى السراء والضراء (أجرهم) أى ثواب صبرهم
 (بأحسن ما كانوا يعملون) أى يجزأ أحسن من أعمالهم أو يجزيهم على أحسن أعمالهم
 وذلك لان المؤمن قديما فى المباحات والمندوبات وبالواجبات ولا شك أن الواجبات والمندوبات
 مما يثاب على فعلها الا على فعل المباحات وقرا ابن كثير وعاصم بالنون قبل الجيم أى ولنجزين
 نحن والباقون بالياء أى ولنجزين الله ثم انه تعالى رغب المؤمنين فى الايمان بكل ما كان من
 شرائع الاسلام بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) اذا اعتد اذ بأعمال
 الكفار فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فان قيل) من عمل صالحا يقيده
 العموم فبأنه ذكر أو أنثى (أجيب) بأنه ذكر دفعه للتخصيص بأحد الفريقين واختلاف فى
 قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) فقال سعيد بن جبير وعطاء بن الرزق الحلال وقال مقاتل هو
 العيش فى الطاعة وقال الحسن هو القناعة لان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا أطيب من
 عيش الكافران كان غنيا لان المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله تعالى وذلك بتقديره وتديره
 تعالى وعرف أن الله تعالى محسن كريم حكيم يضع الاشياء فى محلها فكان المؤمن راضيا
 بفضاء الله وبما قدر له ورزقه اياه وعرف أن مصلحته فى ذلك القدر الذى رزقه فاستراحت نفسه
 من الكدر والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه الاصول فدائم الحرص
 على طلب الرزق فيكون أبدا فى حزن وتعب وعناء وحرص فى الدنيا ولا يناله من الرزق
 الا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة
 انما تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من كد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقادة هي
 الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاء فثبت بهذا
 أن الحياة الطيبة لا تكون الا فى الجنة ولا مانع من أن المؤمن الكامل يحصل جميع ذلك ثم
 ان الله تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ولنجزينهم أجرهم) أى فى الدنيا والآخرة (بأحسن
 ما كانوا يعملون) أى من الطاعة وقد سبق تفسيره ولما قال تعالى ولنجزينهم أجرهم بأحسن
 ما كانوا يعملون أرشده الى العمل الذى به تخلص أعماله من الوسواس بقوله تعالى (فأذ أقرأت
 القرآن) أى أردت قراءته (فاستعد) أى ان شئت جهرا وان شئت سرا قال الشافعى رضى الله

تعالى عنه والاسرار أولى في الصلاة وفي قول يجهر كما يفعل خارج الصلاة (بالله) أي سأل الذي له
الكمال كله أن يعينه ذلك (من الشيطان) أي المحترق باللعنة (الرجيم) أي المطرود عن الرحمة من
أن يصدقه بوساوسه عن اتباعه ويدخل في ذلك جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على
القاء الوسوسة في قلوب بني آدم بأقدار الله تعالى على ذلك وقيل المراد إبليس خاصة والاستعاذة
بالله تعالى هي الاعتصام به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أئمة وظاهر
الآية وجوب الاستعاذة واليه ذهب عطاء سواء كانت القراءة في الصلاة أم في غيرها
واتفق سائر الفقهاء على أنها سنة في الصلاة وغيرها والصارف لهذا الأمر عن الوجوب
أحاديث كثيرة منها القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري وغيره عن أبي سعيد بن العلاء
رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منعك أن تتجيبني قال كنت أصلي قال
لم يقل الله استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لا علمك سورة هي أعظم سورة في القرآن
الحمد لله رب العالمين وفي رواية الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم نادى أيأوأ أنه قال له كيف تقرأ
إذا افتتحت الصلاة قال أي فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت إلى آخرها وظاهر الآية يدل
على أن الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة
واليه ذهب مالك وداود الظاهري قالوا لأن قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصل
الوسواس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أولا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك
الوسواس وبقي الثواب مخلصا والذي ذهب إليه الأكثر من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من الأئمة وفقهاء الامصار أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن
تقرأ القرآن فاستعذ بالله وتبعهم على ذلك فلهذا قدرت ذلك في الآية الكريمة ومثل ذلك قوله
تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام إذا أتت فسم أي إذا أردت
أن تأكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سافرت فتأهب أي إذا أردت السفر فتأهب وأيضا
الوسوسة انما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه
أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها * ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم أن للشيطان قدرة على التصرف في إتيان
الإنسان أنزال الله تعالى ذلك الوهم وبين أنه لا قدرة له ألبتة الأعلى الوسوسة بقوله تعالى
(إنه ليس له سلطان) أي بحيث لا يقدر المسلم عليه على الانفكاك عنه (على الذين آمنوا) أي
بتوفيق ربهم لهم (وعلى ربه) وجده (يتوكلون) أي على أوليائه المؤمنين به والمؤمنين
عليه فانهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعن سفیان الثوري
قال ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر لهم ثم وصل تعالى بذلك ما أفهمه من أن
له سلطانا على غيرهم بقوله (إنما سلطانا) أي الذي يتمكن به غاية التمكن بإمكان الله
تعالى له (على الذين يتولونه) أي يجيبونه ويطيعونه (والذين هم به) أي بالله تعالى (مشركون)
وقيل الضمير راجع إلى الشيطان والمعنى هم بسببه مشركون بالله * ولما كان المشركون إذا

نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ناسخة لها يقولون ان محمدا يستمزي بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر
وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفرتي بقوله من تلقا نفسه نزل (واذا بدلنا) أي بقدرتنا بالتسخير
(آية) سهلة كالعادة بأربعة شهور وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنتين من الكفار أو شاقة
كحريم الخمر وإيجاب الصلوات الخمس فجعلناها (مكان آية) شاقة كالعادة بحول ومصابرة
عشرة من الكفار أو سهلة كالآيات المنقضة لباحة الخمر والتبديل رفع الشيء ووضع غيره
مكانه (والله) أي الذي له الاحاطة الشاملة (أعلم بما ينزل) من المصالح بحسب الاوقات
والاحوال بنسخ أو غيره (قالوا) أي الكفار (انما أنت) يا محمد (مفتري) أي متقول على الله
تعالى تأمر بشئ ثم يدولك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض والمعنى
والله أعلم بما ينزل من النسخ والتغليظ والتخفيف أي هو أعلم بجميع ذلك ومصالح
العباد وهذا توخي للكفار على قولهم انما أنت مفتري اذا كان هو أعلم بما ينزل فما لهم
ينسبون محمدا الى الافتراء لاجل التبديل والتسخير (بل أكثرهم) وهم الذين يستمرون
على الكفر (لا يعلمون) حكمة فائدة النسخ والتبديل ولا يعيرون الخطأ من الصواب
فان الله تعالى أعلم بمصالح العباد كما أن الطبيب يأمر المريض بشربة ثم بعد مبددة ينهأ عنها
ويأمره بغيرها بضد تلك الشربة ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم بقوله
تعالى (قل) لمن واجهك بذلك منهم (نزل) أي القرآن بحسب التدرج لاجل اتباع
المصالح باحاطة علم المتكلم به (روح القدس) أي جبريل عليه السلام وازدادة الروح الى
القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد
الخير والمقدس المطهر من المآثم (من ربك بالحق) أي متلبسا بالحكمة (ليثبت الذين
آمنوا) أي ليثبت بالقرآن قلوب الذين آمنوا فزادوا ايمانا وبقينا (وهدي) أي بياننا واوضحنا
(وبشرى للمسلمين) أي المتقادين لحكمكم (فان قيل) ظاهر الآية ان القرآن لا يفسخ
بالسنة لقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية اذمقضاء أن الآية لا تسخى الا بأخرى (أجيب) بأن
هذه الآية دلت على أنه تعالى يبدل آية بآية ولا دلالة فيها على أنه لا يبدل آية الا بآية وأيضا
فجبريل عليه السلام ينزل بالسنة كما ينزل بالآية * ولما كان المشركون يقولون ان محمدا انما
يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم
نزل قوله تعالى (ولقد تعلم) أي علماء سقرا (أنهم يقولون انما يعلم بشر) واختلف في البشر الذي
قال المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم منه ف قيل هو عبد بني عامر بن لؤي يقال له
يعيش كان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عبد بن الحضرى صاحب
كتب وكان اسمه خيرا فكانت قریش تقول عبد بن الحضرى يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا
وقيل كان بمكة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال ابن ديسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان
الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعداد هذه الاسماء والحاصل أن القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه
الكلمات من غيره ثم انه يظهره لمن نفسه ويزعم أنه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه فأجاب

الله تعالى عنه تكذيباً لهم فيما روي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب بقوله تعالى
 (إِنَّ الَّذِي يَلْدُنْ) أي يميلون إليه أو يشيرون (إليه) أي أنه يعلمه (أعجمي) أي لا يعرف لغة
 العرب وهو مع ذلك الكن في التأديبه غير مبين (وهذا) أي القرآن (لسان عربي مبين) أي ذوبان
 وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه
 (أن الذين لا يؤمنون) أي لا يصدقون كل تصديق معتزفين (بآيات الله) أي الذي له العظمة
 كلها (لا يدينهم الله) أي لا يرشدهم ولا يوفقهم للإيمان (ولهم عذاب أليم) أي ولم في الآخرة
 ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المنة بقرنه بقوله تعالى (أَنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ) أي القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وأولئك) أي البعداء البغضاء (هم
 الكاذبون) أي الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم من الكذب أولئك
 هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين * ولما ذكر تعالى
 الذين لا يؤمنون مطلقاً أتبعهم صفاتهم هم أشد كفراً بقوله تعالى (مَنْ) أي أي مخلوق
 وقع له أنه (كفر بالله) أي الذي له صفات الكمال بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر (من بعد
 إيمانه) بالله وروى له صلى الله عليه وسلم (الآمن أكره) أي على التلفظ بالكفر فتلفظه (وقامه
 مطمئناً بالإيمان) فلا شيء عليه لأن محل الإيمان هو القلب روى أن قريشاً أكرهوا عماراً وأباه
 يأسراً وأتمه سبيته على الارتداد فربطوا سبيته بين بعيرين وقالوا أنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت
 وقتل يأسراً وهو أول قتيل في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرهاً وهو كاره بقلبه
 فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلاً إن عماراً امتلاً إيماناً من
 قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بعينه ويقول مالك أن عادوا لك فقل لهم مثل ما قلت
 * (تنبيه) في الآية دليل على إباحة التلفظ بالكفر وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه أعزاً إذا
 للدين كإفعاله أبواه ولما روى أن مسيلة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال
 رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضاً فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد فقال رول الله
 قال فما تقول في قال أنا صم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برحمة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيأله واختلف الأمة
 في وقوع الطلاق بالاكراه فقال الشافعي وأجدر جهنماً الله تعالى لا يقع طلاق المكره وقال
 أبو حنيفة رجه الله تعالى يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا إكراه في الدين ولا يمكن أن يكون
 المراد في ذاته لأن ذاته موجودة فوجب حملها على نفي آثاره أي لا أثر له ولا عبرة به وقال عليه
 الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال أيضاً لا طلاق في
 أغلاق أي إكراهه وبعبارة أخرى بوجوه بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له وهذا قد طلقها وأوجب
 بأن الآية مخصوصة بغير ذلك جميعاً بين الأدلة (ولكن من شرح بالكفر صدراً) أي فصح ووسعه
 أقول الكفر واختاره ورضي به (فعليه غضب) أي غضب لم تبين جهة عظمه لكونه (من الله)

أى الملك الاعظم (ولهم) أى بطواهرهم وبواطنهم (عذاب عظيم) فى الآخرة لا ترددهم
 على أعقابهم (ذلك) أى الوعيد العظيم (بأنهم) أى بسبب أنهم (استحبوا) أى أحبوا حباً عظيماً
 (الحياة الدنيا) الكائنة الحاضرة الفانية فآثروها (على الآخرة) الباقية الفاخرة لانهم رأوا
 ما فيه المؤمنون من الضيق والكافرون من السعة (وأن الله) أى الذى له الغنى المطلق
 (لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل (أولئك) أى البعداء
 البغضاء (الذين طبع الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه (على قلوبهم) أى ختم عليهم واستوثق
 * ولما كان التفاوت فى السمع نادراً وحده بقوله تعالى (وسمعهم) أو بمعنى اسماعهم ليناسب
 قوله تعالى (وأبصارهم) فصاروا بعد امتناعهم بهذه المشاعر كأنهم لا يفهمون ولا يسمعون
 ولا يبصرون (وأولئك) أى الاباعد من كل خير (هم الغافلون) عما يراد بهم من العذاب
 فى الآخرة (الاجرم) أى لاشك (أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) أى يكمل الناس خسارة
 لأن الله تعالى وصفهم بست صفات الاولى أنهم استوجبوا غضب الله تعالى الثانية أنهم
 استوجبوا العذاب الاليم الثالثة أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الرابعة أن الله تعالى
 حرمهم من الهداية الخامسة أنه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة أنه
 جعلهم من الغافلين عن العذاب الشديد يوم القيامة اذ كل واحدة من هذه الصفات من أعظم
 الاحوال المانعة من الفوز بالخيرات والسعادات ومعانهم أنه تعالى انما أدخل الانسان
 فى الدنيا ليكون كالناجر الذى يشتري بطاعته سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع
 العظيمة عظم خسارته فهذا السبب حكى تعالى عليهم بالخسران * ولما ذكر تعالى حال من كفر
 بالله من بعد ايمانه وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما قن بقوله تعالى
 (ثم إن ربك) أى المحسن اليك (للذين هاجروا) الى المدينة الشريفة بالولاية والنصر وقوله تعالى
 (من بعد ما قنوا) قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء على استناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم
 الفاء وكسر التاء على فعل مالم يسم فاعله وجه القراءة الاولى انه عاد الضمير على المؤمنين فالمنى
 قنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول ظاهراً وأنهم لما صبروا على عذاب المشركين
 فكأنهم قنوا أنفسهم وان عاد على المشركين فهو ظاهر أى قنوا المؤمنين لأن أولئك
 المفتونين هم المستضعفون الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والزجوع عن الايمان فبين
 تعالى أنهم هاجروا (ثم جاهدوا وصبروا) على الطاعة (إن ربك من بعدها) أى الفتنة
 (لغفور) أى بليغ الاكرام (رحيم) فهو يغفر لهم ويرحمهم * (يتبينه) حذف خبر ان الاولى
 لدلالة خبر الثانية عليه أو بمقدّر بجمام (يوم) أى اذ كرم يوم (تأتى كل نفس) أى وان عظم
 جرمها (تجادل) أى تحتاج (عن نفسها) أى لا يهملها غيرها وهو يوم القيامة (فان قيل) ما معنى
 النفس المضادة الى النفس (أجيب) بأنه يقال لعين الشئ وذاته نفسه وفى تقيضه غيره والنفس
 الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان
 يجادل عن ذاته لا يهمل شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها

كقولهم هؤلاء الذين أضلونا وما كنا مشركين (ونوفى كل نفس) صالحة أو غير صالحة (ما علمت) أي جزاءه من جنسه (وهم لا يظنون) أي شيئا * ولما هدته تعالى الكفار بالوعد الشديد في الآخرة هددهم أيضا بالقات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف بقوله تعالى (وضرب الله) أي المحيط بكل شيء (مثلا) ويبدل منه (قرية) هي مكة والمراد أهلها (كانت آمنة) أي ذات أمن ويأمن بها أهلها في زمن الخوف قال تعالى أوليروا أنا جعلنا خروما آمنا ويخطف الناس من حولهم والأمن في مكة كان كذلك لأن العرب كان يغرب بعضهم على بعض دون أهل مكة فانهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم (مطمئنة) أي قارة بأهلها لا يحتاجون فيها إلى شجعة وانتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله تعالى الناس عنها ووجود ما يحتاج إليه أهلها (فان قيل) الاطمئنان هو الأمن فيلزم التكرار (أجيب) بأن قوله تعالى آمنة إشارة إلى الأمن وقوله تعالى مطمئنة أي لا يحتاجون فيها إلى شجعة كما مر وقيل أشار تعالى بذلك إلى الصحة لأن هو ذلك البلد كان ملائما لاحتياجهم فلذلك اطمأنوا إليه واستمقروا قالت العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الأمن والصحة والكفاية (يأتينا) أي على سبيل التجدد والاستمرار (رزقها رغدا) أي واسعا طيبا (من كل مكان) برزح بتيسير الله تعالى * ولما كانت السعة تنجر إلى البطر غالباً به تعالى على ذلك بقوله تعالى (فكفرت بأنعم الله) أي الذي له الكمال كله وأنعم جمع نعمة قال الزمخشري على ترك الاعتماد بالناء كدفع وأدفع وقال قطرب هي جمع نعم والنعم النعمة يقال هذه أيام نعم وطعم فلا تصوموا وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس (فان قيل) الانعم جمع قلة فكانت تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم يقل تعالى كفر وانعم عظيمة فاستوجبوا العذاب (أجيب) بأن المقصود التنبيه بالأدنى على الأعلى فان كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى وبأن الله تعالى أنعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في إيذائه (فأذاقها الله) أي المحيط بكل شيء (لباس الجوع) بعد رزق العيش سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأككلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل إن القرية غير مكة لأنها ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة (والخوف) بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) استعير الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتغل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير عزة

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

فإنه استعار الرداء المعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يليق عليه وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظر إلى المستعار له ولو نظر إلى المستعار لقال ضاف الرداء أي سابقة ومعنى البيت إذا ضحك المسئول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسم استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خلاف وقد ينظر إلى المستعار له كقوله

ينازعني ردائي عند عمرو * ويدل يا أخا عمرو بن بكر
على الشطر الذي ملكت عيني * ودونك فاعتبر منه بشطر
استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتبر نظرا إلى المستعار ولولم ينظر إلى المستعار منه لقال تعالى في
الآية وكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضا في الرداء إذا تبسم ضاحكا وهذه نهاية
ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى
إذا ما الفصيح ثني جيدها * ثقثت عليه فكانت لباسا
ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ومثله قول الشاعر
وقد لبست بعد الزبر مجاشع * لباس التي حاضت ولم تغسل الدما
كان العار لما باشرهم ولصق بهم كأنهم نسوة وقوله تعالى فأذاقها نظير قوله تعالى ذق انك أنت
العزير الكريم ونظير قول الشاعر دون ما جنيت فأحس وذق * وقوله تعالى (بما كانوا
يصنعون) يجوز أن تكون ما مصدرية أي بسبب صنعهم أو بمعنى الذي والعائد محذوف أي
بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائد على أهل البلد وقيل قرينة نظير قوله تعالى
أو هم قائلون بعد قوله تعالى ولم من قرينة أهلكها * ولما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل له فقال
تعالى (ولقد جاءهم) أي أهل هذه القرية (رسول منهم) من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب) قال ابن عباس يعني الجوع الذي كان بمكة وقيل
القتل الذي كان يوم بدر (وهم ظالمون) أي في حال تلبسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم
الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من هذا آفة النعمة والموت على الغفلة وقرأ نافع وابن كثير
وابن ذكوان وعاصم بإظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فكلوا)
أي أيها المؤمنون (عمارزقكم الله) قال ابن عباس يريد من الغنائم وقال الكلبي إن رؤساء
مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عادت الرجال فما بال النساء
والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم فأذن في الحبل إليهم فحمل الطعام إليهم فقال الله تعالى
كلوا مमारزقكم الله قال الرازي والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية
انما حرم عليكم الميتة يعني أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا مमारزقكم الله (حلالا طيبا)
وهو الغنمة وأتركوا الخبائث وهي الميتة والدم * ولما أمرهم تعالى بأكل الحلال أمرهم
بشكر النعمة بقوله تعالى (واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون) أي تطيعون * (تنبيه) *
رسمت نعمت بالتاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالهاء والباقون بالتاء والكسائي يقف بالألمة
وتقدم تفسير قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن
اضطر فغير باغ ولا عاذفان الله غفور رحيم) في سورة البقرة فلا فائدة في تفسير ذلك وقرأ
أبو عمرو وعاصم وحجة فمن اضطر في الوصل بكسر النون والباقون بالضم * (تنبيه) * حضر
الحرمات في هذه الأشياء الأربعة مذكورا أيضا في سورة الانعام عند قوله تعالى قل
لا أجد فيما أوحى إلي من أمر مالي طعام يطعمه الآية وفي سورة المائدة في قوله تعالى أحلت

لكنكم بهيمة الانعام الاما يتلى عليكم واجعوا على أن المراد بقوله تعالى الاما يتلى عليكم
هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله
وقوله تعالى في المائدة والتخنقة والموقوذة والمتريفة والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيت
فهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال تعالى وما ذبح على النصب وهو أحد الاشياء الداخلة
تحت قوله تعالى وما أهل به لغير الله فنبت أن هذه السور الاربعة دالة على حصر المحرمات
في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدينتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة
من آخر ما أنزل الله بالمدينة فن أنكر حصر التحريم في هذه الاربعة الا ما خصه الاجماع
والدلائل العقلية القاطعة كان في محل أن يخشى عليه لأن هذه السورة دلت على أن حصر
المحرمات في هذه الاربعة كان مشروعا بانسابي أول زمان مكة وآخره وأول زمان المدينة
وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعاً للاعذار وإزالة للشبهة * ولما حصر
تعالى المحرمات في هذه الاربعة بالغ في تأكيده ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة
على هذه الاربعة تارة وفي النقصان عنها أخرى بقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما يحله الله ولم يحرمه فانهم كانوا يحرمون البعيرة والسائبة
والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
فقد زادوا في المحرمات وزادوا أيضاً في المحلات لانهم حلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما
أهل به لغير الله فبين تعالى أن المحرمات هي هذه الاربعة وبين أن الاشياء التي يقولون هذا
حلال وهذا حرام ككذب واقتراء على الله تعالى * (تنبيه) * في انتصاب الكذب وجهان
أحدهما قال الكسائي ما مصدرية والتقدير ولا تقولوا لاجل وصف ألسنتكم الكذب هذا
حلال وهذا حرام نظيره أن يقال لا تقولوا الكذا وكذا كذا وكذا (فان قيل) حل الآية
على هذا يؤدى الى التكرار لأن قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) عين ذلك (أجيب)
بأن قوله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب ليس فيه بيان أنه كذب على الله فأعاده ليحصل
فيه هذا البيان الزائد ونظيره في القرآن كثير وهو أنه تعالى يذكر كلاماً ويعيد دبعينه مع
فائدة زائدة الثانية أن تكون ما موصولة والتقدير ولا تقولوا الذي تصف ألسنتكم الكذب
فيه هذا الحلال وهذا حرام وحذف لفظ فيه لكونه معلوماً وقيل الام في لتفتروا والام العاقبة
كما في قوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً (فان قيل) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (أجيب)
بأن ذلك من فصيح الكلام وبلغه جعل قولهم ككأنه عين الكذب ومحضه واذا انطقت به
ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال أى هي
جميلة وعينها تصف السحر أى هي ساحرة فلما أوردوا المبالغة في وصف الوجه بالمبالغة ووصف
العين بالسحر عبروا بذلك ثم انه تعالى أوعده المقتريين بقوله تعالى (أن الذين يفترون على الله)
أى الذى له الملك كاه (الكذب) منكم ومن غيركم (لا يفلحون) أى لا يفوزون بخير لان
المفتري يفتري لنفسه سبيل مطلوب فنفي الله تعالى عنه الفلاح لانه الفوز بالخير والتجاح ثم بين

تعالى ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب بقوله تعالى (متاع قليل) أى منفعة قليلة
تنتطع عن قرب لقنائه وان امتد ألف عام (ولهم) بعده (عذاب أليم) أى مؤلم فى الآخرة * ولما
بين تعالى ما يحل ويجرم لادل الاسلام اتبعه إيمان ما يخص اليهود به من المحرمات بقوله
تعالى (وعلى الذين هادوا) أى اليهود (حرمنا) عليهم عقوبة لهم بعد اوتهم * وكذبهم على
ربهم (ما قصصنا عليك) يا أجل المرسلين (من قبل) أى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى
الذين هادوا وحرمنا كل ذى ظفر الآية (وما ظلمناهم) أى يعزيم ذلك عليهم (ولكن كانوا)
أى دائما طبعها لهم وخلقنا مستمرا (أنفسهم) خاصة (بظلمون) بالبغي والكفر فضيقنا عليهم
معاملة بالعدل وعاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا عوائل
النقمة * ولما بين تعالى هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هى أكبر منها جذا استجابا
لكل ظالم. وبين عظمتها بحرف التراخي فقال تعالى (ثم ان ربك) أى المحسن اليك (للدن
عملوا السوء) وهو يتناول كل ما لا ينبغى فعله فيشمل الكفر وسائر المعاصى (بجهالة) أى
بسببها أو ملتبسين بهم البعم الجهل بالله وبقضائه وعدم التدبر فى العواقب فكل من عمل سوءا
انما يفعله بالجهالة أما الكفر فلان أحد الارضى به مع العلم بكونه كفر لانه لو لم يعتقد كونه
حقا فانه لا يخافه ولا يرتضيه وأما المعصية فلان العالم لم تصدر منه المعصية مالم تصر الشهوة
غالبة للعقل فثبت أن كل من عمل السوء فأنما يقدم عليه بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك)
أى الذنب ولو كان عظيما واقتصر واعلى ما أذن فيه خالفهم (وأصلحوا) بالاستمرار على ذلك
(ان ربك) أى المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره (من بعدها) أى التوبة (لغفور) أى بليغ
الستر لما عملوا من السوء (رحيم) أى بليغ الرحمة محسن بالاكرام فضلا منه ونعمة * ولما
دعاهم الله تعالى الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساوئها بقوله لمن أقبل اليه وكان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين لاجرم ذكره الله تعالى فى آخر هذه السورة ووصفه
بتسع صفات الصفة الاولى قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) أى لكاله واستجماعه فضائل
لأنكاد توجد الامتفرقة فى أشخاص كثيرة كقول القائل

وايس لله (أى من الله) يستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

أى أن يجمع صفاتهم فى شخص واحد وقال مجاهد كان مؤنسا وحده والناس كلهم كانوا كفارا
فلهذا المعنى كان وحده أمة واحدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن
نضيل يبعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم يبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله
تعالى بهم عن أهل الارض الا زمنا ابراهيم فانه كان وحده وقيل أمة فعلة بمعنى مفعول كالدخلة
والنخبة من أمة اذا قصدوا قدى به فان الناس كانوا يؤمنونه للاستفادة ويقتدون بسيره كقوله
تعالى انى جعلك للناس اماما وقرأ هشام ان ابراهيم وملة ابراهيم بالالف بعد الهاء فيها ما قرأ
الباقون بالياء فيها الصفة الثانية قوله تعالى (فاسأله) أى مطيعا له فاسأبا وأمره الصفة
الثالثة قوله تعالى (حنيفا) أى ما تلاحن الباطل قال ابن عباس انه أول من اختن وأقام

مناسك الحج وضحي وهذه السنة الحنيفة الصفة الرابعة قوله تعالى (ولم يك من المشركين) أي
 انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين في الصغر والكبر وقد أبطل عبادة الاصنام
 والكواكب بقوله لا أحب الاقلى ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى أن تقوم ألقوه
 في النار وذلك دليل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله ربني الذي يحيي ويميت ثم طلب من
 الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى ليحصل له زيادة الظمأنينة قال الرازي ومن وقف على علم
 القرآن علم أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان غريقا في بحر علم التوحيد الصفة الخامسة
 قوله تعالى (شاكرا لانعمه) فان قيل لفظ الانعم جمع فله ونعمة الله تعالى على ابراهيم عليه السلام
 كانت كثيرة فلم قال شاكر الانعمه (أجيب) بأنه ذكر القلة للتنبيه على أنه كان لا يحل بشكر
 القليلة فكيف بالكثيرة وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتعدى الامع ضيف فلم يجد
 ذات يوم ضيفا فأخرجده فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخلوا
 له أن بهم جذاما فقال لهم الآن وجبت مواكبتكم شكر الله على انه عافاني وابسلاكم بهذا
 البلاء الصفة السادسة قوله تعالى (اجتباها) أي اصطفاها للنبوة واختاره لخلق الصفة
 السابعة قوله تعالى (وهده الى صراط مستقيم) أي وهده الى دين الاسلام لانه الصراط
 المستقيم والدين القويم ونظيره قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الصفة الثامنة
 قوله تعالى (وآتيناه في الدنيا حسنة) قال قتادة حبسه للناس حتى أن أبواب الملل يتولونه
 وينتجون عليه أما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر وأما كفار قريش وسائر العرب فلا نخر
 لهم الابية وتحقيق القول ان الله تعالى أجاب دعاءه في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين
 وقال آخرون هو قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وقيل أولاد ابرار
 على الكبر الصفة التاسعة قوله تعالى (وانه في الآخرة لمن الصالحين) في الجنة (فان قيل)
 لم لم يقل تعالى في أعلى مقامات الصالحين (أجيب) بأنه تعالى حكى عنه أنه قال رب هب لي حكما
 وألحقني بالصالحين فقال تعالى هنا وانه في الآخرة لمن الصالحين تنبيه على أنه تعالى أجاب
 دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا يتنى أن يكون في أعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين
 ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وتلك جنتنا آتيناهم ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
 * وما وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالمة الشريفة أمر نبيه محمدا
 صلى الله عليه وسلم في اتباعه مشيرا الى علومه بتهجرف التراخي بقوله تعالى (ثم أوحينا اليك)
 يا أشرف الرسل وقيل أتى بتم التراخي أي التراخي أيامه عن أيام ابراهيم عليه ما أفضل الصلاة
 والسلام (أن اتبع ملة ابراهيم) في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وابرار الدلائل مرة بعد
 أخرى والجحالة مع كل أحد على حسب فهمه ولا بعد في أن يفهم ذلك الهجرة أيضا وقيل
 كان النبي صلى الله عليه وسلم مأثورا بشريعة ابراهيم عليه ما الصلاة والسلام الامانخ
 منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقوله تعالى (حنيفا) حال من النبي صلى الله عليه وسلم ويصح أن
 يكون حالا من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان من المشركين) كثره

رداعلى من زعم من اليهود والنصارى أنهم على دينه وقوله سبحانه وتعالى (انما جعل السبت على
 الذين اختلفوا فيه) فيه قولان الاول روى الكلبى عن ابي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهم ما
 أنه قال أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة وقال تفرغوا لله فى كل سبعة أيام يوماً واحداً وهو
 يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئاً من أعمالكم فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا يزيد الا اليوم الذى
 فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى
 عليه السلام أيضاً بالجمعة فقالت النصارى لا يزيد أن يكون عيدهم أى اليهود بعد عيدنا فاتفقوا
 الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى كتب يوم الجمعة على من كان
 قبلكم فاختلفوا فيه وهذا أنا لله لهم لنا فيه تسع اليه ودغدوا وانصارى بعد غد (فان قيل) هل
 فى العقل وجه يدل على أن الجمعة أفضل من السبت والاحد فان أهل الملل اتفقوا على أنه
 تعالى خلق العالم فى ستة أيام وابدأ تعالى بالخلق والتسكينين فى يوم الاحد وعظم فى يوم
 الجمعة فكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا فى ترك الاعمال فعينوا يوم
 السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدنا
 فهذان الوجهان معقولان لنا فوجه جعل يوم الجمعة عيداً (أجيب) بأن يوم الجمعة هو يوم
 التمام والكمال وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور فجعل يوم الجمعة يوم
 العيد أولى من هذا الوجه القول الثانى اختلافهم فى السبت هو أنهم أجلوا الصبيد فيه تارة
 وحترموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة (وان ربك) أى المحسن
 اليك بطواعية أصحابك لك (ليحكم بينهم) أى هؤلاء المختلفين (يوم القيامة) وهو يوم اجتماع
 جميع الخلائق (فيما كانوا فيه يختلفون) فيحكم للمعقنين بالثواب والمبطلين بالعقاب * ولما
 أمر الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين الشئ الذى أمره
 بتابعته فيه بقوله تعالى (ادع) أى كل من تمكن دعوته من بعث اليه (الى سبيل ربك) أى
 المحسن اليك بتسهيل السبيل الذى تدعو اليه واتساعه وهو الاسلام الذى هو الملة الحنيفية
 (بالحكمة) أى المعاملة المحكمة وهو الدليل الواضح المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) أى
 بالدعاء الى الله تعالى بالترغيب والترهيب بالخطابات المنقبة والعبارات النافعة والاولى
 لدعوى خواص الامة الطالبين للعقائق والثانية لدعوى عوامهم (وجادلهم) أى وجادل
 معانديهم (بالتى) أى بالمجادلة التى (هى أحسن) كالدعاء الى الله تعالى بآياته والدعاء الى حجة
 بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غلظ ولا تعسف فان ذلك أنفع
 فى تسكين لهم وتبيين شبههم وقيل المراد بالحكمة القرآن أى ادعهم بالقرآن والموعظة الحسنة
 الرفق واللين فى الدعوة وفى الامر بالمجادلة التى هى أحسن الاعراض عن أذاهم وعدم التقصير
 فى تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية
 السيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام القسم الاول العلماء الكاملون وهم
 أصحاب العلوم الصحيحة والبصائر الشافية الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء

هم المشار اليهم بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة أى ادعهم بالدلائل القطعية البقينية
 حتى يعانوا الاشياء بحقائقها ويتقوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم
 القسم الثانى أصحاب القطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا احد
 الكمال ولم ينزلوا الى خضيف نقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله تعالى
 والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث أصحاب جدال وخصام
 ومعاندة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن أى حتى يتقادوا الى
 الحق ويرجعوا اليه (ان ربك) المحسن اليك بالتخفيف عنك (هو أعلم) أى من كل من يتوهم
 فيه علم (يكن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى فهو سبحانه وتعالى أعلم بالفرقيين فمن كان
 فيه خير كفاه الموعظة والنصيحة اليسيرة ومن لا خيري فيه عجزت عنه الحيل وكانت تضرب
 في حديد بارد فاعليك الا البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما
 فليس ذلك اليك وهذا قبل الامر بالقتال وذكرى قوله تعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل
 ما عوقبتهم به) أقوال أحدها وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء وأبى بن كعب
 والشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جددوا أنفه وأذنه
 وقطعوا ماذ كبره وبقر وابطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فصعته ثم استرطبتها
 لتأكلها فلم تلبث فى بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انها لو أكلته
 لم تدخل النار أبد اجزة أكرم على الله من أن يدخل شيأ من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اليه نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط أوجع لقلبه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 راحة الله عليكم فاني ما علمتكم الا فعل الخيرات وصولا للرحم ولولا نحن من بعدك عليكم السخرى
 أن أذعن حتى تحسروا من أفواج شتى أما والله لئن ظفرتنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك
 فنزلت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أراد وكفر عن عينه وقال المسامون أيضا لما
 رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من
 قتلى المسلمين الا مثل به الا حنظلة بن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا
 حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن ظفرتنا عليهم لنزيدن عليهم يعنى على صنيعهم ولنخذلن
 بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد القول الثانى أن هذا كان قبل الامر بالسيف
 والجهدا حتى كان المسامون قد أضرروا بالقتال مع من يقا تلهم ولا يتددوا بالقتال وهو قوله تعالى
 وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وفى هذه الآية أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل
 ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا القول الثالث أن المقصود من هذه الآية نهى المظالم عن
 استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين قال الرازى وجل هذه الآية
 على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء الترتيب فى كلام الله وهو فى غاية البعد بل
 الا صوب عندى أن يقال انه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق الى الدين الحق
 باحدى الطرق الثلاثة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالظريق الا حسن ثم ان ذلك

الدعوة تنضمين أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم وأسلافهم والحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك مما يشوش قلوبهم ويوحش صدورهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب تارة وبالشتيم ثالثاً ثم إن ذلك الداعي الحق إذا سمع تلك السفاهات لابد وأن يحمله طبعه على تاديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا أمر المحققين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب جمل الآية عليه (فان قيل) فهل تقدحون فيما روي أنه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على ترك المثلثة وكفر عن عيئه بسبب هذه الآية (أجيب) بأنه لا حاجة إلى القدح في تلك الرواية لأن تلك الواقعة داخلية في عموم هذه الآية فيمكن التسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية وذلك لا يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى * (تنبيه) * أمر الله تعالى برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب المرتبة الأولى قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به أي ان رغبتهم في استيفاء القصاص فاقعوا بمثل ولا تزيد واعليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله تعالى ورجته وفي قوله تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به دليل على ان الأولى له أن لا يفعل كما أنك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان معناه أن الأولى بك أن لا تأكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض أن الأولى تركه المرتبة الثانية الانتقال من التعريض إلى التصريح وهو قوله تعالى (وائن صبرتم لهو خير للصابرين) وهذا التصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام لأن الرحمة أفضل من القسوة والانتفاع أفضل من الانتقام وقرأ هو قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون برفعها المرتبة الثالثة هو الأمر الجازم بالترك وهو قوله تعالى (واصبر) لأنه في المرتبة الثانية ذكر أن التلذذ خير وأولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالأمر بالصبر في هذا المقام * ولما كان الصبر في هذا المقام شديداً شاقاً ذكر بعده ما يسهولته بقوله تعالى (وما صبرك الا بالله) أي الملك الاعظم الذي شرع لك هذا الشرع الاقوم فذلك بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلي الاصل ثم ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب بقوله سبحانه وتعالى (ولا تحزن عليهم) أي في شدة كفرهم فتبالغ في الحرص الباطح للنفس (ولانك في ضيق) ولوقل كالألوح اليه بتكوين التعقير (مما يكرون) أي من استمرار كفرهم بك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وكانك به وقد أتى فأصبر فان الله معزك ومظهر دينك وقرأ ابن كثير بكسر الصاد والباقون بنصبها * (تنبيه) * هذا من الكلام المقلوب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلاً في الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق فيك الا أن الفائدة في قوله تعالى ولا تك في ضيق هو أن الضيق اذا اعظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقسميع المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة قوله تعالى (ان الله) أي الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه (مع الذين اتقوا) أي وجد منهم الخوف من الله تعالى واجتنبوا المعاصي (والذين هم محسنون) في أعمالهم والشفقة على خلقه وهذا يجري مجرى

التهديد لان في المرتبة الاولى رغبة في ترك الانتقام على سبيل الرمز وفي الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وفي المرتبة الثالثة أمر بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كانه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا أى عن استيفاء الزيادة والذين هم محسنون أى في ترك أصل الانتقام فكانه تعالى قال ان أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه المعية بالرحمة والفضل والترسية وفي قوله تعالى اتقوا الإشارة الى التعظيم لأمر الله وفي قوله والذين هم محسنون إشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى قيل لهم بن حبان عند قرب وفاته أو ص فقال ان الوصية في المال ولا مال لي ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل * (تنبه) * قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتم الى لهو وخير للصابرين منسوخ بآية السيف قال الرازي وهذا في غاية البعد لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوى الى الله تعالى وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف ومارواه البيضاوي تبعه الزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاحا وأوليته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية حديث موضوع قال الرازي في آخر هذه السورة يقول مصنف الكتاب الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعدد والوصل هجر والحقائق مصونة والمعالى في غيب الغيب مكنونة والاسرار في ما وراء أقفال العزة مخزونة وبهذا خلق القيل والقال والكمال ليس الا الله تعالى ذي الاكرام والجلال

﴿سورة الاسماء وتسمى سبحان وبني اسرائيل مكية﴾

الاوان كادوا الايات الثمان مائة وعشر آيات وأحدى عشرة وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف واربع مائة وستون حرفا

(بسم الله) الملك المالك لجميع الامور (الرحمن) لكل ما أوجده بما ربه (الرحيم) لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه وقوله تعالى (سبحان) اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع من الصرف للعباية وزيادة الالف والنون قال الاعشى في مدحه عامر بن الطفيل

قد قلت لما جاءني غفري * سبحان من علقمة الفاخر

أى العجب منه اذ يفخر والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبوا منه الشاهد في سبحان حيث جعله علما على التنزيه فذمه الصرف وعلقمة المذكور صحابي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ فأسلم وباع واستعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على حوران فمات بها (الذى أسرى بعبدته) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو أشرف عباده على الاطلاق وأحقهم بالاضافة اليه وقرأ أبو عمرو ووجزة والكسائي أسرى بالامالة مخضة وورش بين بين

والباقون بالفتح وقوله تعالى (ليلًا) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره
 الإشارة بتكثيره الى تقديله فكان هذا الامر الجليل في جزئ يسير من الليل والى أنه عليه
 الصلاة والسلام لم يحج في الاسراء والعروج الى سدرة المنتهى وسماع الكلام من العلى الاعلى
 الى رياضة بصيام ولا غيره بل كان مهيباً لذلك متأهلاً له فأقامه تعالى من القرش الى العرش
 (من المسجد الحرام) أى بعينه وهو الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم قال بينما أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا نأتى جبريل
 بالبراق وقيل كان نائماً فى الحطيم وقيل فى بيت أم هانئ بنت أبي طالب قال البقاعي وهو قول
 الجمهور والمراد بالمسجد حينئذ الحرم لانه فناء المسجد (الى المسجد الاقصى) أى بيت المقدس
 الذى هو بعيد المسافة حينئذ وأبعد المسجدين الاعظمين مطلقاً من مكة المشرقة بينهما
 أربعون ليلة فصل بالانبياء عليهم ابراهيم وموسى ومن سواهم ما على جميعهم أفضل الصلاة
 والسلام ورأى من آياتنا الكبرى ما قدرنا له كما سيأتى فى حديث المعراج ورجع بين أظهركم الى
 المسجد الاقرب منكم فى ذلك الجزء اليسير من الليل وأنتم تضرعون أكاد الابل فى هذه
 المسافة شهراً اذهايا وشهراً اياها ثم وصفه تعالى بما يقتضى تعظيمه وانه أهل للقصص بقوله تعالى
 (الذى باركنا حوله) أى بالثمان العظيمة بالماء والشجار وقال سبحانه مباركاً لانه مقر
 الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وموطن العبادات ومعدن
 الفواكه والارزاق والبركات وباركنا حوله لاجله فما ظنك به في نفسه فهو أبلغ من باركنا فيه
 ثم منه الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى ما لم ينله بشر غيره صلى الله عليه وسلم قال البقاعي
 ولعل حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصوره أفهامهم عن إدراك أداته لو أنكره بخلاف
 الاسراء فانه أقام دليلاً عليهم بما شاهدوه من الامارات التى وصفها لهم وهم قاطعون بأنه صلى
 الله عليه وسلم لم يرها قبل ذلك فلما بان صدقه بما ذكر من الامارات أخبر بعد ذلك من أراد
 الله تعالى بالمعراج ثم ذكر سبحانه وتعالى الفرض من الاسراء بقوله تعالى (لتريه) بعينه وقلبه
 (من آياتنا) أى عجائب قدرتنا السماوية والارضية كما أرىنا أباه الخليل عليه السلام
 ملكوت السموات والارض (انه) أى الله (هو السميع) لجميع الاقوال (البصير) أى
 العالم بأحوال عباده فيكرم ويقرب من شاء منهم وقيل انه أى هذا العبد الذى اختصه سبحانه
 بالاسراء هو أى خاصة السميع أى أذننا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لا واهرنا البصير بصراً
 وبصورة بدليل ما أخبر به من الآيات وصدقه من الدلالات حتى نعت مأسأله عنه من بيت
 المقدس ومن أمر غيره وغيرهما بما مشهور فى قصة الاسراء واختلف هل أسرى بروحه
 أو بجسده صلى الله عليه وسلم فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول ما فقدت جسده
 النبى صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه والا كثرون على أنه أسرى بجسده فى البقعة
 وتواترت الاخبار الصحيحة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت بالبراق وهو دابة أيضاً
 فوق الجمار ودون البغل يضع طافره عند منتهى طرفه فركبته فسارنى حتى أتيت بيت المقدس

فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
 جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة قال
 صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
 فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا باي دم فرحب بي
 ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل
 ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا باي الخالة يحيى وعيسى
 فرحباني ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
 جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا
 انا يوسف واذا هو قد اعطي شعار الحسن فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء الرابعة
 فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال
 قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء الخامسة
 فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد ارسل اليه
 قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة
 فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
 قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا عيسى فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح
 جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
 اليه ففتح لنا فاذا انا ابراهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم
 سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا اورقها كاذان الفيلة
 واذا ثمرها كالقلال فلما غشيتها من امر الله ما غشيتها تغيرت فما احدث من خلق الله يستطيع
 ان يصفها من حسناتها قال صلى الله عليه وسلم فاعرجني الى عبده ما اوحى وفرض علي في كل يوم
 وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك علي اتمت قلت خمسين
 صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الي ربك فاسأله التخفيف فان اتمت لا تطيق ذلك واني قد بلوت
 بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت له اي رب خفف عن امتي فخط عني خمسا
 فرجعت الى موسى فقال ما فعلت فقلت قد خط عني خمسا قال ان اتمت لا تطيق ذلك فارجع الى
 ربك فاسأله التخفيف لان اتمت لا تطيق ذلك قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى ويحط عنى
 خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتمتلك خمسون صلاة
 ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر او من هم بسيئة فلم يعملها
 لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى
 ربك فاسأله التخفيف لامتك فان اتمت لا تطيق فقلت قد رجعت الى ربي حتى استجيت رواء
 الشيطان وروى انه قال بعد ذلك ولكن ارضى واسلم فلما جاؤرت نادى مناد امضيت قريضتي
 وخففت عن عبادي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها اجناد الاولوا واذا ترابها المسك وروى انه لما

وصل الى سدرة المنتهى فاذا اربعة اهران ظاهران وهران باطنان فقلت ما هذان
 يا جبريل قال اما الباطنان فهيران في الجنة واما الظاهران فالنيل والقرات ثم رفع الى البيت
 المعمور ثم اوتيت بانام من حجر وانا من لبن وانا من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي
 اوتيت عليها واثبتك قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة يوم فرضت فمرت على موسى وساق
 الحديث ومنها ما رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل قال هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ليلة أسرى به الى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم ومنها
 ما رواه قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم
 عن ليلة الاسراء قال بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النساء
 واليقظان وذكر بين رجلين وأتيت بطشت من ذهب بملاوة حكمة وإيمان فشق من النحر
 الى مراقي البطن واستخرج قلبي فغسل ثم حشى ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن
 بماء زمزم ثم ملأ إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل
 يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته وساق بقية الحديث ومنها ما روى أنه صلى الله عليه
 وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من إيلته وقص القصة على أم
 هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ونام ليخرج الى المسجد فتشبت أم هانئ بثوبه فقال
 مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج اليهم
 وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بنى طوى قال يا جبريل
 ان قومى لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسرى بي فأصبحت بككة قطعت بأمرى وعرفت أن
 الناس يكذبوني فروى أنه عليه الصلاة والسلام قعد معترلا حريشا فزبه أبو جهل فجلس
 اليه فقال كالمستهزئ هل استفتدت من شئ قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت
 المقدس قال ثم أصبحت بين ظهراينا قال نعم فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي
 هلموا فانقضت اليه المجالس فجأوا حتى جلسوا اليه ما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم
 اني قد أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم
 فمن بين مصفق ووضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعي رجال الى
 أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له هل لك في صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال
 أوقد قال قالوا نعم قال ان كان ذلك لقد صدق قالوا صدقه على ذلك قال اني لاصدقه على
 أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء في غدوة أو روضة فسمي الصديق قال وفي القوم من كان
 بأبي المسجد الاقصى فقالوا فهل تستطيع أن تتبع لنا المسجد الاقصى قال نعم قال فذهبت
 أنعت وأنعت فبازلت أنعت حتى التبس علي قال فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون
 دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا يا محمد

أخبرنا عن غيرنا فيهم أنهم لما نزلوا لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عير بني فلان وهي بالرواح
وقد أضلوا بعير الهم وهم في طلبه وفي رحالهم قلدح من ماء فغطشت فأخذته وشربته ثم
وضعت كما كان فاسألوهم هل وجدوا الماء في القلدح حين رجعوا إليه قالوا هذه آية قال ومررت
بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان يعود الهمما فقفر بعيرهما مني فرجى بقلان فأنكسرت
يده فاسألوهم ما عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فأخبرنا عن غيرنا متى تجي قال مررت بها بالتمعيم
قالوا إغادتها وما حلالها وما أجالها ومن فيها فقال هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها
جل أوراق عليه غرار تان مخبطان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا
يشستون نحو النخلة وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه
فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم هذه الشمس والله قد أشرقت فقال
آخر والله وهذه العير قد أقبلت يقدمها جل أوراق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر
مبين والاورق من الابل الذي في لونه بياض الى سواد وهو أطيب الابل لما قاله الجوهري ومنها
ما روى عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوج
سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففزع صدرى ثم غسله من ماء زمزم وجاء بطشت من ذهب
ممتلئ بماء ثم أتى ففزع صدرى ثم غسله من ماء زمزم وجاء بطشت من ذهب
جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال ومن هذا قال جبريل قال هل معك
أحد قال نعم معي محمد قال فأرسل إليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل
عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة التي
عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل اليمن منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار
واذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى أتى إلى السماء الثانية
فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا فقال أنس بن مالك فذكر أنه
وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يبين كيف منازلهم غير أنه ذكر
أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بادريس فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال فقلت من هذا قال انه
ادريس قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال
هذا موسى فقال ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال فقلت من هذا قال
هذا إبراهيم قال ابن شهاب أخبرني ابن حزم أن ابن عباس كان يقول كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ثم عرج بي حتى ظهرت بمسوى أسمع فيه صرا الاقلام وبروي معمر عن قتادة
عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليله أسرى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه
فقال جبريل أجمعه تفعل هذا فإني أرى أنك أحيد أكرم على الله منه فارفض عرقا وقال ابن زيد

عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه
خرف بها حجرا وشده البراق وفي رواية أنه جاء جبريل بالبراق الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له يا محمد اركب فركه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به البراق في الهواء فاخترق
به الجو فغطس صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشراب فأناج جبريل بأناجين اناء من لبن واناء من
خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت
القطرة أصاب الله تعالى بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصل
الى السماء الدنيا استفتح الى أن قال ثم عرج بي الى سدرة المنتهى وأخبره جبريل أن أعمال
بنى آدم تنهى الى تلك السدرة وانهم مقر الارواح فهي نهاية لما ينزل مما فوقها ونهاية لما يعرج
اليها مما هو دونها وبهم امقام جبريل عليه السلام فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق وبقى اليه
بالرurf وهو نظير المحفة عندنا فقعده عليه وسلم جبريل الى الملك النازل بالرurf فساله الصعبة
ليأنس به فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فنامنا الاله مقام مغلوم وما أسرى الله بك
يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرurf والملك يمشي به الى
أن ظهر لمستوى سمع فيه صريرا الاقلام في الارواح وهي تكتب ما يجريه الله تعالى في خلقه
وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده قال تعالى انا كنا نكتبه ما كنتم تعملون ثم رجع في النور
زوجة فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره معه فعلم أن الرurf ما تدلى الا لكون البراق
له مكان لا يتعداه يجبريل لما يبلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف وكذلك الرurf لما وصل الى
مقام لا يتعداه رجع به في النور فغمره النور من جميع نواحيه وأعطى علما آخر لم يكن يعلمه
قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدري وجهته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد رؤيتني وأنا في الجورق ريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشيائي من بيت المقدس
لم أثبتها فكريت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله الى لا تنظر اليه فاسألتني عن شيء الا أنبئتهم
به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا بموسى قائم يصلي فاذا رجع كانه من رجال شروا
واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبيها عروبة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم
يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فخاف الصلاة فأمتهم فلما فرغت
قال قائل يا محمد هذا مالك حازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدا أنى بالسلام وعن جابر أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قت الى الجبر ففعل الله لي بيت المقدس
وزكر الحديث وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت موسى
ليه أسرى بي عند الكتيب الاجر وهو قائم يصلي في قبره (فان قيل) رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف تصلي الانبياء بعد الموت وهم في دار الآخرة (أجيب) بأن
صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم السلام بيت المقدس يحتمل أن الله تعالى جمعهم له
ليصلي بهم ويعرفوا فضلهم وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى أراد اياهم في السموات على مراتبهم
ليحرف هو مراتبهم وفضلهم وأما موسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاجر

فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما حكم صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل هم أفضل منهم وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء بعد الموت أولى وأما حكم صلاتهم فيحتمل أنهم بالذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث أنهم بلهمون التسبيح كما بلهمون النفس ويحتمل أن الله تعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأيهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بحقائق الأمور وروى عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وساق حديث المعراج بقصته قال فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال ما هذان يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه نهر من لؤلؤ ويزبر جدد فضر بيده فاذا هو مسك أدفر قال ما هذا يا جبريل قال هو الكوثر الذي خبأك ربك وذكرك في آخر حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث ثم علا بي حتى جاء سدة المتيهي ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه كقاب قوسين وأدنى فآوى إليه وذكرت عائشة أن الذي ذنبت لى جبريل عليه السلام وسميت في الكلام على ذلك أن شاء الله تعالى في سورة النجم (فان قيل) قوله تعالى لثريه من آياتنا يدل على أنه تعالى ما أراه البعض الآيات لأن كلمة من تعيد البعض وقال في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أي ملكهما فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل من معراج محمد عليهما السلام (أجيب) بأنه لما أضيفت تلك الآيات إلى الله تعالى دل على أنها أفضل مما رآه إبراهيم (تنبيه) قال النووي في شرح مسلم قد جاء في رواية شريك في حديثه أنهم أنكروا عليه العلماء فيها ما قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وإن الأمراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الطبراني كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة سنين قال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل وقيل كان الأسراء في رجب ويقال في رمضان قال النووي وأشبهه الأقوال قول الزهري وابن اسحق ومما يدل على أنه أسرى بمجده صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أسرى بعبد ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو اسم للدابة وهي التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولسدة صفائه وبياضه ولعانه وتلاؤنوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الإخذا لا احتياط في الأمور وتعاطى الأسباب وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل بأناء من نحر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار

قوله عليه نهر الجاهل هكذا في النسخ ولعله محرف عن قوله عليه خساند من لؤلؤ ويزبر جدد اه

والتقدير قال لي اخترت اخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطارة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن
 علامة الفطارة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف
 الخمر فانهم اثم الخبائث وجالبة لافواح الشر وقوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح
 جبريل فقبل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن أن يقول أنا فلان ولا يقول أنا
 فقط فانه مكروه وفيه أن للسماء أبوابا وبوابين عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل اليه
 وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاستواء وصعود السماء وليس مراده الاستغفار
 عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وقوله فاذا أنا بآدم وذكر
 جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام الحسن
 وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب
 وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بآدم مسمند ظهروا الى البيت المعمور وفيه دليل على
 جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع
 في هذه الرواية بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من
 المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يبطل من فوقها وما يصعد من
 تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا نمرها مثل القلال هو بكسر القاف جمع قلبه بضمها وهي
 الجزيرة الكبيرة التي تسع قريتين أو أكثر وقوله فرجعت الى ربي قال النووي معناه رجعت
 الى الموضع الذي ناجيته منه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي
 معناه بين موضع مناجاة ربي وقوله ففرض على أمي خمسين صلاة الى قوله فوضع عنى خمسا
 وفي رواية شطرها وفي رواية عشر اليس بين هذه الروايات منافية لان المراد بالشرط الجز وهو
 الخمس وليس المراد منه التخصيف وأما رواية العشر فهو رواية شريك ورواية النجاشي رواية قتادة
 وهو أثبت من شريك والمراد حط عنى خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون بمعنى
 خمسين في الاجر والثواب لان الحسنات بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ
 الشيء قبل فعله وفي الحديث انه شق صدره ليلة المعراج وقد شق صدره أيضا في صغره وهو عند
 حليلة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما رآه من الكرامة ليلة المعراج
 وقوله أثبت بطشت من ذهب قديتهم انه يجوز استعمال الذهب لنا وليس الامر كذلك لان
 هذا الفعل من فعل الملائكة وهم مباح لهم استعمال الذهب أو لعل هذا كان قبل تحريمه وقوله
 بمثل حكمته واما انافا فمرغها في صدره يقال الحكمة والايمن من المعاني والافراغ
 صفة الاجسام فاما معنى ذلك أوجب بأنه يحتمل انه جعل في الطشت شيء يحصل به كمال الايمان
 والحكمة وزيادته ما نسي ايمانا وحكمة لكونه سببا لها وهذا من أحسن الجواز وقوله
 في صفة آدم فاذا رجع عن عيئه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث
 بأنه نسف بنيه يعني أرواح بنيه (فان قيل) أرواح المؤمنين في السماء وأما أرواح الكفار فنفثت

الارض السفلى فكيف تكون في السماء (أجيب) بأنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على
 آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخبر بما رأى وقوله اذا نظرت عن يمينه ضحك واذا نظرت عن شماله بكى ففيه شفقة الوالد على أولاده
 وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحرته على حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرقبا
 بالاخ الصالح والنبي الصالح قد اتفق المؤرخون انه هو اخ نوح فيكون جد النبي
 صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جدته فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما
 قال آدم وابراهيم (وأجيب) بأنه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية
 ابراهيم فليس هو جد نوح فانه القاضي عياض وقال النووي ليس في هذا الحديث ما يمنع
 كون ادريس أبا النبي صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون فالة لملطفا
 وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا لان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة انتهى وانما طلعت في بيان
 ذلك لان الكلام مع الاحبة يخلو ولولا خوف الملل ما اقتصرنا على ذلك فقد قال بعض
 المفسرين لا علم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها كافة الانبياء ما
 تضمنته هذه السورة ولكن في هذا القدر كفاية لاولى الالباب * ولما ثبت بهذه الخارقة ما أخبر
 به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما جاءه صلى الله عليه وسلم من الآيات
 المبينات في هذا الوقت اليسر أتبعه ما مخ في السير من مصر الى الارض المقدسة من الآيات
 في مدد طول موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم الانبياء بركة على هذه الامة ليله
 الاسراء لما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في تحقيق الصلاة حتى
 رجعت من خمسين الى خمسين مع أبحر خمسين فقال (وأنبتا) أي بعظمنا (موسى الكتاب)
 أي التوراة (وجعلناه) أي الكتاب بما للنامن العظمة (هدى لبني اسرائيل) بالجل على العدل
 في التوحيد والاحكام وأسرى بناموسى عليه السلام وبقومه من مصر الى بلاد المسجد
 الاقصى فأقاموا سائرين اليها أربعين سنة ولم يصابوا ومات كل من خرج الا المقيمين الموفين
 بالعهد فقد بان الفضل بين الاسراءين كما بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسراء أول دليل على
 حذف مثله أول فالآية من الاحتباك ثم نبه على أن المراد من ذلك كلمة التوحيد اعمه قادا
 وعبادة بقوله تعالى (أن لا) أي لا (يتخذوا) على قراءة أبي عمرو وبالباء على الغيبة وقرأ غيره
 بالتاء على أن لا يتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (من دوني وكبلا) أي ربائس يكون
 اليه أموركم وذلك هو التوحيد فلا معراج أعلى ولا درجة أشرف ولا نعمة أعظم من أن يصير
 المرء غرضا في بحر التوحيد وأن لا يعول في أمر من الامور الا على الله تعالى فان نطق نطق
 بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تنزيه الله وان طلب طلب من الله فيكون كله لله وبالله والى الله
 وقوله تعالى (ذرية) نصب على الاختصاص في قراءة أبي عمرو وعلى البداء عند الباقي أي
 بالذرية (من حملنا) أي في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء
 ونبه تعالى على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله تعالى (مع نوح) ففي ذلك تذكريا لتمام الله تعالى

عليهم وانجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافت فالناس كلهم من ذرية أولئك قال البقاعي لان الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ماتوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح ليعلم انهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى ثم انه تعالى أتى على نوح حشأ على الاقتداء به في التوحيد كما اقتدى به آبؤهم في ذلك بقوله تعالى (انه كان عبداً شكوراً) أي مبالغاً في الشكر الذي هو صرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه لما خلق له روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وفي رواية انه يسمي اذا أكل ويحمد اذا فرغ واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعزاني واذا احتدى قال الحمد لله الذي حداني ولو شاء أحقاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وفي رواية انه كان يقول الحمد لله الذي اذا قني لذته وأبقى منفعته في جسدي وأخرج عني أذاه وفي رواية أنه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من مرتبه فان وجدته محتاجاً آثره به. ولما ذكر تعالى انعامه على بني اسرائيل بانزال التوراة عليهم وبأنه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اهتموا بهدايه بل وقعوا في الفساد بقوله تعالى (وقضينا) أي أوحينا (الى بني اسرائيل) أي الى بني عبدنا يعقوب عليه السلام الذي كان أطوع أهل زمانه وحيا مقطوعاً مشبوتاً (في الكتاب) أي التوراة التي قدأوصلناها اليهم على لسان موسى عليه السلام وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله تعالى (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المشبوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جواباً له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن (في الأرض) أي أرض الشام قاله السيوطي وقال الرازي أرض مصر ويوافق الاول قول البقاعي أي المقدسة التي كأنها لشرفها هي الأرض (مرتين) أي افسادتين قال في الكشف وأولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا حين أنذرهم بخط الله تعالى والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم وقال البيضاوي الاولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا أو قتل أرميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن) أي بما صرتم اليه من البطر للنسيان المنعم (علواً كبيراً) بالظلم والتمرد لانه يقال لكل متبجح قد علا وتعظم (فاذا جاء وعد أولاهما) أي أولى مرتي الفساد وهو الوقت الذي جددنا لهم الانتقام فيه (نعمنا عليكم عبادنا) أي لايدان لكم بهم كما قال تعالى (أولئى بأس شديد) أي أصحاب قوة في الحرب واختلف فيهم فقال في الكشف سنهاريب وجنوده وقيل يجتئصر وقال ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفاً وقال البيضاوي عبادنا يجتئصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزري وهو بجاء فزاي مفتوحين فراء نسبة الى الخزري وهو ضيق العين ومغرها وهو الذي قتله داود وأوجيل من الناس وذكر الرازي في ذلك قولين الاول ان الله تعالى سلط عليهم يجتئصر فقتل منهم أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وذهب

بالبقية الى أرض نفسه فبقوا هنالك في الذل الثاني أن الله تعالى ألقي الرعب من بني اسرائيل
 في قلوب الجوس فلما كثرت المعاصي فيهم أزال الله ذلك الرعب عن قلوب الجوس فقصدهم
 وبالعوا في قتلهم وافنائهم واهلاكهم وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال أفسدوا المرة الاولى
 فأرسل الله عليهم جالوت فقتلهم وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم
 بختنصر وعن ابن مسعود قال كان أول الفساد من قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك القبط
 وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الاولى قتل زكريا والآخرى قتل يحيى قاله الرازي
 واعلم أنه لا يتعلق كتب غير عرض في معرفة أولئك الاقوام بأعيانهم بل المقصود هو أنهم
 لما كثروا من المعاصي سلط الله عليهم أقواما فقتلهم واقتوهم ثم قال الله تعالى (تجاسوا) أي
 تردوا والطبكم (خلال الديار) أي وسطها للقتل والغارة قال البيضاوي فقتلوا كبارهم وسبوا
 صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسلط الله الكافر على ذلك
 أولوا البعث بالتحلية انتهى وفي ذلك تعريض بالخشعة فإنه قال في كشافه (فان قلت) كيف
 جاز أن يبعث الله تعالى الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلبنا بينهم وبين مفاعلوهم
 تمنعهم على أن الله عز وجل أسند بعت الكفرة عليهم الى نفسه فهو وكقوله تعالى وكذلك نولي بعض
 الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (وكان) أي ذلك البعث ووعد العقاب به (وعدا
 مفعولا) أي قضاء كائننا لازما لاشك في وقوعه ولا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكثرة) أي
 الدولة والغلبة (عليهم) حتى تبت عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد في زمن داود بقتله جالوت
 وذلك بعد مائة سنة (وأمددناكم بأموال) تستعينون به على قتال عدوكم (وبين) تتقوون
 بهم (وجعلناكم أكثر) من عدوكم (نفيرا) أي عشيرة تنفر معكم عند ارادة القتال وغيره من
 المهمات والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفروهم المجتمعون للذهاب الى العدو
 * ولما حكى الله تعالى عنهم أنهم لما عصوا سلط الله عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي
 ولما نابوا أزال عنهم تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة فعند ذلك ظهر أنهم أن أطاعوا الله فقد
 أحسنوا الى أنفسهم وإن أصروا على المعصية فقد أساءوا على أنفسهم وقد تقرر في العقول
 أن الاحسان الى النفس حسن مطلوب وإن الاساءة اليها قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى (إن
 أحسنتم) أي بفعل الطاعة على حسب الامر في الكتاب الداعي الى العدل والاحسان (أحسنتم
 لانفسكم) أي لأن ثوابها (وإن أسأتم) بارتكاب المحرمات والافساد (فلها) أي الاساءة
 لأن وبالها عليها قال النخويون وانما قال وإن أسأتم فلها للتعاقب والمعنى فاليها وفعليها كما مر
 مع أن حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك
 أوحى لها أي اليها * (تنبيه) قال أهل الاشارات هذه الآية تدل على أن رجاء الله غالب
 على غضبه بدليل أنه تعالى لما حكى عنهم الاحسان ذكره مرتين فقال تعالى إن أحسنتم أحسنتم
 لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة واحدة فقال تعالى وإن أسأتم فلها
 ولولا أن جانب الرحمة غالب والا لما كان كذلك ثم قال (فأذا جاء وعد الآخرة) أي ثانية في

الافساد وهو الوقت الذي حددناه الانتقام فيه (ليسوا) أي بعثنا عليكم عبادنا ليسوا
 (وجوهكم) أي يجعل آثار الاساءة باقية فيها وحذف متعلق اللام لدلالة الأول عليه وقرأ
 الكسائي بعد اللام بنون مفتوحة على التوحيد والضمير فيه لله والباقون بالياء مفتوحة وأما
 الهمزة التي بعد الواو التي بعد السين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بضم الهمزة ومدتها
 والباقون بفتح الهمزة ولا مد وقوله تعالى (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسوا والمراد
 بالمسجد الأقصى الذي سقناكم اليه من مصر في تلك المدد الطوال وأعطيناكم بلادهم بالتدريج
 وجعلناهم محل عزكم وأمنكم ثم جعلناهم محلا لآلام أشرف خلقنا بالاسراء به اليه وجمع أرواح
 النبيين كلهم فيه وصلاته بهم وهذا تعرض بتهديد لقرش بأنهم ان لم يرجعوا بادل الله أمهم في
 الحرم خوفا وعزهم ذلا وأدخل عليهم جنود الا قبل لهم بهم او قد فعل ذلك عام الفتح لكنه فعل
 اكرام لا اهانة ببركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (كما دخلوه) أي الاعداء (أول مرة)
 بالسيف وبهقروا جميع جنودكم دفعة واحدة (وليسوا) أي يهلكوا ويدهروا مع التقطيع
 والتفريق (ما علوا) أي عليه من ذلك وقيل ما مصدرية أي مدة علوهم (تتبرا) أي اهلاكا
 قال الزجاج وكل شيء جعلته مكسرا مفتتا فقد تبرته ومنه قيل تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره
 ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال الرازي وهذه المرة
 الاخيرة هي اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهم ما السلام قال البيضاوي وذلك بأن سلب عليهم
 الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه حردون وقيل جردوس قيل
 دخل صاحب الجيش مذبح قراييتهم جمع قربان فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان
 لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوف منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ماتركت
 منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال للمثل هذا ينتقم بكم منكم ثم قال يا يحيى أي خطا بالدمه
 قد علم ربك ما أصاب قومك من أهلك فاهدأ بآذن الله قبل أن لا يبقى أحد منهم فهذه
 أي سكن وقال الواحدى فبعث الله تعالى عليهم مختصرا بالبالي المجوسى أبغض خلقه اليه
 فسبى بنى اسرائيل وخرب بيت المقدس قال الرازي أقوال التواريخ تشهد أن مختصرا كان
 قبل وقت عيسى ويحيى وزكريا بنين مطاولة ومعلوم ان الملك الذي انتقم من اليهود ملك
 الروم يقال له قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من اغراض تفسير القرآن
 بعرفة أعيان هؤلاء الاقوام انتهى ولما انقضى ذلك كان ككأنه قيل هل بقي لهم نصرة
 على عدوهم فقال تعالى (عسى ربكم أن يرجحكم) أي بنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فقد الدولة
 اليكم ثم بعد أن أطمعهم فزعهم بقوله تعالى (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) اي الى صب
 البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال القفال انما جعلنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله
 تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بنى اسرائيل واذ تأذن ربك ليعبث عليهم الى يوم القيامة
 من يسومهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بجمعه
 صلى الله عليه وسلم وكتما ما ورد في التوراة والانشيل فعاد الله تعالى عليهم بالعذاب على أيدي

العرب فجرى على بن النضير وقرنطة وبنى فينقاع وبهم ودخيب ما جرى من القتل والجلاء
 ثم الباقى منهم مقهورون بالجزية لأملاكهم ولا سلطان ثم قال تعالى (وجعلنا) أى بعد ذلك
 بعظمنا (جهنم) أى التى تلقى داخلها بالجهنم والكراهة (للكافرين) وذكر الوصف الظاهر
 موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء فى ذلك هم وغيرهم وقوله تعالى
 (حصيرا) يحتمل أن يكون فعلا بمعنى الفاعل أى جعلنا جهنم حاصرا لهم ويحتمل أن يكون
 بمعنى مفعول أى جعلناها موضعا محصورا لهم والمعنى أن عذاب الدنيا وإن كان شديدا
 قويا إلا أنه قد يتقلب بعض الناس عنه والذى يقع فى ذلك العذاب يتخلص منه أما بالموت وأما
 بطريق آخر وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصرا للإنسان محيطا به لا رجاء فى الخلاص عنه
 فهو لاء الاقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة
 ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبدا * ولما بين سبحانه وتعالى كتاب
 موسى عليه السلام الذى أنزل عليه فيما بين مصر وبيت المقدس فى تلك المدة المتطاولة وجعله
 هدى لبني إسرائيل صادق الوعد والوعيد بنى تعالى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذى أنزل
 عليه منه فى سبب مسيره اليه فى ذلك ووصفه بثلاثة أنواع من الصفات الأولى قوله تعالى
 (أن هذا القرآن) أى الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس (يهدى للتي) أى الى الطريق
 التى (هى أقوم) أى أصوب من كل طريق فقوله تعالى للتي هى أقوم نعت لموصوف محذوف
 كما تقرر ويصح أن يقدر الملة والشريعة أى يهذى الى الملة والشريعة التى هى أقوم الممل
 والشرائع ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال فى القرآن كقوله تعالى ادفع بالتي هى أحسن
 وقيل الى الكرامة التى هى أعدل وهى شهادة أن لا اله الا الله * (تنبيه) * لفظ افعل قد جاء بمعنى
 الفاعل كقولنا الله أكبر أى الله الكبير وكقولنا الأشج والناقص أعدا لبني مروان فأقوم يحتمل
 أن يكون كذلك وأن يبقى على ظاهره الصفة الثمانية قوله تعالى (ويشير المؤمنين) أى الراغبين
 فى هذا الوصف ولهذا قيدهم بآنا لهم بقوله (الذين) أى يصدقون إيمانهم بأنهم (يعملون)
 أى على سبيل التجديد والاستمرار والبناء على العلم (الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم
 أجرا كبيرا) هو الجنة والنظر الى وجه الله تعالى وقرأ أجزاء الكسائي بفتح الياء وسكون الباء
 الموحدة وضم الشين مخففة والباقيون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مستددة (فان
 قيل) قال هنا أجرا كبيرا وفى الكهف أجرا حسنا (أجيب) بوقوع ذلك لموافقة الفواصل قبل
 وبعد فى كل منهما الصفة الثالثة قوله تعالى (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا) أى أحضرنا
 وهما (لهم عذابا أليما) وهو النار فى الآخرة وهو عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه
 تعالى بشر المؤمنين بنوعين من البشارة بنوهم وبعباقب أعدائهم تظيره قولك بشرت زيد بأنه
 سيعطى وبأن عدوه سيمنع (فان قيل) كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب (أجيب) بأن هذا
 مذكور على سبيل التكميل أو أنه من باب اطلاق أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجزاء
 سيئة سيئة مثلها أو على يشرى ضمما يخبر (فان قيل) هذه الآية واردة فى شرح أحوال اليهود

وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة (أجيب) بأن أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب
 الجسمانيين وبأن بعضهم قال لن تمسنا النار الا أيام معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين
 للآخرة * ولما بين سبحانه وته الى ان هذا القرآن يهدي التي هي أقوم والانسان قد يقدم على ما لا
 فائدة فيه بنبه بقوله تعالى (ويذع الانسان بالشر) عند شجره على نفسه وأهله وماله (دعاء) أى
 مثل دعائه (بالخير) ولما استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روى أنه صلى الله عليه وسلم
 دفع الى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبلت في الليل فقالت له مالك فبكى وشكا فرجته فارخت كفافه
 فهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع
 يدها فرفع سودة يدها فتوقع أن يقطع الله تعالى يدها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقال
 اللهم انما أنا بشر اغضب كما يغضبون فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له وقيل المراد النضر
 ابن الحرث حيث قال اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا ذاهوا الحق من عندك الى آخره
 فأجاب الله تعالى دعائه وضربت رقبته يوم بدر صبراً وكان بعضهم يقول اتنا بعذاب الله
 وآخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك الجهل ولا عقداً أن مجداً
 كاذب فيما يقول وقيل المراد أن الانسان قد يبالغ في الدعاء طالبا لشيء قد يعتقده أن خيره فيه مع
 ان ذلك الشيء منبغ لشره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل
 هذا العمل لكونه يحولاً مغترّاً بنظر اخر الامور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها كما قال
 تعالى (وكان الانسان) أى الجنس (عجولاً) أى يسارع الى كل ما يخطر بباله ولا ينظر الى عاقبته
 وقيل المراد آدم عليه السلام لما انتهى الروح الى سترته ذهب لينهض فسقط * (تنبيه) * حذف
 واو ويدع أى التي هي لام الفعل خطافي جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظاً في العربية
 لكنها لما كانت لا تظهر في اللفظ حذفت في الخط ونظيره قوله تعالى سندع الزبانية وسوف
 يؤت الله المؤمنين ويوم يناد المنادى فاتغن النذر قال القراء ولو كان ذلك بالواو والياء
 لكان صواباً وقال الرازي أقول هذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد عظم هذا القرآن المجيد
 عن التحريف والتغيير فان اثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن وعدم اثباتها في هذه
 المواضع المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان أحد الم يتصرف فيه بمقدار فهمه
 وقوة عقله * ولما بين تعالى ما أوصل من نعم الدين وهو القرآن اتبعه بما أوصل اليهم من نعم الدنيا
 فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) داليتين على تمام العلم وشمول القدرة آية الليل كالات
 المتشابهة وآية النهار كالحكمة فكأن المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم
 والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الاتقاع به الا بهاتين الآيتين (فخفونا) أى بعظمنا الباهرة
 (آية الليل) أى طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلنا لها لا يصرفها المراتب كما لا يصير
 الكتاب اذا محى (وجعلنا) مما لنا من القدرة (آية النهار مبصرة) أى مبصر فيها بالضرورة
 فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن الظلمة الى النور كما ان الانسان بعجلته
 التي يدعو اليها طبعه وتأنيبه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى

نقصان كما ان القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك قال ابن عباس جعل الله نور الشمس
 سبعين جزءاً ونور القمر كذلك ففى من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس وحكى
 ان الله تعالى أمر جنبريل فأمر بجناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي
 فيه النور وسأل ابن ذكوان عما رضى الله عنه عن السواد الذى فى القمر قال هو أثر الخو
 * (تنبيه) المراد من الآيتين بعض الليل والنهار فالإضافة للبيان أى انه تعالى جعلهما
 دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما الذين فلان كل واحد منهما ماض لا آخر مغاير له
 مع كونهما متعاقبين على الدوام وهو من أقوى الدلائل على انه ما غير موجودين بذاته ما
 بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالقادر المخصوصة وأما فى الدنيا فلان مصالح الدنيا
 لا تتم الا بالليل والنهار فلو لا الليل ما حصل السكون والراحة ولو لا النهار ما حصل الكسب
 والتصرف وقيل الليل والنهار ظرفان والتقدير وجعلنا آيتين فى الليل والنهار والمراد بالآيتين
 على هذا أما الشمس والقمر وأما تكوير هذا على هذا وهذا على هذا ثم ذكر تعالى بعض المنافع
 المرتب على ذلك بقوله تعالى (لتبغوا) أى تطلبوا طلباً شديداً (فضلاً من ربكم) أى المحسن
 اليكم فيه ما بضماء هذا تارة ونور هذا أخرى (ولتعلموا) بفصل هذا عن هذا (عدد السنين
 والحساب) لأن الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين والعدد
 للسنين والحساب لما دون السنين وهى الشهور والايام والساعات وبعد هذه المراتب الاربعة
 لا يحصل التكرار كأنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الاحاد والعشرات
 والمئات والالوف وابتدأ بعد هذا التكرار * ولما ذكر تعالى أحوال آتى الليل والنهار
 وهما من وجه دليلان فاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى
 على أهل الدنيا وقد ذكر تعالى فى آيات كثيرة منافعهما كقوله تعالى وجعلنا الليل لباساً وجعلنا
 النهار معاشاً وكقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وشرح
 تعالى حالهما وفصل ما فيه ما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق
 كان ذلك تفصيلاً نافعاً وتبياناً كاملاً فلا جرم قال تعالى (وكل شئ) أى لكم اليه حاجة فى مصالح
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلاً) أى بيناه تبيناً وهو كقوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ
 وكقوله تعالى وزلنا علمك الكتاب تبيناً لكل شئ وقوله تدمر كل شئ بأمر ربها وإنما ذكر
 تعالى تفصيلاً لاجل تأكيد الكلام وتقريره فكأنه قال فصلناه حقاً * ولما بين تعالى انه وصل
 الى الخلق أصناف الاشياء النافعة لهم فى الدنيا والدين مثل آتى الليل والنهار وغيرهما كان منعماً
 عليهم بوجود النعم وذلك يقتضى وجوب اشتغالهم بخدمة وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة
 الرقابة فانه يكون مسؤولاً عن اعماله وأقواله كما قال تعالى (وكل انسان أزرناه) أى بعظمته
 (طائراً) أى علمه الذى قدرناه عليه من خير وشر لأن العرب كانوا اذا أرادوا الاقدام
 على عمل من الاعمال وأرادوا أن يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم الى خير أو الى عمل شر اعتبروا
 أحوال الطير وهو انه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهو يطير متيامناً أو متياسراً

أو صاعدا إلى الجوارح غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال الخير والشر والسعادة والنحوسة فلما كثر ذلك منهم سوا أنفسهم بالخير والشر بالطائر تحية للشيء باسمه لازمه فقوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه أي وكل إنسان ألزمناه عمله (في عنقه) الذي هو محل التزين بالقلادة ونحوها ومحل الشين بالغل ونحوه فان كان عمله خيرا كان كالقلادة والحلي في العنق وهذا مما يزينه وإن كان عمله شرا كان كالغل في عنقه وهو مما يشينه وقال مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شيء أو سعيد قال الرازي والتحقيق في هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من العقل والفهم والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه أن يتجاوز ذلك المقدار وإن كان ينحرف عنه بل لابد وأن يصل اليه ذلك القدر بحسب الكمية والكيفية فتلك الاشياء المقدرة كما أنها تطير اليه وتصير اليه فلهذا المعنى لا يبعد أن يعبر عن تلك الأحوال المقدرة بلفظ الطائر فقوله تعالى ألزمناه طائره في عنقه كناية عن كل ما قدره الله ومعنى في عنقه حصوله له فهو لازم له واصل اليه غير منحرف عنه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى ملخصا ثم قال تعالى (وتخرج له يوم القيامة كتابا) أي مكية وبانيه عمله لا بغادر صغيرة ولا كبيرة الأحصاها قال الحسن بسطت لك صحيفة و لكل بك ملكان قه ما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن شمالك فيحفظ لك سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفةك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج ليوم القيامة وقوله تعالى (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب وقرأ ابن عامر بضم الباء وفتح اللام وتشديد القاف على البناء للمفعول من لقيه كذا أي اسد متقلبه به والباقون بفتح الباء وسكون اللام وتحفيف القاف وأمال الالف بعد القاف جزءة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه اذا لقي كتابه يوم القيامة يوم العرض قيل له (اقرأ كتابك) أي بنفسك (كني بنفسك اليوم) الذي تكشف فيه السطور وتظهر جميع الامور (عليك حسيبا) أي حاسب بالبلغا فانك تعطى القدرة على قراءته أميا كمت أو قارئاً ولا ترى فيه زيادة ولا نقصانا ولا تقدر أن تنكر منه سرفا وإن أنكره لسانك شهدت عليك اركانك فيما اليها من قدرة باهرة وقوة قاهرة ونصفه ظاهرة قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فأجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كني بنفسك اليوم عليك حسيبا (فان قيل) قد قال تعالى وكني بنا حاسبين فكيف الجمع في ذلك (أجيب) بأن المراد بالحسيب هنا الشهيد أي كني بشخصك اليوم شاهد عليك أو ان القيامة مواقف مختلفة ففي موقف بكل الله تعالى حسابهم الى أنفسهم وعلمه محيط بهم وفي آخره يحاسبهم هو وقوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لأن ثواب اهتدائه له لا ينبي غيره (ومن ضل فانما يضل عليها) أي اتهم عليها فلا يضر في ضلاله سواء كما قال الكلبى دلالة على ان العبد ممكن

من الخير والشر - وانه غير مجبور على عمل بغية أصلاً لان قوله تعالى من اهتدى الى آخره انما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد أن المجبور على احد الطرفين الممنوع عن الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذا مذهب أهل السنة والجماعة فاسعه ترشد ثم انه تعالى أعاد تقرير أن كل أحد مختص بأثر عمل نفسه بقوله تعالى (ولا ترز) أى نفس (وازية) أى أمة أى لا تتحمل (وزر) نفس (أخرى) بل انما تتحمل وزرها فقط (فان قيل) ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم فاذا الم يوفى يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم (أجيب) بأن ذلك بسببه فهو كفعله (فان قيل) قد ورد أن الميت يعذب بيكاه أهله (أجيب) بأن ذلك محمول على ما إذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل كفول طريقة بن العبد

اذابت فانعني بما أنا أهله * وشق على الجلب يا ابنه معبد

وعليه جل الجمهور الاخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك (فان قيل) ذنب الميت فيما اذا أوصى أو أمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتثالهم وعدمه (أجيب) بأن الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده من سن سنة سيئة الخ وقال الشيخ أبو حامد أن ما ذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ثم قال تعالى (وما كنا) أى على ما لنا من القدرة (معذبين) أحداً (حتى نبعث رسولا) بين له ما يجب عليه فن بلغته دعوته فخالف أمره واستكبر عن اتباعه عذبه بما يستحقه وهذا أمر قد تحقق بإرسال آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم قال تعالى ولقد أرسلنا في كل أمة رسولا وقال تعالى وأن من أمة الاخلاف انذير فان دعوتهم الى الله تعالى قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت (فان قيل) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم أدلة العقل التي بهم يعرف الله تعالى وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستحقاقهم العذاب لا يغفلهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا يغفل الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها الا يصح الابدال الايمان (أجيب) بأن بعثة الرسول من جملة التبيين على النظر واليقاظ من رقة الغفلة لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين فهي لا بعثت اليها رسولا ينهنا على النظر في أدلة العقل وفي الآيات دليل على أن لا وجوب قبل الشرع * (فائدة) في حكم أهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة عشر قسماً ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة تحت المشيئة فأما السعداء فقسم واحد الله تعالى بنور وجهه في قلبه كقسم بن ساعدة فانه كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله قال البعزة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم واحد الله تعالى بما تجل لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم أتى في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به في عالم انعيم وقسم اتبع له حق من تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رساله محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران وأما الاشقياء فقسم عطل لأن نظر بل عن تقليد وقسم عطل بعد ما ثبت لاعن استقصاء بنظر وقسم أشرك عن

تقليد محض وقسم علم الحق وعانده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجوده عن نظر
 قاصر لضعف في مزاجه وقسم أشرك عن ثلث أخطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت لا عن نظر
 بلغ فيه أقصى القوة هكذا قسم محيي الدين بن عربي في الباب العاشر من القترحات المكية نقل
 ذلك عنه شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشجراني ونقل عن السيوطي أن أبوى النبي
 صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
 وحكمهم لم تبلغ الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا مذهب
 لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الأصول ونص على ذلك
 الامام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب قال السيوطي وقد ورد في الحديث
 أن الله تعالى أحيا أبوي به حتى آمن به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي
 وأبو القاسم بن عساكر وأبو حنيفة بن شاهين والسهيلي والقرطبي والطبري وابن المنير وابن
 سيد الناس وابن ناصر الدين الدمشقي والصفدي وغيرهم والاولى لنا الامسالة عن ذلك فإن
 الله تعالى لم يكلفنا بذلك ونكل الامر في ذلك الى الله تعالى ونقول كما قال النووي لما سئل
 عن طائفة ابن عربي تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
 يعملون * ولما أشار تعالى الى عذاب المخالفين قرر أسبابه وعرف أنها بقدره وإن قدره
 لا يمنع حقوق العذاب بقوله تعالى (واذا أردنا) أن نجزي قرية الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة
 ألقينا في قلوب أهلها امتثال أو أمرنا والتقييد باتباع رسولنا وإذا أردنا (أن نهلك قرية) في
 الزمن المستقبل (أمرنا) أي بما لنا من القدرة التامة الشاملة (متريفيها) أي منعهم الذين
 لهم الامر والنهي قال الاكثرون أمرهم الله تعالى بالطاعة والخير على لسان رسوله (ففسقوا
 فيها) أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله وقال صاحب الكشاف ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى
 يأمرهم بالفسق فيفسقون الا أن هذا مجاز ومعناه أنه يفتح عليهم أبواب الخيرات والراحات
 فعند ذلك تمردوا وطغوا وبغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به
 انما حذف لان قوله ففسقوا يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته فقر لا يفهم منه الا أن المأمور
 به قيام وقراءة فكذا هنا لما قال أمرنا متريفيها ففسقوا فيجب أن يكون المعنى أمرناهم
 بالفسق ففسقوا لا يقال بشكل هذا بقوله لهم أمرته ففعلنا في مخالفتي فان هذا كلام لا يفهم
 منه أي أمرته بالمعصية والمخالفة لانا نقول ان المعصية منافية للامر ومنافضة له فيكون كونها
 مأمورا بها مخالفا لهذه الضرورة تركا هذا الظاهر انتهى قال الرازي ولقائل أن يقول كما
 أن قوله أمرته فعصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث ان المعصية منافية
 للامر ومنافضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على أن المأمور به غير الفسق لان الفسق عبارة
 عن الاتيان به فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه معصية ينافي كونه مأمورا بها
 فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور ولم أدر لم
 أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت أن الحق ما ذكر الكل وهو أن المعنى

أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الأمر عندا وأقدموا
 على الفسق (حقق عليها القول) أي الذي توعدناهم به على لسان رسولنا (فدمرناهم تدميرا)
 أي أهلكناهم أهلكا أهلهما وتخريب ديارهم وخص المترفين بالذكر لأن غيرهم يتبعهم ولا نهم
 أسرع إلى الحماقة وأقدر على الفجور وقيل معناه كثرتنا وروى الطبراني وغيره حديثا خير المال
 سكة مأبورة ومهرة مأبورة أي كثيرة التساج والسكة بكسر السين وتشديد الكاف الطريقة
 المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة قال ذلك الجوهري وروى أن رجلا من المشركين
 قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمر لك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم
 انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي
 صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم
 من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت
 يا رسول الله أنهم لك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثرت الخبيث أي الشر ويل يقال لمن وقع
 في مهلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله تعالى (وكم أهلكنا) أي بما لنا من العظمة وبين مدلول كم
 بقوله تعالى (من القرون) أي المكذبين (من بعد نوح) كعاد وعود من الأمم الماضية يخوف
 به الكفار أي كفار مكة قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة وقيل مائة سنة
 روى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على
 رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات
 وقال الكلبي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وكفى
 بربك) أي المحسن اليك (بذنوب عباده خيرا بصيرا) أي عالميا واطنيا وظواهرا وفائدا من
 انسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم استقرت عاقبته على خلاف ذلك وكم من شخص ترونه
 مجتهدا في العبادة فاذا خلا بارز ربه بالعظام وتقدم الخبر لتقديم متعلقه * ولما قرأ أنه سبحانه
 وتعالى عالم بواطن عباده وظواهرهم قسمهم الى قسمين الأول قوله تعالى (من كان يريد
 العاجلة) أي الدنيا مقصورا عليها هم (مجنونا فيها) أي العاجلة بأن نقيض عليه من منافعها
 (مانشأ) أي من البسط والتمتع (لمن يريد) أي ان نفعل به ذلك فقميد تعالى الامر بقميد
 أحدهما تقييد المعجل بإرادته ومشيئته والثاني تقييد المعجل بإرادته وهكذا الحال ترى كثيرا
 من هؤلاء يمتنون بما يمتنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثير منهم يمتنون بذلك البعض وقد سروه
 فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة * (تنبيه) * لمن يريد بدل بعض من كل من الضمير في له
 بإعادة العامل تقديره لمن يريد تعجيل له ويقال ان الآية في المنافقين كانوا يراؤا المسلمين
 ويقرؤن معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها وهذا هو المناسب لقوله تعالى
 (ثم جعلناهم من يصلاحها) أي في الآخرة (مذموما) أي مقعولا به الذم (مذمورا) أي
 مدفوعا طرودا مبعدا وان ذكره البيضاء بصيغة قيل * ثم ذكر تعالى القسم الثاني وشرط فيه
 ثلاثة شروط الأول قوله تعالى (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب الآخرة فانه ان لم ينو

ذلك لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقوله صلى الله عليه وسلم إنما
الاعمال بالنيات الثاني قوله تعالى (وسعى لها سعيها) وذلك يقتضي أن يكون ذلك العمل من
باب القرب والطاعات وكثير من الضالال يتقربون بعبادة الاوثان ولهم فيها تأويلات أخذها
انهم يقولون اله العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته
ولكن غاية قدرتنا أن نشغل بعبادة بعض المقر بين من عباد الله بأن نشغل بعبادة كوكب
أو ملك من الملائكة ثم إن الملك أو الكوكب يشغل بعبادة الله تعالى فهو لا يتقربون الى
الله تعالى بهذا الطريق وهذه طريقة فاسدة فلا جرم أنه لم ينتفع بها ثانيها أنهم قالوا اتخذنا هذه
التماثيل على صورة الانبياء والاولياء والمراد من عبادتها أن تصير تلك الانبياء والاولياء شفعا
لنا عند الله وهذا الطريق أيضا فاسد فلا جرم لم ينتفع بها ثالثها أنه نقل عن أهل الهند أنهم
يتقربون الى الله بقتل أنفسهم تارة وباحراق أنفسهم أخرى وهذه الطريقة أيضا فاسدة فلا
جرم لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى بعبادتهم
الباطلة الثالث قوله تعالى (وهو مؤمن) لأن الشرط في كون أعمال البر مقبوضة للشواب هو
الايمان فان لم يوجد لم يحصل المشروط وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله
ايمان ثابت وشية صادقة وعمل مصيب ولا هذه الآية ثم أنه تعالى أخبر عن وجود هذه
الشروط بقوله تعالى (فاولئك) أي العالو الرتبة لجمعهم الشرائط الثلاثة (كأن سعيهم
مشكوراً) أي مقبولا مثابا عليه بالتضعيف وبعضهم يفعله أبواب الدينامع ذلك كداود
وسليمان عليهما السلام ويستعمله فيما عايفه مرضاة الله تعالى وبعضهم يزويها عنه كرامة
له لاهوانا به فرما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده فالخاصل أنها ان وجدت عند اولي
لم تشرفه وان عذمت عنه لم تحقره وانما التشريف وغيره عند الله تعالى بالأعمال * (تنبية) *
كل من أتى بفعل اما أن يقصده به تحصيل خيرات الدنيا واما أن يقصده به خيرات الآخرة واما أن
يقصده به مجموعهما واما أن لا يقصده به واحدا منهما فان قصده به تحصيل الدنيا فقط وتحصيل
الآخرة فقط فالله ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية وأما القسم الثالث فيقسم الى ثلاثة
أقسام اما أن يكون طلب الآخرة راجحا أو مرجوحا أو يكون الطلبان متعادلين فان كان
طلب الآخرة راجحا فهل يكون هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه رأيان أحدهما أنه غير
مقبول لقوله صلى الله عليه وسلم حايك عن الله تعالى أنه قال أنا أغنى الأغنياء عن الشرك لمن عمل
عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه وأيضا طلب رضوان الله اما أن يكون سببا مستقلا لكونه
بأعمالهم على ذلك الفعل وداعيا اليه واما أن لا يكون فان كان الاول امتنع أن يكون لغيره
مدخل في ذلك البعث والدعاء لأن الحكم اذا أسند لسبب تام كامل امتنع أن يكون لغيره مدخل
فيه وان كان الثاني فيه يكون الداعي الى ذلك الفعل هو المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب
رضوان الله لأن المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب أن يكون مغاير الطلب رضوان
الله فوجب أن لا يكون مقبولا الرأي الثاني أنه مقبول لأن طلب الآخرة لما كان راجحا على

طلب الدنيا تعارض المثل بالمثل فبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فوجب كونه
 مقبولا وأما إذا كان طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان طلب الدنيا راجحا فقد انفقوا
 على أنه غير مقبول إلا أنه على كل حال خير مما إذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب
 الآخرة وأما القسم الرابع وهو الاقدام على الفعل من غير داع فهذا معنى أن صدور
 الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون أنه يتوقف على حصول
 الداعي قالوا هذا القسم يمنع الحصول والذين قالوا لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا أثر له في الباطن
 وهو محرم في الظاهر لانه عبث * ثم انه تعالى قال (كَلَّا) أى من الفريقين يريد الدنيا ويريد
 الآخرة (غَدَّ) أى بالعطاء ثم أبدل من كَلَّا قوله تعالى (هُوَ لَا) أى الذين طلبوا الدنيا غَدَّ
 (وهو لَا) أى الذين طلبوا الآخرة غَدَّ (من عطاء ربك) أى المحسن اليك ان ضيق على مؤمن
 فبالجارية من الدنيا الفانية التي انما هي لعب ولهو وان وسع فبالاستعمال فيه اعلى حسب ما يرضيه
 (وما كان عطاء ربك) أى الموجد لك المدبر لأمرك (محظورا) أى ممنوعا في الدين عن مؤمن
 ولا كافر بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والمناجر
 وأقوات الناس والبهائم وغير ذلك مما لا يحصىه الا الله تعالى حتى لو اجتمع كل الناس على
 جمعه ليلا ونهارا ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لآعياءهم ولم يقدروا عليه فسبحان الجواد
 المعطي المانع ثم انه تعالى أمر بالنظر في عطائه هذا على وجهه مرغب في الآخرة من هـد
 في الدنيا بقوله تعالى (انظر) أى أيها الانسان أو يا محمد (كيف فضله لبعضهم على بعض)
 فأوسعنا على مؤمن وقترا على مؤمن آخر وأوسعنا على كافر وقترا على كافر آخر وبين سبحانه
 وتعالى وجه الحكمة في التفاوت في سورة الرخف بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
 في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال تعالى في آخر سورة الانعام
 ورفع بعضكم فوق بعض درجات * (تنبيه) * كيف نصب اَمَّا على التشبيه بالظرف واما على
 الحال وهي معلقة لا نظر بعنى فكرا وأبصر * ولما نبه تعالى على ان ما تراه من التفصيل
 انما هو بمحض قدرته أخبر أن ما بعد الموت كذلك بقوله تعالى (وللاخرة أكبر) أى أعظم
 (درجات وأبكر تفضيلا) من درجات الدنيا ومن تفضيلها فان نسبة التفاضل في درجات
 الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فان كان الانسان تشتهد رغبته
 في طلب فضيلة الدنيا قبل أن تقوى رغبته في طلب الآخرة أخرى لانها ادار المقابلة روى أن
 قوم من الاشراف ممن دونهم اجتمعوا باب عمر رضى الله تعالى عنه فخرجوا بالاذن لبلال
 وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعنى
 الى الاسلام فأسرعوا وأبطأوا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة * ولما بين تعالى ان
 الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله وهم
 أهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط فصل تلك الجملات وبدأ أولا بشرح حقيقة الايمان
 وأشرف أجزائه الايمان هو التوحيد ونفى الشريك والاضداد بقوله تعالى (لا تجعل مع الله)

أى الذى له جميع صفات الكمال (الها آخر) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
 والمراد غيره والاولى أنه للانسان فيكون خطا باعاما لكل من يصلح أن يخاطب به (فتتعد)
 أى فيتسبب عن ذلك أن تتعد أى تصير في الدنيا قبل الآخرة (مذموماً مخذولاً) لأن المشرك
 كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان ولأنه قد ثبت بالدليل أنه لا اله الا الله تعالى
 فحينئذ تكون جميع النعم حاصلة من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم الى
 غير الله فاستحق الذم والخذلان * (تنبيه) قال الواحدى قوله تعالى فتتعدا تنصب لانه وقع
 بعد الفاء جواباً للهى واتصافه باضمان ان كقولك لا تقطع عنا فنحفظك والتقدير لا يكن منك
 انقطاع فيحصل أن نحفظك فابعد الفاء متعاقباً بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وانما اسماء النحويون
 جواباً لكونه مشابهاً للجزء وأن الثاني مسبب عن الاول كما تقرر * ولما ذكر تعالى ما هو الركن
 الاعظم في الايمان أتبعه بذكر ما هو من شعائر الايمان وشرائعه وذلك أنواع الاول أن يشغل
 الانسان بعبادة الله تعالى ويترك عن عبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى (وقضى) أى
 أمر (ربك) أى المحسن اليك وقوله تعالى (أن لا تعبدوا) أى أنت وجميع أهل دعوتك وهم
 جميع الناس (الاياه) فيه وجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لأن العبادة عبارة
 عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن له الانعام والافعال على
 عباده ولا منعم الا الله تعالى فكان هو المستحق للعبادة لا غيره * (تنبيه) روى عيون بن مهران
 عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية كان الاصل ووصى ربك فالتصقت احدى الواوین
 بالصاد فقرأ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لأن خلاف قضاء
 الله ممنوع وهذا القول كما قاله الرازى بعيد جداً اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القرآن
 وذلك يخرج منه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين ويندفع ما قاله بما فسر قضي به
 * ولما أمر تعالى بعبادة نفسه أتبعه بالامر ببر الوالدین بقوله تعالى (وبالوالدين) أى وأحسنوا
 أى وأوقعوا الاحسان بهما (احساناً) أى بأن تبرؤهما اليه كون الله معكم فإنه مع الذين
 اتقوا والذين هم محسنون * (تنبيهان) * أحدهما المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى والامر
 ببر الوالدین من وجوه الاول أن السبب الحقيقي لوجود الانسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده
 والسبب الظاهر هو الابوان فأمر الله تعالى بتعظيم السبب الحقيقي ثم أتبعه بالامر بتعظيم
 السبب الظاهرى الثاني ان الوجود اما قديم واما محدث ويجب أن تكون معاملة الانسان
 مع الوجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار الشفقة وهو المراد من قوله صلى
 الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وأحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة
 انعامهم على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه اشارة الى التعظيم لامر
 الله تعالى وقوله تعالى بالوالدين احساناً اشارة الى الشفقة على خلق الله الثالث ان الاشتغال
 بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعماً
 عليك وشكره أيضاً واجب لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد

من الخلائق نعمة على الانسان مثل الابوين لان الولد قطعة من الوالدين قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا شفقة الوالدين على الولد عظيمة وايصال الخير الى الولد منهما امر طبيعي واحترازهم ما عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي أكبر من كل نعمة تصل من الانسان الى الانسان وايضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين في ذلك الوقت واصلا الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيما وايضا فايصال الخير الى الغير قد يكون ادعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان الانعام فيه أتم وأكمل فثبت بهذه الوجوه أنه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل مال الوالدين على الولد فلهذا بدأ الله بشكر نعمة الخالق وهو قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه ثم أردفه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله تعالى وبوالوالدين احسانا (فان قيل) الوالدان انما يطلبان تحصيل اللذة لانفسهم ما قلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخالفات فأى انعام للابوين على الولد حتى ان بعض المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذى أدخلنى في عالم الكون والفساد وعرضنى للموت والفقر والعنى والزمانة وقيل لابي العلاء المعرى ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا على قبري هذا جناية أبى على وما جئيت على أحد وقال في تركه التزويج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التى * فيهم لقد سبقتم نعم العاجل

ولو أنهم ولدوا والعواشدة * ترمى بهم في موبقات الآجل

وقيل لاسكندر استاذك أعظم منه عليك أم والدك فقال أستاذى أعظم منه لانه تحمل أنواع الشدائد عند تعليمي فأوقعنى في نور العلم وأبأ الوالد فانه طاب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجنى الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة المشهورة خير الآباء من علمك (أجيب) بأنه وان كان له في أول الامر طاب لذة الوقاع الا أن الاهتمام بايصال الخيرات اليه ودفع الآفات عنه من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر ليس أنه أعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات والمبرات فسقطت تلك الشبهات (التنبيه الثانى) ان لفظ الآية يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى الوالدين منها أنه تعالى قال فى الآية المتقدمة ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم أردفه بهذه الآية المشتملة على الاعمال التى بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة وجعل من جعلها البر بالوالدين وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التى تفيد سعادة الآخرة ومنها أنه تعالى بدأ بذكر الامر بالوحيد وثى بطاعة الله تعالى وثلاث ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة فى تعظيم هذه الطاعة منها أنه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال وبوالوالدين احسانا تقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام بهما ومنها أنه تعالى قال احسانا بلفظ التذكير والتسكير يدل على التعظيم أى احسانا عظيما كاهلالا احسانا مالميك

قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات لا تحصل
المكافأة لأن انعامهما عليك على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادئ بالبر لا يكافأ
* ولما كان سبحانه وتعالى عليهما بما في الطباع من ملال الولد لهما عند أخذهما في السن قال
تعالى (أما) مؤكداً ما على ان الشرطية لزيادة التقرير للمعنى اختتاماً بشأن الوالدين
(يبلغن عندك الكبر) أي كأن يضطر اليك في حالة الضعف والعجز فلا يكون لهما كافل غيرك
فصبراً عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله (أحدهما أو كلاهما) وقرأ جزءاً والكسائي
بألف بعد الغين وكسر النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما وأحدهما بدل منه أو كلاهما
عطف عليه فاعلاً أو بدلاً (فان قيل) هلا كان كلاهما تو كيداً بدلاً (أجيب) بأن العطف يقتضي
ما لا يصح أن يكون تو كيداً الاثنين فوجب أن يكون مثله (فان قيل) لم لا يجوز أن يكون أحدهما
بدلاً وكلاهما تو كيداً أو يكون ذلك عطفًا للتوكيد على البدل (أجيب) بأن العطف يقتضي
المشاركة فجعل أحدهما بدلاً والآخر تو كيداً لخلاف الاصل وقرأ الباقر بن غفران ففتح المون
والاعراب على هذا ظاهر وجميع القراء يشددون النون ثم انه تعالى أمر الانسان في حق
والديه بخمسة أشياء الاول منها قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) أي لا تنهض منهما ما قال
الزجاج أف معناه الثن وهذا قول مجاهد لانه قال معنى قوله فلا تقل لهما ما أف أي لا تتقذرهما
كما انهما كانا لا يتقذران منك حين كنت تخرأ وتبول وفي رواية أخرى عن مجاهد اذا وجدت
منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما أف فلقد بالغ سبحانه وتعالى بالوصية بهما حيث شفع
الاحسان اليهما بتوحيده وتظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضيق الامر في مراعاتهما
حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من التضجر مع موجبات الضجر ومقتضى ماته ومع أحوال
لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق
الوالدين فان الجنة يوجد ريحهما مع مسيرة ألف عام ولا يجدر ريحهما عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ
زان ولا جازار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
فقال لا يقوم الى خدمتهما عن كسل وقرأ نافع وحنص بالتونين في القضاء مع الكسر وابن
كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين والباقر بن كسر القاء من غير تنوين الثاني
قوله تعالى (ولا تنهرهما) أي لا تزجرهما عما يعطيان به مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره اذا
استقبله بكلام يزجره قال تعالى وأما السائل فلا تنهر (فان قيل) المنع من التأنيف يدل على
المنع من الانتهاء بالاولى فما فائدة ذكره (أجيب) بأن المراد بالمنع من التأنيف المنع من
اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من منع الانتهاء بالمنع من اظهار الخافقة في القول
على سبيل الرد عليهم والتكذيب لهما الثالث قوله تعالى (وقل لهما قولا كريماً) أي حسناً
جميلاً طيباً لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أن يقول
يا أباهم يا أمهم وسئل سعيد بن المسيب رضي الله عنه عن القول الكريم فقال هو قول العبد
المنذوب للسيد اللفظ الغليظ وعن عطاء أنه قال هو أن يتكلم معهم باشرط أن لا يرفع اليهما بصرة

ولا يستمد اليهم انظره وذلك أن هذين الفعلين يتأنيان القول الكريم (فان قيل) ابراهيم الخليل عليه السلام قال لا يهمني أراؤك وقومك في ضلال مبين مع أنه عليه السلام من أعظم الناس أدبا وحلمًا وكرما (أجيب) بأن حق الله تعالى مقدم على حق الابوين فاقدم ابراهيم عليه السلام على ذلك الانذاء انما كان تقديم الحق لله تعالى والرابع قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي لا من أجل الامتثال للامر وخوف العار فقط بل من أجل الرحمة لهما بأن لا تزال تذكر نفسك بالاوامر والنواهي وبما تقدم لهم من الاحسان اليك والمقصود بالمباغسة في التواضع وهذه استعارة بليغة قال القفال وفي تقريره وجهان الاول ان الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للتربيه خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن جنس التربه فكأنه قال للولدا كفل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك والى الثاني أن الطائر اذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهم اليرتفع واذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه ولم يرفع فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين (فان قيل) كيف أضاف الجناح الى الذل والذل لا جناح له (أجيب) بوجهين الاول أنه أضيف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجود فكأن المراد هيبك حاتم الجود فكذلك اذنا المراد اخفض لهما جناحك الذليل الثاني أن مدار الاستعارة على الخيلان فهنا تخيل للذل جناحا خفضا كما جعل لبس الشمال يدا وللقررة زماما في قوله وغداة ربح قد كشفت وقررة * اذا أصبحت بيد الشمال زمامها فأثبت للشمال يدا وللقررة زماما ووضع زمامها في يد الشمال فكذلك اذنا ومن ظريف ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تسقى ماء الملام فأنى * صب قد استعذبت ماء بكائي

جاء رجل بقصعة وقال له اعطني شيئا من ماء الملام فقال له حتى تأتيني بريشة من جناح الذل يريد أن هذا مجاز استعاره لذلك وقال بعضهم

راشوا جناحي ثم بلوهم بالندى * فلم أستطع من جهم أن أطيرا

الخامس قوله تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي لا تنكف برحمتك عليهما الى لابقاء لهما وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية واجعل ذلك جزءا لرحمتهم ما عليك في صغرهم وتربيتهم ما لك هذا اذا كانا مسلمين فان كانا كافرين فان الدعاء لهما بالرحمة منسوخ بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى بل يدعوا الله تعالى لهما بالهداية والارشاد فاذا اهداهما فقد رخصهما وسئل بعضهم عن بر الوالدين فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنتظر اليهما شرا ولا يرامنك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعوا لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهم ما بين بعدهما لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبر البر أن يصل الرجل أهل وذابيه * (تنبيه) * قد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحسن الناس بعبيتي فقال أملك ثم أملك ثم أبوك ثم أبوك ثم أذنالك فأذنالك

ومنها عنه أيضا أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ومنها ما روى عنه أيضا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتره فيعتقه ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال أضحى والدك قال نعم قال فقيم ما يخافه ومنها ما رواه الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وخط الرب في سخط الوالدين ومنها ما روى عن أبي الدرداء أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ ان شئت أوضاع ومنها ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد في سبيل الله وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال ذلك واصل اليه ولا شئ أنفع لهم من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لأمركم به في الوالدين ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الوصية بالوالدين ومنها ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب ان البار بوالديه لا يعوت مئة سوء ومنها ما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى باغما من الكبر أنى ألى منهما ما وليا منى في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما ومنها ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم انف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم انف رجل أدرك أبوه الكبر فلم يدخله الجنة ومنها ما روى أن رجلا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يأخذ ماله فدعاه فاذا هو شيخ بنوكا على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وأناقوى وفقيرا وأنا غنى فكنت لأمنعه شئ من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا فقير وهو غنى ويخجل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الابكى ثم قال للولد أنت ومالك لايك وشكوا اليه آخر سوء خلق أئمة فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملك تسعة أشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها واطمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حجبت بها على عنقى قال ما جزيتها وعن ابن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أئمة ويقول

أنا لها مطية لا تذعر * اذا الر كائب نفرت لا تنفر

ما حلت وأرضعتنى أكثر * الله ربى ذوالجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا والله ولا زفرة واحدة * ولما كان ما ذكر فى حق الوالدين عسرا جدا يحذر من التهاون به أشار بقوله تعالى (ربكم) أى المحسن اليكم فى الحقيقة فانه هو الذى عطف عليكم من ربكم وهو الذى أعانهم على ذلك (أعلم) أى من كل أحد (بما فى نفوسكم)

من قصد البر بهم ما وغيره فلا يظهر أحدكم غير ما يظن فإن ذلك لا ينفعه ولا ينجيهِ إلا أن يحتمل
 نفسه على ما يـ~~كون~~ سبيل رخصته ما (أن تكونوا صالحين) أي متقين محسنين في نفس الأمر
 والإصلاح استقامة الفعل على ما يدعو الدليل إليه * وأشار تعالى إلى أنه لا يكون ذلك إلا
 بمعالجة النفس وترجيحها مرة بعد مرة بقوله تعالى (فإنه كان للآواين) أي الرجايع إلى
 الخير مرة اثر مرة بعد نجاح أنفسهم عنه (عقورا) أي بالغ السترين وقع منه تقصير فرجع عنه
 فإنه مغفور له * ولما بحث تعالى على الإحسان للوالدين بالخصوص عم بالامر بالإحسان لكل ذي
 قرابة ورحم وغيره بقوله تعالى (وأت ذا القربى) من جهة الأب والام وإن بعد (حقه) والخطاب
 لكل أحد أن يؤتي أقرابه حقوقهم من صلة الرحم والمودة والزينة وحسن المعاشرة والمعاودة
 ونحو ذلك وقيل إن ~~كانوا محتاجين ومحتاجين~~ وهو موسر لزمه الإنفاق عليهم عند الإمام
 أبي حنيفة وقال الشافعي لا يلزم الإنفقة الوالد على والده والولد على والده فقط وقيل المراد
 بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأت المسكين) حقه وإن لم يكن قريبا (وأت
 ابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله ليكون متقيا محسنا * ولما رغب تعالى في البذل
 وكانت النفس قبا يـ~~كون~~ فعلها قواما بين الأفرط والتفريط اتبع ذلك بقوله تعالى
 (ولا تذر) بتفريق المال سرفا وهو بذله فيما لا ينبغي وقد كانت الجاهلية تبذر أموالها
 في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة في وجوهها بما يقرب منه
 ويراف إليه وفي قوله تعالى (تذيرا) تنبيه على أن الارتفاع نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط
 إلى مضيق الشح والتقتير والتبذير بسط اليد في المال على حسب الهوى وقد سئل ابن
 مسعود عن التبذير فقال إنفاق المال في غير حقه وأما الجود فهو اتباع أمر الله تعالى في حقوق
 المال وعن مجاهد لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مائة باطل كان
 تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خيرا فأنفق له صاحبه لا خيرا في السرف فقال لا سرف
 في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا
 السرف يا سعد قال أوفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير
 بإضافته إياه إلى أفعال الشياطين بقوله تعالى (أن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي
 على طريقتهم وأخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمر ونههم به من الأسراف وأوهم
 قرناؤهم وهم في النار على سبيل التواعد ثم أنه تعالى بين صفة الشيطان بقوله تعالى (وكان
 الشيطان) أي هذا الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر (لرب) أي الذي أحسن إليه
 بالمجاهدة وتريبته (كفورا) أي ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة ونعمته الباهرة
 مع الحجة فلا ينبغي أن يطاع لأنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله قال بعض العلماء خرجت هذه الآية
 على وفق عادة العرب وذلك لأنهم كانوا يجمعون الأموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها
 في الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليصدقوا الناس عن
 الإسلام وتوهم أهل وعاثه أعداءه فترك هذه الآية تنبيه على قبح أفعالهم في هذا الباب

وقوله تعالى (وَأَمَّا نَعُضُّ عَنْهُمْ أَفْتَغَاءَ رِجَّةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ) نزل في مهجع وبلال وصهيب
 وسالم وخباب وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحياء ما يحتاجون اليه ولا يجد
 فيه عرض عنهم حياء منهم وعيسك لا تنظر رزق من الله يرجوه أن يأتيه فيعطيه (فقل لهم) أي في
 حالة الاعراض (قولا ميسورا) أي ذابسر يشرح صدورهم ويبسط رجاءهم لأن ذلك أقرب
 الى طريق المنقين المحسنين قال أبو حيان روى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه
 الآية اذالم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول برزقنا الله تعالى واياكم من فضله انتهى وقد وقع
 هذا الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبنغ له فكان الفقد سببا للابتغاء والابتغاء سببا عنه
 فوضع المسبب موضع السبب ثم أصر تعالى نبيه بما وصف له عباده المؤمنين في الاتفاق في سورة
 الفرقان بقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فقال تعالى
 (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ) أي بالجل (مَغْلُولَةً) أي كأنك بالمنع مشدودة بالغل (إلى عُنُقِكَ) أي
 لا تستطيع مدّها أي لا تمسك عن الاتفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجود صلة
 الرحم وسيد الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالغلول الممنوعة من الانبساط
 (وَلَا تَبْسُطْهَا) بالبذل (كل البسط) فتبذربحيت لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكما في كتب
 الاخلاق أن لكل خلق طرف في افراط وتفریط وهما مذمومان والخلق الفاضل هو العدل
 والوسط فالجل افراط في الامساك والتبذير افراط في الانفاق وهما مذمومان والمعتدل هو
 الوسط وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فقال يا رسول الله ان أي تستمسك بك
 درعا أي قبصا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة
 هذا متعاقب بمعدوف أي أخرسوا لك من ساعة ليس لنا فيها درع الى ساعة يظهر لنا فيها درع فعبد
 الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أي تستمسك بك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وزرع قبصه فأعطاها وقعد عريانا أي في ازار ونحوه فأذن بلال بالصلاة
 فانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل
 يدك مغلولة الى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَطِيَ جَمِيعَ مَاعُنْدَكَ * (تنبيه) * ما ذكره
 عن جابر تبعا للكشاف والبيضاوي والرازي وغيرهم قال الولي العراقي لم أقف عليه وكذا
 قال الحافظ ابن حجر وقد يقال من حفظ حجة على من لم يحفظ (فقد قعد) أي توجد كالقعد
 (ملوما) أي بليغ الرسوخ فيما يلام بسببه عند الله لأن ذلك مما نهى الله عنه عند نفسه
 وعند الناس لانه يلوم نفسه وأصحابه أيضا يلومونه على تضييع المال بالكلية (محسورا)
 أي منقطع عابك لذهاب ما تقوى به قال القفال شبه حال من أنفق كل ماله من انقطع في سفره
 بسبب انقطاع موطيته لأن ذلك المقدار من المال كأنه موطية تحمّل الانسان الى آخر الشهر
 والسنة كما أن ذلك البعير يحمله ويلغيه الى آخر المنزل فاذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق
 عاجزا متخيرا فكذلك الانسان اذا أنفق مقدارا يحتاج اليه في مدة شهر في أقل منه بقي في وسط
 ذلك الشهر عاجزا متخيرا ومن فعل ذلك لحقه اللوم من أهله والمحتاجين الى انفاقه عليهم بسبب

سوء تدبيره وترك الحزم في مهمات معاشه ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ان ربك) أى
المحسن الملك (يسبط الرزق) أى يوسع له (لمن يشاء) البسط دون غيره (ويقدر) أى يضيقه سواء
قبض يده أم بسطها لأن الرب هو الذى يربى المربوب ويقوم باصلاح مهماته ورفع درجاته
على مقدار الصلاح فى الصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض لأن ذلك
هو الصلاح قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء
(انه كان لعباده خبيراً) أى بالغ الخبر (بصيراً) أى بالغ البصر بما يكون من كل من القبض
والبسط لهم مصلحة ومفسدة فالتفاوت فى انه ربي العباد ليس لاجل يخل بل لاجل رعاية مصلحة
لا يعلمها العبد فبجنان المتصرف فى عباده كيف يشاء * ولما أتم سبحانه وتعالى الوصية بالاصول
وما يتبع ذلك أوصى بالفروع بقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم) فذكرهم بلفظ الولد الذى هو
داعية الى الحنو والعطف (خشية الملاق) أى فقر متوقع لم يقع بعد ثم وصل بذلك استئنافاً
بقوله تعالى (نحن نرزقهم وابائكم) مقدماً ضمير الاولاد ليكون الاملاق متوقفاً من الاتفاق عليهم
ثم علل تعالى ذلك بما هو أهم منه فقال تعالى (ان قتلهم) أى مالمقا هذا وألغيره (كان خطأ) أى
اغماً (كبيراً) أى عظيماً وقرأ ابن كثير يفتح الطاء ومدته بعد هامة متصلاً وقرأ ابن ذكوان يفتح
الخاء والطاء ولا مدته بعد الطاء والباءون بكسر الخاء وسكون الطاء قال الرماني الخطأ بكسر
ثم سكون لا يكون الاعتماد الى خلاف الصواب والخطأ أى محر كآ قد يكون من غير تعمد وانما
وجب بالاولاد لامرأ أحدها أنهم فى غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين وانما وجب
بإبر الوالدين مكافأة لما صدر منهم من أنواع البر الى الولد الثانى أن امتناع الآباء من البر بالاولاد
يقضى خراب العالم الثالث أن قرابة الولادة قرابة الجزئية والبعضية وهى من أعظم الموجبات
للعمة فلولم تحصل المحبة دل ذلك على غلط شديد فى الروح وقسوة فى القلب وذلك من أعظم
الاخلاق الذميمة فرغب الله تعالى فى الاحسان الى الاولاد اذ اراد الله هذه الخصلة الذميمة وعبر تعالى
بالاولاد ليشمل الاناث فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين
عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة عليهم وأيضاً كانوا يخافون أنهم بعد كبرهن تفقد
أكفأوهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير أكفاء وفى ذلك عار شديد فنهاهم الله تعالى عن ذلك
فان الموجب للرجة والشفقة هو كونه ولداً وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور والاناث
وأما ما يخاف من الفقر فى البنات فقد يخاف مثله فى الذكور فى حال الصغر وقد يخاف أيضاً
فى العاجزين من البنين وكما أنه سبحانه وتعالى يفتح أبواب الرزق على الذكور فكذلك على
الاناث * ولما كان فى قتل الاولاد حظ من الجخل وفى فعل الزناداع من الاسراف أتبعه به فقال
تعالى (ولا تقرّبوا الزنا) أدنى قرب ولو بفعل شئ من مقدماته وانما أتى تعالى بالقربان تعظيماً له
لما فيه من المفاسد الجارية الى الفتن بالقتل وتضييع النسب والتسبب فى ايجاد نفوس بالباطل
وغير ذلك ثم علل تعالى النهى عن ذلك بقوله تعالى مؤكداً ابلاغاً فى التفسير عنه لما للنفس من
شدة الداعية اليه (انه كان قاحشة) أى فعله ظاهرة القبح زائدة وقد نهاكم الله تعالى عن

الفعشاء في قوله تعالى ان الله بأمر بالعدل والاحسان واية اذى القربى وينهى عن الفحشاء
 الاية (وساء) أى وبئس الزنا (سبيلا) أى طريقا طريقه ثم ينهى سبحانه وتعالى عن القتل مطلقا
 عن التقيد بالاولاد بغير حق بقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أى بالاسلام والعهد
 (الابالحق) وهو المبيع للقتل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
 ثلاث رجل كفر بالله بعد ايمانه أو زنى بعد احصائه أو قتل نفسا بغير حق ومثل انتقال المسلم
 من دين الاسلام الى دين الكفر انتقال كافر من دين الى دين آخر سواء كان ذلك الدين يقر عليه
 أم لا ومن ذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى انما جزاء
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تختلف الفقهاء
 في أشياء غير ذلك منها أن تارك الصلاة كماله يقتل فعند الشافعي يقتل بشروط معلومة
 وعند أبي حنيفة لا يقتل التارك كالزاني ومنها أن على اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي
 يوجب قتل الفاعل كالزاني وعند أبي حنيفة لا يوجب ومنه أن الساحر اذا قال قتلت فلانا
 بصحري عمد اهل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب ومنه أن على اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي
 بالمثل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب ومنها الامتناع
 من أداء الزكاة هل يوجب القتل اختلفوا فيه في زمان أبي بكر رضى الله عنه ومنها أن اتيان
 البهيمة هل يوجب القتل فعند أكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجب ولكل من ذكر أدلة
 يستدل بهارضى الله تعالى عنهم أجمعين ثم قال تعالى (ومن قتل مظلوما) أى بأى ظلم كان من
 غير أن يرتكب ما يبيح قتله (فقد جعلنا لولييه) أى سواء كان قريبا أم بعيدا (سأطأنا) أى أمرا
 متسلطابه وقوله تعالى (فلا يسرف في القتل) قرأه جزء والكسائي بالتاء على الخطأ أى أيها
 الولي والباقون بالياء على الغيبة أى الولي وفسر الاسراف بوجوه الاول أن يقتل القاتل وغير
 القاتل وذلك أن أولياء المقتول كانوا اذا قتل واحد من قبيلة شريفة قتلوا خلة من القبيلة
 الدنيئة فنهى الله تعالى عنه وحكم بقتل القاتل وحده الثاني أن الاسراف هو أن لا يرضى بقتل
 القاتل فإن الجاهلية كانوا يقصدون أشرف القبائل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويترون
 القاتل الثالث أن الاسراف هو أن لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يعتل به ويقطع أعضائه قال
 الفقهاء ولا يعد جله على الكل لأن جله على هذه المعاني مشترك في كونهم اسرافا واختلف
 في رجوع الهاء الى ماذا في قوله تعالى (انه كان منصورا) فقال مجاهد راجعة الى المقتول في قوله
 تعالى ومن قتل مظلوما أى أن المقتول منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة
 بتكفير خطايه وايجاب النار لقاتله وقال قتادة راجعة لولي المقتول أى انه منصور على القاتل
 باستيفاء القصاص أو الدية فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة وقيل راجعة الى القاتل
 الظالم أى ان القاتل يكتفى منه باستيفاء القصاص ولا يطلب منه زيادة لانه منصور من عند الله
 تعالى في تحريم طلب الزيادة منه وأنه اذا عوقب في الدنيا بأزيد مما فعل نصر في الآخرة وقيل
 راجعة الى الدم وقيل الى الحق * ولما ذكر تعالى النهي عن اتلاف النفوس أتبعه بالنهي

عن اتلاف الاموال لان اعز الاشياء بعد النفوس الاموال وأحق الناس بالنهي عن اتلاف أموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم بقوله تعالى (ولا تقر بآمال اليتيم) عبر بالقربان الذي هو قبل الاخذ تعظيماً للمقام فهو أبلغ من قوله تعالى ولانا كواها اسرافاً وبداراً وفي تفسير قوله تعالى (الابالتى هي أحسن) وجهان الأول الابل النصرى الذى ينجيه ويكثره الثانى روى مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا احتاج أكل بالمعروف واذا أيسر قضاءه فان لم يوسر فلا شئ عليه والولى تبقي ولايته على اليتيم (حتى يبلغ أشده) وهو ايناس الرشد منه بعد بلوغه كما بين تعالى ذلك فى آية أخرى وهى قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم * ولما نهى سبحانه وتعالى عن ثلاثة أشياء وهى الزنا والقتل وأكل مال اليتيم أتبعها بثلاثة أوامر الأول قوله تعالى (وأوفوا بالعهد) أى اذا عاهدتم الله تعالى على فعل الأمور وترك المنهيات أو الناس على فعل أو قول جائز وفى تفسير قوله تعالى (ان العهد كان مسؤولاً) وجوه الأول أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولاً بخلاف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى وأسأل القرية نايها ان العهد كان مسؤولاً أى مطلوباً بطلب من المعاهد أن لا يضيعه وبني ثانياً أن يكون هذا اختياراً كان يقال للعهد لم نكتب وهلاً وفى بك تسكيتاً لنا كذا كما يقال للموردة بأى ذنب قمت وكقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأئى الهين والمخاطبة لعيسى عليه السلام والانكار على غيره الامر الثانى قوله تعالى (وأوفوا الكيل اذا كتم) أى لغيركم فان كتم لانفسكم فلا جناح عليكم ان نقصتم عن حقكم ولم تقوا الكيل الامر الثالث قوله تعالى (وزنوا) أى وزن ما تلبسوا (بالقسطاس) أى ميزان العدل الذى هو أقوم الموازين وزاد فى تأكيده معناه فقال (المستقيم) دون شئ من الجيف * (تنبيه) * القسطاس روى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان الاجمى اذا استعملته العرب وأجرته جبرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتسكير ونحوها صارعربياً وقرأ حفص والكسائى وحزقة بكسر القاف والباقون بضمها (ذلك) أى الامر العالى الرتبة الذى أخبرناكم به من الإيفاء بالتام والكمال (خير) لكم فى الدارين الدنيا والآخرة من التطفيف بالكيل أو الوزن من حيث ان الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة وان تراعى لكم ان التطفيف خير (وأحسن تأويلاً) أى عاقبة فى الدارين اما فى الدنيا فإنه اذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه ومالت القلوب اليه وحصل له الاستغناء فى الزمان القليل وكم رأينا من الفقراء من اشتهر واعند الناس بالامانة والاحتراز عن الخيانة انقلب القلوب عليهم وحصلت الاموال الكثيرة لهم واما فى الآخرة فالقوز بالنواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم والتأويل وهو تفصيل من الاول وهو الرجوع أو أفعال التفضيل هنا لاستعمال النصفه بارحاء العنان أى على تقدير أن يكون فى كل منهما خير فهذا المعنى الذى ذكرناه أزيد خيراً والعاقلة لا يرضى لنفسه بالدون * ولما شرح

الله تعالى الاوامر الثلاثة عاد الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة اشياء اولها قوله تعالى (ولا تقف) أى لا تتبع أيها الانسان (ماليس لك به علم) من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون معلوما وهو قضية كلية يتدرج تحتها أنواع كثيرة واختلف المفسرون فيها فقال ابن عباس لا تشهد الا بما رآه عينك وسمعه أذنك ووعاه قلبك وقال قتادة لا تنقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل المراد النهى عن القذف وقيل المراد النهى عن الكذب وقيل المراد نهى المشركين عن اعتقاداتهم وتقليد أسلافهم لأن الله تعالى نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال تعالى ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله به من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقيل القفو هو الهبت وأصله من القفا كأنه يقال خلفه وهو فى معنى الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من قضا مؤمنا بما ليس فيه حسبه الله تعالى فى ردغة الخبال رواء الطبراني وغيره وردغة بسكون الدال وفتحها عصاراة أهل النار وقال الكميت

ولا أرى البرى بغير ذنب * ولا أقف والحواسن ان قفينا

ببناء قفينا للمفعول والحواسن النساء العفاف واللفظ عام يتناول الكل فلامعنى للتقييد * (تنبيه) * يقال قفوت اثر فلان أقفوا اذا اتبع أثره وسميت قافية الشعر قافية لان البيت يقفوا البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار أقفاء الناس أو آثار أقدامهم ويستدلون به على أحوال الناس وقال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وسمى القفا قفا لانه مؤخر يدن الانسان فان مشى يتبعه ويقفوه (فان قيل) ان هذه الآية تدل على منع القياس فانه لا يفيد الا الظن والظن مغاير للعلم (أجيب) بأن ذلك عام دخله التخصيص فان الحكم فى الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة وبأن المراد بالعلم هو الاعتقاد الرابع المستفاد من سند سواء كان قطعيا أم ظاهريا واستعماله بهذا المعنى شائع ذائع وقد استعمل فى مسائل كثيرة منها ان العمل بالفتوى عمل بالظن ومنها ان العمل بالشهادة عمل بالظن ومنها الاجتهاد فى طلب القبلة ولا يفيد الا الظن ومنها قيم المتلفات وارش الجنایات لا سبيل اليهما الا بالظن ومنها القصد والحجامة وسائر المعالجات تبنى على الظن ومنها بحث الحكمين فى الشقاق قال تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لا معلوم ومنها الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون وينبنى على هذا الظن أحكام كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن فى مقابر المسلمين ومنها الاعتماد على صدق الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على ذلك الظنون وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن ثم عدل تعالى النهى مخوفا بقوله تعالى (ان السمع والبصر) وهما طريقا الادراك (والقواد) الذى هو آلة الادراك ثم عدل تعالى الامر بقوله تعالى (كل أولئك) أى هذه الاشياء العظيمة العالمة بالمنافع البديعة التكوينية * (تنبيه) * أولا وجميع أسماء

الإشارة يشار بها للعاقل وغيره كقول الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

يجوز في ذم فتح الميم وكسر ها وضما وقوله بعد منزلة اللوى أي بعد مقارقتها والإضافة في منزلة اللوى للبيان وهو ممدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لامم الإشارة أو عطف بيان له (سكان عنه) أي بوعده لا خلف فيه (مسؤولاً) بسؤال يخصه (تنبيه) * ظاهراً لا يتبدل على أن الجوارح مسؤولة وفيه وجوه الأول أن معناه أن صاحب السمع والبصر والقوادح هو المسؤول لأن السؤال لا يصح إلا بمن كان عاقلًا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الإنسان كقوله تعالى وأسأل القرية أي أهلها والمعنى أنه يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل سمعته ولم نظرت ما لم يحل نظره ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه الثاني أن تقدير الآية أن أولئك الأقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والقوادح فيقال لهم استعملتم السمع فيما ذأ في الطاعة أم في المعصية وكذا القول في بقية الاعضاء وذلك لأن الحواس آلات النفس والنفس كالأمير لها والمستعمل لها في مصالحها فان استعملها في الخيرات استوجب الثواب وان استعملها في المعاصي استحق العقاب الثالث أن الله تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ثم انهم اتسأل لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكذلك لا يبعد أن يخلق العقل والحياة والنطق في هذه الأعضاء ثم انهم اتسأل روى عن شكل بن جريد قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذاً أنعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شرهمي وشر صري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها قال سعد المني مأوه النهي الثاني قوله تعالى (ولا تمش في الأرض) أي جنسها (مرحاً) أي ذا مرح وهو شدة الفرح والمراد من الآية النهي عن أن يمشي الإنسان مشياً يدل على الكبرياء والعظمة قال الزجاج ولا تمش في الأرض محتملاً لا تخوراً ونظيره قوله تعالى في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وقال تعالى في سورة لقمان واقتدي مشيك واغضض من صوتك وقال تعالى فيها ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى (إنك إن تخرق الأرض) أي تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) أي بطاولك وهو تمكيم بالمختال لأن الاختيال حياقة مجردة لا تفيد شيئاً ليس في التذلل وفي ذلك إشارة إلى أن العبد ضعيف لا يقدر على خرق أرض ولا وصول إلى جبال فهو محتاط به من فوقه ومن تحته بنوعين من الجمادات وهو أضعف منهم ما بكثير والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكانه قيل له تواضع ولا تكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله محصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل ذكر ذلك لأن من مشى خيلاً يمشي مرة على عقبه ومرة على صدره وقد مية ففعل له أنك إن تنقب الأرض إن مشيت على عقبك ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدره وقد مية قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأً تكفأً كأنما ينحط من صلب وروى

أبو هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض
تطوى له أنا لجهداً أنفسنا وأنه غير مكثر وقوله تعالى (كل ذلك) إشارة إلى ما نهى عنه
مما تقدم فإن الذي تقدم منبهات وما حورات وجعله ذلك من قوله تعالى لا تجعل مع الله الهما
آخر إلى هنا خمسة وعشرون وهذا أنا سرد هالك تسهلاً عليك فأولها لا تجعل مع الله الهما
آخر وثانيها وثالثها وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه لا شئ اله على تكليفين الأمر بعبادة الله
تعالى والنهي عن عبادة غيره رابعها وبالوالدين أحساناً خامسها فلا تقل لهما أف سادسها
ولا تنهرهما سابعها وقل لهما اقولا كريماً ثامنهما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تاسعها وقل
رب ارحمهما كإيماني صغيرا عاشرها وآت ذا القربى حقه حادي عشرها والمساكين ثاني
عشرها وابن السبيل ثالث عشرها ولا تبذروا ثوباً رابع عشرها فقل لهم قولاً ديسوراً خامس
عشرها ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك سادس عشرها ولا تبسطها كل البسط سابع عشرها
ولا تقتلوا أولادكم ثامن عشرها ولا تقتلوا النفس تاسع عشرها ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا
لوليهِ سلطاناً عشرها ولا يسرف في القتل حادي عشرها وأوفوا بالعقود ثاني عشرها وأوفوا
بالحكم ثالث عشرها وأوفوا بالقسط المستقيم رابع عشرها ولا تقب ما ليس لك به علم
خامس عشرها ولا تمس في الأرض مراً فكل هذه تكليفات بعضها أوامر وبعضها نواهي فالثاني
عنه هو الذي قال تعالى فيه (كان سيئته عند ربك مكروهاً) أي يغيظه والعاقلة لا يفعل
ما يكرهه المحسن إليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يفتح الهمزة وبالباء ممنونة منصوبة وقرأ
الباقون بضم الهمزة والهاء مضمومة من غير تنوين والمعنى على هذا ظاهر أي إن سيئ تلك
الاقسام يكون مكروهاً وأما على القراءة الأولى فهي سيئة خبر كان وأنت جـ لا على معنى كل ثم
قال مكروهاً جـ لا على لفظها وقال الزمخشري إن السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم
زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيته ولا فرق بين سيئة وسيأ الاترى أنك تقول الزنا سيئة كما
تقول السرقة سيئة فلا فرق بين اسنادها إلى مذكر ومؤنث وفي نصب مكروهاً وأوجه أحدها
أنه خبر ثان لكان الثاني أنه بدل من سيئة وضعف بأن البدل بالمشتق قبل الثالث أنه حال من
الضمير المستتر في عند ربك لوقوعه صفة لسيئة الرابع أنه نعت لسيئة وانما ذكر وصف سيئة لأن
تأنيته وتأنيث موصوفه مجازي ورد بأن ذلك انما يجوز حيث أسند إلى المؤنث المجازي أما
إذا أسند إلى ضميره فلا نحو الشمس طالعة فلا يجوز طالع وقوله تعالى (ذلك) إشارة إلى الأحكام
المتقدمة في الأوامر والنواهي (مما أوحى إليك) يا أشرف الخلق (ربك) أي المحسن إليك (من
الحكمة) التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وانما سميت هذه الأمور حكمة لوجوه
الأول أن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والإعراض عن الدنيا
والإقبال على الآخرة فلا تأتي بمثل هذه الشريعة لا يكون داعياً إلى دين الشيطان بل الفطرة
الاصيلة تشهد بأنه يكون داعياً إلى دين الرحمن الثاني أن هذه الأحكام المذكورة في هذه

الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والمثل ولا تقبل النسخ والابطال فكانت
محكمة وحكمة من هذا الاعتبار الثالث ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير
للعمل به كما مرّت الاشارة اليه فالامر بالتوحيد عبارة عن القسم الاول وسائر التكليف عبارة
عن تعليم الخيرات حتى يواظب عليها ولا يتخرف عنها فثبت ان الاشياء المذكورة من هذه
الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان هذه الآيات كانت في ألواح
موسى عليه السلام وجعل سبحانه وتعالى فاتحتها قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وخاتمتها
قوله تعالى (ولا تجعل مع الله الها آخر) تنبيه على ان التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاه وان من
قصد بفعل أو ترك غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه ما هو عائدة
الشرك في قوله تعالى أولا لا تجعل مع الله أي في الدنيا ما هو تنجيته في العقبى فقال
(قتلي) أي فيفعل بك في الآخرة في الحشر (في جهنم) من الاسراع فيه وعدم القدرة على
التدارك ففعل من ألقى من عال حال كونك (ملوما) أي تلوم نفسك (مدحورا) أي مبعدا
من رجة الله * (تنبيه) ذكره سبحانه وتعالى في الآية الاولى بقوله تعالى مذموم ما مخذولا
وفي هذه الآية ملوم ما مدحورا والفرق بين الذم واللوم هو أن يذكر له ان الفعل الذي أقدم
عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموم ما يقال له فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي جلك
عليه فهو ذاهو اللوم فأقول الامر يصير مذموما وآخره يصير ملوما والفرق بين المخذول
والمدحور هو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخذلت أعضاؤه أي ضعفت والمدحور هو
المطرود والطرء عبارة عن الاستخفاف والاهانة فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعاقته وتقويضه
الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانتة فصير أقر الامر مخذولا وآخره مدحورا وقوله
تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والله مزة لانكار أي
أنقصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الاولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيبا
لنفسه (واتخذ من الملائكة أناثا) أي بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه معقولكم وعاداتكم
فان العبيد لا يستأثرون بأجود الاشياء واصفاها من الشوائب ويكون أردوها وأدونها
للسادات (أنكم تقولون قولاً عظيماً) باضافة الاولاد اليه لان انبات الولد يقتضي كونه تعالى
مركباً من الاعراض والاجزاء وذلك يقدح في كونه قديماً واجب الوجود لذاته وأيضا يقتدير
ثبوت الولد فقد جعلوا أشرف القسمين لانفسهم وأخس القسمين لله تعالى وهذا جهل عظيم
وأيضا جعلوا الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله الذين منهم من يقدّر على حمل الارض وقلب
اسفلها على أعلاها نائفاً غاية الرخاوة * ولما كان في هذا من البيان ما لا يخفى على انسان
ولم يرجعوا أشار الى أن لهم مثل هذا الاعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى (ولقد
صرقنا) أي بناينا عظيمنا بأنواع طرق البيان من العبر والحكم والأمثال والاحكام والحجج
والاعلام في قوالب الوعد والوعيد والامر والنهي والحكم والمثابة الى غير ذلك (في هذا
القرآن) أي في مواضع منه من الأمثال كما قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل

مثل قبل انقطة في رائدة كما في قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي ورد بأن في لاتراد وما ذكر متأول
 كما يأتي ان شاء الله تعالى في الاحقاف والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى أخرى ثم صار
 كناية عن التبيين قاله أبو حيان وقوله تعالى (لنذكرن) متعلق بصرفنا وقرأ جزء والكسائي
 بسكون الذا ل ورفع الكاف من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعنى التذكر والباقون بفتح
 الذا ل والكاف مع تشديدهما (وما يزيدهم) أي التصريف (الانفورا) أي تباعدوا عن الحق
 وقلة ظمناً لله وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني ذلك خضوعاً ما زاد أعداءه لنفورا
 * ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي اهؤلاء المشركين ولا تبأس من رجوع
 بعضهم (لو كان معكم الهة كما تقولون) من هذه الاقوال التي لوقالها أعظمكم في حق أدناكم وهو
 يريد بها حقيقة الصارح بحكمة العباد (اذا لابتغوا) أي طلبوا واطلباء عظيماً (الى ذي العرش) أي
 صاحب السرير الاعظم المحيط الذي من ناله كان منفرداً بالتدبير (سبيلاً) أي طريقاً سالكا
 يتوصلون به اليه ليهتدوه ويزيلوا ما يحكه كما ترون فعل ملوك الدنيا ببعضهم مع بعض أو ليتخذوا
 عندهم يدا يقرهم اليه وقرأ ابن كثير وحقق بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
 وأدغم أبو عمرو والشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه فقال عز من
 قائل (سبحانه) أي تنزه التزاه الاعظم عن كل شائبة نقص (وتعالى) أي علا أعلى العلويات
 الكمال (عما يقولون) أي من هذه النقائص التي لا يرضاها لنفسه أحد من عقلاء خلقه (علوا)
 أي تعالوا (كبيراً) أي متباعدة غاية البعد عما يقولون فانه تعالى في أعلى مراتب الوجود
 وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته * (تنبيه) * جعل العلوم مصدر التعالى ومصدره
 تعالياً كما قدرته فهو المراد ونظيره قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتاً (فان قيل) ما الفائدة
 في وصف ذلك العلو بالكبير (أجيب) بأن المناقاة بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثبوت الصاحبة
 والولود والشر كما والاضداد والانداد منافاة بلغت في القوة والكمال الى حيث لا تعقل الزيادة
 عليها لان المناقاة بين الواجب لذاته وبين الممكن لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغنى والمحتاج
 منافاة لا تعقل الزيادة عليها فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير وقرأ جزء
 والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم استأنف تعالى بيان عظمته هذا
 التنزيه مقرر ونا بالوصف بالكمال فقال (تسبح) أي توقع التنزيه الاعظم (له) أي الاله الاعظم الذي
 تقدم وصفه بالجلال والاکرام خاصة (السموات السبع والارض) أي السبع (ومن فيهن)
 أي من ذوى العقول (وان) أي وما وأغرق في النقي فقال (من شيء) أي ذى عقل أو غيره
 (الا يسبح بحمده) أي يقول سبحانه الله العظيم وبحمده أو يقول سبحانه الله وبحمده وقال ابن
 عباس وان من شيء الا يسبح بحمده وقال قتادة يعنى الحيوانات والناميات وقال عكرمة
 الشهيرة تسبح والاسطوانة تسبح وعن المقداد بن عدى التراب يسبح ما لم يتسل فاذا ابتل ترك
 التسبيح والورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح والماء يسبح مادام
 جارياً فاذا ركبت التسبيح والثوب يسبح مادام جديداً فاذا وسخ ترك التسبيح وقال السيوطي

في جواب سؤال عن ذلك

قد خصصت آية الاسرى بمصنف * وصف الحياة كطلب الزرع والشجر
 فيابس مات لا تسبيح منه كذا * مازال عن موضع كالقطع للجر
 وقال ابراهيم النخعي وان من شيء جاد وحى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف
 وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله تعالى حيوانا كانت أو جادا وتسبحها سبحان الله وبحمده يدل
 على ذلك ما روى عن ابن مسعود كان بعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويها كما مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا فضله من ماء فجاءوا باناء فيه ماء
 قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور والمبارك والبركة من الله
 فلقدر أيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل
 وعن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليلتي بعثت اني
 لا عرفه الا ان وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطف الى جذع فلما اتخذ له المنبر يتحول
 اليه فخن الجذع فأناه فسمع يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وسار به بشي ففني هذه الأحاديث
 دليل على ان الجاد يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجادات
 والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته
 فكانها تنطق بذلك ويصيرها بمنزلة التسبيح قال البغوي والاول أصح وهو المنقول عن السلف
 وقال ابن الخازن القول الاول أصح لمادات عليه الاحاديث وأنه منقول عن السلف قال
 البغوي واعلم ان الله تعالى علما في الجادات لا يقف عليه غيره ف ينبغي أن يوكل علمه اليه (ولكن
 لا نفقهون) أي لا نفقههم من (تسبيحهم) أي لانه ليس بلغتهم (انه كان حليما غفورا) وما ذكر
 سبحانه وتعالى اثبات الالهية اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله تعالى (واذا قرأت القرآن) أي الذي
 لا يذانيه واعظ ولا يساويه مفهم وهو تبيان لكل شيء (جعلنا) أي بما لنا من العظمة (بينك وبين
 الذين لا يؤمنون بالآخرة جبابا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهم ما تقرر عليهم والانتفاع به
 قال قتادة هو الالكنة فالمستور بمعنى الساتر كقوله تعالى كان وعده ما تيام ففعل بمعنى فاعل
 وقيل مستورا عن أعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالجاب عن الاعين الظاهرة كما روى
 عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت تبث يد أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى
 الله عليه وسلم مع أبي بكر رضى الله عنه فلم تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه
 هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارض
 به رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لا لمزل ملك بيني وبينها يستترني (وجعلنا) أي
 بما لنا من العظمة (على قلوبهم أكنة) أي أعطيتهم كراهة (أن يفقهوه) أي يفهموه أي يفهموا
 القرآن حق فهمه (وفي آذانهم وقرا) أي شبا أثقلا يمنع سماعهم وعن أسماء كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جالسا معه أبو بكر اذا قبلت امرأة أبي لهب ومعها فهر تريد الرسول صلى
 الله عليه وسلم وهي تقول مذمما بينا ودينه قلينا وأمره عصينا فقال أبو بكر يا رسول الله معها

فهو اخشاها عليك فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فجاءت ومارأت رسول صلى الله
 عليه وسلم وقالت اني رأيت قريشا قد علمت اني ابنة سيد هاوان صاحبك هجاني فقال أبو بكر
 لا ورب الكعبة ورب هذا البيت ما هجالك وروى ابن عباس ان أبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا
 جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضر يوما
 ما أرى ما يقول محمد غير أني أرى شفتيه يتحرك كأن بشي وقال أبو سفيان اني لا أرى بعض ما يقوله
 الا حتما وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى
 هو شاعر فزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد تلاوة القرآن قرأ
 قبلها ثلاث آيات وهي في سورة الاسراء وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرأوا في
 سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية أفرايت من اتخذ الله هواءه الى
 آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين (واذا ذكرت ربك في
 المحسن اليك واليهم) (في القرآن وحده) أى مع الاعراض عن آلهتهم كان قلت وأنت تتلو القرآن
 لا اله الا الله * (تنبيه) في نصب وحده وجهان أحدهما أنه منصوب على الحال وان كان
 معرفة لفظ الله في قوة النكرة اذ هو في معنى منفردا والثاني أنه منصوب على الظرف (ولو اعلى
 أدبارهم تقورا) أى هربا من استماع التوحيد * (تنبيه) في نفورا وجهان أحدهما مصدر من
 غبرا للفظ مؤكدا لان التولى والنفور بمعنى والثاني أنه حال من فاعل ولو اوهو حينئذ جمع نافر
 كفاعد وقعود وشاهد وشهود والضمير في ولو ايعود الى الكفار وقيل يعود الى الشيطان وان لم
 يجبر لهم ذكر قال المفسرون ان القوم كانوا عند استماع القرآن على أقسام منهم من كان يلهو
 عند استماعه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه ويساره اخوان من
 ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخطون عليه بالاشعار ومنهم من كان اذا سمع من القرآن
 ما فيه ذكر الله تعالى بقواميه وتين لا يفهمون منه شيئا ومنهم من اذا سمع آيات فيها ذكر الله
 تعالى وذم المشركين ولو انفورا وتر كوا ذلك المجلس * ولما كانوا رعا ادعوا السمع والفهم
 فشكروا بعض من لم يرسخ ايمانه أتبعه تعالى بقوله تعالى (فحين أعلم) أى من كل عالم (عما
 يستمعون) أى بالغون في الاصغاء والميل لقصد السمع (به) من الأذان والقلوب أو بسببه
 ولا جله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون) أى يصغون بجهدهم (اليك) أى الى قراءة تلك (واذ)
 أى حين (هم) ذو (نجوى) أى يتماجدون بأن يرفع كل منهم بصره الى صاحبه بعد اعراضهم
 عن الاستماع ثم ذكر تعالى ظرف النجوى بقوله تعالى (اذ) وهو يدل من اذ قبله (يقول الظالمون)
 وقولهم (ان) أى ما (تتبعون الارجلا مسحورا) أى تخدوعا مغلوبا على عقله روى أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعو اليه أشرف قريش من المشركين ففعل
 ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال
 قولوا لا اله الا الله حتى طيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من
 النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوى الى الله تعالى يقولون ان تتبعون الارجلا مسحورا

(فان قيل) انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح أن يقولوا ان تتبعون الا
 رجلا مسكورا (أجيب) بأن معناه ان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسكورا وقرأ أبو عمرو وابن
 ذكوان وعاصم وحجة بكسر التثنية في الوصل والباقون بالضم ثم قال تعالى (انظر كيف
 ضربوا) أي هؤلاء الضلال (لك الامثال) التي هي أبعدي من صفتك من قولهم كاهن وساحر
 وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) عن الحق في جميع ذلك (فلا) أي فتسبب عن ذلك أنهم
 لا يستطيعون سبيلا) أي وصولا الى طريق الحق * ولما جرت عادة القرآن بإثبات التوحيد
 والنبوة والمعاد و قد علم الدلالة على الاولين وختم بإثبات جهلهم في النبوة مع ظهورها أتبع ذلك
 أمرا جليبا ضلالهم عن السبيل في أمر المعاد وقرره غاية التقرير وحرره أتم تحرير قال تعالى
 معجباً منهم (وقالوا) أي المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة والبعث مع اعترافهم بأننا ابتدأنا
 خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت اننا نحى الارض بعد موتها وقولهم (أنذا) استقهاهم انكارى
 كأنهم على ثقة من عدم ما ينكرونه والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لاهو فأن ما بعد ان
 لا يعمل فيما قبلها فالمعنى أتبعث اذا (كنا) أي بجملة أجسامنا كوننا لازما (عظاما ورفائنا) أي
 حطاما مكسرا مفتتاً وغبارا وقال القرأه هو التراب وهو قول مجاهد وبؤيده أنه قد يكرر في
 القرآن ترابا وعظاما ويقال للبن الرفات لانه دقاق الزرع (أنما لمبعوثون) حال كوننا مخلوقين
 خلقا جديدا * (تنبيه) * تقرير شبهة هؤلاء الضلال هي أن الانسان جفت أعضاؤه وتناثرت
 وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بسائر اجزاء العالم فالاجزاء المائية
 مختلطة بمياه العالم والاجزاء الترابية مختلطة بالتراب والاجزاء الهوائية مختلطة بالهواء فكيف
 يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها بأعيانها مرة أخرى هذا تقرير
 شبهتهم (أجيب) عنها بأنها لا تتم الا بالقدح في كمال علم الله تعالى وفي كمال قدرته فانه تعالى قادر
 على كل الممكنات فهو قادر على إعادة التأليف والترتيب والحياة والعقل الى تلك الاجزاء
 بأعيانها فمن سلم كمال علم الله تعالى وكمال قدرته زالت عنه هذه الشبهة بالكلمة * ولما كان كانه قيل
 فماذا يقال لهم في الجواب فقال (قل) لهم يا أشرف الخلق لا تكونوا رفاتا بل (كونوا) أصلب من
 التراب (حجارة) أي هي في غاية اليبس (أو حديد) أي زائد على بيس الحجارة لشدة اتصال
 الاجزاء * (تنبيه) * ليس المراد به أمر الزام بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله تعالى عن
 الاعادة وذلك كقول القائل أتطمع في وأنا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب
 منك حق (أو خلقا) غير ذلك (ما يكبر) أي يعظم عظمة كبيرة (في صدوركم) أي مما يكبر عندكم عن
 قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فان الله تعالى قادر على إعادة الحياة اليها وقال ابن عباس
 ومجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت أي
 لو كنتم الموت بعينه لا ميتة لكم ولا بعثتكم وقيل السموات والارض والجبال لانها من أعظم
 المخلوقات (فسيقولون) عبادي في الاسمراء (من يعيدنا) اذا كنا كذلك (قل الذي فطركم)
 أي ابتدأ خلقكم (أول مرة) ولم تكونوا شيئا يعيدكم بالقدرة التي ابتدأكم بها فكم لا تعجز تلك

عن البداءة فهي لا تنجز عن الاعادة (فسيبعضون) أي يحركون (اليك رؤسهم) تعجبوا واستهزاء
كانهم في شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنقض والانقضاض تحريك
بارتفاع وانخفاض (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي البعث والقيامة قال الرازي واعلم
أن هذا السؤال فاسد لانهم حكموا بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي تقدمت
ثم إن الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكناً في نفسه فقولهم متى هو كلام لا يتعلق له بالمعنى
فانه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه فأما أنه متى
يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدليل السمعي فان أخبر الله
تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والا فلا سبيل الى معرفته لانه تعالى بين في القرآن أنه
لا يطلع أحدا من الخلق على وقته المعين فقال تعالى إن الله عنده علم الساعة وقال انما علمها
عند ربى وقال تعالى إن الساعة آتية أكاد أخفيها فلا جرم قال تعالى (قل عسى أن يكون
قريباً) قال المفسرون عسى من الله واجب ومعناه أنه قريب اذ كل آت قريب وأمال متى
وعسى جزء والكسائي امالة محضه وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى
(يوم يدعوكم) بدل من قريباً والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعوكم أي بالنداء الذي
يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال تعالى يوم ينادى المنادى من مكان قريب روى أن اسرافيل
ينادى أي الاجسام البالية والعظام الخربة والاجزاء المنقرقة عودى كما كنتي (فتستحيبون)
أي تحيبون والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الا أن الاستجابة تقتضي
طلب الموافقة فهي أكدم من الاجابة واختلف في معنى قوله تعالى (بجوده) فقال ابن
عباس بأمره وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبمحمدك فيحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقال قتادة بمعرفته وطاعته
وقال أهل المعاني تستحيبون بحمده أي تستحيبون حامدين كما تقول جاء بعضهم أي جاء
غضبان وركب الأمير بسيفه أي وسيفه معه وقال الزنخشري بحمده حال منهم أي حامدين
وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيأبى ويمتنع ستر كبه
وأنت حامداً كرهى أي أنك تحمل عليه وتقسر عليه قسرا حتى أنك تلين لين المستحيب الزاغب
فيه الحامد عليه (وتظنون ان) أي ما (لبئس الا قليلا) أي مع استجابةكم وطول لبسكم
وشدة ماترون من الهول فعندها تنقصرون مدة لبسكم في الدنيا وتحسبون يوماً أو بعض يوم
وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقال الحسن معناه تقرب وقت
البعث فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالاخرة ولم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة البعث في الدنيا
وقيل المراد استقلال مدة لبسهم في برزخ القيامة لانه لما كان عاقبة أمرهم الدخول في النار
استقصروا البعث في برزخ القيامة وقرأنا فاع وابن كثير وعاصم باظهار الناء المثلثة عند الناء
المثلثة والباقون بالادغام ولما ذكر تعالى الحجة القينية في صحة المعاد وهو قوله تعالى قل الذي
فطركم أول مرة قال تعالى (وقل) يا محمد (لعبادى) أي المؤمنين لان لفظ العبادى أكثر

آيات القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول وقال تعالى
 فادخلنى فى عبادى وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله (يقولوا) للكفار الذين كانوا يؤذونهم
 الكلمة (التي هي أحسن) ولا يكافؤهم على سفههم بل يقولون يهديكم الله وكان هذا قبل
 الاذن بالقتال وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو وقيل
 أمر المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن قول لا اله الا الله ثم علل
 بقوله تعالى (ان الشيطان) أى البعيد عن الرحمة المحترق بالعنة (ينزع بينهم) أى يفسد
 ويفرى بعضهم على بعض ويوسوس لهم لتقع بينهم المشارة والمشاقة وأصل النزغ الطعن وهم غير
 معصومين فيوشك أن يأثروا بما لا يناسب الحال ثم علل تعالى هذه العلة بقوله تعالى (ان
 الشيطان كان) أى فى قديم الزمان وأصل الطبع كونا هو مجبول عليه (للانسان عدواً)
 أى بليغ العداوة (مبيناً) أى بين العداوة ثم فسر تعالى التي هي أحسن مما علمهم
 ربهم من النصفة بقوله تعالى (ربكم أعلم بكم) فعلم أن قوله تعالى ان الشيطان الى آخره جملة
 اعتراضية بين المفسر والمفسر وسكن أبو عمر والميم واخفاها عند الباء بخلاف عنه وكذا أعلم
 بن ثم استأنف تعالى (ان يشأ) أى رجسكم (يرجكم) أى يهديكم (أو ان يشأ) تعذيبكم
 (يعذبكم) أى باضلائكم فلا تتحذروا أيها المؤمنون المشركين فتنقطعوا بأنهم
 من أهل النار فتعبروهم بذلك فانه يجزى الى غيظ القلوب فلا فائدة لان الخاتمة بجهولة ولا
 تتجاوزوا فيهم ما أمركم الله به من قول وفعل * ثم رقى الله الخطاب الى أعلى الخلق ورأس أهل
 الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى منه فقال تعالى (وما أرسلناك) أى مع الناس العظيمة
 الغنية عن كل شئ (عليهم وكيلاً) أى حفظاً وكفلاً تقسرها على ما يرضى الله وانما أرسلناك
 على حسب ما أمرنا به بشـيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بداراتهم وقدم أن هذا قبل
 الاذن بالقتال * ولما أمرهم بأن ينسبوا الاعلية بهم اليه تعالى أخبر بما هو أهم من ذلك قاصراً
 الخطاب على أعلم خلقه بقوله تعالى (وربك) أى المحسن اليك بأن جعلك أكمل الخلق (أعلم بن
 فى السموات والارض) فعلمه غير مقصور عليكم بل متعلق بجميع الموجودات والمعدومات
 ومتعلق بجميع ذات الارض والسموات فيعلم تعالى حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المفاسد
 والمصالح ويعلم اختلاف صورهم وأديانهم وأخلاقهم وأحوالهم وجميع ما هم عليه سبحانه
 وتعالى لا تخفى عليه خافية فيفضل بعض الناس على بعض على حسب احاطة علمه وشمول قدرته
 وبعض النبيين على بعض كما قال تعالى (واقدر فضلنا) بما الناس العظيمة (بعض النبيين) دواء
 كانوا رسلاً أم لا (على بعض) بعد أن جعلنا لكل فضلاً لقوى كل منهم واحسانه نخصنا كلاً
 منهم بفضـيلة كوسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء فلا ينكر أحد
 من العرب أو بنى اسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذى صدرنا السورة بتفضيله
 على جميع الخلائق فاذا نفعل ما نشاء بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل وقرأنا فاع بالهمزة
 والباقون بالياء وورث على أصله بعد على الهمزة ويوسط ويقصر (وآتيناه) موسى التوراة

و (داود زبوراً) وعيسى الانجيل فلم يعد أيضاً أن نوثق محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ولم
يعد أن نفضله على جميع الخلق (فان قيل) ما السبب في تخصيص داود عليه السلام بالذكر هنا
(أجيب) بأوجه الاقول انه تعالى ذكره فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وأتينا داود
زبوراً يعني أن داود أوتي ملكاً عظيماً ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من
الكتاب تنبيهاً على أن الفضل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين لا بالمال
الثاني انه تعالى كتب في الزبور أن محمد اخاتم الانبياء وأن أمة محمد خير الامم قال تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم
وأئمة (فان قيل) هلا عرفه كقوله ولقد كتبنا في الزبور (أجيب) بأن التذكير هنا يدل على تعظيم
حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب وكان معنى التذكير أنه كامل في كونه
كتاباً ويجوز أن يكون زبوراً علماً فاذا دخلت عليه آل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور كانت
للمح الاصل كعباس والعباس وفضل والفضل الثالث ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر
وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لابي بعد
موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله عليهم كلامهم بانزال الزبور على داود وروى البخاري
في التفسير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر
بدوابة لتسرج فكان يقرأ قبل أن يفرغ أي القرآن قال البقاعي ومن أعظم المناسبات
لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذي هذام مقامه فيه مريحاً
وكذا ذكر النار مع خلوة التوراة عن ذلك أما البعث فلا ذكر له فيها أصلاً وأما النار فلم يذكر شيئاً
مما يدل عليها الا الجحيم في موضع واحد وأما الزبور فذكر فيه النار والهواية والجحيم في غير
موضع انتهى وقرأ آخرة بضم الزاي والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول قوله تعالى (قل
ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دونه) أي من سواه كالملائكة وعزير والمسيح وقرأ نافع
وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي بضم اللام من قل وكسر هاء عاصم وحجة كل
هذا في حال الوصل وأما الابتداء فالجميع ابتدأ بهمزة مضمومة (فلا يملكون كشف الضر)
أي البؤس الذي من شأنه أن يعرض الجسم كله (عنكم) حتى لا يدعووا شيئاً منه (ولا تحويلاً)
له الى غيركم فقال ابن عباس انه انزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيراً والملائكة والشمس
والقمر والنجوم وقيل ان قوماً عبدوا وانقر من الجن فأسلم النفر من الجن وبقي أولئك القوم
متمسكين بعبادتهم فنزلت فيهم هذه الآية وقيل ان المشركين أصابهم حط شديد حتى أكلوا
الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فنزل قل للمشركين ادعوا الذين
زعمتم أنهم آلهة من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم (أولئك الذين يدعون)
أي يدعوهم الكفار ويألهونهم (يتبعون) أي يطلبون طلباً عظيماً (الي ربهم) أي المحسن
اليهم (الوسيلة) أي المنزلة والدرجة والقرية لاعمالهم الصالحة وابتغاء الوسيلة الى الله
تعالى لا يلبق بالاصنام البتة وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحزة والكسائي بضم

الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم * (تنبيه) * أولئك مبتدأ وخبره يتبعون ويكون
 الموصول نعتاً أو بياناً أو بدلاً والمراد باسم الإشارة الانبياء أو الملائكة الذين عبدوا من دون
 الله والمراد بالواو العباد لهم ويكون العائد على الذين محذوفاً والمعنى أولئك الانبياء الذين
 يدعونهم المشركون لكشف ضررهم يتبعون الى ربهم الوسيلة (أيهم أقرب) أي يتسابقون
 بالاعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون اليه أقرب ولديه أفضل (ويرجون رحمته)
 رغبة فيما عنده (ويتخافون عذابه) فهم كغيرهم موصوفون بالعجز والحاجة فيسعى
 يدعونهم آلهة وقيل معناه أن الكفار يتظنون أنهم أقرب الى الله تعالى فيتوسلون به ثم
 علل خوفهم بأمر عام بقوله تعالى (آن عذاب ربك) أي المحسن اليك برفع انتقام الاستئصال
 منه عن أمتك (كان) أي كوناً لازماً (محذورا) جديراً بأن يحذر لكل أحد من ملك مقرب ونبي
 مرسل فضلا عن غيرهم لما شوهدهم من أهلاكه للقرون الماضية * ولما قال تعالى أن عذاب
 ربك كان محذورا بين بقوله تعالى (وأن) أي وما (من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
 أو معذبوها عذاباً شديداً) أن كل قرية أي أهلها لا بد وأن يرجع حالهم الى أحد
 أمرين إما الأهللاك بالموت والاستئصال وإما العذاب بالقتل وأنواع البلاء وقال مقاتل
 أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب وقال عبد الله بن مسعود إذا ظهر الزنا والربا
 في قرية أذن الله تعالى في هلاكها (كان ذلك) أي الأمر العظيم (في الكتاب) أي اللوح
 المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول أن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما أكتب قال القدر ما كان وما هو كائن
 الى أبد الأبد أخرجه الترمذي * ولما كان كفار قريش قد تكبروا قتراحهم للآيات وكان
 صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على إيمان كل أحد يحب أن الله تعالى يجيبهم الى مقترحهم
 طمعا في إيمانهم فأجاب الله تعالى بقوله (وما منعنا) أي على ما لنا من العظيمة التي لا يعجزها شيء
 ولا يمنعها مانع (أن نرسل بالآيات) أي التي اقترحوها كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في قولهم
 فأتنا بآية كما أرسل الأولون وقال آخرون إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات
 وقال سعيدي بن جبيرانهم قالوا انك تزعم انه كان قبلك أنبياء منهم من سحرت له الريح ومنهم من
 أحيا الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات فكان كأنه لا آيات عندهم سوى ذلك (الآ) علمنا في عالم
 الشهادة بما وقع من (أن كذب بها) أي المقترحات (الأولون) وعلمنا في عالم الغيب أن هؤلاء
 مثل الأولين إن الشيء منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وأنه يقول فيها ما قال في غيرها
 من انه سحر ونحو ذلك والسعيدي لا يحتاج في إيمانه اليها فكم أجبن أمة الى مقترحاتها فإزداد
 ذلك أهل الضلالة منهم الا كفرا فأخذناهم لأن ستمنا جرت أن لا نعجل بعد الاجابة الى المقترحات
 من كذب بها قال ابن عباس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهابا
 وإن ينبت الجبال عنهم ليزرعوا تلك الاراضي فطلب صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى
 فأوحى الله تعالى اليه ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط ان لم يؤمنوا أهلكتهم فقال صلى الله

عليه وسلم لأريد ذلك ففضل الله تعالى برحمته هذه الامة وتشريفها على الامم السالفة بعدم
استئصالها لما يخرج من أصلاب كفرتهم من خلص عباده فهذا السبب ما أجابه الله تعالى
الى مطلوبهم فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم ذكر تعالى من تلك
الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها الما رسل اليهم فأهلكوا ما ذكره تعالى بقوله تعالى
(وَأَتَيْنَا نُوحًا الْوَاقِعَةَ) حالة كونها (مبصرة) أى مضئنة بنف جديرة بأن يستبصر بها من كل
شاهد ما يستدل بها على صدق قول ذلك النبي (فظلوا بها) أى ظلوا أنفسهم بتكذيبها وقال
ابن قتيبة مجدوا بأنهم من الله تعالى فأهلكناهم فكيف يتناها هؤلاء على سبيل الاقتراح
والتحكيم على الله تعالى وخص تعالى هذه الآية بالذكرا لأن آثارا هلاكهم في بلاد العرب قريية
من حدودهم يصرها صادرهم وواردهم ثم قال تعالى (وما نرسل بالآيات) أى المقترحات وغيرها
(الأتخوفا) للرسول اليهم بها فان خافوا ونجوا والاهلكوا بعذاب الاستئصال من كذب
بالآيات المقترحات وبعباب الآخرة من كذب بغيرها كالمعجزات وآيات القرآن فأمر من بعث
اليهم مؤخر الى يوم القيامة (فان قيل) المقصود الاعظم من اظهار الآيات أن يستدل بها
على صدق المدعى فكيف حصل المقصود من اظهارها في التخويف (أجيب) بأنه لما كان
هو الحامل والغالب على التصديق فكأنه هو المقصود والمطلب القوم من النبي صلى الله عليه
وسلم تلك الآيات المقترحات وأجاب الله تعالى بأن اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لخرابة
أو تلك الكفار بالظعن فيه وأن يقولوا له لو كنت رسولا لحقما من عند الله لآيت بهذه المعجزات
التي اقترحناها كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله تعالى قلبه وبين له أنه ينصره
ويؤيده فقال تعالى (و) أذكركم أشرف الخلق (أذ قلنا لك ان ربك) أى المتفضل بالاحسان اليك
بالرفق لامتك (أحاط بالناس) علما وقدره فهم في قبضته وقدرته لا يقدر على الخروج من
مشيئته فلا يقدر على أمر من الامور لا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تتم
باقتراحهم وامنض فيما أمرك به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك كما وعدك بقوله
تعالى والله يعصمك من الناس وقيل ان المراد بالناس أهل مكة بمعنى أنه يغلبهم ويقهرهم روى
أنه لما تراخى الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضى
الله عنه كان يدعو ويقول اللهم انى أسألك عهدك وعهدك ثم خرج وعليه الدرع يحترق الناس
ويقول سيمزج الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول حين ورد بدر والله كأتى
أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان
فتساعت قريش عما أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى على وما نرسل بالآيات
قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أرى بالآية) أى التي شاهدتها ليلة الاسراء (الافقة) أى امتحانا
واختبارا (للناس) لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفروا به كثير من
كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلهذا السبب كانت امتحانا وروى البخارى في التفسير
عن ابن عباس انه قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وتقدم

أثب قول الاكثر منهم سعيدين جبر والحسن وسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج
وما قاله بعضهم من ان الرؤيا تدل على أنها رؤيا منام ضعيف اذا لفرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة
يقال رأيت به معنى رؤية ورؤيا * (فائدة) قال بعض العلماء كانت اسرا أنه صلى الله عليه وسلم
أربعاً وثلاثين مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدل على أن الاسراء ليلة
فرض الصلاة كانت بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش
لما رجع به في النور ولم ير معه أحدا اذا الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيعاش قال ومما
يدل على أن الاسراء كان بجسده ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان
صلى الله عليه وسلم قد وصل الجحيم وأخبر صلى الله عليه وسلم ان شجرة الرقوم تنبت في أصل
الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمها الى الاسراء في ذلك بقوله تعالى (والشجرة الملعونة في
القرآن) لأن فيها امتحانا أيضا بل قال بعض المفسرين هي على التقديم والتأخير والتقدير وما
جعلنا الرؤيا التي أرسناك والشجرة الملعونة في القرآن الا قسمة للناس واختلاف في هذه الشجرة
فالاكثرون قالوا انها شجرة الرقوم المذكورة في قوله تعالى ان شجرة الرقوم طعام الاثيم
فكانت القسمة في ذكر هذه الشجرة من وجهين الاول أن أبا جهل قال زعم صاحبكم ان نار
جهم تخرج من حجارة حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول في النار شجرة والنار تأكل
الشجر فكيف يولد فيها الشجر والثاني قال ابن الزبير ما نعلم الرقوم الا التمر والزبد فتزقوا منه
فأنزل الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة اناجعلناها قسمة للظالمين الايات وما قدرها
الله حق قدره من قال ذلك فان الله تعالى قادر على أن يجعل الشجرة من جنس لا تأكله
النار فهذا وبر السعدى وهو دويبة يبلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار
فيذهب الوسخ وبقيت سالمة لاتعمل فيها النار وترى النعام تلع الجرو وتلع الحديد الحمر باجاء
النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه تعالى جعل في الشجر ناراً فتحرقه قال تعالى الذي جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا (فان قيل) ليس في القرآن لعن هذه الشجرة (أجيب) عن ذلك بوجوه
الاول المراد لعن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما
وصفت بلعن أصحابها على الجواز الثاني ان العرب تقول لكل طعام ضار انه ملعون الثالث ان
اللعن في اللغة الابعاد ولما كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان
الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا الآية وقيل هي الشيطان
وقيل أبو جهل وعن ابن عباس هي الكسوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب * ولما ذكر
سبحانه وتعالى أنه يرسل بالآيات تخويفاً قال هنا أيضاً (وتخوفهم فما يزيدهم) أي الكافرين
والتخويف بالقرآن (الا طعاماً كبيراً) أي تجاوز العذاب في غاية العظم فيستقديرون ان يظهر الله
تعالى لهم المعجزات التي اقترحوها لم يزدوا بها الاتماد في الجهل والعناد فاقتضت الحكمة أن
لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فانهم قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم
يدروا خوفاً بعذاب الآخرة وشجرة الرقوم فما أثر فيهم فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال

ما يقتضون من الآيات * ولما فاز القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعانده وافترحوا
عليه الاقتراحات الباطلة لا من بين الكبر والحسد أما الكبر فلان تكبرهم كان يمنعهم من
الانقياد وأما الحسد فلانهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة فينبى تعالى ان هذا الكبر
والحسد هما اللذان جلا ابليس على الخروج عن الايمان والدخول في الكفر بقوله تعالى (واذ)
أى واذا كراذ (قلنا) بما لنا من العظمة التي لا ينقض مرادها (للملائكة) حين خلقنا أبا آدم
وفضلناه (اسجدوا لآدم) أى امثالا لأمري (فسجدوا لآبليس) أى أبى أن يسجد لكونه
من حقت عليه الحكمة ولم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله تعالى (قال) أى
منكر امتكبراً (أأسجد) أى خضوعاً (لمن خلقت) حال كون أصله (طيناً) فكفر بنسبته لنا
الى الجور متخيلاً انه أفضل من آدم عليه السلام من حيث ان الفروع ترجع الى الاصول
وان النار التي هي أصله أكرم من الطين الذي هو أصل آدم وذهب عنه ان الطين أنفع من النار
وعلى تقدير التنزل فالجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى هو الذى أوجدها من العدم بفضل
بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في سبع سور وهي
البقرة والاعراف والجر وهذه السورة والكهف وطه والصافات والكلام المستقصى فيها
قد تقدم في البقرة ولعل هذه القصة انما كررت تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان في محنة
عظيمة من قومه وأهل زمانه فكأنه تعالى يقول ألا ترى أن أول الانبياء هو آدم عليه السلام ثم
انه كان في محنة شديدة من ابليس وان الكبر والحسد كل منهما بلية عظيمة ومحنة عظيمة للخلق وقرأ
نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا ولم
يدخل ورش وابن كثير بينهما ألفا ولورش أيضاً ابدال الثانية ألفا واذا وقف حزة سهل الثانية
كقراءة ابن كثير وقرأ هشام بالتحقيق في الثانية والتسهيل وادخل ألف بينهما وقرأ الباقر
بتحقيقهما بلا ادخال * ولما أخبر تعالى بتكبره كان كانه قيل ان هذه الواقعة عظيمة واجترأ على
الجناب الاعلى فهل كان منه غير ذلك قيل (قال أرايتك) أى أخبرني وقرأ نافع بتسهيل الهمزة
بعد الراء ولورش وجه ثان وهو أن يدلها ألفا وأسقطها الكسائي والباقر بالتحقيق (هذا
الذى كرمت على) لم كرمته على مع ضعفه وقوتي فكأنه قيل لقد أتى بالغاية في اساءة الادب
فما كان بعد هذا فاقبل قال مقسم الاجل استبعاد أن يجترأ أحد هذه الجرائم على الملك الاعلى
(لئن أخرتني) أى أيها الملك الاعلى تأخير امتدأ (الى يوم القيامة) حيا متكاملاً وجواب القسم
الموطأ باللام (لا تحزنكن) أى بالاعواء (ذريته) أى لاستوائهم عليهم استيلاء من جعل في جنك
الدابة الاسفل خبلاً يعوق دهابه فلا تأتي عليه وقرأ نافع وأبو عمرو ويزيد ياء بعد النون في آخرتي
عند الوصل وحذفها في الوقف وأثبتها ابن كثير وصلوا وقفوا وحذفها الباقر وقفوا وصلوا
اتباع الرسم * ولما علم أنه لا يقدر على الجميع قال (الاقبل) وهم أولياؤك الذين حفظتهم منى كما
قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فان قيل) كيف ظن ابليس هذا الظن الصادق بذرية
آدم (أجيب) بأوجه الاول انه سمع الملائكة يقولون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

فعرف هذه الاحوال الثاني انه وسوس الى آدم ولم يجده عزما فقال الظاهر ان اولاده يكونون
 مثله في ضعف العزم الثالث انه عرف انه مركب من قوة بهيمة شهوية وقوة وهمية شيطانية
 وقوة عقلية ملكية وقوة سبعية غضبية وعرف ان بعض تلك القوى تكون هي المستولية في بعض
 اول الخلق ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومن كان كذلك كان ماذكرا بائس لازما
 له ثم كانه قيل لقد اطال عدو الله الاجترار فقال له ربه بعد ذلك فقل (قال) بمذله (اذهب) أي
 امض لما قصدته وهو طرد وتحلية بينه وبين ما سولت له نفسه وتقدم في الاجترار انه انما يؤخر الى يوم
 الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ في الصور لا أنه يؤخر الى يوم القيامة كما طلب وقرأ أبو عمرو وخلاص
 والكسائي بادغام الباء الموحدة في الفاء وأظهرها الباقون * ولما حكم تعالى بشقاوته وشقاوة
 من اراد طاعته له نسب عنه قوله تعالى (فمن تبعك منهم) أي اولاد آدم عليه السلام (فان
 جهنم) أي الطبقة النارية التي تجهم داخلها (جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء اتباعك تجزون
 ذلك (جزاء موفورا) أي مكمل وافيا بما تستحقون على أعمالكم الخبيثة * ولما طلب ابليس
 اللعين من الله تعالى الامهال الى يوم القيامة لاجل أن يحسبك ذرية آدم ذكر الله تعالى له أشياء
 الاول اذهب أي امض كما مر فاني أمهلتك هذه المدة وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء
 الثاني قوله تعالى (واستقرز) أي استخف (من استطعت منهم) أن تستقرزه وهم الذين سلطناك
 عليهم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله تعالى فهو
 من جنس ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء والهوى واللعب الثالث قوله تعالى (وأجلب) أي
 صبح (عليهم) من الجلبة وهي الصياح (بجحلك ورجلك) واختلقوا في الخيل والرجل على أقوال
 الاول روى أبو الفتح عن ابن عباس انه قال كل راكب أو راجل في معصية الله تعالى وعلى
 هذا الخيلة ورجله كل من شارك في الدعاء الى المعصية الثاني يحتمل أن يكون لابليس جيش من
 الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل الثالث ان المراد منه ضرب المثل كما يقال للرجل
 المجرد في الامر جت بالخيل والرجل قال الرازي وهذا أقرب وقال الزنجشري هو كلام ورد
 مورد التمثيل مثل في تسلطه على من يغويه بغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستقرزه
 من أما كنهم ويقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم
 والخيل تقع على النرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقد تقع على الافراس خاصة
 وقرأ حفص عن عاصم بكسر الجيم وسكنها الباقون جمع راجل كما صاحب وصحب وراكب
 وركب ورجل بالكسر والضم لغتان مثل حدث وحدث وهو مفرد أريد به الجمع الرابع قوله
 تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) أما المشاركة في الاموال فقال مجاهد هو كل ما أصيب
 من حرام أو أنفق في حرام وقال قتادة هو جعلهم الجيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال
 الضحاك هو ما يذبحونه لآلهتهم وقال عكرمة هو تبتكهم آذان الانعام وقيل هو جعلهم من
 أموالهم شيئا لغير الله كقولهم هذا لله وهذا للشر كما تؤولا منافاة بين جميع هذه الاقوال
 وأما المشاركة في الاولاد فقال عطاء عن ابن عباس هو تسمية الاولاد بعبد شمس وعبد العزى

وعبد الحرث وعبد الدار ونحوها وقال الحسن هو أنهم هودوا أولادهم ونصروهم ومجسروهم
وروى عن جعفر بن محمد أن الشيطان يعتقد ذكره على ذكر الرجل فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه
امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ويقال في جميع هذه الأقوال أيضا ما تقدم وروى
أن رجلا قال لابن عباس ان امرأتى استسقطت وفي فرجها شعله نار قال ذلك من وطء الجن
وفي الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يارب أخرجني من الجنة لاجل آدم فسلطني
عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدني قال استقر زمن استطعت منهم
بصوتك قال آدم يارب سلط ابليس علي وعلى ذريتي واني لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك
ولدا الا وكلت به من يحفظونه قال زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بثلاث قال زدني قال
التوبة مفروضة مادام الروح في الجسد فقال زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا الآية وفي
الخبر ان ابليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبنا قرأتني قال الشعر قال نعم كافي قال الوشم
قال ومن رسول قال الكهنة قال فاططعني قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فاشتراني قال كل
مسكر قال وأين مسكني قال الحمامات قال وأين مجلسي قال الاسواق قال وما حبائلي
قال النساء قال وما أذاني قال المزمار الخامس قوله تعالى (وعدهم) أي من المواعيد الباطلة
ما يستخفهم ويغترهم من ذلك وعدهم بأن الجنة ولا نار ومن ذلك شفاعة الآلهة والكرامة على
الله تعالى بالانساب الشريفة وتسويق التوبة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك وقوله
تعالى (وما يعدهم الشيطان) من باب الالتفات وإقامة الظاهر مقام الضمير ولو جرى على سنن
الكلام الاول اقال وما تعدهم بالآمن فوق وقوله تعالى (الاعرورا) فيه أوجه أحدها
أنه نعت مصدر محذوف وهو نفسه مصدر والاصل الاوعدا عرورا الثاني أنه مفعول من أجله
أي ما يعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور الثالث أنه مفعول به على الاتساع أي
ما يعدهم الا الغرور نفسه والغرور تزين الباطل بما يظن أنه حق (فان قيل) كيف ذكر الله
تعالى هذه الاشياء لابليس وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء (أجيب) بأن هذا على طريق
التمهيد كقوله تعالى اعلموا ما شئتم وكقول القائل اعلم ما شئت فسوف ترى وكما يقال اجهد
جهدك فسوف ترى ما ينزل بك * ولما قال الله تعالى له افعل ما تقدر عليه قال تعالى (ان
عبادي) أي الذين أهلهم للاضافة الى مقاموا بحق عبادتي بالثقة قوى والاحسان (ليس لك عليهم
سلطان) أي فلا تقدر ان تعويهم وتحملهم على ذنب لا يتعرفاني وقتهم للتوكل على تكميلتهم
أمر لك (وكفى بربك) أي الموجد لك (وكيلا) أي حافظا لهم منك * ولما ذكر تعالى انه الوكيل
الذي لا كافي غيره أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك بقوله تعالى (ربكم) أي المتصرف فيكم هو
(الذي يرزقي) أي يجري (لكم الفلك) ومنها التي جعلكم فيها مع أيكم نوح عليه الصلاة والسلام
(في البحر لتبتغوا) أي لتطلبوا (من فضله) الربح وأنواع الامتعة التي لا تكون عندكم ثم انه
تعالى علل ذلك بقوله عز وجل (انه) أي فعل سبحانه وتعالى ذلك لانه (كان) أي أزال وأبد (ربكم
رجيما) حيث هبلكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه * (تنبيه) * الخطاب

في قوله ربكم وفي قوله تعالى انه كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرجة منافع الدنيا ومصالحها
 وأما قوله تعالى (وإذا مسكم الضربة) أي الشدة (في البحر) خطاب للكفار بدليل قوله تعالى
 (ضل) أي غاب عن ذكركم وخواطركم (من تدعون) أي تعبدون من الآلهة (الآيات) وحده
 فأخلص له الدعاء علما منكم أنه لا ينجيكم سواه (فلما نجاكم) من الفرق وأوصلكم بالتدرج
 (إلى البر) أعرضتم عن الاختلاص له ورجعتم إلى الأشرار (وكان الإنسان) أي هذا
 النوع (كقورا) أي جود النعم بسبب أنه عند الشدة تمسك بفضلها ورحمته وعند الرخاء
 والراحة يعرض عنه وتمسك بغيره وقوله تعالى (أفأمنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف
 على محذوف تقديره أنجوتهم من البحر فأمنتم بعد خروجكم منه (أن نخسف بكم جانب البر)
 فنفسبكم في أي جانب كان منه لأن قدرتنا على التغيبين في الماء والتراب على السواء فعلى العاقل
 أن يستوى خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب (أو) أمنتم ان (نرسل عليكم) من جهة
 الفوق شيئا من أمرنا (حاصبا) أي نطمر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط قال الله
 تعالى أنا أرسلنا عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح (ثم لا تجدوا لكم) أيها الناس (وكيلا)
 ينجيكم من ذلك ولا من غيره كالم تجدوا في البحر وكيلا غيره (أم أمنتم) أي جاوزت بكم
 الغاوة حدة فلم تجوزوا ذلك (أن نعيدكم فيه) أي البحر الذي يضطركم إلى ذلك فنفسركم عليه
 وإن كرهتم (تارة أخرى) بأسباب تضطركم إلى أن ترجعوا فتركبوه (فنرسل عليكم قاصصا من
 الريح) أي ريحا شديدة لا تمر بشئ إلا قصفته فتكسر فلحكم (فغرقكم) في البحر الذي
 أعدناكم فيه بقدرتنا (بما كفرتم) أي بسبب أشراككم وكفرانكم نعمة الإنقاذ (ثم لا تجدوا
 لكم علينا نبيعا) أي مطا لبا يطل بنا بما فعلنا بكم * (نبيه) * تارة بمعنى مرة وكثرة فهي
 مصدر وتجمع على تير وتارات قال الشاعر

وانسان عيني يحسر الماء تارة * فيبدو وتارات يحمر فيغرق

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم جميع هذه الخمسة
 بنون العظيمة والباقيون ساء الغيبة والقراءة الأولى على سبيل الالتفات من الغائب في قوله
 تعالى ربكم إلى آخره والقراءة الثانية على سنن ما تقدم من الغيبة * ثم إن الله تعالى ذكر نعمة
 أخرى رفيعة جليلة على الإنسان وذكر فيها أربعة أنواع النوع الأول قوله تعالى (ولقد
 كرمنا) أي بعظمنا تكميرا عظيما (بني آدم) وحذف متعلق التكرير فلذا اختلف المفسرون
 فيه فقال ابن عباس كل شيء يأكل بفسه إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده وعن الرشيد أنه أحضر
 طعما معنده فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جلد ابن عباس ولقد كرمنا
 بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه وروى عن ابن
 عباس أنه قال بالعقل وقال النخلة بالنطق والتميز وقيل على سائر الطين بالنقوع وعلى الناحي
 بالحياة وعلى سائر الحيوان بالنطق وقال عطاء بن عبد الله القامة وامتدادها والدواب منكسة
 على وجوهها قال بعضهم وينبغي أن يشترط مع هذا شرط وهو طول القامة مع استكمال القوة

العقلية والحسية والحركية والافلا شجباراً طول قامة من الانسان وقيل الرجال بالحي والنساء بالذوات وقيل بأن صخراتهم سائر الاشياء وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس وقيل بحسن الصورة قال تعالى وصوركم فأحسن صوركم ولما ذكر الله تعالى خلقه الانسان وهى ولقد خلقنا الانسان الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين قال الرازي فان شئت فنامت عضواً واحداً من أعضاء الانسان وهى العين فخلق الحدة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد الاشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق ذلك البياض سواد الشعر ويمكن هذا المثال الواحد أعوذ جالك في هذا الباب انتهى واستدل أيضاً الشرف الانسان بأن الموجود أمان يكون أزلياً وأبدياً وهو الله تعالى وأمان لا يكون لأزلياً ولا أبدياً وهو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أحسن الاقسام وأمان يكون أزلياً ولا يكون أبدياً وهذا امتنع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه وأمان لا يكون أزلياً ولكنه يكون أبدياً وهو الانسان والملك ولا شك أن هذا القسم أشرف من الثانى والثالث وذلك يقتضى كون الانسان أشرف من أكثر المخلوقات النوع الثانى قوله تعالى (وجعلناهم في البر) على الدواب وغيرها (و) في (البحر) على السفن وغيرهما من جلته جلالاً اذا جعلت له ما يركبه أو جعلناهم فيها حتى لم يخسف بهم الارض ولم نغرقهم في الماء النوع الثالث قوله تعالى (ورزقناهم من الطيبات) أى المستلذات من الثمرات والاقوات وذلك لأن الاغذية إما حيوانية وإما نباتية وكلا القسمين فان الانسان انما يتغذى بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية النامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما لا يتحصل الا للانسان النوع الرابع قوله تعالى (وفضلناهم) فى أنفسهم باحسان الشكل وفى صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين (على كثير من خلقنا) أى بعظم مناسا التى خلقناهم بها * وأكده الفعل بالمصدر إشارة الى اعراقهم فى الفضيلة فقال تعالى (تفضيلاً) = (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل وقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهو قول ابن عباس واختيار الزجاج على ما رواه الواحدى فى بسطه وقال الكلبي فضلوا على جميع الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وأشباهم وقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى جميع الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله تعالى وأكثرتهم كاذبون أى كلهم وروى جابر رفعه قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدينار ولنا الآخرة فقال تعالى لا أبجعل من خلقته يبدى وتفتت فيه من روى كمن قلت له كن فكان والاولى كما قاله بعض المفسرين كالبغوى وابن عادى أن يقال عوام الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى

عنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة عنده رواه البغوي ورواه الواحدى في بسطه
(فان قيل) قال تعالى في أول الآية ولقد كرمنا بني آدم وقال في آخرها وفضلناهم فلا بد من
الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار (أجيب) بأنه تعالى فضل الانسان على سائر
الحيوانات بأمر وخلقية طبيعية ذاتية كالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة
المديدة ثم انه سبحانه وتعالى عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والاخلاق
الفاضلة * ولما ذكر تعالى أنواع كرامات الانسان في الدنيا شرح أحوال درجاته في الآخرة
بقوله تعالى (يوم) أى اذكر يوم (ندعو) أى بتلك العظمة (كل أناس) أى منكم (بامامهم)
الامام في اللغة كل من ائتم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالنبي امام أمته والخليفة امام
رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذى يقتدون به في الصلاة وذكر وفى تفسير
الامام هنا أقوالاً أحدها امامهم بينهم روى ذلك مرفوعاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم فينادى يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه
وسلم فقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فمأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى الاتباع يا اتباع
ثمود يا اتباع فرعون يا اتباع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر الثانى أن امامهم
كتابهم الذى أنزل عليهم فينادى في القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الانجيل الثالث
امامهم كتاب أعمالهم قال تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب
اماماً قال الزمخشري ومن بدع التفاسير ان الامام ججع أتم وان الناس يدعون يوم القيامة
بأتماتهم دون آبائهم وان الحكمة فيه رعاية حق عيسى واطهار شرف الحسن والحسين وأن لا
تفصح أولاد الزنا قال وليت شعري أيهما أبدع البدع أصحمة لفظله أم بهاء حكمته قال ابن عادل
وهو معذور لان أمماً لا يجمع على امام هذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب (فإن أوتى)
أى من المدعوى (كتاب) أى كتاب عمله (بيمينه) وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا (فأولئك
يقرون كتابهم) أيها جاورت جبارون فيه من الحسنات (ولا يظلمون) بنقص حسنة مما من ظالم ما
(قتيلاً) أى شيئاً في غاية القلة والحقارة بل يزدادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق
وزكاة الاعمال * (تبيينه) * القليل القشرة التى في شق النواة تسمى بذلك لانه اذا رام الانسان
اخراجها انفتل وهذا مثل يضرب للشئ الحقير التافه ومثله القطمير وهو الغلالة التى في ظهر
النواة والنقير وهى النقرة التى في ظهر النواة وروى مجاهد عن ابن عباس قال القليل هو
الوضح الذى يقتله الانسان بين سبائته وابهامه (فان قيل) لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم
مع أن أهل الشمال يقرؤنه (أجيب) بان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملة
على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فاستولى الخوف على قلوبهم ويثقل اسانهم فيحجزون
عن القراءة الكاملة وأمّا أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم
على أحسن الوجوه ثم لا يقنعون بقراءتهم وحدهم بل يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا
كتابكم جعلنا الله تعالى وجميع أحببنا منهم * ثم قال الله تعالى (ومن كان منهم) (في هذه)

أى الدار (أعشى) أى ضالا يعمل فى الأفعال فعل الاعشى فى أخذ الاعمان لا يهتدى الى أخذ
 ما ينفعه وترك ما يضره ولا يعيزين حسن وقبح (فهو فى الآخرة أعشى) أى أشد عى عما كان عليه
 فى هذه الدار لا ينجح له قصد ولا يهتدى لصواب ولم يقل تعالى أشد عى كما يقال فى الخلق
 اللازمة لحالة واحدة مثل العور والجرة والسواد ونحوها لأن هذا امر ابعى على القلب الذى
 من شأنه التزايد والحدوث فى كل لحظة شيئا بعد شئ (وأضل سبيلا) لأن هذه الدار دار
 الاكساب والترقى فى الاسباب وأما تلك فليس فيها شئ من ذلك وقال عكرمة جاء نقر من أهل
 اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرؤا ما قبلها فقرؤا ربكم الذى يربحى لكم
 الثقل الى قوله تنفضيلا فقال ابن عباس من كان أعشى فى هذه النعم التى قدر رأى وغاب فهو
 فى الآخرة التى لم يعاين ولم ير أعشى وأضل سبيلا وعلى هذا فلاشارة فى قوله هذه الى النعم
 المذكورة فى الآيات المتقدمة وحمل بعضهم العمى الثانى على عمى العين والبصر كما قال تعالى
 ونحشره يوم القيامة أعشى قال رب لم تحشرتنى أعشى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا
 فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غيبا وبكيا وصمما
 وهذا العمى زيادة فى عقوبتهم * ولما تعد تعالى فى الآيات المتقدمة أقسام نفسه على خلقه
 وأتبعها بذكر درجات الخلق فى الآخرة وشرح أحوال السعداء وأردفه بما يجزى عجزه عن تحذير
 السعداء عن الاغترار بوسواس أرباب الضلال والافتخار بكمالاتهم المشتهة على المكر
 والتلبس فقال تعالى (وأن كادوا) أى قاربوا فى هذه الحياة الدنيا العماهم فى أنفسهم
 عن عصمة الله تعالى ولما كانت ان هذه هى الخففة من الثقلية أتى باللام الفارقة بينهما وبين
 النافية بقوله تعالى (ليقتنونا) أى ليخالطونا لخالطة تلك الى جهة قصد هم لكثرة خداعهم
 واختلف فى سبب نزول هذه الآية فروى عطاء عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى وفد
 ثقف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن
 قالوا أن لا نبغى فى الصلاة بفتح الجيم والباء الموحدة المشددة أى لا نتعنى فيها ولا نكبر
 أصنامنا الا بأيدينا وأن لا تمتنعنا من اللات والعزى سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيدىكم فذلك
 لكم وأما الطاعة بمعنى اللات والعزى فأنى غير معكم بها وفى رواية وحرم واديننا كما حرمت
 مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبههم فقالوا
 يا رسول الله انا نحب أن نسمع العرب أنك أعطينا ما لم تعط غيرنا فإن خشيت أن تقول العرب
 أعطينهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكونه
 أن يعطيهم ذلك فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك
 عن الكلام كراهة لما تذكرونه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال سعيد بن جبيرة كان النبي
 صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فتعفه قريش وقالوا لاندعك حتى تلم بألحنا ونعشها
 فحدث صلى الله عليه وسلم نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها الكاره بعد أن يدعونى

حتى استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وروي أن قريشا قالوا له اجعل آية رجعة آية عذاب
وآية عذاب آية رجعة حتى تؤمن بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك (عن الذي أوحينا إليك)
من أمرونا فؤاهاينا ووعدا ووعيدنا (لنقتري) أي لنقول (علينا غيره) أي ما لم نقله (وإذا) أي
لوملت إلى ما دعوك إليه (لأيتخذوك) أي بغاية الرغبة (خبيلا) أي لوالوك وصافوك وأظهروا
للناس أنك موافق لهم على كفرهم وراض بشركهم ومن يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله
تعالى ولكنتك أبصرت رشدا فلزمت أمر الله واستمر واعي عما هم أتمنا ما لفضلنا لك على كل
مخلوق (ولولا أن نبينا) أي على الحق بعصمتنا إليك (لقد كدت) أي قاربت (تركن) أي عمل
(اليهم) أي إلى الأعداء (شيأ) أي ركونا (قليلا) لمحببتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا
عصمتك فنعناك أن تقرب من الركون فضلا من أن تركن اليهم لأن كلمة لولا تنفد انتفاء
الشيء الثبوت غيره تقول لولا زيد لهلك عمر وومعناه أن وجود زيد يمنع من حصول الهلاك لعمر و
فكذلك ههنا قوله تعالى ولولا أن نبينا لك دت تركن اليهم معناه لولا حصول تثبيت الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان تثبيت الله مانعا من حصول قرب الركون وهذا صريح في أنه
عليه الصلاة والسلام ما هم بتأجبتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله
وحفظه (إذا) أي لو قارب الركون الموصوف اليهم (لأذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف)
عذاب (الممات) أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة وكان أصل الكلام عذابا ضعفا
في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما
يضاف موصوفها وقبل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر
والسبب في تضعيف هذا العذاب أن أقسام نعمة الله تعالى في حق الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليهم أكثر ونظيره قوله تعالى
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقبل الضعف من أسماء
العذاب (ثم لا تجد لك) أي وإن كنت أعظم الخلق وأعلامهم مرتبة وهممة (عليها نصبرا) أي
ما نعاينك من عذابنا واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى (وإن) أي وإن هم (كادوا)
أي الأعداء (ليستفزونك) أي ليزعمونك بمعاداتهم (من الأرض ليخرجوك منها) فقال
ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه
منهم فقالوا يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشأم وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن إبراهيم
فلو خرجت إلى الشأم أمنا بك وأتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فإن
كنت رسول الله فالله يمنعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
المدينة وقيل بنى الخليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشأم
فيدخلون في دين الله فنزلت هذه الآية فرجع وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالآية مدنية
والمراد بالأرض أرض المدينة وقال قتادة ومجاهد الأرض أرض مكة والآية مدنية هم
المشركون أن يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره

بالحجرة فخرج بنفسه قال ابن عادل تعالى الرأى وهذا ألبق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وهذا اختيار الزجاج وكثير في التزيل ذكر الأرض والمراد منها مكان مخصوص بقوله تعالى أو ينقوا من الأرض أى من مواضعهم وقوله تعالى حكاية عن أخى يوسف فلن أبرح الأرض يعنى الأرض التى كان قصدها الطلب المرة (فان قيل) قال تعالى وكان من قريته هى أشد قوة من قريته التى أخرجتك يعنى أهل مكة فالمراد أهلها فذكر تعالى أنهم أخرجوه وقال تعالى وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها فكيف الجمع بينهم على القول الثانى (أجيب) بأنهم هم وياخراجه وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله تعالى وحينئذ فلا تناقض (وإذا) أى وإذا أخرجوك (لا يلبثون خلفك) أى بعد إخراجك لو أخرجوك (الآن) زمننا (قبلا) وقد كان كذلك على القول الثانى فانهم أهلكوا يدر بعد هجرته وعلى القول الأول قتل منهم بنى قريظة وأجل بنى النضير بقليل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الخاء وسكون اللام والباقيون بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف قال الشاعر

عفت الديار (أى اندرست) خلافهم (أى خلقهم) فكأنما * بسط الشواطىء بينهن حصيرا الشواطىء النساء الذى يشقق الجريد ليعملن منه الحصر والشطب والشواطىء سعف النخل الأخضر يصف دروس ديار الاحبة بعدهم وإنما غير مكنة وسنة كأنما بسط فيها سعف النخل ولما أخبر بذلك أعلم أنه سنة فى جميع الرسل بقوله تعالى (سنة) أى كسنة أو سنة بك سنة (من قد أرسلنا قبلك) أى فى الأزمان الماضية كلها (من رسلنا) أنا نملك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم والسنة لله وإضافتها إلى الرسل لأنها من أجلهم ويدل عليه قوله تعالى (ولا تجد لسنةنا تحويلا) أى تغييرا * ولما قررتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الألهيات والمعاد والنبوات أردفها بذكر الامم بالطاعة وأشرف الطاعة بعد الايمان الصلاة فلذلك قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أقم الصلاة) بفعل جميع أركانها وأشرفها بحيث تصير كأنها قائمة بنفسها فانها بالعبادة لما فيها من المناجاة والاعراض عن كل غير وفناء عن كل سوى بما أشرف من أنوار الحضرة التى قد اضمحل اليها كل فان وفى ذلك إشارة عظيمة إلى ان الصلاة أعظم ناصر على الاعداء الذين يريدون بمكرهم استقزاز الاولياء ولذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ثم عين له الاوقات بقوله تعالى (أدلولك الشمس) فى هذه اللام قولان أحدهما انه بمعنى بعد أى بعد أدلولك الشمس ومثله قول متمم

فلما تفرقنا كأنى ومالكنا * لطول اجتماع لم يبت ليله معا

والثانى انه على بابها لانها انما تجب بزوال الشمس والدلولك مصدر دلكت الشمس وفيه أقوال أحدها انه الزوال وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر وأكثر التابعين ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل لدلولك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقول أهل اللغة معنى الدلولك فى كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت نصف النهار دلكت والثانى انه

الغروب وهو قول ابن مسعود وتقبله الواحدى فى البسيط عن على رضى الله عنه وبه قال
 ابراهيم النخعي والبخاري والسدي وهو اختيار الفراء وصكما يقال الشمس اذا زالت
 نصف النهار ذلكة يقال لها ايضا اذا غربت ذلكة لانها فى الحالى زائلة قال الازهرى
 والثالث انه من الزوال الى الغروب وقال فى القاموس ذلكت الشمس غربت أو اصغرقت
 أو ماتت أو زالت عن كبد السماء فحينئذ فى هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من
 استعمال المشترك فى معانيه أما فى الظهر والمغرب فواضح لما مر وأما العصر فلا أن أول وقتها
 أول أخذ الشمس فى الاصفرار وأدل دليل على ذلك أنه تعالى غيا الأقامة لوقت العشاء بقوله
 تعالى (الى غسق الليل) أى ظلمته وهو وقت صلاة عشاء الآخرة والغاية أيضا هنا داخله لما ساقى
 وقد أجمعوا على أن المراد من قوله تعالى (وقرآن الفجر) أى صلاة الصبح وهو منصوب قبل على
 الاغراء أى وعليك بقرآن الفجر وروى بأن أسماء الانفعال لاتعمل مضمره وقال الفراء انه منصوب
 بالعطف على الصلاة فى قوله تعالى أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وحينئذ
 تدخل الصلوات الخمس فى هذه الآية قال ابن عادل كرازى وحمل كلام الله تعالى على ما يكون
 أكثر فائدة أولى انتهى وسبقت صلاة الصبح قرآنا لا شتمها عليه وان كانت بقية الصلوات
 أيضا مشتملة عليه لانه يطول فيها فى القراءة ما لا يطول فى غيرها فالقصة صود من قوله تعالى وقرآن
 الفجر الحث على طول القراءة فيها أكثر من غيرها لان التخصيص بالذكر يدل على كونه أكمل
 من غيره * ولما كان القيام عن المنام يشق على من غبا منظرها غير مضمر لان المقام مقام تعظيم
 فقال (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار
 ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار قال الرازى ثم ان
 ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب اناتركنا عبدك يصلى لك وتقول ملائكة النهار ربنا
 اننا انينا عبدك وهم يصلىون فيقول الله تعالى ملائكتنا اشهدوا بانى قد غفرت لهم وقال
 أبوهريرة رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجوع صلاة
 أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر
 ثم يقول أبوهريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وهذا يدل على ان التغليس أولى
 من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الوقت فى ذلك الوقت ظلمة باقية فتتكون
 ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب تريل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر
 الضوء وحضرت ملائكة النهار وأما اذا ابتدأ بهذه الصلاة فى وقت التنوير فهذا لم يبق أحد
 من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فقوله كان مشهودا يدل على ان التغليس أفضل
 وأيضا الانسان اذا شرع فى صلاة الصبح من أول هذا الوقت فكانت الظلمة القوية فى العالم
 فاذا امتدت القراءة فى أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة
 للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالانسان لما قام من منامه فكانه انتقل
 من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة

تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقلب الا الخلق المدبر بالحكمة البالغة فحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فان أكثر الخلق وقعوا في امراض القلوب وهي حب الدنيا والحرم والحسد والتفاخر والتكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرضى اذا كانت مملوءة من المرضى والانبياء كالأطباء الحاذقين والمرضى ربما كان قديقوى مرضه فلا يعود الى الصحة الا بمعجلات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا يتقاد للطبيب ويخالفه في أكثر الامور لان الطبيب اذا كان مشفقاً حاذقاً فانه يسعى في ازالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه وان لم يقدر على ازالته فانه يسعى في تقليده وفي تخفيفه فلما كان مرض الدنيا مستولياً على الخلق ولا علاج له الا بالدعوى الى معرفة الله سبحانه وتعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقل من يقبله وينقاد له لاجرم أن الانبياء اجتهدوا في تقليل هذا المرض فعملوا الخلق على الشروع في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم لانه مما ينفع في ازالة هذا المرض * ثم حدث سبحانه وتعالى على التهجد لافضليته وارشديته بقوله عز من قائل (ومن الليل) أى وعليك أو وقم بعض الليل (فتهجد به) أى واترك الهجود للصلاة يقال هجد وتهجد نام ليلاً وهجد وتهجد سهر فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجد قاله في الصباح والضمير في به لمطلق القرآن والمراد من الآية قيام الليل للصلاة النافلة فلا يحصل التهجد الا بصلاة نفل بعد نوم وكانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في الابتداء بقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلاً ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بما في الصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بقوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب في حقه صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أى زيادة لك مختصة بك وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن على فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل والصحيح أنه نسخ في حقه أيضاً ودليل النسخ رواه مسلم وقد وردت أحاديث كثيرة في قيام الليل منها ما روى عن المغيرة بن شعبه أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقبل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلاً أكون عبداً شكوراً ومنها ما روى عن زيد بن خالد الجهني أنه قال لا رمت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عنته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاثة عشر ركعة فلهذا قيل انه أكثر الوتر وهو أحد قولى الشافعي والمرجح عنده ان أكثره احدى عشرة ركعة لما رواه أبو سلة أنه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة أى وتر يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنام ولا ينام قلبي ومنها ما روى عن أنس ابن مالك قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مضطجاً الا رأينا به ومائناً

أن زاه نأما الأريانه وفي رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيئا
 ويفطر حتى تقول لا يصوم منه شيئا ثم قال تعالى (عسى أن يبعثك ربك) أي المحسن إليك (مقاما
 محمودا) انفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لأن لفظة عسى
 تفيد الاطماع ومن أطمع إنسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله أكرم من أن يطمع أحدنا في
 شيء ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما
 قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذي أشفع فيه لآتقى وقال حذيفة يجمع الناس
 في صعيد واحد فلا تسكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول بيسك وسعديك والشر
 ليس إليك والمهدى من هديت وعبد للبين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك
 تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فقال هذا هو المراد من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك
 مقام محمودا ويدل للأول أحاديث منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وإنى اختبأت دعوى شفاعة لآتقى وهى نائلة منكم إن شاء الله
 تعالى من مات لا يشرب لبأ الله شيئا ومنها ما روى عن جابر أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
 والفضيلة وابعثه مقام محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة * ومنها ما روى عن
 أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهملوا بذلك فيقولون
 لو استشفعنا إلى ربنا فيرجحنا من مكاننا فيأبئون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده
 وأسكنك الجنة وأشهد لك ملائكة وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يرجحنا من
 مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويزكر خطيئته التى أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها
 ولكن اتوا فاحاول نبي بعبه الله إلى أهل الارض فيأتون فوافق قول لست هناكم ويزكر
 خطيئته التى أصاب بسؤال ربه بغير علم ولكن اتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم
 فيقول لست هناكم ويزكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن اتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة
 وكله وقر به نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويزكر خطيئته التى أصاب قلبه النفس
 ولكن اتوا عيسى عبدا لله وكله قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا
 عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتونى فاستأذن على ربى فيؤذن لى فاذا رأيت
 وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى فيقول ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واشفع أشفع
 وسل تعطه قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمني به قال ثم أشفع فيحذفلى حدا
 فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى
 ثم يقول ارفع يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء
 وتحميد يعلمني به قال ثم أشفع فيحذفلى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري
 فى الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقى الا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود وعن
 ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما مقام محمودا يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف

الكعبة ثلثة مئة وستون صنما صنم كل قوم يصيها لهم فجعل يطعن بها يعود في يده ويقول جاء الحق
 وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه وعن ابن عباس كانت لقبايل العرب أصنام يحجون
 اليها ويخرون لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال أي رب الى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
 فأوحى الله تعالى الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فاملوك خذودا سجدا يدفون اليك
 دفيق النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم يعرج حولك بالنسبة * ولما نزلت هذه
 الآية يوم الفتح جاء جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ منصرمك ثم
 ألقها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكب بالخنصرة في عنقه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
 الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خراعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على
 الزم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد ورمى به فسكسه فجعل أهل مكة يتعجبون
 ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد قال الرخصري وشكاية البيت والوحي اليه تخيل وتخييل
 * ولما بين سبحانه وتعالى الالهيات والنبوات والحشر والنمر والبعث واثبات القضاء والقدر
 ثم أتبعه بالامر بالصلاة ونسب على ما فيها من الاسرار وكان القرآن هو الجامع لجميع ذلك أتبعه
 ببيان كونه شفاء ورجه بقوله تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورجة للمؤمنين) أي ما هو
 شفاء في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمريض * (تنبيه) * من هذه ثلاثة
 أوجه أحدها انه لبيان الجنس قاله الرخصري والبيضاوي وابن عطية وأبو البقاء ورد عليهم
 أبو حيان بأن المتى للبيان لابد أن تتقدمها ما تبينه لأن تتقدم عليه وهنا قد وجد تقدمها عليه
 الثاني أنه اللابعض وأنكره الخوفي لانه يلزم أن لا يكون بعضه شفاء وأجلب أبو البقاء بأن منه
 ما يشفي من المرض وهذا قد وجد بدليل رقية بعض الصحابة سيد الحمى الذي لدغ بالفاتحة
 فشفى من المرض فيكون التبعض بالنسبة للأمراض الجسمانية والافهوكه شفاء للابدان
 وللقلوب من الاعتقادات وغيرها الثالث أنها الابتداء الغالية وهو كما قال ابن عادل واضح (و) من
 العجيب ان هذا الشفاء (لا يزيد الظالمين) وهم الذين يرضعون الشئ في غير موضعه باعراضهم
 عما يجب قبوله (الا خسارا) أي نقصا بالانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم أعرضوا عنه فكان
 اعراضهم ذلك زيادة في كفرهم كما ان قبول المؤمنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم
 وفي الدارمي عن قتادة قال ما جالس أحد القرآن فقام عنه الا بزيادة أو نقصان ثم قرأ هذه الآية
 ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء الكافرين الجاهلين الضالين في أودية الضلال
 ومقامات الخزي والتمكال وهو حب الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم أن ذلك انما يحصل
 بسبب جدتهم واجتهادهم فقال تعالى (واذا أنعمنا) أي بالناهن العظيمة (على الانسان) أي
 هذا النوع هؤلاء وغيرهم وقال ابن عباس ابن الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة قال الرازي
 وهذا بعيد بل المراد أي نوع الانسان اذا أنعمنا عليه (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا
 اذ شأن نوع الانسان أنه اذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر و صار غافلا عن عبودية الله
 مقتردا عن طاعة الله كما قال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (ونأى) عن ذكر الله

(بجانبه) أى لوى عطفه وبعد نفسه كأنه مستغنى بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكثار لانه من عادة المستكبرين ومعنى النأى فى اللغة البعد والاعراض عن الشيء أن يولى عرض وجهه وقرأ ابن ذكوان بألف مدودة بعد النون وتأخير الهمزة مثل جاء وفى هذه القراءة تخرجهما من أحدهما من نأى أى نهض والثانى انه مقلوب من نأى فيكونان بمعنى قال ابن عادل ولكن متى أمكن عدم القلب فهو أولى وقرأ الباقر بالهمزة بعد النون وألف بعدهمزة وأمال الالف بعد الهمزة السوسى وشعبة وخلاصة بخلاف عن السوسى وأمالها ورش بين بين وأمال الهمزة والنون محضة خلف والكسائى وفتح الباقر (وإذا مسه الشر) أى هذا النوع وان قل (كان يؤسا) أى شديد اليأس عما عهده من رحمة ربه والحاصل أنه ان فاز بالنعمة والدولة اعترىها ونسى ذكر الله وان بقي فى الحرمان عن الدنيا استولى عليه الأسف والحزن ولم يتفرغ اذ كر الله فهذا المسكين محروم أبدا عن ذكر الله تعالى ونظيره قوله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمى وأما اذا ما ابتلاه فقد رعبه رزقه فيقول ربى أهاننى وكذلك ان الانسان خلق خلوا عا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا من حفظه الله وشرقه بالاضافة اليه فليس للشيطان عليه سلطان ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل كل) من الشاكر والكافر (يعمل على شاكته) أى طريقتة التى تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خيرا وشر (قر بكم) أى فتسبب عن ذلك ان الذى خلقكم وصوركم (أعلم) من كل أحد (عن هو) منكم (أهدى سبيلا) أى أوضح طريقا واتباع الحق فيشكرو بصيرا احتسابا فيعطيه الثواب ومن هو منكم أضل سبيلا فيجعل له العقاب لانه يعلم ما طبعهم عليه فى أصل الخلقة وغيره تعالى انما يعلم أمور الناس فى طرائقهم بالتجربة وقد روى الامام أحمد لكن بسند منقطع عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم يحيل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن طبعه فلا تصدقوا فانه يصير الى ما جبل عليه واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ويستأثرونك) أى تغشوا وتحفوا (عن الروح) فعن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوكل على عسيب معه فتر بنقر من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيب بشئ تكرهونه فقال بعضهم لنسألن فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه فقممت فلما انجلى عنه قال ويستأثرونك عن الروح (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا فقالوا ان محمد انشأنا بالصدق والامانة وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابغثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجيب عن شئ منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين فهو نبي فساءلوه عن قبة ففقدوا فى الزمن الاول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض

ومغربها وعن الروح فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتكم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنى عشر ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعندها محمد غدا وقد أصبغنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في القصة أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويستأثرونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويستأثرونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وقول الرازي ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه وذكر من جملة ذلك كيف يليق به أن يقول إني لأعرف هذه المسئلة مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة مع جهور الخلق غير لائق لأن ذلك علامة على نبوته قال الزنجشري فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم انتهت واختلفو في الروح الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام وهو قول الحسن وقتادة وروى عن علي أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلماتها وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبريل يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيمن بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على عین العرش وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى عند الحجب السبعين وأقرب إلى الله تعالى وهو من يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة ستر من نور لا حترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله تعالى وكلمته ومعناه أنه ليس كما تقوله اليهود ولا كما تقوله النصارى وقال بعضهم هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الانسان قال البغوي وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتماع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج ذهب الكل قال البغوي وأولى الاقوال أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلًا بدليل قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا أي في جنب علم الله تعالى * (تنبيه) * اختلف في الخطاب بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اليهود فانهم يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكبير وقيل عام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن محتصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا

كثيرا وساعة تقول هذا فترت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده الآية قال
 الرمنخري وليس ما قالوا بالازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة
 مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسه الا
 أنه اذا أضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ولكن
 لم يخبره لان ترك أخباره كان علما للنبوة قال البغوي والاول أصح أن الله استأثر بعلومه انتهى
 وعن أبي يزيد لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقال الرازي قوله تعالى قل
 الروح من أمر ربي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة
 فقال بل هي حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده ثم احتج على احداث الروح بقوله
 وما أوتيتم من العلم الا قليلا بمعنى أن الروح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف
 ثم تحصل المعارف والعلوم فهي لا تزال تكون في التغير من حال الى حال وفي التبديل من نقصان
 الى كمال والتغير والتبديل من امارات الحدوث فقوله قل الروح من أمر ربي يدل على أنهم سألوه
 أن الروح هل هي حادثة أو قديمة فأجاب بأنهم احداثه واقعة بتخليق الله تعالى وتكوينه وهو المراد
 من قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال
 وهو المراد بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا فهذا ما نقوله في هذا الباب انتهى وهو نص لطيف
 * ولما بين سبحانه وتعالى أنهم ما آتاهم من العلم الا قليلا بين أنه لو شاء أن يأخذ منهم ذلك القليل
 أيضا لقدر عليه بقوله تعالى (ولكن شئنا) أي ومشيئتنا لا يتعاظمها شيء واللام موطئة للقسم
 وأجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال (لنذهب) أي بالناس من العظمة ذهابا
 محققا (بالذي أوحينا اليك) بأن نمحو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب وهذا وان كان
 أمرا مخافا للعادة الا أنه تعالى قادر عليه (ثم) أي بعد الذهاب به (لا يتجدد لك به علينا وكبرا)
 أي لا يتجدد من تتوكل عليه في رد شيء منه واعادته مسطورا محفوظا وقوله تعالى (الارجعة من
 ربك) استثناء متصل لانه مندرج في قوله ولا يتجدد والمعنى الا أن يرجع ربك فبرده عليك
 أو منقطع فنقدر لك عند البصريين أو بل رجعة من ربك عند الكوفيين والمعنى ولكن رجعة
 من ربك أو بل رجعة من ربك بتركه غير مذحوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
 قال الرازي وهذا تنبيه على أن الله تعالى على جميع العلماء نوعين من المنية أحدهما تسهيل
 ذلك العلم عليهم والثاني ابقاء حفظه عليهم فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين النعمتين
 وعن القيام بشكرهما وهما منة من الله تعالى عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في
 بقاء المحفوظ (فان قيل) كيف يذهب القرآن وهو كلام الله تعالى (أجيب) بأن المراد محو ما
 في المصاحف واذهاب ما في الصدور قال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فانه
 لا تقوم الساعة حتى يرفع قبل هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الناس قال بسري عليه
 السلام لا يرفع ما في صدورهم فيصيحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يقبضون
 في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل

له دوى تحت العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يا رب أتلى ولا يعمل بي وفي رواية
 لابن مسعود أقول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلن قوم ولادين
 لهم وإن هذا القرآن يصحون يوم ما وفانكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا
 وأثبتناه في مصاحفنا وتعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا وهم فقال يسرى عليه ليل فيصبح الناس منه
 فقرأه رفع المصاحف وينزع ما في القلوب وقوله تعالى (إن فضله سنان) أى ولم يزل (عليك
 كبيرا) فيه قولان أحدهما المراد منه أن فضله كان عليك كبيرا بسبب إبقاء العلم والقرآن
 عليك ثانيهما أن المراد أن فضله كان عليك كبيرا بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين
 وأعطاك المقام المحمود وقد أنعم عليك أيضا بإبقاء العلم والقرآن عليك ونزل حين قال الكفار
 لنبي صلى الله عليه وسلم لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن (قل) أى لهؤلاء البعداء (لئن اجتمعت
 الاناس) الذين تعرفونهم وتعرفون ما أو توأمن البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم (والجن)
 الذين يأتون كهانهم ويعلمونهم ببعض الغيبات عنهم وغيرهم وترك الملائكة لأنهم لا عهد لهم
 بشئ من التضيدي ولا نهم كانوا سايط (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) في البلاغة وحسن
 النظم وكال المعنى (لا يأتون بمثل) أى لا يقدر على ذلك فالقرآن معجز في النظم والتأليف
 والخبار عن الغيوب وهو كلام فى أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان مخلوقا لأتوا
 بمثل * (تنبيه) * في قوله تعالى لا يأتون بمثل قولان أظهرهما أنه جواب للقسم الموطأ له باللام
 والثاني أنه جواب للشرط واعتدوا عن رفعه بأن الشرط ماض فهو كقوله

* وان أتاه خليل (أى فقير) يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

لأن الشرط وقع ماضيا وناقشه أبو حيان بأن هذا ليس مذهب سيبويه ولا الكوفيين والمبرد
 لأن مذهب سيبويه في مثله أن النية به التقديم ومذهب الكوفيين والمبرد أنه على حذف الفاء
 وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) أى معنا بعضهم أقوى
 مانبه الى أقوى ما فى صاحبه * (تنبيه) * قد تقدم في سورة البقرة أن الله تعالى قال فأتوا
 بسورة من مثله وقد سما الكلام على ذلك وفي وجه كون القرآن معجزا قولان أحدهما أنه
 معجز في نفسه والثاني أنه ليس في نفسه معجزا إلا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان
 بمعارضته وكانت الدواعى متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون
 نقضا للعادة فيكون معجزا و القول الاول أظهر (ولقد صرفنا) أى بينا بوجه مختلفة زيادة في
 التقرير والبيان (للناس في هذا القرآن من كل مثل) أى من كل معنى هو كالمثل في غرابته
 ووقوعه متوقعا فى الانفس وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعيد والوعيد
 والقصص وغيرها وقيل صفة لمجدوف أى مثلا من جنس كل مثل ليعطوا (قائى أكثر
 الناس) وهم من هم في صورة الناس ككفار قرينس وقد سلبوا معانيهم (الأكفورا) أى بحودا
 (فان قيل) كيف جاز فإبى أكثر الناس الأكفورا ولم يحز ضربت الأزيدا (أجيب) بأن أبى
 متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا الأكفورا * ولما بين بالدليل اعجاز القرآن على وفق دعوى محمد

صلى الله عليه وسلم ولزمهم اخوة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المنجوج
 المتعثر في أذيال الخيرة وذكر وامن ثلثة أنواع من المعجزات أولها (وقالوا) أى كفار قرش
 ومن والاهم (لن تؤمن لنا حتى تغير) أى تغير اعظيا (السن الأرض بنوعا) أى عينا
 غزيرة الماء من شأنه ان تتبع الماء ولا ينضب مؤثرا وقرا أعاصم وجزرة والكماني بفتح التاء
 وسكون الفاء وضم الجيم محققة والباقون بضم التاء وفتح الياء وكسر الجيم المشددة ثانيها قولهم
 (أو تكونن) أنت وحدك (جنة من نخيل وعنب) أى وأثمار عنب عبر عنه بالثمرة لأن
 الاستفهام منه بغيرها قليل (تغير الانهار) الجارية (خلالها) أى وسطها (تغيرا) أى
 تشققا والفجر شق الظلام عن عود الصبح والتغير شق جلاب الحياء بما يخرج الى الفساد
 ثالثها قولهم (أو تسقط السماء) أى نفسا (كأزعت) فيما توعدنا به (علينا كسفا) أى قطعنا
 جمع كسفة وحى القطعة وقرا أنافع وابن عامر وعاصم بنصب السين مثل قطعة وقطع وسدرة
 وسدرو والباقون يسكونهم مثل دنة ودمن وسدرة وسدرو هو نصب على الحال في القراءتين جميعا
 لأنه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة رابعها قولهم (أو تأتي) معك (بالله) أى الملك الاعظم
 (والملائكة قبلا) أى عيانا ومقابله تنظر اليه لا يخفى علينا شئ منه وقال الضحاك هو جمع
 قبيلة أى أصناف الملائكة قبيلة قبيلة قال ابن داني كفي أى يكفلون بما تقول خاسيا
 قولهم (أو يكون لك) أى خاصبك (بيت من زخرف) أى ذهب كل الحزن والزينة بآدمها
 قولهم (أو ترقى) أى تصعد (في السماء) درجة درجة ونحن ننظر اليك صاعدا (ولن تؤمن)
 أى نصدق مذعنين (رقيق) أى أصلا (حتى تنزل) وحققوا معنى كونه من السماء بقولهم
 (علينا كفا) ومعنى كونه في رق أو نحوه بقولهم (نقرؤه) يأمر نافية بآباءك روى عكرمة عن
 ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وابطال الجعري بن هشام وعبد الله بن أمية وأمية بن خلف
 والزبدي بن المغيرة وأباجيل بن هشام والغاصي بن وائل وبنينا ونا من بني الحجاج اجتمعوا بعد
 غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكموه وراحهموه حتى
 تعذروا فيه فبعثوا اليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك يكلمونك فجاءهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم سرعيا وهو يظن أنهم يداليهم في أمر مبداه وكان عليهم خروصا يجب رشدهم حتى جلس
 اليهم فقالوا يا محمد انابعنا اليك لتعذر فيك وانا والله لا نعلم أن رجلا من العرب أدخل على قومه
 ما أدخلت على قومك لقد شئت الانباء وعينت الذين وسفيت الاحلام وشئت الآية وفرقت
 الجماعة فما بيني أمر قبيح الا وقد جئت فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث فطلب
 ما لا جعلنا لك من أمر الناحي فكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك علينا وان
 صكمت تريد ملكا ملكنا وان كان هذا الذي بك ربنا تراه قد غلب عليك لا نستطيع
 رده بذنا أو النافي طلب الطب لك حتى تبرئك منه أو تعذر فيك وكذا يسمون التابع من الحق
 الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بيني مما تقولون ما جئكم بما جئكم به لطلب
 أموالكم ولا للشرع عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا

وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونفخت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه الى أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا وأشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت ويسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صديقا فانسأهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به وان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله قالوا فان لم تفعل فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك به عما نزلنا فانقوم بالاسواق وتلتس المعاش كما تلتسه فقال صلى الله عليه وسلم ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأنسقط السماء كما زعمت أن ربك ان شاء ففعل فقال ذلك الى الله ان شاء ففعل ذلك بكم فقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أمية وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب وقال له عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم ثم سألوك أن تجعل ما تجتوئهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لأؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتني بنسختة منسورة معك وتقر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لأصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله خزايا لما رأى من مباعدهم فأنزل الله هذه الآية وفيها اشارة الى أنه ليس من شرط كونه نبيا صادقا ان ياتر المعجزات الكثيرة وتو اليها اذ لو فتح هذا الباب لزم أن لا ينتهي الامر فيه الى مقطع وكلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمعجزا اقترحوا عليه بمعجزا آخر ولا ينتهي الامر فيه الى حد ينقطع عنه عند المعاندين وتعت الجاهلين مع أنه صلى الله عليه وسلم أعطى من الآيات والمعجزات ما أغنى عن هذا كله مثل القرآن واشفاق القصر وتغيير العيون من بين الاصابع وما أشبه ذلك * ولما تم تعنتهم وكان لسان الحال طالبا من الله تعالى الجواب عنه أمر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء البعداء والاشقياء (سبحان ربي) أي تعجبوا من اقتراحاتهم وتنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر بصيغة الماضي والباقون قل بصيغة الآخر (هل كنت الا بشرا) لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر (رسولا) كما كان من قبلي من الرسل وكانوا لا يؤثرون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على أيديهم بما يلائم حال قومهم ولم يكن أمرا الايات اليهم ولا الههم أن يتحكموا على الله حتى يتغيروها هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيلي فقد ذكر في آيات أخر قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لوفى قصتنا عليهم بابا ونحو ذلك * ولما أمر بما تضمن أنه كاخوانه من الرسل في كونه بشرا أتبعه قوله عطف على فأي أو قالوا (وما منع الناس) أي قرىش من قال بقولهم لما لهم من الاضطراب (أن يؤمنوا) أي لم يبق لهم مانع من الايمان والجملة مفعول

منع (آذباهم الهدى) أى الدليل القاطع على الايمان وهو القرآن وغيره من الادلة وقرأ
 أبو عمرو وهشام بادغام ذال اذ عند الجيم والباقون بالانظهار وأمال الالف بعد الجيم حمزة وابن
 ذكوان محضة وأذا وقف حمزة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصر (الآن قالوا) فاعل
 منع أن قالوا أى منكرين عليه غاية الانكار مستعجبين متهمين (أبعث الله بشرا رسولا) لأن
 الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر ولو بعث الله تعالى رسولا الى الخلق لوجب أن
 يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله (قل) أى لهؤلاء المطرودين عن الرحمة
 (لو كان في الارض ملائكة يمشون) عليها كالأدميين (مطمئنين) أى مستوطنين فيها
 كالنمل (لنزلنا عليهم) مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه السلام على الانبياء من البشر
 وحقق الامر بقوله تعالى (من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم - المراسلة لتكتمهم
 من التلقى منه لما كتبتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن رسول كل جنس ينبغي
 أن يكون منهم اذ الشئ عن شكله أفهم وبه آنس واليه أحق وله آلف الامن فضل الله تعالى
 بتغاب روحه على نفسه وتغلب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقى من الملك كالمسلمين
 ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل (قل كفى بالله) أى المحييط بكل شئ قدرة وعلى
 وأمال الالف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللطيفين والباقون بالفتح (شهيد ابني
 وينسكهم) على أى رسوله اليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواهم وانى بلغت ما أرسلت به اليكم
 وانكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك قول القائل بأن الرسول يجب
 أن يكون ملكا لا انسانا تحكمهم فاسد لا يلتفت اليه * (تنبيه) * شهيد انصب على الحال
 أو التمييز ثم انه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى (انه كان بعباده خيرا بصيرا)
 يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا ينكرون هذا الانحسار الحسد وحجب الرياسة
 والاستكفاف من الانقياد للحق * ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدى والصال عطف عليه قوله
 تعالى (ومن هم - د الله) بأن يخلق الهداية في قلبه (فهو والمهتدى) لا يمكن أحد غيره أن يضل
 * (تنبيه) * أثبت نافع وأبو عمرو والياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها الباقون
 وقفا ووصلا (ومن يضل فلن ينجدهم) أى الضالين (أولياء) يهدونهم (من دونه) ولا يتفقونهم
 بشئ أراد الله تعالى غيره * ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحد ما كان يعمل به على
 ذلك بقوله تعالى (ونحشرهم) بنون العظمة أى نجتمعهم بكرة (يوم القيامة) الذى هو خط
 الحكمة (على وجوههم) مسحوبين عليها اهانة لهم فيها كالم يذلوها بالسجود لنا قال تعالى
 يوم يسحبون في النار على وجوههم أى يمشون عليها روى أبو هريرة قيسل يا رسول الله كيف
 يمشون على وجوههم قال ان الذي يمشيهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم قال
 حكاء الاسلام ان الكفار أرواحهم شديدة التعاق بالدينا ولذا تم وليس لها تعاق بعالم الانوار
 وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة الى الدنيا لا بجرم كن
 حشرهم على وجوههم وأما قوله تعالى (عيا وبكيا وصما) فقد استشكله شخص على ابن عباس

فقال أليس قد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال تعالى سمعوا لها نغيظا وزفيرا وقال
تعالى دعوا هؤلاء ثبورا وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال تعالى حكاية
عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون
فكيف قال تعالى هذا عما يوحي إليهم سراهم من غيرهم صما أجاب ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه الأول قال ابن
عباس عما لا يرون شيئا يسرهم صما لا يسمعون شيئا يسرهم بكلا ينطقون بحجة الثاني قال في
رواية عطاء عما عن النظر أي عما جعله الله تعالى لأولياته وبكما عن مخاطبة الله تعالى ومخاطبة
الملائكة المقربين صما عن سماء الله تعالى عليهم الثالث قال مقاتل انه حين يقال لهم اخسروا
فيها ولا تكلمون يصبرون عما يكسبهم أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون الرابع
أنهم يكونون رائيين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا أن يبالغوا كتبهم ولأن
يسمعوا الا لزام حجة الله تعالى عليهم إلا أنهم اذا أخذوا يذهبون من الموقف الى النار جعلهم
الله تعالى عما يكسبهم قال الرازي والجواب الأول أولى لأن الآيات السابقة تدل على أنهم
في النار يصبرون ويسمعون ويصيحون ثم بين تعالى مكانهم بقوله عز وجل (وأوأهم جهنم)
تسعر عليهم (كما خبئت) أي أخذ لهم في السكون عندأكلها لحومهم وجلودهم (زدناهم
سعيرا) وقد ابا إعادة الجلود واللحوم ملتبة مسخرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الاثناء
جراهم الله تعالى بأن لا يزالوا على الاعادة والافناء وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر
بإظهار التانيث عند الزاي وأدغمها الباقيون ثم بين علة تعذيبهم لرجوع منهم من قضى
بسعاده بقوله تعالى (ذلك) أي العذاب العظيم (جراؤهم بأنهم) أي أهل الضلالة (كفروا
بآياتنا) القرآنية وغيرها وكانوا كل يوم يزدادون كفرا وهم عازون على الدوام على ذلك
ما بقوا (وقالوا) انكارا لقد رتنا (أنذا كنا عظما ورافنا) بمنزلة في الارض ثم كرروا الانكار
كأنهم على ثقة من أمرهم هذا الذي بطلانه أوضح من الشمس بقولهم (أنا سألهم عوثن
خلقا جديدا) فنحن نريهم جرا على هذا الانكار المكثرا ونخلق الجديد في جلودهم ولحومهم
مكررا كل لحظة قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها لم تذوقوا العذاب ثم أتبعه
بقاطع في بيان جهلهم بقوله تعالى (أو لم يروا) أي يعلموا بعيون بصائرهم على ما هو كالرؤية بعيون
أبصارهم لما قام عليه من الدلائل بحدته من الشواهد الجلائل (أن الله الذي خلق السموات)
جمعها المبادل على ذلك من الحسن ولما لم تكن الارض مثل ذلك أفرد هاءمريد الجنس الصالح
للجميع بقوله تعالى (والارض) على كبر أجرامها وعظم احكامها وقوله تعالى (قادر على أن
يخلق مثلهم) فيه قولان الأول المعنى قادر على أن يخلقهم ثانيا فعبّر عن خلقهم ثانيا بالفظه المثل
كما يقوله المتكلمون ان الاعادة مثل الابتداء الثاني أن المراد قادر على أن يخلق عبدا آخرين
يوجدونه ويقررون بكل حكمته وقدرته ويتروكون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا
فهو كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقوله تعالى ويستبدل قوم غيركم قال الواحدي والقول
هو الأول لانه أشبه بما قبله * ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور ان البعث والقسام أمر ممكن

الوجود في نفسه أرذفه بيان أن لوقوعه في الوجود وقنما معلوما عند الله وهو قوله تعالى
 (وجعل لهم أجلا لا ريب) أي لا شك (فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا)
 أي بعده هذه الدلائل الظاهرة أبوا إلا الكفر والجحود * ولما قال الكفار إن توأمنا لك حتى
 تفجر لنا من الأرض ينبوعا فطلبوا إجراء الانهار والعيون في بلدتهم أكثر أموالهم ويتسع
 عيشهم بين تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رجة الله لبقوا على بخلهم وشحهم بقوله تعالى (قل) أي
 لهؤلاء المتعنتين (لو أنتم) أي دون غيركم (تملكون خزائن) عبر بصيغة منتهى الجموع لأن المقام
 جدير بالمبالغة (رحمة ربي) أي خزائن رزقه وسائر نعمه وذلك غير متناه (إذا لامسكم) أي
 لوقع منكم الامساك عن الاتفاق في بعض الوجوه التي تحتاجونها (خشية) أي مخافة عاقبة
 (الاتفاق) أي المواصل إلى الفقر فكان المعنى انكم لو ملكتم من الخير والنعم خزائن لانها يابؤها
 لم يقيم على الشح والدناءة وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وقول البضاوي تبعا
 للزحخشري أنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده قال الزحخشري تقديره لو تملكون جرى فيه على
 مذهب الكوفيين من أن لو يليها الفعل مضرا كما يليها ظاهر والبصريون ينعون ايلاء لها
 مضرا الا في شذوذ كقول حاتم لوزات سوار لطمتمني وأصل هذا المثل أن امرأة غطلا من الحلي
 والهشة لطمت حاتم على نحر الناقة وقالت له بقسوة انما أردناك بقصدها والقصده عندهم
 أن يقطع عرق من عروق ثم يجمع دمه فاشوى وقبل أصله أن المرأة المذكورة لطمت رجلا
 فقال لوزات سوار لطمتمني لاحتملتم افسارمه لا يضرب لكريم بطمه الذي ثم استدل على صحة
 هذا المفروض بالشاهد من مضمون قولهم (وكان) أي جبلة وطبعها (الانسان) أي الذي من
 شأنه الانس نفسه فهو لذلك لا يعقل الامور حتى عقلها (قتورا) أي بخيلا * (تنبه) * ففتح الياء
 في ربي نافع وأبو عمرو وسكنها الباقون وهم على مراتبهم في المذ (فان قيل) قد يوجد في جنس
 الانسان من هو جواد كريم (أجيب) من وجوه الأقل ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق
 محتاجا والمحتاج لابد وأن يحبس ما به يدفع الحاجة وأن يحسكه لنفسه الا أنه قد يجوده لاسباب
 من خارج فثبت أن الاصل في الانسان البخل الثاني أن الانسان انما يبذل لطلب الشاء والجد
 ويخرج عن عهده الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا يأخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل
 الثالث أن المراد بهذا الانسان المعهود السابق وهم الذين قالوا ان توأمنا لك حتى تفجر لنا من
 الارض ينبوعا * ولما قدم سبحانه وتعالى أن أكثر الناس جحدوا والآيات لكونه تعالى حكيم
 بضالاهم ومن حكم بضالاه لا يمكن هداه شرع يسلي فيه محمد صلى الله عليه وسلم بما أنفق لمن
 قبله من الانبياء بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واجبات واختلف في هذه
 الآيات فقال ابن عباس والفحالة هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فخلها
 وفتق الجرو الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال مجاهد وعطاء هي الطوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثراث وقال البقاعي
 وهي كافي التوراة العصا ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهائم ثم البرد البكار التي انزلها

الله تعالى مع النار المضطربة فكانت تلك كل ما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد
 ثم القملة ثم موت الابلكار من الآدميين وجميع الحيوان ثم قال وقد نظمها اليهون حفظها فقلت
 عصا قبل موت البهائم ظلمة * جراد دم ثم الضفادع والبرد
 وموت بكور الآدمي وغيره * من الحى آناه الذى عزوان فرد
 قال وكأنه عدل مع العصا آية ولم تقرد أيلد لانه ليس فيها ضرر عليهم اه وقال اليساوى هي
 العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر وتوق
 الطور على بنى اسرائيل وذكر محمد بن كعب القرظى الطمس والجر بدل المستنين ونقص
 من الثمرات وقال كان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صار اجريين والمرأة منهم قائمة تجيز
 وقد صارت حجرا وقال بعضهم هي آيات الكتاب وهي أحكام يدل عليها ما روى عن صفوان
 ان يهوديا قال لصاحبه تعالى نسأل هذا النبي فقال لا تخولنا نقل نبي فانه لو جمع صارت له
 أربعة أعين فأباه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تنسركوا
 بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ولا تزنا ولا تأكلوا الربا ولا تسبحوا ولا تشعروا
 بالبرى الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقتدوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة
 اليهود أن لا تعبدوا في السبت فقبلوا يده وقالوا نشهد انك نبي قال فما منعكم أن تتبعوني قالوا
 ان داود دعاه به أن لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك أن تقتلنا اليهود وقال الرازي
 علم أنه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام أحدها أنه تعالى أزال
 العقدة من لسانه قيل في التفسير ذهب أعجم وجاء فصيحاً ثانياً بالانقلاب العاصمية ثالثاً بالهاتلقف
 الحية جبالهم وعصيمهم مع كثرتها رابعها اليد البيضاء وخمسة أخرى وهي الطوفان والجراد
 والقمل والضفادع والدم والعاشر شق البحر وهو قوله تعالى واذا فرقنا بينكم البحر والحادى
 عشر البحر وهو قوله تعالى أن اضرب بعصاك الحجر والثاني عشر اظلال الجبل وهو قوله
 تعالى واذا تقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة والثالث عشر ازال المن والسلوى عليه وعلى قومه
 والرابع عشر والخامس عشر قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
 والسادس عشر الطمس على أموالهم بجناراة من النخل والذيق والاطعمة والدرهم والدنانير
 روى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله تعالى تسع آيات بينات فذكر محمد
 ابن كعب في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا يجب
 أن يكون التقيع ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فنفذه فاذا بهن مكسور ونصفين
 وجوز مكسور وفوم وعدس وحصى كلها حجارة وقوله تعالى (فاسأل) أى يا أعظم خلقنا
 (بنى اسرائيل) يجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقرأ ابن كثير
 والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون يسكبون السين وهمزة مفتوحة بعدها ويجوز
 أن يكون الخطاب لخاصة وأمره بالسؤال لهم ليتبين له كذبهم مع قومهم أى فاسأل بنى اسرائيل
 عامة الذين بهم وأقرى شاعلى السؤال عن الروح كما في بعض الروايات وعن أهل الكهف وذى

القرنين وعن حديث موسى عليه السلام والمؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (اذ) أى عن ذلك حين (جاءهم) أى جاء آباءهم فوقع لهم من التكذيب بعد اظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك (فقال) أى فذهب الى فرعون فأمره بارسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واحدة بعد أخرى فتسبب عن ذلك صدق ما يقتضيه الحال وهو أن قال (له فرعون) عتوا واستكبارا (أنى لاظنك يا موسى مسحورا) أى مخدوعا مغلوبا على عقلك فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر وهذا كما قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ان تتبعون الاربجلا مسحورا وقال في موضع آخر ساحر وانهم ربما أطلقوا اسم المفعول مر بدين اسم الفاعل مبالغة لانه كالخبر عن الفعل وفى الامر بسؤال اليهود تنبيه على ضلالهم ولما لم يؤمن فرعون على تواتر تلك الآيات وعظمها فكانه قبل فما قال موسى عليه السلام فليل (قال) لفرعون (لقد علمت) بفتح التاء قراءة غير الكسائي وقرأ الكسائي بضمها على اخباره عن نفسه (ما أنزل هؤلاء) أى الآيات (الارب السماوات والارض) أى خالقهما ومديرهما حال كون هذه الآيات (بصائر) أى بينات يصير بها صدق وأما السحر فانه لا يخفى انه خيال لاحقيقة له ولكم تكعاد * (تنبيه) * قوله تعالى هؤلاء الكلام عليه من جهة الهمزة كالكلام على هؤلاء ان كنتم فى البقرة وقد تقدم الكلام على ذلك * ثم حكى الله تعالى ان موسى قال لفرعون (وانى) أى وان ظننتنى يا فرعون مسحورا (لاظنك يا فرعون مسحورا) أى ملعونا مطرودا ممنوعا من الخير فاسد العقل فعارضه موسى بذلك وشتان بين الظنين فان ظن فرعون كذب صرف لعناده لرب العالمين لوضوح مكابرتة للبصائر التى كشف عنها ربها الغطاء فهى أوضع من الشمس وظن موسى عليه السلام قريب الى الصحة واليقين من نظائر أماراته لان هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات فاهرة ولا يرتاب العاقل أنهم من عند الله وفى أنه تعالى أظهرها لاجل تصديق وأنت منكروها فلا يحملك على هذا الانكار الا الحسد والعناد والبغى والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والنبور (فأراد) أى فانتسبب عن هذا الذى هو موجب للايمان فى العادة الآن فرعون أراد (أن يستقرهم) أى يستخف بموسى وعن آمن معه ويخرجهم فيكونوا كالماء اذا سال من قولهم فزال الجرح اذا سال (من الارض) بالنفى والقتل للممكن منهم كما أراد هؤلاء أن يستقر ولهم منها مما هم عليه من الكفر والعناد ثم أخذ تعالى يحذرهم سطوانه بما فعل عن كان قبلهم وأكثر منهم وأشد بقوله تعالى (فأغرقناه) أى فتسبب عن ذلك ان ردنا كبده فى نحره كما قال تعالى ولا يحقيق المكر السيئ الا بأهله أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتمتلك له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل تلك الارض خاصة لموسى ولقومه فأدخله البحر حين أدخل بنى اسرائيل فأنجاهم وأغرق آل فرعون (ومن معه جميعا) كما جرت به سنة الله تعالى فيمن عاند بعد أن رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط فى البغى بعد ظهور الحق فليحذر هؤلاء مثل ذلك ولا سيما اذا خرج رسولنا من بين أظهرهم فى هذه الآية وأمثالها إشارة له صلى الله عليه وسلم فى ان الله تعالى يهلك به فى النصرة والتمكين سبيل اخوانه من الرسل عليهم الصلاة

والسلام (وقلنا من بعده) أي الإغراق (لبني إسرائيل) الذين كانوا تحت يده أذل من العبيد
للقوام واحد منهم (أسكنوا الأرض) أي التي أراد أن يستقرهم منها (فأجاب) أي نجياً
محققاً (وعداً آخر) أي القيامة بعد أن سكنتم الأرض أحياء ودفنتم فيها أمواتاً (جئنا)
أي بالنامن العظيمة والقدرة (بكم) منها (لقيمنا) أي بعثناكم وأياهم مختلطين لا حكم لأحد
على آخر ولا دفع لأحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض
ثم عطف سبحانه وتعالى على قوله تعالى ولقد صرنا قوله عز وجل (وبالحق) أي من المعاني النابتة
التي لا مزية قيم لا غيره (أنزلناه) نحن أي القرآن فهو ثابت لا يزول كما أن الباطل هو الذاهب
الزائل وهذا القرآن الكريم مشتمل على أشياء لا تزول وذلك لأنه مشتمل على دلائل التوحيد
وصفات الجلال والإكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقدير نبوة الأنبياء وإثبات الحشر والنشر
والقيامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ويشتمل أيضاً على شريعة باقية لا يتطرق اليها النقص
والتغيير والتحريف وأيضاً هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه من تحريف الزائغين وتبديل
الجاهلين كما قال تعالى أنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون (وبالحق) لا غيره (نزل) هو ووصل
اليهم على لسانك بعد أنزله عليك كما أنزلناهم سواء غضا طر يا محفوظاً لم يطرأ عليه طارئ فليس فيه
من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين سألهم قومك ثم قال تعالى (وما أرسلناك)
يا أفضل الخلق بالنامن العظيمة (الأمشرا) للمطيع (ونذيراً) للعاصي من العقاب فلا عليك إلا
التبشير والانداز لا ما يقتضونه عليك من المعجزات فإن قبلوا الدين الحق اتبعوا به والأفليس
عليك من كفرهم شيء ثم إن الله تعالى أخبر أن الحكمة في أنزال القرآن مقرر فأقوله عز وجل
(وقرآناً) أي وفصلنا أو أنزلنا قرآناً (فقرآنه) أي أنزلناه منجماً في أوقات متطاولة قال سعيد
ابن جبيرة نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي
نزل فيها قال قتادة كان بين أوله وآخره عشرين سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة والمعنى قطعناه
آية آية وسورة سورة ولم ينزل جملة (لنقرأه على الناس) أي عاتية (على مكث) أي مهل وتؤدة
ليفهموه (ونزلناه) من عندنا بالنامن العظيمة (تزيلاً) بعضه اثر بعض مقرر فأجيب الوفاة
لأنه أتقن في فصلها وأعوان على الفهم الطول التأمل لما نزل من نجومه في مدة ما بين النجمين
لغزارة ما فيه من المعاني ثم إن الله تعالى هددهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
(قل) أي هؤلاء المضلين (أمنوا به) أي القرآن (أولاً تؤمنوا) فالإيمان به غير محتاج اليكم
ولا موقوف عليكم لأنكم أن آمنتم به فكان الحظ لكم والالم تضروا لأنفسكم فاختاروا
ما تريدون فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيدكم إلا ولا امتناعكم منه لا يورثه نقصاً أو قوله تعالى (إن الذين
أوتوا العلم من قبله) أي من قبل أنزاله من آمن به من بني إسرائيل لتعليل له أي إن لم تؤمنوا به
وانتم أهل جاهلية وشرك فإن خير امتنكم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما ألوحى
وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم (إذا تبلى
عليهم) أي القرآن (يخزون للأذقان) منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام

قال الزجاج الذقن مجمع اللعين وكما يتسدى الانسان بالخروج الى السجود فأقرب الاشياء من وجهه الى الارض الذقن وقيل ان الاذقان كناية عن اللحي والانسان اذا بالغ عند السجود في الخسوع والخضوع ربما مسح لحيته على التراب فان النخبة يبالغ في تنظيفها فاذا عفرها الانسان بالتراب في خوض المبالغة فقد أتى بغاية التعظيم وقيل ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فرمى ساقه على الارض في معرض السجود كالغشي عليه فيكون حينئذ خروجه على الذقن فقوله يتخزون للاذقان كناية عن غاية واهمه وخوفه وخشيته (فان قيل) لم قال يتخزون للاذقان سجدا ولم يقل يسجدون (أجيب) بأن المقصود من ذكر هذه اللفظ مسارعتهم الى ذلك حتى كأنهم يسقطون (فان قيل) لم قال يتخزون للاذقان ولم يقل على الاذقان (أجيب) بأن العرب تقول اذا خثر الرجل فوق وقع لوجهه خثر للذقن ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطرابا من كل جهة بقوله تعالى (سجدا) أى يفعلون ذلك لما يعاون من خيفته بما أتوا من العلم بالسالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرحمن (وَيَقُولُونَ) أى على وجه التجديد المستمر (سبحان ربنا) تترجم الله عن خلف الوعد (أَن) أى انه (كَانَ) أى كونا لا ينقل (وعد ربنا) أى المحسن اليينا بالايمان وماتبه من وجوه العرفان (لمفعولا) أى دون خلف ولا بد أن يأتي جميع ما وعد به في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه ومن الثواب والعقاب وهو تعريض بقريش حيث كانوا يستهزئون بالوحي سيد في قلوبهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحوه مما في معناه الطعن في قدرة الله تعالى القادر على كل شيء وقوله تعالى (ويتخزون للاذقان يكون) كثره لاختلاف الحال والسبب فان الاقول للشك عند اغجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواظب القرآن حال كونهم باكين من خشية الله (ويزيدهم) أى سماع القرآن (خشوعا) أى خضوعا وتواضعا واين قلب ورطوبة عين * ولما طالت الكامات في المناظرة مع المشركين ومنكرى النبوات والجواب عن شبهاتهم أتبعها ببيان كيف يدعون الله ويطيعونه وكيف يذكرونه في وقت الاشتغال بأداء العبودية فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (ادعوا الله وأدعوا الرحمن) واختلاف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات ليلة وهو ساجد يا الله يا رحمن فسمعهما أبوجهل وهم لا يعرفون الرحمن فقال ان مجدا بينهما أن تعبد الهين وهو يدعو الها آخر مع الله تعالى يقال له الرحمن فأنزل الله تعالى هذه الآية أى ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعاء يقول يا الله يا رحمن فسمعه أهل مكة فأقبلوا عليه فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن الآية. وعن ابن عباس ان ذكر الرحمن كان في القرآن قليلا في أول ما أنزل وكان الذين قد أسلموا من اليهود وسواهم قلة ذلك لكثرة في التوراة كابن سلام وابن يامين وابن موريا وغيرهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن فقال قريش ما بال محمد كان يدعو الها واحدا وهو الآن يدعو الهين ما نعرف الرحمن

الا صاحب اليامة فنزل وهم يذكر الرحمن هم كافرين ونزل أيضا قوله تعالى قالوا وما الرحمن
 وفرح مؤمنوا هل الكتاب وهو قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك
 ومن الاحزاب أى مشركى قريش من ينكر بعضه وعن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن قول الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هو أمان من السرقه فان رجلا من المهاجرين تلاحا حين أخذ منجعه فدخل عليه
 سارق فجمع ما فى البيت وجله والرجل ليس بناثم حتى انتهى الى الباب فوجد الباب مردودا
 فوضع الكارة ففعل ذلك ثلاث مرّات ففجّك صاحب الدار فقال انى أحصن بيتى (فان قيل) اذا
 قال الرجل ادع زيدا أو عرفهم منه كون زيد مغائرا لعمر وفيهم كون الله تعالى غير الرحمن
 وحينئذ تقوى شبهة أبى جهل لعنه الله تعالى (أجيب) بأن الدعاء هنا يعنى التسمية لا يعنى النداء
 والتسمية تتعدى الى مفعولين يقال دعوت زيدا ثم ترك أحد هـ السـ تغناء عنه فيقال دعوت
 زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأللتخير فعنى الآية ادعوا باسم الله أو ادعوا
 باسم الرحمن أى اذكروه بهذا الاسم أو اذكروه بذلك الاسم فقوله ادعوا الله ينبه على ما لم يـ
 كرمه بحكم الوعد من افاضة الرحمة والكرام وأيضا تخصيص هذين الاسمين بالذكور يدل على
 أنهم أشرف من سائر الاسماء وتقدم اسم الله على اسم الرحمن يدل على أن قولنا الله أعظم الاسماء
 وتقدم الكلام على ذلك فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم والتسوية فى قوله تعالى (أياما تدعوا)
 عوض عن المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكدة والمعنى أيات تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
 قوله تعالى (فله الاسماء الحسنى) لانه اذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان لانهما
 منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مسماة له تعالى التعجيد والتقدّيس والتعظيم وقد قدّمنا
 ذكر الاسماء الحسنى فى الاعراف عند قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وبعض
 الاحاديث الواردة فى فضلها فليزاجع ووقف جزء والكسائى على الاف بعد الياء ووقف
 الياقون على الاف بعد الميم واختلف فى تفسير ونزل قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا
 تخافت بها) فروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه
 المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون
 فيسبوا الله تعالى غدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة فكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يخفى
 صوته بالقراءة وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا يـ بكر لم يخفى صوتك فقال أنا بـ ربي وقد علم حاجتى وقال لعمر لم ترفع صوتك
 فقال أزجر الشيطان وأوقف اللسان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا
 وعمر أن يخفض صوته قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك
 سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا قول
 عائشة رضى الله تعالى عنها وأبى هريرة ومجاهد قالت عائشة هى الدعاء وروى هذا روى عن عائشة

النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية إنما ذلك في الدعاء والمسئلة قال عبد الله بن شداد كان
اعراب من بني قيس إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم اوزقنا ما لا ولادة يجهرون فأُنزل
الله تعالى هذه والحقيقة خفض الصوت والسكون يقال صوت خففت أى خفيض ويقال
للرجل إذا مات قد خفت أى انقطع كلامه وخفت الزرع إذا ذبل والمستحب من ذلك التوسط
وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود أنه قال من لم يخافت لم يسمع أذنيه وقدم مدح الله تعالى
المؤمنين بقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وأمر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عز من قائل ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وبعضهم قال الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال الرازي
وهو بعيد * ولما أمر الله تعالى أنه لا يذكر ولا ينادى إلا بأسمائه الحسنى علم كيفية التمجيد
بقوله تعالى (وقل الحمد لله) أى الملك الأعظم ثم ذكر سبحانه وتعالى من صفات التنزيه والجلال
وهي الساب ثلاثه أنواع الأول قوله تعالى (الذى لم يتخذ) أى لكونه محيطا بالصفات الحسنى
(ولدا) والسبب فيه وجوه الأول أن الولد هو الشئ المتولد من جزء من أجزاء ذلك الشئ فكل
من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال
الانعام فلا يستحق كمال الحمد الثاني أن كل من له ولد فانه يسكن جميع النعم لولده فإذا لم يكن له
ولد أفاض تلك النعم على عبده الثالث أن الولد هو الذى يقوم مقام الوالد بعد انقضاءه وفناؤه
فلو كان له ولد لكان منقضا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام فى كل الاوقات فوجب
أن لا يستحق الحمد على الإطلاق النوع الثانى من الصفات السلبية قوله تعالى (ولم يكن له) وجه
من الوجوه (شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يعرف حقيقة
أن هذه النعم والمنافع حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر النوع
الثالث قوله تعالى (ولم يكن له ولي من الدل) أى ولم يواله من أجل مذلته به يدفعها أو الاله
والسبب فى اعتباره أنه لو جاز عليه ولي يلى أمره كان مستوجبا لأعظم أنواع الحمد ومستحقا
لأقسام الشكر فنفى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا
أو اضطرارا أو ما يعاونه ويقويه وترتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذى يستحق جنس الحمد لانه
كامل الذات المنفرد بالابحاد المنعم على الإطلاق وماعداه ناقص مملوءة نعمة أو منعم عليه ولذلك
عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيرا) أى وعظمه تعظيما على نفي اتخاذ الولد والشريك والدل
وكل ما يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرد
فى صفاته روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة وعن
ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين
يحمدونه فى السمراء والضراء وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد
رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضررك بأية من بدأت أخرجه مسلم وروى أن قول العبد الله أكبر خيره من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية يقال أفصح الصبي في منطقة فهم ما يقول وعن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بفاتحة هذه السورة وأما ما رواه البيضاوي تبعه الاربخسرى وتبعهما ابن عادل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية وما تناء أوقية فخذيت موضوع

(سورة الكهف مكية)

الاواصبر نفسك الآية وهي مائة وعشر آيات وألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

(بسم الله) الذي لا كف له ولا شريك (الرحمن) الذي أقام عباده على أوضح الطرق بانزال هذا الكتاب (الرحيم) بتفضيل من اختصه بالاصواب وهو قوله تعالى (الحمد لله) تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة (الذي أنزل على عبده الكتاب) أي القرآن رب تعالى استحقاق الحمد على انزاله تنبيه على أنه أعظم انعامه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم أما كونه نعمة عليه فلا والله تعالى أعلمه بواسطة هذا الكتاب التكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والاكرام وأسرار أحوال الملائكة والانبياء وأحوال القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ولا شك أن ذلك من أعظم النعم وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلانه مشتمل على التكليف والاحكام والوعود والوعيد والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل أحد يتفقه به بقدر طاقته وفهمه فوجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أن يحمده على هذه النعم الجزيلة وقال تعالى على عبده لما في كل من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه وتعالى من الاعلام بتشريفه وإشارته الى أنه الذي أسرى به الى حضرات مجده ليريه من آياته ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين الأول قوله تعالى (ولم يجعل له) أي فيه (عوجا) أي اختلافا وتناقضا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وبالجملة حال من الكتاب الوصف الثاني قوله تعالى (قيما) قال ابن عباس يريد مستقيما أي معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط قال الرازي وهذا عهدي مشكل لانه لا معنى لتقي الاعوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم

يوجب التكرار بل الحق أن المراد من كونه قيما كونه سببا لهداية الخلق وأنه يجري مجرى
من يكون قيما لا لطفال فالأرواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقسيم المشفق القائم
بصالحهم وقال قبل ذلك إن الشيء يجب أن يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملا لغيره ويجب
أن يكون تاما في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يفيض عنه كمال الغير فقوله تعالى ولم يجعل له عوجا
إشارة إلى كونه كاملا في ذاته وقوله قيما إشارة إلى كونه مكملا لغيره ونظيره قوله تعالى
في سورة البقرة في صفة الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لا ريب فيه إشارة إلى كونه
في نفسه بالغافي الصحة وعدم الاختلال إلى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله
هدى للمتقين إشارة إلى كونه سببا لهداية الخلق ولكمال خالهم فقوله تعالى ولم يجعل له عوجا
قائم مقام قوله تعالى لا ريب فيه وقوله تعالى قيما قائم مقام قوله تعالى هدى للمتقين واختلاف
التعويين في نصب قوله تعالى قيما على أوجه الأول قال في الكشف لا يجوز جعله حالا من
الكتاب لأن قوله تعالى ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله تعالى أنزل فهو داخل في حيز الصلة
وأنه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب أن يتمصب بضمير والتقدير ولم يجعل له عوجا جعله قيما
لأنه تعالى إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة قال فان قلت فما فائدة الجمع بين نفي العوج
وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدة التأكيذ ورب مستقيم مشهود له
بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح الوجه الثاني أنه حال ثانية والجملة
المنفية قبله حال أيضا كما مر وتعدد الحال الذي حال واحد جائز والتقدير أنزله غير جاعل له عوجا
قيما الوجه الثالث أنه حال أيضا ولكنه بدل من الجملة قبله لأنه حال وابدال المقر من الجملة
إذا كانت بتقدير مقرر جائز * ولما ذكر تعالى أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بمناذرك
أردفه ببيان ما لأجله أنزله بقوله عز وجل (لينذر) أي يخوف الكتاب الكافرين (بأسا) أي
عذابا (شديدا من لدنه) أي صادرا من عنده وقر أشعبة بأسكان الدال وكسر الذون والهاء فصلة
الهاء ياء والباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء وابن كثير على أصله بضم الهاء
في الوصل بواو (ويشير المؤمنين) أي الراغبين في هذا الوصف وقرأ جزء والكسائي
بفتح الباء التحتية وسكون الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم التحتية وفتح الموحدة
وكسر الشين مشددة (الذين يعملون الصالحات) وهي ما أمر به خالصا لهؤلاء تلك الشيا من مفتاح
الايان (أن لهم) أي بسبب أعمالهم (أجر احسنا) هو الجنة حال كونهم (ما كثر فيه أبدا)
بلا انقطاع أصلا فان لا بد زمان لا آخره وقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا)
معطوف على قوله تعالى لينذر بأسا شديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف
عليه فالأول عام في حق كل كافر والثاني خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية به
إذا ذكر قضية كلمة عطف عليها بعض جزئياتها تنبيه على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلي
كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال فكذا ههنا هذا العطف يدل على أن أقبح
أنواع الكفر إثبات الولد لله تعالى * (تنبيه) * الذين أثبتوا لله ولدا ثلاث طوائف الأولى

كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله الثانية النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله الثالثة
اليهود الذين قالوا عزير ابن الله * ثم انه تعالى أنكر على القائلين ذلك من وجهين الاول قوله
تعالى (ما لهم به) أى القول (من علم) أى أصلاً لأنه مما لا يمكن أن يتعلق العلم به لأنه لا وجود له
ولا يمكن وجوده ثم قرر تعالى هذا المعنى وأكده بقوله (ولاًلاً بأنهم) الذين يغبطون بتقليد هم
في الدين حتى في هذا الذي لا يتخيله عاقل ولو أخطوا في تصرف دينوى لم يتبعوهم فيه (فان قيل)
اتخاذ الله ولد امحال في نفسه فكيف قيل ما لهم به من علم (أجيب) بأن انتفاء العلم بالشئ قد
يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد لا يكون لأنه في نفسه محال لا يمكن تعلقى العلم به ونظيره
قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الوجه الثانى (كبرت) أى مقالتهم (كلمة)
أى لم ينكهم خطورها في أنفسهم وترددها في صدورهم حتى تلفظوا بياها وكان صدورهم
بها على وجه التكرير كما يشير اليه التعبير بالمضارع * (تبسه) سميت هذه كلمة كما يسمى
القصيدة كلمة * ثم بين تعالى ما أفهمه الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لاحد به أصلاً
لأنه لا وجود له فقال تعالى (أن) أى ما (يقولون الا كذباً) أى قولاً لا حقيقة له بوجه من
الوجود * ولما كان صلى الله عليه وسلم شديداً الحرص على ايمان قومه شفقة عليهم وغيره
على المقام الالهى الذى ملا قلبه تعظيماً خفض عليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى (فلعلك باخع)
أى قائل (نفسك) من شدة الغم والوجد وأشار تعالى إلى شدة غمهم وسرعة مفارقتهم وعظيم
مباعدتهم بقوله عز من قائل (على آثارهم) أى حين تولوا عن التوحيد وعن اجابته (ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن المتجدد تنزله على حسب التدرج (أسفاً) منك على ذلك
والاسف شدة الحزن والغضب (فان قيل) ذلك يدل على حدوث القرآن (أجيب) بأنه محمول
على الالتفات وهي حادثة * ثم بين سبحانه وتعالى علة ارشاده الى الاعراض عنهم بغير ما يقدر عليه
من التبليغ للبشارة والنذارة بأنهم لم يخبروا عن مراده تعالى وأن الايمان لا يقدر على
ادخاله قلوبهم غيره بقوله عز وجل (انا) أى انا لنفعل ذلك لانا (جعلنا ما على الارض) من
الحيوان والنبات والشجر والانهار والمعادن وغير ذلك وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة
الارض وبالجمله فليس في الارض الا المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات الشامل للشجر
والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان (زينة لها) أى الارض قبل المراد أهلها
أى زينة لأهلها قال الرازى ولا يمتنع أن يكون ما تحسن به الارض زينة لها كما جعل الله السماء
زينة بالنكواكب * ولما أخذ بر تعالى زينتها أخبر تعالى بعلمه بقوله تعالى (لتبأوهن) أى
تعاملهم معاملة المختبر (أيهم أحسن عملاً) باخلاص الخدمة لربه فيصير ما كان فعله منهم
ظاهر افاًن الله تعالى يعلم السر وأخفى لتقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر
موافقة الامر فيما نال من الزينة حاز المشوبة ومن اجتار على مخالفة الامر بما آتاه منها استحق
العقوبة فكانت تعالى يقول يا محمد انى خلقت الارض وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع

والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم انهم يكفرون
 ويتمردون ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم فأتت أيضا يا محمد لا ينبغي أن تنتهي في الحزن
 بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق * ثم انه تعالى لما بين أنه انما زين
 الارض لاجل الامتحان والابتلاء لا لاجل أن يبقى الانسان فيها مستعمها أبدا زهد فيها
 بقوله تعالى (وانا الخاعلون ما عليها) من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه (صعبدا)
 أي فداننا (جزا) أي يا بسا لا نبت ونظيره قوله تعالى كل من علمنا فان وقوله تعالى في ذرها
 قاعا صقفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا وتخصيص الاهلاك بما على الارض يؤهم بقاء الارض
 الآن سائر الآيات على أن الارض أيضا لا تبقى كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 * ولما أن القوم تعجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوهما النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل
 الامتحان قال تعالى (أم حسبت) أي ظننت على مالك من العقل الرزين والرأي الرصين (أن)
 أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة
 من اليهود والعرب والواقع أنهم كانوا من المعجبات ليسوا بعجيب بالنسبة إلى كثرة آياتنا فان
 من كان قادرا على تخليق السموات والارض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ
 طائفة مدة ثمانية سنين وأكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل واختلف في الرقم
 فقبل هو اسم كلهم قال أمية بن أبي الصلت

* وليس بها الا الرقم مجاورا *

وصيدهم (وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا أي فناءهم) والقوم في الكهف هجدا (أي نوم)
 وقيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم وقصصهم جعل على باب الكهف قال البغوي
 وهذا أظهر الاقوال وقيل ان الناس رفقوا حديثهم فقرأ في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه
 الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل أصحاب الرقم قوم آخرون غير أصحاب الكهف
 كانوا ثلاثة يطلبون الكلا أو نحوه لاهلهم فأخذهم المطر فأووا إلى الكهف فأنحطت صخرة
 وسدت عليهم بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرزقنا ببركته فقال واحد
 استعملت أجرا ذات يوم فحار رجل منهم وسط النهار وعمل في بقيقته مثل عملهم فأعطيته مثل
 أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعت في جانب البيت فخر بي بقر فاشتريت فضيلة والفضيلة
 ولد الناقة اذا انفصل عن أمه فبلغت ماشاء الله فرجع إلى بعدد بعين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال
 ان لي عندك حقا وذكرك حتى عرفته فدفعتم اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج
 عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدغ الشق والصداع وجع الرأس وقال آخر
 كان في فضل وأصاب الناس شدة فجاهتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هودون نفسك
 فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبني له وأعيني عيالك فأنت وقلت
 إلى نفسها فلما كشفتها وهممت بهم ارتعدت فقلت لها مالك فقالت أخاف الله تعالى فقلت لها
 خفتيه في السنة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتهما ملتصقا اللهم ان كنت فعلته لوجهك

فأفرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان هرمان وكان لي غنم وكنت
أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فخبسني ذات يوم غنم فلم أرجع حتى أمسيت فأتيت أهلي
وأخذت محلي فخلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فوقف
حابساً محلي على يدي حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما ما ألهتم إن كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم
فأفرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قدع مناسب نزول قصة
أصحاب الكهف عند قوله تعالى ويسألونك عن الروح وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه
القصة مشروفاً فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بهم الأحاديث رسم وأسفنديار وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً ذكر فيه الله تعالى وحذر قومه ما أصاب من كان قبلهم
من الأمم وكان النضر يختلف في مجلسه إذا قام وقال أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثاً منه
فهلوا فأنأ حديثكم بأحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم قال إن قريشاً غفوة
ويعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أجباريه ودبالمدينة وقالوا إليهم أسلامهم عن محمد وصفتهم فأنهم
أهل الكتاب الأول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجوا حتى قدما المدينة
فسألوا أجبار إليهم ودعوا أحوال محمد فقال لهم إليهم ودسأوه عن ثلاثة عن قبة ذهبوا في الدهر
الأول فأن حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وسأوه عن
الروح وما هي فأن أخبرهم فهُونِي والافهومة قول فلما قدم النضر وصاحبه مكة فالأقرب
جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد وأخبرهم بما قاله إليهم ودجأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسألوهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتهم عنه غدا ولم يستن فأنصرفوا عنه
فحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من خمس عشرة ليلة لم ينزل عليه وحى وشق عليه
ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة أهل الكهف وفيها معاتبته الله تعالى آياه
على جراته عليهم وفيها خبر أولئك الفتية وخبر الرجل الطواف ثم بدأ بالفتية فقال (اد)
أي واذا كراذ (أولى الفتية) وهم أصحاب الكهف المسؤل عنهم جمع فتى وهو الشاب الكامل
والشباب أقبل إلى الحق وأهدى للسبيل من الشيوخ (إلى الكهف) خائفين على إيمانهم
من قومهم الكفار واختلوا في سبب مصيرهم إلى الكهف فقال محمد بن اسحق بن يسار مرج
أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا وغطت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت
وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان من فعل ذلك من ملوكهم
ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قري
الروم فلا يترك في قرية تزلها أحد الا فتنة عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله ثم نزل مدينة
أهل الكهف وهي أفسوس فلما نزل بها كبر على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا في كل
وجه واتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم في أماكنهم ويخرجوهم إليه فيخبروهم
بين القتل وبين عبادة الإوثان والذبح للطواغيت ففهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأتي أن

يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَيَقْتُلُ فَلِمَ رَأَى ذَلِكَ أَهْلَ الشَّذَّةِ فِي الْإِيمَانِ جَعَلُوا يُسَلِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْعَذَابِ
وَالْقَتْلِ فَيَقْتُلُونَ وَيَقْطَعُونَ ثُمَّ جَعَلَ مَا قَطَعُوا مِنْ أَجْسَادِهِمْ عَلَى سُورِ الْمَدِينَةِ مِنْ نَوَاحِيهَا وَعَلَى كُلِّ
بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا حَتَّى عَظُمَتِ الْقِتْمَةُ فَلِمَ رَأَى ذَلِكَ الْقِتْمَةُ حَزَنُوا حَزْنَ شَدِيدٍ أَفْضَلُوا وَاسْتَقْبَلُوا
بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالتَّوْبَةِ وَكَانُوا مِنْ أَشْرَافِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ أَشْرَافِ الرُّومِ وَكَانُوا
غَالِيَةً فَزَبَكُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَجَعَلُوا يَقُولُونَ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ
هَذِهِ الْقِتْمَةُ وَارْفَعْ عَنْهُمْ هَذَا الْبَلَاءَ حَتَّى يَعْلَمُوا عِبَادَتَكَ فَيُنِيحَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ دَخَلُوا مَصْلَى
لَهُمْ أَدْرَكَهُمُ الشَّرْطُ فَوَجَدُوهُمْ سَجُودًا عَلَى وُجُوهِهِمْ يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالُوا
لَهُمْ مَا خَلَقَكُمْ عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ أَنْ تَطْلُقُوا إِلَيْهِ ثُمَّ خَرَجُوا فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى دَقْيَانُوسَ فَقَالُوا اجْمَعْ
النَّاسَ لِلذَّبْحِ لَا أَهْلَكَ وَهَؤُلَاءِ الْقِتْمَةُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ يَسْتَرْزُونَ بِكَ وَيَعْصُونَ أَمْرَكَ فَلِمَا سَمِعَ ذَلِكَ
بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَأَتَى بِهِمْ تَقْيِيزُ أَعْيُنِهِمْ مِنَ الدَّمْعِ مَعْقَرَةً وَوُجُوهُهُمْ فِي التُّرَابِ فَقَالَ لَهُمْ مَا مَنَعَكُمْ
أَنْ تَشْهَدُوا الذَّبْحَ لَا كَهَنَتَنَا الَّتِي تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَسْوَأَ سَرَاةٍ أَهْلَ مَدِينَتِكُمْ
اخْتَارُوا أَمَّا أَنْ تَذْبَحُوا لَا أَهْلَنَا وَأَمَّا أَنْ أَقْتُلَكُمْ فَقَالَ لَهُ كَبِيرُهُمْ وَاسْمُهُ مَكْسَلِيَانَا أَنْ لَنَا الْهَامِلُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَظَمَتُهُ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ الْهَامِلُ أَبَدًا لَهُ الْحَمْدُ وَالْكَبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ مِنْ أَنْفُسِنَا
خَالصًا أَبَدًا يَا هُتَعْبُدُوا يَا هُتَسْأَلُ الْخَيَاةَ وَالْخَيْرَ وَأَمَّا الطَّوَاغُيْتُ فَلَنْ نَعْبُدَهَا أَبَدًا اصْنَعْ مَا بَدَلَكَ
وَقَالَ أَصْحَابُهُ مِثْلَ مَا قَالَ فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ بِزَجْرِ آبَائِهِمْ وَحَلِيَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَقَالَ سَافِرٌ لَكُمْ وَأَنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدْتَكُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ أَجْعَلَ لَكُمْ
ذَلِكَ الْإِنِّي أَرَأَيْتُمْ شَبَابًا حَدِيثَةً أَسْنَانَكُمْ فَلَا أَحَبَّ أَنْ أَهْلِكَكُمْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكُمْ أَجَلًا
تَذْكُرُونَ فِيهِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَقُولِكُمْ ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَانْطَلَقُوا إِلَى مَدِينَةِ أُخْرَى
قَرِيبَةٍ مِنْهُمْ لِبَعْضِ أُمُورِهِ فَلَمَّا رَأَى الْقِتْمَةُ خُرُوجَهُ يَدْرُو أَقْدَمَهُ وَخَافُوا إِذَا قَدِمَ مَدِينَتَهُمْ أَنْ
يَذْكُرَهُمْ فَأَتَمُّوْا بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفَقَةً مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَيَصَدِّقُوا مِنْهَا بِرُتُودٍ
بِمَا بَقِيَ ثُمَّ سَلَطُوا إِلَى كَهْفٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَمَكَّثُوا فِيهِ وَيَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى إِذَا جَاءَ
دَقْيَانُوسُ أَتَوْهُ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَصْنَعُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عَمَدَ كُلِّ فِتْيَةٍ مِنْهُمْ
إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ فَأَخَذَ نَفَقَةً فَصَدَّقَ مِنْهَا وَانْطَلَقَ بِمَا بَقِيَ مَعَهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ كَابٍ كَانَ لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَتَوْا
ذَلِكَ الْكَهْفَ فَلَبِثُوا فِيهِ وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ مَرَّ وَابْكَبَ فِتْيَتَهُمْ فَطَرَدَهُمْ فَعَادَ قَتْلَهُمْ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
مَرَارًا فَقَالَ لَهُمُ الْكَلْبُ مَا تَرِيدُونَ مِنِّي لَا تَخْشَوْنِي وَاجْتَنِبُوا أَنَا أَحَبُّ أَحْبَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَنَامُوا
حَتَّى أَحْرَسَهُمْ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَرَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ دَقْيَانُوسَ وَكَانُوا سَبْعَةً فَزَبَكُوا وَابْرَأَ مَعَهُ كَلْبٌ
فَتَبِعَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَتَبِعَهُ كَلْبُهُ نَحْرَ جِوَامِ الْبَلَدِ إِلَى الْكَهْفِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْبَلَدِ قَالَ ابْنُ
إِسْحَاقَ فَلَبِثُوا فِيهِ لَيْسَ لَهُمْ عَمَلٌ غَيْرُ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّحْمِيدِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى
وَجَعَلُوا نَفَقَتَهُمْ إِلَى فِتْيَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ تَخْلِيخُفَ كَانَ يَتَاعُ لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ سِرًّا وَكَانَ مِنْ
أَجْلِهِمْ وَأَجْلَدَهُمْ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ يَضَعُ شِيبًا كَانَتْ عَلَيْهِ حَسَابًا وَيَأْخُذُ بِأَيِّ كَنْيَابِ
الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَسْتَعْمُونَ فِيهَا ثُمَّ يَأْخُذُ رُوقَهُ وَيَسْطَلِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَسْتَرِي لَهُمْ طَعَامًا وَشَرَابًا

ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا أصحابه بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فليشوا في ذلك ما شاء الله أن
يلشوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا اللطوا غيث ففزع من ذلك أهل
الايمان وكان تليخا يشترى لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ويدعهم طعام قليل
أخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا من عظماء المدينة ففزعوا
ووقعوا سجدوا يدعون ويتضرعون ويتعوذون من الفتنة ثم أن تليخا قال لهم يا اخوتاه
ارفعوا رؤسكم واطعموا ابوتكم وعلوكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع قطعوا
ذلك مع غروب الشمس ثم جمعوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فينماهم كذلك
اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم
مؤمنون موقنون ونفقهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تقدم دقيانوس فالتصمهم فلم يجدهم
فقال لبعض عظمائه وعظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء القتيبة الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا
أن بني غضبنا عليهم بلهملهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لأجهل عليهم أن هم تابوا وعبدوا
الهي فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قومًا جرة مردة عصاة فقد كنت أجلبت لهم
أجلا ولوشأوا الرجوع في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم
أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن أبناءكم المردة الذين عصوني فقالوا له
أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهالنا كوهنا في أسواق المدينة ثم
انطلقوا فارتقوا إلى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا ذلك خلا سبلهم وجعل ما يدري ما يصنع
بالقتية فألقى الله تعالى في قلبه أن يستد باب الكهف عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم بذلك
ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث
من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يستد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف عيون
جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم
وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم يتقلبون
ذات اليمين وذات الشمال ثم أن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهم انتمرا أن
يكتبيا شأن القتيبة وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهم في تابوت من نحاس ويجعل
التابوت في البنيان وقال لعل الله يظهر على هؤلاء القتيبة قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من
يفتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنوا عليه بيت دقيانوس ما بقي ثم مات وقومه
وقررون بعده كثيرة وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم لما أوتوا إلى الكهف (فقالوا) أي عقب
استقرارهم فيه (ربنا آتئنا من لدنك) أي من عندك (رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن
من عدوك (وهي لنا من أمرنا) أي من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) الرشدا
والرشد والرشاد تقيض الضلال وفي تفسير اللفظ وجهان الأول أن التقدير هي لنا أمر إذا رشدا
أي حتى نصير بسببه راشدين مهتدين الثاني اجعل أمرنا رشدا كماه كقولك رأيت منك
رشدا * ولما أجابهم سبحانه وتعالى عبر عن ذلك بقوله تعالى (فضر بنا) أي عقب هذا القول

قوله
في
في
من

وبسببه (على آذانهم) جبابمجمع السماع أى اغناهم فومة لا تنبهم الاصوات الموقطة مخدق
 المنقول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة ثم بين تعالى أنه اغنا
 ضرب على آذانهم (فى الكهف) أى اليهود وهو ظرف مكان وقوله تعالى (سنين) ظرف
 زمان وقوله تعالى (عددا) أى ذوات عدد يحتمل الكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم
 عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل الشئ فهم مقدار عدد فلم
 يحتمل الى أن يعد واذكراحتاج الى أن يعد (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من ذلك النوم
 (لنعلم) أى علم مشاهدة وقد سبق نظيره هذه الآية فى القرآن كثيرا منها سبق فى سورة البقرة
 الا نعلم من تبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وفى آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
 وقد نبهنا على ذلك فى محله (أى الحزبين) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم (أحصى
 لما لبثوا أمدا) واختلفوا فى الحزبين المختلفين فقال عطاء عن ابن عباس المراد بالحزبين الملوك
 الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وأصحاب الكهف وقال مجاهد الحزبان من القبة أصحاب
 الكهف لما يظنوا اختلفوا فى أنهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم
 قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان وكان الذين قالوا
 ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تناول وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين فى زمان
 أصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم * (تنبيه) * أحصى فعل ماض أى أيهم ضبط
 أمر أو فات لبثهم وأما من جعله أفعل تفضيل فقال فى الكشاف ليس بالوجه السديد
 وذلك ان بناء من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الحرب وأفلس من ابن المذلق
 شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممنوع فكيف به ثم قال الله تعالى (نحن) أى
 بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة (نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم) أى خبرهم العظيم
 قصا ملتبسا (بالحق) أى الصدق (أنهم قتيه) أى شبان (آمنوا برهم) أى المحسن اليهم الذى
 نقر دج خلقهم ورزقهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله (وزدناهم) بعد أن آمنوا (هدى) بما قد فناء فى
 قلوبهم من المعارف (وربطنا على قلوبهم) أى قويا خافصا رافيا من القوى مجتعا غير مبدد
 فكانت حالهم فى الجلووة حالهم فى الخلوة (أذ قاموا) أى وقت قيامهم بين يدي الجبار دقيانوس
 من غير مبالاة به حين عابهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وذلك
 لانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء القسيه حتى عصوا ذلك الجبار
 وأقر وأبر بوبية الله تعالى وصرحوا بالبرائة من الشرك والانداد بقولهم (لن ندعومن دونه الها)
 لان ما سوا عاجز والله (لقد قلنا اذا) أى اذا دعونا من دونه غيره (شططا) أى قولنا اذا بعد عن
 الحق جدا وقال مجاهد كانوا أبناء عظماء مدبنتهم فخرجوا واجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد
 فقال رجل منهم هو أكبر القوم اتى لاحد فى نفسى شاما أظن أن أحدا يجده قالوا ما تجد قال
 أجد فى نفسى أن ربي رب السموات والارض قالوا نحن كذلك فى أنفسنا فقاموا جميعا فقالوا
 ربنا رب السموات والارض وقال عطاء قالوا ذلك عند قيامهم من النوم قال الرازى وهو بعيد

لان الله تعالى استأنف قصتهم بقوله تعالى نحن نقص عليك وقال عبيد بن عمار كان أصحاب
 الكهف قتيانا مطوقين مسورين ذوى ذواب وكان معهم كلب صديدهم فخرجوا في عيد لهم
 عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها وقد قذف الله تعالى في قلوب
 الفتية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه فقالوا في أنفسهم نخرج
 من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة
 فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرجأ أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم
 خرج آخر فخرجوا كلهم جميعاً فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه
 مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتية فيخلوا ثم يفشى كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا
 فاذا هم جميعاً على الايمان واذا بالكهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (هؤلاء قومنا)
 وان كانوا آمن منا وأقوى وأجل في الدنيا (اتخذوا من دونه آلهة) أشركوهم معه تعالى
 شبهة واهية (ولولا) أى هلا (يأتون عليهم) بسلطان (أى دليل (بين) أى ظاهر مثل ما نأتى نحن
 على تقرير معبودنا بالادلة الظاهرة فتسبب عن عجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين فلذلك قالوا
 (نحن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) أى تعمد (على الله) أى الملك الاعظم (كذباً) بنسبة
 الشريك اليه تعالى ثم قال بعض الفتية لبعض (واد) أى وحين (اعتزلتموهم) أى قومهم
 (وما يعبدون) أى واعتزلتم معبودهم وقولهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء منه متصلاً على
 ما روى أنهم كانوا يقرءون بالخالق ويشركون معه كما كان أهل مكة وأن يكون منقطعاً وقيل
 هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية بأنهم لم يعبدوا غير الله تعالى (فأروا الى
 الكهف) أى الغار الذى فى الجبل (ينشر) أى يبسط (لكم) ويوسع عليكم (ربكم) أى المحسن
 اليكم (من رحمته) ما يكفيكم به المهم من أمركم فى الدارين (ويحيى لكم من أمركم) أى الذى
 من شأنه أن يهكمكم (مرفقاً) أى ما ترزقون به وتستفيعون وجزمهم بذلك لخلوص نيتهم وقوة
 وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم وفتح الفاء
 قال الفراء وهما الغتان واشتقاقهما من الارتفاق وكان الكسانى لا يدكر فى مرفق الانسان
 الذى فى البدن الا كسر الميم وفتح الفاء والفراء يجيزه فى الامر وفى اليد وقيل هما لغتان الا أن الفتح
 أقبس والكسر أكثر والخطاب فى قوله تعالى (وترى الشمس) للنبي صلى الله عليه وسلم وأكمل
 أحد وليس المراد أن من خطب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة فى المخاطبة تكون على هذا
 النحو ومعناه انك لو رأيت على هذه الصورة (إذا طلعت زاور) أى تميل (عن كهفهم ذات
 اليمين) أى ناحيته (وإذا غربت تقرضهم) أى تعدل فى سيرها عنهم (ذات الشمال) أى فلا يقع
 شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الله تعالى رواها عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحاً
 الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله وقرأ
 السوسى بأماله ألف ترى المنقلبة بعد الراء فى الاصل بخلاف عنه والباقون بالفتح فى الوصل وهم
 على أصولهم فى الوقوف وأبو عمرو وجزء والكسانى بالامالة محضة وورش بين اللظين والباقون

بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروثا وروثا بتشديد الزاي وتحفيف الراء مضمومة وابن عامر
بسكون الزاي ولا ألف بعدها وتشديد الواو على وزن تحمير والناقون وهم عاصم وحزرة
والكسائي بتحفيف الزاي والواو ولا خلاف في ضم الراء * ولما بين أنه تعالى حفظهم من حر
الشمس بين أنه أنعشهم بروح الهواء وأطفئهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال تعالى (وهم
في فجوة منه) أي في وسط الكهف ومنعته ينالههم برد الريح ونسيمها ثم بين تعالى نتيجة هذا
الامر الغريب في النبأ العجيب بقوله تعالى (ذلك) أي المذكور العظيم (من آيات الله) أي
دلائل قدرته (من يد الله) أي الذي له الملك كله يخلق هذه الهداية في قلبه كأصحاب الكهف
(فهو المهتد) في أي زمان كان فلن تجد له مضلا معويا في ذلك إشارة إلى أن أهل الكهف
جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة
السنة والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي
أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد الدال في الوصول دون
الوقف والناقون بجذوها ووقفا ووصلا (ومن يضلل) أي يضله الله تعالى ولم يرشده كدقيانوس
وأصحابه (فلن تجد له وليا) أي معينا (مرشدا) أي يرشده للحق ثم أنه تعالى عطف على
ما مضى بقية أمرهم بقوله تعالى (وتحسبهم) أي لورأيهم أنهم المخاطب (أيقاظا) أي منتبهين
لأن أعينهم مفتحة للهواء لانه يتكئون أبني لها جمع يقظ بكسر القاف (وهم رقاد) أي
نيام تجمع راقدا قال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن أنهم أيقاظ والدليل عليه قوله تعالى (ونقلبهم) أي
في ذلك حال نومهم تقلبا كثيرا بحسب ما يقعهم كما يكون النائم (ذات) أي في الجهة التي هي
صاحبة (اليمن) منهم (وذات الشمال) لينال روح النسيم جميع أبدانهم ولا يتأثر ما يلي الأرض
منها بطول المكث * (تنبيه) * اختلف في مقدار مدة التقلب فعن أبي هريرة أن لهم في كل عام
تقليبتين وعن مجاهد يمكثون رقادا على أيمانهم تسع سنين ثم يتقلبون على شمائلهم فيمكثون
رقودا تسع سنين وقيل لهم تقلبية واحدة في يوم عاشوراء قال الرازي وهذه التقديرات لا سبيل
للعقل إليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف انتهى ولهذا قلت
بحسب ما يتفقهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم فائدة تقلبهم ثلاثا تاكل الأرض
لخومهم ولا تبايهم اه قال الرازي وهذا أعجب من ذلك لانه تعالى لما قدر على أن يمكث
حياتهم ثلثمائة سنة وأكثر فلا يقدر على حفظ أجسادهم أيضا من غير تقلب اه وهذا
ليس بعجيب لان القدرة صالحة لذلك وأكثر بحسب العادة وأما أمثال أرواحهم فهو خرق
للعادة فلا يقيم عليه (وكلمهم بأسط ذراعيه) أي يده أي ملقهم بما على الأرض مبسوطتين
غير مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتدوا في التجود ولا يسط أحدكم ذراعيه
انبساط الكلب قال المفسرون كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليه ما * (تنبيه) *
باسط اسم فاعل ماض وانما عمل على حكاية الحال والكسائي يعمل به ويستشهد بالآية الكريمة
وأكثر المفسرين على أن الكلب من جنس الكلاب وروى عن ابن جريج أنه كان أسدا

ويسمى للأسد كلبا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب فقال اللهم سلط عليه
 كلبا من كلابك فافترسه الأسد وقال ابن عباس كان كلبا أغتر واسمه قطمير وعن علي اسمه ريان
 واختلف في قوله تعالى (بالوصيد) فقال ابن عباس هو باب الكهف وقيل العتبة قال السدي
 والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما أراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد فناء
 البيت وفناء الدار قال الشاعر

بأرض فضاء لا يستوصيدها * على ومعر وفيها غير منك

وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف (لواطلعت عليهم) بكسر الواو وعلى أصل التقاء
 الساكنين أي وهم على تلك الحالة (لوليت منهم) حال وقوع بصرك عليهم (قرارا) لما ألبسهم
 الله تعالى من الهبة وجعل لهم من الجلالة تدبرا منه لما أراد منهم حتى لا يصل اليهم أحد
 حتى يبلغ الكتاب أجله (ولمئت منهم رعبا) أي فزعا واختلف في ذلك الرعب كان لماذا فقال
 الكلبي لأن أعينهم مفتحة كما استيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل من وحشة الكلام
 وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس كما استيقظ وقيل إن الله تعالى
 منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال غزونا مع
 معاوية نحو الروم فرأنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف
 لنا عن هؤلاء فمظننا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت
 منهم قرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم
 ريحا فأنخرجتهم وقرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم والباقيون بخفة فها والسوسي
 بإبدال الهمزة ياء على أصله وقفوا وصلا وحزة في الوقف فقط وقرأ ابن عاصم والكسائي
 رعبا بضم العين والباقيون بسكونها (وكذلك) أي كما فعلنا بهم ما ذكرنا آية (بعثناهم) أي
 أيقظناهم آية (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم في نومهم ويقظتهم
 فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى وليستبصروا
 بدأمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) مستفهما من اخوانه (كم لبثتم)
 نائمين في هذا الكهف من ليلة أو يوم وهذا يدل على أن هذا القائل استشعر طول لبثهم مما
 رأى من هيئتهم أو بغير ذلك من الامارات (قالوا البتة يوما أو بعض يوم) لأنهم دخلوا
 الكهف طلوع الشمس وبعثوا آخر النهار فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم فلما نظروا
 إلى طول أظفارهم وشعورهم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) فأحالوا العلم على الله تعالى قال ابن
 عباس القائل ذلك هو رئيسهم فليخار دعلم ذلك إلى الله تعالى وعلم أن مثل هذا التغيير لا يحصل
 الا في الايام الطويلة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بإظهار الناء المثلثة عند المثناة والباقيون
 بالادغام ثم لما علموا أن الأمر ملتبس عليهم لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فإيمانهم وقالوا
 (فابعثوا أحداكم يورثكم هذه) أي بفضتكم وقرأ أبو عمر وشعبة وحزة بسكون الراء والباقيون
 بكسرها والورق اسم للفضية سواء كانت مضروبة أم لا ويدل عليه ما روى أن غرغرة اتخذ

أنفسهم ورق ويقال لها الرقة وفي الحديث في الرقة ربع العشر (إلى المدينة) أي التي خرجتم منها وهي مدينة طرسوس وهذه الآية تدل على أن السعي في أمساك الزاد أمر مهم مشروع وأنه لا يبطل التوكل على الله تعالى إذ حقيقة التوكل على الله تعالى تهيبه للأسباب واعتقاد أن لا مسبب للأسباب إلا الله تعالى فحمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأى المتوكلين على الله دون المتوكلين على الانقافات على ما في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله تعالى عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أو وثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض أصحابك العلماء أنه كان شديد الحب إلى أن يرزق حج بيت الله الحرام وعلم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم قوم على حج أتوه أن يحجوا به وألحوا عليه فاعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم فإذا انقضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الأشيا شدة الهيمان والتوكل على الرحمن (فليتظر أيها أركي طعاما) قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لأن عامة أهل بلدهم كانوا يجوسوا وفيهم قوم يخفون إيمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظالما فقولهم أيها أركي طعاما أي أيها أبعد عن الغصب وكل سبب حرام وقيل أيها أطيب وأذ وقيل أيها أرخص قال الزجاج قولهم أيها أرفع بالابتداء وأركي خبره وطعاما تميز ولا بدتهما من حذف أي أي أهلها أركي أي أحل وقيل لا حذف والضمير عائدة على الاطعمة المدلول عليها من السياق (قل يا أيها الذين آمنوا) ذلك الواحد (برزق منه) لنا كل (وليست لطف) أي وليكن في ستركمان في دخول المدينة وشراء الاطعمة حتى لا يعرف (ولا يشعرن) أي ولا يخبرن (بكم أحدا) من أهل المدينة (أنهم) أي أهل المدينة (أن يظهرن) أي يطلعن وأعالين (عليكم يرجوكم) أي يقتلوكم والرجم بمعنى القتل كثير في القرآن كقوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله لا لرجنك وقوله أن ترجون وقال الزجاج أي يقتلوكم بالرجم والرجم أخبث أنواع القتل (أو يعيدوكم في ملتهم) أن لنتم لهم (ولن تغفلوا إذا) أي أن رجعتهم إلى ملتهم (أبدا) بل تكونوا خاسرين قال بعض العلماء ولا خوف على المؤمن الفاتر بدته أعظم من هذين الأمرين أحدهما ما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذي هو أخبث أنواع القتل والآخر هلاك الدين (فان قيل) أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تغفلوا إذا أبدا (أجيب) بأنهم خافوا أنهم لو بقوا على الكفر مظهرين له فسيقديعيل بهم ذلك إلى الكفر الحقيقي فكان خوفهم بسبب هذا الاحتمال (فان قيل) ما النكتة في العدول عن واحدكم إلى أحدكم وكل ذلك دال على الوحدة (أجيب) بأن النكتة فيه أن العرب إذا قالوا أحد القوم أرادوا به فردا منهم وإذا قالوا واحد القوم أرادوا به رئيسهم والمراد في القصة أي واحد كان القرآن الكريم أنزل بلغتهم فراعى ما راعوا (وكذلك) أي ومثله ما فعلنا بهم ذلك الأمر العظيم من الربط على قلوبهم والستر والحماية من الطالبين لهم والحفظ لأجسادهم على عجز الزمان وتعاقب الحداث وغير ذلك (أعترنا) أي أطلعنا غيرهم (عليهم) يقال عثرت على كذا علمته وأصله أن من كان غافلا عن شيء فعثربه نظر إليه فعرفه فكان العثر سببا لحصول العلم فأطلق السبب على السبب بقوله تعالى (ليعلموا) متعلق بأعترنا

والضيق قبل يعود على مفعول أعثرنا المحذوف تقديره أعثرنا الناس وقبل يعود الى أهل
الكهف وهذا هو الظاهر (أن وعد الله) الذي له صفات الكمال بالبعث للروح والجنة معا (حق)
لأن قيامهم بعد نومهم يتقبلون نيفا وثلاثمائة سنة مثل من مات ثم بعث قال بعض العارفين علامة
المقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت * ولما كان من الحق ما قد اذله شك قال تعالى
(وَأَنْ) أى وليعلموا أن (الساعة) أى آية (الارب) أى لاشك (فيها) * (تنبيه) * اختلف في
السبب الذي عرف الناس واقعة أفضجاب الكهف فقال محمد بن اسحق ان ملك تلك البلاد
رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس في ملكه
فكانوا أحرابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك
الصالح فبكي واضرّع الى الله تعالى وحرّحنا شديد المارأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون
على أهل الحق ويقولون لاحياة الا الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وجعل الملك
يرسل الى من يظن فيهم خيرا وأنهم آتية في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى
كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوارين فلما رأى ذلك الملك دخل بيته وأغلق بابه
عليه ولبس مسحاً وجعل تحت رماده يجلس عليه ودأب ليله ونهاره زماناً يتضرّع الى الله تعالى
ويبكي أى رب قدر ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الله تعالى الذي يكره هلكة
عباده أراد أن يظهر على القبة أفضجاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وجة عليهم
ليعلموا أن الساعة آية لا ريب فيها ويستجيب لعبده تندوسيس ويتم نعمته عليه وأن يجمع
من كان يتقدم المؤمنين وألقى الله في نفس رجل من تلك البلاد الذي فيه الكهف أن يهدم
ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعل لايزعان تلك
الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى اذا نزعاما على فم الكهف وفتح باب الكهف أذن الله تعالى
ذو القدرة والسلطان محيي الموتي للقبة أن يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فخرج من مسفرة
وجوههم طيبة أنفسهم فلم يعضهم على بعض كانتما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا
يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى
في وجوههم ولا في ألوانهم شئ يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيانوس
في طلبهم فلما قضا صلاتهم قالوا التملينا صاحب نفقتهم ائتنا بما قال الناس في شأننا عشيبة
أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل لهم أنهم قد
ناموا أطول ما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا البثنا يوما
أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم غليخا ألتسمت بالمدينة
وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فإشاء الله بعد ذلك فعل فقال
لهم مكسلبنا يا اخواناه اعلوا أنفسكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ ادعاكم عدو الله ثم قالوا
لتملينا انطلق الى المدينة فسمع ما يقال لنا بما اواما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف
ولا تشعرون بك أحدا وابتاع لنا طعاما واثنائه وزدنا على الطعام الذي جثتنا به فقد أصبحنا

جميعا ففعل تملينا كما كان يفعل و وضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتسكرفها وأخذ ورقا
 من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تملينا
 خارجا فلما مر بياب الكهف رأى الجارية منزوعة عن باب الكهف فحجب منها ثم لم يبال بها
 حتى أتى باب المدينة مبتهفيا بصد عن الطريق متخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر
 أن دقيانوس وأهلها قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تملينا باب المدينة رفع بصره فرأى
 فوق ظهر الباب علامة تكون لاهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهرا فلما رأى عجب
 وجعل ينظر اليها مستخفيا وينظر يمينا وشمالا ثم ترك الباب وتحول لباب آخر من أبوابها فإذ رأى
 مثل ذلك فجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن
 رأيهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه
 فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا أما عسيرة أمس فكان المسلمون
 يخشون هذه العلامة ويستخفون بها رأيا ما اليوم فانها ظاهرة لعلى عالم ثم يرى أنه ليس بنائم
 فأخذ بكسائه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع ناسا يحلفون
 باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران
 المدينة ويقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عسيرة أمس فليس على وجه الارض انسان
 يذكر عيسى بن مريم الا قتل وأما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه
 لعل هذه ليست المدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينة فقام كالخيران ثم لقي فتى
 فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها أفوس فقال في نفسه لعل بي مسأأ وأمرأ
 أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخرى فيها أو يصيبني شر فأهلك ثم
 انه أفاق فقال والله لو لم يجت الخرج من هذه المدينة قبل أن يفتن بي لكان أكيس فذنا من
 الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال بعني بهذا
 الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فحجب منها ثم طرحها الى رجل من
 أصحابه فنظر اليها ثم الى آخر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم
 جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كثر الحجاب في الارض منذ زمان
 ودهر طويل فلما رأهم تملينا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن أنهم
 فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون
 يأثونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق أفضلوا علي قد أخذتم وورقي فأمسكوها وأما
 طعامكم فليس لي حاجة به فقالوا من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز
 الاولين وأنت تريد أن تحفيه انطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نتخف عليك ما وجدت وانك ان لم
 تفعل نأت بك السلطان فنسلك اليه فمقتلك فلما سمع قولهم قال ما وجدت شيئا وقال قد
 وقعت في كل شيء أخذت منه فالوا يا فتى انك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت فجعل تملينا
 لا يدرى ما يقول لهم وخاف حتى انه لم يرد اليهم جوابا فلما رأوا له يتكلم أخذوا كساءه وطرحوه

في عذقه وجعلوا يقودونه في سكاك المدينة حتى سمع من فيها فقيل أخذ رجل عبده كنز واجتمع
 عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتي من أهل
 هذه المدينة وما رأينا ذكرا قط وما نعرفه فجعل تليخا ما يدرى ما يقول لهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة
 وكان متفقاً أن آباءه وأخوته في المدينة وأنه من عظماء أهلها وانهم سيمأوتونه إذا سمعوا به فبينما
 هو قائم كالخيران ينظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من بين أيديهم إذا خطفوه وانطلقوا به إلى
 رئيس المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما اريوس واسم
 الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تليخا أنه يتطابق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت
 يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون وجعل تليخا يبكي ويرفع رأسه
 إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم على صبرا وأولج معي روحا منك
 تؤيدني بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه ترق ما بيني وبين اخوتي باليتهم بعلون ما لقيت
 وباليتهم بأنوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قوافضا على الايمان بالله سبحانه وتعالى
 وأن لا نشرك به شيئا ولا نتفرق في حياة ولا موت فلما انتهى به إلى الرجلين الصالحين ورأى أنه لم
 يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ اريوس واسطيوس الورق فنظرا إليها وعجا
 منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق
 ابائي ونفسي المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال أحدهما عمن أنت
 فقال تليخا أما أنا فكنيت أرى أني من أهل هذه المدينة قالوا نحن أولو ومن يعرفك بهم فأجابهم
 باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا آباءه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تأتينا بالحق فلم يدر
 تليخا ما يقول لهم غير أنه نكس بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال
 بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عدا حتى ينقلب منكم فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا
 شديدا أظن أننا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه الورق وضربها أكثر من ثلثائة
 سنة وأنت غلام شاب وتظن أنك تأفكوا وتسخر بنا ونحن شيوخ وشعث كما ترى وحولك سراة هذه
 المدينة وولاية أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار
 وإني لأظنني سأمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته
 فلما قال ذلك قال لهم تليخا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا
 سل لا نكتمك شيئا قال ما فعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا
 يسمى دقيانوس ولم يكن الاملا كاهلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال
 تليخا اني اذا الخيران وما هو بصديق أحد من الناس بما أقول لقد كثفتة وان الملك أكرهنا على
 عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهر بنا منه عشيمة أمس فتمنا فلما اتبنا خرجت لاشتري طعاما
 وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل بجبل بجبل اريوس
 أعصابي فلما سمع اريوس ما يقول تليخا قال يا قوم لعن هذه آية من آيات الله تعالى جعلها الله
 تعالى لكم على يده هذا الغلام فانطلقوا بسمعه ليرينا أصحابه فانطلق معه اريوس واسطيوس

ومعهم جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم فمضوا أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأوا
الفتية أصحاب الكهف تملحاً قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه
فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتحققونه إذ سمعوا
الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليأتوا بهم
فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضاً وقالوا انطلقوا بنا نأت أحاطاً بملحنا
فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جالس على هذه
الحالة إذ جاءهم ياروس وأصحابه وقوف على باب الكهف فسبقهم تملحاً ودخل وهو يبكي فلما
رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوهم عن خبره فقص عليهم الخبر كله فعرفوا أنهم كانوا يا ماباً أمر الله
تعالى ذلك الزمن الطويل وانما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث ويعلم الناس أن
البيعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تملحنا ياروس فرأى تابوتاً من نحاس محتوماً يجتمع من
فضة فقام يباب الكهف ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه
لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلينا ومخسلينا وتمليحنا ومطر ونس وكشطونس وبير ونس
ويبطونس كانوا قسمة هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا
هذه الكهف فلما أخبرهم بها كانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا أسماءهم
وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عنر عليهم فلما قرؤوا عجبوا ووجدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث
فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله تعالى ونسيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدواهم جالسين
مشرقة وجوههم لم تبلى ثيابهم فخر ياروس وأصحابه سجدوا ووجدوا الله تعالى الذي أراهم
آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم أن ياروس
وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس أن يحل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله
جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون لهم نورا وضياء وتصديقاً للبعث فاجعل
إلى قبية بعثهم الله تعالى وكان قد توفاهم منذاً كثيراً من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر قام ورجع
إليه عقله وذهب همه فقال أجد الله رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت
علي ورجعتي فلم تطفئ النور الذي جعلته لا باني وللعبد الصالح قطيظينوس الملك فلما أتى به
أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة افسوس فلقاهم أهل المدينة وساروا معه
ثموا الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية تندوسيس فرحوا به وخرّوا سجدوا على وجوههم وقام
تندوسيس قدامهم ثم اعترفهم وبكى وحسب جالس بين يديه على الأرض يسبحون الله تعالى
ويحمدهونه ثم قالوا له نسمو دعك الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته وحفظك وحفظ ملائكتك
ونعذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفي الله
أنفسهم وقام الملك تندوسيس اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من
ذهب فلما أُنسى ونام أتوا في المنام وقالوا له انال فخاق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من تراب
والى التراب نصير فانزكنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك

حينئذ يتأبوت من ساج فجعلوا فيه وجيبهم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم. وقيل إن تخليج الما جل الى الملك الصالح قال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكرا أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكرا منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن قسمة فقد وافي الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالروح فنظر في أسمائهم فاذا اسمه مكتوب في ذكر أسماء الآخرين فقال تخليجناهم أصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب هو ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تخليجنا دعوني حتى أدخل على أصحابي وأبشرهم فانهم ان رأوكم معي أربعتهم فدخل فبشرهم فقبضت روحه وأرواحهم وأغنى على الملك وأصحابه انهم فلم يمتدوا عليهم * ثم وقع التنازع في أمرهم بين أهل المدينة كما قال تعالى (اذيتنا زعون) أي أهل المدينة (بينهم أمرهم) أي أمر القسمة في البناء حولهم (فقالوا) أي الكفار (ابنوا عليهم) أي حولهم (بنينا) يستريحهم فانهم كانوا على ديننا وقوله تعالى (ربهم أعلم بهم) يجوز أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام المتنازعين فيهم (قال الذين غلبوا على أمرهم) أي أمر القسمة وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) أي حولهم (مسجدا) يصلي فيه وفعل ذلك على باب الكهف وقيل إن بعضهم قال الأولى أن نستد باب الكهف عليهم لئلا يدخل أحد عليهم ولا يقف على أحوالهم انسان وقال الآخرون بل الأولى أن نبني على باب الكهف مسجدا وهذا القول يدل على أن أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله ومعترفين بالعبادة والصلاة وقيل تنازعوا في مقدار مكنتهم وقيل في عددهم وأسمائهم * (تنبيه) * بنينا يجوز أن يكون مقعولا به جمع بنيانه وأن يكون مصدرا * ولما ذكر أصحاب الكهف عند النبي صلى الله عليه وسلم وقع الاختلاف في عددهم كما قال تعالى (سيقولون) أي الخائضون في قصتهم من أهل الكتاب والمؤمنين فقال بعض أهل الكتاب (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة رجال ورابعهم كلهم بانضمامهم اليهم (ويقولون) أي بعضهم (خسة سادسهم كلهم) فهذان القولان لنصارى فخران. وقيل الأول قول اليهود والثاني قول النصارى (فان قيل) لم جاءت سبعين الاستقبال في الأول دون الآخرين (أجيب) بأن في ذلك وجهين أن تدخل الآخرين في حكم السبعين كما تقول قد اكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له * ولما كان قولهم ذلك بغير علم كان (رجبا بالغيب) أي ظنا في الغيبة عنهم فهو راجع الى القولين معا ونصب على المفعول له أي الظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون (سبعة وثامنهم كلهم) قال أ- كثر المفسرين هذا الأخير هو الحق ويدل عليه وجوه الأول أنه تعالى لما حكى قوله يقولون سبعة وثامنهم كلهم قال بعده (قل رب أعلم بعتهم ما يعلمهم الا قليل) وأتبع القولين الأولين بقوله تعالى رجبا بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الأولان وأن يكون القول الثالث مخالفا لهما في كونه رجبا بالغيب الوجه الثاني أن الواو في قوله تعالى وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للشيء كما تدخل على الواقعة حالا من المعرفة في نحو

قولك جاءني رجل ومعه آخر توكد للصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها
 أمر ثابت مستقر فكانت هذه الواو الدالة على أن الذين كانوا في الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلهم
 وقول محمد بن اسحق انهم كانوا ثمانية مردود فكأن الله تعالى حكى اختلافهم وتم الكلام عند
 قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله تعالى وثامنهم كلهم والثامن لا يكون الا بعد
 السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لأن العرب تعد فتقول واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة
 ستة سبعة وثمانية لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظير هذه الآية في
 ثلاث آيات وهو قوله تعالى والثاهون عن المنكر وقوله تعالى ثبات وأبكارا قال القفال وقولهم
 لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وقوله تعالى ثبات وأبكارا قال القفال وقولهم
 واو الثمانية ليس بشئ يدل على قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
 المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن اه وقد يجاب بأن ذلك جرى على
 الغالب الوجه الثالث أنه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي أنه حصل العلم بعدتهم لذلك
 القليل وكان ابن عباس يقول أنا من أولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلهم
 وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول كانوا سبعة قال الرازي وأسماء وهم ثلثنا مكشطينا مشطينا
 وهؤلاء الثلاثة كانوا أصحاب عيين الملك وعن يساره من نوح ودبر نوح وشاذنوش وكان الملك
 يستشير هؤلاء الستة ليتصرفوا في مهماته والسابع كسقططوش وهو الراعي الذي وافقهم لما
 هربوا من ملكهم وروى عن ابن عباس انه قال هم مكشطينا وثلثنا ومرطونس ويدنونس
 ودونواقس وكسقططونس وهو الراعي واسم كلهم قطمير واسم مدينتهم أقبوس * (تنبيه) *
 في الآية حذف والتقدير يقولون هم ثلاثة كما تقدم تقديره حذف المبتدأ الدالة الكلام عليه
 وقيل الاقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم أي ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على
 الظن * ثم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أسعها بأن ينهي رسوله صلى الله عليه وسلم عن شيئين عن
 المراءى وعن الاستمقاء أما النهي عن المراءى بقوله تعالى (فلا تمراء) أي تجادل (فيهم) أي في شأن
 القضية (الامراء) أي جدد الا (ظاهرا) أي غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن
 من غير أن تكذبهم في تعيين ذلك العدد ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي
 أحسن وأما النهي عن الاستمقاء فقوله تعالى (ولا تستمق فيهم) أي ولا تسأل (منهم) أي من
 أهل الكتاب اليهود (أحدا) عن قصتهم سؤال مسترشد لانه لما ثبت أنه ليس عندهم علم في هذا
 الباب وجب المنع من استمقائهم وفيما أوحى اليك مندوحة عن غيره ولا سؤال متعنت تريد
 تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يحل بمكارم الاخلاق * ولما سأل أهل مكة عن خبر أهل
 الكهف فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعلم أخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه
 خمسة عشر يوما وفي رواية أخرى أربعين يوما نزل (ولا تقولن لشيء) أي لاجل شيء تعزم عليه
 (اني فاعل ذلك) الشيء (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا أن يشاء الله)
 أي الا متلبسا بعشيئته بأن تقول ان شاء الله والسبب في ذلك ان الانسان اذا قال سأفعل الفعل

الفلاني غدا لم يبعده ان يموت قبل محجي الغد ولم يبعده ايضا ان بقي حيا ان يبعده عن ذلك الفعل سائر
 العوائق فاذا لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفرد لا يليق بالانبياء عليهم
 الصلاة والسلام فهذا السبب وجب عليه ان يقول ان شاء الله حتى اذا تعذر عليه الوفاء بذلك
 الوعد لم يصمر كاذبا ولم يحصل التسفير * (تنبيه) * قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لامرأته
 أنت طالق ان شاء الله لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئته تعالى لم يقع
 عليه الطلاق الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشئته الله تعالى غيب لا سنيل لنا الى العلم بحصولها
 الا اذا علمنا ان متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة الا اذا وقع
 الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفت المشيئة فيستوقف العلم بكل واحد منهما على العلم
 بالآخر وهو دور فلهذا لا يقع الطلاق وقبل المراد الا ان يشاء الله أي الآن يأذن لك الله تعالى
 في ذلك القول والمعنى أنه ليس لك أن تخبر عن نفسك بأنك تفعل الفعل الفلاني الآن يأذن لك
 الله تعالى في ذلك الاخبار وقد احتج القائلون بأن المعدوم شيء بهذه الآية لان الشيء الذي
 سبق له عند معدوم في الحال فوجب تسمية المعدوم بأنه شيء (وأجيب) بأن هذا الاستدلال
 لا يفيد الا ان المعدوم يسمى بكونه شيئا وعندنا ان السبب فيما يصير شيئا يجوز تسميته بكونه
 شيئا في الحال كما قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه والمراد بما أتى أمر الله واختلف في معنى
 قوله تعالى (واذ كر ربك اذ انسيت) فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء
 ثم ذكرت فاستثنى وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكر الا بعد مدة طويلة
 ثم ذكر ان شاء الله كفي في رفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد سنة أو شهر أو أسبوع أو يوم وعن
 طاوس لا يقدر على الاستثناء الا في مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند
 عامة الفقهاء انه لا أثر له في الكلام ما لم يكن موصولا واحتج ابن عباس بأن قوله اذا نسيت غير
 مختص بوقت غير معين بل هو متناول لكل الاوقات وظاهره ان الاستثناء لا يجب أن يكون
 متصلا أما عامة الفقهاء فقالوا الوجه في ذلك للزم أن لا يستقر شيء من العقود والايان يحكي ان
 المنصور بلغه ان أباحنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المتفصل فاستحضره لينكر عليه فقال
 له الامام أبو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايان أترضى أن يخرجوا من عندك
 فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه واستدل بأن الآيات
 الكثيرة دللت على وجوب الوفاء بالعقد والعهد قال تعالى أوفوا بالعقود وقال تعالى وأوفوا
 بالعهد فاذا أوفوا بالعقد والعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه لاجل هذه الآيات خالفنا الدليل
 فيما اذا كان الاستثناء متصلا لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل أن
 الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فجملة الكلام كالكلمة
 الواحدة المفيدة فاذا لم يكن متصلا أفاد الالتزام التام فوجب الوفاء بذلك الملتزم وقيل ان
 قوله تعالى واذا كر ربك اذ انسيت كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله قال عكرمة واذا كر ربك اذا
 غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب وقال

الضمالة والسدى هـ ذاق الصلاة المنسية قال الرازي وتعلق هذا الكلام بمقابله بشيئا تمام
 الكلام في هذه القصة وجعله مستأنفا يصير الكلام مبتدأ منقطعاً وذلك لا يجوز وفي قوله تعالى
 (وقل عسى أن يهدين ربّي لا تقرب من هذا رشداً) وجوه الأول أن يكون قوله تعالى إلا أن يشاء
 الله ليس يحسن تركه وذكره أولى من تركه وهو قوله لا تقرب من هـ ذار شدا والمراد منه ذكر هذه
 الجملة الثاني أنه لما وعدهم بشيئ وقال معه إن شاء الله فيقول وعسى أن يهدين ربّي لشيئ
 أحسن وأكمل مما وعدتكم به الثالث أن قوله عسى أن يهدين ربّي لا تقرب من هـ ذار شدا
 إشارة إلى قصة أصحاب الكهف أي لعل الله يوفقني من البينات والدلائل على صحة نبوتي
 وصديقي ادعاء النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من قصة أصحاب الكهف وقد فعل
 الله تعالى ذلك حين آتاه من قصص الأنبياء والأخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك * ثم شرع
 تعالى في آية هي آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى (ولبثوا في كهفهم
 أي نياماً ثلثمائة) أي مائة ثلثمائة (سنين) قال بعضهم وهذه السنين الثلاث مائة عند أهل
 الكتاب شمسية وترتيد القمرية عليهم تسع سنين. وقد ذكرت في قوله (وازدادوا تسعاً) أي تسع
 سنين لأن التفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية ترتيد
 على السنة القمرية عشرة أيام واحد وعشرين ساعة وخمس ساعة فالثلثمائة سنة شمسية
 ثلثمائة وتسع قمرية قال الرازي وهذا مشكل لأنه لا يصح بالحساب هـ هذا القول وعسى أن
 أن يقال لعلهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم
 في النوم بعد ذلك تسع سنين وقرأ جزء والكسافي بغير تنوين في الوصل واللبث قون بالتنوين
 فسنين عطف بيان لثلثمائة لأنه لما قال ولبثوا في كهفهم ثلثمائة لم يعرف أنها أيام أو شهور
 أو سنون فلما قال سنين صار هذا بياناً لقوله ثلثمائة فكان ذلك عطف بيان له وقيل هو على التقديم
 والتأخير أي لبثوا سنين ثلثمائة وأما وجه القراءة الأولى فهو أن الواجب في الإضافة أن يقال
 ثلثمائة سنة لأنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى بالأخسرين أعمالاً
 وحذف حيز تسع لدلالة ما تقدم عليه إذ لا يقال عندى ثلثمائة درهم وتسعة الأوانت تعني تسعة
 دراهم ولو أردت ميباً أو نحوها لم يجوز لأنه الغار ثم إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم إذا
 نازعوه في مدة لبثهم في الكهف بقوله تعالى (قل الله أعلم بما لبثوا) أي فهو أعلم منكم وقد أخبر
 مدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو
 اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنين وازدادوا تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك
 وقال الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله (له غيب السموات
 والأرض) أي ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها ما غاب عن إدراكك والله عز
 ذكره لا يغيب عن إدراكه شيء فيكون عالماً بهذه الواقعة لا محالة وقوله تعالى (أبصر به وأسمع)
 كلمة تذكر في التعجب أي ما أبصر الله تعالى بكل موجود وما أسمع بكل مسموع (مالهم) أي
 أهل السموات والأرض (من دونه) أي الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشر لنا في حكمه) أي في

قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا لانه غنى بذاته عن كل أحد وقيل الحكم هنا علم الغيب أي لا يشرك في علم غيبه أحدا. وقرأ ابن غاهر بالثناة فوق قبل الشين ويسكون الكاف على نهى كل أحد عن الاشرار والباقون بالتحفة وضمة الكاف * (تنبيه) * احتج أصحابنا رحمهم الله تعالى بهذه القصة على صحة القول بالكرامة للاولياء وقد قدمنا معرفة الولي في سورة يونس عند قوله تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فمما يدل على جواز كرامات الاولياء القرآن والاخبار والآثار والمعقول أما القرآن فالمعتمد فيه عندنا آيات الحجاة الاولى قصة مريم عليها السلام وقد شرحناها في سورة آل عمران فلانعدها الحجاة الثانية قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم في النوم سائمين من الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأن الله تعالى كان يعصمهم من خزا الشمس ومن الناس من تمسك أيضا في هذه المسئلة بقوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك علي أنه غير السيد سليمان والسيد جبريل وأما الاخبار فكثيرة منها ما أخرج في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يتكلم في المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي في زمن جريج وصبي آخر أما عيسى فقد عرفوه وأما جريج فكان رجلا عبدا في بني اسرائيل وكانت له أمة فكان يوما يصلي اذا شافت اليه أمة فقالت يا جريج فقال يا رب أمتي وصلاتي الصلاة خير أم رؤيتي أتم يصلي فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى تم ثلاث مرات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمة فقالت اللهم لا تمته حتى تريه الموصات وكانت زانية في بني اسرائيل فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يرنى بي فأتمته فلم تذكر على شيء وكان هناك راع يأوى بالليل الى صومعته فلما أعياها جريج راودت الراعي على نفسها فافانها فولدت ثم قالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشقوه ثم نحس الغلام قال أبو هريرة كآني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك فقال الراعي فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا بني لك صود عتسك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبي الآخر فكان امرأة كان معها صبي لها تزوجه اذ مرت به اشاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امرأة ذكرها أنها سرق وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمة في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله وان هذه قيل لها زنت ولم ترن وقيل لها سرق ولم تسرق وهي تقول حسبي الله فأحبت أن أكون مثلها ومنها خبر الغار وهو مشهور في الصحيح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رجال من كان قبلكم فأواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار وقد ذكرت ذلك عند قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق من شيء وثي فبقيا يقسم به على الله تعالى ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل

يسوق بقرة قد حمل عليها التمتت البقرة. وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال
الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت بهذا وأبو بكر وعمر ومنهم اماروى
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل سمع رجدا أو صوتا في السحاب ان
اسق حديقة فلان قال فعدت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان
ابن فلان قلت فما صنعت بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا
في السحاب أن اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني اجعلها أثلاثا فاجعل لنفسى ولاهلى
ثلاثا واجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا وأما الأثلاث فكثيرة أيضا ولنبدأ
منها ببعض ما نقل انه ظهر على يد الخلفاء الراشدين من الكرامات ثم ببعض ما ظهر على يد بعض
الصحابه اما أبو بكر رضى الله تعالى عنه فنكراماته أنه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله
عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالبواب فاذا بالبواب قد فتح واذا هم اتف
بهتف من القبر أدخلوا الحبيب الى الحبيب وأما عمر رضى الله تعالى عنه فقد ظهرت أنواع
كثيرة من كراماته النوع الاول ما روى أنه لما بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن
الحصين فبينما هم يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال
على بن أبي طالب رضى الله عنه كتب تاريخ هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال
يا أمير المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل
فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزم الله تعالى الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت
قال الرازي قلت سمعت بعض المذكرين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه
قال لا بى بكر وعمر أتنامنى بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه
وسلم لاجرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم النوع الثانى ما روى أن نبل مصر كان
في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة فكان لا يجرى حتى تلقى فيه جارية حسناء فلما جاء
الاسلام كتب عمرو بن العاص الى عمر فكتب عمر على خرقه أيها النيل ان كنت تجرى بأمر الله
فاجروا ان كنت انما تجرى بأمرى لأحاجة بنا اليك فألقيت تلك الخرقه في النيل فجرى ولم يقف
بعد ذلك النوع الثالث لما وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر بالدرة على الارض وقال
أسكني ياذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك الوقت النوع الرابع وقعت النار
في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقه يا نار اسكني ياذن الله فأقوها في النار فانطفت
في الحال النوع الخامس ما روى أن رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره فظن أن داره
مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وانما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى
عمر وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال أهل المشرق والمغرب
يحافون هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه ان وجدته خاليا فقتله وأخلص
الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله تعالى من الأرض أسدين قصصهما تخاف وألقى السيف
من يده واتبعه عمر ولم ير شيئا فسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم قال الرازي وأقول هذه

الواقعة رويت بالاحاد و هي ما هو معلوم بالتواتر و هو انه مع بعده عن زينة الدنيا و احترازه
عن التكلفات و التهور يلات ساس الشرق و الغرب و غلب الممالك و الدول و لو تظرت في كتب
التواريخ علمت انه لم يتفق لاحد من اول عهد عمر الى الان ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن
التكلفات كيف قدر على تلك السياسات و لاشك ان هذا من اعظم الكرامات و اما عثمان
رضي الله تعالى عنه فاشياء كثيرة منها ما روى عن انس قال سرت في الطريق ف وقعت عيني
على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالي اراكم تدخلون على و انار الزنا ظاهرة عليكم فقلت
اجاء الوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة و منها انه لما طعن
بالسيف فاقول قطرة من دمه سقطت و وقعت على المصحف على قوله تعالى فيسكبكم الله و هو
الجميع العليم و منها ان جهاجها الغفاري انتزع العصا من يد عثمان فكسرها على ركبته
ف وقعت الاكلة في ركبته و اما على رضي الله تعالى عنه فاشياء كثيرة ايضا منها ما روى ان واحدا
من محبيه سرق و كان عبدا اسود فاقى به الى على فقال اسرق فقال بلى فقطع يده فانصرف من
عنده على فلقه سلمان الفارسي و ابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك فقال له امير المؤمنين
و يعسوب المسلمين و خاتم الرسول و زوج البتول فقال له سلمان قطع يدك و غدر حسه فقال ولم
لا امدح حسه و قد قطع يدي بحق و خلاصني من النار فسمع سلمان ذلك ف اخبر به عليا فدعا الاسود
و وضع يده على ساعده و غطاه بعمديل و دعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد
فرفعناه فاذا اليد قد برئت و اما ما روى عن بعض الصحابة فشي كثير و نذكر منها شيئا قليلا منها
ما روى محمد بن المنكدر عن سفينة قال ركبت البحر فانكسرت سفيني التي كنت فيها و ركب
لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في خيصة فيها أسد فخرج الاسد الى يريدني فقلت
يا ابا الحرث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم الاسد الى و داني على الطريق
ثم همهم فظننت انه يريدني و رجعت و منها ما روى ثابت عن انس ان اسيدا من حضير و رجلا
آخر من الانصار تجذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل
زمان ثم خرجا من عنده و كانت الليلة شديدة الظلمة و كان في يد كل واحد منهما عصا فاضاعت
عصا احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقت بينهما الطريق اضاءت للآخر عصاه ففشي
حتى بلغ منزله و منها ما روى انه قيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه
ليلة فطاف بالعسكر فلقي رجلا على فرس و معه خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله
خلا فذهب الرجل الى صحابه فقال اتيتكم بخمر ما شرب العرب مثله فلما فتحوا فاذا هو خل
فقالوا والله ما جئنا الا بخل فقال والله هذا دعا خالد و منها الواقعة المشهورة و هي ان خالد بن
الوليد اكل ككفان السم على اسم الله و ما شربه و منها ما روى ان ابن عمر كان في بعض
اسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال
انما يسايط على ابن آدم ما يخافه و لو انه لم يخف غير الله لما ساط عليه شي و منها ما روى ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الخفري في غزاة فجال بينهم و بين المطلوب قطعة من البحر فدعا

باسم الله الاعظم ومشوا على الماء. وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن الحد والخصر فمن أرادها طالعها. وأما الدلائل العقلية على جواز الكرامات فمن وجوه الأول أنه صلى الله عليه وسلم قال جا يكعن رب العزة من أذى لي ولما فقد بارزته بالمحاربة فجعل أيداء الولي قائما مقام أيدائه وتأكد هذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني استسقيتني فاستطعمتك فمأطعمتني فيقول يا رب كيف أفعل هذا وأنت رب العالمين فيقول إن عبدني فلا تضره فلم تعده فأما علمت أنك لو عدته لوجدت ذلك عندني وكذا في السقي والإطعام فدللت هذه الأخبار على أن أولياء الله يبلغون هذه الدرجات العالية والمراتب الشريفة فإذا جاز اتصال العبد إلى هذه الدرجات فأى بعد أن يعطيه الله تعالى كسرة خبز أو جرعة ماء أو يسخر له كلبا أو دودة الوجه الثاني أنه صلى الله عليه وسلم قال عن رب العزة ما تقرب إلى عبدني بمثل أداء ما افترض عليه ولا يزال يتقرب إلى بالتواقل حتى أحبه فإذا أحبيته كنت له سمعا وبصرا وقلبا ولسانا ويذا ورجلا فيسمع وبني يصروبي ينطق وبني عيشي وهذا الخبر يدل على أنه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله تعالى لما قال أنا سمعه وأنا بصره وهذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع وإعطاء عنقود من العنب أو شربة من الماء فلما أوصل برحمته عبده إلى هذه الدرجات العالية فأى بعد في أن يعطيه رغبيا واحدا أو شربة من الماء في مقابلة الوجه الثالث لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك أمرا لاجل أن الله تعالى ليس أهلا لأن يفعل مثل هذا الفعل أو لاجل أن المؤمن ليس أهلا لأن يعطيه الله هذه العطية والأول قدح في قدرة الله تعالى وهو كفر والثاني باطل فإن معرفة الله تعالى ومحبيته وطاعته والمواظبة على ذكر تقديسه وتعبده وتهليله أشرف من إعطاء رغب واحد في مقابلة وتسخير حية أو أسد فان إعطاءه المحبة والذكر والشكر من غير سؤال أولى من أن يعطيه شربة ماء في مقابلة فأى بعد فيه واحتج المنكر للكرامات بوجوه الأول أن ظهور الفعل الخارج للعادة جعله الله تعالى دليلا على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة الوجه الثاني أن الله تعالى قال وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس والقول بأن الولي ينتقل من بلد إلى بلد بعيد لا على هذا الوجه طعن في هذه الآية وأيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة إلى المدينة إلا في أيام كثيرة مع التعب الشديد فكيف يعقل أن يقال إن الولي ينتقل من بلد نفسه إلى الحج في اليوم الواحد الوجه الثالث أن هذا الولي الذي يظهر عليه الكرامات إذا ادعى على إنسان درهما واحدا فهل يطلب باليمين أم لا فان طالع البناهم سا كان عبثا لأن ظهور الكرامة عليه يدل على أنه لا يكذب ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظني وإن لم يطالب بها فقد تركز قوله صلى الله عليه وسلم المينة على المدعى فهذا يدل على أن القول بالكرامة باطل. وأجيب عن الأول بأن الناس اختلفوا هل يجوز للولي دعوى الولاية فقال قوم من المحققين أنه لا يجوز فعلى هذا الفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تكون مسبوبة بدعوى النبوة والكرامة لا تكون مسبوبة بدعوى

بدعى الولاية وعلى القول بالجواز الفرق بينهما أن النبي يدعى المعجزة ويقطع بها والولى إذا
 ادعى الكرامة لا يقطع بها لأن المعجز يجب ظهوره والكرامة لا يجب ظهورها وأجيب عن
 الثانى بأن قوله تعالى ويحمل انقالكم الى آخره محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء
 أحوال نادرة قصيرة المستثنيات من ذلك العموم المتعارف وأجيب عن الثالث بأن التمسك
 بالامور النادرة لا يعول عليه في الشرع فلا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم البينة على
 المدعى ومع هذا فصاحب الكرامة يجب عليه أن يكون خائفا وجلال هذا قال المحققون أكثر
 ما حصل الانقطاع عن حضرة الله انما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون
 من الكرامات كما يخافون من أشد أنواع البلاء والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة
 قاطع عن الطريق وجوه الاول أن الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه وتعالى فالفرح
 بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح
 والسرور الوجه الثانى أن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل
 لعمله وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عظيم في قلبه كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم أن كل
 طاعات الخلق في جنب جلالة تقصير وكل شكر في جنب آلاله ونعمائه قصور وكل معارفهم
 وعلومهم فهى في مقابلة عزته حيرة وجهل وجدت في بعض الكتب أنه قرئ في مجلس الاستاذ
 أبى على الدقاق قوله تعالى اليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة أن
 الحق رفع عملك أن لا يبقى عندك مرتبة في عملك في نظرك فان بقي عملك في نظرك فهو غير مرفوع
 وان لم يبق عملك في نظرك فهو مرفوع مقبول الوجه الثالث أن صاحب الكرامة انما
 وجد الكرامة لاظهار الذل والتضرع في حضرة الله تعالى فاذا ارفع وتكبر وتجبى بسبب
 الكرامات فقد يبطل ما به وصل الى الكرامات فهذا طريق يؤدى بثبوته الى عدمه فكان
 مردودا ولهذا المعنى لما ذكر صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل
 واحد منها ولا تغرأى لا تغرأى هذه الكرامات وانما أغر بالمكرم والمعطى الوجه الرابع أنه
 تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى ويدعوننا رغبا وأى في ثوابنا ورغبا أى من عذابنا وقيل
 رغبا في صالنا ورغبا من عذابنا قال بعض المحققين والاحسن أن يقال رغبا في صالنا ورغبا من عذابنا
 هذا القدر كفاية لا ولي الالباب جعلنا الله تعالى وأحبنا من أهل ولايته بحمد صلى الله
 عليه وسلم وآله وصحبه * ثم لم يبدل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انهم امن
 المغيبات بالاضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه وحى معجز أمره أن يداوم درسه ولازم
 أصحابه بقوله تعالى (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) أى القرآن واتبع ما فيه واعمل بما فيه
 (لا تبدل كلماته) أى لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره وقال بعضهم مقتضى هذا أن
 لا يتطرق النسخ اليه وأجاب بأن النسخ في الحقيقة ليس تبديلا لأن المنسوخ ثابت في وقته الى
 وقت طر بان النسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وهذا الاحتجاج اليه مع التفسير
 المذكور (ولن نجد من دونك) أى الله (ملتصدا) أى ملجأ في البيان والارشاد وقيل ان لم تتبع

القرآن * ونزل في عينة بن حصن الفزاري لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده
 جماعة من الفقراء فيهم سلمان الفارسي وعليه ثوب قد عرق فيها ويده خوص يشقه ثم يسجبه
 فقال له أما يؤذيك ریح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من
 اتباع هؤلاء أي كما قال قوم نوح أتؤمن لك وتبعك الأرض لو نفضهم حتى تتبعك أو جعل لنا
 مجلسا واجعل لهم مجلسا (واصبر نفسك) أي احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم) ونظير هذه
 الآية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
 يريدون وجهه ففي تلك الآية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية
 أمره بمجالستهم والمصاهرة معهم وفي قوله تعالى (بالغداة والعشي) وجوه الأول أنهم هم
 مواظبون على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لقلان عمل بالغداة والعشي
 الاستم الناس الثاني المراد صلاة الفجر والعصر الثالث أن المراد الغداة وهو الوقت
 الذي ينتقل فيه الانسان من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبهه بالانتقال من الموت الى
 الحياة والعشي هو الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من الحياة الى الموت وعن اليقظة الى النوم
 والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكرك لله تعالى عظيم الشكر لا لاء الله ونعمائه
 وقرأ ابن عامر بضم الغين المعجمة وسكون الدال وبعد ها واو مفتوحة والباقون بفتح الغين
 والدال وألف بعد ها والرسم في المنصف بالواو وهنا وفي سورة الانعام (يريدون) بعبادتهم
 (وجهه) تعالى أي رضاه وطاعته لاشياء من اعراض الدنيا (ولا تعد) أي تنصرف
 (عنك عنهم) الى غيرهم وعبر بالعين عن صاحبها انتهى صلى الله عليه وسلم أن يصرف بصره
 ونفسه عنهم لاجل رغبته في مجالسة الاغنياء لعلمهم يؤمنون وقوله تعالى (تريد زينة الحياة
 الدنيا) في موضع الحال أي انك ان فعلت ذلك لم تكن اقدامك عليه الارغبتك في زينة الحياة
 الدنيا ولما بالغ تعالى في أمره في مجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات الى
 أقوال الاغنياء والمتكبرين بقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه
 غافلا عن ذكرنا أي عينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أي في طلب الشهوات
 (وكان أمره فرطا) أي اسرافا وباطلا وهذا يدل على أن أشر أحوال الانسان أن يكون قلبه
 خالبا عن ذكر الحق ويكون مملوئا من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق لأن ذكر الله تعالى
 نور وذكر غيره ظلمة لأن الوجود طبيعة النور والعدم منبع الظلمة والحق تعالى واجب الوجود
 لذاته فكان النور الحق هو الله تعالى وما سواه فهو ممكن الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية
 فكان منبع الظلمة فالقلب اذا أشرق فيه ذكر الله تعالى فقد حصل فيه النور والضوء والاشراق
 واذا توجه القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب اذا أعرض
 القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة والاعراض عن الحق هو المراد
 بقوله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله تعالى واتبع هواه روى
 أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت جالسا في عصاة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم

ليستريح بعض من العرى وقارى يقرأ من القرآن بخاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 ما الذى كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من القرآن ونحن نسبح فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسى معهم ثم جلس
 وسطنا وقال أبشروا يا صاعليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة فقد خولون الجنة قبل الاغنيا
 بعد ارخسها نة سبعة * ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لا يلتفت الى أولئك
 الاغنيا الذين قالوا ان طردت الفقراء آمنابك قال تعالى بعده (وقل الحق) أى وقل اهؤلاء
 وغيرهم هذا الذى جنتكم به فى أمر أهل المكيف وغيرهم من هذا الوجه العربى المعرى عن
 العوج الظاهر الابعاز الباهر الخج الحق كائنا (من ربكم) المحسن اليكم فى أمر أهل المكيف
 وغيرهم من صبر نفسى مع المؤمنين والاعراض عن سواهم وغير ذلك لا ماقوله فى أمر عدم
 ويجوز أن يكون الحق مبتدأ وخبره الجار بعده (فمن شاء) أى منكم ومن غيركم (فليؤمن) بهذا
 الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم فهو قبول مرغوب فيه وان كان فقير ارث الهيشة ولم ينفع
 الانفسه (ومن شاء) منكم ومن غيركم (فليكفر) فهو أهل لان يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان
 كان أغنى الناس وأحسنهم هيئة وان تعاطفت هيئة وهذا لا يقتضى استتلال العبد بفعله كما
 تقول المعتزلة فعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله له الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر
 ونقل عن غلى رضى الله عنه أنه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد أى فهى كقوله تعالى اعملوا
 ما شئتم فان الله تعالى لا ينفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين بل ينفع الايمان يعود
 على المؤمن وضرر الكفر يعود على الكافر كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان
 أسأتم فلها * ولما هدد السامعين بما حصل ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده عند الله أنه به
 بذلك الوعيد والافعال الباطلة وبذكر الوعد على الايمان والاعمال الصالحة أما الوعيد بقوله
 تعالى (انا أعمدنا) أى هيا بنا بما لنا من العظمة والقدرة (لظالمين) أى لمن أنف عن قبول الحق
 لاجل ان الذين قبلوه فقرأوه ما كين وكذا كل من لم يؤمن (نارا) وهى الجحيم ثم وصف الله
 تعالى تلك النار بصفتين الاولى قوله تعالى (أحاط بهم) كاهم (سرادقها) أى فسقاطها شبه به
 ما يحيط بهم من النار وقيل هو الحجر التى تكون حول القسقاط وقيل حائط من نار والمراد أنه
 لا يخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هى محيطة من كل
 الجوانب وقيل هو دخان يغشاهم قبل دخولهم النار يحيط بهم كالسرادق حول القسقاط
 الصفة الثانية قوله تعالى (وان يستغيثوا) أى يطلبوا الغوث (يقاوا جماء) ووصف هذا الماء
 بصفتين الاولى قوله تعالى (كالمهل) وهو كفى حديث مرفوع دردى الزيت وعن ابن مسعود
 انه دخل بيت المال وأخرج نقاعة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلاأت ثم قال هذا هو
 المهل وقال أبو عبيدة والاحفش كل شئ أذنته من نحاس أو ذهب أو فضة فهو المهل وقيل انه
 الصديد والقيح وقيل انه ضرب من القطران ثم يحتمل أن تكون هذه الاستغاثه لانهم طلبوا ماء
 للشراب فيعطون هذا المهل قال تعالى تصلى نار اخامية تسقى من عين آية ويحتمل أن يستغيثوا

من حرجهم فيطلبوا ما يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاية عنهم
 أفغوا علينا من الماء وقال تعالى في آية أخرى سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار
 فاذا استغاثوا من حرجهم صب عليهم القطران الذي يعمر كل أبدانهم كالقميص والصفة
 الثانية للماء قوله تعالى (يشوى لوجوه) أى اذا قرب الى القم لشرب فكيف بالقم والجوف ثم
 وصل تعالى بذلك ذمه فقال تعالى (بشر الشراب) أى ذلك الماء الذى هو كالمهل لان المقصود
 من شرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احراق الانسان مبلغا عظيما ثم عطف عليه ذم
 النار المعذبة لهم بقوله تعالى (وساءت) أى النار وقوله تعالى (مرتفقا) تمييز نقول من الفاعل
 أى قبح مرتفعها وهو مقابل لقوله تعالى الآتى في الجنة وحسن مرتفقا والافأى ارتفاق
 فى النار * ولما ذكر تعالى وعيد المبطلين أردفه بوعيد المحقين فقال تعالى (ان الذين آمنوا)
 ولما كان الايمان هو الاذعان للاوامر عطف عليه ما يحقق ذلك بقوله تعالى (وعملوا الصالحات)
 ثم عظم جزاءهم بقوله تعالى (اننا لنضيع) أى نوجه من الوجوه (أجر من أحسن عملا) وهذه
 الجملة خبران الذين وفيها اقامة الظاهر مقام المفعول والمعنى أجرهم أى شيعهم بما تضمنه (أولئك
 لهم جنات عدن) أى اقامة فكأنه قيل فما لهم فيها فقيل (تجربى من تحتهم) أى من تحت
 منازلهم (الأنهار) وذلك لان أفضل المساكن ما كان تجري فيه الأنهار والماء فكانه قيل
 ثم ماذا فقيل (يحملون فيها) وبخى الفعل للمجهول لان المقصود وجود التحلية وهى لذتها
 انما يوقى بها من الغيب فضلا من الله تعالى * ولما كانت نعم الله لا تحصى نوعا قال تعالى
 مبعضا (من أساور) جمع اسورة كاحرة جمع سوار كإيلس ذلك ملوك الديان من جبابرة الكفرة
 فى بعض الاقاليم كأهل فارس وقيل من زائدة وقيل للابنداء ومن فى قوله تعالى (من ذهب)
 للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم جنبها عن الاحاطة به وقيل للتبعيض * ولما كان
 اللباس جزاء العمل فكان موجودا عندهم أسند الفعل اليهم فقال (ويلبسون ثيابا خضرا)
 لان الخضرة أحسن الالوان وأكثر حلاوة ثم وصفها بقوله تعالى (من سندس) وهو ما رزق
 من الدياج (واس تبرق) وهو ما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما نشتهى
 النفس وتلذذ العين وفى آية أخرى بطائنها من استبرق فيكون الغليظ بطانة للرقيق ثم استأنف
 الوصف عن حال جلوسهم فيها بأنه جلوس الملوك المتكئين من النعيم فقال تعالى (يمتكن فيها)
 أى لانهم فى غاية الراحة (على الارائث) جمع أربكة وهى الدمرى فى الجنة وهى بيت يزين
 بالثياب والستور للعروس ثم مدح هذا بقوله تعالى (نعم الثواب) أى الجزاء الجنة لولم يكن لهم
 وصف غير ما سمعتم فكيف ولها من الاوصاف ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى والى ذلك أشار
 بقوله تعالى (وحسن) أى الجنة كلها وبين ذلك بقوله تعالى (مرتفقا) أى مقرا ومرتفقا
 وجلسا ولما افتخر الكفار بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين بين الله تعالى أن ذلك مما
 لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا واما الذى يجب الافتخار به
 فطاعة الله تعالى وعبادته وهى حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور

بقوله تعالى (واضرب لهم) أى لهؤلاء الأغنياء المتجبرين الذين يستكبرون على المؤمنين
ويطلبون طردهم لضعفهم وفقيرهم (مثلاً) لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا واعتمدوا عليه
وركنوا إليه ولم يشكروا من آتاهم إياه عليه بل آذاهم إلى الافتخار والتكبر على من زوى ذلك
عنه أكرامه وصيانته عنه (رجلين) إلى آخر الآية واختلف في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين
من أهل مكة من بنى مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبد البليل وهما ابنا عبد الاسود بن عبد البليل وقيل
مثال العمينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبههم بـرجلين من بنى اسرائيل أخوين
أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل غليخا والاخر كافر واسمه فطرزوس
وقال وهب قطوف وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصفات وكانت قصتهم ما على ما حكى
عبد الله بن المبارك عن معمر بن عطاء الخراساني قال كانا رجلين شركين لهما ثمانية آلاف
دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسمها فاشتري أحدهما أرضاً
بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان تلاقدا اشتري أرضاً بألف دينار واني مشتر منك أرضاً في
الجنة بألف دينار فصدق بهما ثم ان صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان تلاقدا
بنى داراً بألف دينار واني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار فصدق بهما ثم تزوج
صاحبه امرأه فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب اليك من نساء الجنة
بألف دينار فصدق بهما ثم ان صاحبه اشترى خدماً ومات ما عا بألف دينار فقال هذا اللهم اني
اشترى خدماً ومات ما عا من الجنة بألف دينار فصدق بهما ثم أصابته حاجة شديدة فقال
لو أتيت صاحبي لعل ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في حشمة فقام إليه
فغظز إليه الآخر فعرفه فقال لفلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابني حاجة بعدك فأتيت
لتمعيني فخير قال فما فعل مالك وقد اقسمت اماً لا وأخذت شطره فنقص عليه قصته فقال وانك
لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده ورى انه لما أتاه أخذ يديه فجعل يطوف
به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما واضرب لهم مثلاً رجلين أى اذكر لهم خبر رجلين (جعلنا
لأحدهما جنتين) أى بستاتين يسر ما فيهما من الاشجار من يدخلهما (من أعناب) لانهم من
أشجار البساتين الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والنخل وغيرها
ثم انه تعالى وصف الجنتين بصفات الصفة الاولى قوله تعالى (وحققناهما) أى أطقناهما
من جوانبهما (بنخل) لانهم من أشجار البساتين الحارة وتصبر على الحر وعامنت عن الاعتاب
بعض أسباب العاغات وغيرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالنخل والنخل فكان النخل
كالاكيل من وراء العنب * (تنبيه) * الحفاف الجانب وجعه أحقة يقال أحف به القوم أى
أطافوا بجوانبه الصفة الثانية قوله تعالى (وجعلنا بينهما) أى أرضي الجنتين (زرعاً) لبعده
شمول الآفة لكل لأن زمان الزرع ومكانه غير زمان غمار الشجر ومكانه وذلك هو العمدة في
القوت فكانت الجنتان أرضاً جامعة لطير الفاكهة وأفضل الاقوات وعازتاهما متواصلتان

متشابهة لم يتوسطها ما يقطعها وما يفصل بينهما مع سعة الاطراف وتباعد الاكاف وحسن
 الهيئات والاصناف الصفة الثالثة قوله تعالى (كثما) أى كل واحدة من (الجنيتين) المذكورتين
 (آتت أكلها) أى ما يطلب منها ويؤكل من ثمر وجب كمالا غير منسوب شئ منهما الى نقص
 ولارداة وهو معنى (ولم تظلم) أى ولم تنقص (منه شيئا) يعهد في سائر البساتين فان الثمار
 تتم في عام وتنقص في عام غالبا والظلم النقصان تقول الرجل ظلمني حتى أى نقصني * (تنبيه) *
 كلا اسم مفرد معرفة يؤكده مذكرا معرفتان وكلتا اسم مفرد معرفة يؤكده مؤنثان
 معرفتان وانما اذا أضيف الى المظهر كانا بالالف في الاحوال الثلاثة كقولك جاءني كلا أخويك
 ورأيت كلا أخويك ومررت بكلا أخويك وجاءني كلنا أخيتك ورأيت كلتا أخيتك ومررت
 بكلتا أخيتك واذا أضيف الى المضمرة كانا بالرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول
 مع المضمرة بالالف في الاحوال الثلاثة أيضا فقوله تعالى آتت أكلها حمل على اللفظ لان كثما
 لفظ مفرد ولو قبل آتت على المعنى لجاز الصفة الرابعة قوله تعالى (وجرنا خلاهما نهرا) أى
 وسطهما ما بينهما ومنه قوله تعالى ولا وضعا خلا لكما ومنه يقال خلايت القوم أى دخلت
 القوم وذلك ليدوم شربهما ويسد غنا عن المطر عند القحط ويزيدهما أثرهما الصفة الخامسة
 قوله تعالى (وكان له) أى صاحب الجنيتين (ثمر) أى أنواع من المال سوى الجنيتين قال ابن
 عباس من ذهب وفضة وغير ذلك من أغرماله اذا كثروا عن مجاهد الذهب والفضة خاصة أى كان
 مع الجنيتين أشياء من الاموال ليكون متمكنا من العمارة بالاعوان والآلات وجميع ما يريد
 وقرأ أبو عمر وغيره ناعره الا تبيسكون الميم فيه ما بعد ضم الشاء المثلثة وقرأ عاصم بفتح
 المثلثة والميم فيهما والباقيون بضم المثلثة والميم فيهما ذكر أهل اللغة ان الضم أنواع المال
 من الذهب والفضة وغيره ما وبالفتح حمل الشجر قال قطرب وكان أبو عمرو بن العلاء يقول الثمر
 المال والولد وأنشد الحرث بن حازم

ولقد رأيت معاشرنا * قد أغرموا ما لا ورلدا

وقال النابغة مهلا فداء لك الاقوام كلهم * وما أغرم من مال ومن ولد

(فقال) أى هذا الكافر (لصاحبه) أى المسلم المجمعول مثلا للفقراء المؤمنين (وهو) أى صاحب
 الجنيتين (يحاورة) أى يراجع الكلام من حاريس وادرجع افتخار عليه وتقيها حاله بالنسبة
 اليه والمسلم يحاوره بالوعظ وتقيح الركون الى الدين (أنا) أكثر منك مالا لما ترى من جناتي
 وثماري وقرأ نافع بعد الف بعد النون والباقيون بالقصر هذا في الوصل وأما في الوقف فبالالف
 للجميع وسكن قالون وأبو عمرو والكسائي حاء وهو ضمهما الباقيون ورقق ورش راء يحاوره
 (وأعز نفرا) أى ناسا يقومون معي في المهمات وينفعون عند الضرورات لان ذلك لازم لكثرة
 المال غالبا وترى أكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بمثل هذا السننهم فان السنة
 أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ودخل الجنة) بصاحبه يطوف به فيها ويقاخره بها وأفرد
 الجنة لارادة الجنين ودلالة ما أفاده الكلام من أنه لا اتصالهما كالجنة الواحدة وإشارة

الى أنه لاجنة له غيرها لانه لاحظ له في الآخرة (وهو) أي والحال أنه (ظالم لنفسه) لاعتماده على ماله والاعراض عن ربه ثم استأنف بيان ظلمه بقوله تعالى (قال ما أظن أن تبديد) أي تبعدم (هذه) أي الجنة (أبدا) أطول أمه وتعدى غفلته واعتباره بجهله ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فأنكر البعث بقوله (وما أظن الساعة قائمة) أي كأنه استلذاذا بما هو فيه وإخلادا اليه واعتمادا عليه وقوله (ولئن رددت إلى ربي) المحسن إلى في هذه الدار في الساعة أقسام منه على أنه ان رد إلى ربه على سبيل القرض والتقدير وعلى ما يزعم صاحبه أن الساعة قائمة (لأجدن خيرا منها) أي من هذه الجنة (منقوبا) أي مرجعا لانه لم يعطى الجنة في الدنيا الا ليعطى في الآخرة أفضل منها قال ذلك طمعا وتمتعا على الله وادعاه لكرامته عليه ومكاته عنده وانه مأواه الجنة لا الاستحقاق والاستحقاقه واستثاله وأن معه هذا الاستحقاق أي بما توجه كقوله ان لي عنده الحسن لا وتين مالا وولدا (قال له صاحبه) أي المؤمن (وهو) أي والحال أن ذلك صاحب (يحاوره) أي يراجعه منكر عليه (أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك آدم من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) متولدة من أغذية أصلها تراب هي مادتك القرية (ثم سواك) أي عدلك بعد أن أولدك وطورك في أطوار الأنشاء (رجلا) أي كذلك انسانا ذكرا بالغامبلغ الرجال يجعل كفره بالبعث كفر بالله تعالى لأن منشأ الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك ترتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بد خلقه مرة قدر على أن يعيده منه ولما أنكر على صاحبه أخبر عن اعتقاده بما يصاد اعتقاد صاحبه فقال مؤكدا لاجل انكار صاحبه مستدركا لاجل كفرانه (سكأ) أصله لكن أنانقلت حركة الهمزة الى النون وحذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها كما قال القائل

وترمينني بالطرف أي أنت مذهب * وتقلبنني لكن إياك لأقلى

أي لكن أنا لأقلبك * ولما كان سبحانه وتعالى لا شيء أظهر منه ولا شيء أبطن منه أشار الى ذلك جميعا باضماره قبل الذكرك فقال (هو) أي الظاهر أتم ظهوره فلا يخفى أصلا ويحوز أن يكون الضمير للذي خلقك (الله) أي المحيط بصفات الكمال (ربي) وحده لم يحسن إلى خلقا ورزقا أخذ غيره وهذا اعتقادي في الماضي والحال وقرأ ابن عامر بإثبات الالف بعد النون وقفا ووصلا لاتباع المرسوم والباقون بإثبات الالف بعد النون وقفا وحذفها ووصلا (فان قيل) قوله لكذا استدراك لماذا (أجيب) بأنه لقوله أ كفرت فكأنه قال لآخيه أ كفرت بالله لكنني مؤمن بموحد كما تقول زيد غائب لكن عمر وحاضر وذكر القفال في قول المؤمن (ولأشركا بربي) أي المحسن إلى في عبادتي (أحدًا) وجوها أحدها اني لأرى الفقر والغنى الامنة فأجده اذا أعطى وأصبر اذا ابتلى ولأ كفر عندي ما ينعم علي ولا أرى كثرة الاموال والاعوان من نفسي وذلك لأن الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله شريكا في اعطاء الغنى والغنى وثانيها لعل ذلك الكافر مع كونه منكرا للبعث كان عابدا صنم فبين هذا

المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء وثالثها أن هذا الكافر لما عجز الله تعالى عن البعث والحشر
 فقد جعله مساويا للخلق في هذا العجز وإذا أثبت المساواة فقد أثبت الشرك ثم قال المؤمن
 للكافر (ولو لا إذ) أي وهلا حين (دخلت جنتك قلب) عند انجذابك بها ما يدل على تقوى يضك
 الامر فيها وفي غيرها الى الله تعالى وهو (ما شاء الله) أي الامر ما شاء الله أو ما شاء الله كأنه على
 أن ماموصولة أي وأي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف أي اقرارا بأنها
 وما فيها بعيشة الله تعالى ان شاء أبقاها وان شاء أهلكتها وقرأ ابن ذكوان وحزرة بالامالة
 والباقون بالفتح وإذا وقف جزة وهشام على شاء أبدل الهمزة الفاعل المدد والتوسط والقصر
 وأظهر إذ عند الدال نافع وابن كثير وعاصم والباقون بالادغام وهلا قلت (لا قوة الا بالله)
 اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وأن ما تبسر لك من عمارتها وتدير أمرها فبعمدة الله تعالى
 واقداره أو لا يقوى أحد في بدنه ولا في غير ذلك الا بالله وفي الحديث من أعطى خيرا من أهل
 أومال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يرفسه مكرها ثم ان المؤمن لما أعلم الكافر
 بالايمان أجابه عن افتخاره بالمال والنفس فقال (ان ترى أأأقل منك مالا ولدا) أي
 من جهة المال والولد ويحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأ كيدا للمفعول الاول
 وقرأ قالون وأبو عمرو وبائبات الباء وصلوا وحذفوا وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلوا ووقفا
 والباقون بالحذف ووقفا وصلوا وقوله تعالى (فعسى ربي) أي المحسن الي (أن يؤتيني) من
 خزائن رزقه (خيرا من جنتك) أما في الدنيا وأما في الآخرة لا يمانى جواب الشرط (ويرسل
 عليها) أي جنتك (حسبانا) جمع حسبانة أي صواعق (من السماء فتصيح) بعد كونها قارة للعين
 بجاتهزبه من الاشجار والزروع (صعيدا زلقا) أي أرضا ملساء باستئصال بنيانها وأشجارها
 فلا ينبت فيها نبات ولا ينبت عليها قدم وقوله (أو يصبح ماؤها غورا) أي غائرا في الارض لا تناله
 الايدي والدلاء مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع) أنت (له) أي الماء الغائر (طلبا) يصير
 بحيث لا تقدر على رده الى موضعه ثم انه أخبر الله تعالى أنه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال
 (وأحيط) أي وقعت الاحاطة بالهلاك وبني للمفعول لأن النكد حاصل باحاطة الهلاك من غير
 نظر الى فاعل مخصوص والدلالة على سهولته (بقره) أي الرجل المشرك كنه واستوصل هالكا
 ما في السهل منه وما في الجبل وما يصبر منه على البرد والحر وما لا يصبر قال بعض المفسرين ان
 الله تعالى أرسل عليها نارا فاذا هلكتها وغار ماؤها (فأصبح يقلب كفيه) ندموا ويضرب احدهما
 على الاخرى تحسرا فتقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا
 لبطن كما يكنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد لانه في معنى الندم فعند تعديته كأنه
 قبل فأصبح ندم (على ما اتفق فيها) أي في عبادتها وغماتها (وهي حاوية) أي ساقطة (على
 عروشها) أي دعائمها التي كانت تحتمل فاسقطت على الارض وسقطت هي فوقها وقوله تعالى
 (ويقول) عطف على يقلب أحوال من ضميره (يا) للشنيه (ليتنى) تخيلا ردما فانه لم يدره وذهول
 عقله ودهشته وعدم اعتماده على الله تعالى من غير اشرار بالاعتماد على الغاني (لم أشرك بربي

أحدا كما قال له صاحبه فندم حيث لا يتفقه التندم على ما تترط في الماضي لأجل ما فاتته على
 الدنيا لا حرصا على الإيمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات
 المشاهدة (فان قيل) ان هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلكك بشؤم شركه وليس مرادا لان
 أنواع البلاء أكثرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولولا ان يكون النامس أمة واحدة لجعلنا
 لمن يكفر بالرحمن لبؤتهم سققا من فضة ومعارج عليهم ايطهرون وقال صلى الله عليه وسلم خص
 البلايا الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وايضا لما قال يا ليتني لم أشرك بربى أحد افقدتدم
 على الشرك ورغب في التوحيد فوجب أن يصبره ومناقله قال تعالى بعده (ولم تكن له فئة)
 أي جماعة من تفره الذين اغترتهم ولمن غيرهم (بنصروته) مما وقع فيه (من دون الله) عند
 هلاكها (وما كان) هو (منتصرا) بنفسه بل ليس الامر في ذلك الا الله وحده (أجيب)
 عن الاول بأنه لما عظمت حسراته لأجل أنه اتفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في عمره
 كله عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية بقي محروما من الدنيا والدين وعن الثاني بأنه انما
 ندم على الشرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك لم يبق عليه جنته فهو انما رغب
 في ذلك لأجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيده وقرأ آخرة والكسائي يكن بالتحسية على
 التذكير والياقون بالقومية على التأييد * ولما أنتج هذا المثل قطعا أنه لا أمر لغير الله تعالى
 المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم ولا غنائم بعد فقرهم ولا ذلال أعدائهم بعد عزهم وكبرهم
 وافقارهم بعد اغنائمهم وحده وان غيره انما هو كالحبال للاحقة لمرح بذكره في قوله تعالى
 (هنالك) أي في مثل هذه الشدائد العظيمة (الولاية لله) أي الذي له الكمال كله وقرأ آخرة
 والكسائي بكسر الواو أي الملك والياقون بفحشها أي النصرة وقوله تعالى (الحق) قرأه أبو عمرو
 والكسائي برقع القاف على الاستئناف والقطع تعليل لتنبيهها على ان فزعهم في مثل هذه الازمان
 اليه تعالى دون غيره برهان قاطع على أنه الحق وما سواه باطل وان الفخر بالعرض الزائل من
 أجهل الجهل وان المؤمنين لا يصيهم فقر ولا يسوغ طردهم لأجله وأنه يوشك أن يعود فقرهم
 غنى وضعفهم قوة وقرأه الباقون بخفضها على الوصف أي الثابت الذي لا يحول يوما ولا يزول
 ولا يغفل ساعة ولا ينام ولا ولاية لغيره بوجه (هو خير ثوابا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وخير
 عقبا) أي غايبة للمؤمنين وقرأه أصم وحجزة بسكون القاف والياقون بضمها وانصب على التمييز
 * ولما تم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي أنظرتم فكانت سببا لشقاوتهم وهم يحسبون أنها
 عين اسعادهم ضرب لدار الدنيا العائنة لجميع الناس في قلبه ثوابا وسرعة فنائها وان تكبر
 كان أحسن منها فقال (واضرب) أي صير (لهم) أي لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض القافى
 المقتضين بكثر ذكر الاموال والاولاد وعزة النفر وقوله تعالى (مثل الحياة الدنيا) مفعول
 أول ثم ذكر المثل بقوله تعالى (كها) وهو المفعول الثاني (أزلفناه) بضمه متاودة رتبا
 وقال تعالى (من السماء) تنبيه على بليغ القدرة في أمساكه في العلو وانزاله في وقت الحاجة
 (فاختلط) أي فتعقب وتسبب عن انزاله أنه اختلط (به نبات الارض) أي التف بسببه حتى

خالط بعضه بعضاً من كثرة وتكاثفه كما قال تعالى فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقيل
 اختلط ذلك الماء بالنبات حتى روى واهتز ونما وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط
 نبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس لامبالغة في كثرة
 ثم اذا انقطع ذلك بالمطر مدة جف ذلك النبات (فأصبح هشياً) أي يابساً متفترقاً أجزأوه
 (تذروه) أي تنثره وتفترقه (الرياح) فذهب به والمعنى أنه تعالى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس
 فتكسر ففترقه الرياح حتى يصير عما قليل كأنه بقدرة الله تعالى لم يكن وقرأ جزة والكسائي
 بالتوحيد والباقون بالجمع (وكان الله) أي المختص بصفات الكمال (على كل شيء) من
 دون ذلك وغيره انشاء واقفاء واعادة (مقدراً) ألا وأبد استكويه أو لا وتبينه وسطاً وبطالة
 آخر افاحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تزايد قليلاً قليلاً
 ثم تأخذ في الانحطاط الى أن ينتهي الى الهلاك والافناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن ينتهي به
 * (تنبيه) * قوله تعالى فأصبح يجوز أن يكون على يابه فان أكثر ما يطرئ من الآفات صباحاً
 كقوله تعالى فأصبح يقلب كفيه ويجوز أن يكون بمعنى صار من غير تقييد بصباح كقول القائل
 أصبحت لأجل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

* ولما بين سبحانه وتعالى أن الدنيا سريرة الانقراض والانتضاء مشرفة على الزوال والبوار
 والافناء بين بقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ادخل هذا الجزئ تحت هذا الكلي
 فيمنعه دبه قياس بين الانتاج وهو المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولما كانت زينة
 الحياة الدنيا سريرة الانتضاء والانقراض أنتج اسباباً بينهما ان المال والبنون سريع
 الانتضاء والانقراض وما كان كذلك فانه ينتج بالعقل أن لا يفتخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له
 في نظره وزناً وهذا برهان ظاهر باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء
 المؤمنين بكثرة الاموال * ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار
 من الاغنياء فقال (والباقيات الصالحات خير) أي من الزينة الفانية لان خيرات الدنيا
 منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضي وهذا
 معلوم بالضرورة لاسيما وقد ثبت أن خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وأن خيرات الآخرة رفيعة
 شريفة والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالاً أحدها أنها سبحانه الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله أكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله وللغزالي في تفسير غير الزيادة
 وجه لطيف فقال روى أن من قال سبحانه الله حصل له من الثواب عشر حسنات فاذا قال
 الحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله أكبر صارت
 أربعين وتحقق القول فيه أن مراتب الثواب أعظمها هو الاستغراق في معرفة الله تعالى
 وفي محبته فاذا قال سبحانه الله فقد عرف كونه تعالى منزهاً عن كل ما يليق به وكل ما لا ينبغي
 لفصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك الحمد لله فقد أقرباً إلى الحق
 سبحانه وتعالى مع كونه منزهاً عن كل ما لا ينبغي فهو المبتدئ لكل ما ينبغي ولا فاضة كل خير وكل

فقد تضاعفت درجات المعرفة فلاجرم قلنا بمضاعفة الثواب فاذا قال مع ذلك لا اله الا الله فقد أقر
بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو المبتدئ لكل ما ينبغي ليس في الوجود وهو وجوده كذا
الاهو الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلاجرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال
العبد والله أكبر فعني انه أكبر أنه أعظم من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت
مراتب المعرفة أربعة فلاجرم صارت درجات الثواب أربعة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت
عليه الشمس وعن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثر وامن
بالبقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتكبير والتسبيح والحمد لله ولا حول
ولا قوة الا بالله ثانياً أنها الصلاة الخس ثالثاً أنها الطيب من القول رابعاً وهو أعمها
وأولها أنها أعمال الخيرات التي تبقى عمراتها أبداً لا يباد فيندرج في ذلك الصلاة وأعمال الحج
وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والكلام
الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاء لمحبة الله تعالى ومعرفته وخدمته وأما ما دعاك من قول
أو عمل الى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك لأن كل ما سوى الحق فهو فان لذاته
فكان الاشتغال به والافتقار عليه باطلا وسعياً ضائعاً وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل
الزوال لاجرم كان الاشتغال بحبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولما
كان أهم ما الى من حصل البقاء ليس لكفايته بل لمن يحفظها له لوقت حاجته قال تعالى (عند ربك)
أي الجليل المواهب العالم بالعواقب وخبر من المال والبنين في العاجل والآجل (ثواباً وخيراً) من
ذلك كله (أملاً) أي من جملة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيها من الامل لأن ثوابها الى بقاء
آملها كل ساعة في تحقق وعلو وارتقاء وآمل المال والبنين يخاف أن حوج ما يكون اليه ما وعن
قتادة كل ما أريد به وجه الله تعالى خير ثواباً أي ما يتعلق به ثامن الثواب وما يتعلق به ثامن الامل
لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة * ولما بين سبحانه وتعالى خسارة الدنيا
وشرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة وذكر منها أنواعاً النوع الاقل قوله تعالى (ويوم)
أي واذ كر لهم يوم (نسير) بآيسر أمر (الجبال) عن وجه الارض بعواصف القدرة كأن سير نبات
الارض بعد أن صار هشيماً بالرياح كما قال تعالى وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمرز
بالغبار * (تنبيه) * ليس في لفظ الآية ما يدل الى أين تسير قال الرازي ويحتمل أن يقال ان الله
يسيرها الى الموضع الذي يريد ولم يبين ذلك تخلقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم
لقوله تعالى ويستأثرونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً
ولا أمتاً لقوله ويست الجبال بساف كانت هباء منبثاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم
التاء الفوقية وفتح الياء التحتية بعد السين على فعل مالم يسم فاعله ورفع الجبال باسناد تسير اليها
كفاي قوله تعالى واذا الجبال سيرت والباقون بالنون المضمومة وكسر الياء التحتية بعد السين
باسناد فعمل التسير اليه تعالى نفسه ونصب الجبال لكونه منعول نسير والمعنى نحن نفعل بهاذلك

اعتبار بقوله تعالى وحشرناهم والمعنى واحد لانها اذا سرت فسيرها ليس الا الله تعالى * النوع
 الثاني قوله تعالى (وترى الارض) بكملها (بارزة) لا غار فيها ولا صدع ولا جبل ولا نبت ولا شجر
 ولا ظل فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها وهو المراد من قوله تعالى لا ترى فيها سحابا
 ولا أمنا وقيل انها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموتى المقبورين فيها فاذا هي بارزة الجوف والبطن
 مخدفة ذكر الجوف كما قال تعالى وألقت ما فيها وتحت وقال تعالى وأخرجت الارض أثقالها
 النوع الثالث قوله تعالى (وحشرناهم) أي الخلائق قهر الى الوقت الذي تنكشف فيه الخبائات
 وتظهر القبايع والمغيبات ويقع الحساب فيه على النقيض والقطمير والناقد فيه بصير (فلم تغادر)
 أي تترك (منهم) أي الأولين والآخرين (أحدا) لانه لا ذهول ولا عجز وتطيره قوله تعالى قل ان
 الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (فان قيل) لمجي بمحشرناهم ماضيا بعد نسير
 وترى (أجيب) بأن ذلك يقال للدلالة على أن حشرهم قبل التسمير وقبل البروز ليعاينوا تلك
 الاحوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك * ولما ذكر تعالى حشرهم وكان من المعلوم
 أنه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال بآيات الفعل للمفعول على طريقة كلام القادرين ولأن
 المخوف العرض لا لكونه من معين (وعرضوا على ربك) المحسن اليك برفع أوليائك وخفض
 أعدائك وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين واختف في تفسيره على وجوه الأول أن تعرض
 الخلق كلهم صفا واحدا لاتساع الارض ظاهرين لا يحجب بعضهم بعضا ثانيها لا يتعد أن يكونوا
 صفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي تكون بعضها خاف بعض
 وعلى هذا المراد بقوله تعالى صفا صفوفا كقوله تعالى يخرجكم طفلا أي أطفالا ثالثها المراد
 بالصفا القيام كما في قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليهم صوفا أي قساما وقيل كل أمة صفت
 ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا وليس المراد حصول
 المساواة من كل وجه لانهم خلقوا أصغارا ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد ما مر ويقال
 لمتكوري البعث (بل زعمتم أن) أي انا (أن نجعل لكم موعدا) أي مكانا ووقتا نجتمعكم فيه هذا
 الجمع فتجزي لكم ما وعدناكم به على ألسنة رسلنا فكنتم مع التمرز على المؤمنين بالاموال
 والافئدة منكم من البعث والقيامة فالآن قدرتم الاموال والانصار في الدنيا وشاهدتم ان
 القيامة والبعث حق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله خفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده
 وعدا علينا انا كفوا فاعلين الأول خلق يكتفي يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الأول انه
 سبيهم برجال من أمي فبوخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أحيي فيقول انك لا تدري
 ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز
 الحكيم قال فيقال لي انهم لم يروا مدبرين على أعقابهم ثم منذ فارقتهم وفي رواية فأقول مصقا
 مصقا وقوله غرلا أي قلنا الغرلة القلفة التي تنقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله صفا
 أي بعد اقال بعض العلماء المراد بهؤلاء الذين ارتدوا من العرب بعده وعن عائشة رضي الله تعالى

غنها قالت: هت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقلت
 الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر أشد من ان يهتمهم ذلك زاد الناس
 في رواية لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طوائف راغبين واهبين واثان على بعير
 وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا
 وتبيت معهم حيث باتوا وتصيح معهم حيث أصبحوا وتنسى معهم حيث أمسوا (ووضع) بعد
 العرض المستعقب للجمع بأدنى إشارة (الكتاب) المضبوط فيه دقائق الاعمال وجلالها على
 وجهه بين لا يخفى على قارئ ولا غير شئ منه فيوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين واما
 في الشمال والمراد بالجنس وهو صنف الاعمال (فترى المجرمين مشفقين) أى خائفين خوف
 العقاب من الحق وخوف الفضيحة من الخلق (تخافيه) من قبائح أعمالهم وسيما فعلهم
 وأقوالهم (ويقولون) عند معاينتهم ما فيه من السيئات وقولهم (يا للسنه) (ويللنا) أى
 هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه كناية عن انه لا نديم لهم اذ ذاك الا الهلاك (بالله) هذا
 الكتاب أى شئ له حال كونه على غير حال الكتب في الدنيا (لا يقادر) أى لا يترك (صغيرة
 ولا كبيرة) من ذنوبنا وقال ابن عباس الصغيرة التيسر والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن
 جببر الصغيرة اللهم والميسر والقبلة والكبيرة الزنا (الأحضاها) أى عذها وأنتها في هذا
 الكتاب وتظيره قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى أنا كنا
 نستنسخ ما كنتم تعملون* (تنبيه) ادخال التاء في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعل
 الصغيرة والكبيرة قال بعض العلماء احتجوا من الصغائر قبل السكائر لأن الصغائر هي التي
 جرت بهم الى السكائر واحترازوا من الصغائر حذرا من أن تقعوا في السكائر وعن سهل بن سعد
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فاعلموا مثل محقرات الذنوب مثل
 قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فطبخوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لموبقات
 (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أى مشتت في كتابهم (ولا ينظلم ربك) أى الذي ربك يخلق القرآن
 (أحد) منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل يجازى الاعداء بما يستحقونه
 تعذبا لهم ويجازى أولياءه الذين عادوهم بما يستحقون تنجيهم روى الامام أحمد
 في المستند عن جابر بن عبد الله أنه سافر الى عبد الله بن أنس مسيرة شهر يستاذن فاستاذن عليه
 قال فخرج يطأ ثوبه فاعشقه وأعشقه قلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في القضاص فحشيت أن غوت قبيل أن أسجعه فقال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس أوقافا العباد حفاة عراة بهم اقلت وما بهم قال ليس
 معهم شئ ثم ينادى بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب أيا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحيد
 من أهل النار أن يدخل النار وله عتد أجده من أهل الجنة حتى ولا ينبغي لاحيد من أهل الجنة أن
 يدخل الجنة ولا يخدم من أهل النار عليه حتى حتى أقص منه حتى اللطمة قال فقلنا كيف وانا

تأتي حقا عراة بما قال بالحسنات والسيئات وروى الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أنه قال يحاسب الله الناس في القيامة على ملة يوسف وأيوب وسليمان فيدعو المملوك فيقال
 ما شغلك عني فيقول جعلتني عبد إلا دحي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا
 مثلك فلم يمنعه ذلك أن عبدني فيؤمر به إلى النار ثم يدعو المبتلى فإذا قال شغلتني بالبلاء دعا
 أيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلاءك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ثم يؤتى بالملك في الدنيا
 مع ما آناه الله تعالى من الغنى والسعة فيقول ما علمت فيما آتيتك فيقول شغلتني الملك عن ذلك
 فدعى سليمان فيقول هذا عبدي آتيتني أكثر مما آتيتك فلم يشغل ذلك عن عبادتي أذهب
 فلا عذر لك ويؤمر به إلى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن يزول
 قدم العبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن جسده فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله
 من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه كيف عمل به * ولما كان المقصود من ذكر الآيات
 المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية
 المذكورة في قوله تعالى (وَأَذْكُرْ أَتَى وَادِّكَرْ أَتَى) الذين هم أطوع شيء لا وأمرنا
 المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك لأن إبليس انما تكبر على آدم لانه افتخر بأصله ونسبه
 وقال خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أسجد له
 وكيف أتواضع له وهؤلاء المشركون عاموا فقراء المسلمين بمعنى هذه المعاملة فقالوا كيف
 نجبالس هؤلاء الفقراء مع أنا أناس من أنساب شريفة وهم من أنساب باذلة ونحن أغنياء وهم
 فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيه على أن هذه الطريقة هي نفسها طريقة إبليس حين أمره
 الله تعالى في سجدة الملائكة بقوله تعالى (اسجدوا لآدم) سجدوا وانحنوا بلى وضع جهة تحية له
 (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قبل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل
 هو منقطع وإبليس أبو الجن فلذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم وكررت
 هذه القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن
 أي انما يذكر لمناسبة ذلك المحل الذي يذكر فيه (ففسق) أي خرج بتركه السجود (عن أمر
 ربه) أي سيده ومالكه المحسن اليه والفاء للسببية وفيه دليل على أن الملك لا يعصى البتة وانما
 عصي إبليس لانه كان خيما في أصله والكلام المستقصى فيه تقدم في سورة البقرة ثم انه تعالى
 حذر عن اتباعه بقوله تعالى (أَقْبِتْ ذُنُوبَهُ) الخطأ لا آدم وذريته والهاء هنا وفيها سياق
 لإبليس والهمزة لانكار والتعجب أي يفسق باستحقاركم فنطرده لاجلكم فيكون ذلك سببا لان
 تتخذوه (وذرّيته) شركاء على (أولياء) لكم (من دوني) تطيعونهم بدل طاعتي وقوله تعالى
 (وهم لكم عدو) أي أعداء حال ولما كان هذا الفعل أجدر شيء بالذم وصل به قوله تعالى
 (يَسْأَلُ لَظْمًا يَنْبَغِي) من الله إبليس وذريته وكان الأصل لكم ولكنهم أبرز الضمير لعلق الفعل
 بالوصف لافادة التعميم روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقا عديوما اذا قبل جمال فقال
 أخبروني هل لابليس زوجة قلت ان ذلك لعرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى أَقْبِتْ ذُنُوبَهُ

وذريته أولياء من دونه فقلت أن لا تكون ذرية الأمن زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون
 كما يتوالدون آدم وقيل أنه دخل ذنبه في دبره فبيض البيضة فشقاق عن جماعة من الشياطين
 قال مجاهد من ذرية إبليس لا قيس ولها ن وهما صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه
 يكتفى وزليور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والايان الكاذبة ومدح السبع ونيز وهو
 صاحب المصائب يزين جنس الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ
 في أحليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقبها في أفواه الناس
 لا يجدون لها أصلاً وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسم الله ولم يذكر الله دخل معه
 وإذا أكل ولم يسم الله أكل معه قال الاعمش ربحاً دخلت البيت ولم أذكر الله ولم أسلم فرأيت
 مطهرة فقلت ارفعوا وأصمتم ثم أذكر فأقول داسم داسم وعن عثمان بن أبي العاص قال قلت
 يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتقل عن يسارك ثلاثاً
 قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء
 شيطان يقال له الوهان فاتقوا وساوس الماء وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن إبليس يضغ فرشاً على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ينجي أحدهم
 فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً قال ثم يجي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت
 بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلزمه واختلقوا
 في عود الضمير في قوله تعالى (ما أشهدتهم) على وجوه أحدها وهو الذي ذهب إليه الأكثرون
 أن المعنى ما أشهدت الذين اتخذوهم أولياء (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم)
 أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى اقتلوا أنفسكم ثم أحضار إبليس وذريته
 خلق السموات والأرض وأحضر بعضهم خلق بعض ليسدل على نفي الاعتقاد بهم في ذلك
 كما سترح به بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين) أي الذين يضلون الناس ووضع الظاهر
 موضع الضمير أظهار الأضلالهم وذمهم (عضداً) أي أعواناً وثانيها قال الرازي وهو
 الأقوى عندي أن الضمير عائداً إلى الكفار الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن لم تطرد
 عن مجلسك هؤلاء الفقراء من عندك فلا نؤمن بك فكانت تعالى قال أن هؤلاء الذين اتوا
 بهذا الاقتراح الفاسد والتعنّت الباطل ما كانوا شركاء في تدبير العالم بدليل أني
 ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير الدنيا
 والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم أقدموا على الاقتراح الفاسد قال والذي يؤكد
 هذا أن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات فالأقرب في هذه الآية هو أولئك
 الكفار وهو قوله تعالى بس للظالمين بدلاً والمراد بالظالمين أولئك الكفار وثالثها أن يكون المراد
 من قوله ما أشهدتهم إلى آخره دون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الأزل من أحوال
 السعادة والشقاوة فكانت قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله بشقاوته

في الازل وأنتم غافلون عن أحوال الازل فانه تعالى قال ما أشهدهم الى آخره واذ اجهلتم هذه
 الحالة فكيف يمكنكم أن تحكموا لانفسكم بالرقة والعلو والكمال وغيركم بالذل والدناءة بل
 ربما صار الامر في الدنيا والاخرة على العكس مما حكمتم به * ولما قرر تعالى ان القول الذي قالوه
 في الافتخار على الفقراء اقتدوا فيه بابليس عادبعده الى التحويل بأحوال القيامة فقال (ويوم)
 التقدير واذ كرلهم يا مجديوم عطفاعلى قوله واذ قلنا للملائكة (يقول) أى الله يوم القيامة
 هؤلاء الكفار هم كلهم وقرأجزء بالنون والباقون بالياء (نادوا شركائهم) أى ما عبد من دونه
 وقيل ابليس وذريته ثم بين تعالى ان الإضافة ليست على حقيقة قابل توبيخ لهم فقال تعالى (الذين
 زعمتم) انهم شركائى أوشفعواؤكم لينعوكم من عذابى (فدعوههم) تماديا في الجهل والضلال
 (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يغشوههم استماتة بهم واشتغالا بأنفسهم فضلا عن أن يعينوههم
 (وجعلنا بينهم) أى المشركين والشركاء (مويقا) أى واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا
 وهو من وبقى بالفتح هلك نقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر انه قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة
 بين أهل الهدى وأهل الضلال وقال الحسن البصرى عداوة أى يؤل بهم الى الهلاك والتلف
 كقول عمر رضى الله تعالى لا يكون حبك كافا ولا بغضك تلقا أى لا يكن حبك يجر الى الكلف
 ولا بغضك يجر الى التلف وقيل الموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين
 الملائكة وعيسى برزخا بعيدا هلك فيه السارى لقرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان
 * ولما قرر سبحانه وتعالى ما لهم مع شركائهم ذكر حالهم في استمرار جهلهم فقال تعالى (ورأى
 الجرمون) أى العريقون في الاجرام (النار) من مكان بعيد (فظنوا) ظنا (انهم م واقعوها)
 أى تخالطوها في تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تغيطها وزفيرها كما قال
 تعالى اذ ارأتهم من مكان بعيد سمعوا لها نغيظا وزفيرا فان محاطة الشئ لغيره اذا كانت قوية
 تامة يقال لها م واقعة (ولم) أى والحال انهم لم (يجدوا عندهم فرقا) أى مكانا ينصرفون اليه
 لان الملائكة تسوقهم اليها والموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جرياعلى عادتهم في الجهل
 كما قالوا اتخذ الله ودا بغير علم وما ظن أن تبده هذه أبدا وما ظن الساعة قائمة ان ظن الاظنا
 وما نحن بمستيقنين مع قيام الادلة التى لاشك فيها وقيل الظن هنا جعنى العلم واليقين * ولما افتخر
 هؤلاء الكفار على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأتباعهم وبين الله تعالى الوجوه البكيرة
 ان قولهم فاسد وشبههم باطلة ذكر فيه المثاليين المتقدمين ثم قال بعده (ولقد صرنا) وأظهر
 نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الدال وأدغمها الباقون (في هذا القرآن) أى القيم الذى
 لا عوج فيه مع جمعه للمعاني (للناس) أى المزلزلين والثابتين وقوله (من كل مثل) صفة لمخذوف
 أى مثلا من جنس كل مثل لينعظوا أو انا حولنا الكلام وصرنا في كل وجه من وجوه المعاني
 وأبسنه من العبارات الرائقة والاساليب المتناسقة ما صار به في غرابته كالمثل يقبله كل
 من سمعه وتضرب به آباط الابل في سائر البلاد بين العباد فتسربه قلوبهم وتلهج به ألسنتهم
 فلم يقبلوه ولم يتركوا المجادلة الباطلة كما قال تعالى (وكان الانسان أكثر شئ) يتأنى منه الجدل

وميزالا كثرية بقوله تعالى (جدلاً) أى خصومة قال بعض المحققين والآية دالة على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام جادلوه في الدين لأن المجادلة لا تحصل إلا من الطرفين ولهذا قيل أراد بالإنسان الكافر وقيل الآية على العموم قال ابن الخازن وهو الأصح وكذا قال البغوى فعن علي رضي الله تعالى عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنها إليه فقال الاتصليان فقلت يا رسول الله أنفسيما يد الله فإذا شاء أن يعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم سمعته وهو مول يضرب نخذه وهو يقول وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً وقال ابن عباس أراد النضير بن الحرث وجداله في القرآن وقال الكلبي أراد به خلفا للبحي * ولما بين سبحانه وتعالى اعراضهم بين موجهه عندهم فقال تعالى (وما منع الناس) أى الذين جادلوا بالباطل الايمان هكذا كان الاصل ولكنه عبر عن هذا المفعول الثاني بقوله (أن يؤمنوا) ليقيد التجديد وذمتهم على الترتك (اذ) أى حين (جاءهم الهدى) أى القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وعطف على المفعول الثاني معبراً بمثل ماضى لما مضى قوله تعالى (ويستغفرون ربهم) أى لاما نفع لهم من الايمان ولامن الاستغفار والتوبة * ولما كان الاستثناء مفرغاً أى بالفاعل فقال (الآن) أى طلب أن (تأتيهم سنة الاقوان) أى سنتنا فيهم وهى الاهلاك المقدر عليهم (أو) طلب أن (يأتيهم العذاب قبلاً) أى مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة وقرأ الكوفيون برفع القاف والباء الموحدة والباقون بكسر القاف وفتح الباء الموحدة * ولما كان ذلك ليس الى الرسول وانما هو الى الله تعالى بنسبه بقوله تعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة (ومندرين) بالعقاب على أفعال المعصية فطلب منهم الظالمون من أجمعهم ما ليس اليهم (ويجادل الذين كفروا) أى يجتدون الجدال كلاً تأتهم أمر من قبلنا (بالباطل) من قولهم ما أنتم الا مبشر مثلنا ولو كنتم صادقين لا تثبتهم بما يطلب منكم مع ان ذلك ليس كذلك اذ ليس لاحد غير الله من الامر شئ (ليدحضوا به) أى ليطولوا بجدالهم (الحق) أى القرآن والمجربات المثبتة لصدقهم (واتخذوا آياتى) أى القرآن (وما أنذروا) أى وانذارهم أو الذى أنذروا به من العقاب (هزوا) أى استهزأوا وقرأ حفص بالواو وقفه او وصلوا وجزء بالواو وقفه لا وصلوا وسكن الزاى جزء ورفعهما الباقون والجزء فى الوقف أيضاً النقل * ولما حكي الله تعالى عن الكفار أحوالهم الخبيثة وصفهم بما يوجب الخزي بقوله تعالى (ومن أظلم) أى لا احد أظلم وهو استقهام على سبيل التقرير (من ذكر بآيات ربه) أى المحسن اليه بما وهى القرآن (فأعرض عنها) تاركاً لما يعرف من تلك العلامات العجيبة وما يوجب ذلك الاحسان من الشاكر (ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي فلم يتفكر فى عاقبتها ثم علل تعالى ذلك الاعراض بقوله تعالى (انا جعلنا على قلوبهم) فجمع رجوعاً الى أسلوب واتخذوا آياتى لانه أنص على ذم كل واحد (أكنة) أى أعطية مستعجلة عليها استعمال يدل سياق العظمة على أنه لا يدع شياً من الخير يصل اليها فهى لا تفي شيأ من آياتنا ودل تذكير الضمير واقراده على أن المراد بالآيات

القرآن فقال (أَنْ) أى كراهة أَنْ (يفقهوه) أى يفهموه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا فهم
 لا يسمعون حق السمع ولا يعون حق الوعى (وان تدعهم) أى تكترد دعاهم كل وقت (الى
 الهدى) لتنجيهم بما عندك من الحرص والجد على ذلك (فلن يهتدوا) أى بسبب دعائك (إذا)
 أى اذا دعوتهم (أبداً) لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلال فلا يقع منهم إيمان ثم قال تعالى (وربك)
 مشير بهذا الاسم الى ما اقتضاه حال الوصف من الاحسان (الغفور) أى البليغ المغفرة
 الذى يستر الذنوب اتماماً بما يحلها من العلم عنها الى وقت آخر (ذو الرحمة) أى الموصوف بالرحمة
 الذى يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالاكرام ثم استشهد تعالى على ذلك
 بقوله تعالى (لويؤاخذهم) أى هؤلاء الذين عادوك وهو عالم أنهم لا يؤمنون أو يعاملهم
 معاملة المؤاخذة (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أى فى الدنيا (بل لهم
 موعد) وهو اتمام يوم القيامة واما فى الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح (لن يجذوا من دونه)
 أى الموعد (موثلاً) أى مجلباً ينجيهم منه فاذا جاء موعدهم أهلكناهم فيه بأول ظلمهم وآخره
 وقوله تعالى (وتلك) مبتدأ وقوله تعالى (القرى) أى الماضية من عاد وعود ومدين
 وقوم لوط وأشكالهم صفته لأن أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم)
 والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا وجعلناهم موعداً) أى وقبلاً معلوماً
 لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقرأ شعبة بفتح الميم واللام أى لاهلاكهم وقرأ حفص
 بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام أى لاهلاكهم ثم عطف سبحانه وتعالى
 على قوله تعالى واذا قلنا لللائكة (واذا) أى واذا كبرلهم حين (قال موسى لفته) يوشع
 ابن نون بن افراتيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام وانما قال فته لانه كان يخدمه ويتبعه وقبل
 كان ياخذ منه العلم وقبل فته عبده وفى الحديث ليقبل أحدكم فتاى وقتاى ولا يقبل عبدي
 وأمتى * (تنبيه) * أكثر العلماء على أن موسى المذكور فى هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب
 المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار أنه موسى بن ميثاب بن يوسف بن
 يعقوب وهو قد كان نيا قبل موسى بن عمران قال البغوى والاقول أصح واحتج له القفال بأن الله
 تعالى لم يذكر فى كتابه موسى إلا راد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف
 اليه ولو كان المراد شخصاً آخر يسمى موسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وازالة
 الشبهة كما انه لما كان المشهور فى العرف عن أبي حنيفة هذا الرجل المعين فلوز كراهة هذا
 الاسم وأردنا به رجلاً سواه لقيدناه مثل أن نقول قال أبو حنيفة الدينورى وعن سعيد بن
 جببر قال قلت لابن عباس ان نوالاً بكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى
 اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله ونوف البكالى هو نوف بن فضالة الجسرى الشامى
 البكالى ويقال انه دمشقى وكانت أمته زوجة كعب الاحبار نقله ابن كثير ووجه الذين
 قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة أنه يقال بعد أن أنزل عليه التوراة وكله بلا واسطة وخصه
 بالمعجزات الباهرة العظيمة التى لم يتفق مثله الا كبراً كابر الانبياء بعد أن يعينه بعد ذلك الى التعلم

والاستفادة (وأجيب) بأنه لا يبعد أن يكون العالم الكامل في كثرة العلوم مجهول بعض العلوم
فيحتاج في تعلمها إلى من هو دونه وهو أمر متعارف روى البخاري حديث أن موسى قام خطيباً
في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فغضب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم إليه فأوحى
الله تعالى إليه أن لي عبداً يجمع البحرين هو أعلم منك قال يارب فكيف لي به قال تأخذ حوتاً
فتجعله في مكمل فيخسفها فقدت الحوت فهو ثم تأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم قال (لأبرح) أي
لأزال أسير في طلب العبد الذي أعطني ربي بفضله (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتقى بجزر الروم
وبحر فارس مما يلي الشرق قاله قتادة أي المكان الجامع لذلك فألقاه هناك (أو أمضى حقياً)
أي دهر أطول بلا في بلوغه ان لم أظفر به بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعداً لي لقائه
والحقب قال في القاموس ثمانون سنة أو أكثر والذهب والسنة والسنون انتهى فساروا وتردوا
حوتاً مشويماً في مكمل كما أمر به فكاناً ياً كالآن منه إلى أن بلغا المجمع كما قال تعالى (فلما بلغا مجمع
بينهما) أي بين البحرين قال لقائه اذا فقدت الحوت فأخبرني وإنما واضطرب الحوت في المكمل
وخرج وسقط في البحر فلما استيقظا (نسباً حوتهما) أي نسي يوشع جله عند الرحيل ونسي
موسى عليه السلام تذكره وقيل الناسي يوشع فقط وهو على حذف مضاف أي نسي أحدهما
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (فألتخذ) الحوت (سبيلاً في البحر) أي جعله يجعل الله
(سرباً) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لانفاذه وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت
جري الماء فأنجاب عنه فبقى كالكة لم يلتئم وجمداً محتمة وقد ورد في حديثه في الصحيح أن الله
تعالى أحياه وأمسك عن موضع جريه في الماء فصارت طافاً لا يلتئم وكان المجمع كان ممتداً فظن عليه
السلام أن المطلوب امامه أو ظن المراد بمجمع البحرين آخر افساراً (فلما جاؤزا) ذلك المكان
بالسيرة بقية يومهما وليلتئما واستمر إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى عليه السلام
(لقائنا) أي أحضر لنا (عدائنا) وهو ما يؤكل أول النهار لتقوى به على ما حصل لنا من
الاعياء ولذلك وصل به قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) أي تعباً ولم يجد موسى النصيب حتى
جاؤزا المكان الذي أمره الله تعالى به فقوله هذا إشارة إلى السفر الذي وقع بعد رجوعهم عما
الموعداً ومجمع البحرين ونصباً مفعول بـلقينا (قال) له قناه (أرأيت) أي ما دهاني
وقرأت نافع بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه آخر وهو ابد الها حرف مد وأسقطها
الكسائي والباقون بالتحقيق (أذأوتنا إلى الصخرة) التي بمجمع البحرين (فأني نسيت
الحوت) أي نسيت أن أذكر لك أمره ثم علل عدم ذكره بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان)
يوسوسه وقرأ حفص بضم الهاء وأمال الالف الكسائي تحضة ورش بين بين وبالفخ
والباقون بالفخ وقوله (أن أذكره) لك في محل نصب على البدل من هاء أنسانيه بدل اشتغال أي
أنساني ذكره (وألتخذ سبيلاً) أي طريقه الذي ذهب فيه (في البحر عجباً) وهو كونه كالسرب
مجزأة لموسى أو الخضر وذكره إلا أن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا
النسيان ليس مفوقاً للطاعة بل فيه ترقية لهما في معراج المقامات العالية لوجدان التعب بعد

المكان الذي فيه البغية وحفظ الماء منجبا على طول الزمان وغير ذلك من الآيات الظاهرة
 وقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه مبين ان السلطان الحقل على المعاصي وقوله وما
 أنساني الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقد كان في هذه القصة
 خوارق منها حياة الحوت ومنها ايجاد ما كان أكل منه ومنها امساك الماء عن مدخله
 وقد اتفق لهينا صلى الله عليه وسلم نفسه وأتباعه ببركته مثل ذلك أما إعادة ماء كل من الحوت
 المشوي وهو جنة فقد روى البيهقي في أخر دلائل النبوة عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى
 عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى بيشاة مشوية فقال لبعض أصحابه ناولني ذراعها وكان أحب
 اليشاة الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدّمها ثم قال ناولني ذراعها فناولني ذراعها
 فقال يا رسول الله انما هما ذراعان وقد ناولتك فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكبت
 ما زلت تناولني ذراعها ما قلت لك ناولني ذراعها فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه لو سكبت أو وجد الله
 تعالى ذراعاً ثم ذراعاً وهكذا وأما حياة الحوت المشوي ففي قصة اليشاة المشوية المسمومة ان
 ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهذا أعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا
 جنين الجذع وتسليم الحجر وتسبيح الحصى ونحو ذلك أعظم من عود الحياة الى ما كان حيا وروى
 البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال الشافعي ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى محمدا
 صلى الله عليه وسلم قلت أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى محمد صلى الله عليه
 وسلم احياء الجذع الذي كان يخطب الى جنبه حين هي له المنبر وحن الجذع حتى سمع صوته فهذا
 أكبر من ذلك انتمى وقد ورد أشياء كثيرة من احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم ولبعض أئمة
 وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه انه قال كافي الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأنته امرأة ومعها ابنه فأضاف المرأة الى النساء وأضاف ابنها اليها فلم يلبث ان أصابه
 وباء المدينة فمضى أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه فلما أردنا أن نغسله
 قال ائت أئمة فأعلمها فجات حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت اللهم اني أسألك
 تطوعا وخلعت الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملي
 من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فوالله ما انقضى كلام المرأة حتى جرت قدميه وألقى
 الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلك أئمة
 وأما آية الماء فرجعها الى صلاته ولا فرق بين جموده بعدم الاتمام بعد الانحراق وبين جموده
 وصلاته بالامتناع من الانحراق وقد جهز عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جيشا واستعمل
 عليه الغلام من الحضرمي فحصل لهم جر شديد وجهدهم العطش قال بعض الجيش فلما مات
 الشمس لغروبها صلى نباركعتين ثم مقبده وما نرى في السماء شيئا فوالله ما حط يده حتى بعث الله
 تعالى ريحا وأنشأ بها فافترغت حتى ملأت القصور والشعاب فشرينا وسقينا واستقينا
 ثم اتينا عذونا وقد جاوزنا خليجا في البحر الى جزيرة فوقف على الخليج وقال يا علي بأعظيم يا حليم
 يا كريم ثم قال أجزوا باسم الله فاجزنا ما ميل الماء جوارف دوابنا فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسربنا

وسميناهم اتينا الخليج فقال مثل مقالته فاجزنا وما بل الماء حوافر دوابنا والاخبار في ذلك كثيرة. ولما قال قساده ذلك كأنه قيل فما قال موسى عليه السلام حينئذ (قال) له (ذلك) أي الامر العظيم من فقد الحوت (ما كنا نبغ) أي نريد من هذا الامر الغيب عنا فان الله تعالى جعله. وعدا في لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بآباء الياء وصلالا ووقفا وابن كثير يثبتها وصلالا ووقفا والباقون بالحذف (فارتدأ على آثارهما) أي فرجع في الطريق الذي جاأ فيه يقصانهما (قصصا) أي يتبعان اثرهما اتباعا ومقتصين حتى يأتيها الصخرة قال البقاعي يدل على ان الارض كانت رملا لا علم فيها فالظاهر والله أعلم انه جميع النيل والمخ عند دمياط وأورشليم من بلاد مصر ويؤيده نثر العصفور في البحر الذي ركب في سفينة التعدي كافي الحديث فان الطير لا يشرب من الملح ومن المشهور في بلاد رشمه ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذاهب الشق يقولون انه من نسل تلك السمكة والله أعلم انتهى وتقدم عن قتادة أنه ملحق ببحر فارس والروم وقال محمد بن كعب طنجبة وقال أبي بن كعب افر بيقية وقيل البحران موسى والخضر لانهم ما كانا بحري علم قال ابن عادل وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح في الخبر الصحيح شيء فذا هو الاول الى السكوت عنه انتهى ثم استمر يقصان حتى انتهيا الى موضع فقد الحوت (فوجد اعبدا من عبادنا) مضافا الى حضرة عظم متنا قيل كان ملكا من الملائكة والحجج الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الخضر واسمه يليابن ملكا وكنته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل من أبناء الملوك الذين تزوها وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي بذلك لانه جلس على فروة يضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء والفروة قطعة نبات مجمعة بابسة وقيل سمي خضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله روى ان موسى عليه السلام رأى الخضر مسجيا **موسى** فكأفلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام قال انا موسى أتيتك تعالني مما علمت رشدا وفي رواية لقيه مسجيا ثوب مستلقيا على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجله وفي رواية لقيه وهو يصلي ويروي لقيه وهو على طنفسة خضراء على كبد البحر وروى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا بني اسرائيل فقال موسى ما عرفك هذا فقال الذي بعثك الى وكان الخضر في أيام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقي الى أيام موسى وقيل ان موسى سأل ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكركني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى فقال فأى عبادك أعلم قال الذي يتبع علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك أفضل مني فادلني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتاني مكنل فحيت فقدته فهو هنالك (أتيتاه) بعظمتنا (رجعة من عندنا) أي وحيا ونبوة وكونه نبيا هو قول الجمهور وقيل انه ليس بنبي قال البغوي عند أكثر أهل العلم أي فعندهم انه ولي (وعلمنا من لدنا) أي مما لم يجر على قوانين العادات على أنه ليس يستغرب عند أهل

الامس طفاء (علما) قد فناء في قلبه بغير واسطة وأهل التصوف سمو العلم بطريق المكاشفة العلم
 اللدني فاذا سعى العبد في الرياضات بترزين الظاهر بالعبادات وتخلّى النفس عن العلائق وعن
 الاخلاق الرذيلة بتجليته بالاخلاق الجميلة صارت القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت
 قويت القوى العقلية وأشرقت الانوار الالهية في جوهره العقل وحصلت المعارف وكملت
 العلوم من غير واسطة سعى وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم الدنية ثم اورد سبحانه
 وتعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك
 انه من العلوم ان الطالب للشخص اذا لقيه كله لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كانه سأل
 عن ذلك (قال له موسى) طابا منه على سبيل التأدب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستئذان
 (هل أتبعك) أي اتباعا بليغا حيث توجهت والاتباع الايمان بمثل فعل الغير لمجرد كونه
 آتيا به وبين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله (على أن تعلمني) أثبت الباء نافع وأبو عمرو وصلالا ووقفا
 وابن كثير وصلالا ووقفا والباقون بالحذف وزاد في التعطف بالاشارة الى أنه لا يطلب جميع
 ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها الى باقيه فقال (مما علمت) وبناء للمفعول
 لعلم المتخاطبين لكونهم ممن المختصين بأن الفاعل هو الله تعالى وللإشارة الى سهولة كل أمر الى
 الله تعالى (رشدًا) أي علما يرشدني الى الصواب فيما أقصده وقرأ أبو عمرو وفتح الراء والشين
 والباقون بضم الراء وسكون الشين * ولما أتم موسى عليه السلام العبارة عن السؤال (قال) له
 انظر عليه السلام (انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه
 على وجوه من التأكيدها كأنها لا تصح ولا تستقيم وفتح الباء من معي صبرا في المواضع الثلاثة
 هنا محقق وسكنها الباقون ثم علل عدم الصبر معه واعتذر عنه بقوله (وكيف نصبر) يا موسى
 (على ما لم تحط به خبرا) أي وكيف نصبر على أمور وأنت نبي ظاهر هامنا كبير والرجل الصالح
 لا يتمالك أن يصبر اذا رأى ذلك بل يبادر ويأخذ في الانكار وخبر امرأه صدر لمعنى لم تحط به
 أي لم تخبر بحقيقته (قال) له موسى عليه السلام آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ارشادا لما
 ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله تعالى له النفع به (سجدتني) فأكد الوعد بالسين ثم أخبر تعالى
 انه قوى تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعله بصعوبة الامر على الوجه الذي تقدم الحث عليه
 في هذه السورة في قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ليعلم أنه منهاج
 الانبياء فقال (ان شاء الله) أي الذي له صفات الكمال (صابرا) على ما يجوز الصبر عليه ثم زاد
 التأكيده بقوله عطا بالواو على صابرا البيان التمكن في كل من الموضعين (ولأعصى) أي
 وغير عاص (لك أمرا) تأمرني به غير مخالف لظاهر أمر الله تعالى * (تنبيه) * دلت هذه الآية
 الكريمة على ان موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الادب واللفظ عندما أراد أن يعلم
 من انظر منها انه جعل نفسه تبغاله بقوله هل أتبعك ومنها انه استأذن في اثبات هذه التبعية
 كأنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعا لك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها قوله
 صلى الله عليه وسلم على أن تعلمني وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم ومنها قوله

مما علمت وصبيغة من التبعية وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا أيضا قرار بالتواضع كأنه
 يقول لأطلب منك أن تجعلني مساويا لك في العلم بل أطلب منك أن تعطيني جزءا من أجزاء
 ما علمت ومنها أن قوله مما علمت اعتراف منه بأن الله تعالى علمه ذلك العلم ومنها قوله رشدا
 طلب منه الارشاد والهداية ومنها قوله ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا
 ومنها أنه ثبت بالأخبار أن الخضر عرف أولا أن موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي
 كله الله من غير واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم أنه عليه السلام مع هذه المناصب
 الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على
 كونه عليه السلام آتيا في طاب العلم بأعظم أبواب المبالغة في التواضع وذلك يدل على أن هذا
 هو اللائق به لأن كل من كانت احاطته بالعلوم التي علم ما فيها من الهبة والسعادة أكثر كان
 طلبه لها أشد فكان تعظيمه لارباب العلم أكمل وأرشد وكل ذلك يدل على أن الواجب على
 المتعلم اظهار التواضع بكل الغايات وأما المعلم فإن رأى أن في التغليظ على المتعلم ما يفيد نفعه
 وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور وذلك ينعنه من
 التعلم وروى أن موسى عليه السلام لما قال هل أتبعك على أن تعلمي مما علمت رشدا قال له الخضر
 كني بالتوراة ولما بيني اسرائيل شغلا فقال له موسى الله أمرني بهذا (قال) له الخضر (فإن
 اتبعني) أي صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار إليه لأنه شرط عليه شرطا فقال
 (فلا تسألني عن شيء) أقوله أو أفعله (حتى أحدث لك) خاصة (منه ذكرا) أي حتى أبدأ بوجه
 صوابه فاني لأقدم على شيء الا وهو صواب جائز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فقبل
 موسى شرطه رعاية لادب المتعلم من العالم ولما اشار طرطا وراضيا على الشرط تسبب عن ذلك
 قوله تعالى (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل فانهما الى موضع احتاجا
 فيه الى ركوب السفينة فمازالا يطلبان سفينة يركبان فيها واستمرا (حتى اذا ركبا في السفينة)
 التي مرت بهما وأجاب الشرط بقوله (خرقها) أي أخذ الخضر وأسنقرق السفينة بأن قلع
 لوحا ولوحين من ألواحها من جهة البحر لما بلغت اللجة ولم يقترب خرق بالفناء لانه لم يكن مسببا
 عن الركوب ثم استأنف قوله (قال) أي موسى عليه السلام منكر ذلك لما في ظاهره من
 الفساد بانه لا مال المقتضى الى فساد أكبر منه باهلاك النفوس ناسيا لما عقد على نفسه على
 انه لو لم ينس لم يترك الانكار كما فعل من قتل الغلام لأن مثل ذلك غير داخل في الوعد لأن المستثنى
 شرعا كالمستثنى وضعا (أخرقها) وبين عذره في الانكار لما في غاية الخرق من القطاعة فقال
 (لتغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المقتضى الى غرق أهلها وقر أجزة والكسائي
 بالاء التحتية مفتوحة وفتح الراء ورفع اللام من أهلها والباقون بالياء الفوقية مضومة وكسر
 الراء ونصب لام أهلها ثم قال له موسى والله (لقد جئت شيئا ممرأ) أي عظيما منكرا (قال)
 الخضر (ألم أقل انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبرا) فذكره بما قال له عند الشرط (قال)
 موسى (لأنواخذني) يا خضر (بما نسيت) أي غفلت عن التسليم لك وتركت الانكار عليك قال ابن

عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام أي وهي التورية بالشيء عن الشيء وفي النسل أن
 في المعارض لندوحة عن الكذب أي سعة فكانه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من
 عهدك والنسيان التبرك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الأولى من موسى
 نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عدا (ولا ترهقني من أمري عسرا) أي لا تكلفني مشقة يقال
 أرهقه عسرا وأرهقه عسرا أي كلفته ذلك يقول لا تضيق على أمري ولا تعسر متابعك على
 ويسرها على بالأعضاء وترهق المناقشة وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر وعسرا مفعول ثان
 لترهقني من أرهقه كذا إذا حمله إياه وغشاه به وما في مناسبت مصدريه أو بمعنى الذي والعائد
 محذوف وروى أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ
 ثوبه فحشا به الخرق وروى أن الخضر أخذ قدحا من زجاج وورقه به خرق السفينة (فان قيل)
 قول موسى عليه السلام آخرتهم بالتغرق أهلها ان كان صادقا في هذا دل ذلك على صدق ورتب
 عظيم من الخضر ان كان نبيا وان كان كاذبا دل ذلك على صدق والذنب من موسى وأيضاً فقد التزم
 موسى أن لا يعترض عليه وجرى العهد المذكور بذلك ثم انه خالف تلك العهد وذلك ذنب
 (أجيب) بأن كلامهم صادق فيما قال موف بحسب ما عنده أما موسى عليه السلام فانه
 ما خطر له قط أن يعاهد على أن لا ينهي بما يعتقده منكرا وأما الخضر فانه عقد على ما في نفس
 الامر أنه لا يقدم على منكر (فانطلقا) بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق
 والعطب (حتى إذا القيأ غلاما) قال ابن عباس لم يبلغ الخنث (فقوله) حين لقيه كادات عليه
 الفاء العاطفة على الشرط قال البغوي في القصة انه ما خرجا من البحر عيشان فترابغا ان يلعبون
 فأخذ غلاما مائلا يفاوضي الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحسنهم وجها
 كان وجهه يتوقد حسنا قال البغوي وروى أنه أخذ رأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق
 هذا الخبر وأشار بيده بأصابعه الثلاثة الأبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى أنه
 رضح رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله وكونه لم يبلغ الخنث هو قول الأكثرين
 وقال الحسن كان رجلا قال شعيب الحياضي وكان اسمه جيسور وقال الكلبي كان فقي يقطع
 الطريق ويأخذ المتاع ويلتجئ إلى أبيه وقال الضمك كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه
 أبواه وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع
 كافر ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا قال الرازي وليس في القرآن كيف لقياء هل كان
 يلعب مع جمع من الغلمان أو كان منقرا داهل كان مسلما أو كافرا وهل كان بالغاً أو صغيراً وكان
 اسم الغلام بالصغير أليق وإن احتمل الكبير إلا أن قوله بغير نفس أليق بالغ منه بالصبي لأن
 الصبي لا يقتل وإن قتل فالبقاء إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ وقال ابن عباس
 ولم يكن نبي الله يقول أقتلت نفسا كية بغير نفس الا وهو صبي قال الرازي أيضا وكيف قتله
 هل قتله بان حرسه أو بان ضرب رأسه بالجدار أو بطريق آخر فليس في القرآن ما يدل على شيء
 من هذه الأقسام انتهى ثم أجاب الشرط بقوله مشعرا بأن شرعه في الإنكار في هذه أسرع

(قال) موسى (أقتلت) يا خضر (نفسا زكية بغير نفس) قتلته ليكون قتلها لها قودا وقرأ نافع
 وابن كثير وأبو عمرو وألف بعد الزاي وتحقيف الياء التحية والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد
 التحية قال الكسائي الزا كية والز كية لغتان ومعنى هذه الطهارة وقال أبو عمرو والز كية
 التي لم تذهب والز كية التي اذنت ثم تاب ثم استأنف قوله (لقد) أظهر الدال نافع وابن كثير
 وابن ذكوان وعاسم وأدغمها الباقون (جئت) في قتلك ياها (شيبا) وصرح بالانكار في قوله
 (نكرا) لأن مباشرة الخرق سبب ولهذا قال بعضهم النكر أعظم من الامر في القبح لأن قتل
 الغلام أعظم من خرق السفينة لأنه يمكن أن لا يحصل الفرق وأما ما قصد حصول الاتلاف
 قطعاً والنكر ما أنكرته العقول ونفرت منه النفوس فهو أبلغ في القبح من الامر وقيل الامر
 أعظم لأن خرق السفينة يؤدي إلى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الاتلاف شخص
 واحد وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكونها * ولما كانت هذه نائية
 (قال) له الخضر (ألم أقل لك انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبرا) وهذا عين ما ذكره في المسئلة
 الاولى الا أنه هنا زاد لفظة لك (فان قيل) لم زادها هنا (أجيب) بأنه زادها مكافئة بالعقاب
 على رفض الوصية ووسام بقله الصبر والنبات لما نهى عن رزمه الاستمزاز والاستمزاز من استمزاز الرجل
 بالتدبير كبير أول مرة قال ابن الأثير المكافئة المدافعة والمضاربة والاستمزاز من استمزاز الرجل
 أي انقبض قلبه قال البغوي وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يا بني الله اذكر العهد الذي
 أنت عليه (قال) موسى حيا منة لما أفاق به كبره ما حصل من فرط الوجد لا مر الله تعالى
 فذكر أنه مانعه الأبا مر الله تعالى (ان سألتك عن شيء بعد هذا) أي بعد هذه المرة واعلم بثبوت
 ندمه على الانكار بقوله (فلا تصاحبي) أي لا تتركني أسمعك بل فارقتي ثم علل ذلك بقوله (قد
 بلغت) وأشار إلى أن ما وقع منه من الاخلال بالشرط من أعظم الخوارق التي اضطر اليها فقال
 (من لدني) أي من قبلي (عذرا) باعتراضي مرتين واحتمالي فيهما وقد أخبر الله بحسن حاله
 في غزارة علمك فدمحه به هذه الطريقة من حيث انه احتمل مرتين أولا وثانيا مع قرب المدة روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله أخي موسى استخيا فتسال ذلك ولوليت مع صاحبه
 لا بصير أعجب الاعاجيب وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعة الله
 علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء بدأ بنفسه لولا أن يعمل لرأى العجب ولكنه
 أخذته من صاحبه ذمامة أي حيا ووافق فقال ان سألتك الى آخره وقرأ نافع بضم الدال
 وتحقيف النون وقرأ شعبة كذلك الا أنه يشم الدال فتصير ساكنة قريبة من الضم والباقون
 بضم الدال وتشديد النون (فانطلقا) أي موسى والخضر عيشان لينتظر الخضر أمره فينفذه
 ما عنده من علمه وورث يغلف اللام في اللفظ انطلقا على أصله بعد قتل الغلام (حتى اذا أتيا أهل
 قرية) قال ابن عباس هي انطاكية وقال ابن سيرين هي اليلة وهي أبعد أرض الله من السماء
 وعبر عنها بالقرية دون المدينة لأنه أدل على الذم وقيل برقة وعن أبي هريرة بلدة بالاندلس
 (استطعما أهلها) أي طلبا من أهل القرية أن يطعموهما وفي الحديث انهم ما كانوا يشيان على

مجالس أولئك القوم يستطعمانهم (قأبوا أن يضيغوهما) أي أن ينزلوهما ويطعموهما يقال
ضافه إذا كان له ضيفاً وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض وضيغه وأضافه أنزله
وجعله ضيفاً (فان قيل) الاستطعام ليس من عادة الكرام وكيف تقدم عليه موسى والخضر وقد
حكى الله تعالى عن موسى أنه قال عند ورود ماء مدين رب اني لما أنزلت الي من خير فقير
(أجيب) بأن اقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب ذلك عند
الخوف من الضرر الشديد (فان قيل) لم قال حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ولم يقل
استطعماهم (أجيب) بأن التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

ليت الغراب غداً يبعث دائماً * كان الغراب مقطع الوداج

وعن قتادة شراً القرى التي لاتصف الضيف (فائدة) قال الرازي وفي كتب الحكايات ان أهل
تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجرأوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
من المذهب وقالوا يا رسول الله جئناك بهذا الذنب لتجعل الباء تا محتى تصير القراءة هكذا فأثروا
أن يضيغوهما أي أنيناهم لاجل الضيافة حتى يدفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى وذلك يوجب القدح
في الالهية فعملنا أن نغير النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية * ولما
أبوا أن يضيغوهما انصرفوا (فوجدافيهما) أي القرية ولم يقل فيهم ايذاناً بأن المراد وصف القرية
بسوء الطبع (جداراً) أي حائطاً مائلاً مشرفاً على السقوط ولذا قال مستعير المالم يعقل صفة
من يعقل (يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا ارادة له وانما
معناه قرب ودنا من السقوط كما نقول العرب دارى تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير
الارادة للمشاركة كما استعير لها الهم والعزم في قوله

يريد الرمح صدر أبي براء * ويعدل عن دماء بني عقيل

وقول الآخر ان دهر ايلف صدرى بجمل * لزمان بهم بالاحسان

ففي البيت الاول دليل على استعارة الارادة للمشاركة وفي الثانى دليل على استعارة الهم لها
وجعل اسم محبوبته يقول ان دهر ايجمع بينى وبينها زمان قصده الاحسان لا الاساءة وتظهير ذلك
من القرآن قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى أن يقول له كن فيكون وقوله
تعالى قالتا أيننا طائعين قال الرخصى ولقد بلغنى ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى عن لا يعلم
كان يجعل الضمير للخضر وقيل ان الله تعالى خلق الجدار حياة و ارادة كالحيوان (فأقامه) أي
سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه وقال ابن
عباس هدمه وقعد بينه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام رذلك من معجزاته
وقال السدى بل طينا وجعل بيني الحائط فشق ذلك على موسى عليه السلام (فان قيل)
الضيافة من المنسذوبات فتركها تركاً مندوباً وذلك غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه
السلام مع علم منصبه أنه غضب عليهم الغضب الشديد الذى لاجله ترك العهد الذى التزمه في

قوله ان سألتك عن شيء بعد هافلا تصاحبني وأيضاً مثل الغضب لاجل تركه الاكل في ليلة واحدة لا يليق بأدب الناس فضلاً عن كليم الله تعالى (أجيب) بأن تلك الحالة كانت حالة افتقار واضطرار الى الطعام فلا جمل تلك الضرورة نسي موسى عليه السلام ما قاله فلا جرم (قال) موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) أي طلبت على عملك أجرة تصرفها في تحصيل الطعام وتحصيل سائر المهمات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء وأظهر ابن كثير الذا ل عند التاء على أصلها وأدغمها أبو عمرو والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء وأظهر حقه الذا ل على أصله وأدغمها البا قون * ولما كان كلام موسى هذا مستغنياً للسؤال (قال) له الخضر (هذا) أي هذا الانكار على تركه الاجر (فراق بيني وبينك) وقيل ان موسى عليه السلام لما شرط أنه ان سأله بعد ذلك سؤالاً آخر حصل به الفراق حيث قال ان سألتك عن شيء بعد هافلا تصاحبني فلماذا كر هذا السؤال فارقه وهذا فراق بيني وبينك أي هذا الفراق المعهود والموعود (فان قيل) كيف ساغ اضافة بين الى غير متعد (أجيب) بأن مسوغ ذلك تكريره بالعطف بالواو ألا ترى أنك لو اقتصرت على قولك المال بيني لم يكن كلاماً حتى تقول بيننا وبين فلان ثم قال له الخضر (سأنبئك) أي سأخبرك يا موسى قبل فراقك لك (سأؤيل) أي بتفسير (مالم تستطع عليه صبراً) لان هذه المسائل الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو أن أحكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكمكم بالظواهر والله يتولى السرائر والخضر ما كانت أموره وأحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الخفية الواقعة في نفس الامر وذلك لان الظاهر في أموال الناس وفي أرواحهم أنه يحرم التصرف فيها والخضر تصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسئلة الاولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان الاقدام على خرق السفينة وقتل الانسان من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف محرم والاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة تحمل للتعبد والمشقة من غير سبب ظاهر ثم أخذ الخضر في تأويل ذلك مبتدئاً بالمسئلة الاولى بقوله (أما السفينة) أي التي أحسن النسا أهلها فخرقتها (فكانت لمساكين) عشرة اخوة نجسة زعمى ونجسة (يعملون في البحر) أي يواجرون ويكتسبون واحتج الشافعي رضي الله عنه بهم هذه الآية على أن حال الفقير أشد في الحاجة والضرر من حال المسكين لان الله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أي ان أجعلها ذات عيب بأن تنفوت منفعتها بذلك ساعة من نهار وتكف أهلها الوحاً ولو حين يسدون باب ذلك أخف عليهم من أن تنفوت منهم منفعتها بالكلية كما يعلم من قوله (وكان وراءهم) أي أمامهم كقوله تعالى ومن وراءهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه (ملك) كان كافراً واسمه الجندى وقال محمد ابن اسحق اسمه سولة بن خليل (٣) الازدي وقيل اسمه هدد بن بدد (ياخذ كل سفينة) أي صالحة وحذف التثنية بذلك للعلم به (غصبا) من أحبابها ولم يكن غنداً أحباباً علم به فاذا مرت به تركها اعيها فاذا اجاوزته اصلحوها فاتبعوا بها قيل سدوها بقارورة وقيل بالقار (فان قيل) قوله

سورة الحديد
هذه في التفسير
والذي في السواوي
منه ابن جندى
الازدي فليقرأه

فأردت أن أعينهم بسبب عن خوف الغضب عليهم فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه
 (أجيب) بأن النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغضب ليس هو السبب وحده
 ولكن مع كونها المماكين فلما كان كل من الغضب والميكنة سبب الفعل قدمها على الغضب
 إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمساكين * ثم شرع في تأويل المسئلة الثانية
 بقوله (وأما الغلام) الذي قتله (فكان أبواه مؤمنين) التثنية للتغليب يريد أباه وأمه فغلب
 المذكر وهو شائع ومثله العمران قيل إن ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويقدم
 على الأفعال المنكرة وكان أبواه يحتاجان إلى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من
 يرميه بشئ من المنكرات وكان يصير سبباً لوقوعهما في الفسق وربما قاذل ذلك الفسق إلى الكفر
 وقيل أنه كان صبياً إلا أنه علم منه أنه لو صار بالغاً حصلت فيه هذه المفاسد وفي الحديث أنه طبع
 كافر ولو عاش لأرثقهما ذلك كما قال (نخسنا) أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم (أن
 يرثقهما) أي يغشيهما ويلحقهما (طغيانا وكفراً) أي تحميتهما له تبعاعه في ذلك (فان قيل) هل
 يجوز الإقدام على قتل الإنسان بمثل ذلك (أجيب) بأنه إذا أتى كذلك بوحى من الله تعالى جاز
 وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه كيف قتله أي كيف قتل الخضر الغلام وقد
 نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكذب اليه أن علمت من حال الولدان ما علمه عالم
 موسى فلما أن تقتل رواد جمعناه مسلم * ولما ذكر ما يلزم على تقدير بقاءه من الفساد نسب عنه قوله
 (فأردنا) أي بقتله وأراحتهما من شره (أن يبدلهما ربهما) أي المحسن اليهما بإعطائه وأخذته
 قال مطرف فرح به أبواه حين ولدوا وشرنا عليه حين قتل ولوليتي كان فيه هلاكهما فليس كل
 امرء بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب ولهذا
 أبدلهما الله تعالى (خيراً منه زكاة) أي طهارة وبركة من الذنوب والأخلاق الرديئة وصلاًحاً
 وتقوى (وأقرب رجا) أي رجة وعطناً عليهما وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة أي
 أوصل للرحم وأبزلوا الدين قال الكلبي أبدلهما الله تعالى جارية فتزوجها نبي من الأنبياء
 فولدت له نبياً فهدي الله تعالى على يديه أمة من الأمم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله
 تعالى جارية ولدت سبعين نبياً وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وقرأ نافع وأبو عمرو وأن يبدلهما
 بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والياقون يسكون الموحدة ويخفيف الدال وقرأ ابن عامر
 رجا برفع الحاء والياقون بالسكون * ثم شرع في تأويل المسئلة الثالثة بقوله (وأما الجدار)
 أي الذي أشرت بأخذه لاجر عليه (فكان لغلامين) ودل على كونهم مادون البلوغ بقوله
 (يتيمين) وكان اسم أحدهما أصرم والآخر صريماً * ولما كانت القرية لا تنافي التسمية
 بالمدينة وكان التعبير بالقرية أولاً ليق عبر بها لانها مشتقة من معنى الجمع فكان أليق بالذم في
 ترك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى محل الإقامة عبر بها فقال (في المدينة) فكان التعبير بها
 أليق للإشارة به إلى أن الناس يعملون فيها فينهدم الجدار وهم مقيمون فيها خذون الكنز كما قال
 (وكان تحته كنز لهما) فلذلك أقمته احتساباً واختلاف في ذلك الكنز فعن أبي الدرداء أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهباً وفضة رواه البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم
 وصححه والزم على كثرهما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدّي زكّاهما
 وما يتعلق بهما من الحقوق وعن سعيد بن جبير قال كان الكثر صحفاً فيها علم رواه الحاكم وصححه
 وعن ابن عباس قال كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجباً
 لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف
 يغفل عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا اله الا الله محمد رسول الله
 وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى
 لمن خلقته للخير وأجرته على يديه والويل لكل الويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه
 قال البغوي وهذا قول أكثر أهل التفسير وروى أيضاً ذلك مرفوعاً قال الزجاج الكثر إذا
 أطلق ينصرف الى كثر المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنه كثر علم وهذا اللوح كان جامعاً
 لهما وقوله (وكان أبوهما صالحاً) فيه تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه فإرعى وتراعى
 ذريته وكان سياحوا واسمه كاسح قال ابن عباس حفظاً للصالح أيهما وقيل كان بينهما وبين
 الأب الصالح سبعة أبناء قال محمد بن المنكدر أن الله تعالى يحفظ بصالح العبد ولده وولد ولده
 وعشيرته وأهل دورات حوله غير اللون في حفظ الله ما دام فيهم قال سعيد بن المسيب اني أصلي
 فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي وعن الحسن أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ
 الله الغلامين فإن بصلاح أيهما قال فأبى وجدى خير منه قال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون
 وذكرنا أيضاً أن ذلك الأب الصالح كان من الذين تضع الناس الودائع عنده فيردها اليهم (فأراد
 ربك أن يبلغا أي الغلامان (أشدّهما) أي الحلم وكال الرأي) ويستخرجا كثرهما ليتفعلاه
 ويتفعا الصالحين * (تنبيه) * أسند الإرادة في قوله فأردت أن أعيها الى نفسه لانه المباشر
 للتعميد وثانياً في قوله فأردنا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وإيجاد الله تعالى
 بدله وثالثاً في قوله فأراد ربك الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لان الأول في
 نفسه شر والثالث خير والثاني عتج أولانه لما ذكر العيب أضافه الى إرادة نفسه ولما ذكر
 القتل عبر عن نفسه بلفظ الجع تنبيهاً على أنه من العظما في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا
 القتل الا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح التبيين لاجل صلاح أيهما أضافه الى الله تعالى
 لان التمسك بصلاح الانباء رعاية حق الآباء ليس الا لله تعالى ولا اختلاف حال العارف في
 الالتفات الى الوسائط (فان قيل) اليتمان هل أحدهما عرف حصول ذلك الكثر تحت ذلك
 الجدار أم لا فان كان الاول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم
 بعد البلوغ استخراج ذلك الكثر ومعرفته والانتفاع به (وأجيب) لعلهما كانا جاهلين به الا أن
 وصيهما كان عالماً به ثم ان ذلك الوصي غاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ولما
 قرّرنا لخصر هذه الجوابات قال (رجة من ربك) أي انما فعلت هذه الافعال لغرض أن تظهر رجّة
 لله لانها بانتهائها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر والادنى لدفع الضرر الاعلى كما تنقّر

(وما فعلته) أي شيأ من ذلك (عن أمرى) أي عن اجتهادى ورأى بل بأمر من له الامر وهو الله تعالى * (تنبيه) * احتج من ادعى نبوة الخضر بأمر أحدها قوله تعالى آتيناه رجعة من عندنا والرجعة هي النبوة قال تعالى وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الا رجعة من ربك والمراد من هذه الرجعة النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول مسلم أن النبوة رجعة ولكن لا يلزم أن تكون كل رجعة نبوة الثاني قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وهذا يقتضى أن الله تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله تعالى بلا واسطة البشر وجب أن يكون نبيا يعلم الامور بالوحي من الله تعالى قال الرازى وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من الله وذلك لا يدل على النبوة الثالث أن موسى عليه السلام قال هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت والنبي لا يتبع غيري في التعلم قال الرازى وهذا أيضا ضعيف لان النبي لا يتبع غيري في العلوم التي باعتبارها صانها انبيا ما غير تلك العلوم فلا الرابع أنه أظهر على موسى الترفع حيث قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وأما موسى فإنه أظهر له التواضع حيث قال ولا أعصى لك أمرا وهذا يدل على أنه كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق نبي قال الرازى وهذا أيضا ضعيف لانه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتعلق بنبوته عليها الخامس قوله وما فعلته عن أمرى وفي المعنى أنى فعلته بوحى من الله وهذا يدل على النبوة قال الرازى وهذا أيضا ضعيف ظاهر الحجة السادس ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك السلام يابى بنى اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا قال الذى بعثك الى وهذا يدل على أنه اعترف بذلك بالوحي والوحي لا يكون الا مع النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات انتهى وبالجملة فالجواب على أنه نبي كما مر واختلفوا هل هو نبي أو ميت فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم قال البغوي وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الفلذة ليطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فنزل فاغتسل وشرب وشكر الله تعالى وأخطأ ذا القرنين الطريق وذهب آخرون الى أنه ميت لقوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرايتكم ليلة لكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى من هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده * ولما بين لموسى سر تلك القضايا قال له (ذلك) أي هذا التأويل العظيم (تأويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبرا) وحذف ناء الاستطاعة هنا تخفيفا فان استطاع واستطاع بمعنى واحد * (تنبيه) * من فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعمله ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سر لا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للعلماء ويراعى الاحب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حين يتحقق اصراره ثم يهاجره روى أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر قال له أو منى قال لا تطلب العلم لتحديث به واطلبه للعمل به * ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الارض لطلب العلم

عقبها بقصة من طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاول اشارة الى علو درجة العلم لانه اساس كل سعادة وقوام كل امرئ فقال عاطفا على ويجادل الذين كفروا بالباطل (ويستلونك) أى اليهود وقيل مشركو مكة يا أشرف الخلق (عن ذى القرنين) وذكروا فى سبب تسميته بذلك وجوها الا قول قال أبو الطيف سئل على رضى الله عنه عن ذى القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أمر قومه بتقوى الله تعالى فضر به على قرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فأمرهم بتقوى الله تعالى فضر به على قرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى فسمى ذا القرنين فيكم مثله يعنى نفسه الثانى أنه انقرض فى وقته قرنان من الناس الثالث أنه كان صفعنا رأسه من نحاس الرابع كان على رأسه ما يشبه القرنين الخامس كان لتاجه قرنان السادس أنه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها السابع كان له قرنان أى ضفران الثامن ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى بهدى النور من أمامه وبقته الظلمة من ورائه التاسع أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كسباله ينطج أقرانه العاشر أنه رأى فى المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفى الشمس وقرنها أى جانبيها فسمى بذلك لهذا السبب الحادى عشر أنه كان له قرنان توارى بهما العمامة الثانى عشر أنه دخل النور والظلمة وذكروا فى اسمه أيضا وجوها الا قول اسمه هرزبان اليونانى من ولد يونان بن يافث ابن نوح الثانى اسمه اسكندر بن فيلقوس الرومى اشتهر فى كتب التواريخ أنه بلغ ملكه أقصى المشرق والمغرب وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبني الاسكندرية وسماها باسم نفسه الثالث عشر بن عمر بن افرقيس الحسرى وهو الذى بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها واقتصر به أحد الشعراء من جبر حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما * ملكا على الارض غير مفقد

بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب ملك من كريم سيد

واختلفوا فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا على ذلك بوجوه الاول قوله تعالى انا مكأله فى الارض وجعل على التمكين فى الدنيا والتمكين الكامل فى الدين هو النبوة الثانى قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سبيبا وهذا يدل على أنه تعالى آتاه من النبوة سببا الثالث قوله تعالى يا ذا القرنين اما أن تعذب الخ والذى يتركهم الله معه لا بد أن يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض وأعطاه الله سبحانه وتعالى الملك والحكمة وألبسه الهيبة وقد قالوا ملك الارض مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران غرود وبختنصر ومنهم من قال انه كان ملكا من الملائكة عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة والاكثر على القول الثانى ويدل له قول على رضى الله تعالى عنه المتقدم * (تنبيه) * قد قدمنا ان اليهود اصر والمشركون أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح والمراد من قوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين

هو ذلك السؤال ثم قال الله تعالى (قل) أي لهؤلاء المتعنتين (سألتهم) أي أقص قصاصاً متابعاً في
 مستقبل الزمان أعلمني الله تعالى به (عليكم) أي أيها البعداء والضمير في قوله تعالى (منه) لذي
 القرنين وقيل لله تعالى (ذكر) أي خبراً كافياً لكم في تعرف أمره جامعاً لجامع ذكره (أما مكآله
 في الأرض) أي مكآله أمره من التصرف فيها مكنة يصل بها إلى جميع مسالكها ويظهر بها على
 سائر ملوكها (وآتيناه) بعظمنا (من كل شيء) يحتاج إليه في ذلك (سبباً) أي وصلة توصله إليه
 من العلم والقدرة والآلة (فأتبع سبباً) أي سلك طريقاً نحو المغرب قال البقاعي ولعله بدأ به لأن
 باب التوبة فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو اتبع في المواضع الثلاثة بتشديد التاء الفوقية
 ووصل الهمزة قبل الفوقية والباقون يقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية واستقر متبعاله
 (حتى إذا بلغ) في ذلك السير (مغرب الشمس) أي موضع غروبها (وجدناها تغرب في عين جنة)
 أي ذات حجارة وهي الطين الأسود أي بلغ موضعاً في الغرب لم يبق بعده شيء من العمران وجد
 الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة وغروبها في رأي العين كما أن راكب البحر يرى الشمس
 كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر والأفهي أكبر من
 الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض قال البيضاوي ولعله
 بلغ ساحل المحيط فرأى ذلك إذ لم يكن في مطنج بصره غير الماء ولذلك قال وجدناها تغرب
 ولم يقل كانت تغرب وقرأ أشعبة وجزء والكسائي وابن عامر بألف بعد الحاء وياء مفتوحة بعد
 الميم عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين
 غابت فقال أندر يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فأنها تغرب في عين جنة
 وقرأ الباقر بن عمار بألف بعد الحاء وبعد الميم همزة مفتوحة واتفق أن ابن عباس كان عند معاوية
 فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس جنة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ
 أمير المؤمنين ثم وجهه إلى كعب الأحبار وسأله كيف تجدد الشمس تغرب قال في ماء وطن كذا
 تجدده في التوراة (ووجد عندها) أي عند تلك العين على الساحل المتصل بها (قوما) أي أمة قال
 ابن جرير مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أشغالها سمعت وجبة الشمس حين تجب أي
 تغرب قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما يلقظه البحر كانوا كفاراً يخبره الله تعالى بين
 أن يعذبهم أو يدعهم إلى الإيمان كما حكى ذلك بقوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين) أما بواسطة الملك
 أن كان نبياً أو بواسطة نبي زمانه أن لم يكن أو باجتهاد في شريعته (أما أن تعذب) بالقتل على
 كفرهم (وأما أن تتخذ) أي بغاية جهنم (فيهم حسناً) بالارشاد وتعليم الشرائع وقبل خبره
 بين القتل والأسر وسماء حسناً في مقابلة القتل ويؤيد الأول قوله (قال أما من ظلم) باستتراره
 على الكفر فأنزله عن ربه حتى ينأس منه ثم نقله إلى ذلك أشار بقوله (فسوف نعذبه) بوعده
 لا خلف فيه بعد طول الدعاء والترقب وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب
 المنكر (ثم رد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذاباً نكراً) أي شديداً جديداً في النار وتقدم
 في نكر اسكون الكاف وضمها (وأما من آمن وعمل صالحاً) تصديقاً لما أخبر به من تصديقه

(فله) في الدارين (جزاء الحسنى) أى الجنة وقرأ حفص وحزرة والكسائي بفتح الهمزة بعد الزاى متونة وتكسر في الوصل لالتقاء الساكنين قال القراء نصبه على التفسير أى لجهة النسبة وقيل منصوب على الحال أى فله المثوبة الحسنى مجزأياها والباقيون بضم الهمزة من غير تنوين فالإضافة للبيان قال المفسرون والمعنى على قراءة النصب فله الحسنى جزاء كما تقول له هذا الثوب هبة وعلى قراءة الرفع وجهان الأول فله جزاء الفعل الحسنى والفعله الحسنى هى الايمان والعمل الصالح والثانى فله جزاء المثوبة الحسنى وإضافة الموصوف الى الصفة مشهورة كقوله ولدا را لاخرة وأمال ألف الحسنى حمزة والكسائي محضسة وأبو عمرو بين وبين وورش بالفتح والامالة بين بين (وسمقول) يوعدا لاخلف فيه بعد اختياره بالأعمال الصالحة (له) أى لأجله (من أمرنا) أى مانأمره به (يسرا) أى قولاً غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج والجهاد وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كثيرة (ثم أتبع) لارادة طلوع مشرق الشمس (سبياً) من جهة الجنوب يوصله الى المشرق واستمر فيه لايمل ولا تغلبه أمة وتر عليها (حتى اذا بلغ) في مسيره ذلك (مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع عليه أولاً من المعمور من الارض (وجدها تطلع على قوم) قال الجلال الحلى هم الزنج وقوله تعالى (لم نجعل لهم من دونها) أى الشمس (سترا) فيه قولان الأول انه لا شئ لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم لأن أرضهم لا تحتمل بناءنا قال الرازى ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش وأحوالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وقال قتادة يكونون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا فرعوا كالبهايم والثانى ان معناه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً وفى كتب الهيئة ان أكثر حال الزنج كذلك وحال كل من سكن البلاد القريية من خط الاستواء كذلك قال الكلبى هم عراة يقرش أحدهم احدى أذنيه ويلتحف بالآخرى وقال الزمخشري وعن بعضهم قال خرجت حتى جاؤزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل بينهم وبينهم مسيرة يوم وإيلة فبلغتهم واذا أحدهم يقرش احدى أذنيه ويلبس الآخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهية الصلصلة فغشى على ثم أفقت فلما طلعت الشمس فاذا هى فوق الماء كهية الزيت فأدخلوني سرباً بهم فلما ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض وقوله تعالى (كذلك) فيه وجوه الأول ان معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها الثانى ان أمره كما وصفناه من رفعة المكان وبسطة الملك قال البغوى والصحيح ان معناه كما حكم فى القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك فى القوم الذين هم عند مطلعها (وقد أحطنا بما لديه) أى عند ذى القرنين من الآلات والجنود وغيرهما (خبراً) أى علمنا تعلق بظواهره وخفائيه والمعنى ان كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به الاعلم اللطيف الخبير (ثم) ان ذا القرنين لما بلغ المغرب والمشرق

(أصبح سبياً) آخر من جهة الشمال في ارادة ناحية السد يخرج يأجوج ومأجوج واستتر
أخذاً فيه (حتى إذا بلغ) في سيرة ذلك (بين السدين) أي بين الجبلين وهما جبال أرمينية
وأذربيجان وقيل جبالان في أواخر الشمال وقبل هذا المكان في منقطع بلاد الترك من وراءهما
يأجوج ومأجوج قال الرازي والظاهر أن موضع السد في ناحية الشمال سد الاسكندر
ما بينهما كما سيأتي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بن غنم والباقون بضمها وهما الغتان
معناها واحد وقال عكرمة ما كان من صنع بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو
بالضم وقاله أبو عمرو وقيل بالعكس (وجد من دونهما) أي بقرية سامان الجانب الذي هو أدنى
منهما إلى الجهة التي أتى منها ذو القرنين (قوماً) أي أمة من الناس لغتهم في غاية البعد من
لغات بقية الناس لبعد بلادهم عن بقية البلاد فهم كذلك (لا يكادون) أي لا يقربون
(يفقهون) أي يفهمون (قولا) ممن مع ذي القرنين فهما جيداً كما يفهم غيرهم لغاية لغتهم
وقلة فظنتهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف والباقون بفتحهما وقال ابن عباس
لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم واستشكل بقولهم (قالوا إذا ذا القرنين)
وأجيب بأنه تكلم عنهم مترجم عن هو مجاورهم ويفهم كلامهم (أن يأجوج ومأجوج) وهما
اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا وقرأ عاصم بهمزة ساكنة بعد الياء والميم والباقون
بالالف فيهما وهما الغتان أصلهما من أجيح النار وهو ضوءها وشررها شمسها وبه لكثرة
وشدة وهم من أولاد يافث بن نوح عليه السلام قال الضحاك هم جيل من الترك قال
السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة
بجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة بني ذو القرنين السد على
احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين
قال أهل التواريخ وأولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وطام ويافث فسام أبو العرب
والعجم والروم وطام أبو الحبشة والزينج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة
ويأجوج ومأجوج وقال ابن عباس في رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم
جزء وروى عن حذيفة مرفوعاً أن يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربع مائة ألف
أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم
من ولد آدم يسبرون في خراب الأرض وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض
شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون
ومائة وهو لاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم يقرش احدى أذنيه ويلتحف
بالأخرى لا يعرفون قبيل ولا وحش ولا خنزير الا كلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام
وساقطهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم ان ثبت لهم مخالف في
أطفالهم وأضرابهم كأضراب السباع وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال منهم من طوله
شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات

يوم وامتزجت نطقته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بناس من
جهة الابدون الامم وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ
الارض احداها عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند مطلعها يقال لها منسك
وأمتان بينهما عرض الارض احداهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والآخرى في قطر
الارض الايسر يقال لها ناويل وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج
فقال ذو القرنين بأى قوة أكثرهم وبأى لسان أناطقهم قال الله تعالى انى سأطوقك وأبسط
لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شئ وألسك الهبة فلا يروعنك شئ وأسخر لك النور والظلمة
وأجعلهم من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى
مغرب الشمس فوجد جمعاً وعددا لا يحصىه الا الله تعالى فكثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان
واحد فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته ففهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه فعمد
الى الذين تولوا عنه وأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا فى دعوته فخدموا
أهل المغرب جنداً عظيماً فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله
فى ناسك ثم مضى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنوداً كعمله
فى الامتين ثم أخذ بناحية الارض اليسرى فأتى ناويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها ثم عمداً الى
الانسانى فى الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من
(مفسدون فى الارض) يفترون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب
وكل ذى روح خلقه الله فى الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا يشك أنهم سيجعلون
الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها وقال الكلبى فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الريح
الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر الا كوه ولا يابس الا اختلوه وأدخلوه أرضهم وقد
بالغوا ولقوا منهم أذى شديداً وقتلاً وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم
سيفسدون فى الارض بعد خروجهم (فهل يجعل لك خراجاً) أى جعل من المال وقرأ حجة
والكسافى بفتح الراء وألف بعدها والباقون يسكون الراء ولا ألف بعدها فقيل هما بمعنى وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج مال الزمك (على أن يجعل) فى جميع ما (ينسأونهم) من الارض
التي يمكن توليهم اليها منها بما آتاك الله من المكنة (سداً) أى حاربوا بين هذين الجبلين فلا
يصلون اليها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة برفع السين والباقون بالنصب (قال) لهم ذو القرنين
(ما مكنى فيه ربى) أى المحسن الى عباد ربه من الاموال والرجال والنوصل الى جميع الممكن
للمخلوق (خير) من خراجكم الذى تريدون بذله كما قال سليمان عليه السلام فأتاى الله خير
مما آتاكم وقرأ ابن كثير بنون مفتوحة بعد الكاف وبعد هاتون مكسورة والباقون بنون
واحدة مكسورة مشددة (فأعينوني بقوة) أى انى لأريد المال بل أعينوني بأيدىكم وقوتكم

وبالآلات التي أتقوا في فعل ذلك فإن مامعي انما هو للقتال وما يكون من أسبابه لأمثل هذا
 (أجعل ينسكم) أي بين ما يختصون به (وبينهم ردما) أي حازوا حصينا موثقا بعضه فوق بعض
 من التلاصق والتلاحم وهو أعظم من السد من قولهم ثوب ردم إذا كان رقاعا فوق رقاع قالوا
 وماتلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء قالوا وماتلك الآلات قال (أتوني) أي أعطوني
 (زبر الحديد) أي قطعه وهو جمع زبرة كغرفة وغرف قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة
 الضخمة فأقومه وبالخطب حفر له الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والخماس
 المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب والقحم (حتى إذا ساوى) أي بذلك البناء
 (بين الصدفين) أي بين جانبي الجبلين أي سوى بين طرفي الجبلين سميا بذلك لانهما يتصادقان أي
 يتقابلان من قولهم صادفت الرجل لاقيته وقابلته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر برفع
 الصاد والذال وشعبة برفع الصاد وسكون الذال والباقون بنصب الصاد والذال ثم وضع المنافخ
 وأطلق النار في الخطب والقحم و(قال) أي للعملة (انفخوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أي
 الحديد (نارا) أي كالنار (قال أتوني) أي أعطوني (أفرغ عليه قطرا) أي أصب الخماس
 المذاب على الحديد المحمي فصبه عليه فدخل في خلال الحديد مكان الخطب لأن النار كانت
 الخطب حتى لزم الحديد الخماس فاختلف والتصق ببعضه ببعض وصار جبلا صلبا قال
 الزنجشري قيل ما بين السدين مائة فرسخ وروي أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي
 ذراع وعن قتادة قال ذكرنا أن رجلا وفي رواية عن رجل من أهل المدينة قال يا رسول الله قد
 رأيت سديا جوج ومأجوج قال انعه لي قال كالبرد المحبر بريقة سوداء وطريقة جراه وهذه
 معجزة عظيمة إن كان نبيأ أو كرامة إن لم يكن لأن هذه الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت
 كالنار لم يقدر الحيوان أن يقرب منها والنفخ عليها لا يكون إلا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف
 تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المنافخين عليها حتى تمكنوا من العمل فيها * (تنبه) *
 قطر هو المتنازع فيه وهذه الآية أشهر أمثلة التكاثر في باب المتنازع وبها تنسك البصريون
 على أن أعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى إذ لو كان قطر مفعول
 أتوني لأضمر مفعول أفرغ حسدا من اللباس ثم قال تعالى (فما) أي فبسبب عن ذلك
 أنه لما كمل عمل الردم وأحكمه ما (استطاعوا) أي بأجوج ومأجوج وغيرهم (أن يظهره)
 أي يعاينوا ظهوره لعلوه وملاسته وقرأ حمزة بتشديد الظاء والباقون بالتخفيف (وما استطاعوا له
 نقبا) أي خرقا لصلابته وسمكه وزيادة البناء هنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقبه
 لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو
 الجبل فانهم ولو احتالوا ببناء درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهر وأعليه لم يثقه بهم ذلك
 لأنهم لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ويؤيده أنهم انما يخرجون في آخر الزمان بقبه
 لا يظهرهم عليه ولا يثاقني الاستبطاء لنقبه ما رواه الإمام أحمد والترمذي في التفسير وابن
 ماجه في الفتن عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يأجوج

وما جوج ليخفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا
 فاستخفروه غدا فيعودون اليه كما شئتما كان حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن ينعمهم
 على الناس حفرها حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فاستخفروه
 غدا ان شاء الله تعالى فيستثنى فيعودون اليه وهو كهنته حين تركوه فيخفروه ويخرجون
 على الناس الحديث وفي حديث الصحيجين عن زينب بنت جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح
 اليوم من ردم يا جوج وما جوج مثل هذا وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن
 أبي هريرة وفيه مثل هذا وعقد تسعين لان هذا في آخر الزمان ثم انه قيل فما قال حين فزاعه قيل
 (قال هذا) أي السديعي الاقدار عليه (رحمة) أي نعمة (من ربي) أي المحسن الى باقدا ري
 عليه ومنع العادية (فاذا جاء وعد ربي) بقرب قيام الساعة أو بوقت خروجهم (جعله ذكرا)
 أي مدكو كما بسوطا روي أنهم يخرجون على الناس فينبعون المياه ويتحصن الناس
 في حصونهم منهم فيرمونهم باسمهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في
 الارض وعاوننا من في السماء قسوة وعلا فبعث الله تعالى عليهم نغفا في رءاهم وفي رواية
 في آذانهم فيملكون قال صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن
 وتشكر من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعلا أي غلظة وغلظة وتكبرا
 والنغف دود يخرج في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لحومهم شكرا يقال شكرت
 الشاة شكر احين امتلا ضرعها لبنا والمعنى أنهم امتلأ أجسادها الجواتسمن وعن النواس بن
 سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه
 في طائفة من النخل فلما رحلنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال
 غداة فخفضت فيه ورفعته حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج
 وأنا فيكم فأنأججه دونكم وان يخرج واست فيكم فكل امرئ ينجح نفسه والله خليفتي على كل
 مسلم وانه شاب قطط أي شديد العودة وقيل حسن العودة عنه طافية أي بارزة وقيل محسوفة
 كما في أشبهه بعبد العزى بن قطن فن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج
 من حله بين الشام والعراق فعات أي أفسد عينا وعات شعا لا يا عباد الله فابتهوا قلنا يا رسول الله
 وما مكثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة وسائر أيامه كما يأمكم
 قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أي يكفيناه فيه صلاة يوم قال لا قدره الله أي واليوم
 الثاني والثالث كذلك وسكت عن ذلك العلم به من الأول قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض
 قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر
 السماء فتمطر والارض فتنب وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دزا واسعة ضرعها
 وأملاها خوار ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين
 ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويغير بالخربة فيقول لها أخرجي كنزك فينبعه كنوزها كيما يسب
 النخل ثم يدعور رجلا مثلنا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جرتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل

ويتهلل وجهه يضحك فيبينها هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء
في دمشق بين مهرودتين أي حلتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ طأ رأسه قطر واذا
رفعه تحدر منه مثل جان كالؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر به نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث
ينتهي طرفه حتى يدركه باب الدقريه بالشأم من القرية من الرملة فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد
عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة فيبينها هو كذلك اذ أوحى الله
تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد أخرجت عبادي لايديان لاحد بقتالهم فجوز عبادي
الى الطور ويبعث بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمروا بآثارهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بين هذه مرة ماء ويحصرني الله وأصحابه حتى
يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى
وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النصف فيرقابهم وهو بالتحريك دود يكون في
أنوف الابل والغنم كما مر واحدهم انقطة فيصيحون فرسأى قتلى الواحد فريس ثم يبط
نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبرا الا ملأه من عظمهم وتنهم
فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم
حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض
حتى يتركها كالزلفه وهي بالتحريك جمعها زلف مصانع الماء ويجمع على المزالف أيضا أي قصير
الارض كأنهم مصنعة من مصانع الماء وقيل كالمرآة وقيل الزلفة الروضة وقيل بالقاف
أيضا ثم يقال للارض انبئي غرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون
بقعقها ويبادل في الرسل وهو بالتحريك الراو والسبن من الابل والغنم من عشرة الى خمسة
وعشرين حتى ان اللقعة من الابل لتكفي القمام من الناس وهو مهووز الجماعة الكثرية
واللقعة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقعة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس
فيبيناهم كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل
مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الجرف عليهم تقوم الساعة (وكان
وعد ربي) الذي وعده في خروج بأجوج ومأجوج واحراقهم الارض وافسادهم لها قرب
قيام الساعة (حقا) كأننا لا محالة فلذلك أعان تعالى على هدمه هذا آخر حكاية ذي القرنين
وفي القصة ان ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفى بشير زور وذكر بعضهم أن عمره كان نبيا
وثلاثين سنة سبحان من يدوم عزه وبقاؤه ثم انه تعالى قال عا طفا على ما تقدره فقد بان أمر ذي
القرنين أي بيان وصدق في قوله فاذا جاء وعد ربي فانه اذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا التي
نؤتيها لأجوج ومأجوج دكا فأنخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال (وتركا بعضهم) أي
بأجوج ومأجوج (يومئذ) أي حين يخرجون (بموج) أي يضطرب (في بعض) كوج البحر
أو موج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويحتلطون انهم وجنهم حيارى ويؤيده (وتنفخ في
الصور) أي القرن النفخة الثانية لقوله تعالى (نجم عناهم) أي الخلائق في مكان واحد يوم

القيامة قال البقاعي ويجوز أن تكون هذه الفاء فاء الفصيحة فيكون المراد النفع الأولي أي
 ونفخ فأت الخلائق كلهم فبليت أجسامهم وتفتت عظامهم كل كان من تقدمهم ثم نفخ الثانية
 فجمعناهم من التراب بعد تفرقهم فيه وتفرقهم في أقطار الأرض بالسيول والرياح وغير ذلك
 (جمعاً) فأمسناهم دفعة واحدة كلج البصر وحشرناهم إلى الموقف للحساب ثم الثواب والعقاب
 (وعرضاً) أي أظهرنا (جهنم يومئذ) أي اذ جمعناهم لذلك (للكافرين عرضاً) ظاهرة لهم بكل
 ما فيها من الأهوال وهم لا يجدون لهم عندهم صرفاً * ثم وصفهم بما أوجب لهم ذلك بقوله تعالى
 (الذين كانت) كوناً كأنه جبله لهم (أعينهم) وهو يدل من الكافرين (في غطاء عن ذكرى)
 أي عن القرآن فهم لا يمتدنون به ويجعلنا على الأرض من زينة دليلاً على الساعة بافئائه
 ثم أحيائه وأعادته بعد إبادته (وكأنوا) بما جعلناهم عليه (لا يستطيون سمعاً) أي
 لا يقدرون أن يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما يتلو عليهم بغضاله فلا يؤمنون به * ولما
 بين تعالى أمر الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن استماع ما جاء به النبي صلى الله عليه
 وسلم أتبعه بقوله تعالى (أخشب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي) من الأحياء كاللائكة
 وعزير والمسج والاموات كالاصنام (من دوى) وقوله تعالى (أولياء) أي أولياء ما يقولون
 ليتخذوا والمفعول الثاني لحسب محذوف والمعنى أظنوا أن اتخذوا المذكـور يتبعهم
 ولا يغضبني ولأعاقبهم عليه كلا وقرأ نافع وأبو عمرو وفتح الياء والباقون بسكونها وهم على
 مراتبهم في المدة * ولما كان معنى الاستفهام الإنكارى ليس الأمر كذلك حسن جداً قوله
 تعالى مؤكداً لاجل إنكارهم (أنا اعتمدنا جهنم) التي تقدم أن أعرضناها لهم (للكافرين) أي
 هؤلاء وغيرهم (نزل) أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضعيف وهذا على سبيل التكميل وتظهير
 قوله تعالى فيشرهم بعدذاب أليم * ثم ذكر تعالى ما فيه تنبيه على جهل القوم فقال تعالى
 لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (هل تنبئكم) أي تنبئكم وأدغم الكسائي لام
 هل في النون والباقون بالانطهار (بالأخسرين أعمالاً) أي الذين أتعبوا أنفسهم في عمل
 يرجون به فضلاً ونوالاً فقالوا هلا كابوراء واختلوا فيهم فقال ابن عباس وسعد بن أبي
 وقاص هم اليهود والنصارى وهو قول مجاهد قال سعد بن أبي وقاص أما اليهود فكذبوا
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة فقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى
 قال البقاعي وكذلك قال اليهود لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني
 وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع * (تنبيه) * أعمالاً لتمييز الأخسرين جمع
 عمل وإن كان مصدراً لتنوع أعمالهم ثم وصفهم تعالى بضد ما يدعونه لأنفسهم من نجاح السعي
 وإحسان الصنع فقال تعالى (الذين ضل) أي ضاع وبطل (سعيهم في الحياة الدنيا) لكفرهم
 * (تنبيه) * محمل الموصول الجرعة أو بدلاً أو بياناً أو النصب على الذم أو الرفع على الخبر
 المحذوف فإنه جواب السؤال ومعنى خسروا أنهم أنه مثلهم بمن يشتري سلعة يرجو فيها ربحاً
 نفسم وخاب سعيه كذلك أعمال هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم مع ضلالهم فبطل جدتهم

واجتهادهم في الحياة الدنيا (وهم يحسبون) أى يظنون وقرأ ابن عامر وعاصم وحجة يفتح
السين والباقيون بالكسر (أنهم يحسبون صنعا) أى عملا يجازون عليه لاعتقادهم أنهم على
الحق * ثم بين تعالى السبب في بطلان سعيدهم بقوله تعالى (أولئك) أى البغضاء (الذين
كفروا) أى أتت ربهم) أى بدلائل توحيدهم من القرآن وغيره (ولقائه) أى رؤيته لانه يقال لقيت
فلانا أى رأيته (فان قيل) اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر وذلك
في حق الله تعالى محال فوجب جله على لقاء ثواب الله تعالى كما قال بعض المفسرين (أجيب)
بأن لفظ اللقاء وان كان عبارة عن الوصول إلا أن استعماله في الرؤية مجاز ظاهر مشهور
والذي يقول أن المراد لقاء ثواب الله قال لا يتم إلا بالاضمار وجعل اللفظ على المجاز المتعارف
المشهور أولى من جله على ما يحتاج الى الاضمار ثم قال تعالى (خبطت) أى فبسبب جحدهم
الدلائل بطلت (أعمالهم) فصارت هباء منثورا فلا يشاؤون عليها وفي قوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم
القيامة وزنا) قولان أحدهما اننا ندرى بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار تقول العرب
مال فلان عندي وزن أى قدر نخسته وروى أبوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
لبأنى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال أقرؤا ان شئتم فلا
نقيم لهم يوم القيامة وزنا الثاني لانهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات
والسيئات من الموحدين ليعتد مقدار الطاعات ومقدار السيئات وقال أبو سعيد الخدري تأنى
ناس بأعمالهم يوم القيامة عندهم في التعظيم كبحال تنامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله
تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * ولما كان هذا السياق في الدلالة على ان الله جهنم أوضح
من الشمس قال تعالى (ذلك) أى الامر العظيم الذى يناله من وعيدهم (جزاؤهم) ثم بين ذلك
الجزا بقوله تعالى (جهنم) وصرح بالسياسة بقوله تعالى (عما كفروا) أى عما وقعوا بالتغطية
للدلائل (واخذوا آياتى) الدالة على وحدانيتنا (ورسلى) المؤيدين بالمعجزات الظاهرات
(هزوا) أى مهزوا بهم ما فلم يكتفوا بالكفر الذى هو طعن فى الالهية حتى ضمو اليه الهزو
الذى هو أعظم احتقارا * ولما بين سبحانه وتعالى ما لاحد قسمي أهل الجمع تنفير عنهم بين
ما لا تخبر على تقدير الجواب لسؤال يفتضيه الحال ترغيبا فى اتباعهم والاقداء بهم بقوله
(ان الذين آمنوا) أى باسروا الايمان (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات) من الخصال
(كانت لهم) أى فى علم الله قبل أن يخلقوا البناء أعمالهم على الاساس (جنات) أى نباتين
(الفردوس) أى أعلى الجنة وأوسطها والاضافة اليه البيان روى عن أى هبة رضى الله تعالى
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فإنه أوسط
الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقال كعب ليس فى الجنان حبة
أعلى من حبة الفردوس فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة الفردوس
ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقال كعب الفردوس هو بستان الجنة الذى فيه
الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية

وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش وقال الضحاك هي الجنة الملتقة الاشجار (نزلاً) أي منزلاً
كما كان السعير والاعلال لاؤلك نزلاً وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يغيون) أي
لا يريدون أدنى ارادة (عنها حولاً) أي تحويلاً إلى غير هاتين العبادتين لا يريدون أن يتحولوا عنها
كما ينقل الرجل من دار إذا لم يوافقها إلى دار أخرى * ولما ذكر تعالى في هذه السورة أنواع الدلائل
والمبينات وشرح فيها أقاصيص الأولين والآخرين نبه على حال كمال القرآن بقوله لنبيه صلى الله
عليه وسلم (قل) يا أشرف الخلق للخلق (لو كان البحر) أي ماؤه على عظمته عندكم (مداداً)
وهو اسم لما يقبضه الشيء كالخبر للدواة والسليط للسراج (لكلمات) أي لكلمات (ربي)
أي المحسن إلى (لنقد) أي فني مع الضعف فناء لا تدركه (البحر) لأنه جسم متناه (قبل أن
تنفذ) أي تنفد وتفرغ (لكلمات ربي) لأن معلوماته تعالى غير متناهية والمتناهي لا ينفذ البتة
بغير المتناهي وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحسية على التذكير والباقيون بالفوقية على التأنيث
* ولما لم يكن أحد غيره بقدر على إمداد البحر قال تعالى (ولو جنت أمثال) أي بمثل البحر الموجود
(مداداً) أي زيادة ومعونة ونظيره قوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده
من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال البغوي وابن
عباس قالت اليهود ترعنا بمحمد أنا فقد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلاً فأمر الله تعالى هذه الآية وقال البيضاوي
وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وتقرؤن
وما أوتيتم من العلم الا قليلاً انتهى وقال في الكشف يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من
بحر كلمات الله وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلاً قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل
شيء فأمر الله تعالى هذه الآية * ولما كانوا يقولوا ما لك لا تحدث من هذه الكلمات بكل
مأسأنا عنده قال الله تعالى (قل) يا خيرا خلق لهم (انما أنا بشر) في استبداد القدرة على إيجاد
المعذوم والاختبار بالغيب (مثلكم) أي لا أمر لي ولا قدرة الا ما يقدرني ربي عليه ولكن (يوحى
إلي) أي من الله تعالى الذي خصني بالرسالة كالوحي إلى الرسل قبلي (انما الهكم) الذي يجب
أن يعبد (الواحد) لا ينقسم بمجانسة ولا غير هاتين على ما يريد لا منازع له لم يؤخر جواب
مأسألتوني عنه من عجز ولا من جهل هذا الذي يعني كل أحد علمه وأما ما سألتكم عنه في أمر
الروح والقصتين فغشاني فأمر لوجه الله وما ضرتكم جهله (فن) أي فتسبب عن وحدته
المستلزمة لقدرة أنه من (كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المضير اليه وقبل يأمل رؤية ربه
والرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعاً قال الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن * ولا كل ما ترجو من الشر واقع

فجمع بين المعنيين (فليعمل عملاً) ولو قليلاً (صالحاً) يرتضيه الله (ولا يشرك) أي وليكن ذلك
العمل مبنياً على الاساس وهو أن لا يشرك ولو بالرباء (بعبادة ربه أحداً) فإذا عمل ذلك جازى غار
عليه يوم الدين والآخره. روى أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل

العمل لله فاذا اطلع عليه سرتي فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا وروى أنه قال له
لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
اتقوا الشرك الا صغر قالوا وما الشرك الا صغر قال الربا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا
أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو الذي عمله وعن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا جمع الله تبارك وتعالى الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في
عمل عمله فليطلب ثوابه منه فان الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك والآية جامعة للخلاص
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة * (خاتمة) * روى في فضائل سورة الكهف
أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وغيره من قراءها عند مضجعه كان له نور يتلأل
في مضجعه الى مكة تحشوا ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة
كان له نور يتلأل من مضجعه الى البيت المعمور تحشوا ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يستيقظ وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ عشر آيات من أول
سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وقال البيضاوي وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف
من آخرها كانت له نور من قرنه الى قدمه ولكنه الذي رواه الامام أحمد من قرأ أول سورة
الكهف كانت له نور من فرقه الى قدمه ومن قراءها كلها كانت له نور من الارض الى السماء
وروى البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له
نور من قدمه الى رأسه ومن قراءها كلها كانت له نور من الارض الى السماء فسأل الله تعالى أن
ينور قلوبنا وأبصارنا وان يغفر لنا ذنوبنا ويؤاخذنا بسوء أفعالنا وان يفعل ذلك بوالدينا واولادنا
وأقاربنا وأصحابنا ومشايخنا وجميع اخواننا المسلمين وأحبائنا آمين ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

(سورة مريم عليها السلام مكية)

وهي ثمان وتسعون آية وسبع مائة واثنان وستون كلمة
وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف وحرمان

(بسم الله) المنزه عن كل شائبة نقص القادر على كل ما يريد (الرحمن) الذي عم نواله سائر
مخلوقاته (الرحيم) بسائر خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى (كهيعص) قال ابن عباس
هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم
وقيل هو اسم السورة وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبي هو شأء أنشأ الله به على نفسه وعنه
معناه كاف خلقه هادعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده وعن ابن عباس قال
الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق
وقيل انه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة البقرة

وقرأ نافع بامالة الهاء والياء بين بين وأمالها محضة شعبة والكسائي وأمال الهاء محضة أبو عمرو
 وابن عامر وحزة ولا وسى في الياء خلاف في الامالة محضة والفتح والباقون وهم ابن كثير
 وحفص بفتحهما بلا خلاف والجميع القراء في العين المتوالتوسط وقوله تعالى (ذكر) مبتدأ
 محذوف الخبر تقديره بما يلي عليكم أو خبر محذوف المبتدأ تقديره المتلوه ذكر أو هذا ذكر
 (رجعت ربك) وقوله تعالى (عبده) مفعول رجعة لانهم صعد بنى على الناء لانها دالة على
 الوحدة وسميت بناء مجرورة ووقف عليهم بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف بالياء على
 الرسم الباقون وقوله تعالى (زكريا) بيان له * (تنبيه) * اعلم أنه تعالى ذكر في هذه
 السورة قصص جملة من الانبياء * الاولى هذه القصة وهي قصة زكريا فيحتمل أن المراد من
 قوله تعالى رجعة ربك أنه عنى عبده ذكر ياتم في كونه رجعة وجهان أحدهما أنه يكون رجعة
 على أمته لانه هداهم الى الايمان والطاعة والثاني أن يكون رجعة على نبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم لان الله تعالى لما شرع له صلى الله عليه وسلم طريقته في الاخلاص والابتهاج في جميع
 الامور الى الله تعالى صار ذلك لطفا داعيا له ولا تمته الى تلك الطريقة فكان زكريا رجعة
 ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرجعة التي يرحم بها عبده زكريا (اذنادى
 ربه نداه) مشتق على دعاء (حقيا) أى سراجوف الليل لانه أسرع الى الاجابة وان كان الجهر
 والاضفاء عند الله سميان وقيل اخفاء لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل
 أسرته من مواليه الذين خافهم وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته
 خفات وسمعه تارات (فان قيل) من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين كونه نداه وخفيا
 (أجيب) بوجهين الاول أنه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان صوته كان ضعيفا
 لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نداه نظرا الى القصد خفيا نظرا الى الواقع الثاني أنه دعا
 في الصلاة لان الله تعالى أجابه في الصلاة لقوله تعالى فتادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
 ان الله يشرك وكون الاجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء فيه فيكون النداء فيه اخفيا
 * (تنبيه) * في ناصب اذ ثلاثة أوجه أحدها أنه ذكر ولم يذكر الحرف في غيره والثاني رجعة
 ولم يذكر الجلال المحلى غيره وذكر الوجهين أبو البقاء والثالث أنه بدل من زكريا بدل اشتمال
 لان الوقت مشغل عليه ثم كأنه قيل ما ذلك النداء فقيل (قال رب) بحذف الاداة للدلالة على
 غاية القرب (الى وهن) أى ضعف جدا (العظم منى) أى هذا الجنس الذي هو أقوى ما في
 بدني ولو جمع لا وهم أنه وهن مجموع عظامه لاجتماعها وقوله (واشتمل الرأس) أى منى (شيبا)
 تميز بحول عن الفاعل أى انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وانى أريد أن
 أدعوك (ولم أكن بدعائك) أى بدعائى اياك (رب شقيا) أى خائبا فيما مضى فلا تخينني فيما
 يأتي وان كان ما أدعوه به في غاية البعد في العادة لكن فعلت مع أبى ابراهيم مثله فهو ودعاء
 وشكروا استعطاف ثم عطف على قوله انى وهن قوله (وانى خفت الموالي) أى الذين يولونى
 في النسب كبنى العلم أن يسبوا الخلافة (من ورائى) أى في بعض الزمان الذي بعدى (وكانت)

امرأ في عاقرا لا تادأصل بآدم عليه فعل الكون (فهب لي) أي فتسبب عن شيخوختي
 وضعفي وتعويدي لي بالاجابة وخوفي من سوء خلافة أفاربي وبأسي عن الولادة عاده بتعقم امرأتى
 وبلوغى من الكبر حد الاخر الذي معه أنى أقول لك يا قادر على كل شئ هب لي (من لذلك) أى من
 الامور المستبطنة المستغربة التي عندك لم تجرها على مناهج العادات والاسباب المطردات (وليا)
 أى ابنا من صلبى (يرثنى) فى جميع ما أنافيه من العلم والتبوة والعمل (ويرث) زيادة على ذلك
 (من آل يعقوب) جزأ مما خصتهم به من المنح وفضلتهم به من النعم ومحاسن الاخلاق ومعالي
 الشيم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثى الجبورة أى العلم بتجسير الكلام وتحسينه فانه كان
 حبرا هو بالفتح والكسر وهو أفصح يقال للعالم بتجسير الكلام وتحسينه وهو يعقوب
 ابن اسحق عليهم السلام وقيل يرثى العلم ويرث من آل يعقوب النبوة ولفظ الارث يستعمل
 فى المال وفى العلم والنبوة أما فى المال فلعله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
 وأما فى النبوة فلعله تعالى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب الآية وقال صلى الله عليه وسلم العلماء
 ورثة الانبياء ولان الانبياء لم يورثوا دينا راولا درهما وانما يورثون العلم وخص اسم يعقوب اقتداء
 به نفسه اذ قال ليوسف عليه السلام ويتم نعمته عليكم وعلى آل يعقوب ولان اسرائيل قد صار
 علما على الاسباط كلهم وكانت قد غلبت عليهم الاحداث وقرأ أبو عمرو والكسائى يجوزم البناء
 المثلثة فيهما على أنهم ما جواب الامر اذ تقديرهما ان تهب يرث والباقون بالضم فيهما على أنهم ما
 صفة (واعترض) بأن زكريا دعا الله تعالى أن يهبه ولدا يرثه مع أن يحيى قتل قبله فلم يهبه الى ارثه
 منه (وأجيب) بأن اجابة دعاء الانبياء غالبية لا لازمة فقد يخلف لقضاء الله تعالى بخلافه كما فى
 دعاء ابراهيم عليه السلام فى حق آييه وكفى دعاء نينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله وسألته
 أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فنعنيها ولما كان من قضاء الله تعالى وقدره أن يوجد يحيى نبيا
 صالحا ثم يقتل استحيب دعاء زكريا فى ايجاده دون ارثه * ولما ختم دعاءه بقوله (واجعله رب)
 أى أيها المحسن الى (رضيا) أى مرضيا عندك أجابه الله تعالى بقوله تعالى (يا زكريا اننا نبشرك
 بغلام) يرث كما سألت (اسمه يحيى) وقرأ سورة بفتح النون وسكون الباء الموحدة وضم الشين
 مخففة والباقون بضم النون وفتح الموحدة وكسر الشين مشددة وكذلك فى آخر السورة
 * (تنبه) * يحيى اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجبة وقيل منقول من الفعل
 المضارع كما سموا يعمر وانما تولى تعالى تسميته تشرى يقاله قال تعالى (لم نجعل له من قبل سميا)
 أى مسمى يحيى قال قتادة والكلبى لم يسم أحد قبله يحيى * (تنبه) * سميا مأخوذ من السمى
 وفيه دلالة لقول البصريين ان الاسم من السمى ولو كان من الوسم لقيل وسميا وقال سعيد
 ابن جبير وعطاء لم نجعل له شهيا ومثلا كما قال تعالى هل تعلم له سميا أى مثلا والمعنى انه لم يكن له مثل
 لانه لم يعص ولم يمتنع قط ووردها الان هذا يقتضى تفضيله على الانبياء قبله كابراهيم وموسى
 وليس كذلك وقيل لم يكن له ميل الى امر النساء لانه كان سيدا وحصورا وعن ابن عباس لم تلد
 العواقر مثله ولذا اتم كانه قيل فما قال فى جواب هذه البشارة العظيمة فقيل (قال) عالما

بصدقها طالبا لها كيدها وللتلذذ بترديد ها وهل ذلك من امر أنه آمن غيرها وهل اذا كان منها
يكونان على حالتها من الكبر وأغريها غي طائش ولا يحل (رب) أيها المحسن الى باجابة الدعاء دائما
(أني) أي من أين وكيف وعلى أي حال (يكون لي غلام) يولد لي في غاية القوة والنشاط والكمال
في الذكورة (وكانت) أي والحال أنه كانت (امرأتي) اذ كانت شابة (عاقرا) غير قابلة للولاد
وأنا وهي شابان فلم يأثنا ولا اختلال أحد السبيلين فكيف بهم اوقداً يست قال الجلال المحلى
بلغت ثمانا وتسعين سنة (وقد بلغت) انا (من الكبر عتيا) من عتاييس أي نهاية السن قال الجلال
المحلى مائة وعشرين سنة وبعثت رقبته ما قبل لم تعجب زكريا عليه السلام بقوله أني يكون لي غلام
مع أنه هو الذي طلب الغلام وقرأ حفص وحزرة والكسائي عتيا واصلها وحنيا بكسر عين
الاول وصاد الثاني وجيم الثالث وضم الباقون وأما يكاف كسر الباء الموحدة حمزة والكسائي
وضعهما الباقون وأصل عتي عتو وكسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو والاولى ياء لمناسبة الكسرة
والثانية ياء لثمة دغم فيها وانما استعجب للولد من شيخ فان وعجز عاقر اعترافا بأن المورث فيه كامل
القدرة وأن الوسايط عمدا المحققين ملغاة ولذلك (قال) أي الله تعالى كما قال الاكثرون لان زكريا
انما كان يخاطب الله ويسأله بقوله رب اني وهن العظم مني أو الملك المبلغ للبشارة تصديقه
لقوله تعالى فناداه الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يمشرك بعبدي وأيضا فانه لما قال وقد
بلغت من الكبر عتيا قال (كذلك) أي الامر كذلك فهو خبر مبتدأ محذوف ثم علله بقوله (قال
ربك) أي الذي عودك بالاحسان فدل ذلك على أنه كلام الملك قال ابن عادل ويمكن أن يجاب
بأنه يخجل أن يحصل النداء آن نداء الله تعالى ونداء الملك ثم ذكر مقول القول فقال (هو) أي
خلق يحيي منكم على هذه الحالة (علي) أي خاصة (هين) أي بأن أرتد عليك قوة الجماع وافترق
رحم امرأتك للعلق (وقد خلقتك) أي قدرتك وصورتك وأوجدتك (من قبل ولم) أي والحال
أنك لم (تكن شيئا) بل كنت معدوما صرنا وفيه دلائل على أن المعدوم ليس بشئ ولاظهار الله تعالى
هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها وقرأ حمزة والكسائي بعد القاف بنون
بعدها ألف والباقون بعد القاف بـاء مضمومة ولما نافت نفسه الى سرعة المباشرة به (قال رب
اجعل لي) على ذلك (آية) أي علامة تدلني على وقوعه (قال آيتك) على وقوع ذلك (أن لا تكلم
الناس) أي لا تقدر على كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاث ليال) أي بأيامها كما في آل
عمران ثلاثة أيام حال كونك (سويا) من غير خرس ولا مرض وجعلت الآية الدالة عليه سكوت
ثلاثة أيام ولما يلين من غير ذكر الله دلالة على اخلاصه وانقطاعه بكليته الى الله تعالى
دون غيره (تفرج) عتب اعلام الله تعالى له بهذا (على قومه من المحراب) أي من المسجد
وهم ينتظرون أن يفتح لهم الباب متغيرا لونه فأنكروه وهو منطلق اللسان بذكر الله تعالى
منحبسه عن كلام الناس فقالوا مالك يا نبي الله (فأوحى اليهم) أي أشار بشفتيه من غير نطق
وقال مجاهد كتب لهم في الارض (أن سجوا) أي أوجدوا والتزيه والتعديس لله تعالى بالصلاة
وغيرها (بكرة وعشيا) أي أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بعباده من كلامهم حل امر أنه

يحيى قال الجلال المحلى وبعد ولادته بسنين قال الله تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة
(بقوة) أى جئتم ان الله تعالى وصفه بصفات الاولى قوله تعالى (وآتيناه الحكم) قال ابن
عباس النبوة (صيا) قال الجلال المحلى تبع البغوى ابن ثلاث سنين أى أحكمكم الله عقله
في صباه واستنبأه وقبل المراد بالحكم الحكمة وفهم التوراة فقرأ التوراة وهو صغير قال
البغوى وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو بمن أوفى الحكم صيا * الصفة الثانية
قوله تعالى (وحنانا) أى وآتيناه رجعة وهيبة ووقار ورقة قلب ورزقا وبركة (من لدنا) أى من
عندنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة * الصفة الثالثة قوله تعالى (وزكاة) أى وآتيناه طهارة في دينه
قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة هي العمل الصالح وقال الكلبي
يعنى صدقة تصدق الله بها على أبيه * الصفة الرابعة قوله تعالى (وكان) أى جبلة وطبعاً (تقياً)
أى مخلصاً طيعاً روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهتكم بها * الصفة الخامسة قوله تعالى (وبراً ابواه)
أى باراً الطيفاهم المحسن اليهم لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه
قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احساناً * الصفة السادسة قوله تعالى
(ولم يكن جباراً) أى متكبراً والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين قال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظاً غليظ القلب
لا نفصوا من حولك ولأن رأس العبادة معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال
ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به التجبر والترفع ولذلك لما تجبر ابلش
وتغرد صار بعدا عن رحمة الله تعالى وعن المؤمنين وقيل الجبار هو الذى لا يرى لاحد على نفسه
حقا وهو من التعظيم والذهاب بنفسه من أنه لا يلزمه قضاء حق لاحد وقيل هو كل من عاقب على
غضب نفسه * الصفة السابعة قوله تعالى (عصياً) أى عاقفاً وعاصياً ربه وهو أبلغ من العاصي
كما أن العليم أبلغ من العالم * الصفة الثامنة قوله تعالى (وسلام عليه) منا (يوم ولد ويوم يموت
ويوم يعث حياً) * فان قيل لم خص هذه الاوقات الثلاثة (أجيب) بوجوه الاول قال محمد بن
جبر الطبرى وسلام عليه يوم ولد أى أمان من الله تعالى عليه يوم ولد من أن يناله الشيطان
كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت أى أمان من الله من عذاب القبر ويوم يعث أى ومن عذاب
الله يوم القيامة الثانى قال ابن عيينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه
خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يعث فيرى في محشر عظيم
فاكرم الله تعالى يحيى عليه السلام بخصه بالسلام في هذه المواطن الثالث قال عبد الله بن
نقطوية وسلام عليه يوم ولد أى أول ما يرى في الدنيا ويوم يموت أى أول يوم يرى فيه أمر الآخرة
ويوم يعث حياً أى أول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حياً تنبيهاً على كونه
من الشهداء لأنه قتل وقد قال تعالى أحياء عند ربهم يرزقون * (فروع) * الاول هذا السلام
يمكن أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين ففيه دلالة على تشريفه لأن
الملائكة لا يسلمون الا عن أمر الله تعالى * الثانى يحيى مزينة في هذا السلام على السائر الانبياء

لقوله تعالى سلام على نوح سلام على ابراهيم لانه تعالى قال يوم ولد وليس كذلك سائر الانبياء
 الثالث روى ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام أنت أفضل منى لان الله تعالى قال
 سلام عليه وأنا سلمت على نفسي قال الرازى وهذا ليس بقوى لان سلام عيسى على نفسه يجرى
 مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امر الله تعالى انتهى ولكن
 بين المسلمين منية * (تنبيه) * هذه القصة قد ذكرت في آل عمران بقوله تعالى كلما دخل
 عليها زكريا المحراب وجد عند هارزقا الى أن قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هبلى
 من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم لان زكريا عليه السلام لما رأى
 خرق العادة في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة في ذكر ما هنا وهناك في
 الالتفات من وجوه الاول منها أن الله تعالى صرح في آل عمران بان المنادى هو الملائكة بقوله
 تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب وفي هذه السورة الاكثر على ان المنادى بقوله
 يا زكريا اننا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى (وأجيب) بأن الله تعالى هو المبشر سواء كان
 بواسطة أم لا الثاني انه قال تعالى في آل عمران أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى
 عاقرة قد كرت ولا كبر سنه ثم عقرا امرأته وفي هذه السورة قال أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى
 عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بأن الواو لا تقتضى الترتيب الثالث قال في آل
 عمران وقد بلغنى الكبر وقال هساق قد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بأن ما بلغك فقد بلغته
 الرابع قال في آل عمران آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وقال هنا ثلاث ليال سوا
 وأجيب بأن الايتين دلستا على ان المراد ثلاثة أيام بلياليات كما مر * القصة الثانية قصة مريم
 وابنها عيسى عليهم السلام ولما كانت قصة عيسى عليه السلام أغرب من قصة يحيى لان خلق
 الولد من شخصين فانيقن اقرب الى مناهج العادات من خلق الولد من أب البتة وأحسن
 طرق التعليم والفهم الاخذ من الاقرب فالاقرب مرتقب الى الاصعب فالاصعب أشار الى
 ذلك بتعبير السباق فقال عاطفا على ما تقديره اذكر هذا لهم (وآذ كر) بلفظ الامر (في الكتاب)
 أى القرآن (مريم) أى قصتها وهى ابنة عمران حالة يحيى كما فى الصحيح من حديث أنس بن
 مالك بن صعصعة الانصارى فى حديث الاسراء فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا حالة
 ثم أبدا من مريم بدل اشتغال فقال (آذ) أى اذكر ما اتفق لها حين (انتدت) أى كلفت نفسها
 أن اعتزت وانفردت (من أهلها) حالة (مكنا شرقيا) أى شرقى بيت المقدس وقال الرازى
 شرقى دارها وعن ابن عباس انى لا علم خلق الله تعالى لى شئ انتدت النصارى الشرق قبله
 لقوله تعالى مكنا شرقيا فانتدت ميلاد عيسى قبله واقتصر الجلال المحلى على الشرق من
 الدار وتردد البضاوى بينهما فقال شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها انتهى ويحتمل أن
 يكون شرقى بيت المقدس هو شرقى دارها فلا مخالفة (فانتدت) أى اخذت بقصد وتكلف
 ودل على قرب المكان بالاتبان بالجار فقال (من دونهم) أى أدنى مكان من مكانهم (حجابا) أى
 أرسلت ستر استتر به لغرض صحيح وليس بذكور واختلف المفسرون فيه على وجوه أحدها

أنها طلبت الخلوة كيلا تشغل عن العبادة فليها انما عشت فخرجت الى المفازة لتستقي ثابها
 أنها كانت في منزل زوج اخنها زكريا وفيه محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق
 عليها الباب فتفت أن تجد خلوة في الجبل لتغلي رأسها وتوحي فافتجرت لها الشمس فخرجت
 فجلست في المشرقة ورأى الجبل فأناها الملك كما قال تعالى (فأرسلنا) لا امرئ يدل على عظمتنا (اليها
 روحنا) أي جبريل عليه السلام ليعلما بما يريد من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من
 غير أب لئلا يشبه عليها الامر فتقبل نفسها غما (فتقبل اليها) أي تشجع بشين معجزة ثم بامو حدة
 ثم جاء مهملة وهور وحافى بصورة الجسماني (بشر اسويا) في خلقه حسن الشكلى رابعها
 أنها قعدت في مشرفة للاغتسال من الخيض متحجبة بشي يسترها وكانت تحول من المسجد الى
 بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا ظهرت فيبنيها في مغتسلها أناها جبريل بعد لبسها ثيابها
 متمثلا بصورة شاب أمر دسوى الخلق تستأنس بكلامه اذ لو أنها في الصورة الملكية لفرت
 منه ولم تقدر على استماع كلامه قال البيضاوي ولعله لتبج شهوتها فتقدر نطقها الى رجمها أي
 مع أمنها الفتنة لعفتها قال الرازي وكل هذه الوجوه محتملة وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح
 واحد منها ولما رأت مريم جبريل فقوها (قالت اني أعوذ) أي أعصم (بالرحمن) ربي
 الذي رحمته عامة لجميع خلقه (منك) أي أن تقر بي وفق يا ابن نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها
 الباقون وهم على مراتبهم في المدة ولما تفرست فيه بما أنار الله تعالى من بصيرتها وأمنى من
 سريرتها التقوى قالت (ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا وجواب الشرط محذوف دل عليه
 ما قبله أي فاني عاتدة منك أو نحو ذلك دل تعودها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها
 (فان قيل) انما يستعان من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا (أجيب) بأن هذا كقول
 القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعا لك من الظلم كذلك هنا ينبغي
 أن تكون تقوا مانعة لك من الفجور وهذا في نهاية الحسن لانها علمت أنها لا تؤثر الاستعانة
 الا في التقى وهو كقوله تعالى وذروا ما بيني وبينكم من الزمان ان شرط الايمان
 يوجب هذا الا أن الله تعالى يخشى في حال دون حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان فاجر
 يتبع النساء اسمه حتى فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك فاستعادت منه قال الرازي
 والاول هو الوجه * ولما علم جبريل عليه السلام خوفها (قال) تحبها لها بما معناه اني لست بمن
 تخشى أن يكون مني ما مؤكدا لاجل استعانتها (انما أنا رسول ربك) أي الذي عذبت به فأنا
 لست منكم ما بل متصف بما ذكره وزيادة الرسالة وعبر بانهم الرب المقضى للاحسان لطفها ولأن
 هذه السورة مصدره بالرخة ومن أعظم مقاصد هاتهنا دعاء النعم على خلص عباد وقوله (ليب لك)
 قرأ ورش وأبو عمرو وقالون بخلاف عنه بالياء أي لبيب الله تعالى لك وقرأ الباقون بالهمز أي
 لبيب أنا لك وفي مجازة وجهان الاول أن الهمزة لما جرت على يده بأن كان هو الذي ينفج في جيبها
 بأمر الله تعالى جعل نفسه كأنه هو الذي وهب لها واضافة الفعل الى من هو سبب مستعمل
 قال الله تعالى في الايمان رب انهم أضلاني كثيرا من الناس الثاني أن جبريل عليه السلام لما

بشرها بذلك كانت البشارة الصادقة جارية بحجى الهيبة * ثم بين الموهوب بقوله (غلاما) أى ولدا
ذكر فى غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله (فكيا) أى نياطا هرا من كل ما يدنس البشر
ناميا على الخير والبركة (قالت) مريم (أنى) أى من أين وكيف (يكون لى غلام) الله (ولم
يسسى بشر) بكاح (ولم أنبغا) أى زانية فتجبت عما بشرها به جبريل عليه السلام لأنها
قد عرفت بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادة عندها أهل المعرفة معتبرة فى الأمور
وان جوزوا خلاف ذلك فى القدرة فليس فى قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على
خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أباب البشر على هذا الحد ولأنها كانت منقرضة
للعادة ومن يكون كذلك لا بد أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك وبما تقر رسله ما قبل قولها
ولم يسسى بشر يدخل تحتها قولها ولم أنبغا ولهذا اقتصر عليه فى سورة آل عمران بقولها قالت
رب أنى يكون لى ولد ولم يسسى بشر فلم تذكر البغى ويجوز أن يقال إنها أفردت ذكر البغى مع
دخوله فى الكلام الأول لأنه أعظم ما فى بابها فهو نظير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى وقوله تعالى وملائكته ورسوله وجبريل وميكال (قال) لها جبريل عليه السلام
الامر (كذلك) من خلق غلام منك بغير أب * ولما كان لسان الحال قائلا كيف يكون بغير سبب
أجاب جبريل بقوله (قال ربك هو) أى المذنب وهو ما يجادى الولد على هذه الهيبة (على)
وحدى لا يقدر عليه غيرى (هين) أى بأن ينقح بأمرى جبريل فيك فتحمل به ولكون
ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولتجعله) بمثل الثامن العظيمة (آية للناس) أى علامة على كمال
قدرتنا على البعث أدل من الآية فى يحيى عليه السلام وبه تمام القصة الرابعة فى خلق البشر
فأنه أوجده من أنثى بلا ذكر وجوز أن يذكر بلا أنثى وأدم عليه السلام لا من ذكر ولا أنثى وبقيّة
أولاده من ذكر وأنثى معا (ورحمة منا) على العبادتهم تدون به (وكان) ذلك كله (أمرا
مقضيا) به فى على وقوله تعالى (تحملته) فيه حذف تقديره فنحننا فيها حملته دل على ذلك
قوله تعالى فى سورة التحريم ومريم ابنت عمران التى أحصت فرجها فنحننا فيه من روحنا
واختلف فى النافع فقال بعضهم كان النفع من الله تعالى لهذه الآية ولأنه تعالى قال ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما أخرج به الدليل وفى حق آدم
النافع هو الله تعالى قال تعالى فنحننا فيه من روحى فكذلك آلهما وقال بعضهم النافع جبريل
لأن الظاهر من قول جبريل عليه السلام لا هب لك على أحد القراءتين أنه النافع واختلف
فى كيفية نفعه فقيل ان جبريل عليه السلام رفع درعها فنفع فى جنبها فحملت حين لبسته وقيل
مد إلى جنب درعها أصابعه ونفع فى الجنب وقيل نفع فى كتم قبصها وقيل فى فيها وقيل نفع
جبريل نفعها من بعيد فوصل النفع إليها فحملت بعيسى فى الحال وقيل نفع فى ذيلها فدخلت
النفع فى صدرها فحملت فجات أختها امرأة زكريا زورها فلما التزمتهما عرفت أنها حبلى
وذكرت مريم حالها فقامت امرأة زكريا بالى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله
تعالى مصداق بكامة من الله وقيل جات وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد

كانت حاضنة حينئذ قبل أن تحمل قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه
 الأقوال المذكورة ثم عقب بالجل قوله (فَاتَبَذَتْ بِهِ) أي فاعتزلت به وهو في بطنها حالة (مكنا
 قصبا) أي بعيدا من أهلها ومن المصنوع الشرفي وأشار إلى قرب الولادة من الجل بقاء
 التعقيب في قوله (فَأَبْجَأُ) أي فألقى بها وألقاها (المخاض) وهو تحريك الولد في بطنها للولادة
 (الجدع النخل) وهو ما برز منها من الأرض ولم يبلغ الأغصان وكان تعريفها لأنه لم يكن في
 تلك البلاد الباردة غيرها فكانت كالعلم لما فيها من العجب لأن النخل من أقل الأشجار ضربا على
 البرد ولعلها ألحقت إليها دون غيرها من الأشجار على كثرتهم المناسبة حال النخل لها لأنه لا يتحمل
 إلا بالفتح من ذكر النخل فحملها بغير دهرها أنسب شيء يأتي من الولد من غير والد فكيف إذا كان
 ذلك في غير وقته وكانت يابسة مع ما فيها من المنافع بالاستناد إليها والاعتماد عليها أو كون
 رطبها خرسا للنفساء وغاية في نفعها وغير ذلك والخرسه بخاء معجمة مضمومة طعام النفساء وهو
 مراد الجوهري بقوله طعام الولادة قال ابن عباس الجل والولادة في ساعة واحدة وقيل
 ثلاث ساعات جلته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل
 كانت مدته تسعة أشهر ركمل سائر النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لأنه
 لا يعيش من ولد ثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر ولما كان
 ذلك أمر اصعبا عليها جدا كان كانه قيل ياليت شعري ما كان حالها فتقيل (قالت) لما حصل
 عندها من خوف العار (ياليتني مت) وأشارت إلى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود
 فقالت من غير جاز (قبل هذا) أي الأمر العظيم وقرأ نافع وحفص وجزء والكسائي مت بكسر
 الميم والباقون بالضم (وكنيت نسيا) أي شيئا من شأنه أن يطرح وينسى (منسيا) أي متروكا
 بالفعل لا يخطر على بال (فان قيل) لم قالت ذلك مع أنها كانت تعلم أن الله تعالى بعث جبريل
 عليه السلام اليها ووعدها بأن يجعلها وولدها آية للعالمين (أجيب) عن ذلك بأجوبة الأول
 أنها تمتمت ذلك استحياء من الناس فأبساها الاستحياء بشارة الملائكة بعيسى الثاني أن عادة
 الصالحين إذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك كما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه نظر إلى
 طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجرة وتاكل من الثمر وتدبت في غرة يقرعها
 الطائر وعن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنه من الأرض فقال ياليتني هذه التبنه ولم أكن شيئا
 وعن علي رضي الله عنه يوم الجل لبتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت
 بلال لم تلده أمه فثبت أن هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الأمر عليهم الثالث
 لعلها قالت ذلك لتلايق في المعصية من يشكلم فيها والافهي راضية بما بشرت به وقرأ حفص
 وجزء نسيا بفتح النون والباقون بالكسر وقوله تعالى (فناداهما من تحتها) قرأه نافع
 وحفص وجزء بكسر من وجر التاء من تحتها والباقون بفتح من ونصب تحتها وأمال ألف ناداهما
 جزء والكسائي أمالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح وفي المنادى أوجه
 أحدها أنه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير فأنها أنه جبريل عليه

السلام وأنه كالقابلة للولادة نالها أن المنادى على القراءة بالفتح هو عيسى وعلى القراءة بالكسر هو جبريل وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم قال الرازي والاول أقرب وصدر به البضاوي واقتصر الحلال المحلى على الثاني والمعنى على الاول أن الله تعالى أنطقه إياها حين ولدته تطيبها لقبها وازالة اللوحشة عنها حتى تشاهد في أول الامر ما بشرها به جبريل من علو شأن ذلك الولد وعلى الثاني أن الله تعالى أرسله إليهم ليناديهم بهذه الكلمات كما أرسل إليهم في أول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة والضمير في تحتها للسيدة مريم وعلى تقدير أن يكون المنادى هو عيسى فهو ظاهر وإن كان جبريل فقل أنه كان تحتها يقبل الولد كالقابلة وقيل تحتها أسفل من مكانها وقيل الضمير فيه للنخلة أي ناداهما من تحتها (أن لا تحتزني) يجوز في أن تكون مفسرة لتقدمها ما هو بمعنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وأن تكون الناصبة ولا حينئذ نافية وحذف النون للنصب ومحل أن أمانصب أو جرت لانها على حذف حرف الجر أي فناداهما بكذا (قد جعل ربك) أي المحسن اليك (تحتك) في هذه الارض التي لا ماء جار فيها (سريا) أي جديولا من الماء تطيب به نفسك قال الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السري هو النهر والحدول سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وأما الحسن وابن زيد فانهم ما جعلوا السري هو عيسى والسري هو النبيذ الجليل يقال فلان من سروات قومه أي أشرفهم واحتج من قال هو النهر بأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السري فقال هو الحدول وبقوله تعالى فكلى واشربي فدل على أنه النهر حتى يضاف الماء الى الرطب فتا كل وتشرب واحتج من قال انه عيسى بأن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز أن يجاب عنه بأن المراد انه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كقول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي لأن هذا اجل اللفظ على مجازة ولو جعلناه على عيسى لم يتجوز الى هذا المجاز وأيضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (وأجيب) بأن المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت * (تنبيه) اذا قيل بأن السري هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل ضرب برجله الارض وقيل عيسى فظهر عين ماء عذب ونجى وقيل كان هناك ماء جار قال ابن عادل والاول أقرب لأن قوله قد جعل ربك تحتك مريدل على الحدوث في ذلك الوقت ولأن الله تعالى ذكره تعظيما شأنها وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء وحيث النخلة اليابسة وأورقت وأثمرت وأرطبت قال أبو عبيدة والقراء السري هو النهر مطلقا وقال الاخفش هو النهر الصغير (وهزي اليك) أي أوقعي الهز وهو جذب بتحريك (بجذع النخلة) أي التي أنت تحتها مع يابسها وكون الوقت ليس وقت حملها (تساقط عليك) من أعلاها (رطباجنيا) طريا آية أخرى عظيمة روى أنها كانت نخلة يابسة لأرأس لها ولا ثمر وكان في وقت شتاء فيزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخواصا ورطبا وقرأ حمزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وحقق بضم التاء وفتح السين مخففة وكسر القاف والباقيون بفتح التاء

وتشهد السن مشنوحة وفتح القاف * (تنبيه) * الباء في يجذع زائدة والمعنى هزى اليك
 جذع النخلة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم قال الفراء تقول العرب هزه وهزبه وخذ
 الخطام وخذ بالخطام وزرجتك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز أن يكون على معنى هزى
 اليك رطباً يجذع النخلة أى على جذعها ورطباً تميز وجنيا صقته والرطب اسم جنس لرطوبة
 بخلاف تخم فإنه جمع لتخمه والفرق أنهم التزموا تذ كيره فقالوا هو الرطب وتأنيت ذلك فقالوا
 هي التخم فذكروا الرطب باعتبار الجنس وأنشأوا التخم باعتبار الجمعية قال ابن عادل وهو فرق
 لطيف والرطب ما قطع قبل يسه وجذافه وخص الرطب بالذكرك قال الريح بن خيثم ما للنفساء
 عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وهذه الأفعال الخارقة للعادة ككرامات
 لمريم اوارهاص لعيسى وفي ذلك تنبيه على أن من قدر أن ينثر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن
 يجعلها من غير غفل وتطيب لنفسه افلذلك قال (فكلى) أى من الرطب (واشربى) من السرى
 أو كلّى من الرطب واشربى من عصيره (وقرى عينا) أى وطبى نفسك وارفضى عنها ما أحرزها
 وقدم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء
 كثرة ما سال منها من الدم (فان قيل) ان مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش لأن
 الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن روي أنه أجمعت شاة فقدم
 إليها علف وعندها ذهب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفاً من الذئب
 ثم كسر رجلها وقدم إليها العلف فتناولت العلف مع ألم البدن فدل ذلك على أن ألم الخوف أشد
 من ألم البدن وإذا كان كذلك فلم قدم ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف (أجيب)
 بأن هذا الخوف كان قهراً لا من بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج
 إلا إلى التذكير مرة أخرى وقيل قرى عينا بولد عيسى وقيل بالنوم فإن المهموم لا ينام
 وقوله (فأما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ترين) حذف منه لام الفعل وعينه
 وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر أحدا) يشكر عليك
 (فقولى) يا مريم لذلك المنكر جوا باله مع التأكيده تنبيهها على البراءة لأن البرى يكون ساكناً
 لا طمئنته والمرتاب يكثر كلامه وحلقه (انى نذرت للرجن) أى الذى عمت رجته (صوماً) أى
 أى يامسا كعن الكلام في شأنه وغيره مع الاناسى بدليل (فلن أكل اليوم انسيا) فإن كلامى
 يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عني المولود الذى كلامه لا يقبل الدفع وأما أنا فأنزله نفسى
 عن مجادلة السفهاء قالوا ومن أدل الناس سفيه لم يجد مسافها فلا أكل إلا الملائكة أو الخالق
 بالتسميع والتقدير وسائر أنواع الذكر وقيل صياماً لأنهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم فعلى
 هذا كان ذكر الصوم دالاً على الصحة وهذا النوع من النذر كان جائزاً في شرعهم وهل يجوز
 مثل هذا النذر في شرعنا قال القفال له لا يجوز لأن الاحتراز عن كلام الأديمين وتجريد
 الفكر بذكر الله تعالى قربة وإعلاء له لا يجوز لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام
 في الشمس وروى أنه دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة قد نذرت أنها لا تتكلم فقال

أبو بكر أن الإسلام قد هدم هذا فتكلمى * (تنبه) * اختلفوا في أنها هل قالت لهم اني نذرت
للرحمن صوما فقال قوم انها ما تكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأن تأتى بهذا النذر
فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنهم اسكتوا وأشاروا برأسها وقال آخرون
انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم أنها نذرت للرحمن صوما فلن
أكلم اليوم انسياب بعد هذا الكلام (فأنت) أي فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها وزال
حزنه فأفادت (به) أي عيسى (قومها) وإن كان فيهم قوة المحاولة لعل ما يريدون اتباعه البريء
الموقن بأن الله معه حالة كونها (محملة) غير مبالية بأحد ولا مستحسنة واختلفوا في أنها
كيف أثبت به فضل ولدته ثم حملته في الحال الى قومها وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى
غار ومكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نقاسها ثم حملته الى قومها فكلّمه في الطريق فقال
يا أمّاه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وخرنوا وكانوا أهل
بيت صالحين قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على التعيين ثم كأنه قيل فلما أثبت به قومها
ماذا قالوا لها فقيل (قالوا يا مريم) ما هذا الولد لان حالها في اتباعه امر عجيب (لقد جئت
شيئا قريبا) أي عظيم المنكر افيكون ذلك منهم على وجه الذم فهو من أفرى الجلود يقال أفريت
الاديم اذا قطعته على جهة الافساد لمن فريته يقال فريته بقطعه على جهة الاصلاح وبذل
على أن مرادهم الاول قولهم بعده (يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء) أي زانيا (وما
كانت أمك بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد لان هذا القول ظاهره التوبيخ وفي هرون هذا
أربعة أقوال أحدها أنه رجل صالح من بنى اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح
والمراد أنك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا وروى أن هرون هذا المامات تبع
جنازته أربعون ألفا كلهم سمي هرون من بنى اسرائيل تبركا باسمه سوى سائر الناس شبهوا به
على معنى اننا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب كقوله تعالى ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وروى المغيرة بن شعبه قال لما قدمت نجران سألتني فقالوا
انكم تقرّون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصلحين قبلهم قال ابن كثير
وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسبافان بينهما من الدهور
الطويلة ما لا يحصى على من عدّه أدلى علم وكأنه عثره في أول التوراة ان مريم أخت موسى وهرون
ضربت بالدف يوم نجي الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وبخوده فاعتقد أن
هذه هي تلك وهذا في غاية البطالان والمخالفة للحديث الصحيح المتقدم الثاني أنه هرون أخو
موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتسمي يا أختي وللهمداني يا أختاهمدان أي يا واحدا
منهم الثالث انه كان فاسقا في بنى اسرائيل فنسبت اليه أي شبهوا به الرابع انه كان لها أخ
من أبيها يسمى هرون من صلحاء بنى اسرائيل فعبرت به قال الرازي وهذا هو الأقرب لوجهين
الاول ان الأصل في الكلام الحقيقة فيحمل الكلام على أخيها المسمى بهرون الثاني انها

أضيق اليه ووصف أبوها بالصالح فحينئذ يصير التوبيخ أشد لان من كان حال أبويه وأخيه
 بهذا الحال يكون صدور الذنب منه أغش (فأشارت اليه) أي لما بالغوا في توبيخها سكت
 وأشارت الى عيسى عليه السلام انه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود ولما يكن لها حجة
 أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها. وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا غريتها بنا
 أشد من زناها ثم (قالوا) كيف نكلم من كان في المهد صبيا لم يبلغ سن هذا الكلام الذي لا يقوله
 الا الاكابر العقلاء بل الانبياء والتعبير بكان يدل على أنه عند الاشارة اليه لم يحوجهم الا أن
 يكلموه بل حين سمع المحاورة ورأى الاشارة بدامنه قول خارق لعادة الرضعا بل الصبيان
 روى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار
 بسبابه يمينه وقيل كلهم ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان * (تنبيه) * في كان هذه
 أقوال أخذها انما زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف نكلم من في المهد وصيا على هذا انصب
 على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور والواقع صلة ثانیها أنها تامة بمعنى حدث
 ووجدوا التقدير كيف نكلم من وجد صبيا وصبيا حال من الضمير في كان قال الرازي وهذا هو
 الاقرب الثالث انه بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبرها
 (فان قيل) كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم (أجيب) بأن جبريل أو عيسى عليه
 السلام لما ناداهما من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت صار ذلك كالتنبيه
 لها على أن المجيب هو عيسى عليه السلام وألعلها عرفت ذلك بالوحي الذي ذكره وألها على سبيل
 الكرامة واختلجوا في المهد فقيل هو حجرها لما روى أنها أخذته عليه السلام في عرقه فأتت
 به قومها فلما رأوها قالوا لها ما قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل بعد حتى
 يعدلها المهد وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف نكلم صبياسيده أن ينام في المهد وقال وهب أي
 ذكرها مريم عند مناظرتهما اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فوصف نفسه
 بثمان صفات * الصفة الاولى (قال اني عبد الله) أي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال لا تعبد
 لغيره وفي ذلك اشارة الى أن عبد الله لا يتخذ الهام من دونه ولا يستعبده شيطان ولا هوى * الصفة
 الثانية قوله تعالى (آتاني الكتاب) واختلف في ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لان الالف
 واللام في الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة وقال أبو مسلم هو الانجيل
 لان الالف واللام ههنا للجنس وقال قوم التوراة والانجيل لان الالف واللام تفيد الاستغراق
 (٣) واقتصر البيضاوي على الاول والبقاعى على الثالث وزاد عليه والزبور وغيرهما من الصحف
 الصفة الثالثة قوله (وجعلني نبيا) واختلف في معنى ذلك فقيل معناه سيوتي الكتاب ويجعلني نبيا
 وأنى بلفظ الماضي يجعل المحقق وقوعه كالواقع كما في قوله تعالى أنى أمر الله فلا تستبجلوه وقيل هو
 اخبار عما كتب في النوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت وادم
 بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوتى الانجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال وقال
 الحسن أنهم التوراة وهو في بطن أمه * الصفة الرابعة قوله (وجعلني مباركا) بأنواع البركات

(٣) قوله واقتصر البيضاوي على الاول الذي في البيضاوي تقصيرا الكتاب بالانجيل وهو الثاني هنا فاعل مراد ما لا قول يجعل آل الجنس

(أيضا) أي في أي مكان (كنت) وذكر وافي تفسير المبارك وجوها أحدها أن البركة في اللغة هي الثبات وأصله من برك العبر ومعناه وجعلني ثابتا على دين الله تعالى مستترا عليه ثانيا
 إنما كان مباركا لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فان ضلوا فغن قبل
 أنفسهم لامن قبله روى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلمت أم عيسى عيسى
 إلى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه إليك على أن لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء
 أكتب فقال اكتب أحميد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أحميد فعلاه
 بالدرة لمضربه فقال يا مؤذبا لا تضربني ان كنت لا تدري فأسألك فأنى أعلمك الالف
 من آلاء الله والباء من بهائه والجيم من جماله والdal من أداء الحق إلى الله تعالى ثلثها البركة
 الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الاحوال منجما فالحالاني ما مدت أتي الله في الدنيا
 أكون مستعليما على الغير بالجنة فاذا جاء الوقت المعلوم أكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء
 رابعها مباركا على الناس من حيث يحصل بسبب دعائه احياء الموتى وبراء الاكهم والابرص
 وعن قتادة أن امرأته رأته وهو يحيى الموتى ويبرئ الاكهم والابرص فقالت طوبى لبطن حلك
 وثدى أرضعت به فقال عيسى حبيبا لطوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا
 شقيا * (تنبيه) * قوله أي نأما كنت يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل انه عاد إلى حال الصغور و زال
 التكليف الصفة الخامسة قوله (وأوصاني بالصلاة) له طهارة للنفس (والزكاة) طهارة للمال
 فعلا في نفسي وأمر الغيري (مادمت حيا) ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه الله لأنه لا شبهة
 في أن من يصلى إلى الله ليس باله (فان قيل) كيف يؤمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلا
 والقلم مرفوع عن الصغير لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الحديث (أجيب)
 بوجهين الأول أن ذلك لا يدل على أنه تعالى أو صاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ فيكون
 المعنى أو صاني بأدائهما في وقت وجوبهما على وهو وقت البلوغ الثاني أن عيسى لما انفصل
 صيره الله بالغاعا قلا تام الخلقة ويدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكأنه
 تعالى خلق آدم تاما كاملا دفعة فكذلك القول في عيسى عليه السلام قال الرازي وهذا أقرب إلى
 ظاهر اللفظ لقوله مادمت حيا فهذا يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته
 (فان قيل) لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رأوه رأوا شخصا كامل الاعضاء تام الخلقة
 وصدورا الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجباً فكان ينبغي أن لا يتعجبوا (أجيب) بأنه
 تعالى جعله مع صغر جسده قوى التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة
 والآية دلالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل * الصفة
 السادسة قوله (وبرأ) أي وجعلني باراً * ولما كان السياق لبراءة والدته قال (بوالدتي) أي
 التي أكرمها الله تعالى باحسان الفرج والحلبي من غير ذكر وفي ذلك إشارة إلى تنزيه أمته عن الزنا
 اذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها الصفة السابعة قوله (ولم يجعلني
 جبارا) متعاطفا (شقيا) أي عاصيا بأن أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق إنما أفعل ذلك بعن
 يستحق وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال قلبي لين واني ضعيف في نفسي وعن بعض العلماء

لا أجد العاقب إلا جبارا شقيلا ولا جدسي الملاكية الا محتالا نفورا وتلا وما ملكت أيمانكم أن الله
 لا يحب من كان محتالا نفورا الصفة الثامنة قوله (والسلام) من الله (على) فلا يقدر أحد على
 ضري (يوم ولدت) فلا يضربني شيطان (ويوم أموت) فلا يضربني أيضا ومن يولد ويعت فليس باله
 (ويوم أبعث حيا) يوم القيامة كما تقدم في يحيى عليه السلام وفي ذلك إشارة إلى أنه في البشرية
 مثله سواء لم يفارقه أصلا إلا في كونه من غير ذكر وإذا كان جنس السلام عليه كان اتباعه كذلك
 ولم يبق لأعدائه إلا اللعن ونظيره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بمعنى
 أن العذاب على من كذب وتولى (ذلك) أي الذي تقدم نعتة بقوله أني عبد الله إلى آخره هو
 (عيسى بن مريم) لا ما يصفه النصارى بقولهم انه الله أو ابنه أو واله ثالث فهو تكذيب لهم
 فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعل الموصوف باضداد ما يصفونه
 وفي ذلك تنبيه على أنه ابن هذه المرأة وقوله تعالى (قول الحق) قرأ عاصم وابن عامر بنصب
 اللام على أنه مصدر مؤكد والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب
 فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة ثم عجب تعالى من ضلالهم فيه
 بقوله تعالى (الذي فيه يمترون) أي يشكون شكايته ككفونه ومجادلون فيه فنقول اليهود سحر
 وتقول النصارى ابن الله مع أن أمته امرأَةٌ في غاية الوضوح ليس موضعاً للشك أصلاً ثم دل على
 كونه حقا في كونه ابنا لأمه مريم لا غيرها بقوله رداعلى من ضل (ما كان) أي ما صح
 ولا يتأتى ولا يتصور في العقول ولا يصح ولا يأتي لانه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله)
 الفنى عن كل شيء (أن يتخذ من ولد) وأكده عن أن المقام يقتضى النفي العام ولما كان
 اتخاذ الولد من النقائص أشار إلى ذلك بالتزوية العام بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن كل نقص
 أي من احتياج إلى ولد أو غيره ثم علل ذلك بقوله عز وجل (إذا قضى أمرا) أي أي أمر كان
 أي أراد أن يحدثه (فإنما يقول له كن) أي يريده ويعلق قدرته به وقوله تعالى (فيكون) قرأه
 ابن عامر بنصب النون بتقدير أن أو على الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو وقوله (وإن الله
 ربي وربكم) أخبار عن عيسى عليه السلام أنه قال ذلك وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر
 الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها بتقدير حذف حرف الجر متعلق بما بعده والتقدير ولأن
 الله ربي وربكم (فاعبدوه) وحده لمفرده بالاحسان كما أعبدته كقوله تعالى وإن المساجد لله فلا
 تدعوا مع الله أحدا والمعنى لوحداً بآية أطيعوه وقبل انه عطف على الصلاة والتقدير وأوصاني
 بالصلاة وبأن الله واليه ذهب القراء (هذا) أي الذي أمرتكم به (صراط) أي طريق (مستقيم)
 أي يقود إلى الجنة وقرأ قبل بالسجين وخلف بأشمام الصاد والباقون بالصاد الخالصة واختلف
 في قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) فقيل هم النصارى واختلفا في عيسى أخوان الله
 أو اله معه أو ثالث ثلاثة وهموا أحزاباً لانهم تفرقوا ثلاث فرق في أمر عيسى النسطورية
 والملكانية واليعقوبية وقيل هم اليهود والنصارى فجعله بعضهم ولذا وبعضهم كذابا وقيل هم
 الكفار الشامل لليهود والنصارى وغيرهم من الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال

ابن عادل وهذا هو الظاهر لانه لا تخصص فيه ويؤيده قوله تعالى (فويل للذين كفروا) أى
 شدة عذاب لهم (من مشهد يوم عظيم) أى حضور يوم القيامة وأهواله وقوله تعالى (أسمع
 بهم وأبصر) أى بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يوم يا توتنا) فى الآخرة لأن
 حالهم فى شدة السمع والبصر جذيرة بأن يتعجب منها فيندمون حيث لا ينفعهم الندم ويتمنون
 الخصال من الرجوع الى الدنيا ليتداركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسالك بهم فى كل ما يؤذيهم
 ويهلكهم ويرديهم وقوله تعالى (لكن الظالمون) من إقامة الظاهر مقام المضمر اشعارا
 بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أعقلوا الاستماع والنظر والاصل ولكنهم (اليوم) أى فى الدنيا
 (فى ضلال مبين) أى بين ذلك الضلال صواعن سماع الحق وعواعن ابصاره أى اعجب منهم
 يا مخاطب فى سمعهم وابصارهم فى الآخرة بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا وقيل معناه التهديد
 بما سيصغونه وسيبصرون ما يبصرونهم ويصدق قلوبهم ثم ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم أن ينذر قومه بقوله (وأنذرهم) أى خوفهم (يوم الحسرة) هو يوم القيامة يتحسر فيه
 المسى على تركه الإحسان والمحسن على عدم الازدياد من الاحسان لقول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ما من أحد يموت الاندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون
 ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع وفى قوله تعالى (اذقضى الامر) وجوه أحدها اذ
 قضى الامر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثانيا اذ قضى الامر يوم الحسرة بفناء
 الدنيا وزوال التكليف ثالثا اذ قضى الامر فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل
 النار النار وفتح الموت كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذقضى الامر
 فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش ألمح فيذبح والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى
 فرح وأهل النار غما الى غم وقوله تعالى (وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) جللنا حالتان وفيهما
 قولان أحدهما انهما حالان من الضمير المستتر فى قوله فى ضلال مبين أى استقر وفى ضلال مبين
 على هاتين الحالتين السيتين والثانى انهما حالان من مفعول أنذرهم أى أنذرهم على هذه الحالة
 وما بعد ها وعلى الاول يكون قوله وأنذرهم اعتراضا والمعنى وهم فى غفلة عما يفعل بهم
 فى الآخرة وهم لا يصدقون بذلك اليوم * ولما كان الارث هو حوزا الشئ بعد موت أهله وكان
 سبحانه وتعالى قد قضى بموت الخلائق أجمعين وأنه تعالى يبقى وحده عبر عن ذلك بالارث مقررا به
 مضمون الكلام السابق فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم ان البئر لا يزال هكذا أحماة لناس وموت
 الآخرين (انافخن) بعظمتنا التى اقتضت ذلك (ترث الارض) فلان دعهم اشياء من عاقل ولا غيره
 ولما كان العاقل أقوى من غيره صرح به بعد دخوله فقال (ومن عليها) أى من العقلاء بأن
 نسلبهم جميع ما فى أيديهم (والينا) لا الى غيرنا (يرجعون) فنجاز بهم بأعمالهم * القصة الثالثة
 قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وإذ كرمي الكتاب ابراهيم) أى خبره وقرأ
 هشام ابراهيم بالف بعد الهاء والباءت بالياء وانما أمر الله تعالى نبيه بالذكور لذلك لانه صلى
 الله عليه وسلم ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلده مشغولين بالثبوت لعلم ومطالعة الكتب فاذا أخبر

عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومهجزا
 باهراد الاعلى نبوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابراهيم عليه السلام لوجوه الاول ان
 منكبرى التوحيد والذين أثبتوا توحيداً ومعبوداً سوى الله تعالى فريقان منهم من أثبت
 معبوداً غير الله تعالى حياءاً فلا وهم النصارى ومنهم من أثبت معبوداً غير الله تعالى جاداً
 ليس بجى ولا عاقل وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشهر كافي الضلال الا ان ضلال
 عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في ضلال الفريق الثانى
 وهم عبدة الاوثان الثانى ان ابراهيم عليه السلام كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلوا
 شأنه وطهارة دينه على ما قال تعالى ابيكم ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم
 الا امن نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لايكم على قولكم انا وجدنا آباءنا
 على امة فأتشرف آباءكم وأعلامهم قد راوا ابراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاصنام
 والاوثان وان كنتم مستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا
 فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم ائماً تقليداً واماً استئلالاً الثالث ان كثيراً من
 المكفار في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون ترك دين آباءنا وأجدادنا فذكر الله
 تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو أنه ترك دين آبيه وأبطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل
 على متابعة آبيه ثم قال تعالى في صفة ابراهيم (انه كان) جبلة وطبعاً (صديقاً) أى بليغ
 الصدق في نفسه في أقواله وأفعاله أى كان من أول وجوده الى انتهائه وصوفاً بالصدق
 والصيانة وسيماً في الكلام على قوله بل فعلة كبيرهم هذا وانى سقيم في محله ولما كانت مرتبة
 النبوة أرفع من مرتبة الصديقية قال تعالى (نبياً) أى استنبأه الله تعالى اذ لارفعه أعلى
 من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله تعالى (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما
 اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقاً نبياً أى كان جامعاً لخصائص الصديقين والانبياء حين
 قال (لايه) أرزها داله من تبه الضلال بعبادة الاصنام مستعطفاله في كل جملة بقوله (ياأبت)
 والثناء عوض عن بقاء الاضافة ولا يجمع بينهما وقرأ ابن عامر بفتح التاء في الوصل والباقون
 بكسرها وأما الوقف فوق ابن كثير وابن عامر بالهاء والباقون بالتاء ثم ان الله تعالى حكى عنه
 أيضاً أنه تكلم مع آبيه بأربعة أنواع من الكلام النوع الاول قوله (لم تعبد) مریداً بالاستفهام
 المجاملة واللفظ والرفق واللين والادب الجميل في نصحه له كاشفاً الامر غاية الكشف بقوله
 (ما لا يسمع ولا يبصر) أى ليس عنده قابلية لشيء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من
 خدمته أو يسمعك اذا نادى به حالاً أو ما لا (ولا يغنى عنك شيئاً) في جلب نفع ودفع ضرر فوصف
 الاوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قاذحة في الالهية وبيان ذلك من وجوه أحدها
 ان العبادة غاية التعظيم فلا تستحق الامن له غاية الانعام وهو الاله الذي منه أصول النعم
 وفروعه على ما تقر في تفسير قوله وان الله دى وربكم وكما انه لا يجوز الاشتغال بشكر ما لم تكن
 منعمة وجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها وثانيها أنها اذا لم تسمع ولا تبصر ولا تميز من يطيعها
 عن يعصها فأى فائدة في عبادتها وهذا آتية على ان الاله يجب أن يكون عالماً بكل المعلومات

وثالثها أن الدعاء مخ العبادة فإذا لم يسمع الوثن دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته وإذا لم يصبر
 تقرب من يتقرب إليه فأى منفعة في ذلك التقرب ورابعها أن السامع المبصر الضار النافع
 أفضل من كان غارياً عن كل ذلك والإنسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من
 الوثن فكيف يليق بالفضل عبودية الاخص وخامسها أن كانت لا تنفع ولا تضر فلا يرجى بها
 منفعة ولا يخاف من ضررها فأى فائدة في عبادتها وسادسها إذا كانت لا تحفظ نفسها عن
 الكسر والافساد حين جعلها إبراهيم عليه السلام جذاً إذا فإى رجاء فيها للغير فكانه عليه السلام
 قال ليست الالهية الرب يسمع ويصبر ويحجب دعوة الداعي إذا دعاه النوع الثانى قوله
 (يا أبت اى قد جأنى) من المعبود الحق (من العلم ما لم يأتك) منه (فأتبعنى) اى فتسبب من
 ذلك انى أقول لك وجوباً على النهى عن المنكر ونصيحة لما لك على من الحق اجتهد فى تبعى
 (أهدك صراطاً) أى طريقاً (سوا) أى مستقيماً كما انى لو كنت معك فى طريق محسوس
 وأخبرتك ان أمامنا مهلكاً لا ينجو منه أحد وأمرتك أن تسلك مكاناً غير ذلك لا طعتنى ولو
 عصيتنى فيه عدك كل أحد غاوى النوع الثالث قوله (يا أبت لا تعبد الشيطان) فإن الاصنام ليس
 لها دعوة أصلاً والله تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقاً على لسان كل ولّى فتعين أن يكون الأمر
 بذلك الشيطان فكانه هو المعبود بعبادتهم فى الحقيقة ثم علل هذا النهى بقوله (ان الشيطان
 البعيد من كل خير المحترق باللعنة) كان للرجن عصياً بالقوة من حين خلق وبالفعل من حين أمره
 بالسجود لا يلىك آدم عليه السلام فأبى فوه وعدو لله وله والمطيع للعاصى لشيء عاص ذلك الشيء
 لأن صديق العدو وعدو (فان قيل) هذا القول يتوقف على اثبات أمور أحدها اثبات الصانع
 وثانيها اثبات الشيطان وثالثها أن الشيطان عاص ورابعها أنه لما كان عاصياً لم تجز طاعته
 وخامسها أن الاعتقاد الذى كان عليه آزر مستفاد من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التى
 تورد على الشخص أن تكون مركبة من مقدمات معلومة ليس لها انضمام وإعلل إبراهيم كان
 منازعاً فى هذه المقدمات وكيف والمحكى عنه انه ما كان يثبت الها سوى غرذ فكيف يسلم وجود
 الرجن وإذا لم يسلم وجوده فكيف يسلم أن الشيطان عاص للرجن وبتقدير تسليم ذلك فكيف
 يسلم الخصم بغير هذا الكلام أن مذهبه مقتبس من الشيطان بل اعلل بغلب ذلك على خصمه
 (وأجيب) بأن الحجة المعول عليها فى ابطال مذهب آزر هو قوله لم تعب دماً لا يسمع ولا يصبر
 ولا يغنى عنك شيئاً وهذا الكلام جرى مجرى التخويف والتحذير الذى يحمله على النظر فى تلك
 الدلالة فيسقط السؤال النوع الرابع قوله (يا أبت انى أخاف) لمحبتى لك وعزى عليك (أن
 يسلك عذاب) أى كائن (من الرجن) الذى هو مولى كل من تولاه لعصيانك اياه (فتسكون) أى
 فتسبب عن ذلك أن تكون (للشيطان ولها) أى ناضراً وقريناً فى النار ولما دعا إبراهيم
 عليه السلام اياه الى التوحيد وذكر الدلائل على فساد عبادة الاوثان وأردف تلك الدلائل
 بالوعظ البليغ وأورد كل ذلك مقروناً بالرفق والالطف قابله أبوه بجواب يضاد ذلك فقابل حجته
 بالتقليد فانه لم يذكر فى مقابلته حجته الآن (قال أراغب أنت عن آلهتى) بإضافتها الى نفسه

فقط إشارة الى مبالغته في تعظيمها والرغبة عن الشيء تركه عمدا فأصر على ادعاء الهيبة جاهلا
وتقليدا وقابل قوله بالرفق يأتى بالعنف حيث لم يقل يأتى بل قال (يا ابراهيم) وقابل وعظه
بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم بقوله مقسما (لئن لم تنته) عما أنت عليه (لاربجك)
أى لاقتلك أو لاربجك بالخارجة حتى تموت أو تسعدنى أو بالكلام القبيح فاحذرنى (واهجرنى)
أى ابعدنى بالمفارقة من الدار والبلد وهى كتهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى
تباعدهنى (مليا) أى دهر اطويل لى لأرأله وقيل اهجرنى بالقول ولا تخاطبني دهر اطويل
لأجل ما صدر منك من هذا الكلام وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأسية فيما كان
يلقى من الأذى ويقاسى من قومه من العناد ومن عجزه أى لهب من الشدايد بأعظم آثانه
وأقربهم به شها فلما سمع ابراهيم عليه السلام كلام أبيه أجاب بأمرين أحدهما أن (قال) له مقابلا
لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لمثله من رزاة العقل والعلم (سلام عليك) توديع
ومتاركة أى سلمت منى لأصيبك بكمروه مالم أؤمر فيك بشئ فإنه لم يؤمر بقوله على كفره
كقوله لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وهذا يدل على جواز متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج وعلى أنه يحسن مقابلة الاساءة
بالاحسان ويجوز أن يكون دعاءه بالسلامة استمالة ألا ترى أنه وعدة بالاستغفار فيكون سلام
بر واطف وهو جواب الحليم للسفيه كقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم استأنف
قوله (سأستغفر لك ربى) أى المحسن الى بأن أطاب لك منه غفران ذنوبك بأن يوفقك للإسلام
(أنه كان نبيا حقيقا) أى مبالغى الكرامى مرة بعد مرة وكرة فى اثر كرة وقد وفى بوعده بقوله
المذكور فى الشعراء وغفر لى وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره فى براءة وثانيهما
أنه قال له انقياد الامرأيه (وأعترلكم) أى جميعا بترك بلادكم وأشار الى أن من شرط المعبود
أن يكون أهلا للمناداة فى الشدايد بقوله (ومات دعون) أى تعب دون (من دون الله) الذى له
الكمال كله فن أقبل عليه وحده أصاب ومن أقبل على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر
(وادعون) أى اعبد (ربى) وحده لاستحقاقه ذلك منى ولم يقيد الاعتزال بزمن بل أشار الى أنهم
ماداموا على هذا الدين فهو معتزل لهم ثم دعا لنفسه بما ينههم به على خسة مسعاهم فقال غير
جازم باجابه دعوته وقبول عبادته اجلالا له وهضميا لنفسه (عسى أن لا أكون بدعاً ربى)
المنشرد بالاحسان الى (شقيقا) أى كما شقيتم بعبادة الاصنام فانما الانجيبي دعاءكم ولا تنفيعكم
ولا تضركم ولما رأى من أبيه ومعاشرته ما رأى عزم على غربة مشقة النوى مختارا للغربة
فى البلاد على غربة الاخذاد فكان كما قال الامام أبو سليمان الخطابي

وما غربة الانسان فى شقة النوى * ولكن ما والله فى عدم الشكل

وانى غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرى وبها أهلى

وحقق ما عزم عليه فبين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه واجابه دعائه فقال (فلما اعتزلهم) أى
بالهجرة الى الارض المقدسة (وما يعبدون من دون الله) لم يضمر ذلك دينا ولا دينا بل نفقه

وعرضه الله أولاداً كما قال تعالى (وهبناله) كما هو الشأن في كل من ترك شياً لله (اسحق) ولداً له لصلبه من زوجته العاقرة العقيم بعد تجاوزها سن اليأس وأخذته هو في السن إلى حد لا يولد مثله (ويعقوب) ولداً لاسحق وخضعهما بالذكور لزوجتهما محل إقامة وقيامهما بعد موته بخلافته فيه وأما اسمعيل عليه السلام فكان الله سبحانه وتعالى هو المتولى لربيته بعد نقله رضيعاً إلى المسجد الحرام وأخيانته تلك المشاعر العظام فأفرده بالذكور جاعلاً له أصلاً برأسه بقوله بعد واذكري النكاح اسمعيل فترك ذكرهم مع اسحق الذي هو أخوه لذلك ثم صرح بما وهب لأولاده جزاء على هجرته بقوله تعالى (وكلأ) أي منهما (جعلنا نبيا) على المقدار ويخبر بالأخبار العظيمة كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبياً (وهبناله) كلهم (من رجسنا) أي شياً منهم أعظم من النسل الطاهر والذرية الطيبة واجابة الدعاء والطف في القضاء والبركة في المال والأولاد وغير ذلك من خيري الدنيا والآخرة (فجعلنا لهم لسان صدق علياً) وهو الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العظيمة واستجاب الله تعالى دعوته في قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرة فصيروه قدوة حتى ادعاه أهل الأديان كلهم فقال تعالى ملأ أيكم إبراهيم وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في غيره وأولها أنه اعترف عن الخلق على ما قال وأعترف لكم وماتدعون من دون الله فلا جرم بارك الله في أولاده فقال ووهبناله اسحق ويعقوب وكلأ جعلنا نبيا ثانياً أنه تبرأ من أبيه كما قال عز وجل فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لا جرم سمى الله أبا المسلمين فقال ملأ أيكم إبراهيم ثانياً أنه ولد له للجبين ليتذبحه في الله على ما قال تعالى وتله للجبين لا جرم فداه الله تعالى على ما قال وقد نجاه بذبح عظيم رابعها أسلم نفسه فقال أسأت رب العالمين فجعل الله تعالى التائب رداً وسلاماً عليه فقال يا ناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم خامسها أشفق على هذه الأمة فقال ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم لا جرم أشرك الله تعالى في الصلوات في قوله تعالى كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم سادسها وفي حق سارة في قوله تعالى وإبراهيم الذي وفي لا جرم جعل موطن قدميه مباركا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى سابعها عادي كل الخلق في الله فقال فاتهم عدوتني الأرب العالمين فاتخذ الله خليلاً كما قال واتخذ الله إبراهيم خليلاً يعلم صحة قولنا ما خبر على الله أحداً * الفصحة الرابعة قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر في الكتاب) أي الذي لا كتاب مثله في السكال (موسى) أي الذي أنقذ الله به بني إسرائيل من العبودية ثم إن الله تعالى وصفه بأمر أحدهما قوله تعالى (أنه كان مخفصاً) قرأه عاصم وحزق والكسائي بفتح اللام أي مختار الاختاره الله تعالى واصطفاه وقيل أخلصه الله تعالى من الدنس والباقون بالكسر أي أخلص التوحيد لله والعبادة ومضى ورد القرآن بقرآنيين فكل منهم ما ثبت مقطوع به فجعل الله تعالى من صفته موسى عليه السلام كالأمرين ثانياً قوله تعالى (وكان رسولاً) إلى بني إسرائيل والتبطل (نبيا) ينشئه الله بما يريد من وحيه لينبئ به المرسل إليهم فيرفع بذلك قدره فلذلك صرح بما بعد دخولها في الرسالة ضمنياً إذ كل رسول نبي وأيسر

كل نبي رسول خلا فآله معتزلة فاتهم زعموا كونهم مامتلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول
وسبقنا الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي ثالثها قوله تعالى (ونادينا) أي بما لنا من العظمة (من جانب الطور) هو
امم جبل (الايين) أي الذي يلي بين موسى حين أقبل من مدين فأبناؤه هناك حين كان
متوجها الى مصر بأنه رسولنا ثم واعدناه اليه بعد اغراق آل فرعون فكان لبني اسرائيل
به من العجايب في رحلتهم بانزال الكتاب والاذن بالخطاب من جوف السحاب وفي اماتهم
لما طلبوا الرؤية ثم احبائهم وغير ذلك ما يجبل عن الوصف رابعها قوله تعالى (وقر بناه) بما لنا من
العظمة تقريبا تشريف حاله كونه (نجيا) نخبره من أمرنا بلا واسطة من التجوى وهي السبر
والكلام بين اثنين كالسر وقيل قرب مكان أي مكانا عليا عن أي العالمة أنه قرب حتى سمع سرير
القلم حيث يكتب التوراة في الألواح وقيل أنجينا من أعدائه خامسها قوله تعالى (ووهبنا له)
أي هبة تليق بعظمته (من رجنا) أي من أجل رجنا وبعض رجنا (أخاه) أي سباعه سدة
أخيه وموازرتة لاشخصه واخوته وذلك اجابة لدعوته واجعل لي وزيراً من أهلي هرون فإنه
كان أسن من موسى * (نبيه) * أخاه مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من اللب ببيض وقوله
(هرون) عطف بيان وقوله (نبيا) حال منه هي المقصودة بالهبة * القصة الخامسة قصة اسمعيل
عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وآذ كر في الكتاب اسمعيل) بن ابراهيم عليهما السلام
الذين هم معترفون بنبوته ومفتخرون برسالته وأبوة فلزم من ذلك فساد تعليمهم انكار نبوتك
بأنك من البشر ثم ان الله تعالى وصف اسمعيل بأمرأ أولها قوله تعالى (أنه كان) أي جبلة وطبعاً
(صادق الوعد) في حق الله وفي حق غيره لمعونة الله له على ذلك بسبب أنه لا يعدو وعد الامم ونا
بالاستثناء كما قال لا يه حين أخبره بأمر ذبحه سبحانه ان شاء الله من الصابرين وخصه بالمدح به
وان كان الانبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقاً وروى عن ابن عباس أنه
وعده صاحباً له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وروى أن عيسى عليه السلام قال له رجل
انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء الى حاجته الى ذلك
المكان وعيسى عليه السلام هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلاً
ونسي ذلك الرجل فانتظره من النحى الى غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعاداً
الى أي وقت ينتظره قال فان واعدته من افاكل النهار وان واعدته ليا فكل الليل وسئل
ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى ثانياً
قوله تعالى (وكان رسولاً نبيا) قدم ترقيسه وثالثها قوله تعالى (وكان بأمر أهله بالصلاة)
أي التي هي طهرة البدن وقرة العين وخير العون على جميع المآرب (والزكاة) أي التي
هي طهرة المال كما أوصى الله تعالى بذلك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالاهل
قومه وقيل أهله جميع أئمة كان رسولاً الى جرحهم قاله الامم فاني والى أهل تلك البرارى
بدين أبيه ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله تعالى عليهم قال

البغوى وهى الخيفية التى افترضت عليها قيل كان يبدأ بأهله فى الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة
لن سواهم كما قال تعالى وأندرسيرتك الاقربين وأومر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم
نارا وبالزكاة قال ابن عباس انه طاعة الله والاخلاص فكأنه تأوله على مايز كويه الفاعل
عند ربه تعالى والظاهر كما قال ابن عادل ان الزكاة اذا قرنت بالصلاة أن يراد بها الصدقات
الواجبة رابعها قوله تعالى (وكان عند ربه) بعبادته على حسب ما أمر به (مريضاً)
وهذا فى نهاية المدح لان المريض عند الله هو الفنا ترفى كل طاعة بأعلى الدرجات فاقتدأت
به فانه من أجل آياتك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال فتسال رتبة الرضا * القصص
السادسة قصة ادريس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (واذكر فى الكتاب) أى
الجامع لكل ما يحتاج اليه حتى ما يحتاج اليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس)
وهو جد نوح عليه السلام قيل سمي ادريس لكثرة دراسته الكتب واسمه أخنوخ
بهمزة ونون وآخره خاء معجمة وصفه الله تعالى بأمر أحدها وثانيها قوله تعالى (انه كان
صديقاً نبياً) أى صادقاً فى أفعاله وأقواله ومصدقاً بما آتاه الله من آياته وعلى أسنة الملائكة
ثالثها قوله تعالى (ورفعناه مكاناً علياً) وفيه قولان أحدهما انه من رفع المنزلة كقوله تعالى
للنبي صلى الله عليه وسلم ورفعناك ذكر لك فان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين
صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها
وكانوا من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وثانيها أنه من
رفعه المكان ثم اختلفوا فقال بعضهم رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وهى التى رآه النبي
صلى الله عليه وسلم به ليلة الاسراء وقيل الى الجنة وهو حى لا يموت وقالوا أربعة من الانبياء
احياء اثنتان فى الارض الخضر والياس واثنتان فى السماء عيسى وادريس وقال وهب كان
يرفع لادريس كل يوم من العبادة ما يرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فمحبب منه الملائكة
واشتاق له ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأباه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم
الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره
ادريس وقال له الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن
أعجبك فقال لى اليك حاجة قال ما هى قال تقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض
روحه فقبض روحه وردها اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح
قال لا ذوق كرب الموت ونعمة فأكون أشد استعداداً له ثم قال له ادريس ان لى اليك حاجة
أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لا تنظر لىها والى الجنة والنار فأذن الله تعالى له فى ذلك
فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالاً كأن يفتح أبوابها فأردها
ففعل ثم قال كما أريتنى النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فادخله الجنة
ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مكانك فتمعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله تعالى
ملكاً يحكي بينهم ما فقال له الملك مالك لا تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذاتة الموت وقد

ذقته وقال وان منكم الاواردها وقد وردتم اوقال وما هم منها بخير حين قلت اخرج قأوحى
الله تعالى الى ملك الموت باذني دخل الجنة وباذني لا يخرج فهو حى هنالك وقال آخرون بل رفع
الى السماء وقبض روحه وقال كعب الاخبار ان ادريس سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج
الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف عشتي من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد
اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من نجاة الشمس وحرها ما لا يعرفه فقال
يا رب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألني ان أخفف
عني حرها وحرها فأجبتة قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس فكان
ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال له اني أخبرتك أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت
فاشفع لي ليؤخر أجلي فارد ادشكر او عبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وأنا مكممه
فرفعه الى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة اليك لي صديق من
بن آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الي ولكن ان أحببت أعلمه أجله فيقدم لنفسه
قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال لا أجده
يموت الا عند مطلع الشمس قال اني أتيتك وتركتك هناك قال فانطلق فلما رأته تجده الا وقد مات
فوالله ما بقي من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا * ولما انقضى كشف هذه الاخبار
العلية المقدار الجلية الاسرار شرع سبحانه وتعالى ينسب أهلها بأشرف نسبهم ويذكر المني
بينهم فقال عز من قائل (أولئك) أي العالو الرتبة الشرفاء النسب المذكورون في هذه
السورة من الذين ذكرنا الى ادريس وهو مبتدا وقوله (الذين أنعم الله عليهم) بما خصهم به من
عز يد القرب اليه وعظيم المنزلة لديه صفته وقوله تعالى (من النبيين) أي المصطفين بالنبوة
الذين أنبأهم الله تعالى بدقائق الحكم ورفع محالهم بين الامم بيان لهم وهو في معنى الصفة
وما بعده الى جلة الشريعة للنبيين فقوله (من ذرية آدم) أي ادريس لقربه منه لانه جد
أبي نوح (ومن حملنا مع نوح) في السفينة أي ابراهيم ابن ابنه سام (ومن ذرية ابراهيم) أي
اسماعيل واسحق ويعقوب (ومن ذرية اسراييل) وهو يعقوب أي موسى وهرون وذكرا
ويحيى وكذا عيسى لان مريم من ذريته (ومن هدينا) الى اقوم الطرق (واجتبينا) للنبوة
والكرامة أي من جانتهم * وخبر أولئك (اذا تتلى عليهم) من أي نال كان (آيات الرحمن خروا
سجدا) للمتع عليهم تقربا اليه لما لهم من البصائر النيرة في ذكر نعمه عليهم واحسانه
اليهم (وبكيا) خوفا منه وشوقا اليه فكونوا مثلهم * (تسبيح) سجدا اخل مقدرة قال الزجاج
لانهم وقت الخروا ليسوا سجدوا وجمع ساجد وبكيا جمع بك وبكيا قلت الواو ياء والضممة
كسرة واختلف في هذا السجود فقال بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود التلاوة على
حسب ما تعبدوا به قال الرازي ثم يحتمل أن يكون المراد سجود القرآن ويحتمل أنهم عند
الظروف كانوا قد تعبدوا بسجود فيقولون ذلك لاجل ذكر السجود في الآية انتهى وروى ابن

ما به وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فاقبوا
وعن صالح المزني قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه
القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأت سجدة سبحان فلا تجعلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما غرغت عين بعماء الاحترم
الله تعالى على النار سجدها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن نزل محزنا فاذا قرأتموه
فتحازنوا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله وقال
العلماء يدعون في سجدة التلاوة بما يليق بآياتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمده وأعوذ بك أن أكون من المتكبرين عن أمرك واذا قرأ
سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الاتسفين لك وان قرأ هذه قال اللهم
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين بالباكين عند تلاوة آيات كتابك وقرأ أجزاء والكسائي
بيك بكسر الباء والباقون بضمها * ولما وصف سبحانه وتعالى هؤلاء الانبياء بصفة المدح ترغيبا لنا
في التأسي بهم ذكر بعدهم من هو بالذمت منهم فقال (خلف من بعدهم) أي في بعض الزمان
الذي بعده هؤلاء الاصفياء سر يعا (خلف) في غاية الرداءة من أولادهم يقال خلفه اذا عقبه
خلف سوء باسكان اللام والخلف بفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير وعبد في ضمان
الشئ وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر

ذهب الذين يعاش في أكافهم * وبقيت في خلف بجلد الاجرب

وقال السدي أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال قتادة في (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة
المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم آخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلي
الظهر حتى يأتي العصر ولا يصلي العصر حتى تغرب الشمس (واتبعوا الشهوات) أي المعاصي
قال ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا انكاح الاخت من
الاب وقال مجاهد هؤلاء قوم ينظرون في آخر الزمان ينزوب بعضهم على بعض في الاسواق
والازقة (فسوف يلقون غيا) وهو كما قال وهب وابن عباس واد في جهنم بعيد قعره تستعيد منه
أوديتها كما رواه الحاكم وصححه وقيل هو الخسران وقيل هو الشر كقول القائل

فمن يلق خيرا يحمده الناس أمره * ومن يغول لا يعدم على الغي لائما

على الغي متعلق بلائما وقيل يلقون جزاء الغي كقوله يلق أنما أي مجازاة الاثم * (نبهه) * قوله
تعالى يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية * ولما أخبر تعالى
عن هؤلاء بالخبية فتح لهم باب التوبة وحداهم الى غسل هذه الخبوة بقوله (الامن تاب) أي
مما هو عليه من الضلال ويأمر بالاعمال وحافظ على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات (وآمن)
بما أخذ عليه به العهد (وعمل) بعد ايمانه تصديقه (صالحا) من الصلوات والزكوات وغيرها
(فأولئك) العالو الهم الطاهر والشيم (يدخلون الجنة) التي وعد المتقون (ولا يظلمون)
من ظالم ما (شيئا) من أعمالهم (فان قيل) الاستثناء دل على أنه لا بد من التوبة والايان والعمل

الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليهم الصلاة والزكاة أيضا غير واجبة وكذلك الصوم فهذا الزمات في ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع أنه لم يصدر منه عمل فلم يجوز توقف الاجر على العمل الصالح (أجيب) بأن هذه الصورة نادرة والاحكام انما تنطبق بالاعم الغلب * (تنبيه) في هذا الاستثناء وجهان قال ابن عادل أظهرهما انه متصل وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء منه على أن المضيع للصلاة من الكفار ووافق الزجاج الجلال المحلى * ولما ذكر تعالى في التائب انه يدخل الجنة وصفها بأمور أحدها قوله تعالى (جنات عدن) أي اقامة لا ينقطع عنها بوجه من الوجوه وصفها بالادوام على خلاف وصف الجنان في الدنيا التي لا تدوم ثم بين تعالى انها (التي وعد الرحمن عباده) الذين هو أرحمهم وقوله (بالغيب) فيه وجهان أحدهما أن الباطنية وفي صاحب الحال احتمالان أحدهما خيم الجنة وهو عائد الموصول أي وعدا وهي غابة عنهم لا يشاهدونها والثاني عبادة أي وهم غائبون عنها لا يرونها انما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني أن الباطنية أي بسبب تصديق الغيب وسبب الايمان به * ولما كان من شأن الوعود الغائبة على ما يتعارفه الناس بينهم احتمال عدم الوقوع بين ان وعده ليس كذلك بقوله تعالى (انه كان) أي كونهما وسنة ماضية (وعدهما تياتي) أي مقصود بالفعل فلا بد من وقوعه فهو كقوله ان كان وعدهما بالفعل لا ثانيا قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا) وهو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار الآخرة التي لا تكليف فيها وقد مدح الله تعالى أقواما بقوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لن أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجلل والخوض فيما لا يعنيننا وقوله تعالى (الاسلام) استثناء منقطع أي ولكن يسمعون قولوا يسلمون فيه من العيب والنقص أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ويجوز أن يراد باللغو مطلق الكلام قال في القاموس لغوا لغوا فكم فيكون الاستثناء متصلا أي لا يسمعون فيها كلاما الا كلاما يدل على السلامة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ثالثها قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها) أي على ما يتمنون ويشتتهونه على وجه لا بد من اتيانه ولا كافة عليهم فيه ولامنة عليهم به (بكرة وعشيا) أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة ثم اروا ليل بل ضوء ونور اربا وقيل انهم يعرفون النهار برفع الحجب والليل بارتخائها (فان قيل) المقصود من هذه الآيات وصف الجنة بأحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة (أجيب) بوجهين الاول قال الحسن أراد الله تعالى أن يرغب كل قوم بما أحبه في الدنيا فذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة العجم والارائك التي هي الخجل المضروبة على الاسرة وكانت عادة أشراف اليمن ولا شيء كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء فوعدهم بذلك الثاني أن المراد دوام الرزق تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تزيد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقيل المراد رفاهية العيش وسعة الرزق أي لهم رزقهم

متى شأوا * ولما بينت بهذه الاوصاف دار الباطل أشار الى علو مرتبتها وما هو سببها بقوله تعالى
 (تلك الجنة) باداة البعد لعلوقد رها وعظم أمرها (التي نورث من عبادنا) أي نعطي عطاء الاورث
 الذي لا كد فيه ولا استرجاع وتبقى له الجنة كما يبقى للوارث مال الموروث وقيل تنقل تلك المنازل
 من لو أطاع لكنت له الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل النزل ارثا قاله الحسن (من كان
 تقيا) أي المتقين عن عباده (فان قيل) الفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك الوصف
 فلا يدخلها (أجيب) بأن الآية تدل على أن الجنة يدخلها المتقي وليس فيها دلالة على أن غير المتقي
 لا يدخلها وأيضاً صاحب الكبيرة متمق عن الكفر ومن صدق عليه أنه متمق عن الكفر فقد
 صدق عليه أنه متمق وإذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه أنه متمق وجب أن يدخل الجنة
 فدلالة الآية على أن صاحب الكبيرة يدخلها أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها * واختلف في
 سبب نزول قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وما تنزل الأبا مرربك) فقال ابن عباس قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا؟ كثر مما تزورنا فنزلت الآية وقال
 مجاهد أباطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال لعلي أباطأت قال قد فعلت قال
 ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تنقصون أطفالكم ولا تنقون برأجكم وقال وما تنزل
 الأبا مرربك فنزلت وقال قتادة والكبي احتبس جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه
 وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح وسبب سؤالهم عن
 ذلك ما روى ان قر يشابعت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله
 عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم وسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجد
 في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رجن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف قبلوه عنهم فان أخبركم عن
 خصميتين فاتبعهن فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدرك
 يجيب فوعدهم أن يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً وقيل خمسة
 عشر يوماً فشق ذلك عليه مشقة عظيمة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه
 السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أباطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني اليك أشوق
 وليكني عبداً ما مر اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه الآية وأنزل قوله تعالى
 ولا تقولن اشئني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله وسورة الضحى (فان قيل) قوله تلك الجنة
 التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما تنزل الأبا مرربك كلام غير الله فكيف جاز
 عطف هذا على ما قبله من غير فصل (أجيب) بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى
 اذا قضى أمرنا فاعلم يقول له كن فيكون وهذا كلام الله تعالى ثم عطف عليه قوله وان الله ربي
 وربكم فاعبدوه * ثم علل جبريل قوله ذلك بقوله (له ما بين أيدينا) أي امامنا من أمور الآخرة
 (وما خلفنا) أي من أمور الدنيا (وما بين ذلك) أي ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة
 أي له علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك ما بين النفتين وبينهما أربعون سنة وقيل ما بين أيدينا
 ما بين الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا بعد أن غوت

وما خلقنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين أيدينا الأرض إذا أردنا النزول
إليها وما خلقنا السماء وما ينزل منها وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله فلا نقدر على شيء
الابأمره (وما كان ربك) المحسن اليك (نسباً) بمعنى ناسباً أي تاركاً لك تأخير الوحي عندك لقوله
تعالى ما ودعك ربك وما قلى أي وما كان امتناع النزول إلا امتناع الأمر به وما كان ذلك عن
ترك الله تعالى لك وتوديعه إياك ثم استدل على ذلك بقوله (رب السموات والأرض وما بينهما)
فلا يجوز عليه التسيان إذ لا بد أن يحسبهم حالاً بعد حال والابلط الأمر فيهما وفيمن يتصرف
والآية الله على أن الله تعالى رب لكل شيء حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لا يفعل
العبد حاصل بين السماء والأرض * (تنبيه) يجوز في رب أن يكون بدلاً من ربك وأن يكون
خبر مبتدأ مضمراً أي هو رب وقوله تعالى (فاعبدوا واصطبروا لعبادته) خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم مرتب على ما تقدم أي لما عرفت أن ربك لا ينسالك فاعبدوا بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي من
مثلك واصطبر عليها ولا تتشوش بباطاء الوحي وهزل الكفار ربك (فان قيل) لم يقل واصطبر على
عبادته لأنهم صلبه فكان حقه تعديده بعلي (أجيب) بأنه ضمن معنى الثبات لأن العبادة ذات
تكليف قل من ثبت لها فكانه قبل أثبت لها مصطبراً كقولك للمعاريب اصبراً فربك ثم علل
ذلك بقوله (هل تعلم له سمياً) قال ابن عباس هل تعلم له مثلاً أي نظيراً فيما يقتضي العبادة والذي
يقتضيها كون منه ما بأصول النعم وفروعها وهي خلق الأجسام والحياة والعقل وغيرها فانه
لا يقدر على ذلك أحد سواه سبحانه وتعالى وإذا كان قد أنعم عليك بغاية الأنعام وجب أن تعظمه
بغاية التعظيم وهي العبادة وقال الكلبي هل تعلم أخذ اسمي الله غيره فأنسم وان كانوا يطلقون
لفظ الآله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله تعالى على شيء * ولما أمر تعالى بالعبادة والمصابرة عليها
فكان سائلاً وقال هذه العبادة لا منفعة فيها في الدنيا وأما في الآخرة فقد أنكرها بعضهم
فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر أن الاشتغال بالعبادة يفيد فلهذا أحكى الله
سبحانه وتعالى قول منكري الحشر فقال تعالى (ويقول الإنسان أئذا مات لسوف أخرج
خياً) قال الكلبي نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية فتمت أيديته ويقول زعم لكم محمد
أنما بعث بعد ما نوت وقبل نزلت في أبي جهل وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث
ثم إن الله تعالى أهاهم الدليل على صحة البعث بقوله (أولادكم الذين) أي المجترئين بهذا
الإنكار على ربه (أنا خلقناه من قبل) أي من قبل جدله (ولم يك شيئاً) أصلاً وإنما يقتضي
ذلك قادرين على إعادته فلا ينكر ذلك قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة
في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه إذ لا شك أن الإعادة ثانية أهون من الإيجاد أولاً
وتظهره قوله تعالى قل يحيبها الذي أنشأها أول مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وهو أهون عليه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يسكون الذال وضم الكاف محققة والباقون
يفتح الذال مشددة وكذا الكاف (فان قيل) كيف أمر الله الإنسان بالتذكر مع أن
التذكر هو العلم بما علمه من قبل ثم تخالفاً سهواً (أجيب) بأن المراد أولاً يتفكر في علم خصوصاً

اذ قرئ أولاً يذ كرمشدا أما اذ قرئ محققا فالمراد ألا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد
 يعلم أنه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من
 وجود أولها قوله تعالى (فوربك) أي المحسن اليك بالانتقام منهم (لنحشرنهم) بعد البعث
 (والشياطين) الذين يضلونهم بأن نحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة وقائمة القسم أمران
 أحدهما ان العادة جارية بتأكيدهم بالخبر باليمين والثاني في اقسام الله باسمه مضافا الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تعظيم لشأنه ورفع من شأنه شأن السماء والأرض في قوله تعالى
 قورب السماء والأرض انه الحق والواو في والشياطين يجوز أن تعيكون للعطف وبعنى مع
 وهو أولى ثانيها قوله تعالى (ثم لنحشرنهم) بعد طول الوقوف (حول جهنم) من خارجها
 ليشاهد البعداء الاحوال التي فيها هم الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطتهم
 وسرورا الى سرورهم ويشتموا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مسامتهم وحسرتهم وما يغبطهم
 من سعادة أولياء الله وشمايتهم بهم وقوله تعالى (جنيا) حال مقبرة من مفعول لنحشرنهم وهو
 جمع جاث جمع على فعول نحو قاعد وقعود وجالس وجالوس وأصله جثو وبواوين أو جثوي من
 جثا يجثو ويجثو لغتان (فان قيل) هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية
 ولان العادة جارية بأن الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من
 القلق أو لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم واذا كان هذا
 حاصله لكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار (أجيب) بأنهم يكونون من وقت الشرا الى
 وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرأ حفص وحزرة والكسائي جنيا
 وعشيا وصليا بكسر أولها والباقون بضمه ثالثا قوله تعالى (ثم لنزعمن) أي لناخذن أخذنا بشدة
 وعنف (من كل شعة) أي فرقة مرتبطة بذهب واحد (أيهم أشد على الرحمن) الذي يفرهم
 بالاحسان (عشيا) أي تكبرا مجاوزا للحد والمعنى ان الله تعالى يحضرهم أولا حول جهنم ثم يميز
 البعض من البعض فمن كان أشد هم عزدا في كفره خص بعذاب عظيم لان عذاب الضال المضل
 يجب أن يكون فوق عذاب من يضل بغير الغيرة وليس عذاب من يتردد ويخبر كعذاب المقلد
 فقائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب ولذلك قال تعالى
 في جميعهم (ثم لنحزن أعلم) من كل عالم (بالذين هم) بقظواهرهم وبواطنهم (أولى بها) أي يجهم
 (صليا) أي دخولا واحترافا فبذأ بهم ولا يقال أولى الامع اشتراكهم وأصله صلاوى من صلى
 بكسر اللام وفتحها (تنبيه) في اعراب أيهم أشد أقوال كثيرة أظهرها عند جمهور المعربين وهو
 مذهب سيبويه ان أيهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه نخر وجهها
 عن النظائر وأشد خبر مبتدأ مضمر والجمله صلة لا بهم وأيهم وصلتها في محل نصب مفعول
 بهم اولاي أحوال أربعة ذكرتها في شرح القطر* ولما كانوا بهذا الاعلام المؤكدا بالانقسام
 من ذى الجلال والإكرام جديرين باصغاء الافهام الى ما توجه اليها من الكلام التيقن الى
 مقام الخطاب افهاما للعموم فقال تعالى (وان) أي وما (منكم) أي الناس أحد (الا وادها

(كُنْ) ذَلِكَ الْوُرُودُ (عَلَى رَبِّكَ) الْمَوْجِدُ لِلْمَحْسَنِ إِلَيْكَ (حَتْمًا مَقْضِيًّا) أَيْ حَقًّا وَقَضَى بِهِ
 لَا يَتَرَكُهُ وَالْوُرُودُ مَوَاقِفُ الْمَسْكَانِ فَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْوُرُودِ هَذَا فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْأَكْثَرُونَ
 الْوُرُودُ هَهُنَا هُوَ الدَّخُولُ وَالْكَأَيَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى النَّارِ وَقَالُوا يَدْخُلُهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ثُمَّ يَنْجِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ فَيُخْرِجُهُمْ مِنْهَا وَيُدِلُّ عَلَى أَنَّ الْوُرُودَ هُوَ الدَّخُولُ قَوْلُهُ تَعَالَى يَقْدَمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَرَوَى ابْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ مَارَى ابْنَ عَبَّاسٍ
 فِي الْوُرُودِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الدَّخُولُ وَقَالَ نَافِعٌ لَيْسَ الْوُرُودُ الدَّخُولُ فَسَلَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَنْتُمْ
 وَمَاتَعِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَسْبَ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ أَدْخَلَهَا هَؤُلَاءُ أَمْ لَا ثُمَّ قَالَ يَا نَافِعُ أَمَا
 وَاللَّهِ أَنَا وَأَنْتَ سَنَرُدُّهَا وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَنِي اللَّهُ مِنْهَا وَمَا أَرَى اللَّهَ يُخْرِجُكَ مِنْهَا بِكَذِّبِكَ
 وَيُدِلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى (ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) أَيْ الْكَافِرَ مِنْهَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ
 آمَنُوا (وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ) بِالْكَفَرِ (فِيهَا جَنَّتِمْ) عَلَى الرِّكْبِ الْأَوَّالِ وَالْكَلِّ وَارِدُونَ وَالْإِخْبَارُ الْمُرِيدُ
 دَالَّةٌ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْوُرُودِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِالْصَّدرِ
 فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ أَقْرَأَ مَا بَعْدَهَا ثُمَّ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا فَقَالَ عَلَى أَنَّ ابْنَ رَوَاحَةَ
 فَهَمُّ مِنَ الْوُرُودِ الدَّخُولُ وَلَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ هَذِهِ
 الْآيَةِ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْوُرُودُ الدَّخُولُ وَلَا يَتَّبِعُ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا
 دَخَلَهَا فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا حَتَّى أَنْ لِّلنَّارِ ضُجُجًا مَنْ يَرُدُّهَا وَلَئِنْ حَرَارَةُ النَّارِ لَيْسَتْ
 بِطَبْعِهَا فَالْأَجْزَاءُ الْمَلَامِقَةُ لِأَنَّ الْكَافَرَ يَجْعَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى مَحْرَقَةً مُؤَذِيَةً وَالْأَجْزَاءُ الْمَلَامِقَةُ
 لِأَجْزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يَجْعَلُهَا بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِهَا
 لَا يَجِدُونَ أَلْمًا وَكَأَنَّ الْكُوزَ الْوَاحِدَ مِنَ الْمَاءِ كَانَ يَشْرَبُهُ الْقَبْطِيُّ فَيَكُونُ دَمًا وَيُشْرَبُهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ
 فَيَكُونُ مَاءً عَذْبًا وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ فَقَالَ إِذَا دَخَلَ
 أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ وَعْدًا نَرَيْنَا أَنَّ نَرْدُ النَّارَ فَيَقَالُ لَهُمْ قَدْ وَدَّعْتُمُوهَا وَهِيَ
 خَامِدَةٌ وَخَامِدَةٌ بِمَجْمَعِ أَيْ سَاكِنَةٌ وَرَوَى بِالْجَمِّ أَيْ بَارِدَةٌ وَلَا يَدْخُلُ فِي الْمَلَائِكَةِ
 الْمُوَكَّلِينَ بِالْعَذَابِ حَتَّى يَكُونُوا فِي النَّارِ مِنَ الْمُعَاقِبِينَ (فَإِنْ قِيلَ) فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عَذَابٌ فِي
 دُخُولِهِمْ فِي الْفَائِدَةِ فِي ذَلِكَ الدَّخُولِ (أَجِيبْ) بِوُجُوهٍ أَحَدُهَا أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرِيدُهُمْ سُرُورًا إِذَا عَلُوا
 الْخَلَاصَ مِنْهَا ثَانِيهَا أَنَّ فِيهِ مَزِيدَ نِعْمٍ عَلَى أَهْلِ النَّارِ حَيْثُ يَرَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاؤُهُمْ
 يَتَخَلَّصُونَ مِنْهَا وَهُمْ يَتَّقُونَ فِيهَا ثَالِثُهَا أَنَّ فِيهِ مَزِيدَ نِعْمٍ عَلَى أَهْلِ النَّارِ حَيْثُ تَطْهَرُ فُضَيْعَتُهُمْ عِنْدَ
 الْمُؤْمِنِينَ رَابِعُهَا أَنَّهُمْ إِذَا شَاهَدُوا ذَلِكَ الْعَذَابَ صَارَ سَبَبًا لِمَزِيدِ التَّذَاهِبِ عَنْهُمْ بِنِعْمِ الْجَنَّةِ وَقِيلَ
 الْمُرَادُ بِالَّذِينَ يَرُدُّونَهَا مَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنَ الْكَفَّارِ فَكُنِيَ عَنْهُمْ أَوَّلًا كَأَيَّةِ الْغَيْبَةِ ثُمَّ خَاطَبَ
 خُطَابُ الْمَشَافَهَةِ وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مُؤْمِنٌ وَاسْتَدِلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ
 سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهَا الْحَسَنَةُ فِي أَوَّلِكَ عَنْهَا مَبْعُدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَالْمَبْعُدُ عَنْهَا لَا يَوْصَفُ بِأَنَّهُ
 وَارِدُهَا وَلَوْ وَرَدُوا جَهَنَّمَ لَسَمِعُوا حَسِيسَهَا وَيَقُولُهُ تَعَالَى وَهُمْ مِنْ قُزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَرَوَى
 عَنْ مُجَاهِدٍ مَنْ حَتَمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَرَدَهَا فِي الْخَبَرِ الْحَقُّ كَبِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ وَهِيَ حَقُّ الْمُؤْمِنِ

من النار وفي رواية الحمى من فيج جهنم فأبردوها بالماء وقوله من فيج جهنم أى وهبها وحرها
وقال ابن مسعود وان منكم الاواردها يعنى القيامة والكفاية راجعة اليها قال البغوى
والاول أصح وعليه أهل السنة وروى أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن
شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار
من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة
دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فبقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فباتها فيخيل
اليه أنها ملائى فيرجع فيقول وجدتها ملائى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل
الدينا وعشر أمثالها فيقول له أنسخرنى وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة وقوله حتى بدت نواجذه أى أنباه
وأضراسه وقيل هى أعلى الاسنان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب
ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا جمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون
على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغناء فى جالة السيل الجهم القعم
والغناء كل ما جاء به السيل وقرأ الكسائى نفي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون
بفتح النون الثانية وتشديد الجيم ولما أقام تعالى الحجّة على مشركى قريش المنكرين للبعث
قال تعالى عطف على قوله ويقول الانسان (واذا تلى عليهم) أى الناس من المؤمنين والكفار
من أى نال كان (آياتنا) أى القرآن حال كونها (بينات) أى واضحات وقيل مرتبات
الالفاظ لمخصات المعانى وقيل ظاهرات الاعجاز (قال الذين كفروا) بايات ربهم بينة
جهلا منهم ونظرا الى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم (للذين آمنوا) أى لاجلهم
أو مواجهم لهم اعراضا عن الاستدلال بالآيات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية وهى المفاخرة
بالمكاثرة فى الدنيا من قولهم (أى الفريقين) نحن بما لنا من الاتساع أم أنتم بما لكم من خشونة
العيش ورثائه الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم فى الدنيا أحسن
من حالنا لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أوليائه المخلصين فى الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته
فى العز والراحة وانما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا فى النعمة والراحة والاستعلاء
والمؤمنين كانوا فى ذلك الوقت فى الخوف والقلّة هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن
الحارث وذو وه من قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قسافة
وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثالة وكان المشركون يربحون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم
فقالوا للمؤمنين أى الفريقين (خير مقاما) أى موضع قيام أو إقامة على قراءة ابن كثير يضم الميم
والباقون بفتحها فى كتابا القراءتين يحنّ أن يكون اسم مصدرا واسم مكان اما من قام ثلاثيا
أو من أقام (تنبيه) قالوا زيد خير من عرو وشر من بكر ولم يقولوا أخير منه ولا أشر منه
لأن هاتين اللفظتين كثر استعمالهما فحذفت ههما ولم يثبتا الا فى فعل التعجب فقالوا

أخير زيد وأشر برغم ووما أخير زيد وما أشر عر والاله في اثباته ما في فعل التعجب ان استعمال
 هذين اللفظين اسماً أكثر من استعمالهما فعلاً فحذفت الهمزة في موضع النكرة وبقيت
 على أصلها في موضع القلة (وأحسن ندياً) أي جمعا ومتحدئا والندي المجلس يقال ندى وناد
 والجمع الاندية ومنه وتأتون في ناديك المشر وقال تعالى فليدع ناديه ويقال ندوت القوم أندوهم
 اذا جمعتهم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت تجمع القوم فجعلوا ذلك الامتحان بالانعام
 والاحسان دليلاً على رضا الرحمن مع التكذيب والكفران وعقلوا عن أن في ذلك مع
 التكذيب بالبعث تكذيباً بما شاهدون من القدرة على العقاب باحلال النقم وسلب النعم
 ولوشئنا الاهلكا هم وسلمنا جميع ما يتفخرون به (وكم أهلكنا قبلهم) ثم بين اجهامكم بقوله (من
 قرن) شاهدوا ديارهم ورأوا آثارهم (هم) أي أهل تلك القرون (أحسن) من هؤلاء (أنا) أي
 أي أمتعة (ورثنا) أي ومنظر افلحول حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حبيب الله لوجب
 أن لا يصل الى هؤلاء نعم في الدنيا وقرأ قالون وابن ذكوان بابدال الهمزة ياء وادغامها في الياء
 وقفاً ووصلاً واذا وقف حذفت الياء وادغامها في الهمزة ياء ولا فيها الادغام والظهار * (تنبيه) * كم مفعول
 أهلكنا مقدم واجب التقديم لأن له صدر الكلام لانها اما الاستفهامية أو خبرية وهي مجولة
 على الاستفهامية أي كثير من القرون أهلكنا ومن قرن تمييز لكم مبين لها وانما سمي أهل كل
 عصر قرناً لانهم يتقدمون من بعدهم وقول البيضاوي وهم أحسن صفة لكم تبع فيه
 الزمخشري وغيره ورد بأن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فهم أحسن في
 محل جر صفة لقرن وجعه نظر المعنى لأن القرن مشتمل على أفراد كثيرة * ثم قال تعالى لنبيه
 صلى الله عليه وسلم (قل) لهؤلاء المبعدين رداعليم وقطع المعاذيرهم وهتك الشبههم هذا الذي
 افتخروا به لا يدل على حسن الحال في الآخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادته تعالى أنه (من
 كان في الضلالة) مثلكم كونار اسحابط له في الدنيا وطيب عيشه في ظاهرها حال فيها ونعم
 بأنواع الملاذ وقوله (فليمد له الرحمن مداً) أمر بمعنى الخبر معناه فندعه في طغيانه ونهله في كفره
 بالبسط في الآثام والسعة في الديار والطول في الأعمار وانفاقها فيما يستلذه من الأوزار
 ولا يزال يمد له استدراجاً (حتى اذا رآوا) أي كل من كفر بأعينهم (ما يوعدون) من قبل الله (أما
 العذاب) في الدنيا بأيدي المؤمنين وغيرهم اوفى البرزخ (وأما الساعة) أي القيامة التي هم بها
 مكذبون وعن الاستعداد لهما معرضون ولا شيء يشبه أهوالها وخزيها ونكاليها (فسيعلمون)
 اذا رآوا ذلك (من هو شر مكاناً) أي من جهة المكان الذي قوبل به المقام في قولهم خير مقام
 (وأضعف جنحاً) أي أقل ناصراً هم أم المؤمنون أي أضعف من جهة الجنح أي الذي أشير
 به الى الندي في قولهم وأحسن ندياً لانهم في النار والمؤمنون في الجنة فهذا رد عليهم في قولهم
 أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً (ويزيد الله الذين اهتدوا) الى الايمان (هدى) بما ينزل
 عليهم من الآيات عوض ما زوى عنهم من الدنيا لكرامتهم عنده مما بسط للضلال ليهوانهم
 عليه * وأشار الى أن مثل ما حذل أولئك بالذوال وفق هؤلاء لحسن الاعمال باقلال الاموال

فقال عز من قائل (والباقيات الصالحات) أى الطاعات والمعارف التى شرجت لها الصدور
 وأثارت بها القلوب وأوصلت الى علام الغيوب (خير عمد ربك) مما تمع به الكفرة والخيرية هنا
 فى مقابل قولهم أى الفريقين خير مقاماً وقيل الباقيات الصالحات هى الصلوات وقيل التسبيح
 روى أبو الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأخذ عوداً يابساً وأزال
 الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما يحط ورق هذه
 الشجرة الرىح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن الباقيات الصالحات وهى من
 كنوز الجنة فكان أبو الدرداء يقول لا عملنى ذلك ولا كثرن عمله حتى إذا رأتى الجهال حسبوا
 أنى يحفون قال الرازى والقول الاول أولى لانه تعالى انما وصفها بالباقيات الصالحات من
 حيث يدوم ثوابها فلا تختص ببعض العبادات فهى باسرها باقية صالحة نظراً الى أثرها الذى هو
 الهداية ثم بين تعالى خيريتها بقوله تعالى (ثواباً) أى من جهة الثواب (وخير مرداً) أى من جهة
 العقوبة يوم الحسرة (فان قيل) لا يجوز أن يقال هذا خيراً الا والمراد انه خير من غيره والذى عليه
 الكفار لا خير فيه أصلاً (أجيب) بأن المراد خبر مما ظنه الكفار بقولهم خيراً مما وأحسن ندباً
 وقيل هو كقولهم الصيغ أحر من الشتاء بمعنى أنه فى حره أبلغ منه فى برده قال الكفرة يردون الى
 فناء وخسارة والمؤمنون الى ربح وبقاء. ولما ذكر تعالى الدلائل أولاً على صحة البعث ثم أورد
 شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عليهم الآن ما ذكره على سبيل الاستمراء طعننا فى القول
 بالحشر فقال تعالى (أفرأيت الذى) أى الذى يعرض عن هذا اليوم ويزيد على ذلك بأن
 (كفر يا أيها الناس) الدالات على عظمتها بالدالات اللينات (وقال) جراً منه وجهلاً (لا وتين)
 أى والله لا وتين فى الساعة على تقدير قيامها (مالا وولداً) أى عظيمين فلم يكفه فى جهله تعجيز القادر
 حتى ضم اليه أقدار العاجز وقرأ جزءة والكسائى وولداً وكذا ولداً فى جميع ما فى هذه السورة
 بضم الواو وسكون اللام والباقون يفتح الواو واللام فى الجميع يقال ولد وولد كما يقال عرب
 وعرب وعدم وعدم أما القراءة بفتحين فواضحة وهواسم مفرد قائم مقام الجمع وأما قراءة الضم
 والاسكان ففعل هو كالتى قبلها فى المعنى وقيل بل هى جمع لولد فحواً أسد وأسد وأشد وأشد وأعلى
 ذلك ولقد رأيت معاشراً * قد أعروا مالا وولداً

وأشد وأشاهد أعلى أن الولد والولد مترادفان قول الآخر

فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد جاره

* ولما كان ما ادعاه لاعلمه الابأحد أمرين لاعلم له بواحد منهما أنككر قوله ذلك بقوله تعالى
 (أطلع الغيب) الذى هو غائب عن كل مخلوق فهو فى بعد عن الخلق كالعالى الذى لا يمكن أحداً
 منهم الاطلاع اليه وتفرد به الواحد القهار (أم اتخذ) أى بغاية جهده (عند الرحمن عهداً)
 عاهده عليه بأن يؤتیه ماذكر بطاعة فعملها على وجهها اليقف سبحانه فيه عند قوله وقيل
 فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي
 هل عهد الله اليه أن يؤتیه ذلك وعن الحسن رحمه الله تعالى نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور

أنهم في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر
بمحمد فقلت لا والله لأ أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم
قال اذا بعثت جئتني وسيسكون لي ثم مال وولد فأعطيت وقيل صاع له خباب حليما فاقضاه
الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيتكم ثم فاني أوتى
مالا وولدا فأعطيت حينئذ ثم انه سبحانه وتعالى بين من حاله ضد ما دعاه فقال تعالى (كَلَّا) وهي
كلمة ردع وتنبية على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقول ويتمناه (سَنَكْتَبُ) أي نحفظ عليه (ما يقول)
فنجازيه به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا عليه ما يقول (وَنَعْدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ
مَدًّا) أي نزيد بذلك عذابا فوق عذاب كفره وقيل نطيل مدة عذابه (وَنُزْنُهُ) بمعنى (ما يقول)
أي ما عنده من المال والولد (وَيَأْتِينَا) يوم القيامة (فَزِدَّا) لايحسبه مال ولا ولد كان له في
الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدنا قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى وقيل فردا رافضا لهذا القول
منفردا عنه * ولما تكلم سبحانه وتعالى في مسئلة الخسر والنشر تكلم الآن في الرد على عباد
الاصنام فقال (وَاتَّخِذُوا) أي كفار قريش (مَنْ دُونَ اللَّهِ) أي الاوثان (الْهَةَ) يعبدونها
(لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) أي منفعة بحيث يكونون لهم شفعاء وأنصارا ينقذونهم من الهلاك * ثم
أجاب تعالى بقوله تعالى (كَلَّا) ردع وانكار لعزهم بها (سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ) أي تستبعد
الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وفي آية
أخرى ما كانوا ايانا يعبدون وقيل أراد بذلك الملائكة لانهم كانوا يكفرون بعبادتهم ويتبرؤون منهم
ويخصمونهم وهو المراد من قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل ان الله تعالى يحكي
الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرؤا منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم ويجوز أن
يراد الملائكة والاصنام (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أي أعوانا وأعداء (فان قيل) لم وحده وهو خير
عن جمع (أجيب) بأنه امام صدر في الاصل والمصادر موحدة مذكرة وما لانه مفرد في معنى الجمع
قال الزمخشري والضد العون وحد توحيده قوله عليه الصلاة والسلام وهم يدعي من سواهم
لاتفاق كلمتهم وأنهم كشي واحد لفرط تضائهم وتوافقهم انتهى والحديث رواه أبو داود وغيره
والشاهد فيه قوله يدعي لم يقل أيد * ولما ذكر تعالى مالهؤلاء الكفار مع آلهتهم في الآخرة ذكر
بعده ما لهم مع الشياطين في الدنيا وأنهم يتولونهم وينقادون اليهم فقال تعالى مخاطبا للنبيه صلى
الله عليه وسلم (أَلَمْ تَرَ) أي تنظر (أَنَا أَرْسَلْنَا) أي سلطانا (الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)
الازوالهز والاستغزاز أخوات ومعناها التهيج وشدة الارعاج أي تغريهم على المعاصي
وتهميهم لها بالوساوس والتسويلات (فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ) أي تطاب عقوقهم بأنهم لا يكو
ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم (أَتَمَاعِدُ لَهُمْ عَذَابًا) أي ليس بينك وبين
ما تطالب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة وتطيره قوله تعالى ولا تستعجل لهم
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن عباس كان اذا قرأها
يكي وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق أهلك وعن

ابن السمك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال إذا كانت الانقاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما
 أسرع ما تنفذ وقيل نعد أنفاسهم وأعمالهم فنجازهم على قليلها وكثيرها وقيل نعد
 الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل أحد الذي لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان ثم بين تعالى
 ما سيطهز في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين والمجرمين في كيفية الحشر فقال (يوم) أي
 واذ كر يوم (فحشر المتقين) بإيمانهم (الى الرحمن) أي الى محل كرامته وقوله تعالى (وفدا) حال
 أي وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم والوفد الجماعة
 الوافدون يقال وفدي وفدا وفودا وفودة أي قدم على سبيل التكرمة فهو في الاصل
 مصدر ثم أطلق على الأشخاص كالف وفدا وقال أبو البقاء وفد جمع وافد مثل ركب وراكب
 وصحب وصاحب وهذا الذي قاله ليس بمذهب سيويه لأن فاعلا لا يجمع على فعل عند سيويه
 واجازه الاخفش ويحوى عليه الجلال المحلى فقال وفد جمع وافد بمعنى ركب انتهى وقال ابن
 عباس وفدا ركبنا وقال أبو هريرة على الابل وقال على رضى الله تعالى عنه والله ما يحشرون
 على أرجلهم ولكن فوق نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها واوقيت ان هموا بها اسارت
 وأن هموا بها اطارت (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم) وقوله تعالى (وردا) حال أي مشاة
 باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء وقيل عطاش قد تقطعت أعناقهم من شدة
 العطش لأن من يرد الماء لا يرد الابعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء وقوله تعالى (لا يملكون
 الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقيل للمتقين وقيل للمجرمين
 وقوله تعالى (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) استثناء متصل على القولين الاوّلين منقطع على
 الثالث والمعنى أن الشافعين لا يشفعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا كقوله تعالى ولا
 يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك أهل الكبار من المسلمين اذ كل من اتخذ عند الرحمن
 عهدا وجب دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد فوجب
 دخوله تحته ويؤيده ما روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لصاحبه ذات يوم
 أيحجز أحدكم أن يتخذ عند كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل
 صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى أعهد اليك بانى أشهد
 ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمد عبدك ورسولك فلا تنكلى الى نفسى فانك ان
 تنكلى الى نفسى تقرى من الشر وتبعدنى من الخير وانى لا ألق الا برجتك فاجعل لى عندك
 عهدا تؤقني به يوم القيامة انك لا تتخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت
 العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عهد عند الرحمن عهد فمدخلون الجنة
 فظهر أن المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكبار
 * ولما رتب سبحانه وتعالى على عبدة الاوثان عباد الى الردة على من أثبت له ولدا بشئله تعالى (وقالوا
 اتخذ الرحمن ولدا) أي قالت اليهود وعزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
 الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا اذًا) قال ابن عباس أي منكرا وقال قتادة أي عظيما وقال

ابن خالويه الادو والاذ العجب وقيل العظيم المنكر والاذة الشدة وأدنى الامر وأدنى أثقلني وعظم
 علي وقراً (تلكاد السموات) نافع والكساف بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
 وقراً (يتفطرون منه) أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحزرة بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففاً
 والباقون بعد الياء تشاء وفتح الطاء مشددة يقال انفطر الشيء وتفتطري أي تشقق وقراءة التشديد
 أبلغ لأن التفعّل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعّل التكلف (وتنشق
 الارض) أي تنخسف بهم (وتنخر الجبال هَذَا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن) أي من أجل
 ان (دعوا للرجن ولداً) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والارض والجبال وجميع
 الخلائق الا الثقلين و— كادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ
 الله ولداً (فان قيل) كيف يؤثر القول في انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال
 (أجيب) بوجوه الاول ان الله تعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال
 عند وجود هذه الكلمة غضباً مني على من تفوه بها للاحلى واني لا أعجل بالعقوبة الثاني
 أن يكون استعظاماً للكلمة وتهويلاً وتصويراً لاثرائها في الدين وهدمها لقواعده وأركانها
 الثالث ان السموات والارض والجبال تكاد أن تفعل كذلك لو كانت تعقل هذا القول
 ثم نفي الله تعالى عن نفسه الولد بقوله تعالى (وما ينبغي للرجن أن يتخذ ولداً) أي ما يليق به اتخاذ
 الولد لأن ذلك محال أما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها وأما التنبئ فان الولد لا بد وأن
 يكون شيئاً بالوالد ولا شبهة لله تعالى لأن اتخاذ الولد انما يكون لا غرض ائتمان سرور
 أو استعانة أو ذكر جميل وكل ذلك لا يصح في حق الله تعالى (ان) أي ما (كل من في السموات
 والارض) أي ان كل معبود من الملائكة في السموات والارض من الناس منهم العزير
 وعيسى (الا أتى الرجن) أي ملجئ إلى ربوبيته (عبدًا) منقاداً مطيعاً ذليلاً خاضعاً كما يفعل
 العبد ومن المفسرين — الجلال المحلى من جملة على يوم القيامة خاصة والاول أولى لانه
 لا تخصيص في الآية (لقد أحصاهم) أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة وعلمه
 وقبضته وقدرته وكلهم تحت تدبيره وقهره (وعدهم عداً) أي عداً أشخاصهم وأنامهم وأنفاسهم
 وأفعالهم فان كل شيء عنده بمقدار لا يخفى عليه شيء من أمورهم (وكلهم آتية) أي كل واحد
 منهم يأتيه (يوم القيامة فرداً) أي وحيداً ليس معه من الدنيا شيء من مال أو نصير يمنعه • ولما
 رد سبحانه وتعالى على أصناف الكفرة وبأن في شرح أحوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة
 بذكر أحوال المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرجن وداً) أي
 سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة أو صداقة أو عطية
 معروف وغير ذلك روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبداً يقول لجبريل
 أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء قد أحب الله فلاناً فأحبه فيحبه
 أهل السماء ثم توضع له الحجة في الارض واذا أبغض الله عبداً قال مالك لا أحسنه الا قال في
 البغض مثل ذلك والسجين في سيجل اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ بمقوتين بين

الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوى الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما
 أن يكون ذلك يوم القيامة يحبيهم الله الى خلقه بما يظهر من حسناتهم وروى عن كعب قال
 مكتوب في التوراة لاجبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداءها من السماء من الله عز وجل
 ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض ومصدق ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا
 وقال أبو مسلم معناه يجب لهم ما يحبون والود والحببة سواء * وما ذكر سبحانه وتعالى في هذه
 السورة التوحيد والنبوة والخسر والد على فرق المبطلين بين تعالى أنه يسر ذلك بلسان نبيه
 صلى الله عليه وسلم بقوله (فانما يسرناه) أي القرآن (بلسانك) أي العربي أي لولا أنه تعالى
 نقل قصصهم الى اللغة العربية لما تسر ذلك لك (لتبشر به المتقين) أي المؤمنين (وتندب) أي
 تخوف (به قوم الذا) جميع ألد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة ثم انه تعالى ختم السورة وعظمة
 عظيمة بليغة فقال تعالى (وكم) أي كثيرا (أهلكنا قبلهم من قرن) أي أمة من الامم الماضية
 بتكذيب الرسل لانهم اذا تأملوا وعلموا أنه لا بد من زوال الدنيا وأنه لا بد فيها من الموت وخافوا
 سوء العاقبة في الآخرة كانوا الى الحد من المعاصي أقرب * ثم أكد ذلك بقوله تعالى (هل
 تحس) أي ترى وقيل تجدد (منهم من أحد) وتسبح لهم ركزا أي صوتا خفيا لا قال الحسن بادوا
 جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر أي فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء * (نبية) * الركز الصوت الخفي
 دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركز الريح أي غيبه في الارض وأخفاه ومنه الركز وهو المال
 المدفون لحفائه واستتاره والحديث الذي ذكره البيضاوي تبعا للزمخشري وهو من قرأ سورة
 مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر
 الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى حديث موضوع

﴿سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية﴾

وهي مائة وخمس وثلاثون آية وعدد كلماتها ألف وثلثمائة واحد وأربعون كلمة وعدد سور وفيها
 خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكرا الاول وأعطيت طه ويسن
 والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة
 من تحت العرش وأعطيت المفصل نافذة

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذي غم نعمه على خلقه أبجعين (الرحيم) الذي خص
 بحبسه عباده المؤمنين وقرأ (طه) شعبة وحجرة والكسائي بامالة الطاء والهاء ووافقه ورش
 وأبو عمرو على امالة الهاء محضة ولم يل ورش محضة الالهة الهاء وقد تقدم الكلام في الحروف
 المقطعة في أول سورة البقرة وفي هذه ههنا قولان الصحيح أنهم من تلك وقيل انها كلمة مفيدة
 اما على القول الاول فقد تقدم الكلام فيه في أول سورة البقرة والذي زادوه هنا أمور
 أحدها قال المال الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية فكانه أقسم بالجنة والنار ثانيا يحكي

عن جعفر الصادق الطاهر الطاهرة أهل البيت والهائم هدايتهم ثالثها قال سعيد بن جبيرة هذا
افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي رابعها مطمع الشفاعة للامة وهادي الخلق الى الملة
خامسها الطاهر من الطاهرة والهائم الهداية فكأنه قيل يا طاهر امن الذنوب يا هادي الى
علام الغيوب سادسها الطاهر طول القراءة والهائم هيبتهم في قلوب الكفار قال تعالى
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سابعها الطاهر بتسعة في الحساب والهائم بخمسة فكون
أربعة عشر ومعناها يا أيها البدر وأما على القول الثاني فقل معنى طه يا رجل وهو يروى
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وعكرمة والكبي * ثم قال سعيد بن
جبيرة بالنبطية وقال قتادة بالسرانية وقال عكرمة بالحبشية وقال الكبي بلغة عك وهو
بتشديد الكاف ابن عدنان أخو معد وحكي الكبي انك لو قلت في عك يا رجل لم تجب حتى
تقول طه وقال السدي معناه يا فلان وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تمجده على
احدى رجله فأمر أن يطأ الارض بقدميه معا وقال الكبي لما نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يروح بين قدميه في الصلاة اطول قيامه وكان
يصلي الليل كله فأنزل الله عليه هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال تعالى (ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقي) أي لتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك
فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم صلى الليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق
على نفسك فان لها عليك حقا ما أنزلناه لم لك نفسك بالصلاة وتذيقها المشقة وما بعثت الا
بالخفيفة السمحة وروى أنه كان اذا قام من الليل ربط صدره بجمل حتى لا ينام وقيل لما رأى
المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك لتشقي حيث تركت دين آبائك أي لتعنى وتعب وما
أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت وأصل الشقاء في اللغة العناء وقيل المعنى انك
لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى است عليهم عيسى طر وقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل أي
انك لا تؤاخذ بنهم وقيل ان هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ذلك الوقت مفهورا تحت ذل الاعداء فكأنه تعالى قال لا تظن أنك تبقى أبدا على هذه
الحالة بل يعملوا أمرك ويظهر قدرك فأنما أنزلنا عليك القرآن لتبقى شقيا فيما بينهم بل لتصير
معظمهم كثرما وقرأ آية الكسائي بالامالة وأبو عمرو وبين وبين وورش بين اللغظين والفتح عنده
ضعيف جدا وكذلك جميع رؤس أي هذه السورة من ذوات الباء وقوله تعالى (الا تذكرة)
استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة قال الزمخشري فان قلت هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا
من محل لتشقي قلت لا لاختلاف الجنتين ولكن انصب على الاستثناء المنقطع الذي الافي به معنى
لكن (ان يخشى) أي لمن في قلبه خشية ورقية يتأثر بالانذار أول من علم الله تعالى منه أن يخشى
بالخوف منه فانه المنتفع به وقوله تعالى (تزيلا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (من خلق
الارض) أي من الله الذي خالق الارض (والسماوات العلى) أي العالية الرفيعة التي لا يقدر
على خلقها في عظامها غير الله تعالى والعل جمع عليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر وقدم

الارض على السموات لانها اقرب الى الجنس وأظهر عند من السموات ثم أشار الى وجه
 احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قصد العرش وأجرى منه الاحكام والتقدير وأنزل منه
 الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال تعالى (الرحمن
 على العرش) وهو سرير الملك (استوى) أى استواء يليق به فانه سبحانه وتعالى كان ولا عرش
 ولا مكان واذا خلق الله الخلق لا يحتاج الى مكان فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها وتقدم
 الكلام على ذلك في سورة الاعراف مستوفى فراجع به ثم استدل سبحانه وتعالى على كمال قدرته
 بقوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) فهو مالك لما في
 السموات من ملك ونعيم وغيرهما وما لك لما في الارض من المعادن والفلوات وما لك لما بينهما
 من الهواه وما لك لما تحت الثرى وهو التراب الندى والمراد الارضون السبع لانها تحتها وقال
 ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلقيان تحت العرش
 والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكر الله تعالى في قصة لقمان فتكن
 في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك
 الثور فاتح فاه فاذا جعل الله تعالى البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في
 جوفه يبست وقرأ أبو عمرو وجزة والكسائي بالامالة وورش بين اللغظين وكذا جميع رؤس
 آي السورة من ذوات الرءاء ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك
 باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على حدسوا فقال تعالى (وان تجهر بالقول) أى
 تعلن بالقول في ذكر أو دعاء فالتعالى غنى عن الجهر به (فاد يعلم السر وأخفى) قال الحسن
 في السر ما أسر الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه وعن ابن عباس السر ما أسر
 في نفسك وأخفى من السر ما يليقه الله تعالى في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك
 لانك تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر غدا وقال علي بن
 أبي طلحة عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى عليه مما هو فاعله قبل أن
 يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذي يسر من الناس وأخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة
 وأخفى ما يحظر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن أسلم يعلم أسرار العباد وأخفى سره من
 عباده فلا يعلم أحد وما ذكر صفاته وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)
 التسعة والتسعون الوارد به الحديث والحسنى تأنيث الاحسن وفضل أسماء الله تعالى على
 سائر الاسماء في الحسن لدالته على معانيها هي أشرف المعاني وأفضلها روى ان الله تعالى أربعة
 آلاف اسم ألف لا يعلمها الا هو وألف لا يعلمها الا الله والملائكة وألف لا يعلمها الا الله والملائكة
 والانبيا وأما الالف الرابعة فالمؤمنون يعلمونها فثلاثة في التوراة وثلثمائة في الانجيل وثلثمائة
 في الزبور وثمانية في القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون من أحصاها دخل الجنة
 وذكر في لاله الا الله فضائل كثيرة أذكر بعضها وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ومحبينا من أهلها
 روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء أستغفر الله ثم تلا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وروى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل أن يخلق السموات والارض
 وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله ما دأبها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتهافاذا أتمها أمر
 اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيم الله وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت
 أشفع الى ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فقال
 يا محمد ليست لك ولا احد وعزتي وجلالي لا أدع أحدا في النار قال لا اله الا الله وقال سفيان
 الثوري سألت جعفر بن محمد عن جهم عسق فقال الحاء حله والميم ملكه والعين عظمته والسين
 سنأوه والقاف قدرته يقول الله عز وجل يحللي وملكي وعظمتي وسنأى وقد ربي لأعذب بالنار
 من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب علمني شيئا
 أذكره قال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو أن السموات السبع
 ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله وقال بعض المفسرين في قوله
 تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة انما الا اله الا الله اليه يصعد الحكم
 الطيب لا اله الا الله ويواصل بالحق لا اله الا الله قل انما أعظمكم بواحدة لا اله الا الله وقفوهم
 انهم مسؤولون عن قول لا اله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين هو لا اله الا الله ثبت الله الذين
 آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو لا اله الا الله وبضل الله الظالمين عن قول
 لا اله الا الله وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في السوق لا اله الا الله
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف
 ألف حسنة ومحامنه ألف ألف سيئة وبني له بيتا في الجنة قال الرازي وفي النكت ينبغي لأهل
 لا اله الا الله أن يخلصوا في أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم
 والجلالة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له
 الجلالة فهو مرء ومن ليس له الحرمة فهو فاجر وكذاب وخكى أن بشر الخافى رأى كأعدا
 فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك فرأى في النوم كأنه نودى يا بشر طيب اسمها
 فحنن طيب اسمك في الدنيا والآخرة * وذكر أن صيادا كان يصيد السمك وكانت ابنته تطرحها
 في الماء وتقول انما وقعت في الشبكة لغفلتها الهنا تلك الصبية كانت ترحم غفلتها وكانت تلقها
 مرة أخرى في البحر ونحن قد اصطادتنا وسوسة الشيطان وأخرجنا من بحر رجعتك فأرجنا
 بفضلك وخلصنا منه والقنا في بحار رجعتك مرة أخرى وعن محمد بن كعب القرظي قال قال
 موسى الهى أى خلقتك أكرم عليك قال الذى لا يزال لسانه رطبا من ذكرى قال فأى خلقتك
 أعظم قال الذى يلتمس الى علمه علم غيره قال فأى خلقتك أعذل قال الذى يقضى على نفسه كما
 يقضى على الناس قال وأى خلقتك أعظم حرما قال الذى يهمنى وهو الذى يسألنى ثم لا يرضى بما
 قسمت له الهنا انالانتم ملك فانا نعلم ان كل ما أحسنت به فهو فضل وكل ما لا نفع له فهو عدل فلا
 تؤاخذنا بوافعنا لنا وأعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من

أولى بالكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم - هم عن المضاجع فيقومون فيمخطون رقاب الناس
ثم يقال أين الذين لانلهم تجارتهم ولا يسع عن ذكر الله ثم ينادى مناد أين الحامدون الله
كثيرا على كل حال ثم يكون الحساب على من بقى الهنا نحن جدناك وأثنينا عليك بمقدار طاعتنا
ومنهم من قدرتنا فاعف عنا بفضلك ورحمتك يا رحمن * ولما عظم الله تعالى حال القرآن
وحال رسوله صلى الله عليه وسلم بما كلفه أتبع ذلك بما يقوى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكر
أحوال الانبياء تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
به فؤادك وبدأ موسى عليه السلام لان قنته كانت أعظم الفتن لتسلي قلب الرسول صلى الله
عليه وسلم ويصبر على حمل المكاره فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى) وهذا محتمل لان يكون
هذا أقول ما أخبر به من أمر موسى فقال وهل أتاك أي لم يأتك الى لان قنته له وهذا قول
الكلي ويحتمل أن يكون قد أتاه ذلك في الزمان المتقدم فكانه قال أليس قد أتاك وهذا قول
مقاتل والضاحك عن ابن عباس وهذا وان كان على لفظ الاستهفام الذي لا يجوز على الله تعالى
لكن المقصود منه تقرير الخبر في نفسه وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك اصاحبك هل بلغك
عني كذا فيطلع السامع الى معرفة ما يؤمى اليه ولو كان المقصود هو الاستهفام لكان الجواب
يصدر من قبل موسى لأمس قبل الله تعالى وقيل ان هل يعني قد وجرى على ذلك الجلال المحلى
تعالى بغوى وقوله تعالى (اذرأى) يجوز أن يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر ويجوز أن
ينصب بأذ كرمقدرا أي واذكر اذرأى (نارا) وذلك أن موسى عليه السلام استأذن شعبا عليه
السلام في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت
أيام شتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وأمر أنه طام في شهرها لا تدرى ليل لا تضع
أونهارا فاسار في البرية غير عارف بطريقها فالتأه المسير الى جانب الطور الغربي الا عين في ليلة
مظلمة مشجبة شديدة البرد قيل كانت ليله جمعة وأخذت أمر أنه في الطلق وتفرقت ماشيته ولأما
عنده وجعل يقدح زنده فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور
(فقال لا اله الا الله امكثوا) أي اقيموا في مكانكم والخطاب لأمر أنه وولدها والخدام ويجوز أن يكون
للمرأة وحدها خرج على ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع على الجمع وأيضا قد يخاطب الواحد
بلفظ الجمع تفخيما وقرأ حجة بضم الهاء في الوصل والباقون بالكسر (اني آنست) أي أبصرت
(نارا) والايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لأنه يتبين به الشيء والانس
لظهورهم كما قيل الجن لا ستارهم وقيل ابصار ما يؤنس به ولما وجد منه الايناس وكان
متيقنا حقيقته لهم بكلمة اني ليوطن أنفسهم * ولما كان الايمان بالقبر ووجود الهدي
متريقين متوقعين بنى الامر فيهم ما على الرجاء والطمع فقال (لعلني آتيتكم منها بقبرس) أي
شعلة في رأس قبيلة أو عود أو نحو ذلك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء في اني ولعلني
الاسمية والباقون بالسكون الابن عامر ففتح لعلني مع من ذكرهم على مراتبهم في المدة
(أو أجد على النار هدي) أي هادي يهدي الى الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار ان أهل

النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيدي في مررت بزيدانه لصوق بمكان يقرب من
زيداً ولأن المصطلين بها اذا أطواها كانوا مشرفين عليها وقال بهضم الدار أربعة أقسام
نارناً كل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي التي في الشجر الاخضر كما قال
تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا واناراً تأكل وتشرب وهي نار المعدة ونار
لأنا كل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل أيضاً النار أربعة أحدها نار إيمانور
بلا حرقه وهي نار موسى عليه السلام ثانياً النار حرقه بلا نور وهي نار جهنم أعادنا الله تعالى
منها ثالثاً النار الحرقه والنور وهي نار الدنيا رابعاً النار الحرقه ولا نور وهي نار الاشجار (تنبيه) *
ان وصلت هدى بقلنا فليس فيها الا التنوين للجميع وان وقف عليها فهم على أصولهم في الفتح
والامالة وبين اللفظين (فلما أتاهما) أي النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها الى
أعلىها أطافت بها نار بيضاء تتقد كالأضواء ما يكون فوق متنجساً شدة ضوء تلك النار وشدة
خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة يغير ضوء النار قال ابن مسعود
كانت الشجرة مثمرة خضراء وقال مقاتل وقناة والكلي كانت من العوسج وقال وهب كانت
من العليق وقبل من العناب قال أكثر المفسرين ان الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان من نور
الرب تعالى وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه السلام
حسبه ناراً فلما نادى منها سمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً قال وهب ظن موسى أنها نار
أو قدت فأخذ من دفاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس من إلهائها قالت اليه كأنها تريد
فتأخر عنها وهاجها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن بأسرع من خوردها كأنه لم تكن ثم رى
موسى يبصره الى فروعها فاذا خضرتها ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع
تكل عنه الابصار فلما رأى موسى عليه السلام ذلك وضع يديه على عينيه وألقيت عليه السكينة
(نودي يا موسى اني أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقبل يا موسى فأجاب سر يعا ولم يدرك
من دعاه فقال اني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأبى أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك
وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فأيقن به وقبل انه سمع بكل أجزائه حتى ان
كل جارية منه كانت أدنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبفتح الهمزة من اني على تقدير الباء أي باني
لان النداء يوصل بها تقول ناديت به بكذا وأنشد الفارسي قول الشاعر

ناديت باسم ربيعة بن مكرم * ان المنوره باسمه الموثوق

وجوز ابن عطية أن تكون بمعنى لاجل وليس بظاهر والباقر بالكسر اتماعاً على اضممار القول
كما هو رأى البصريين أي فليل وامالان النداء في معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى أنا
يجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبران ويجوز أن يكون تو كيداً للضمير المنصوب
ويجوز أن يكون فصلاً وروى ابن مسعود مر فوعا في قوله تعالى (فاخلع نعليك) انهما كانا
من جلد حار ميت وروى غير مدبوغ فأمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقال عكرمة
ومجاهد انهما لم يزل لياشرب قدميه تراب الارض المقدسة فينال به ركتهما ويدل لذلك انه قال

تعالى عقبه (انك بالوادي المقدس) أي المطهر أو المبارك نخلعهما وألقاهما من وراء الوادي
هــذا ما قاله أهل التفسير وذكروا أهل الإشارة في ذلك وجوها أحدها أن الفعل في النوم يعبر
بالزوجة وقوله فاخلع نعليك إشارة إلى أنه لا يلتفت بخياطته إلى الزوجة والولد وأن لا يبتلي
مشغول القلب بأمرهما ثانيها المراد بخلع النعيل ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه
أمره أن يصير مستغرق القلب بالكلمة في معرفة الله تعالى فلا يلتفت إلى المخاوف ثالثها أن
الإنسان حال الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه أن يتوصل إليه إلا بقديمين مثل أن يقول
العالم المحسوس محدث وكل ما كان كذلك فله مؤثر ومدبر وصانع فهاتان المقدمتان شيبتان
بالنعيل لأنهما يتوصل العقل إلى المقصود وينتقل من النظر في الخلق إلى معرفة الخالق
ثم بعد الوصول إلى معرفة الخالق وجب أن لا يبقى ملتفتا إلى تلك المقدمتين فكانه قيل لا تكن
مشتغل الخاطر بتلك المقدمتين فانك وصلت إلى الوادي المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى
وقوله تعالى (طوى) بدل أو عطف بيان وقرأه هنا وفي النازعات نافع وابن كثير وأبو عمر وبغير
تنوين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البقعة مع العلمية وقيل لأنه معدول عن طوافه ومثل عمر
للعديل عن عامر وقيل أنه اسم أجمعى فقيه العلمية والعجبة والباقون بالتنوين فهو مصروف باعتبار
المكان فقيه العلمية فقط وعنده هو لا ليس بأجمعى وقوله تعالى (وأنا اخترناك) أي اصطفيك
لِلرسالة من قومك قرأه جزء بتشديد النون من أنا وقرأ اخترناك بثنون بعدها ألف بلفظ الجمع
والباقون بباء مضعومة وقوله تعالى (فاستمع لما وحى) أي اليك مني فيه نهاية الهيبة والجلالة كأنه
تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل كل عقلك وخطرك لمصر وفا إليه وفي قوله تعالى
وأنا اخترناك نهاية اللطف والرحمة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف
* (تنبيه) * يجوز في لام المأان تتعلق فاستمع وهو أولى وأن تكون مريدة في المنعول على حد
قوله تعالى ردف لكم وجوز الزمخشري أن يكون ذلك من باب التنازع ونازعه أبو حيان بأنه
لو كان كذلك لأعاد الضمير مع الثاني فكان يقول فاستمع له لما يوحى وأجيب عنه بأن مراده
التعلق المعنوي من حيث الصلاحية وأما تقدير الصناعة فلم يعنه وقوله تعالى (أتيت أنا الله
لا اله الا أنا فاعبدني) بدل مما يوحى دال على أنه مقصود على تقرير التوحيد الذي هو منتهى
العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل وفي هذه الآية دلالة على أن علم أصول الدين مقدم
على علم الفروع وأيضا فالغناء في قوله تعالى فاعبدني تدل على أن عبادته انما لزمت لالهية
لأن التوحيد من علم الأصول والعبادة من علم الفروع وخص الصلاة بالذكر وأقردها في قوله
تعالى (وأقم الصلاة لذكري) للعبادة التي أناط بها أقامها وهو تذكير المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لأن ذكركها في الكتب وأمرت بها وقيل لأوقات ذكركها وهي
مواقيت الصلاة أول ذكركها في ما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة
أو نسيها فليقمها إذا ذكرها أن الله يقول وأقم الصلاة لذكري وقيل لأن أذكرك بالثناء والمدح
واجعل لك عليها اللسان صدق عليا وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيره * ولما خاطب

تعالى موسى عليه السلام بقوله تعالى فاعبدني وأقم الصلاة لذكري أتسمعه بقوله تعالى (إن الساعة آتية) أي كائنة (أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها غيري من الخلق وكيف أظهرها لكم ذكر تعالى على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقول الرجل كتمت سرى من نفسي أي أخفيته غاية الاختفاء والله تعالى لا يخفي عليه شيء والمعنى في إخفائها التحويل والتخويف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت لأن الله تعالى وعد قبول التوبة فإذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي إلى أن يقرب ذلك الوقت فيشوب ويصلح العمل فيتخلص من عتاب المعاصي بتعريف وقت موته فتعريف وقت الموت كالإغراء بفعل المعصية فإذا لم يعلم وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت وخوف معاجلة الاجل وقال أبو مسلم أكاد بمعنى أريد وهو كقوله تعالى كذلك كدنا يوسف ومن أمثالهم المتداولة لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله وقال الحسن إن أكاد من الله واجب فمعنى قوله تعالى أكاد أخفيها أي أنا أخفيها عن الخلق كقوله تعالى عسى أن يكون قريبا أي هو قريب وقيل أكاد صله في الكلام والمعنى أن الساعة آتية أخفيها قال زيد الخيل سريع إلى الهيجا مثل سلاحه * فإن يكاد قرنه يتنفس

أي إذا ان يتنفس قرنه وقوله تعالى (لنجزى كل نفس بما تسعى) أي تعمل من خير أو شر متعلق باسمية واختلاف في الخطاب بقوله تعالى (فلا يصدنك) أي يصرفك (فإنهم لا يؤمن بها) فقول وهو الأقرب كما قاله الرازي أنه موسى عليه السلام لأن الكلام أجمع خطاب له وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم واختلف أيضا في عود هذين الضميرين على وجهين أحدهما قال أبو مسلم لا يصدنك عنها أي عن الصلاة التي أمرتكم بها من لا يؤمن بها أي بالساعة فالضمير الأول عائذ إلى الصلاة والثاني إلى الساعة ومثله هذا إذا نزل في اللغة فالعرب تلف الخبرين ثم ترمي بجوابهما مجله ليرة السامع إلى كل خبر حقه ثانيهما قال ابن عباس فلا يصدنك عن الساعة أي عن الإيمان بها من لا يؤمن بها فالضميران عائذان إلى يوم القيامة وهذا أولى لأن الضمير يعود إلى أقرب المذكوران وهما الأقرب هو الساعة وما قاله أبو مسلم أنما يصار إليه عند الضرورة ولا ضرورة ههنا * (تنبيه) * المقصود من ذلك نهى موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهى من لم يؤمن عن صده موسى وعفيه وجهان أحدهما أن صده الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على حمله على المسبب الثاني أن صده الكافر سبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرى لك ههنا المراد نهى المخاطب عن حضوره لأنه لا يرى أنه حاضر رؤية تنسبية عن الحضور كما أن صده الكافر سبب عن الرخاوة والضعف في الدين فقل لا تكن رخوا بل كن شديدا صلبا حتى لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه (واتبع هوام) أي ميل نفسه إلى اللذات المحبوبة المتجددة لتقصير نظره عن غيرها وخالف أمر الله (فتردى) أي فتملك أن انصدت عنها وما في قوله

تعالى (وما تلك بينك) مبتدأ استهلامية وتلك خبره وبينك حال من معنى الإشارة وقوله
 تعالى (يا موسى) تكرر لانه ذكره قبل في قوله تعالى نودي يا موسى وبعد في مواضع كالقها يا موسى
 لزيادة الاستئناس والتبسيه (فان قيل) السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال
 في الفائدة في ذلك (أجيب) بأن في ذلك فوائد الاولى توقيفه على انما احتاجت اذا قبلها حجة علم
 انما معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك أنه يعرفه
 ويريد أن يضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية ان يقرر عنده انما خشية حتى اذا قبلها
 تعبنا لا يخافها الثالثة انه تعالى لما أراء تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه
 كلام نفسه ثم أورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم فخير موسى
 عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بينك يا موسى وتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة
 والخيبة (فان قيل) هذا خطاب من الله تعالى لموسى بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى
 الله عليه وآله وسلم (أجيب) بالمنع فقد خاطبه في قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى الآن الذى
 ذكره مع موسى عليه السلام أفشأ الى الخلق والذى ذكره مع محمد صلى الله عليه وسلم كان
 سرا لم يؤول له أحد من الخلق وأيضا ان كان موسى تكم معه فامة محمد يخاطبون الله
 تعالى في كل يوم من ارا على ما قاله صلى الله عليه وسلم المصلى يتاجى ربه والرب يتكلم مع
 أحاد أمة محمد يوم القيامة بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم * (تبسيه) *
 قوله تعالى وما تلك اشارة الى العصا وقوله تعالى بينك اشارة الى اليد وفي هذا انك تذكرها
 الراى رجه الله تعالى الاولى أنه تعالى لما أشار اليها جعل كل واحدة منها معجزة
 قاهرة وبرهاناً ساطعاً ونقله من حدث الجادبة الى مقام الكرامة فاذا صار الجاد بالنظر الواحد
 حيوانا صار الجسم الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر كل يوم ثلثمائة وستين مرة الى
 قلب العبد فأى عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان الى السعادة بالطاعة ونور المعرفة
 ثانياً ان بالنظر الاول الواحد صار الجاد ثعبانا فبلغ سحر السحرة فأى عجب لو صار القلب
 ثعبانا فبلغ سحر النفس الامارة بالسوء ثالثاً ان العصا كانت في عين موسى عليه السلام
 فبسبب بركتها انقلبت ثعبانا وبرهاناً وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن فاذا حصلت
 لبيد موسى عليه السلام هذه المنزلة فأى عجب لو انقلب قلب المؤمن بسبب اصبعي الرحمن من
 ظلمة المعصية الى نور العبودية * ولما سأل تعالى موسى عليه السلام عن ذلك أجاب بأربعة
 أشياء ثلاثة على التفصيل وواحد على الاجمال أولها (قال هي عصاى) وقد تم الجواب بذلك
 الا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر لانه كان يحب المكاملة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى
 تحصيل هذا الغرض ثانياً قوله (أو توكت) أى أعتمد عليها اذا مشيت واذا عبيت واذا وقفت
 على رأس القطيع وعند الطفرة ثالثاً قوله (وأهش) أى أخطب وورق الشجر (بها) ليسقط على
 عنى) لتأكله فبدأ عليه السلام أولاً بصالح نفسه في قوله أو توكت عليها ثم بصالح رعيته في قوله
 أهش بها على عنى وكذلك في القيامة يقول نفسى تقبلى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشغل في

الدنيا لا باصلاح أمر الامة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعاون فلا
 جرم يوم القيامة يبدأ أيضا بأنته فيقول أمتي أمتي رابعها قوله (ولي فيها ما رب) جمع ما ربة
 بتثنية الراء خواتم ومنافع (أخرى) تحمل الزاد والسنتي وطرد الهوام وإنما أجل في الماء رب
 رجاء أن يسأله ربه عن ذلك الماء رب فيسمع كلام الله تعالى مرة أخرى ويطول أمر المكالمه بسبب
 ذلك وقيل انقطع لسانه بالهيبه فاجل وقيل اسم العصائبة وقيل في الماء رب كانت ذات شعبتين
 ومحبين فاذا طال الغصن حناه بالمحبين واذا اطلب كسر لواء بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه
 فعلق بها اداوته من القوس والكثانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزا وعرض
 الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل والزندين بفتح الزاي ثنية زند وزنده والزند
 العود الاعلى الذي تقدر حبه النار والزنده السفلى فيها ثقب فاذا اجتمعا قبل زندان ولم نقل
 زندان واذا قصر رساؤه وصله بها او كان يقاتل بها السباع عن عنقه وقيل كان فيها من المعجزات
 أنه كان يستقي بها اقطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلو او يكونان شعبتين بالليل واذا اظهر عدو
 حارب عنه واذا اشتهى غرة ركزا فافأ ورق وأثمرت وكان يحمل عليه ازاره وسقام فجعلت تماشيه
 ويركز هافينسج الماء فاذا رفعها نصب وكانت تقبسه الهوام وروى عن ابن عباس أنها كانت
 تماشيه وتحمته ولما ذكر موسى هذه الجوابات لربه (قال) له (ألقها) أى ابذلها (يا موسى) فألقها
 فاذا هي حية (أى ثعبان عظيم (تسمى) أى تمشى على بطنها سريرا وعونها نكت خفية احداها
 أنه عليه السلام لما قال ولي فيها ما رب أخرى أراد الله تعالى أن يعرفه ان فيها ما رب لا يقطن
 لها ولا يعرفها وانما بأعظم من سائرهما وأرى ثانيها كان في رجله شيء وهو النعل وفي يده شيء
 وهو العصا فالرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فقال أولا فاخلع نعليك اشارة الى ترك الهرب
 ثم قال القها وهو اشارة الى ترك الطلب كانه تعالى قال انك مادمت في مقام الهرب والطلب
 كنت مشغولا بنفسك طالبا لخطك فلا تكن خالصا لمعرفتي فكأن تارك الهرب والطلب تكن
 خالصا الى ثالثها أن موسى عليه السلام مع علو درجته وكمال صفته لما وصل الى الحضرة ولم
 يكن معه الا النعلان والعصا أمره بالقائمه حتى أمكنه الوصول الى الحضرة فانت في ألف وقمر من
 المعاصي فكيف يمكنك الوصول الى جنبه (فان قيل) كيف قال هنا حية وفي موضع آخر جان
 وهي الحية الخفيفة الصغيرة وقال في موضع آخر ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات
 (أجيب) بأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان
 فبينهما تانف لان الثعبان العظيم من الحيات كما مر والجان الذقن وفي ذلك وجهان أحدهما
 انها كانت وقت انقلاهما حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جلدتها حتى صارت ثعبانا فأريد
 بالجان أول حالها وبالثعبان ما آلتها الثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان
 لقوله تعالى فلما راهما تمزكناهما قال وهب لهما ألقى العصا على وجه الارض نظر اليها فاذا هي
 حية تسعى صفراء من أعظم ما يكون من الحيات تمشى بسرعة لها عرف كعرف الفرس وكان
 بين لحيهما أربعون ذراعا صارت شعبتاها شديقتين لها والمحبين عنقا وعرفا يمز وعيناها تتقدان

كالنار غر بالبحر العظيمة مثل الخلقة من الابل فتلقمها وتقص الشجرة العظيمة بأنيابها
ويسمع لانيابها صريعا عظيما فلما عين ذلك موسى ولي مدبر او هرب ثم نودي باموسى ارجع حيث
كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال) تعالى له (خذها) أى بيمينك (ولا تحف) وكان على موسى
مدرعة من صوف قد دخلها بعمدان فلما قال تعالى له خذها من طرف المدرعة على يده فأمره الله
أن يكشف يده وذكر بعضهم أنه لما كف المدرعة على يده قاله الملك أ رأيت ان أذن الله بما تحاذر
أ ك انت المدرعة تغنى عنك شياً قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده
ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا نوحا
عليها كما قال تعالى (سنعيد سائرهما الاولى) وقد أظهر الله تعالى في هذه العصا معجزات لموسى
عليه السلام منها انقلاب العصا حية ومنها وضع يده في فمها من غير ضرر ومنها انقلابها
خشبة مع الامارات التي تلتقيت * (تنبيه) * في نصب سيرتها أوجه أحدها أن تكون منصوبة
على الظرف أى في سيرتها أى طريقتهما ثانياً على البدل من هاء سعيدها بدل اشمال لأن السيرة
الصفة أى سعيدها صفتها وشكلها ثالثاً على اسقاط الخافض أى الى سيرتها وقيل غير ذلك
(فان قيل) لما نودي باموسى وخص بلك الكرامات العظيمة وعلم أنه مبعوث من عند الله تعالى
الى الخلق فلما ذأخاف (أجيب) عن ذلك بأوجه أحدها أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع
لأنه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بدلائل العقول ثانياً لما خافها لأنه عليه
السلام عرف مالتى آدم عليه السلام منها ثالثاً أن مجرد قوله ولا تحف لا يدل على حصول
الخوف لقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله فلما رآها تتركانها
جان ولي مدبر لا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما يظهر ليظهر الفرق بينه وبين أفضل الخلق محمد
صلى الله عليه وسلم فما أظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار وقوله تعالى (وأصمهم يدك) أى
اليمنى (الى جناحك) أى جنبك الايسر تحت العضد في الابط (تخرج بيضاء) أى نيرة مشرقة
تضيء كشمس تعشى البصر لا بتدبيره من حذف والتقدير وأصمهم يدك تنضم وأخرجها
تخرج فحذف من الاول والثاني وأبقى مقابليهما ليدل على ذلك ايجازاً واختصاراً وانما احتج
الى هذا لأنه لا يترتب على مجرد الضم الخروج وبيضاء حال من فاعل تخرج وقوله تعالى (من
غير سوء) متعلق بتخرج وروى عن ابن عباس الى جناحك الى صدرك والاول أولى كما قال
الرازي لأنه يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العصفور لطرفيه وجناحا الانسان جائباه
والاصل المستعار منه جناحا الطائر سيما بذلك لأنه يجنحهما أى يحلهم عند الطيران وجناحا
الانسان عضدها فعضدها يشبهان جناحي الطائر ولأنه قال تخرج بيضاء ولو كان المراد بالجناح
الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى والسوء الرداءة والقبح في كل شئ فكفى به عن البرص كما كفى
عن العورة بالسوءة والبرص أبغض شئ الى العرب ولههم عنه نفرة عظيمة واسماهم لاسمه
مما حجة فكان جديراً بأن يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا أطرف ولا أخف للمفاصل من كليات
القرآن وآدابه يروى أن موسى عليه السلام كان شديداً لادمة فكان اذا أدخل يده اليمنى

في حبيبه فأدخلها في ابطنه الايسر وأخرجها فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من
 غير مرض ثم اذارتها عادت الى لونهم الاول من غير نور وقوله تعالى (آية أخرى) أى معجزة
 ثابتة حال من ضمير تخرج كبيضاء وقوله تعالى (لنريك) متعلق بما دل عليه آية أى دلالتها
 لنريك وقوله تعالى (من آياتنا الكبرى) أى العظمى على رسالتك متعلق بمحذوف على أنه حال
 من الكبرى والكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الكبرى حال كونهم آمن آياتنا أى
 بعض آياتنا واختلف أى الآيتين أعظم في الاعجاز فقال الحسن البديلة تعالى قال لنريك من
 آياتنا الكبرى والذي عليه الأكثر أن العصا أعظم اذ ليس في اليد الا تغير اللون وأما العصا
 ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وإسلاخ
 الجحر والشجر ثم اعادتها عصا بعد ذلك فقد وقع التغير في كل هذه الامور فكانت العصا أعظم
 وأما قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى فقد ثبت انه عائد الى الكلام وانه غير مختص باليد فان
 قيل لم يقل تعالى من آياتنا الكبرى (أجيب) بأن ذلك ذكر لرؤس الآتى وقيل فيه اضممار
 معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى وهذا التقدير يقوى قول القائل بأن اليد أعظم آية ولما
 أظهر سبحانه وتعالى لموسى هذه الآيات عقبها بأمره بالذهاب الى فرعون بقوله تعالى (أذهب)
 أى رسولاً (الى فرعون) وبين تعالى العلة في ذلك بقوله تعالى (انه طغى) أى جاوز الحد في كفره
 الى أن ادعى الالهية ولهذا خصه الله تعالى بالذكر مع أنه عليه السلام مبعوث الى الكل قال
 وهب قال الله تعالى لموسى عليه السلام اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فانك بعينى
 وسعيتى وان معك يدي ونصرى وانى ألسنتك جبهة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى أبعثك
 الى خلق ضعيف من خلقى بطرئهم متى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى يحدقنى وأنكر ربوبيتى
 أقسم بعزى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسع
 من عيني قبلته رسالتى وادعاه الى عبادتى وحذره فتمتقى وقل له قولنا لا يعتر بلباس الدنيا فان
 ناصيته يدي لا يطرف ولا يتنفس الا بعلى فى كلام طويل قال فسكت موسى عليه السلام سبعة
 أيام لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال أجب ربك فيما أمرتك ففعل ذلك (قال رب اشرح لى صدرى)
 أى وسعه لتحمل الرسالة قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك والسبب فى هذا السؤال ما حكى
 الله تعالى عنه فى موضع آخر بقوله قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق
 لسانى وذلك أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون اللعين خوفاً شديداً شدة شوكة وكثرة
 جنوده وكان يضيق صدره بما كلف من مقاومة فرعون وحذره فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه
 حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة
 شوكة وكثرة جنوده وقيل اشرح لى صدرى بالفهم منك ما أنزلت على من الوحي (ويسر)
 أى سهل (لى أمرى) أى ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون وذلك لأن كل ما يصدر من
 العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات فالله تعالى هو الميسر له (فان قيل) قوله لى
 فى اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ما جردوا والامر مستتم مستتب بدونه (أجيب) بأنه

قد أجهس الكلام أولاً فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشر وحاميسرا ثم بين ورفع الابهام
 بذكرهما فكان كد لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره من أن يقول اشرح صدري ويسر
 امرى على الايضاح الساذج لانه تكرر للمعنى الواحد من طريق الاجال والتفصيل (واحلال
 عقدة من لسانی) قال ابن عباس كان في لسانه عليه السلام رنة وذلك أن موسى عليه السلام
 كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون اطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لا سمة
 امرأته ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية ان أم
 موسى لما فطمته ردت به الى فرعون فقتلها موسى في حجر فرعون وامرأته بريانه واتخذاه ولدا فينما
 هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون وبسده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس
 فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه وهم يقتله فقالت آسية أيها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان
 شئت بخات بطشتين في أحدهما جروفي الآخر جوهر فاراد أن يأخذ الجوهر فأخذ جبريل يد
 موسى عليه السلام فوضعهما على النار فأخذ جرة فوضعهما في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه
 عقدة وقيل قر باليه ثمرة وجرة فأخذ الجرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه وروى أن يده احترقت
 وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولمادهاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أرايدي
 وقد عجزت عنها وعن بعضهم انهم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتسعد بينهما
 حرمة المواكاة وقيل كان ذلك التعلق خلقه فسأل الله تعالى ازالته واختلفوا في أنه لم يطلب حل
 تلك العقدة فقبل لئلا يقع خلل في أداء الوحي وقيل لئلا يستخف بكلامه فينفروا عنه ولا
 يلتفتوا اليه وقيل لاطهار المجزة كما أن حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام كان معجزا
 في حقه فكذا اطلاق لسان موسى معجز في حقه واختلفوا في زوال العقدة بكلامه اقبل بقي
 بعضها القول وأخي هرون هو أفصح مني لسانا وقل فرعون ولا يكاديين وكان في لسان الحسين
 ابن علي رضي الله تعالى عنهم رنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثهما من عمه موسى وقال
 الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى قد أوتيت سؤلًا يا موسى وضعف هذا الرازي بأنه عليه
 السلام لم يقل واحلل العقد من لسانی بل قال واحلل عقدة من لسانی فاذا حل عقدة واحدة
 فقد آتاه الله سؤاله قال والحق أنه انحل أكثر العقد وبقي منها شيء وقال الزمخشري وفي تنكير
 العقدة ولم يقل واحلل عقدة لسانی انه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهمما جيداً أي وإذا
 قال (يفقهوا) أي يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانی
 صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانی* (تنبيه) استدل على أن في النطق فضيلة عظيمة
 بوجوه أولها قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان فباهية الانسان هي الحيوان الناطق ثانياً
 اتفاق العقلاء على تعظيم أمر اللسان قال زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقالوا ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة من سله أي لو ذهب النطق للسانی لم يبق من الانسان
 الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء بأصغريه قلبه ولسانه وقالوا المرء مخبوء تحت لسانه

قالها ان في مناظرة آدم عليه السلام مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالطق حيث قال يا آدم
 انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض * ولما
 رأى موسى عليه السلام ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة
 قربة عظيمة في الدعاء الى الله تعالى طلب المعاونة على ذلك بقوله (واجعل لي وزيراً) أي معينا
 على الرسالة ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من أنصاري الى الله قال الخواريون نحن
 أنصار الله وقال محمد صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان
 في السماء جبريل وميكائيل والذان في الارض أبو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد
 الله تعالى بملك خيراً قبض له وزيراً صالحاً ان نسي ذكره وان نوى خيراً أعانه وان أراد شراً كفه
 وقال أنوشروان لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم
 الملوكة عن الوزير * ولما كان التعاون على الدين منقبة عظيمة أراد أن لا تحصل هذه الدرجة الا
 لاهله فقال (من أهلي) أي أقاربي وقوله (هرون) قال الجلال المحلى مفعول ثان وقوله (أخي)
 عطف بيان وذكر غيره أعارب غير ذلك لاجابة لما بذكرها * (تنبيه) * الوزير مشتق من الوزر
 لانه يتحمل عن الملك أوزاره وموئنه أو من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره
 أو من الموازنة وهي المعاونة قال الرازي وكان هرون مخصوصاً بأموار منها الفضاحة لقول
 موسى هو أفصح مني لساناً ومنها الرفق لقول هرون يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ومنها
 أنه كان أكبر سنماً منه وقال ابن عادل كان أكبر سنماً من موسى بأربع سنين وكان أفصح لساناً
 منه وأجل وأوسم أبيض اللون وكان موسى آدم اللون أقنى جعداً * ولما طلب موسى عليه
 السلام من الله تعالى أن يجعل هرون وزيراً له طلب منه أن يشد أزره بقوله (اشد به أزرى)
 أي أقوى به ظهري (وأشركه في أمري) أي في النبوة والرسالة وقرأ ابن عامر بسكون الياء
 من أخي وهزمة مفتوحة من أشدد وهو على مرتبة في المدوّه هزمة مضمومة من أشركه وابن
 كثير وأبو عمرو يفتح الياء من أخي وهزمة وصل من أشدد وأشركه به هزمة مفتوحة والباقون
 بسكون الياء من أخي وهزمة وصل من أشدد وفتح الهمزة من أشركه ثم انه تعالى حكى عنه
 ما لاجله دعا بهذا الدعاء فقال (كن تسبحك) تسبيحاً (كثيراً) قال السكبي فصل لك كثيراً
 نحمدك ونثنى عليك والتسبيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به (وندكرلك) ذكر
 (كثيراً) أي نصفك بصفات الكمال والجلال والتكبرياء وجوز أبو البقاء أن يكون كثيراً بمعنى
 زماناً محذوف أي زماناً كثيراً (انك كنت بصيراً) أي عالماً بأننا لا نريد به هذه الطاعات
 الا وجهك ورضاك أو بصيراً بأن الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها أو بصيراً
 بوجوه مصالحنا فأعطانا ما هو الاصل لنا * ولما سأل موسى عليه السلام ربه تلك الامور المتقدمة
 وكان من المعالوم أن قيامه بما كلف به لا يتم الا باجابه اليه بالاجرم (قال) الله تعالى (قد أوتيت
 سؤلَكَ يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته منا عليك لما فيه من وجوه المصالح (ولقد مننا عليك
 مرة أخرى) أي أنعمنا عليك في وقت آخر وفي ذلك تنبيه على أمور أحدها كأنه تعالى قال اني

واعيت مصلحتك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال ثانياً إني كنت
ريبتك فلو منعك الآن كان ذلك رداً بعد القبول وإساءة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي
ثالثاً أنا أعطيتك في الأزمنة السالفة كل ما احتجت اليه ورفيناك الدرجة العالية وهي منصب
النبوة فكيف يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب (فان قيل) لم ذكرتك النعم بلفظ المنة
مع أن هذه اللفظة مؤذية والمقام مقام تلطف (أجيب) بأنه انما ذكر ذلك ليعرف موسى
عليه السلام أن هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقاً الشيء منها بل انما خصه الله تعالى بها
لمحض فضله واحسانه (فان قيل) لم قال مرة أخرى مع أنه تعالى ذكرنا كثيرة (أجيب) بأنه
لم يعن مرة أخرى واحدة من المنن لأن ذلك قديقال في القليل والكثير ثم بين تلك المننة وهي غانية
أولها قوله تعالى (أذا وحينا إلى آمن) وحيا لا على وجه النبوة إذ المرأة لا تصلح للقضاء ولا للإمامة
ولا تلي عندها كثر العلماء تزويج نفسها فكيف تصلح للنبوة ويدل على ذلك قوله تعالى وما
أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى اليهم والوحى جاء لا بمعنى النبوة في القرآن كشير قال تعالى وأوحى
ربك إلى النحل وإذا وحيث إلى الخواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحى على وجوه أحدها
أنه رؤيا رأها أم موسى وكان تأويلها وضع موسى في التابوت وقذفه في البحر وأن الله تعالى يرده
عليها ثانياً انه عزيمته جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة ثالثاً المراد بخطر البال وغلبته على
القلب (فان قيل) هذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بأن الالتقاء في البحر قريب من الاهلاك وهو
مساو للخوف الحاصل من القتل المعتمد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على أحدهما لأجل
الصيانة عن الثاني (أجيب) بأنم العلها عرفت بالاستقرار صدق رؤياها فكان الالتقاء في البحر
إلى السلامة أغلب على ظنهما من وقوع الولد في يد فرعون رابعها العلة أوحى إلى بعض الانبياء
في ذلك الزمان كشعب عليه السلام أو غيره ثم أن ذلك النبي عرفه التامسافهة وأمر اسئلة
واعترض على هذا بأن الأمر لو كان كذلك لما لحقها الخوف (وأجيب) بأن ذلك الخوف كان
من لوازم البشرية كما أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع أن الله تعالى كان أمره
بالذهاب اليه مراراً خامسها العمل ببعض الانبياء المتقدمين كإبراهيم واسحق ويعقوب عليهم
السلام أخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر إلى أمه سادسها العمل الله تعالى بعث اليها ملكاً
لاعلى وجه النبوة كما بعث إلى مريم في قوله فتمثل لها بإسراوياً وأما قوله تعالى (ما يوحى) فعناه
ما لا يعلم إلا بالوحى أو ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام ويبدل منه
(ان اقدنيه) أى ألقبه (في التابوت) أى ألهمناها أن اجعل عليه في التابوت (فاقدنيه) أى
موسى بالتابوت (في اليم) أى في النيل (فليلقه اليم بالساحل) أى شاطئه والأمر بمعنى الخبر
والضمائر كلها لموسى فالقذف في البحر والملقى إلى الساحل هو موسى في خوف التابوت
حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر النظم الذي هو أم أعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدى
ومرعا أنه أهم ما يجب على المفسر* (تنبيه)* اليم البحر والمراد به هنا سيل مصر في قول الجميع
واليم اسم يقع على النهر والبحر العظيم قال الكسائي والساحل فاعل بمعنى مفعول سمي بذلك

لأن الماء ينضله أي يحسره إذا علاه وقوله تعالى (ياخذ عدو لي وعدوله) أي فرعون جواب
فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أولان الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع أي سيبصر
عدو له بعد ذلك فإنه لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادى روى أنها اتخذت تابوتاً قال مقاتل
إن الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وجعلت في التابوت قطناً ملحوظاً فرضعت فيه
وجصصته وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون ثم كبير فينبها هو جالس
على رأس بركة مع آسية بنت مزاحم إذا تابوت يجري به الماء فأمر فرعون القلمان والجواري
بأخراجه فأخرجوه وفكحو رأسه فاذا صبي أصبح الناس وجهها فأحبه عدو الله حباً شديداً
لا يتمالك أن يصبر عنه كما قال تعالى (وألقيت عليك بحبشة متى) وهذه هي المنة الثانية قال
المنحشري متى لا يخلو أما أن يتعلق بالقيت فيكون المعنى على أنى أحببتك ومن أحبه الله أحبه
القلوب وأما أن يتعلق بمعدوف وهو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة متى قدر كثرها
أنافى القلوب وزرعتم فيها فلذلك أحبك فرعون وآسية حتى قالت قرزة عيني ولك لا تقتلوه روى
أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينه ملاحاة لا يكاد يصبر عنه من يراه وهو كقوله تعالى
سيجعل لهم الرحمن وذا المنة الثالثة وقوله تعالى (ولتصنع على عيني) أي تربي على رعايتي
وحفظي لك فأمر أعمك ومر أقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ويقول الصانع
اصنع هذا على عيني أنظر إليك لا تخالف به عن مرادى وبغيتي * (تنبيه) * ولتصنع معطوف
على عله مضمرة مثل ليستطيف بك ولتصنع أو على الجملة السابقة باضمار فعل لمعل مثل فعلت ذلك
وقرأ بفتح الباء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون المنة الرابعة وقوله تعالى (اذتشي
أختك) والعامل في اذ ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلاً من اذ وحسبنا واستشكل بأن
الوقتين مختلفان متباعدان (وأجيب) بأنه يصح مع اتساع الوقت كما يصح أن يقول لك الرجل
ألقمت فلان أسنة كذا فنقول وأننا لبقية اذ ذلك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها (فنقول)
هل أدلكم على من يكفله) يروى أن أخته واسمها ريم جاءت متعرفة خبره فصادقهم بطلبون له
مرضة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأه فقالت لهم ذلك فقالوا نعم فحانت بالأم
فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فارجعناك إلى أمك كي تقر عينها) بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن)
أي هي بفراقك وأنت بفراقها وفقد اشفاقها وروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته
وهي التي أسفقت عليه وطلبت له المراضع المنة الخامسة وقوله تعالى (وقلت نفساً) قال ابن
عباس هو الرجل القبطى الذى قتله خطأ بأن وصيه حين استغاثه الأسرا بلى إليه قال
الكسائى كان عمره اذ ذاك اثنتى عشرة سنة (فحينئذ من الغم) أي من غم قتله خوفاً من
اقتصاص فرعون كما قال تعالى في آية فأصبح في المدينة حائفاً يترقب بالمهاجرة إلى مدين المنة
السادسة وقوله تعالى (وفتنا الفتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختباراً وقيل ابتليناك ابتلاء
قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلاصه الله تعالى منها أولها إن أمه جلته
في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم القاه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع

الامن ندى أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي
وخروجه الى مدين خائفا (فان قيل) انه تعالى عدد أنواع مننه على موسى في هذا المقام
فكيف يليق بهذا الموضوع وقتنا فتونا (أجيب) بجوابين الأول فتنا أى خلاصنا من تخليصنا
من قولهم قنت الذهب اذا أردت تخليصه من الفضة أو نحوها الثاني ان الفتنة تشديد المحنة
يقال قنت فلان عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه قال تعالى فاذا أودى
في الله جعل قسنة الناس كعذاب الله وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
وهم لا يفنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * ولما كان
التشديد في المحنة يوجب كثرة الثواب عده الله تعالى من جملة النعم وتقدم تفسير ابن عباس
وهو قريب من ذلك (فان قيل) هل يصح اطلاق الفتان على الله تعالى اشتهقا من قوله تعالى
وقتنا فتونا (أجيب) بأنه لا يصح لانه صفة ذم في العرف وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما
يوهم ما لا ينبغي المنة السابعة قوله تعالى (فلبث سنين في أهل مدين) والتقدير وقتنا فتونا فخرجت
خائفا الى أهل مدين فلبث سنين فيهم عند شعيب عليه السلام وتروقت بآبته وهي امة عشر
أوثان اقول على أن تأجرتي ثمانى حجج فان أتممت عشرا فغن عندك وقال وهب لبث موسى
عند شعيب عليه السلام ثمانا وعشرين سنة منها عشر سنين مهرانة فانه قضى
أوفى الاجلين والآية دالة على انه لبث عشر سنين وليس فيها ما ينفي الزيادة على العشر كما قاله
الرازي وان قال ابن عادل يردده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل أى الاجل المشروط عليه
في تزويجه وسار بأهله ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) أى
على القدر الذى قدرت أنك تنجي فيه لأن أكلك وأسنتبك غير مستقدم وقته المعين
ولامستأخر وقال عبدالرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه
للأنبياء وهذا قول أكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعده الله وقد رآه يوحى اليه بالرسالة
وهو أربعون سنة وكثر تعالى قوله (ياموسى) عقب ما هو غاية الحكاية للتنبية على ذلك المنة
الثامنة قوله تعالى (وامطعنتك) أى اخترتك لنفسى لا صرفك فى أوامرى لثلاث تغل
الايام أمرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتى وأن تكون فى حركاتك وسكناتك لى لانفسك
ولا لغيرك ثم بين تعالى ماله اصطنعه وهو الابلاغ والاداء بقوله تعالى (أذهب أنت وأخوك
بآياتى) أى عجزانى وقال ابن عباس الآيات التسع التى بعث بها موسى وقيل انها العصا
والبدلان هما اللذان جرى ذكرهما فى هذا الموضوع ولما ذكر انه عليه السلام أوفى قبل مجيئه الى
فرعون ولا بعد مجيئه حتى لقي فرعون فالتس منه آية غير هاتين الآيتين قال تعالى حكاية عن
فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هى بيضاء للتأخرين وقال تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه (فان
قيل) كيف أطلق لفظ الجمع على الاثنين (أجيب) بأن العصا كانت آيات انقلابها حيوانا
ثم انها فى أول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كأنها جان ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى ثم

كانت تصير نعبا و هذه آية أخرى ثم انه عليه السلام كان يدخل يده في فمها لما كانت تضربه
 فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك المد فان يسانها آية وشعاعها
 آية أخرى ثم زوالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على انها كانت آيات كثيرة وقيل الآيات
 العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناده أمدا كبايآتي وأظهر على أيديكم من الآيات
 ما تنزاح به العال من فرعون وقومه (ولانتيا) أي لا تقتر ولا تقصرا (في ذكرى) أي بتسبيح
 وغيره فان من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوي روحه بذلك الذكر فلا
 تضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذا كراحمه وذا كراحمته لا يقتر في أداء
 أوامره وقيل لا تنيا في ذكرى عند فرعون بأن تذكر فرعون وقومه أن الله لا يرضى منهم
 الكفر وذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل المراد بالذكرا تبليغ الرسالة
 (اذهبا الى فرعون انه طغي) أي بأداء الربوبية * (تنبيه) * ذكر الله تعالى المذهب اليه هنا وهو
 فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك بايآتي اختصارا في الكلام وقال القفال فيه
 وجهان أحدهما أن قوله اذهب أنت وأخوك بايآتي يحتمل أن يكون كل واحد منهما مأمورا
 بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهب اليه فأن المراد منه أن يشتغل بذلك جميعا لأن
 يتقرب به أحدهما دون الآخر والثاني أن قوله اذهب أنت وأخوك بايآتي أمر بالذهاب الى كل
 الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون ثم ان قوله تعالى اذهب الى فرعون أمر بالذهاب الى فرعون
 وحده واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشي واحد وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبت
 في الآخر وقيل انه حذف المذهب اليه من الأول وأثبت في الثاني وحذف المذهب به وهو
 بايآتي من الثاني وأثبت في الأول (فقولا له قولا لينا) أي مثل هل لك الى أن تركي وأهديك الى
 ربك فتخشي فانه دعوة في صورة عرض ومشورة (فان قيل) لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر
 الجاحد (أجيب) بأن عادة الجبار اذا أغلظ عليه في الوعظ يزاد عتوا وتكبرا فأمر باللين
 حذرا من أن تحمله الجحافة على أن يسطو عليه وأحذر ما لماله من حق التربية وقيل كناه
 وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شباب بالاهرم بعده وملك
 لا يزول الا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنسكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة
 فأعجب به ذلك وكان لا يقطع أمره اذ هو هامان وكان غابا فلما قدم أخبره بالذي دعاه اليه موسى
 وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون
 مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فغلبه على رأيه وقوله تعالى (لعل يتذكروا) متعلق بالذهاب
 أو قولا أي باشرا الامر على رجائك وطامعك مباشرة من يرجو ويطمع أن ينثر عمله ولا ينجب
 سعيه فهو يجهل بطوقه ويسعى باقصى وسعه قال الرمنشيري ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق
 الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور وعن سيمويه كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو
 من الله واجب بمعنى انه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى وقال القراء ان لعل بمعنى كى فتفيد
 العلية كما تقول اعمل لعلك تأخذ بجرتك * (فائدة) * قرأ رجل عندي يحيى بن معاذ فقولا

لينافكي يحيى وقال الهى هذا برلين يقول أنا لاله فكيف برلين يقول أنت الاله (فان قيل)
 ما القائدة فى ارسالهما والمباغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن (أجيب) بأن ذلك
 لالزام الحجة وقطع المذرة وإظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكير للمحقق
 والخشية للمتهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكم ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه
 فيخشى ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه مكتوب فى التوراة فقولا له
 قولنا وسأقضى قلبه فلا يؤمن. ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكري والخشية
 وذلك حين ألقه الفرق قال آمئت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأمان المسلمين
 ثم ان موسى وهرون (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط) أى يعجل (علينا) بالعقوبة (أو أن يطغى)
 أى يتجاوز الحد فى الاساءة علينا (فان قيل) لما تكرر الامر من الله تعالى بالذهاب فقدم
 الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على معصية (أجيب) بأن الامر ليس على الفور فسقط
 السؤال وهذا من أقوى الدلائل على أن الامر لا يقتضى الفور (فان قيل) قوله تعالى قال
 ربنا يدل على أن المتكلم موسى وهرون ولم يكن هرون هناك حاضرا (أجيب) بأن الكلام كان
 مع موسى الا أنه كان متبوع هرون فجعل الخطاب معه خطا بامع هرون وكلام هرون على سبيل
 التقدير فى تلك الحالة وان كان موسى وحده الا أنه تعالى أضافه اليهما كما فى قوله تعالى
 واذ قلتم نفسا فادارأتم فيها وقوله لنرجعنا الى المدينة ليجرجن الاعزمها الاذل روى أن
 القائل عبد الله بن أبى وحده (فان قيل) ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لى صدرى
 فأجابه الله تعالى بقوله قد أوتيت سؤالك يا موسى وهذا يدل على أنه تعالى قد شرح صدره وبسرله
 ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر
 (أجيب) بأن شرح الصدر عبارة عن تقويته على ضبط تلك الاوامر والنواهي وحفظ تلك
 الشرائع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتخريف وذلك شئ آخر غير الخوف (قال) الله
 تعالى لهما (لا تخافا انى معكما) حافظكما وناصركما (اسمع وأرى) أى ما يجري بينكما وبينه
 من قول وفعل فأفعل ما يوجب حفظي ونصري وقال ابن عباس اسمع دعاءكما فأجيبه وأرى
 ما يرايكما فأمنع فلمست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله تعالى اسمع وأرى يحتمل أن
 يكون مقابلا لقوله تعالى يفرط علينا أو أن يطغى يفرط علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى بأن
 يقتلنا قال تعالى انى معكما اسمع كلامكما فأسخره للاستماع منه كما وأرى أفعاله فلا أتركه حتى يفعل
 بكما ما تسكرهانه ثم انه سبحانه وتعالى أعاد ذلك التكليف فقال (فأبياه) لانه سبحانه وتعالى قال
 فى المرة الاولى اذهب الى فرعون وفى الثانية قال اذهب أنت وأخوك وفى الثالثة قال اذهب
 الى فرعون وفى الرابعة قال ههنا فأبياه (فان قيل) انه تعالى أمرهما فى الثانية بأن يقولاه
 قولنا وسأقضى قلبه بقوله تعالى (فقولا انا رسول ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل) أى الى
 الشام (ولأن تعذيبهم) أى خل عنهم من استعمالك اياهم فى اشغالك الشاقة كالخفر والبناء وحمل
 الثقل وقطع الصخور وكان فرعون يستعملهم فى ذلك مع قتل الاولاد وفى هذا تغليظ من وجوه

الأول قوله انارسلوك لاريك وهذا يقتضي اقتياده لهما والتزامه اطاعتهم ما وذلك يعظم على الملك
 المتبوع الثاني قولهما فأرسل معنا بني اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا
 اليهم فيما يريد من الاعمال أيضا الثالث قولهما ولا تعذبهم الرابع قولهما (قد جئناك بآية من
 ربك) فما الفائدة في التلين أولا والتغليظ ثانيا (أجيب) بأن الانسان اذا ظهر لحاجه فلا بد له
 من التغليظ حيث لم ينفع التلين (فان قيل) أليس الاولى أن يقول انارسلوك لاريك قد جئناك
 بآية فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم لان ذكر المعجز مقرر وبنا بالدعاء الرسالة أولى من تأخير
 عنه (أجيب) بأن هذا أولى لانهم ما ذكر مجموع الدعاوى ثم استدلوا على ذلك المجموع بالمعجز
 وقولهما قد جئناك بآية من ربك قال الرخصي هذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا
 رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينتهما التي هي محجة الآية
 (فان قيل) ان الله تعالى قد اعطاهما آيتين هما العصا واليد ثم قال تعالى اذهب أنت وأخوك
 باياتي وذلك يدل على ثلاث آيات وقالاهنا قد جئناك بآية من ربك وذلك يدل على أنها كانت
 واحدة فكيف الجمع (أجاب) القفال بأن معنى الآية الاشارة الى جنس الآيات كأنهم ما قالوا
 قد جئناك ببينات من عند الله ثم يجوز أن يكون ذلك حجة واحدة وجبا كثيرة وتقدم الجواب
 عن التنبيه والجمع وأن في العصا واليد آيات وقوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل
 أن يكون من كلام الله تعالى كأنه تعالى قال فقولوا انارسلوك لاريك وقولاه والسلام على من اتبع
 الهدى ويحتمل أن يكون كلام الله قد تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله تعالى بعد
 ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبله ما لم آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات
 الله في الدنيا والآخرة وأن سلام الملائكة ونزلة الجنة على المهتمدين وقال بعضهم ان على معنى
 السلام أي والسلام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقال
 تعالى في موضع آخر ان أحسنتم أحسنتم لا أنفسكم وان أسأتم فلها (اناقدأوحى البيان أن
 العذاب على من كذب) ما جئنا به (وتولى) أعرض عنه قال البضاوي ولعل تغيير النظم
 والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في أول الامر أهم وأنجح وبالواقع أبقى ولما
 أتياه وقالوا انارسلوك لاريك وبلغاهما أمرابه (قال) لهما (فمن ربك يا موسى) انما نادى موسى
 وحده بعد مخاطبته لهما معا اما لان موسى هو الاصل في الرسالة وهرون تبع ورد وزير واما
 لان فرعون كان نخبة يعلم الرتبة التي كانت في لسان موسى عليه الصلاة والسلام ويعلم فصاحة
 أخيه بدليل قوله هو أفصح مني لسانا فأراد أن يفحمه ويدل عليه قول فرعون ولايكاديين واما
 لانه حذف المعطوف للعلم به أي يا موسى وهرون قاله أبوالبقاء ثم ان فرعون لم يشتغل مع
 موسى بالبطش والايذاء لمادعاه الى الله تعالى مع أنه كان شديدا القوة عظيم الغلبة كثير العسكر
 بل خرج معه في المناظرة لانه لو أذاه لنسب الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع
 في المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير حجة لم يرضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف
 يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم (تنبيه) قال ههنا في ربك يا موسى وقال في سورة الشعراء

ومارب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة قال ابن عادل
والاقرب أن يقال سؤال من كان مقدما على سؤال مالانه كان يقول اني أنا الله والرب فقال فن
ربكما فلما أقام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لظهوره
وجلائه عدل الى طاب الماهية لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر (فان قيل) لم قال فن
ربكما ولم يقل فن الهسكا (أجيب) بأنه أثبت نفسه ربا في قوله ألم نربك فينا وليد افذ ك ذلك على
سبيل التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدع ربا آخر وهذا يشبه كلام غرود حين قال له ابراهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال له غرود أنا حي وأميت فلم تكن الامانة التي ذكرها ابراهيم هي الامانة
مع الاحياء التي عارضه غرود في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى ذكر
فرعون هذا الكلام أي أنا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي ادعاها موسى عليه
السلام غير الربوبية في المعنى وأنه لا مشاركة بينهما * ثم كأنه قيل فما أجاب به موسى فقيل
(قال) مستدلا على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات (ربنا الذي أعطى كل شيء) أي من الانواع
(خلقه) أي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين البينة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاسماع وكذلك الانف والبدن والرجل واللسان كل
واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير بناء عنه أو أعطى كل حيوان نظيره
في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجرة زوجين والبعير والناقة كذلك والرجل والمرأة
كذلك فلم يزاوج منهم ما شأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه (ثم هدى) أي ثم عترف الله تعالى
الحيوان السكائن من المخلوق كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه قال الزمخشري ولله در
هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أئنه لمن ألقى الذهن ونظره بين الانصاف وكان طالبا
للحق * ولما خاف فرعون أن يزيد موسى في اظهار تلك الحجة فيظهر للناس صدقه (قال) لموسى
(فيا بال) أي حال (القرون) أي الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم
الاوثان فانها كانت تعبد الاوثان وتشكر البعث فن شق منهم ومن سعدا أراد أن يصرفه عن
ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم يلتفت اليه فلذلك (قال) عليها عند ربي استأثر به لا يعلمه
الا هو وما أنا الا عبد مثلكم لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال هذه القرون
مثبت عند ربي (في كتاب) هو اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون ذلك تمثيلا لتمكنه في علمه تعالى
بما استحقه فله العالم وقيدته بالكتابة ويؤيده قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) والضلال أن يخطئ
الشيء في مكانه فلم يهتد اليه والنسيان أن يذهب عنه بحيث لا يخطر بباله وهما محالان على علام
الغيوب بخلاف العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل تعالى ولا ينسى كما نضل أنت
وتنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة ثم عاد الى تميم كلامه الاول وابرأ الدلائل الظاهرة على
الوحدانية فقال (الذي جعل لكم) في جملة الخلق (الارض مهادا) أي فراشا
(نبية) * هذا الموصول في محل رفع صفة لربي وخبره محذوف تقديره هو أو منصوب
على المدح وقراءه صم وحجرة هنا وفي سورة الزمخرف مهدا بفتح الميم وسكون الهاء أي

مهدها مهدها أو تهدها ونهاهني لهم كالمهاد وهو ما يهد للصبي - وقرأ الباقر بكسر الميم وفتح
 الياء وألف بعدها وهو اسم ما يهد كالفراس أو جمع ميهد (وسلك) أى سهل (لكم فيها
 سبلًا) أى طرقا بين الجبال والادوية والبرارى تسلكون من أرض الى أرض لتبلغوا
 منافعها (وأُنزل من السماء ماء) أى مطرا وعدل بقوله (فأخرجنا به) عن لفظ الغيبة الى صيغة
 التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيهها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته
 والحكمة وايدنا بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله تعالى
 ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والارض
 وأنزل لكم من السماء ماء فأنتسبنا به حدائق (أزواجا) أى أصنافا سميت بذلك لأنها من زوجة
 مقتربة بعضهم مع بعض وقوله تعالى (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شقي) وهو جمع
 شقيت من شت الامر تفرق نحو مرضى جمع مريض وجرحى جمع جريح فألفه للتأنيث أى
 أزواجا متفرقة ويجوز أن يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه
 الواحد والجمع أى انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس
 وبعضها للبهائم فلذلك قال تعالى (كاواوارعوا أنعامكم) والانعام جمع نعم رعى الابل والبقر
 والغنم يقال رعى الانعام ورعىها والامر للإباحة ونذ كبر النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا
 أى مبيح لكم الاكل ورعى الانعام أى وبقيت الحيوانات (ان فى ذلك) أى فيما ذكرتم من هذه
 الذم (آيات) أى لعبا (لاولى النهى) أى أصحاب العقول جمع نهي كغرفة وغرف سمي به
 العقل لانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح ولما ذكر سبحانه وتعالى منافع الارض والسماء
 بين أنها غير مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لكونها وسائل الى منافع الآخرة فقال (منها) أى
 الارض (خلقناكم) * فان قيل انما خلقنا من النطفة على ما بين فى سائر الآيات (أجيب)
 بأوجه أحدها انه لما خلق أصلنا آدم عليه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل آدم خلقه من
 تراب حسن اطلاق ذلك علينا ثانياً أن تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما
 متولدان من الاغذية والغذاء اما حيوانى أو نباتى والحيوانى ينتهى الى النباتى والنباتى انما
 يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا ينفى كوننا مخلوقين من
 النطفة ثالثا روى ابن مسعود ان ملك الارحام يأتى الى الرحم حين يكتب أجل المولود ورزقه
 والارض التى يدفن فيها فانه يأخذ من تراب تلك البقعة وينثره على النطفة ثم يدخلها فى الرحم
 وأخرج ابن المنذر عن عطاء الخراسانى قال ان الملك ينطق فيما أخذ من تراب المكان الذى يدفن
 فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيما نعيدكم) أى مقبورين بعد الموت
 (ومنها نخرجكم) أى عند البعث (تارة) أى مرة (أخرى) أى بتألف أجزاءكم المنقطة
 المختطة بالتراب ونردهم كما كانوا أحياء ونخرجهم الى المحشر يوم نخرجون من الاجساد
 سراعا * ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله تعالى (ولقد أريناه) أى أبصرناه
 (آياتنا كلها) أى التسع المختصة به موسى عليه السلام وهى العصا واليد وقلع البحر والحجر

والجراد والقمل والضفادع والدم وتتق الجبل (فكذب) بهم اوزعم أنهم اسحر (وأبى)
أن يسلم (فان قيل) قوله تعالى كما هي يقيد العموم والله تعالى ما أراه جميع الآيات فان من جملة
الآيات ما أظهرها على أيدي الانبياء قبل موسى عليه السلام وبعده (أجيب) بأن لفظ الكل
وان كان للعموم قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل
شيء أو يقال ان موسى عليه السلام أراه آياته وعدده عليه آيات غيره من الانبياء فكذب فرعون
بالكل أو يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكي سبحانه وتعالى ذلك على
الوجه الذي يلزم ثم كأنه قيل كيف صنع في تكذيبه وآياته فقل (قال) حين علم حقيقة ما جاء به
موسى وظهوره وخاف أن يتبعه الناس ويتركوه ووهن في نفسه وهنا عظيما (أجبتنا لنخرجنا
من أرضنا) أي الارض التي نحن مالكوها ويكون لك الملك فيها فاصارت فرائضه ترعد خوفا
مما جاء به موسى لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن الحق لو أراد قود الجبال لا تقادته وان مثله
لا يتخذ ولا يذل ولا يذل ناصره وأنه غالبه على ملوكه لا محالة ثم خيل لا تباعه أن ذلك سحر بقوله
(اسحرك يا موسى) فكان ذلك مع ما ألقوه من عاداتهم في الضلال صار فالهم عن اتباع ما رآه
من البيان ثم أظهر لهم أنه يعارضه بمثل ما أتى به بقوله (فلأنبيئك بسحر مثله) أي مثل سحرك
يعارضه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي من الزمان والمكان (لا تخلفه) أي لا تجعله خلفنا
(نحن ولأنك) أي لا تخلفنا وما كان كل من الزمان والمكان لا ينفل عن الآخر قال
(مكانا) وأثر ذلك المكان لاجل وصفه بقوله (سوى) أي عدلا وقال ابن عباس نصفا
نسبوا مسافة الفريقين اليه فانظر الى هذا الكلام الذي زرقه ونمقه وصنعه بما وقف به قومه
عن السعادة واستمروا بقودهم بعناده حتى أوردتهم البحر فأغرقهم ثم في غمرات النار أحرقتهم
وقيل معنى سوى أي سوى هذا المكان وقرأ شعبة وابن عامر وحزرة والكسائي بضم السين
والباقون بكسرهما وأمال شعبة وحزرة والكسائي في الوقف محضة والباقون بالفتح وقيل
المراد بالموعدا لا الخلاف لا يلائم الزمان والمكان أي بل الوعد هو الذي يصح وصفه
بالخلف وعدمه والى هذا انما جماعة مختارين له ورد عليهم بقوله (قال موعدكم يوم الزينة)
فانه لا يطابقه * (تنبيه) * يحتمل ان قوله قال موعدكم يوم الزينة أن يكون من قول فرعون
فبين الوقت وأن يكون من قول موسى عليه السلام وهذا أظهر كما قال الرازي لوجه الاول
أنه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا الثاني وهو ان تعيين يوم الزينة يقتضي
اطلاع الكل على ما سيقع فتعينه انما يليق بالحق الذي يعرف ان البطل الذي يعرف
انه ليس معه الا التليس نالها ان قوله موعدكم خطاب للجمع فلو جعلناه من فوعون لموسى
وهرون لزم أن نخصه على التعظيم أو ان أقل الجمع اثنان فالاول لا يليق بحال فرعون معهما
والثاني غير جائز فاذا جعلناه من موسى عليه السلام استقام الكلام واختلف في يوم الزينة
فقال مجاهد وقتادة النور وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة هو يوم عاشوراء وقيل كان
يوم عيد لهم يترينون فيه ويحتملون في كل سنة وقيل يوم كانوا يتخذون فيه سوفا ويزينون

ذلك اليوم وبني قوله (وأن يحشر) للمفعول لأن القصد الجمع لا كونه من معين (الناس) أي يجتمعوا (ضحى) أي وقت الضحوة فيكون أظهر لما يعمل وأجل فلابق الليل الا وقد قضى الامر وعرف الحق من المبطل ويكثر التحديث بذلك في كل بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الدير والمدن (فتولى) أي أعرض (فرعون) عن موسى الى تهيشة ما يريد من الكيد بعد قوله عن الانقياد لامر الله تعالى (تجمع كبده) أي مكره وحيلته وخداعه الذي دبره على موسى عليه السلام بجمع من يحصل بهم الكيد وهم السحرة وحشرهم من كل فج وكان أهل مصر أمحر أهل الارض وأكثرهم ساحر او كانوا في ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر وأمهروا كانوا أكثر (ثم أتى) للميعاد الذي وقع القراع عليه بن حشره من السحرة والجنود ومن تبعهم من الناس مع توفر الدواعي على الايمان للعيد والنظر الى تلك المغالبة التي لم يكن مثلها * ولما تشوق السامع الى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك استأنف تعالى الخبر عنه بقوله تعالى (قال لهم) أي لاهل الكيد والعناد وهم السحرة وغيرهم (موسى) حين رأى اجتماعهم ناصحاً لهم (ويلكم) يا أيها الناس الذين خلقكم الله تعالى لعبادته (لا تقفروا) أي لا تعتمدوا (على الله كذباً) بأشر الاعداء معه (فيسحسكم) قال مقاتل يهلككم وقال قتادة يستأصلكم (بعذاب) من عنده وقرأ حفص وحزرة والكسائي بضم الباء وكسر الحاء من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والباقون بفتحهما والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من اقترى) كما خاب فرعون فانه اقترى واحتمل ليسبق الملك له فلم ينفعه (فتنازعوا) أي تجاذبوا السحرة (أمرهم بينهم) لما سمعوا هذا الكلام علمانهم أنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثلهم في جمع جنوده واتباعه ثم يسلم منه الامن الله تعالى معه (وأسر والنجوى) قال الكلبي فالواسر ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحق لما قال لهم موسى لا تقفروا على الله كذباً قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وبالفوا في اخفاء ذلك فان النجوى الاسرار لئلا يظهر فرعون وأتباعه على ذلك فكأنه قيل ما قالوا حين انتهى تنازعهم فقيل (قالوا) أي السحرة (ان هذان لساحران) أي موسى وهرون وقرأ ابن كثير وحذص بسكون النون من ان وشدها الباقر وقرأ أبو عمر وبالباء بعد الذال والباقر بالالف على لغة من يجعل ألف المثني لازماً في كل حال قال أبو حيان وهي لغة لطوائف من العرب بنى الحرث بن كعب وبعض كانه وخشم وزيد وبني النضر وبني الجهم ومراد وعذرة وقال شاعرهم * تزود مني بين أذناه ضربة * يريد أذنيه وقال آخر

ان أباه وأبأ أباه * قد بلغاني المجد غاياتها

وقيل تقدير الآية انه هذان خذف الياء وذهب جماعة الى أن حرف ان ههنا بمعنى نعم أي نعم هذان روي أن أعرا يسأل ابن الزبير شيئاً فخرمه فقال لعن الله ناقة جملتي اليك فقال ابن الزبير ان وصاحبها أي نعم وشدها بن كثير النون فكأن نجاها في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفاً من غلبتهما وشيطة الناس عن اتباع موسى وهرون (يريدان) أي بما يقولان من دعوى الرسالة وغيرها (أن يخرجكم) أيها الناس (من أرضكم) هذه التي ألقوها وهي وطنكم خلفاً

عن سلف (سحرهما) الذي أظهره لكم وغيره * ولما كان كل حزب بما لديهم فرحين قالوا
 (ويذهب بطريقتكم المثل) مؤث الامثل وهو الافضل أي بذهبكم الذي هو افضل المذاهب
 باظهار مذهبه واعلا دينه لقوله تعالى اني أخاف أن يدل دينكم وقيل أراد أهل طريقتكم
 وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معن بن اسرائيل وقيل
 الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرفهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فأجمعوا كيدكم)
 أي من السحر وغيره فلا تدعوا منه شيئاً الا جمتم به وقرأ أبو عمر وفيه مزة الوصل بين الفاء والجم
 وفتح الميم والباقون بهم مزة مقطوعة وكسر الميم (ثم اتوا) أي للقاء موسى وهرون (صفا) أي
 مصطفين لانه أهيب في صدور الرائيين * (تنبه) * اختلفوا في عدد السحرة فقال السكبي كانوا
 اثنين وسبعين ساحراً اثنين من القبط وسبعون من بنو اسرائيل وقال عكرمة كانوا تسعمائة
 ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقال وهب خمسة عشرة ألفاً
 وقال السدي بضعة وثلاثون ألفاً وقال القاسم بن سلام كانوا سبعين ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً
 مع كل منهم على كل قول جبل وعصا وأقبوا عليه اقبالة واحدة وظاهر القرآن لا يدل على شيء
 من هذه الاقوال * ولما كان التقدير في أني كذلك فقد استعلى عطف عليه قوله (وقد أفلح
 اليوم) في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط (من استعلى) أي فاز بالمطلوب من غلب فلما أتى
 السحرة موسى (قالوا) له مما تدين لان لين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضرب بل نفعهم قال
 بعضهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته (يا موسى أماناً تلقى) أي مامعك مما تناظرنا به
 أولاً (واما أن تكون) نحن (أول من ألقى) مامعه (قال) لهم موسى عليه السلام مقابلاً
 لأدبهم بأحسن منه ولانه فهم أن مرادهم الابتداء وليكون هو الآخر فتكون له العاقبة
 بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك لألقى أنا أولاً (بل ألقوا) أنتم أولاً فانتم زوا
 الفرصة لان ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تغيير السياق والتصریح بالاول فالقوا
 مامعهم من الحبال والعصى (فاذا حباهم وعصيم) أي التي ألقوها قد جاءت أنه (يخيل اليه)
 تخيلاً مبتدأ (من سحرهم) أي الذي قد فاقوا به أهل الارض (أنها) أشدة اضطرابها
 (تسعى) (فان قيل) كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام بل ألقوا فإمرهم بما هو سحر
 (أجيب) بأن ذلك الامر كان مشروطاً والتقدير ألقوا ما أنتم ملقون ان كنتم محقين
 كما في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله أي ان كنتم صادقين وفي القصة انهم لما ألقوا الحبال
 والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الارض امتلأت حيات وكانت
 قد أخذت ميلاً من كل جانب ورأوا أنها تسعى وقيل لظنوها بالزئبق فلما وقعت عليها
 الشمس اضطربت فخيّل اليهم انها تحركت وقرأ ابن ذكوان تخيل بالتاء القويمة على
 التأنيت والباقون بالياء على اسناده الى ضمير الحبال (فأوحس) أي أحس (في نفسه)
 خيفة موسى (عليه الصلاة والسلام) (فان قيل) كيف استشعر الخوف وقد عرض
 عليه المعجزات الباهرات كالعصا واليد ثم ان الله تعالى قال له بعد ذلك اني معك أسمع وأرى

فكيف وقع الخوف في قلبه (أجيب) بأوجه أحدها أنه خاف من جهة أن سحرهم من
جنس مجزئه أن يلبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به الثاني أنه خوف طبع البشرية مثل
ما خاف من عصاه أو لم يرها كذلك الثالث لعله كان مأمورا أن لا يفعل شيئا إلا بالوحي فلما
تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع فيبقى الخجل ثم أنه
أزال ذلك الخوف بقوله تعالى (قلنا لا تخف) من شيء من أمرهم ولا غيره ثم علل ذلك بقوله تعالى
وأكد أنواعا من التأكد لا قضاء الحال انكارا أن يغلب أحدا ما أظهر وأمن سحرهم لعظمه
(أنك أنت) خاصة (الاعلى) أي الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها (وأنت في عينك) أيهم ولم يقل
عصاك تحقير لها أي لا تنال بكثرة حب الهم وعصيم وأنت العويد الذي في يدك أو تعظيمها أي
لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمتها فإن في عينك ما هو أعظم منها أي العصا وهي التي قلنا لك
أول ما نثر فتاك بالناجاة وما نالك بينك يا موسى ثم أريناك منها ما أريناك (تلقف) أي تبتلع
بقوة واجتهاد مع سرعة لا تسكاد تدريك (ما صنعوا) أي فعلوه بعد تدرب كثير وممارسة طويلة فلما
ألقاها صارت أعظم حجة من حياتهم ثم أخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادي ثم صعدت حتى
علقت ذنبها بطرف النخلة ثم هبطت وأكملت كل ما عملوه في الميادين والناس ينظرون إليها
لا يحسبون إلا أنه سحر ثم أقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاه نحو ثمانين ذراعا فصاح بموسى
فأخذها فاذا هي عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا هي لم تدع من حب الهم وعصيم شيئا إلا
أكلته وعرفوا أنه ليس بسحر وأصل تلقف تلقف حذف إحدى التامين وناء المضارعة فتعمل
التأنيث على اسناد الفعل إلى العصا والخطاب على اسناد الفعل إلى السبب وقرأ ابن ذكوان
برفع القاء على الحال أو الاستئناف والباقون بسكونها وحذف بسكون اللام وتخفيف القاف
على أنه من لقمته بمعنى تلقفته (انما) أي الذي (صنعوا) أي زوروا واقبلوا وهالك أمره (كبد
ساجر) أي كبد سحري لا حقيقة له ولا ثبات وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون الحاء
بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو بإضافة الكبد إلى السحر للبيان كقولهم علم
فقه والباقون بفتح السين وكسر الحاء وألف بينهما (فان قيل) لم وحده الساحر ولم يجمع (أجيب)
بأن القصص من هذا الكلام معنى الجنسية لا معنى العدد فلوجع خيل أن المقصود هو العدد ألا
ترى إلى قوله تعالى (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس (حيث أتى) أي كيفما سار وقال ابن عباس
لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتمال فانه انما يفعل ما لا حقيقة له (فان قيل) لم نكرأولا
ثم عرف ثانيا (أجيب) بأنه قال هذا الذي أتوا به قسم واحد من أقسام السحر لا فائدة فيه ولا شأن
أن الكلام على هذا الوجه أبلغ ثم انه امتثل ما أمر به ربه من القاء العصا فكان ما وعده به سبحانه
من تلقفها ما صنعوا من غير أن يظهر عليها زيادة في تخن ولا في غيره مع أن حب الهم وعصيم كانت
شيئا كثيرا فعلم كل من رأى ذلك حقيقة وبطلان ما فعل السحرة فبادر السحرة منهم إلى الخضوع
لامر الله تعالى ساجدين مبادرة من كآته ألقاهم على وجهه ولذلك قال تعالى بعد أن ذكر مكرهم
واجتهادهم في معارضة موسى عليه السلام وحذف ذكر الالتقاء وما سببه من التلقف

لأن مقصود السورة القدرة على تلمين القلوب القاسية (فأنق السحرة) أي فألقاهم ماراً ومن
أمر الله تعالى بغاية السرعة وبأيسر أمر (سجداً) على وجوههم لله تعالى توبة مما صنعوا
واغبنا لفرعون بسجودهم وتعظيم الماراً وذلك لأنهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر فلما
رأوا فعل موسى عليه السلام خارجاً عن صناعتهم عرفوا أنه ليس من السحر البتة ويقال قال
رئيسهم كانوا يغلب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأين الذي ألقيناه
فاستدلوا بتغيير أحوال الأجسام على الصانع القادر وبظهورها على يد موسى عليه السلام
على كونه رسولاً صادقاً من عند الله لا جرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع
وهو السجود قال الاصهاني سبحان الله ما أعظم شأنهم ألقوا أحبا لهم وعصيم للكفر والخود
ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الألقاءين فكان قائلاً قال هذا
فعلهم فماذا قالوا فقبل (قالوا آمنوا برب هرون وموسى) ولم يقولوا آمنوا برب العالمين لأن
فرعون ادعى الربوبية في قوله انار بكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري
فلو أنهم قالوا ذلك لكان فرعون يقول أنهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اجترأوا
هذه العبارة والدليل على ذلك أنهم لم يقتصر على موسى بل قدموا هرون لأن فرعون ربي
موسى في صغره فلما اقتصر على موسى أو قدموا ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر
هرون على الاستتباع وقيل قدموه لكبر سنه أو لروى الآية فسبحان الله ما أعظم أمرهم
كانوا أول النهار سحرة يقولون لفرعون بالربوبية وآخره شهداء بررة روى أنهم لم يرفعوا رؤسهم
حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما حذروا سجداً أراهم الله تعالى في
سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة فكانه قيل ما قال لهم فرعون حينئذ فقبل (قال)
لهم (آمنتم) أي بالله (له) أي مصدقين أو متبعين لموسى (قبل أن أذن لكم) في ذلك قال
ذلك أي ما بانه سيأذن فيه له قف الناس عن المبادرة الى الاتباع بين خوف العقوبة ورجاء
الاذن ثم استأنف قوله معلماً تخيلاً لاتباعه صدق الله عن الاقتداء بالسحرة (أنه) أي موسى
(الكبيركم) أي معلمكم (الذي علمكم السحر) أي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لارادكم شيئاً من
المكر وافقتوه عليه قبل حضوركم في هذا الموطن وهذا على عادته في تخييل أتباعه بما يوقفهم
عن اتباع الحق * ولما خيلهم شرع يزيدهم حيرة بتهديد السحرة فقال مقسماً (فلا قطعن) أي
بسبب ما فعلتم (أيديكم) على سبيل التوزيع (وأرجلكم) أي من كل رجل يد أو رجلاً وقوله (من
خلاف) حال يعني مخمفة أي الايدي اليمنى والارجل اليسرى (ولا تلبسكم) وعبر عن
الاستعلاء بالظرف إشارة الى تمكينهم في المصلوب عليه تمكين المطروف في ظرفه فقال (في جذوع
النخل) تشبيهاً لقتلهم وردعاً لأمثالكم (ولتعلمن آياتنا) يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام
بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين
وفيه تبيح باقتداره وقهره وما ألقه وضريه بمن تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى
عليه السلام واستضعاف له مع الهزيمة لأن موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء وقيل يريد رب

موسى الذي امنوا به (أشد عذابا وأبني) أي أدوم على مخالفته (فان قيل) ان فرعون مع قرب
 عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وقصد هاله وآل الامر ان استغاث بموسى من شرها وبخزعه عن
 دفعها كيف يعقل أن يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستزى بموسى في قوله أينا
 أشد عذابا وأبني (أجيب) بأنه كان في أشد الخوف في قلبه الا أنه يظهر الجلادة والرفاحة تشية
 لنا موسى وترويح الامر قال الرازي ومن استقرى أحوال العالم علم ان الفاجر قد يفعل أمثال
 هذه الاشياء ومما يدل على معاندته قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر لانه كان يعلم ان موسى
 ما خالطهم البتة وما لقيهم وكان يعلم من سحره استاذ كل واحد من هو وكيف حصل ذلك العلم ثم
 انه كان يقول مع ذلك هذه الاشياء ثم كانه قيل فما قالوا له اقليل (قالوا) له (لن نؤثر) أي نختار
 (على ما جاءنا) على لسان موسى (من البينات) التي عايناها وعلمنا أنه لا يقدر أحد على مضادتها
 * ولم يبدأ بما يدل على الخلق من الفعل ترقوا الى ذكره بعد معرفته بفعله اشارة الى علو قدره
 فقالوا (والذي) أي ولا نؤثره بالتباع على الذي (فطرنا) أي ابتدأ خلقنا اشارة الى شمول
 ربوبية الله تعالى لهم وله ولجميع الناس وتنبهوا على عجز فرعون عن عدم استخففه وفي جميع
 أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة واشارة وتحقير فرعون أمر عظيم * (تنبيه) * قد علم مما
 تقرر ان والذي معطوف على ما وانما آخر واذكر الباري تعالى لانه من باب الترقى من الأدنى الى
 الأعلى وقيل الواو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم بحذوف أي وحق الذي فطرنا
 لا نؤثره على الحق * ولما نسب عن ذلك أنهم لا يبالون به وعلموا أن ما يفعله بهم هو باذن الله تعالى
 قالوا (فاقص) أي فاصنع في حكمك الذي غضبه (ما أنت قاص) أي فاقص الذي أنت قاضيه
 ثم عللوا ذلك بقولهم (انما تقضي) أي تصنع بما تريد ان قدرك الله عليه (هذه الحية الدنيا)
 انصب على الانساع أي انما حكمت فيها على الجسد خاصة فهي ساعة تعقبها راحة ونحن لا نخاف
 الا ممن يحكم على الروح وان في الجسد فذلك هو العذاب الشديد الدائم ثم عللوا تعظيم الله تعالى
 واستهانتهم بفرعون بقولهم (انا انما نبارى) أي المحسن المناطول أعمارنا مع اساءتنا بالكفر
 وغيره (ليغفر لنا) من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك (خطايانا) التي قابلنا بها احسانه
 ثم خصوا بعد العموم فقالوا (وما أكرهنا عليه) وينبذوا ذلك بقولهم (من السحر) لنعارض
 المعجزة فانه كان الاكمل لنا عصيانك فيه لان الله تعالى أحق بأن يتق (فان قيل) كيف قالوا
 ذلك وقد جاؤا مختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم الغلبة (أجيب) بأنه قد زوى ان رؤساء
 السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والباقيون من بني اسرائيل أكرههم فرعون على تعلم
 السحر وروى أنهم رأوا موسى عليه السلام نائمًا وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان الساحر اذا
 نام بطل سحره فهذا لا تقدر على معارضته فأبى عليهم وأكرههم على المعارضة وقيل ان المملوك في
 ذلك الزمان كانوا يأخذون البعض من رعيتهم ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ بعثوا اليه احدا
 ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه * ولما كان التقدير فر بنا أهل التقوى وأهل المغفرة
 عطفوا عليه مستحضرين لكمال (والله) أي الجامع لصفات الكمال (خير) جزاء منك فيما وعدتنا

به (وَأَتَى) ثواباً وعقاباً قال أبو حيان والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون ويؤيده قوله تعالى
 ومن اتبعكم الغالبون وقال الرازي ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين
 ما وعدهم ولم يثبت في الاخبار وقال البقاعي سيأتى في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم ثم
 علاوا هذا الحكم بقولهم (أنه) أي الامر والشأن (من يأت ربه) أي الذي ربه وأحسن
 إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه (مجرماً) بأن يموت على كفره (فإن له جهنم) دار الاهانة
 (لا يموت فيها) فيستريح من عذابها بخلاف عذابك فإن آخره الموت وإن طال (ولا يحيى) فيها
 حياة مهنأة وبها يسدفع ما قيل أن الجسم الحي لا بد أن يبقى أما حياً أو مستأخلاً عن الوصفين
 محال وقال بعضهم إن لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبح قبل أن يهدأ فلا هو حي لأنه قد ذبح
 ذبحاً لا تبقى الحياة معه ولا هو ميت لأن الروح لم تنفارق بعد فهي حالة ثالثة (ومن يأت ربه) أي ربه
 الذي قد أوجده ورباه (مؤمناً) أي مصداقاً به (قد) ضم إلى تصديق الايمان أنه (عمل) أي في
 الدنيا (الصالحات) أي التي أمر بها فكان صادق الايمان مستلزماً صالح الاعمال (قأ أولئك) أي
 العالو الرتبة (لهم الدرجات العلى) جمع علياء مؤنث أعلى التي لانسبة لدرجاتك التي أوعدتناها
 اليها ثم ينوها بقولهم (جنات عدن) أي أعدت للاقامة وهيئ فيها أسبابها (تجري من تحتها
 الانهار) أي من تحت غرفها وأسرتها وأرضها فلا يراد موضع منها لأن يجري فيه نهر الجرى
 وقولهم (خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة والاستقرار (وذلك جزاء) كل
 (من ترك) أي تطهر من أدناس الكفر * (تنبيه) * هذه الآيات الثلاث وهي من قوله انه من
 يأت ربه مجرماً الى هنا يحتمل أن تكون من كلام السحرة كما تنقروا أن تكون ابتداء كلام من
 الله تعالى وقوله تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبدى) عطف على قوله ولقد أريناه
 آياتنا وفيه دليل على أن موسى عليه السلام كثر مستجيبيه فأراد الله تعالى تمييزهم من طبقة
 فرعون وخلاصهم فأوحى اليه أن يسرى بهم ليلاً والسرى اسم لسير الليل والأسراء مثله
 والحكمة في السرى بهم ثلاث اشياء أحدهم العدو فينعهم عن مرادهم أو ليكون ذلك عائقاً
 لفرعون عن طلبه وتبعه أو ليكون اذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عليه الصلاة
 والسلام عسكر فرعون لعنه الله فلا يهاجمهم وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل
 بعد هاء من سرى والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعد هاء من أسرى لغتان أي أسرى بنى
 اسرائيل من أرض مصر التي لبنت قلب فرعون لهم حتى أذن لهم في مسيرهم بعد أن كان قد
 أي أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب فأقصد بهم ناحية بحر القلزم (فأضرب) أي اجعل (لهم)
 بالضرب بعصاك (طريقاً في البحر) والمراد بالطريق الجنس فانه كان لكل سبط طريق وقوله
 (يبسا) صفة لطريقا وصف به لما يؤول اليه لانه لم يكن يبسا الا بعد أن مرت عليه الصبا فخففته كما
 روى وقبل في الاصل مصدر وصف به مبالغة وتيل جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد
 مبالغة فلما امتثل ما أمر به وأبى الله تعالى له الارض وأراد المرور بها قال الله تعالى له
 (لا تخاف دركا) أي ان يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقاً وقرأ جزم الفاء ولا ألف بينهما وبين

الخاء على أن يكون نهيام مستأنفا والباقون برفع الفاء وألف بينها وبين الخاء على أنه مستأنف
 فلا محمل لمن الاعراب أو أنه في محمل نصب على الحال من فاعل اضرب أى اضرب غير خائف
 (فاتبعهم فرعون بجنوده) أى وهو معهم على كثرتهم وعلوهم وقوتهم وعزتهم فكانوا كالسابع
 الذى لا معنى له بدون متبوعه والمتبوع بنو اسرائيل وذلك ان موسى خرج بهم أول الليل فأخبر
 فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى
 وقيل ان الباء زائدة (فغشيهم) أى فرعون وقومه (من اليم) أى البحر (ماغشيهم) أى أمر
 لا تحتمل العقول وصفه فأهلكهم وقطع دابرهم ولم يبق منهم أحد وما شال أحد من عبادنا
 المستضعفين شوكه (وأضل فرعون قومه) أى بدعائهم الى عبادته (وما هدى) أى ما أرشدهم
 وهذا تكذيب لفرعون وتهكم به في قوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد* (تنبيه)* لا بأس بذكر شئ
 من هذه القصة فقول* قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع
 بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الخلى والدواب ليعبد يخرجون اليه
 فخرج بهم ليلا وكان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه
 معهم من مصر فلم يعرفوا مكانه حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فأخذه وقال موسى عليه
 السلام للعجوز احسكى أى انظرى لك شيئا اطلبه فقالت أكون معك فى الجنة فلما خرجوا
 تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنين والاقاب فلما انتهى موسى
 الى البحر قال هنا أمرت فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصا البحر ففرض به فانقلب فقال لهم
 موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى رطبة فدعاه به فهبت عليها الصبا جفت فقالوا نخاف الفرق
 فى بعضنا فجعل بينهم كوى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر وأقبل فرعون الى تلك
 الطرق فقال له قومه ان موسى قد سحر البحر كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل عليه
 السلام على فرس أتى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان
 الفرس فأقبحهم بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة فى الناس الحقوا حتى اذ الحلق آخرهم وكاد
 أولهم أن يخرج التقي البحر عليهم فغرقوا فخرج بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى
 ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم وذكر ابن
 عباس أن جبريل قال يا محمد لورأيتنى وانا أأدس فى فرعون الماء والطين مخافة أن يتوب فهذا
 معنى قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم* ولما أنعم الله تعالى على قوم موسى عليه السلام
 بأنواع النعم ذكر أولادهم تلك النعم فناداهم بقوله تعالى (يا بنى اسرائيل) والمنادى من وجد من
 اليه وفى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخو طبوا بما أنعم به على أجدادهم زمن موسى عليه
 السلام ولا شك أن ازالة الضرر يجب تقديمها على ايصال المنفعة و ايصال المنفعة الدينية أعظم
 من ايصال المنفعة الدنيوية فلهذا بدأ تعالى بازالة الضرر بقوله (قد أنجيناكم من عدوكم) فإن
 فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثير من القتل والاذلال والمخارج والاعمال الشاقة ثم ثنى
 بذكر المنفعة الدينية بقوله تعالى (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الذى على أيمنكم فى

توجهكم هذا الذي وجوهكم فيه الى بيت أبيكم ابراهيم عليه السلام وهو جانبته الذي يلي البحر
وناحية مكة واليمن ووجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك القرب عليهم كتاب فيه بيان دينهم وشرح
شريعته ثم ثلث بذلك المنفعة الدنيوية بقوله (وأنزلنا عليكم) بعد أنزال هذا الكتاب في هذه
المواعيد لنعاش أرواحكم (المن) أي الترنجيبين (والسلاوي) أي الطير السماوي بتخفيف الميم
والقصر وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أمر أباحه أن يفسر الطيب بالذي لا يذوق المن
والسلاوي من لذائذ الاطعمة وان فسر بالحلال لأن الله تعالى أنزله اليهم ولم يمسسه يد آدميين
فهو أمر إيجاب وقرأ حجة والكسائي قد أنجيناكم ووعدناكم ما رزقناكم بقاء مضمومة بعد
التخنية من أنجينا وبعد الدال من وعدنا وبعد القاف من رزقنا ولا ألف في الثلاثة والباقون
بالنون وألف بعدها في الثلاثة وأسقط أبو عمر والالف قبل العين من وعدنا وألفها الباقون * ثم
زجرهم عن العصيان بقوله تعالى (ولا تطغوا فيه) أي في ما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي بما
حده الله لكم فيه من السرف والبطر والمنع عن المستحقين وقرأ الكسائي (فيحل) بضم الحاء أي
ينزل والباقون بكسرها أي يجب (عليكم غضبي) أي عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى)
أي هلك وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي بضم اللام الاولى وكسرها الباقون
* ولما كان الانسان محل الزلل وان اجتهد درجاء واستعطفه بقوله سبحانه (واني لغفار) أي
ستار بأسباب ذيل العفو (لن تاب) أي رجع عن ذنوبه من الشرك وما يقاربه (وآمن) بكل ما يجب
الايمان به (وعمل صالحا) تصديقا لايامانه (ثم اهتدى) باستمراره على ذلك الى موته * (فائدة) * اعلم
أنه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا وبأن له عفرا ناومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي
والمستقبل والامر أما وصف كونه غافرا فقوله تعالى غافر الذنب وأما كونه غفورا فقوله
تعالى وربك الغفور وأما كونه غفارا فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وأما الغفران فقوله
تعالى غفرانك ربنا وأما المغفرة فقوله تعالى وان ربك لذومغفرة للناس وأما صيغة الماضي
فقوله تعالى في حق داود عليه السلام فغفرنا له وأما صيغة المستقبل فقوله تعالى ويغفر
مادون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه
وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما لفظ الاستغفار فقوله تعالى استغفروا ربكم
ويستغفرون لمن في الارض ويستغفرون للذين آمنوا (وههنا انكته لطيفة) وهي ان العبد له
أسماء ثلاثة الظالم والظالم والظالم اذا كثرت منه الظلم ولله تعالى في مقابلة كل واحد من هذه
الانماء اسم فكانه تعالى قال ان كنت ظالما فأنا غافر وان كنت ظالما فأنا غفور وان كنت ظالما
فأنا غفار فيجب على كل من ارتكب معصية كبيرة أو صغيرة أن يتوب منها لهذه الآية ودلت على
أن العمل الصالح غير داخل في الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف
يغايير المعطوف عليه * ولما أمر تعالى موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين
قال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل ليذهبوا معه
الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم موسى ثم جعل موسى عليه السلام من بينهم شوقا الى ربه

وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له (وما أعجلك عن قومك) أي لمجي
 معاد أخذ التوراة (يا موسى قال) بحسبنا الرب تعالى (هم أولاء) أي بالقرب مني يأتون (على أثرى)
 أي ماشين على آثار مشي قبل أن ينظمس وما تقدمتهم الا بخطا يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني
 وبينهم الامسافة قريبة يتقدمهم الرفقة بعضهم على بعض (وعجلت اليك رب لترضى) أي لترداد
 عني رضا فان المسارعة الى امتثال أمره والوفاء به ذلك يوجب مرضاة ربك * (تنبيه) * في
 الآية سوالات الاول قوله تعالى وما أعجلك استفهام وهو على الله تعالى محال وأجيب عنه بأنه
 كان في صورة الاستفهام ولا مانع منه الثاني أن موسى عليه السلام لا يخلو اما أن يكون ممنوعا
 من ذلك التقدم أو لم يكن فان كان الاول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا انكار وأجيب
 عنه بأنه عليه السلام لعلمه ما وجد نصافي ذلك فاجتهد فأخطأ في اجتهاده فاستوجب العتاب
 الثالث قوله وعجلت والمجلة مذمومة أجيب عنه بأنه امدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى
 مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل على أنه انما فعل ذلك ليحصل الرضا واذالم يكن راضيا عنه
 وجب أن يكون ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام أجيب عنه بأن المراد
 تحصيل دوام الرضا أو زيادته كما مر الخامس قوله اليك يقتضى كون الله تعالى في جهة لان الى
 لاتهاء الغاية وأجيب عنه بأننا افقنا على أن الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد مكان وعيدك
 السادس قوله تعالى ما أعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه اللائق به أن
 يقول طلب زيادة رضائه أو التشوق الى كلامك وأما قوله هم أولاء على أثرى فغير منطبق عليه
 كما ترى أجيب عنه بأن سؤال الله تعالى يتضمن شيئين أحدهما انكار نفس العجلة والثاني
 السؤال عن سبب التقدم فأجاب عن السؤال عن العجلة لانهم فقال وعجلت اليك رب
 لترضى (قال تعالى) فانا أي تسبب عن عجلتك عنهم أنا (قد قننا) أي ابتلينا (قومك من بعدك)
 أي بعد فراقك لهم بعبادة العجل وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف وما نتج من
 عبادة العجل منهم الاثنا عشر ألفا (وأضلهم السامري) بالتحاذه العجل والدعاء الى عبادته
 فأطاعه بعضهم وامتنع بعضهم والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لهم
 السامرة وقيل كان علجانا أهل كرمان وقع الى مصر وقيل كان من قوم يعسدون البقر
 جيران لبني اسرائيل ولم يكن منهم واسمه موسى بن ظفرو كان منافقا (فرجع موسى) لما أخبره ربه
 بذلك (الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين ذاق القعدة وعشر ليل من ذى الحجة وأخذ التوراة
 (غضبان) عليهم (أسفا) أي حزينا بما فعلوا (قال) أي لقومه لما رجع اليهم مستعظفا لهم (يا قوم)
 وأنكر عليهم بقوله (ألم بعدكم ربكم) أي الذي أحسن اليكم (وعدا حسنا) أي بأنه ينزل
 عليكم كتابا حفاظا ويكفر عنكم خطاياكم وينصركم على أعدائكم الى غير ذلك من اكرامه * ولما
 جرت العبادة بأن طول الزمان ناقض للعزم مغير للعهود كما قال أبو العلاء أجذب سليمان المعري
 لأنسبك ان طال الزمان بنا * وكما حبيب تهادى عهده فنبسى
 قال لهم (أفطال عليكم العهد) أي زمن لطيف الله تعالى بكم فتغيرتم عما فارقتكم عليه كما تغير أهل

الرذائل والانحلال في العزائم لضعف العقول وقلة التدبر (أم أردتم) أي بالنقض مع قرب
 العهد وذكر الميثاق (أن يحل) أي يجب (عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم) المحسن
 إليكم أي وكلا الأمرين لم يكن أما الأول فواضح وأما الثاني فلا يظن بأحد ارادته والحاصل
 أنه يقول فعلتم ما لا يفعله عاقل (فأخلفتم) أي فتسبب عن فعلكم ذلك أن أخلفتم (موعدى) أي
 وعدكم أي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمركم به ولما تشوف السامع إلى جوابهم
 استأنف ذكره فقال (قالوا) أما أخلفنا موعدك بملكنا أي بأن ملكنا أمرنا إذ لو خيلنا وأمرنا ولم
 يسؤل لنا السامري لما أخلفناه واختلف في هذا الجيب على وجهين الأول هم الذين لم يعبدوا
 العجل فكانهم قالوا أما أخلفنا موعدك بملكنا أي بأمر كائنك وقد يضيف الرجل فعل قرينه إلى
 نفسه كقوله تعالى واذا فرقنا بكم البحر واذا قتلتم أنفساوان كان الفاعل لذلك آباءهم لاهم
 فكانهم قالوا الشبهة قوية على عبدة العجل فلم تقدر على منعهم عنه ولم تقدر أيضا على مفارقتهم
 لاناخفنا أن يصير ذلك سببا لوقوع النفرة وزيادة الفتنة الثاني أن هذا قول عبدة العجل والمراد
 أن غيرنا وقع الشبهة في قلوبنا وفاعل السبب فاعل المسبب فخلف الوعد هو الذي أوقع الشبهة
 فانه كان كمالك لنا (فان قيل) كيف كان رجوع قريب من ستمائة ألف انسان من العقلاء
 المكلفين عن الدين الحق دفعة واحدة إلى عبادة عجل يعرف فسادها بالضرورة (أجيب) بأن
 هذا غير ممنوع في حق البله من الناس وقر أعاصم ونافع بفتح الميم وحزرة والكسائي بضمها
 والباقون بكسر هاء وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم إن القوم فسر والضرر
 الحاصل لهم على ذلك الفعل فقالوا (ولكننا جئنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم
 الحاء وكسر الميم مشددة وأبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بفتح الحاء والميم مخففة (أوزارا)
 أي أثقالا (من زينة القوم) أي حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بسبب عرس
 وقيل استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يدوها عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هي ما ألقاه البحر
 على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه قال البيضاوي ولعلهم سمعوا أوزار الانها ثم فان الغنائم
 لم تكن تحمل بعد ولا نهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ من مال الحرب (فقدفناها)
 أي في النار (فكذلك ألقى السامري) أي ما كان معه أمان المال أو من أثر الرسول روى
 أن موسى عليه السلام لما وعده ربه أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هرون وأجلهم ثلاثين
 يوما وذهب فصامها إلى لها ونهارها ثم كره أن يكلم ربه ورجع منه متغير فضع شيئا من نبات الأرض
 فقال له ربه أو ما علت أن ربح الصائم أطيب من ربح المساك أربع قصص عشرة وقيل أنهم
 أقاموا بعد مفارقتهم عشرين ليلة وحسبوا أربعين أياما وقالوا قد كملت العدة فلما رأى
 قوم موسى أنه لم يرجع إليهم ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر
 ولقوم فرعون عندكم عوارف أحقر واحفرة والقوها فيها ثم أقعدوا عليها نارافلا يكون لنا
 ولا لهم وكان السامري قد رأى أنرا فقبض منه قبضة فترجهرن فقال له يا سامري ألا تلتقي ما في
 يدك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقها على شيء إلا أن تدعوا لله

اذا القيت ان يكون ما اريد فالتقاها ودعا له هرون فقال اريد ان يكون مجلدا فاجتمع ما في الحفرة
 وصار مجلدا فهدا معنى قوله تعالى (فاخرج لهم مجلا جسدا) من ذلك الجلى المذاب له خوف
 ليس فيه روح (له خوار) أى صوت يسمع قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط وانما
 كان الريح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك وقيل انه صاعه ووضع
 التراب بعد صوغه في فيه (فقالوا) أى السامري ومن اقمته به أول ما رأوه مشيرين الى
 المجمل (هذا الهكم واله موسى ففسى) أى ففسى به موسى وذهب يطلبه عند الطور وأوفى
 السامري أى تركه ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أى قالوا ذلك ففسى عن قولهم عليهم
 عن روية (أن) أى انه (لا يرجع اليهم قولا) والاله لا يكون اياكم (ولا يملك لهم ضرا) فيخافوه كما
 كانوا يخافون فرعون فيقولون ذلك خوفا من ضرره (ولا نفعا) فيقولون ذلك رجاء له (ولقد قال
 لهم هرون من قبل) أى قبل رجوع موسى مستعظا لهم (يا قوم اغناقتهم) أى وقع اختياركم
 فاخترتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه (به) أى بهذا المجمل في اخراجه اليكم
 على هذه الهيئة الخارقة للعادة وأكدا لجل انكارهم فقال (وان ربكم) أى الذى أخرجكم من
 العدم وربكم بالاحسان (الرحمن) وحده الذى فضله عام ونعمه شاملة فليس على بر ولا فاجر نعمة
 الا وهى منه تعالى قبل أن يوجد المجمل وهو كذلك بعده ومن رحمة قبول التوبة فخافوا نزاع نعمه
 بعصيته وارجوا اسباب اطاعته (فاتبعوني) بغاية جهدهم فى الرجوع اليه (وأطيعوا أمرى)
 أى فى الثبات على الدين (قالوا ان نبرح عليه) أى المجمل (عنا كفين) أى مقمين (حتى يرجع
 الينا موسى) فدافعهم فهموا به وكان معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يقوى بهم فخاف أن يجاهد
 بهم الكفار فلا يقصد ذلك شيأ مع أن موسى لم يأمره بجهاد من ضل وانما قال له وأصلح ولا تتبع
 سبيل المفسدين فرأى من الإصلاح اعتزالهم الى أن يأتي * (تنبيه) * انما قال هرون ذلك شفقة
 على نفسه وعلى الخلق أما شفقه على نفسه فلائنه كان مأمورا من عند الله بالامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وكان مأمورا من عند أخيه بقوله اخلصني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل
 المفسدين فلولم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكان مخبا لالامر الله تعالى ولا امر
 موسى وذلك لا يجوز وأوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من
 خيارهم وماتت ألف من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار فقال بالالاخير قال انهم لم يعصوا
 الغضبى وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء
 ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل
 المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
 وعن عبد الله بن أبي أوفى قال خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أبو بكر وعمر عنده
 فجا صغير يبكي فقال لعمر ضم الصبي اليك فانه ضال فأخذه عمر واذا أم الصبي تولول كاشفة
 عن رأسها جزعا على ابنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أدرك المرأة فنادها فجاءت واخذت
 ولدها وجعلت تبكي والصبي في حجرها فالتفت فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت فقال

الذي صلى الله عليه وسلم عند ذلك أتروا هذه رحمة بولدها قالوا يا رسول الله كفى بهذا درجة فقال
 والذي نفسي بيده إن الله أرحم بالأمم من من هذه بولدها ولقد سلك هرون في موعظته أحسن
 الوجوه لانه زجرهم عن الباطل أو لا بقوله إنما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله بانياب قوله وان ربكم
 الرحمن ثم دعاهم بالنال الى النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعا بقوله وأطيعوا أمرى وهذا هو
 الترتيب الجيد لانه لا يتقبل كل شيء من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة
 الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فثبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه لانه
 زجرهم عن الباطل أولا * ولما ذكر تعالى ما قال هرون تشوفت النفس الى علم ما قال موسى
 فقبل (قال ياهرون) أنت نبي الله وأخي ووزيرى وخليفتى فانت أولى الناس بأن ألومه
 وأحقهم بأن أعاتبه (مامنعك اذ) أى حين (وأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى واتبعوا سبيل
 الردى (أن لا تتبعنى) فى سبى من الاخذ على يد الظالم طوعا أو كرها * (تنبه) * لا مزيدة للتأكيد
 لان النافى اذا زيد فى كلام كان نافيا للصد مضمونه فيفيد اثباتا للمضمون ونقما للصد فكون ذلك
 فى غاية التأكيد وأثبت الياء بعد النون ابن كثير وقفوا وصلوا أثبتا نافع وأبو عمرو وصلوا لا وقفوا
 وحذفوا الباقون وصلوا وقفوا (أفعصيت) أى فكبرت عن اتباعى فتسبب عن ذلك أنك عصيت
 (أمرى) وأخذ بلحيته برأسه يحتره اليه غضبا لله تعالى فكأنه قيل ما قال لطفيل (قال) مجيبا له
 مستعظما بذكر أول وطن ضمهما بعد نفي الروح مع ماله من الرقة والشفقة (يا ابن أم) فذكره بها
 خاصة وان كان شقيقه لأنها يسوءها ما يسوء وهى أرق من الاب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 وحفص بفتح الميم وكسرها ابن عامر وشعبة وحزرة والكسافى (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى
 بشعرهما * ثم غل ذلك بقوله (انى خشيت أن تقول) اذا شددت عليهم حتى يصل الامر الى
 القتال (فترقت بين بنى اسرائيل) بفعلك هذا الذى لم يجسد شيئا لقله من كان معك وضعفك
 عن ردهم (ولم ترقب قولى) اخلفنى فى قولى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقل وارددتهم
 ولو أذت الامر الى السيف * ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس اليه وأحقهم بنصيحته
 وحفظه على الهدى اذ كان رأس الهداة تشووف السامع الى ما كان من غيره فاستأنف تعالى
 ذكره بقوله (قال) أى موسى عليه السلام لرأس أهل الضلال معرضا عن أخيه بعد قبول عذره
 بعلاماتسب اليه سببا لسؤاله عن الحامل له عليه (فما خطبك) أى أمر لهدى العجب العظيم
 الذى جعلك على ما صنعت وأخبرنى ربي أنك أضللتهم به (يا سامرى قال) السامرى مجيبا له
 (بصرت) من البصر والبصيرة (بما لم يصروا به) أى رأيت ما لم يربوا اسرائيل وعرفت ما لم يعرفوا
 وقال ابن عباس علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير أى عالم قاله أبو عبيدة وارا أنه رأى
 جبريل عليه السلام فأخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب كما قال (فقبضت) أى فكان
 ذلك سببا لان قبضت (قبضة) أى مرة من القبض أطلقها على المتقبوض تشبيها للمفعول بالمصدر
 (من أثر) فرس ذلك (الرسول) أى المعهود (فنبذتها) أى فى الحلى الملقى فى النار وفى العجل
 (وكذلك) أى وكما سئلتنى نفسى أخذ أثره (سئلت) أى حسنت وزينت (لى نفسى) نبذها فى

الحسنى فنبذتهم او كان منها ما كان ولم يدعنى الى ذلك داع ولا جاني عليه حامل غير التسويل
 * (تنبيه) كون المراد بالرسول جبريل عليه السلام هو ما عليه عامة المفسرين وأراد بأثره
 التراب الذى أخذته من موضع حافر دابة لما رآه يوم فلق البحر وعن على رضى الله تعالى عنه
 ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب بعوسى الى الطور أبصره السامرى من بين الناس
 واختلفوا فى أنه كيف اختص السامرى برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته من بين
 الناس فقال ابن عباس فى رواية الكلبى انما عرفه لانه رياه فى صغره وحفظه من القتل حين أمر
 فرعون بذبح أولاد بنى اسرائيل فكانت المرأة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به آل
 فرعون فمأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يتعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى
 ممن أخذ جبريل عليه السلام وجعل ككف نفسه فى فيه وارضع منه العسل واللبن فلم يزل
 يختلف اليه حتى عرفه فلما رآه عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بعالم يبصر وابه يعنى
 رأيت مالم يروه ومن فسر الا بصار بالعالم فهو صحيح ويكون المعنى علمت أن تراب فرس جبريل
 عليه السلام له خاصية الاحياء قال أبو مسلم ليس فى القرآن تصريح بهذا الذى ذكره المفسرون
 فههنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وبأثره سقته ورسمه الذى أمر
 به فقد يقول الرجل ان فلانا يتفق وأثر فلان يقتص أثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير أن موسى
 عليه السلام لما أقبل على السامرى باليوم والمسئلة عن الامر الذى دعااه الى اضلال القوم فى
 العجل قال بصرت بعالم يبصر وابه أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة
 من أثره أيها الرسول أى شيأ من دينك فقد فقهته أى طرحته فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام
 بما له من العذاب فى الدنيا والآخرة وانما أورد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه
 وهو مواجه له ما يقول الامير فى كذا أو بماذا يأمر الامير وأما دعاؤه أن موسى رسول
 مع بخره وكفره فعلى مذهب من حكى الله فيه قوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وان
 لم يؤمنوا بالا نزال قال الرازى وهذا القول الذى ذكره أبو مسلم ليس فيه إلا أنه مخالف للمفسرين
 ولكنه أقرب الى التحقيق لوجوه أحدها أن جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم الرسول
 ولم يجز له فيما تقدم ذكره حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول لا رادة جبريل
 أنه تكليف بعلم الغيب وثانيها أنه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضة من أثر حافر دابة
 الرسول والاضمار خلاف الاصل وثالثها أنه لا بد من التعسف فى بيان أن السامرى كيف
 اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته وكيف عرف أن تراب حافر فرسه له هذا
 الاثر والذى ذكره من أن جبريل هو الذى رياه فبعيد لان السامرى ان عرف أنه جبريل حال
 كمال عقه له عرف قطعاً أن موسى نبي صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان ما عرفه حال
 البسوخ فاني يتفقه كون جبريل مرياً لحوال الطقولية فى حصول تلك المعرفة * ثم إن موسى
 عليه السلام لما سمع من السامرى ما ذكر (قال) له (فأذهب) أى فتسبب عن فعلك ان أقول
 لك اذهب من بيننا وجيب ذهبت (فان لك فى الحياة) أى مادمت حياً (أن تقول) لكل من

رأيته (لامساس) أى لا تمسنى ولا أمسك فلا تقدر أن تنفك عن ذلك فكان بينهم فى البرية مع
 الوحوش والسباع وإذا مس أحدكم أو مسه أحد حجاجه عاقبه الله تعالى بذلك وكان
 إذ أتى أحدًا يقول لامساس أى لا تقربنى ولا تمسنى وقال ابن عباس لامساس لك ولولدك حتى
 أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحد من غيرهم أحد منهم حجاجه عاقب ذلك الوقت
 (وأنك) بعد الممات (موعداً) للثواب أن تبت والعقاب أن آيت (لن تحلقه) قرأ ابن كثير وأبو
 عمرو بكسر اللام أى لن تغيب عنه والباقون بفحها أى بل تبعث إليه فلا انفكاك لك عنه كما أنك
 فى الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة من الناس فاختزل نفسك ما يحلو * ولما ذكر الملائكة الحق
 من القدوة التامة فى الدارين أتبعه عجز العجل فقال (واظفر الى الهك) أى بزعمك (الذى ظلت)
 أى دفت فى مدة يسيرة جنة بما أشار إليه تخفيف التضعيف فأن أصله ظلت بلامين أو لاهما
 مكسورة حذف تخفيفاً (عليه عاكفاً) أى مقيماً تبعده (لن تحرقه) أى بالنار وبالبرد قال البقاعى
 كما سلف عن نص التوراة وكان معنى ذلك أنه أجهأ حتى لان فهان على المباردا انتهى
 (ثم لننسفنه) أى لنذريه إذا صار سحالة (فى اليم) أى فى البحر الذى أغرق الله تعالى فيه آل
 فرعون ثم يحسم مع الله تعالى سبحانه التى هى من حلهم فيخميها فى نار جهنم ويكويهم بها ويحعلها
 من أشد العذاب عليهم وأكدها فعل اظهار العظمة الله تعالى الذى أمره بذلك وتحقيقاً للصدق
 فى الوعد فقال (نسفاً) قال الجلال المحلى وفعل موسى عليه السلام بعد ذبحه ما ذكره انتهى وعلى
 هذا لا يصح أن يبرد بالبرد قال الرازى ويمكن أن يقال صار لحاود ما ذبح ثم بردت عظامه بالبرد
 حتى صارت بحيث يمكن نسفها * ولما أراهم بطلان ما هم عليه بالبعان أخبرهم بالحق على
 وجه الحصر فقال (انما الهكم الله) أى الجامع لصقات الكمال ثم كشف المراد من ذلك
 وحقه بقوله (الذى لا اله الا هو) أى لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لانه (وسمع كل شئ) وقوله
 (علماً) تمييز بحول عن الفاعل أى أحاط علمه بكل شئ فكل شئ إليه مقفرو وهو غنى عن كل شئ وأما
 الجبل الذى عبده فلا يصلح للالهية بوجه ولا فى عبادته شئ من حق * ولما شرح الله تعالى قصة
 موسى عليه السلام مع فرعون أو لا ثم مع السامرى ثانياً على هذا الاسلوب الاعظم والسييل
 الاقوم كان كأنه قيل هل يعاد شئ من القصص على هذا الاسلوب البديع والمثال الرفيع
 فقيل نعم (كذلك) أى مثل هذا القصص العالى فى هذا النظم العزير العالى كقصة موسى ومن
 ذكر معه (نقض عليكم من أنباء) أى أخبار (ما قد سبق) من الامم زيادة فى علمك واجلالاً
 لمقدارك وتسلياً لقلبك وإذها بالخرنك بما اتفق للرسول من قبلك وتكثير البيئاتك وزيادة فى
 معجزاتك ولتعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتناً كذا الحجة على من عاند وكبر (وقد
 أنفك) أى أعطيناك تشريفاً لك وتعظيماً لقدرك (من لدنا) أى من عندنا (ذكرنا) أى كأنها هو
 القرآن وفى تسمية القرآن بالذكر وجوه أحدها أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج اليه الناس من أمر
 دينهم ودنياهم وثانيها أنه يذكرفيه أنواع آلاء الله ونعمائه وفيه التذكير والموعظة وثالثها فيه
 الذكروا الشرف لك ولقومك كما قال تعالى وأنه لذكرك ولقومك. وسمى الله تعالى كل كتاب

أنزل ذكر أفعال فاسألوا أهل الذكر والتسكير فيه للتعظيم فإنه مشتمل على أسرار كتب الله تعالى
 المنزل (من أعرض عنه) فلم يؤمن به (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) أي جلائق من الأثم (طالدين
 فيه) أي في عذاب الوزر (وساء) أي وبئس (لهم) أي ذلك الحمل (يوم القيامة) وقوله (جلائق) تميز
 مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ومن أقبل عليه كان
 مذكرا له بكل ما يريد من العلوم النافعة ويبدل من يوم القيامة (يوم ينفخ في الصور) أي القرن
 النفخة الثانية وقرأ أبو عمرو بنونين الأولى مفتوحة وضم الفاء على استناد الفعل إلى الأمر به
 تعظيمه أو إلى النافخ والباقون يسياء مضمومة وفتح الفاء (وتحشر الجرمين) أي الكافرين
 (يومئذ زرقا) أي عيونهم مع سواد وجوههم لأن زرقاة العيون أبغض شيء من ألوان
 العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العبد وأسود
 الكبد أصهب السبل أزرق العين وقيل المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق
 وقيل عطاشا حال كونهم (يتخافتون) أي يخفزون أصواتهم (بينهم) لما يلاصدورهم من الرعب
 والهول وانخفت خفض الصوت وخفاؤه (أن) أي يقول بعضهم لبعض ما (لبنتم) أي مكنتم
 (الاعشرا) أي من اللبالي بأيامها في الدنيا وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين
 سنة قالوا ذلك أما استقصار المدة الراحة في جنب ما بد الله من الخوف لأن أيام الشر وقصار
 وأما لأنها ذهبت عنهم وانقضت والذاهب وان طالت مدته قصيرة بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله
 ابن المعتز أطال الله تعالى بقاءك كني بالانتهاء قصر أو أمالا استطالتم الآخرة فإنه يستقصر إليها
 عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيم بالقياس إلى لبثهم في الآخرة كما قال تعالى كم لبثتم في الأرض
 عدد سنين قالوا المثنى يوما وبعض يوم فاسأل العاديين وما غلطوا ودهشة قال الله تعالى (فمن
 أعلم) أي من كل أحد (بما يقولون) في ذلك اليوم أي ليس كما قالوا (أذيقول أمثلهم) أي أعد لهم
 (طريقة) أي رأيا وعملا في الدنيا فيما يجبسون (أن) أي ما (لبنتم اليوما) أي مبدء الاتحاد
 لا مبدء العقود كما قال تعالى في آية أخرى يقسم الجرمون ما ابتوا غير ساعة كذلك كانوا
 يوفكون فلا يزالون في أفك وصرف عن الحق في الدارين لأن الإنسان يموت على ما عاش عليه
 ويعت على ما مات عليه * ولما وصف سبحانه وتعالى أمر يوم القيامة حكى سؤال من لا يؤمن
 بالحشر فقال تعالى (ويستأثرونك) يا أشرف الخلق (عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة
 قال الضحاك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيامة وكان
 سؤالهم على سنبل الاستهزاء ولما كان مقصودهم من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر
 فلا جرم أمره الله تعالى بالجواب مقر وناجح في التعقيب بقوله (فقل) لهم (يوسفها رب نسفا)
 لأن تأخير البيان في مثل هذه المسئلة الأصولية غير جائز وأما المسائل الفروضية فخاير فلذلك
 ذكر هنالك في نحو قوله تعالى يستأثرونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ويستأثرونك عن
 التباي قل إصلاح لهم خير بغير حرف التعقيب والنسب التذرية - وقيل القلع الذي يقلعها
 من أصلها ويجعلها هباء منثورا قال الخليل يفسفها يذهبها وبطيرها وفي ضمير (فيذرها) قولان

أحدهما أنه ضمير الارض أضمرت للدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة والثاني
ضمير الجبال وذلك على حذف مضاف أي فبذرهما كرها ومقاديرها وبذر يجوز أن يكون بمعنى
يخلفها فيكون (قاعا) حالا وأن يكون بمعنى يترك النصيرية فيستعدي لاشين فقاعا ثانياهسما والقاع
هو المكان المستوي وقيل الارض التي لا بناء فيها ولا نبات وفي قوله تعالى (صفصفا) قولان
أحدهما الارض المساء والثاني المستوية والقاع والصفصفا قريبان من الترادف وجمع
القاع أقوع وأقواع وقيعان (لا ترى فيها) أي الارض أو مواضع الجبال (عوجا) أي انخفاضا
(ولا أمسا) أي ارتفاعا بوجه من الوجوه وعبر هنا في العوج بالكسر وهو للمعانى ولم يعبر بالفتح
الذي توصف به الاعيان فان الارض أو مواضع الجبال أعيان لامعان نفيا للاعوجاج على
أبلغ وجهه بمعنى أنك لو جعت أهل الخبرة بتسوية الارض لا تفقوا على الحكم باستوائها ثم
لو جعت أهل الهندسة فحكموا بما ينسبهم العلمية فيها الحكموا بمثل ذلك (يومئذ) أي يوم
اذ نسنت الجبال (يتبعون) أي الناس بعد القيام من القبور بغاية جهدهم (الداعي) أي إلى
المحشر وهو اسرافيل يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام
البالية والجلود المتزفة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أي الداعي في شيء
من قصدهم إليه لانه ليس في الارض ما يحوجهم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على
السواء وقيل لا عوج لدعائه وهو من المقلوب أي لا عوج له عن دعاء الداعي لا يرغبون عنه عينا
ولا شمالا ولا يقدررون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات) أي سكنت وذات وقطامت
لخشوع أهلها (الرحمن) الذي عت نعمه فبرجى كرمه وتخشى نعمه (قلا) أي فتسبب عن
خشوعها أنك لا (تسمع الا همسا) أخفى ما يكون من الاصوات وقيل أخفى شيء من أصوات
الاقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الابل في مشيها (يومئذ) أي اذ كان ما تقدم (لا تنفع
الشفاعة) أحدا (الامن أذن له الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولا) ولو الايمان المجرد قال ابن
عباس يعني قال لا اله الا الله فهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن * ولما نفي أن تنفع شفاعة بغير
اذه عن ذلك كجاسق في آية الكرسي بقوله (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلائق من أمور الآخرة
(وما خلفهم) من أمور الدنيا وقيل ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلفوا من الاعمال
ولا يحيطون به علما أي لا يحيط علمهم بعلمه وقيل الضمير إلى ما أي يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل راجع إلى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علما * ولما ذكر خشوع
الاصوات أتبعه خضوع ذوبها فقال (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم وبصير
الملك والقهر لله تعالى دون غيره وخص الوجود بالذكور مع أن المراد الاشخاص لشرف الوجوه
ولأنهم أوّل ما يظنه فيها الذل (للحي) الذي هو مطلع على الدقائق والجسالات (القيوم) الذي
لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت روى ابن أسامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه قال الرازي
فوجدنا المشترك في السور الثلاث الله لا اله الا هو الحي القيوم (وقد خاب) أي خسر خسارة

ظاهرة (من جل ظلماً) قال ابن عباس خس من أشرك بالله والظلم الشرُّ * ولما شرح الله تعالى
 أحوال القيامة بختم الكلام فيها بشرح أحوال المؤمنين فقال (ومن يعمل من الصالحات)
 أى التى أمره الله تعالى بها بحسب طاقته لانه لن يقدر الله أحد حق قدره ولن يشاد الدين أحد
 الاغلبه (وهو مؤمن) ليكون بناؤها على الاساس كافى قوله تعالى ومن يأتهم مؤثقاو كاهل
 الصالحات (فلا يخاف ظلماً) أى بزيادة فى سيئاته (ولا هضم) أى بنقص من حسناته قاله ابن
 عباس وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمل ولا تبطل حسنة عملها وعبر تعالى بالفاء اشارة الى قبول
 الاعمال وجعلها سبباً لذلك الحال وأما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال لم يكن لها وزن وقوله
 تعالى (وكذلك) معطوف على قوله تعالى وكذلك نقص أى ومثل انزال ما ذكر (أنزلناه)
 أى القرآن (قرآناً) جامعاً لجميع المعانى المقصودة ثم وصفه تعالى بأمرين أحدهما قوله
 تعالى (عريباً) أى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازهم وحسن نظمه وخروجه عن كلام
 البشر الثانى قوله تعالى (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كثرناه وفصلناه ويدخل تحت الوعيد
 بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد به ما يتعلق بشكره وتصريفه بقضى بيان الاحكام
 فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أى يجتنبون الشر والمحارم وترك الواجبات فتصير
 التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكراً) أى عظة واعتبار حين يسمعونها فيشطهم عنها ولهذا
 النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة
 المخلوقين لا يعاين كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته وصفاته ذاتهم وصفاتهم (الملك) الذى
 لا يجزئه شئ فلا ملك فى الحقيقة غيره (الحق) أى الثابت الملك فلا زوال لكونه ملكاً فى زمن ما
 ولعظمه ملكه وحقيقته ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الامور المتباينة * ولما
 شرح الله تعالى كيفية نفع القرآن للمكافين وبين أنه سبحانه وتعالى متعال عن كل ما لا ينبغي
 موصوف بالاحسان والرحمة ومن كان كذلك صان رسوله عن السهو والنسيان فى امر الوحي
 فلذلك قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من الملك
 النازل به اليك من حضرتنا كما اننا لم نجعل بانزاله عليك جملة بل رتلناه لك ترتيلاً ونزلناه اليك
 تنزيلاً مفصلاً تفصيلاً وموصلاً توصيلاً فاستمع له ملقياً جميع تأملك اليه ولا تساق به بالقراءة
 فاذا فرغ فاقرأه فانما يجمعه فى قلبك ولا تكلفك المساوقة بتلاوته (وقل رب) أيها المحسن الى
 بافاضة العلوم على (زدنى علماً) أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحى اليك تناله
 لا بحالة روى الترمذى عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني
 بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان
 ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علماً وبقيناً * ولما قال تعالى كذلك نقص عليك من
 أنباء ما قد سبق ذكره هذه القصة اعجازاً للوعد فقال تعالى (ولقد عهدنا) بما لنا من العظمة (الى
 آدم) أبى البشر أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة وانما عطفها على قوله تعالى وصرفنا فيه من
 الوعيد للدلالة على أن أساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ بالنسيان (من قبل) أى فى

زمن من الأزمان الماضية قبل هؤلاء الذين تقدم في هذه السورة ذكر نسيانهم واعراضهم
 (فنسى) عهدنا وأكل منها (ولم نجد له عزما) أى نصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذاعزجة
 وتصلب لم يزل الشيطان ولم يستطع تقريره قال البيضاوى ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن
 يجرب الامور ويدوق أذيتها وشربها انتهى والارى العسل والشرى الخنظل قال البغوى قال
 أبو امامة الباهلى لو وزن حلم آدم بحلم ولده لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقال
 البيضاوى وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال تعالى
 ولم نجد له عزما قال ابن الاثير والحلم بالكسرة الاناة والتثبت في الامور (فان قيل) ما المراد
 بالنسيان (أجيب) بأنه يجوز أن يراد بالنسيان الذى هو نقيض الذكر وأنه لم يكن بالوصية العناية
 الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان ولم يكن
 النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان يؤاخذ به وانما رفع عناوكان الحسن يقول
 ما عصى أحد قط الا نسيان وان يراد الترك وأنه ترك ما أوصى به من الاحتراز عن الشجرة وأكل
 ثمرها وقيل نسي عقوبة الله تعالى وظن أنه نهى تنزيهه* (تنبيه) * هذا هو المزة الخامسة من قصة
 آدم في القرآن أولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في الحجر ثم في الكهف ثم ههنا وقوله تعالى (واذ قلنا
 للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) تقدم الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة
 وقوله تعالى (أبى) جملة مستأنفة لانها اجواب سؤال مقدر رأى ما منعه من السجود فاجيب بأنه
 أبى ومفعول الالباء يجوز أن يكون مراد اوقدصرح به في الآية الاخرى في قوله تعالى أبى أن
 يكون من الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصله ويجوز أن لا يراد أصلا وان
 المعنى أنه من أهل الالباء والعصيان من غير نظر الى متعلق الالباء ما هو (فقلنا) بسبب امتناعه بعد
 أن حملنا عليه ولم نعالجه بالعقوبة (يا آدم ان هذا) الشيطان الذى تكبر عليك (عدوك ولزوجك)
 حواء الملد لانهم سبب تلك العداوة من وجوه الاول ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثار نعم
 الله في حق آدم حسده فصار عدوا له الثاني ان آدم عليه السلام كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم آدم
 الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضيلته بفضيلة أضله وذلك جهل والشيخ الجاهل
 أبدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث ان ابليس مخلوق من النار وادم مخلوق من الماء والتراب
 فبين أضليلهما عداوة فثبتت تلك العداوة (فان قيل) لم قال تعالى (فلا يحزن جنكم من الجنة) مع
 أن المخرج لهم ما من اها هو الله تعالى (أجيب) بأنه لما كان هو الذى فعل بوسوسته ما ترتب عليه
 الخروج صريح ذلك (فان قيل) لم قال تعالى (فتشقى) أى فتتعب وتنصب في الدنيا ولم يقل فتشقى
 (أجيب) بوجهين أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل وهو قوم أهله وأميرهم شقاء هم كما أن
 في ضمن سعادته سعادتهم فاخصص الكلام بأسناده اليه دونها مع المحافظة على كونه رأس فاصله
 وعن سفيان بن عيينة قال لم يقل فتشقى لانهم اذا خلد معه فوقع المعنى عليهم ما جمعوا وعلى
 أولادها ما جمعوا كقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ويا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
 قد فرض الله لكم تحله أجمعانكم قد دخلوا في المعنى معه وانما كاهم النبي وحده الثاني أريد

بالنقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعي على زوجته
 روى أنه اهبط الى آدم ثورا جرف كان يحتر عليه ويسبح العرق عن جبينه ويحتاج بعد الحرث
 الى الحصد والطحن والخبز وغير ذلك مما يحتاج اليه وعن الحسن قال عني به شقاء الدنيا فلا تلق
 ابن آدم الا قنينا ناصبا أي ولو أراد شقاوة الاخرة ما دخل الجنة بعد ذلك ولما كان الشبع
 والري والكسوة والكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الناس ذكر تعالى حصول هذه
 الاشياء في الجنة من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النفي لاضدادها بقوله تعالى
 (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تنظم) أي تعطش (فيها ولا تضحي) أي لا يحصل لك
 حر شمس الضحى لا تنفقاء الشمس في الجنة بل أهلها في ظل عود وهذه الاشياء كأنها تفسير لشفاء
 المذكور في قوله تعالى فتشقى (فوسوس) أي قعقبت تحذيرنا هذا من غير بعد في زمان أن وسوس
 (اليه الشيطان) المحترق المطرود وهو ابليس أي أنهى اليه الوسوسة وأما وسوس له فعناء لاجله
 فلذلك عدى تارة باللام في قوله تعالى فوسوس لهم ما وتارة بالي ثم بين تعالى تلك الوسوسة ما هي
 بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت
 مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يبيد ولا يفنى قال الرازي واقعة آدم بعيبه وذلك لان الله تعالى رغبه
 في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرج جنسك من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع
 فيها ولا تعرى وانك لا تنظم فيها ولا تضحي ورغبه ابليس أيضا في دوام الراحة بقوله تعالى هل
 أدلك على شجرة الخلد في انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلى فكان الشيء الذي رغب الله تعالى فيه
 آدم هو الذي رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك الامر على الاحتراس عن تلك الشجرة
 وابليس وقفه على الاقدام عليها ثم ان آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن الله مولاه وناصره
 ومربيه وعلمه بأن ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته
 كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته له وأعرض عن
 قول الله تعالى مع علمه بأنه الناصر له والمربي ومن تأمل هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الامر
 ان هذه القصة كالتنبية على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه وان الدليل وان كان في غاية
 الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقدره انتهى ويدل على ذلك
 ما ثبت في الحديث الصحيح روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى
 عند ربهم ما فج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده وفتح فيه من روحه
 وأسجدت ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم أنت
 موسى الذي اصطفاك الله برسالة وبكلامه وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء وقربك نجيا فبكتم
 وحدث الله كتب التوراة قبل أن يخلقني قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها
 وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفعلوني على ان عملت عملا كتب الله على ان أعمله قبل أن
 يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله
 ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل أن

يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرضه على الماء وقال كل شئ بقدر حتى العجز
 والكيس ثم كان ابليس قال لا آدم بلسان الحال أو المقال مشير الى الشجرة التي نهى عنها
 ما بينك وبين الملك الدائم الآن تأكل منها (فأكل) أى تسبب عن قوله وتعتقب إن أصل
 (منها) هو وزوجته متبعين لقوله ناسين ما عهد اليهما لاهن قدره الله في الازل (فبدت لهما
 سواتهما) قال ابن عباس عريامن النور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما وانما جمع
 سواتهما كما قال صغت قلوبكما أى فظهر لكل منهما قبله وقيل الآخر ودره وسمى كل منهما سواة
 لأن انكشافه بسوء صاحبه (وظفقا يخفان) أى أخذوا يترقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا
 به قال ابن عادل وهو ورق التين (وعصى آدم) بالاكل من الشجرة وان كان انما فعل المهي
 نسيما بالان عظم مقامه وعلو مرتبته يقتضيان له مزيد الاعناء ودوام المراقبة (ربه) المحسن اليه
 بما لم يله أحد من بنيه من تصويره لبيده واسجاده ملائكته له ومعاداة من عاداه (فغوى) أى
 فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وقيل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه فخاب
 ولم يزل مراده وصار من الغزالي الذي ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصي
 آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه
 فيقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاوده ويعتاده * (تنبيه) * تسلك بعضهم بقوله تعالى
 وعصى آدم ربه فغوى في صدور الكبيرة عنه من وجهين الأول أن العاصي اسم للذم فلا ينطلق
 الاعلى صاحب الكبيرة لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها ولا معنى
 لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني أن الغواية والضلالة اسمان مترادفان
 والغى ضد الرشاد ومن هذا لا يتناول الا الناسق المنهمك في فسقه وأوجب بأن المعصية مخالفة
 الامر والامر قد يكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فانك تقول أمرته بنعصاني وأمرته
 بشرب الدواء فعصاني وإذا كان كذلك لم يتسع اطلاق اسم العصيان على آدم بكونه للمندوب
 وان كان وصف تارك المندوب بأنه عاص مجاز وأجاب أبو مسلم الاصبهاني بأنه عصي في مصالح
 الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى قال الرازي والاولى عندي في هذا الباب أن
 يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في البقرة وقيل بل أكل من الشجرة
 متأولا وهو لا يعلم أن الشجرة التي نهى الله عنها شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما
 كانت التوبة من ترك التحفظ لاسن الخالفة فهو كما قيل حسنات الابار رسيات المقرين أى
 يرونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيات (ثم اجتبا ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب
 عليه) أى قبل توبته وأعاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أى هداه لرشده حتى رجع الى الندم
 والاستغفار * ولما كانت دار الملوك لا تحتمل مثل ذلك وان كان قد هداه بالاجتباها قال على
 طريق الاستئناف (قال) الرب سبحانه وتعالى الذي انتهكت حرمة داره (اهبطا) أى آدم
 وجواء بما اشتهما عليه من ذريتهما (منها) أى الجنة (جميعا) وقيل الخطاب لا دم ومعه ذريته
 ولا بليس فقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) يكون على التفسير الاول بعض الذرية لبعض عدو

من ظلم بعضهم لبعض وعلى الثاني آدم وذريته وإبليس وذريته وقوله تعالى (فأما) فيه
 ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (يأتينكم مني هدى) أى كتاب ورسول (فمن اتبع هداى)
 الذى أسعفته به من أوامر الكتاب والرسول (فلا يضل) أى بعد ذلك عن طريق السداد فى
 الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله تعالى من
 الضلالة ووفاه الله تعالى يوم القيامة سوء الحساب وذلك ان الله تعالى يقول فمن اتبع هداى
 فلا يضل ولا يشقى * ولما وعد تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى (ومن
 أعرض عن ذكري) أى عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكاً) والضمك أصله
 المضيق والشدة وهو مصدر فكانه قال له معيشة ذات ضنك واختلاف فى ذلك فقال أبو هريرة
 وأبو سعيد الخدري وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وروى أبو هريرة أن
 عذاب القبر للكافر قال قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليسلط عليه فى قبره تسعة
 وتسعون تينا عمل تدرون ما التين تسعة وتسعون حبة لكل حبة تسعة رؤس يخدشونه
 ويلسعونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون وقال الحسن وقتادة والكلي هو الضيق فى
 الآخرة فى جهنم فإن طعامهم الضريع والزقوم وشراهم الحميم والغسلان فلا يعوتون فيها ولا
 يحبون وقال ابن عباس المعيشة الضنك هى أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء
 منها وعن عطاء المعيشة الضنك هى معيشة الكافر لأنه غير موقن بالثواب والعقاب وروى
 عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق
 المعيشة والعسر فى الشدة وان لا يتوصل الى قوته إلا بمعصية الله وذلك ان مع الدين التسليم
 والقناعة والتوكل على الله تعالى وعلى قسمته فهو يتفق ما رزقه الله تعالى بسماع
 وسهولة فيعيش عيشاً رفيعاً كما قال تعالى فلتحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول
 عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى الإزدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذى يقبض يده
 عن الاتفاق بغيره ضنك وحاله مظلمة قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد من ذهب
 لا يتبعى اليه ثأباً ولو كان له واديان لا يتبعى لهما ثالثاً ولا يعلل جوف ابن آدم الا التراب ويتوب
 الله على من تاب متفق عليه قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر ربه الا ظلم عليه
 وقته ونشوش عليه رزقه وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم
 مدراراً الآية وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ثم ذكر حال
 المعرض فى الآخرة بقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس اذا خرج من القبر
 خرج بصيراً فاذا استبق الى المحشر عى ولعله جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى أسمعهم
 وأبصر يوم يأتوننا وقال عكرمة عى عليه كل شيء الا جهنم وفى اللفظ قال لا يبصر الا النار وعن
 مجاهد المراد بالعمى عدم الحجية ويؤيد الأول قوله تعالى (قال رب لم حشرتنى أعمى) فى هذا
 اليوم (وقد كنت بصيراً) أى فى الدنيا وفى أول هذا اليوم فكانه قيل ثم أجيب فقيل (قال)
 له ربه (كذلك) أى مثل ذلك ففعلت ثم فسر فقال (أتيتك آياتاً) واضحة نيرة (فأنسيتها) فعميت

عنها وتركتهم غير منظر اليها (وكذلك) أى ومثل تركك اياها (اليوم تنسى) أى تترك في
 العمى والعذاب (وكذلك) أى ومثل هذا الجزاء الشديد (نجزي من أسرف) في متابعة هواه
 فتكبر عن متابعة أوامرنا (ولم يؤمن) بل كذب (بآيات ربه) وخالفها (ولعذاب الآخرة
 أشد) مما نعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمه (وأبقى) فإنه غير ممتنع قطع * ولما بين الله تعالى أن من
 أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الأفعال الواقعة
 في الدنيا ممن كذب الرسل فقال (أفلم يهتد) أي يبين بيانا يقود الى المقصود (لهم) أي هؤلاء
 الذين أرسلت اليهم أعظم رسلي وفاعل يهد مضمون قوله (كم أهلكا) وقال أبو البقاء الفاعل
 ما دل عليه أهلكا أي أهلا كما والجملة مفسرة له وقال الرمنشيري فاعل لم يهد بالجملة بعده
 يريد ألم يهد لهم هذا بعنايه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرة من سلام على
 نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى
 وكم خبرية مفعول أهلكا (قبلهم من القرون) أي بتكذيبهم - لم رسلنا حال كونهم (يعشون)
 أي هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم (في مساكنهم) أي في سفرهم الى الشام ويشاهدون
 آثارها لهم (أن في ذلك) أي الأهلاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة (آيات) عظيمة
 بينات (لأولي النهى) أي لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعاضى * ولما هددهم بأهلا
 الماضين ذكر سبب التأخير عنهم بقوله تعالى (ولولا كلمة) أي عظيمة قاضية نافذة (سبقت) أي
 في أنزل الآزال (من ربك) الذي عودك بالاحسان بتأخير العذاب عنهم الى الآخرة فإنه يعامل
 بالحلم والناة (لنكان) أي العذاب (لزاما) أي لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل بعبادته وعود
 وليكن عذابهم لترد من شئنا منهم ونخرج من أصلا ببعضهم من يؤمن وانما فعلنا ذلك اكرا
 لك ورجة لامتك فيكثر اتباعك فيعملوا الخيرات فيكون ذلك زيادة في شرفك والى ذلك الإشارة
 بقوله صلى الله عليه وسلم وانما كان الذي أوتيته وحيا وأمر الله الى فأرجو أن أكون
 أكثرهم تابعا في رفع قوله تعالى (وأجل مسمى) وجهان أظهرهما عطفه على كلمة أي ولولا أجل
 مسمى لكان العذاب لازما لهم وهذا ما صدر به البضاوى والثاني أنه معطوف على الضمير المستتر
 في كان وقام النص - ليجبرها مقام التأكيده واقتصر الجلال المحلى على هذا وجوز الرمنشيري
 والبضاوى وفي هذا الاجل المسمى قولان أحدهما ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب
 وهو يوم بدر والثاني ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب وهذا كما قال الرازي أقرب
 قال أهل السنة له تعالى بحكم المالكية أن يخض من شاء بفضله ومن شاء بعذابه من غير علة
 اذ لو كان فعلة لعله لكانت تلك العلة اما قديمة فيلزم قدم الفعل واما حادثة فيلزم افتقارها
 الى علة أخرى ويلزم التسلسل ثم انه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يملك أحدا
 قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال (فاصبر على ما يقولون) لك من الاستمراء وغيره وهذا
 كان في أول الامر ثم نسخ بآية القتال (وسبح) أي صل وقوله تعالى (بحمد ربك) حال أي
 وأنت حامد لربك على أنه وفقك لذلك وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل

غروبها) صلاة العصر (ومن آناه الليل) أى ساعاته (فسبح) أى صل المغرب والعشاء وقوله
 تعالى (وأطراف النهار) معطوف على محل من آناه المنصوب أى صل الظهر لأن وقتها يدخل
 بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني قال ابن عباس دخلت الصلوات
 الخمس في ذلك وقيل المراد الصلوات الخمس والنوافل لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس
 أو قبل غروبها فالليل والنهار داخلان في هاتين العبارتين وأوقات الصلوات الواجبة دخلت
 فيها ما بقي قوله ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار للنوافل وقال أبو مسلم لا يبعد جعل التسبيح
 على التنزيه والاحلال والمعنى اشتغل بتنزيه الله تعالى في هذه الأوقات (فان قيل) النهار له
 طرفان فكيف قال وأطراف النهار ولم يقل طرفي النهار (أجيب) بوجهين أظهرهما أنه انما جمع
 لأنه يلزم في كل نهار ويعود والثاني أن أقل الجمع اثنان وقرأ قوله تعالى (لعلك ترضى) أبو بكر
 والكسائي بضم التاء أى ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى وكان عند ربه مرضيا وقرأ
 الباقر بن فضال أى ترضى بما تنال من الشناعة قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال
 تعالى عسى أن يعثرك ربك مقام محمودا والمعنى على القراءتين لا يختلف لأن الله تعالى إذا
 أرضاه فقد أرضاه وإذا أرضاه فقد أرضاه وما كانت النفس ميالة إلى الدنيا ممر هوانة بالحاضر
 من فاني العطايا وكان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلو هممتها قال تعالى مؤكدا
 إذا نادى بصعوبة ذلك (ولا تمدن) مؤكدا بالنون الثقيلة (عينك) أى لا تطول نظرها بعد
 النظرة الأولى المعفوعة عنها (إلى ما تمنعها) في هذه الحياة الفانية (أزواجا) أى أصنافا (منهم)
 أى الكفرة استحسننا له وقتها أن يكون لك مثله والامتناع إلا إذا عايدرك من المناظر الحسنة
 ويسمع من الأصوات المطربة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح وقوله
 تعالى (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها وبهجتها منصوب بحذف دل عليه متعنا وبه على تضمنه
 معنى أعطينا فأزواجا مفعول أول وزهرة هو الثاني وذكر ابن عادل غير هذين الوجهين سبعة
 أوجه لا حاجة لتأنيدها كرها ثم علل تعالى تمتعهم بقوله تعالى (لنقتنهم فيه) أى لنفعل بهم فعل
 المختبر فيكون سبب عذابهم في الدنيا بالعيش الضئيل لما مضى وفي الآخرة بالعذاب الاليم
 فصورته تغر من لم يتأمل معناه حتى التأمل فما أنت فيه خير مما هم فيه (ورزق ربك) في الجنة
 (خير) مما أوتوه في الدنيا (وأبقي) أى أديم أومار زقته من نعمة الاسلام والنبوة أولان
 أموالهم الغالب عليها الغضب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى قال
 الزمخشري لأن الله تعالى لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخير والحرام
 لا يسمى زرقا انتهى وهذا جار على مذهبه المخالف لاهل السنة من أن الحرام لا يسمى زرقا وقال
 أبو مسلم الذي نهى عنه بقوله ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو الأسف أى لا تأسف على
 ما فاتك مما نالود من حظ الدنيا وقال أبو رافع نزلت هذه الآية في ضيق نزل بالنبي صلى الله عليه
 وسلم فبعثني إلى يهودى يبيع أو يستلف إلى مدة فقال والله لا أفعل إلا برهن فأخبرته بقوله
 فقال صلى الله عليه وسلم انى لأمين في السماء وانى لأمين في الارض احب اليه درعى الحديد

فنزل قوله ولا تمدن عينيك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم
 ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم. وقال أبو الدرداء الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
 ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حق الناس لحربت الدنيا وعن عيسى ابن مريم عليه
 السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم لها عبيدا * ولما أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه
 وسلم بتزكية النفس أمره بأن يأمر أهله بالصلاة بقوله عز وجل (وأمر أهلك بالصلاة) أى أمر
 أهل بيتك والتابعين لك من أمتك بالصلاة كما كان أبوك سمعيل عليه السلام يدعوهم الى كل
 خير اذا الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا
 يهتوا بأمر المعيشة ولا يلة بقبول الثروة وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية
 يذهب الى فاطمة وعلى رضى الله عنهما كل صباح ويقول الصلاة (واصطبر) أى داوم (عليها
 لأنسالك) أى تكفلك (رزقا) لنفسك ولا تغربك (نحن نرزقك) وغربك كما قال تعالى وما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق
 ذو القوة المتين فقرغ بالك لامور الآخرة وفى معناه قول الناس من كان فى عمل الله كان الله
 فى عمله وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضرأمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية
 وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ماعز السطان قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة
 الصلاة رجكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا
 فصلاوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية (والعاقبة) أى الجيلة المحمودة (للتقوى)
 أى لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقونى ويؤيده قوله تعالى
 فى موضع آخر والعاقبة للمتقين ولا معونة على الرزق وغيره بشئ يوازي الصلاة فقد كان صلى
 الله عليه وسلم اذا حزبه أمر أى بالبلاء الموحدة أى اذا أحرزته فزع الى الصلاة قال ثابت وكان
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا نزل بهم أمر فرعوا الى الصلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه
 قال قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى فقرغ لعبادنى املا صدرك غنى وأسدفقرك وان لم
 تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسدفقرك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن
 تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك وعن زيد بن ثابت قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه
 ولم يأت به من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة همه جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه
 وأتته الدنيا وهى راجمة * ثم انه تعالى بعد هذه الوضعية حكى عنهم شبهة بقوله تعالى (وقالوا
 لولا يأتينا بابا) أى من ربه (فكانه من لوازم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قولهم لولا أى
 هلا يأتينا بابا) وقال فى موضع آخر لو ما تأتينا بابا الآية كما أرسل الاولون * ثم أجاب الله تعالى عن
 رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (أولم تأتوهم بينة) أى بيان (ما فى الصحف الاولى) من التوراة
 والانجيل وسائر الكتب السماوية المشتمل عليه القرآن من أنباء الامم الماضية واهلاكهم

بـ كذـيب الرسل فـ خـابـو منهم أن يكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك وقرأ نافع وأبو عمرو وحـنـصـ بالفوقية على التانيث والباقون بالتحمية على التذكير (ولو أننا أهل كـاهـم) معاملـه لهم في عصيانهم (بعذاب من قبله) أي هذا القرآن المذكور في الآية الماضية وما قاربها وفي قوله تعالى ولا تجعل بالقرآن وفي مثني السورة في ما أنزلنا عليك القرآن تشقي أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لقلوا) أي يوم القيامة (ربنا) يا من هو متصف بالاحسان إلينا (لولا) أي هلا ولم لا (أرسلنا إليك رسولا) يا أمرنا بطاعتك (فمتبع) أي فيمتسب عنه أن يتبع (آياتك) التي نتجنيها (من قبل أن نزل) بالعذاب هذا الذل (ونخزي) بالمعاصي التي علمناها على جهل فلاجل ذلك أرسلناك إليهم وأقمنا بك الحجة عليهم * ولما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع وجد الهضم لا ينقطع بل إن جاءهم الهدى طعنوا فيه وان عذبوا قبله تظلموا كأن كانه قيل في الذي أفعل معهم فقيل (قل) لهم (كل) أي كل مني ومنكم (متبرص) أي منتظر ما يؤل إليه أمرى وأمركم (فتبرصوا) فأنتم كالهمائم ليس لكم تأمل (فستعلمون) أي عما قريب بوعد لا خلف فيه وهو يوم القيامة (من أصحاب الصراط) أي الطريق (السوى) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلال فحصل على جميع ما ينفعه واجتنب جميع ما يضره أم نحن أم أنتم قال ابن عادل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بالثاني عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا يس وطه انتهى ولم يذكر ذلك سنداً وأما ما رواه البيضاوى تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار فحديث موضوع

﴿سورة الاعياد عليهم الصلاة والسلام مكية﴾

قال الرازي باجتماع وهي مائة واخذى أو ثمان عشرة آية وألف ومائة وستون كلمة وأربعة آلاف وثمان وتسعون حرفاً

(بسم الله) الحكم العدل الذي تمت قدرته وعم أمره (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في رجة ايجاده (الرحيم) الذي نجى من شاء من عباده في معاده قال أبو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم قوله تعالى ولا تعتد عينيكم الى قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى قال تعالى (اقرب) أي قرب (للناس حسابهم) أي في يوم القيامة أي فلا تعتد عينيكم الى ذلك فاني جعلته قسنة وأشار بصيغة الافتعال الى مزيد القرب لانه لأمة بعد هذه ينتظر أمرها وآخر الفاعل هو ولا تذهب النفس في تعيينه كل مذهب (فان قيل) كيف وصف ذلك اليوم بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من تسعمائة عام (أجيب) بأنه مقرب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستجلبونك بالعذاب وإن يؤمئذ يركك كالفسنة مما تعتدون ولأن كل آت وان طال أوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض

فلأزال ماتهمواه أقرب من غد * ولأزال ماتخشاه أبعد من أمس

ولأن ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منه بإدليل انبعث ناتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه الموعود ببعثه في آخر الزمان وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعه وقال صلى الله عليه وسلم ختم النبوة بي كل ذلك لأجل أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون وهومن إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى (وهم) أي والحال أنهم (في غفلة) أي عن الحساب (معرضون) عن التأهب لهذا اليوم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما يرجع إليه خاتمة أمرهم مع انضاء قولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء وأيضا أن هذه الآية نزلت في كفار مكة ولما أخبر تعالى عن غفلتهم وأعراضهم دل على ذلك بقوله (ما يأتهم) وأغرق في النفي بقوله (من ذكر) أي وحي يأتهم عن سنة الغفلة والجهالة وقوله تعالى (من ربه) صفة ذكر أوصاله ليأتهم (محدث) أنزاله أي ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وبهذا سقط احتجاج المعتزلة بأن القرآن حادث لهذه الآية وقيل معناه أن الله تعالى يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والنورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيره من الأمور والوقائع وقيل المذكور المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواظسوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (الاستعوه) أي قصدهوا اسماعه وهو أجد الجدد وأحق الحق (وهم) أي والحال أنهم (يلعبون) أي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء والسخرية لتناهى غفلتهم وفرط أعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في العواقب (لا هيبة) أي غافلة معرضة (قلوبهم) عن ذكر الله * (تنبيه) * قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان أو متداخلتان * ولما ذكر تعالى ما يظهر ونه في حالة الاستمتاع من اللهو واللعب ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطف على استعوه (وأسرؤا) أي الناس المحدث عنهم (النجوى) أي بالغوا في أسرار كلامهم وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو وأسرؤا للإيماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أو مبتدأ أو الجملة المتقدمة خبره والمعنى وهو لا أسروا النجوى فوضع المظهر موضع المختر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم وقيل جاء على لغة من قال أكاوف البراغيث وقيل منصوب المحل على الذم ثم بين تعالى ما نتاجوا به بقوله تعالى (هل) أي فقلوا في نتائجهم هذا معجيز من ادعائه النبوة مع مماثلته لهم في البشرية هل (هذا) الذي اتاكم به هذا الذكر (الابشر مثلكم) أي في خلقه وأخلاقه من الأكل والشرب والحياة والممات فكيف يختص عنكم بالرسالة ما هذا الذي جاءكم به مما لا تقدرون على مثله الأسحر لاحقيقة له فيمنع ذلك تسبب عن هذا الإنكار قوله (أفتأتون السحر وأنتم) أي والحال أنكم (تبصرون) بأعينكم أنه بشر مثلكم فكأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعائه النبوة والرسالة

لاعتقادهم أن الرسول لا يكون الاملكاواستازموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر
فانكروا حضوره (فان قيل) لم أسروا هذا الحديث وبالفوا في اختفائه (أجيب) بأن ذلك كان
يشبه التشاور فيما بينهم والتحاوري في طلب الطريق الى هدم أمره وعادة المتشاورين في خطب
أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم ويجهتدوا وافي طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع
ومنه قول الناس استمعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان قال البقاعي فيما الله العجب من قوم
رأوا ما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون ذلك عن الرحمن الداعي الى الفوز بالجنان وجزوا أنه من
الشیطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران والعجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص بالرسالة
مع مشاهدتهم بما يخص الله تعالى به بعض الناس عن بعض من الذكاء والفطنة وحسن
الخلايق والاخلاق والقوة والهمة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك انتهى ولا عجب فانها
عقول أضلها باريها ثم كانه قيل فاذ ايقال لهؤلاء فقال (قل) اللهم (ربي) المحسن الى (يعلم القول)
سواء كان سرا أم جهرا كائنا (في السماء والارض) على حد سواء لانه لا مسافة بينه وبين شيء
من ذلك (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما يسمرون ولا ما يصررون (فان قيل) هلا قيل يعلم
السرا لقوله تعالى وأسروا النجوى (أجيب) بأن القول عام يشمل السرا والجهرا فكان في العلم
به العلم بالسرا وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السرا كما أن
قوله يعلم السرا كدم من أن يقول يعلم سرهم (فان قيل) لم ترك هذا الا كد في سورة الفرقان في
قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السرا في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا (أجيب)
بأنه ليس بواجب أن يأتي بالاس كد في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالا كد أخرى
كايحيى بالحسن في موضع وبالا حسن في غيره ليدتن الكلام افتتاناً ويجمع الغاية ومادونها
على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدّم ههنا أنهم أسروا النجوى
فكانه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف
ذاته بأنه أنزله الذي يعلم السرا في السموات والارض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرأ حفص وحجة والكسائي قال بصيغة الماضي بالاخبار عن
الرسول والباقون قل بصيغة الاحرار ثم انه تعالى بين أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى
الله عليه وسلم وفيما يقوله بقوله تعالى (بل قالوا) أي قال بعضهم هذا الذي قال لكم (أضغاث
أحلام) أي اخلاط أحلام رآها في النوم وقال بعضهم (بل ادترأ) أي اختلقه من عند نفسه
ونسبه الى الله تعالى وقال بعضهم (بل هو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شاعر) فاجابهم به
شعرا والشاعر يخيل ما لا حقيقة له لغيره أو أنهم كاهن أو ضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تحالط
أحلام ثم الى أنه كلام مقترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا المبطل متحير رجاء غير ثابت
على قول واحد قال الزمخشري ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لا قولهم في درج
الفساد وأن قولهم الثاني أقصد من الاول والثالث أقصد من الثاني وكذا الرابع أقصد من
الثالث ثم انهم لما قد حووا في أعظم المعجزات طلبوا آية غير فقالتوا (فليأتنا) دليلا على

رسالته (بآية كما) أى مثل ما (أرسل الأولون) بالآيات كتسبيح الجبال وتسخير الريح
وتفجير الماء واحياء الموتى وابراء الالكه والابصر وصحة النسيه من حيث ان الارسال يتضمن
الآتيان بالآية قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أى قبل مشركى مكة (من قرية) أى
من أهل قرية أمتهم الآيات (أهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون)
أى لو جئتكم بها وهى مع أغنى منهم وفيه دليل على أن عدم الآتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به
لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم * ولما بين تعالى بطلان ما اقترحوا به
فى رسوله صلى الله عليه وسلم بكونه بشرا قال تعالى عاطفا على آمنت مجيبا عن قولهم هل
هذالابشر مثلكم (وما أرسلنا قبلك) أى فى جميع الزمان الذى تقدم زمانك فى جميع
طوائف البشر (الارجالا) أى لم نرسل الملائكة الى الأولين انما ارسلنا رجالا (نوحى اليهم)
مثلك ثم انه تعالى أمر المشركين أن يسألوا أهل الكتاب بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر)
وانما أحالهم على هؤلاء لانهم كانوا لا يشكرون أن الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل المراد بالذكر القرآن أى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن وقرأ
ابن كثير والكسائى يفتح السين ولاهزة بعدها وكذا يفعل جزء فى الوقف والباقيون
يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها * ثم نبه تعالى على انهم غير محتاجين فيه الى السؤال
بما قد كان بلغهم على الاجال من أحوال موسى وعيسى وابراهيم واسماعيل وغيرهم عليهم السلام
بقوله تعالى معبرا بأداة الشك محركا لهم على المعالى (ان كنتم) أى يجبلاتكم (لاتعلمون) أى
لا أهلية لكم فى اقتناص علم بل كنتم أهل تقايد محض وتبع صرف * ولما بين تعالى أنه صلى
الله عليه وسلم على سنة من مضى من الرسل فى كونه رجلا بين أنه على سنتهم فى جميع الاوصاف
التي حكمهم اعلى البشر فى العيش والموت فنبه على القول بقوله تعالى (وما جعلناهم) أى الذين
اخترنا بعثتهم الى الناس لياهم وهم بأمرنا (جسدا) أى ذوى جسد ولحم ودم متصفين
بأنهم (لا يأكون الطعام) بل جعلناهم أجسادا يأكون ويشربون وليس ذلك بمانع من
ارسالهم * (فائدة) * قال ابن فارس فى المجمل وفى كتاب الخليل ان الجسد لا يقال لتغير الانسان
وتوحيد الجسد لارادة الجنس كانه قبل ذوى ضرب من الاجساد أو على حذف المضاف
أى ذوى جسد كما مرأتنا ويل الضمير لكل واحد وهو جسم ذولون قال البيضاوى ولذلك أى
ولكون الجسد جسما ذا اللون لا يطلق على الماء والهواء وهو فى المامبى على أنه لالون له وانما
يكون بلون ظرفه أو مقابله لانه جسم شفاف لكن قال الامام الرازى بل له لون ويرى ومع ذلك
لا يجيب عن رؤية ما وراءه * ثم نبه على الثانى بقوله تعالى (وما كانوا خالدين) أى بأجسادهم
بل ماتوا كمات الناس قبلهم وبعدهم وانما امتازوا عن الناس بما يأتى بهم عن الله تعالى
ورسلهم صلى الله عليه وسلم ليس بخلاف قريصوا كما أشار اليه ختم طه فانه متربص بكم
وأنتم عاصون الملك الذى اقترب حسابه لخلائه وهو مطيع له (ثم صدقناهم الوعد) أى الذى
وعدناهم باهلاكم وهذا مثل قوله تعالى واختار موسى قومه فى حذف الجار والاصل

في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره والاصل في هذا المنزل أن أعرايا
 عرض بعيرا للبيع فقال له المشتري ما سئله قال بكر فاتفق أنه ند فقال صاحبه هددع هددع وهذه
 اللفظة مما يسكن به اصغار الابل لا الكار فقال المشتري صدقني سن بكره وأعرض فصار مثلا
 * (تنبيه) * أشار تعالى بأداة التراخي إلى أنهم طال بلاؤهم بهم وصبرهم عليهم ثم أحل بهم
 سطوته وأراهم عظمتهم (فأتجيناهم) أي الرسل (ومن نشاء) وهم المؤمنون أو من في إبقائه
 حكمة كن سبيؤمن هو أو واحد من ذريته ولذلك جيت به العرب من عذاب الاستئصال
 (وأهلكا المسرفين) أي المشركين لأن المشرك مسرف على نفسه (لقد أنزلنا إليكم) يامعشر
 قريش (كتابا) أي القرآن (فيه ذكركم) أي شرفكم ووصيتكم كما قال تعالى وانه لذكر لك
 واقومك وفيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر بحسن الجوار والوفاء
 بالعهد وصدق الحديث وأداء الامانة والسخاء وما أشبه ذلك وقيل فيه ذكر ما يحتاجون اليه
 من أمر دينكم أولانه نزل بلغتكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذ كر بمعنى الوعد
 والوعيد (أفلا تعقلون) فتؤمنوا به وفي ذلك حث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل
 (وكم قصصنا) أي أهلكتنا (من قرية) أي أهلها بغضب شديد لأن القصص أقطع الكسر وهو
 الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف القصص وقوله تعالى (كانت ظالمات) أي كافرة بصفة
 لأهلها ووصفت بها لما أقيمت مقامها ثم بين الغنى عنها بقوله تعالى (وأنشأنا بعدهن) أي بعد
 أهلها (أهلها) (قوما آخرين) مكانهم * ثم بين حالها عند انحلال البأس بها بقوله تعالى (فلما
 أحسوا) أي أدرك أهلها بجحوا سهم (بأسنا) أي عذابنا (إذا هم منها) أي القرية (يركضون)
 هاربين منها مسرعين راكضين دوابهم لما أدركتهم مقدمة العذاب والركض ضرب الدابة
 بالرجل ومنه اركض برجلك أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم بعد تحجيرهم على الرسل وقولهم
 لهم لنخرجنكم من أرضنا ولنتعودن في ملتنا فناداهم لسان الحال تقرعوا وتشنعوا لخالهم
 (لا تركضوا) أو المقال والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا) إلى قريتهم (إلى ما أنتم من)
 أي تمتعتهم (فيه) من التمتع والتلذذ والارتاف ابطار النعمة والترفة * ولما كان أعظم
 مايؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن قال (ومساكنكم) أي التي كنتم تفخرون بها على
 الضعفاء بما أوسعتم من فنائها وعليتم من بنائها وحسنتم من مشاهدتها (لعلكم تستلثون) وفي
 هذا تمكينهم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تستلثون غدا عما يجري
 عليكم وينزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا
 كما كنتم في مجالسكم وترتّبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وخسبكم ومن يملكون أمره
 وينفذ فيه أمرهم ونهيكم فيقولوا لكم هم تأمرون وماذا ترسمون أو شبأ من دنياكم على العادة
 أو تستلثون في الايمان كما كنتم تستلثون فتأبوا بما عندكم من الثقة والحمية والعظمة أو في
 المهمات كما تكون الرؤساء في مقاعدكم العلية وحرّاتهم السنية فيجيبون سائلهم بمشاورا
 * ولما كان كانه قيل لم أجابوا هذا القائل قيل (قالوا) حين لا تنفع لقولهم عند نزول البأس

(ياويلنا) اشارة الى أنه خل بهم لانه يتادى بيا القريب ترفقابه كما يقول الشخص لمن يضربه
يا سيدي كأنه يستغيث به ليكف عنه وذلك غباوة منهم وعي عن الذي أحلهم بهم لانهم
كلها ثم لا ينظرون الا السبب الاقرب ثم علوا واحلوا بهم تأكيذا لفرقهم بقولهم (أنا كنا)
جبله وطبعنا (ظالمين) حيث كذبنا الرسل وعصينا أمر ربنا فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف
لفوات محله وعن ابن عباس رضي الله عنهم ما أن هذه القرية حضور بفتح الحاء وبالضاد
المجتمعة وهي وسحول قريتان قريتان من اليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروى حضورين بعث الله لهم نبيا فقتلوه فسلط الله
تعالى عليهم بختصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وزوى انه لما أخذتهم
السيف نادى مناد من السماء يا نارات الانبياء وهي بفتح الادم وبثلاثة وهمزة ساكنة أي
يا أهل ناراتهم أي الطالبين بهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فندموا وقالوا
ذلك (فما) أي فتسبب عن احلالناهم ذلك البأس أنه ما (زالت تلك) الدعوى البعيدة عن
الخير والسلامة وهي قولهم ياويلنا (دعواهم) يردونهم الادعوى لهم غيرها لان الويل ملازم
لهم غير منفك عنهم وترفقهم له غير نافعهم (حتى جعلناهم حصيدا) كالزروع المحصود بالمناجل
بأن قتلوا بالسيف * (تنبيه) * حصيده على وزن فاعيل بمعنى مفعول ولذلك لم يجمع لانه يستوي
فيه الجمع وغيره (خامدين) أي ميتين كتمود النار اذا طفت وصارت رمادا (فان قيل) كيف
ينصب جمعيل ثلاثة مفاعيل (أجيب) بان حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى
قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطمعين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لما ناله
الحصد والجود أو حامدين صفة لخصيذا أحوال من ضميره ثم نبههم سبحانه وتعالى على النظر
في خلق السموات والارض وما بينهن ما ليعتبروا فقال تعالى (وما خلقنا السماء) على علوها
واحكامها (والارض) على عظمتها واتساعها (وما بينهن) مما دبرناه لتمام المنافع من أصناف
البدائع وغرائب الصنائع (لاعمين) أي عابثين كما تسوى الجبابرة وفهم وفرشهم وسائر
زخارفهم للهو واللعب وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكير الذوى
الاعتبار وتسييما لينتظم به أمر العباد في المعاش والمعاد * ولما نفي عنه اللعب أتبعه دليلا
فقال عز وجل (لو أردنا) أي بما لنا من العظمة (أن نتخذها) أي ما يتلهم به ويلعب وقيل
هو الولد بلغة اليمين وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى (لأنخذناهم من لدنا) أي من عندنا
بما يليق أن ينسب لخضر ثمان الحور العين والملائكة بما لنا تمام القدرة وكما العظمة (أن كنا)
فاعلين) ذلك لكلام نفع له لانه لا يليق بمجنابنا فم زده وقوله تعالى (بل نقذف) أي نرمي (بالحق)
أي الايمان (على الباطل) أي الكفر اضرب عن اتخاذ الله وتزيه لذاته عن اللعب بل شائنا
أن نرمي بالحق الذي من جلاله الجد على الباطل الذي من عداد الله (فيدمغه) أي يذهب به
واسم تعار له حض الباطل بالحق القذف والدمغ تصوير الابطال به وهدارده وشقته فجعله كأنه
بحرم صلب كالصخرة ووجه استعارة القذف والدمغ لما ذكرنا أن أصل اسم تعارها في

الاجسام ثم استعير القذف لدحض الباطل بالحق والدمع لاذهاب الباطل فالمستعار منه حتى
والمستعار له عقل (فأذا هو) في الحال (واحق) أي ذاب والزهو قد ذاب الروح وذكره
لترشيح المجاز من اطلاق القذف على دحض الباطل ثم عطف على ما أفادته اذ اقله تعالى
(ولكنكم) أي واذا لكم أيها المبطون (الويل) أي العذاب الشديد (مما تصفون) الله تعالى به عما
تهوى أنفسكم كالزوجة والولد (تنبيه) * ما اما صديرة أو موصولة أو موصوفة * ولما حكى
الله تعالى كلام الطاعنين في النبوات وأجاب عنها بأن أغراضهم من تلك المطاعن التردد وعدم
الانقياد بين بقوله تعالى (وله من في السموات) أي الاجرام العالية وهي ما تحت العرش وجمع
السماء اثنا لا قضاء فتخيم الملك ذلك ولما كانت عقولهم لا تدرك تعدد الارض ووجدانها قال
(والارض) أي له ذلك خلقا وملكا أنه منزعه عن طاعتهم لانه هو الملك لجميع المحدثات والمخلوقات
وعبر عن تغليب العقلاء وقوله تعالى (ومن عنده) أي وهم الملائكة باجماع الامة ولأن الله تعالى
وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر مبتدأ خبر (لا يستكبرون
عن عبادته) بنوع كبر طلبا ولا ايجادا وخصهم بالذكر لذكر امريتهم عليه تزيلا لهم منزلة المقربين
عند الملك (تنبيه) * هذه العندية للشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة فكانت تعالى قال
الملائكة مع كمال شرفهم وعلو مراتبهم ونهاية جلالهم لا يستكبرون عن عبادته فكيف يليق
بالبشر الضعيف التردد عن طاعته (و) مع ذلك أيضا (لا يستكبرون) أي لا يعيون وانما يحى
بالاستحسان الذي هو أبلغ من الحسور تنبيه على أن عبادتهم من تقوا وادوا وما حقيقة بأن
يستكبر منها ولا يستكبرون ولا يطلبون أن يقطعوا عنها فأتى ذلك قوله تعالى (يسبحون) أي
ينزهون المستحق للتزينة بأنواع التزينة من الاقوال والافعال (الليل والنهار) أي جميع آثانها
دائما (لا يفترون) أي عن ذلك وقتا من الاوقات فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل * ولما
كانوا عند هذا البيان جديريين بأن يادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقتين بعد الاعراض
عنهم بالتوبيخ والتهكم والتعنيف فقال تعالى (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا فأم بمعنى بل للإستقبال
والهمزة لا تكار اتخاذهم (آلهة من الارض) ومعنى نسبتها الى الارض الايدان بأنها
الاصنام التي تعبد في الارض لأن الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث
الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة
لانه فهم منها أن مرادها هي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات أن السماء مكان الله
تعالى ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها آلهة أن تحت من بعض الحجارة أو تعمل من
بعض جواهر الارض (هم يشركون) أي يحبون الموتى لا يقدررون على ذلك وهم وإن لم يصرحوا
بذلك لزم من ادعائهم لها آلهة أنهم يقدرون على ذلك فان من لوازمها الاقتدار على جميع
الممكنات فالمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الاتشار بهم ثم انه سبحانه وتعالى أقام البرهان القطعي على نقي العبر ببرهان التامع وهو أشد
برهان لاهل الكلام فقال (لو كان فيهما) أي السموات والارض أي في تدبيرهما (آلهة الا الله)

أى غير الله تعالى (أفسدنا) أى تخريجنا عن نظامهما المشاهد لوجود المنافع بينهم على وفق العادة
 عند تعدد الحالك. وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق كان والله
 أعز على من دم ناظرى ولكن لا يجتمع خلاف فى شول وهذا ظاهر وأما طريقة المنافع فقال
 المتكلمون القول بوجود الهين مفض الى المحال لان الوفض بنا وجود الهين فلا بد أن يكون
 كل واحد منهم ما قادر على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهم ما قادر على
 تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والاخر أراد تسكينه فاما أن يقع
 المراتدان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهم ما وهو محال لان المنافع من
 وجود مراد كل واحد منهم ما مراد الاخر فلا يتبع مراده هذا الا عند وجود مراد ذلك
 وبالعكس أو يقع مراد أحدهما دون الاخر وذلك أيضا محال لان الذى وقع مراده يكون
 قادرا والذى لم يقع مراده يكون عاجز والعجز نقص وهو على الاله محال فثبت أن الفساد لازم
 على كل التقديرات واذا وقعت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما فى العالم العلوى
 والسفل من المخلوقات دليل على أن وحدانية الله تعالى والدلائل السمعية على الوحدة
 كثيرة فى القرآن * ولما أفاده هذا الدليل أنه لا يجوز أن يكون المدبر للسموات والارض
 الا واحدا وأن ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال (فسبحان الله) أى قد سبب عن ذلك
 تنزه المتصف بصفات الكمال (رب) أى خالق (العرش) أى الكرسي المحيط بجميع الاجسام
 الذى هو مجل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون) أى الكفار الله به من الشريك له وغيره
 ثم بين تعالى ذلك بقوله عز وجل (لا يسئل) أى من سائل ما (عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه
 واذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من فى مملكته عن أفعالهم وعما يوردون
 ويصدرون من تدبير ملكهم تهيئا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان
 ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يسئل عن أفعاله مع ما علم واستقر
 فى العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعى الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ (وهم يسألون)
 لانهم ملوك مستعبدون خطأون فبا خلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم فى كل شئ فعلوه ولما قام
 الدليل ووضح السبيل واضع كل قال وقيل وانحقت الاباطيل كزرتعالى
 (أم اتخذوا من دونه آلهة) كثره استغناء الشائهم واستغناء الكفرهم واطهار الجهلهم
 * ولما كان جوابهم اتخذوا ولا يرجع أمر الله تعالى بنيه بجوابهم فقال (قل هاؤا برهانكم) على
 ما ادعيتوه من عقل أو نقل كما أتيت أنابرهان النقل المؤيد بالعقل * ولما كان تعالى لا يؤاخذ
 بخلافه العقل ما لم ينضم اليه دليل النقل اتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله تعالى به الرسل من
 الكتب (هنا ذكر) أى موعظة وشرف (من معي) من آمن بي وهو القرآن الذى عجزتم عن
 معارضته (وذكر) أى وهذا ذكر (من قبلى) من الامم الماضية وهو التوراة والانجيل
 وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشرار
 * ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا عن حجة ذمتهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق

فقال تعالى (بل أكثرهم) أى هؤلاء المدعون (لا يعلمون الحق) فلا يعيزون بينه وبين الباطل
 بل أكثرهم جهلة والجهل أصل الشر والفساد (فهم) أى فتب عن جهلهم ما اقتضاه
 السورة من أنهم (مغرضون) عن التوحيد واتباع الرسل * ولما كان الإرسال بالفعل غير
 مستغرق للزمان المتقدم كما أن الرسالة لا يقوم بها كل واحد فكذلك الإرسال لا يصلح له كل
 زمن أثبت الجار في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك) وأغرق في النفي فقال (من رسول)
 في شيع الأولين (الأيوحى إليه) من عندنا (أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وهذا مقر لما سبقه
 من أى التوحيد وقال تعالى الا أنا ولم يقل نحن لئلا يجعلوا ذلك وسيلة الى ما ادعوه من تعدد
 الالهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالنون وكسر الحاء
 والباءقون بالياء وفتح الحاء * ولما بين سبحانه وتعالى بالدلائل الباهرة كونه منزها عن الشريك
 والصدقة والتدأ رد ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد بقوله (وقالوا اتخذ) أى تكلف كما تكلف
 من لا يكون له ولد (الرحمن) أى الذى كل موجود من فيض نعمه (ولدا) نزل في خرافة حيث
 قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزل ذلك فى اليه وحدث قالوا انه تعالى صاهر الجن فكانت منهم
 الملائكة كما حكى الله تعالى عنهم قولهم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه سبحانه
 وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى (سبحانه) أى تنزه عن أن يكون له ولد فان ذلك يقتضى
 المجانسة بينه وبين الولد ولا تصح مجانسة النعمة للعنعم الحقيقي (بل) أى الذين جعلوا لهم ولدا
 وهم الملائكة (عباد) من عباده أنعم عليهم بالايجاد كما أنعم على غيرهم بالأولاد فان العبودية
 تنافى الولدية (مكرمون) بالعصمة من الزلل ولذلك فسر الأكرام بقوله تعالى (لا يسبقونه)
 أى لا يسبقون اذنه (بالقول) أى لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو شأن العبيد الموقدين (وهم
 بأمره) اذا أمرهم (يعملون) لا بغيره لانهم فى غاية المراقبة له تعالى فجمعوا فى الطاعة بين القول
 والمفعول وذلك غاية الطاعة ثم عمل اخباره بذلك بعلمه بما هذا الخبر به من درج فيه بقوله
 تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما عملوا وما هم عاملون لا تخفى عليه تعالى خافية مما قدّموا
 وأخروا ثم صرح تعالى بلازم الجملة الاولى فقال (ولا يشقون) أى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة
 (الامن ارتضى) فلا تظمعو فى شفاعتهم إلا بكم بغير رضاه تعالى قال ابن عباس والفضل
 الامن ارتضى أى لمن قال لا اله الا الله فسقط بذلك قول المعتزلة ان الشفاععة فى الآخرة
 لا تكون لاهل الكبائر ثم صرح بلازم الجملة الثانية فقال (وهم من خشيته) أى لامن
 غيرها (مشفقون) أى حاثقون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بهم العلماء
 والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بن جعنى الخوف فيه أظهر وان عدى يعلى فبالعكس * ولما
 نفي تعالى الشر يك مطلقا ثم مقيدا بالولدية أتبعه التهديد على ادعائه به عذيب المتبوع الموجب
 لعذيب التابع بقوله تعالى (وسن يقل منهم) أى من الخلائق حتى العباد المكرمين الذين
 وصف كرامتهم وقرب منزلتهم عنده وأثنى عليهم (انى الله من دونه) أى الله أى غيره والذى
 قال ذلك كما قال الجلال المحلى هو ابليس دعا الى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك) أى اللعين

الذي لا يصلح للتقريب أصلاً (نجزيه جهنم) اظلمه (كذلك) أي مثل هذا الجزء الفظيع جداً
 (نجزى الظالمين) أي المشركين ثم انه سبحانه وتعالى شرع الآث في الدلائل الدالة على وجود
 الصانع فذكر منها ستة أنواع النوع الاول قوله تعالى (أولم ير) أي يعلم (الذين كفروا) علماء هو
 كما شاهد (أن السموات والأرض كانتا) ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة
 الأرض (رتقا) قال ابن عباس والضحك كالتأشياً واحداً من رقتين زبدة واحدة (ففتقناها)
 أي فصلنا بينهما بابا الهواء والرتق في اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات
 والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً توسطهما ففتقهما بها وقال مجاهد والسدى كانت
 السموات رتقاً طبقة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت رتقاً طبقة ففتقها
 فجعلها سبع أرضين وقال عكرمة وعطية كانت السموات رتقاً لا تطر والأرض رتقاً لا تنبت
 ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق
 أو السموات بأسرها على أن لها مدخلاً في الأمطار وإنما قال تعالى رتقا على التوحيد وهو
 نعت للسموات والأرض لأنه مصدر والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم بالنظر
 أو باستفسار من العلماء أو مطالعة الكتب وقرأ ابن كثير ألم بغير واو بين الهمزة ولم والباقون
 بالواو بين الهمزة واللام النوع الثاني من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا) أي خلقنا عجايباً اقضية
 عظمتها (من الماء) الماء هو الدافق وغيره (كل شيء حتى) مجازاً في النبات وحقيقة في الحيوان
 (فإن قيل) قد خلق الله تعالى بعض ما هو حتى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة (أجيب)
 بأن هذا خرج مخرج الإغلب والاكثر أي أن أكثر ما خلق الله خلق من الماء وبقاؤه بالماء
 وقيل المراد بالماء منازل من السماء أو سبع من الأرض (أفلا يؤمنون) مع ظهور هذه الآيات
 الواضحات بتوحيدي النوع الثالث من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي)
 أي جباً لأثواب كراهة (أن تميد) أي تتحرك (بهم) قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت
 تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرسلها الله وأثبتها بالجبال النوع الرابع من الدلائل قوله
 تعالى (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (جبالاً) أي مسالك واسعة سهلة ثم أبدل منها (سبلاً) أي
 مذلة للسالك ولولا ذلك لتعسر أو تعذر الوصول إلى بعض البسلا (لعلهم يهتدون) إلى
 منافعهم من ديارهم وغيرها وإلى ما فيها من دلائل الوحدة النوع الخامس من الدلائل قوله
 تعالى (وجعلنا السماء) وأفردها مع ارادة الجنس لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها
 إلا السماء الدنيا ولأن الحفظ للشيء الواحد أنقن (سقفاً) أي للأرض كالسقف للبيت
 (محفوظاً) أي عن السقوط بالقدره وعن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بالمشيئة وعن
 الشياطين بالشهب (وهم) أي أكثر الناس (عن آياتها) أي عن الكواكب السكا والاصغار
 والرياح والأمطار وغير ذلك من الدلائل التي تفوت الانحصار الدالة على قدرتنا على كل
 ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من أوصاف السكال من الجلال
 والجمال (معروضون) لا يتفكرون فيما فيها من السبيل والتدبير وغير ذلك فيعلمون أن خالقها

لاشريك له النوع السادس من الدلائل قوله تعالى (وهو) أى لاغيره (الذى خلق الليل والنهار) ثم أتبعهما أعظم آيتهما بقوله تعالى (والشمس) التى هى أعظم آية النهار (والقمر) الذى هو أعظم آية الليل (كل) أى من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير كالطاحونة فى السماء (يسبحون) أى يسبحون بسرعة كالسباح فى الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل والمراد بفلك الجنس كقولك كساهم الأمير خلة وقلد هم سيفاً أى كل واحد منهم أوكساهم وقلد هم هذين الجنسين فاكنتى بتبادل على الجنس اختصاراً ولأن الغرض الدلالة على الجنس * ونزل لما قال الكفار أن محمداً سميت (وما جعلنا البشر من قبلك الخلد) أى البقاء فى الدنيا (أفان) أى آيتهم من أنك فان (مت فهم الخالدون) فيها لا والله ليسوا بالخالدين فالجمله الأخيرة هى محل الاستفهام الانكارى وفى معنى ذلك قول قزوة بن مسيك الصحابي وقل للشامتين بنا أقبوا * سيلي الشامتون كالمقينا

وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بكسر الميم والباقون بضمها ثم بين تعالى أن أحد الأئيين فى هذه الدنيا بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة الموت أى مرارة مقارعة روحها جسدها فلا يفرح أحد ولا يحزن موت أحد بل يشغل بعامه وآله الإشارة بقوله (وتبلىكم) أى نعاملكم معاملة المبلى المختبر ليظهر فى عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن والكافر كما هو عندنا فى عالم الغيب بأن نخالطكم (بالشر) وهو المضار الدينيوه من الفقر واللام وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين (والخير) وهو نعم الدين من الصحة واللدّة والسرور والتمكّن من المراتد وقوله تعالى (قنّة) مفعول له أى لننظر أن تصبرون وتشكرون أم لا كما يقنّ الذهب إذا أريد تصفيته بالنار عما يخالطه من الغش فبين تعالى أن العبد مدع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لئى يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه إذا قام بما يلزم (والينا) بعد الموت لا إلى غيرنا (ترجعون) فتجأز بكم بما فعلتم ثم عطف تعالى على قوله وأسروا النجوى قوله تعالى (واذرا لى) أى وأنت أشرف الخلق (الذين كفروا) أن أى ما (يتخذونك) أى حال الرؤية (الآخرى) أى مهزوبه يقولون انكاراً واستصغاراً (أخذاً) الذى يذكر آلهتمكم) أى بسوء والذكر يكون بالخير والشر فإذا دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه وذكر العدو لا يكون الابسوء (وهم) أى والجال أنهم (بذكر الرحمن) أى إذا ذكر لهم الرحمن (هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الامسيلة وهم الثانية للتأكيّد * ونزل فى استعجالهم العذاب (خلق الانسان من عجل) كأنه خلق منه لقرط استعجاله وقلة ثباته والعرب تقول للذى يكثّر منه الشيء خلقت منه كقولك خلق زيد من الكرم فجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب أى خلق العجل من الانسان ومن عجلته صبادرته الى الكفر واستعجال الوعد وقال سعيد بن جبير والسدى لما دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظرت الى ثمار الجنة فلما دخل الروح فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلت الى ثمار الجنة فوقع ففعل خلق الانسان

من عجل والمراد بالإنسان آدم وأورث أولاده العجلة وقال قوم معناه خلق الإنسان يعني آدم عليه السلام من تعجيل في خلق الله تعالى إياه لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلق قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الأدميين من النطفة ثم العلق ثم المضغة وغيرها وقال قوم من عجل أي من طين قال الشاعر
والنبع في الحفرة الصامتة * والنخل يبت بين الماء والعجل

ثم قال تعالى مهتد للمكذبين (سأريكم آياتي) أي مواعيدي بالعذاب (فلا تستعجلون) أي تطالبون أن أوجد العجلة بالعذاب وغيره فإني مئذ عن العجلة التي هي من جملة نقائصكم لأنها إرادة الشيء قبل أوانه (فإن قيل) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الإنسان من عجل وقوله تعالى وكان الإنسان عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (أجيب) بأن هذا كإرباب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها منع الشهوة وترك العجلة وقد أراهم بعض آياته وهو القتل يدر (ويقولون) في استهزائهم (متى هذا الوعد) أي بآيات الآيات من الساعة ومقدماتها وغيرها (إن كنتم) فيما توعدون به (صادقين) أي عريقين في هذا الوصف يعنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور وعلى سبيل الاستهزاء ثم بين تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى (لويلكم الذين كفروا) وذكر المفعول به بقوله تعالى (حين) أي وقت (لا يكفون) أي لا يدفعون (عن وجوههم) التي هي أشرف أعضائهم (النار) استسلاما وعجزا (ولا عن ظهورهم) التي هي أشد أجسامهم السباط (ولا هم ينصرون) أي لا ينعون من العذاب في القيامة وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا ما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب ولا قالوا متى هذا الوعدان كنتم صادقين (بل تأتيهم) أي القيامة (بغتة) أي فجأة (فتبينهم) أي يحيرهم يقال فلان مبهوت أي تحير (فلا يستطيعون ردّها) أي لا يطلبون طوع ذلك لهم في ذلك الوقت لياهم منه (ولا هم ينظرون) أي يجهلون لتوبة أو معذرة * ولما كان التقدير حاق بهم هذا باستهزائهم بك أتبعه ما يدل على أن الرسل في ذلك شرع واحدة تسليها صلى الله عليه وسلم فقال عاطفا على وإذا زال (ولقد استهزى برسل من قبلك) أي كثيرين فلك بهم أسوة وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزة في الوصل بكسر الدال والباقون بالضم وإذا وقف حزة أبدل الهمزة ياعسا كنه (خفاق) أي نزل (بالذين مضوا منهم ما كانوا به يستهزئون) وهو العذاب فكذا يبحق عن استهزائك * ولما أعلم الله تعالى أن الكفار في الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يساءر ما وصفهم به أتبعه بأنهم في الدنيا أيضا لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل) يا أشرف المرسلين للمستهزئين (من يكفونكم) أي يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أي من عذابه إن نزل بكم أي لأحد يفعل ذلك (بل هم عن ذكر ربهم) أي القرآن (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يحطرونه يسألهم فضلا أن يخافوا بأسه (أم) فيها معنى الهمزة للانكار

أَيْ (أَلِهَمَّ آلِهَةً) موصوفة بأنها (عَنَعَهُمْ) عايسوهم (مَنْ دُونَنَا) ليس إلههم ذلك ثم وصف آلِهَتَهُمْ
 بِالضَّعْفِ فَقَالَ تَعَالَى (لَا يَسْتَعْلِيُونَ) أَيْ الْآلِهَةَ (نَصَرَ أَنْفُسَهُمْ) فكيف ينصرون عابديهم
 (وَلَا هُمْ) أَيْ الْكَفَّار (مَنَا) أَيْ مِنْ عَذَابِنَا (يَخْجَبُونَ) أَيْ يَجَارُونَ يقال صحبك الله أَيْ حَفَظَكَ
 وَأَجَارَكَ (بَلْ مَتَعْنَاهُ وَلَا) أَيْ الْكَفَّار عَلَى حَقَّارَتِهِمْ (وَأَبَاءَهُمْ) مَنْ قَبْلَهُمْ بِالنِّعَمِ اسْتَدْرَاجًا
 (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعَمْرُ) أَيْ امْتَدَّتْ بِهِمْ أَيَّامُ الدُّنْيَا بِالرَّوْحِ وَالطَّمَأْنِينَةِ فَحَسَبُوا أَنَّ لَارِ الْوَاوِ عَلَى
 ذَلِكَ لَا يَغْلِبُونَ وَلَا يَنْزِعُ عَنْهُمْ ثَوْبَ أَمْنَتِهِمْ وَاسْتَقْبَعَهُمْ فَاعْتَرَوْا بِذَلِكَ وَذَلِكَ طَمَعٌ فَارِغٌ وَأَمَلٌ كَاذِبٌ
 وَغِلْظٌ وَرِشٌ الْإِلَامُ بِخِلَافِ عَنَسِهِ (أَفَلَا يَرَوْنَ) أَيْ يَعْلَمُونَ عِلْمًا هَوِيًّا وَضَوْحَةً مِثْلَ الرُّؤْيَةِ بِالْبَصَرِ
 (أَنَا نَاتُ الْآرِضِ) أَيْ أَرْضُ الْكَفَرَةِ (تَنَقَّصَهُمْ مِنْ أَطْرَافِهَا) بِتَسْلِيْطِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ وَأَظْهَارِهِمْ
 عَلَى أَهْلِهَا بِقَتْلِ بَعْضٍ وَرَدِّ بَعْضٍ عَنْ دِينِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهَمُّ فِي نَقْصٍ وَأُولِيَاؤُنَا فِي زِيَادَةٍ (أَفَهَيْتُمْ
 الْغَالِبُونَ) أَيْ مَعَ مَشَاهِدَتِهِمْ لِذَلِكَ أَمْ أُولِيَاؤُنَا * وَلَمَّا كَثُرَ سَجْدَانُهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْإِدْلَةُ وَبَالِغٌ
 فِي التَّنْبِيهِ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ) يَا أَشْرَفَ الْخَلْقِ لَهُوْلَاءُ الْمَشْرِكِينَ (أَفَمَا
 أَنْذَرَكُمْ) أَيْ أَخَوْفَكُمْ (بِالْوَحْيِ) أَيْ بِالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ كَلَامُ رَبِّكُمْ فَلَا تَنْظُنُّوا أَنَّهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي
 (وَلَا يَسْمَعُ الصَّهْمُ الدَّعَاءَ) أَيْ مِنْ يَدِ عَوْنِهِمْ (إِذَا مَا يَنْذِرُونَ) أَيْ يَخَوْفُونَ فَهَمُّ لَتَرْكِ الْعَمَلِ بِمَا سَمِعُوهُ
 كَالصَّهْمِ (فَإِنْ قِيلَ) الصَّهْمُ لَا يَسْمَعُونَ دَعَاءَ الْمُبَشِّرِ كَمَا لَا يَسْمَعُونَ دَعَاءَ الْمُنْذِرِ فَكَيْفَ قَبِلَ إِذَا
 مَا يَنْذِرُونَ (أَجِيبْ) بِأَنَّهُ وَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَصَاقُفِهِمْ وَتَدَاهِيهِمْ أَسْمَاعُهُمْ إِذَا
 أَنْذَرُوا أَيْ هَمُّ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْجَرَاءَةِ وَالْجَسَارَةِ وَعَلَى التَّصَامُعِ عَنْ آيَاتِ الْإِنذَارِ وَقَرَأَ ابْنُ
 عَامِرٍ وَلَا تَسْمَعُ بِالتَّاءِ الْفَوْقَةِ مَضْمُومَةٌ وَكَسْرُ الْمِيمِ وَنَصَبُ مِيمِ الصَّهْمِ عَلَى الْخُطَابِ السُّوْيِ
 وَبِالْبَاقُونَ بِالْيَاءِ الْخَفِيَّةِ وَفَتْحُ الْمِيمِ وَرَفْعُ مِيمِ الصَّهْمِ وَفِي الدَّعَاءِ وَإِذَا هَمَزْتَ أَنْ تَحْتَفِلْتَانِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ
 الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ وَالثَّانِيَّةُ مَكْسُورَةٌ قَرَأْنَا فَعَنْ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَبِتَحْقِيقِ الْأُولَى وَتَهْمِيلِ الثَّانِيَةِ بَيْنَ
 الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ وَبِالْبَاقُونَ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَهَذَا فِي حَالِ الْوَصْلِ فَإِنْ وَقَفَ عَلَى الْهَمْزَةِ الْأُولَى
 فَالْجَمْعُ يَتَذَوَّنُ الثَّانِيَةَ بِالتَّحْقِيقِ وَيَقِفُ جُزْءٌ وَهَشَامٌ بِإِدَالِ الْهَمْزَةِ أَفْعَامُ الْمَدِّ وَالتَّوَسُّطُ
 وَالْقَصْرُ (وَلَيْتَنَ مَسْتَهْمٌ) أَيْ أَصَابَتْهُمْ (نَفْعَةٌ) أَيْ دَفْعَةٌ خَفِيفَةٌ وَفِي ذَلِكَ مَبَالِغَاتُ ذِكْرِ الْمُسْ وَفِي
 النَّفْعَةِ مِنْ مَعْنَى الْقَلَّةِ فَإِنَّ أَوَّلَ النَّفْعِ هُبُوبُ رَائِحَةِ الشَّيْءِ وَالتَّاءُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّمَرَّةِ (مَنْ عَذَابُ
 رَبِّكَ) الْحَسَنُ إِلَيْكَ بِنَصْرِكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الَّذِي يَنْذِرُونَ بِهِ (أَيَقُولُونَ) وَقَدْ أَذْهَلَهُمْ أَمْرُهَا (يَا بُولُلَا)
 الَّذِي لَا تَرَى بِحَضْرَتِنَا إِلَّا نَعِيرَهُ (أَنَا كَظَايِلُ الْمَيِّتِ) دَعَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْوَيْلِ بَعْدَ مَا قَرَأُوا بِالْقَالِمِ
 ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى بَعْضَ مَا يَفْعَلُ فِي حِسَابِ السَّاعَةِ مِنَ الْعَدْلِ فَقَالَ عَاطِفًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى بَلْ تَأْسِيهِمْ
 بِقَعْتَةٍ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ) أَيْ ذَوَاتِ الْعَدْلِ (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أَيْ فِيهِ وَاعْتِجَاعُ الْمَوَازِينِ
 لِكَثْرَةِ مَنْ تَوَزَّنَ أَعْمَالَهُمْ وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْوِزْنَاتِ وَقِيلَ وَضَعَ الْمَوَازِينَ تَحْتِ الْإِرْسَادِ
 الْحِسَابِ السُّوْيِ وَالْجُزْءِ عَلَى حِسَابِ الْأَعْمَالِ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ الَّذِي عَلَيْهِ أَعْتَمَدَتِ السَّلَفُ أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى يَضَعُ مِيزَانًا حَقِيقَةً تَوَزَّنَ بِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ وَعَنِ الْحَسَنِ هُوَ الْمِيزَانُ لَهُ كِفَتَانِ وَاسَانٌ وَيُرْوَى
 أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرِيَهُ الْمِيزَانَ فَأَرَاهُ كُلَّ كِفَّةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَقَعَشَى عَلَيْهِ

ثم أفاق فقال الهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال يا داود اني اذا رضيت عن عبدى
ملائتها بكرة (فان قيل) كيف توزن الاعمال مع أنها أعراض (أجيب) بأن فيه طريقين
أحدهما أن توزن صحائف الاعمال فوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات
في كفة والثاني أن توضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر
سود مظلمة (فان قيل) هذه الآية يناقضها قوله تعالى في الكفار فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا
(أجيب) بأن المراد منه اننا لا نكرمهم ولا نعظمهم (فلا تظم نفس شيئا) أى من نقص حسنة
أو زيادة سيئة (وان كان) أى العمل (مثقلا) أى وزن (حبة من خردل) أو أصغر منه وانما مثل به
لانه غاية عندنا في القلة وقرأ نافع رفع اللام على أن كان تامة والباقون بالنصب وكذا
في لقمان (أتيناها) أى بوزنها ولما كان حساب الخلائق كلهم في كل ما صدر منهم أمرا
بأمر العقل حقه عند عظمتهم فقال (وكي بنا) أى بما لنا من العظمة (حاسنين) أى محسنين
في كل شيء فلا يكون في الحساب أحد مثلنا ففيه تعدد من جهة أن معناه أن لا يروج عليه شيء
من خداع ولا يقبل غلطا ولا يضل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس وشوب
منقص ووعده من جهة أنه مطلع على حسن قصد وان دق وخفي * ولما تكلم سبحانه وتعالى
في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء عليهم السلام تسليية لرسوله صلى الله
عليه وسلم فيما يناله من قومه وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض وذكر منها
عشرا * القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى
وهرون) أى إخوانه الذى سأل ربه أن يشد أزره به (الفرقان) أى التوراة الفارقة بين الحق
والباطل وبين الحلال والحرام (وضياء) بهاء لا ظلام معه أى ليستضاء به في ظلمات الخيرة
والجهل وقرأ قبل بعد الضاد بهمزة مفتوحة ممدودة والباقون بهاء بعدها ألف (وذكرنا) أى
عقلنا (للمتقين) أو ذكرنا ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر
ويراد بالضياء على هذين التوراة ثم بين المتقين بوصفهم بقوله تعالى (الذين يخشون) أى
يخافون خوفا عظيما (رهبهم) أى المحسن اليهم بعد الايجاب بالترية وأنواع الاحسان (بالغيب)
عن الناس أى في الخلائع عنهم أو بالغيب قبل أن يكشف لهم الحجاب في الجنة (وهم من الساعة)
التي توضع فيها الموازين وقد أعرض عنهم الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير ومباعد
عن كل ضير (مشفقون) أى خائفون لانهم لم لقيامها متحققون ولنصب الموازين فيم اعالمون
* ولما ذكر تعالى فرقان موسى عليه السلام وكان العرب يشاهدون تمسك اليهود به حنهم على
كلامهم الذى هو أشرف منه بقوله تعالى (وهذا) أى القرآن وأشار اليه بأداة القرب ايماء الى
سهولة تناوله عليهم (ذكرنا) أى موعظة (مباركة) أى كثير خيرة (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأنتم له منكرون) أى جاحدون اسمهم فهم توحي * القصة الثانية
قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا) بما لنا من العظمة (ابراهيم
رسله) أى صلاحه وهداه (من قبل) أى من قبل موسى وهرون ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم وقيل

من قبل استنبأه أو بلوغه حيث قال اني وجهت وجهي (وكتابه) ظاهرا وباطنا (عالين) بأنه
 أهل لما أتينا له جبهه خير جامع لحاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق والخصال يدوم على الرشد
 ويرقى فيه الى أعلى درجاته لما طبعناه عليه وفي ذلك اشارة الى أنه فعله تعالى باختيار وحكمة
 وأنه عالم بالجويزات وتعليق (اذ قال) أي ابراهيم (لايه وقومه) بعالمين اشارة الى أن قوله
 لما كان باذن منا ورضا لنا نصرناه وهو وحده على قومه كلهم ولولم يكن يرزينا المنعاه منه بنصر
 قومه عليه وتمكين النار منه ثم ذكر مقول القول في قوله منكرا عليهم محقر الاصنامهم (ما هذه
 التماثيل) أي الصور التي صنعوها مماثلين بها ما فيه روح الله جامعين لها ما لا يكون الا لمن
 لا مثل له وهي الاصنام (التي أنتم لها) أي لاجلها وحدثها مع كثرة ما يشابهها وما هو أفضل منها
 (عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (فان قيل) هلا قال عليهم اعا كفون كقوله تعالى يعكفون
 على أصنام لهم (أجيب) بأن اللام للاختصاص للتعدية ولو قصد التعدية لعداه بصلته التي
 هي على ثم انه تعالى ذكر جوابهم ليجازم الاستفهام عن السؤال بأنهم (قالوا وجدنا آباءنا لها
 عابدين) فاقدم بناهم لاجلة لا غير ذلك فأنظر ما اقبح التقليد وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين
 حتى استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم
 على شيء وبادقون في نصره مذهبهم ومجادلون أهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد مسبة أن
 عبدة الاصنام منهمم والتقليد ان جاز فاعلم ان يجوز ان علم في الجملة أنه على حق وإذا (قال) ابراهيم
 عليه السلام (لقد كنتم) وأكده بقوله (أنتم) لاجل صحة العطف لان الضمير المرفوع المتصل
 حكمه حكم جزء الفعل والعطف على ضميره هو في حكم بعض الفعل بمنع ونحوه اسكن أنت
 وزوجك الجنة (وآبؤكم) أي من قبلكم (في ضلال مبين) فبين ان المقلدين والمقلدين جميعا
 مضطرون في سلك ضلال لا ينجي على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى
 هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله
 اياهم فلذا (قالوا) ظنا منهم أنه لم يقل لهم ذلك على ظاهره (أجئتنا) في هذا الكلام (بالحق)
 الذي يطابقه الواقع (أم أنت من اللاعين) أي تقول على وجه المزاح والملاعبة لاعلى وجه
 الجحد (قال) عليه السلام يا نبي اعل ما تقدره ليس كلامي لعبا بل هو جحد وهذه التماثيل ليست
 أربابا (بل ربكم) أي الذي يستحق منكم اختصاصه بالعبادة (رب السموات والارض) أي
 مدبرهن القائم بمصالحهن (الذي فطرهن) أي خلقهن على غير مثال سبق وأنتم وتماثيلكم
 بما فيه ما من مصنوعاته أنتم تشهدون بذلك اذ ارجعتم الى عقولكم مجردة عن الهوى وقيل
 الضمير في فطرهن للتماثيل قال الرمنشيري وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاختجاج
 عليهم (وأنا على ذلكم) أي الامر المبين من انه ربكم وحده فلا تجوز عبادة غيره (من
 الشاهدين) أي الذين يقدرون على اقامة الدليل على ما يشهدون به لم يشهدوا الاعلى ما هو
 عندهم مثل الشمس لا كما فعلتم أنتم حين اضطررتم السؤال الى الضلال * ولما أقام البرهان على
 اثبات الاله اعلق أتبعه البرهان على ابطال الباطل بقوله (وتالله) وهو قسم والاصل في القسم

الباء الموحدة والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها مع كونه باء لا زيادة على التاء كبد
 التجب (لا كيدن أصنامكم) أي لا جتهدن في كسرها والتاء كيد وما في التاء من التجب
 من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان احراماً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره ولعمري
 ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصاً في زمن غمر ودمع عتوه واستهكاره وقوة سلطانه
 وتمام الكيد على نصره دينه ولكن * اذا الله سئى عقد شئ يسيراً * ولما كان عزمه على ايقاع
 الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه توليهم في أي جزء يتيسر له منه اسقط الجار فقال (بعد أن
 تولوا مدبرين) أي بعد أن تدبروا منطلقين الى عيدكم قال مجاهد وقتادة انما قال ابراهيم
 هذا سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد فأفشاء عليه وقال انا سمعنا في يذكركم يقال له
 ابراهيم وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع عيد فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على
 الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم له يا ابراهيم
 لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه
 وقال اني سقيم أشد كى برجلي فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بني ضعفاء الناس تالله
 لا كيدن أصنامكم فسمعوه وامنهم ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهي فيهم وعظيم مستقبل
 باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر
 منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد
 بركت الاصنام الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين أيديهم من الطعام
 قال لهم على طريق الاستهزاء ألا ترون فلما لم يجيبوه قال لهم مالكم لا تنطقون فراغ عليهم
 ضرباً باليمين وجعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر علق الفأس في عنقه
 ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جذاذاً) أي فتاتا وقرأ الكسائي بكسر الجيم والباقون
 بضمها (الاكبر الههم) فانه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنتين
 وسبعين صنماً بعضهما من ذهب وبعضهما من فضة وبعضهما من حديد ورماض وخشب وحجر
 وكان الصنم الكبير من الذهب مكللاً بالجواهر في عنقه ياقوتتان تتقدان (لعلهم) أي هؤلاء
 الضلال (اليه) أي ابراهيم (يرجعون) عند الزامه بالسؤال فتقوم عليهم الحجّة فلما عادوا الى
 أصنامهم فوجدوها على تلك الحال (قالوا من فعل هذا) الفعل الفاحش (يا لهتنا انه لمن
 الظالمين) حيث وضع الآلهة في غير موضعها فان الآلهة حقها الاكرام لا الاهانة والانتقام
 (قالوا) أي الذين سمعوا قول ابراهيم وتالله لا كيدن أصنامكم (سمعنا في) أي شابان من الشباب
 (يذكركم) أي يعيبهم ويسبهم (يقال له ابراهيم) أي هو الذي تظن أنه صنع هذا فلما بلغ ذلك
 غرود الجبار وأشرف قومه (قالوا فأتوا به) الى بيت الاصنام (على أعين الناس) أي
 جهرة والناس ينظرون اليه نظر الاخفاء معه حتى كأنه ماش على أبقارهم متمكن منها تمكن
 الراكب على المراكب (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذي فعل بالآلهة هذا الفعل كرهوا
 أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) منكبين

علمه (أأنت فعلت هذا) الفعل الفاحش (يا لهتانيا ابراهيم) * (تنبيه) * هنا مزتان
 مفتوحتان من كلمة القراء الجميع على تحقيق الأولى وأما الثانية فيسم لها نافع وابن كثير وأبو
 عمرو وهشام بخلاف عنه وأدخل بينهما الفاقلون وأبو عمرو والباقون بتحقيقه - ما وعد
 الإدخال بينهما (قال) ابراهيم متكلمين بهم ولم يزلوا بالحق (بل فعله كبيرهم) غيره أن يعبد معه من
 هودونه وتقيده بقوله (هذا) إشارة إلى الذي تركه من غير كسر * ولما أخبرهم ولم يكن
 احذرا حتى يشهد على فعله وكانوا قد أحلواهم بعبادتهم ووضع الطعام لهم محل من يعقل
 تسبب عنه أمرهم بسؤالهم فقال (فاستلوههم) أي عن الفاعل لينبروكم به وقوله (أن كانوا
 ينطقون) أي على زعمكم أنهم آلهة يضرون وينفعون فيه تقديم جواب الشرط أي فان قدروا
 على النطق أمكنت عنهم القدرة والافلا فأرادهم يحجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا ففعلت ذلك
 روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات
 ثنتين منهن في ذات الله قوله إلى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي وقال
 في حديث الشفاعة ويذكر كذباته أي أنه لم يتكلم بكلمات صورتها صورة الكذب وإن كان
 حقاً في الباطن الا هذه الكلمات وقيل في قوله إلى سقيم أي سأسقم وقيل سقيم القلب أي مغتم
 بضلالكم وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين وقوله بل فعله كبيرهم هذا روى عن
 الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه بل فعله من فعله وقوله كبيرهم هذا مبتدأ
 وخبر قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب والأولى هو الأول للحديث فيه ويجوز
 أن يكون الله تعالى قد أذن له في ذلك لقصد الإصلاح وتوبخهم والاحتجاج عليهم كما أذن لموسى
 عليه السلام حتى نادى مناديه فقال أيها العبرانيكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا وقال الرازي
 الحديث محمول على المعارض فان فيه امدوحة عن الكذب أي تسمية المعارض كذباً لما
 اشبهت صورتها صورته وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وتركة الهمزة وكذا يفعل
 حجة في الوقف والباقون بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة وقيل الوقف على بل فعله
 ثم يتبدى بقوله كبيرهم هذا * ولما اضطرتهم الدليل أن يحققوا أنهم على محض الباطل
 (فرجعوا إلى أنفسهم) بالتفكير (فقالوا) أي بعضهم لبعض (أنكم أنتم الظالمون) لكونكم
 وضعتم العبادة في غير موضعها الا ابراهيم فانه أصاب باهانتها (ثم نكسوا على رؤسهم) أي
 انقلبوا غير مستحيين مما يلزمهم من الاقرار بالسفاهة إلى المجادلة له بعد ما استقاموا بالمرابعة من
 قولهم نكس المريض اذا عاد إلى حاله الأول شبه عودهم إلى الباطل بصورة جعل أسفل الشيء
 مستعلياً على أعلاه ثم انهم قالوا في مجادلته عن شركائهم والله (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هؤلاء)
 لا يصححهم ولا يجرحهم (ينطقون) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم * ولما تسبب عن قولهم هذا
 اقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم اتجه لابراهيم عليه السلام الحجة عليهم (قال) منكر عليهم
 موجهاً لهم (أفتعبدون من دون الله) أي بدله (ما لا ينفعكم شيئاً) من رزق وغيره لترجوه
 (ولا يضركم) شيئاً اذا لم تعبدوه لتخافوه (آف) أي تبا وقبحاً (لكم ولما تعبدون من دون الله)

أى غيره وقرأ نافع وحفص بتدوين القاء مكسورة وابن كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تدوين
 والباقيون بكسر القاء من غير تدوين * ولما تسبب عن فعلهم هذا وضوح أنه لا يقربه عاقل
 أنكرك عليهم ووجههم بقوله (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم وأنتم شيوخ قدمتم بكم الدهور
 وحكمتكم التجارب * ولما دحضت حججهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل (قالوا) عادلين
 إلى العناد واستعمال القوة الحسية (سرقوه) بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلاً أعظم مما فعل
 بالهتكم (وانصروا آل هتكم) التي جعلها جذاذاً (ان كنتم فاعلين) نصرتها قال ابن عمران
 الذى قال هذا رجل من الأكراد قيل اسمه هيتون تخسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل فيها
 إلى يوم القيامة وقيل قاله غزوذين كوش بن حام بن نوح عليه السلام وروى أن غزوذ وقومه
 حين هموا بإحراقه حبسوه في بيت ثم بنوا عليه بيتاً كالخظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له
 أصـلاب الخطب من أصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يرض فيقول أنت عوفيت
 لأجمعن خطباً لأبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى بغزلها الخطب احتساباً في دينها وكان
 الرجل يوصى بشراء الخطب والقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الخطب
 ناراً فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطير يمتريها فيحترق من شدة وهجها وحراها وقدوا
 عليه سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم لم يعلموا كيف يلقوه فجاءهم إبليس عليه اللعنة
 فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيده ورفعه على رأس البنيان ووضعوه
 في المنجنيق مقبداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق
 إلا الثقلين صيحة واحدة ربنا خليك يلقى في النار وليس في أرضك من يعبدك غيره فأذن لنا
 في نصرته فقال عز وجل أنه خليلي وليس لي خليل غيره وأنا لله ليس له غيره فإن استغاث
 بأحد منكم أودعاه فلم ينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع أحداً غيره فأنا أعلم به وأنا وليه
 نخلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال إن أردت أخذت النار وأتاه
 خازن الرياح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لي إليكم
 حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن كعب الأحبار أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار
 لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق إلى النار
 فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أما إليك فلا فقال جبريل فأسأل ربك فقال إبراهيم
 عليه السلام حسبى من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما في قوله تعالى وقالوا
 حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها أصحاب محمد صلى الله
 عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال كعب الأحبار جعل
 كل شئ يطفى النار عنه إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار وعن أم شريك أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على إبراهيم * ولما أراد الله تعالى الذي له القوة
 جتيعاً لسلامته منها قال تعالى (فلنا يا نار كونى) بارادتنا التي لا يختلف عنها مراد (بردا) قال ابن
 عباس لو لم يقل (وسلاماً) لما أت إبراهيم من بردها وفي الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض

الاطفقت فلم تتفع في ذلك اليوم ينار في العالم ولولم يقل تعالى (على ابراهيم) لبقيت ذات برد أبدا
والمعنى كوني ذات برد وسلام على ابراهيم فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام والمراد
ابردي فيسلم منك ابراهيم أو ابردي بردا غير ضار قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم
فأقعدوه على الارض فأذا بعين ماء عذب وورد أحر وزرجس قال كعب ما أحرقت النار من
ابراهيم الا وثاقه قالوا فكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال
ابراهيم ما كنت أيا ما قط أنعم مني في الايام التي كنت في النار وقال ابن يسار وبعث الله تعالى
ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يؤنسها قال وبعث الله تعالى جبريل عليه
السلام بقميص من حرير الجنة وطفنفة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه
يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر غرود
وأشرف على النار من صرح له فراه جالس في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق
الحطب فنادى يا ابراهيم باللهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن
تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان تقت فيها أن تضرك قال لا قال قم فخرج منها فقام ابراهيم
يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعدا
الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربّي ليؤنسني فيها فقال غرود اني مقرب الى الهك
قربا لما رأيته من قدرته وعزته فيما صنع بك حين آيت الإعبداته وتوحيده اني ذابح له أربعة
آلاف بقرة قال اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفرقه الى ديني فقال لا أستطيع
ترك ما سكتي ولكن أذبحها له فذبحها له غرود ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه وكان
ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختار والمعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به واقطعه
ولذلك جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا خالقه وقيل ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها
عليه من الحر والحرأق وابقاها على الاضاء والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء
قدير فدفن عن ابراهيم حرها كما يدفع ذلك عن خزنة جهنم (وأرادوا به كيدا) أي مكرافي اضارره
بالنار وبعد خروجه منها (بجعلناهم) أي جعلنا من الجلال (الاخسرين) أي أخسر من كل
خاسر عاصيهم برهاننا فاطعاعلى انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجب الزيادة درجته
واستحقاقهم أشد العذاب وقد أرسل الله تعالى على غرود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم
وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته * (فائدة) * وقع مثل هذه القصة لبعض
اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أبو مسلم الخولاني طلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة
فقال له اشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال اتشهد أن محمد ارسول الله قال نعم فأمر بنار فألقى
فيها ثم وجده قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم فأجلسه عمر بنه وبين أبي بكر رضي الله عنهم وقال عمر الحمد لله الذي لم يمتني حتى
أرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله (ونبينا ولوطا)
من غرود وقومه من أرض العراق (الى الارض التي بارك فيها للعالمين) وهي الشام بارك

الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانه اروم منها بعث أكثر الانبياء قال أبي بن كعب بارك
الله فيها وسماها مباركة لان ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الخخرة التي بيت المقدس أي
يهبط من السماء الى الخخرة ثم يتفرق في الارض قاله أبو العالية وعن قتادة ان عمر رضى الله
تعالى عنه قال لكعب الاحبار لا تحول الى المدينة فمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره
فقال لكعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كنز الله في أرضه وبها كنزه
من عباده وعن عبد الله بن عرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سمكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم
رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من
غروذ وملتهم وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم
وكان له سماء أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت
هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثي وهي بضم الكاف ومثلثة قال ابن الاثير هي كوثي
العراق وهي سرّة السواد وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وخرج مهاجر الى ربه فضعه لوط
وسارة كما قال تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج يلتمس القرار بدينه والامان
على عبادة ربه حتى نزل حران فكثبها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج
من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي بركة الشام ونزل لوط بالموتفكة وهي
على مسيرة يوم وليسلة من السبع فبعثه الله تعالى نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى
ونجيناه و لوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين أي كما أنجيتك أنت يا أشرف الخلق ويا أفضل
أولاده وصديقتك أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى طيبة التي شرفناها بك وبثنا من أنوارها في
أرجاء الارض وأقطارها الم بنيت مثله قط وباركنا فيها للعالمين بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلماء
والصالحين الذين انبثت خيراتهم العملية والعلمية والمالية في جميع الاقطار * ولما ولد لابراهيم
عليه السلام في حال شيخوخته وعجز امرأته مع كونها عقيما وكان ذلك دالا على الاقتدار على
البعث الذي السياق كله له قال تعالى (ووهبنا له) دالا على ذلك بنون العظيمة (اسحق) أي من
شبه العدم وترك شرح حاله لتقديم أي فكان ذلك دليلا على اقتدارنا على ما نريد لاسيما من إعادة
الخلق في يوم الحساب ثم انه قد يظن أنه لتولده بين شيخ فان وعجزه عقيم كان على حاله من الضعف
لا يولد لمثله معه انني ذلك بقوله تعالى (ويعقوب نافلة) أي ولدا لاسحق زيادة على مادعاه
ابراهيم عليهم السلام ثم غنى سبحانه وتعالى أولاد يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى أن سادوا
النجوم عدة وباروا الجبال شدة (وكلا) من هؤلاء الاربعة وهم ابراهيم و لوط واسحق ويعقوب
وعظم رتبهم بقوله تعالى (جعلنا صالحين) أي مهينين لطاعتهم لله تعالى لكل ما يروونه أو يراون
له أو يراون منهم * ثم لما ذكر انه تعالى أعطاهم رتبة الصلاح في أنفسهم ذكر انه تعالى أعطاهم
رتبة الاصلاح لغيرهم فقال تعالى معظما لامتهم (وجعلناهم أئمة) أي اعلاما ومقاصدا
يقتدى بهم في الدين لما آتيناهم من العلم والنبوة وقرأناهم وابن كثير وأبو عزمو بتسهيل

الهمزة الثانية المكسورة بين الهمزة والياء ويجوز ابدالها عندهم ياء خالصة ولا يدخلون
 بينهم ناشياً وقرأ هشام بتحقيق الهمزتين وادخل ألف بينهما بخلاف عنه في الادخال
 وعدمه والباقون بتحقيق الهمزتين من غير ادخال بلا خلاف (يهدون) أى يدعون اليها
 من وفقناه الهداية (بأمرنا) أى بأذننا (وأوحينا اليهم) أيضاً (فعل) أى أن يفعلوا (الخيرات)
 ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العلم الى العمل قال البقاعي ولعله تعالى عبر بالفعل
 دلالة على أنهم امتثلوا كل ما وحي اليهم وقال الزمخشري أصلاً أن تفعل الخيرات ثم فعلا
 الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك أقام الصلاة وآتاه الزكاة انتهى وقوله تعالى (واقام الصلاة
 وآتاه الزكاة) من عطف الخاص على العام تعظيماً شأنه. ما لان الصلاة تقرب العبد الى
 الحق تعالى والزكاة احسان الى الخلق قال الزجاج الاضافة في الصلاة عوض عن تاء التأنيث
 يعنى فيكون من الغالب لامن القليل (وكانوا لنا) دائماً جبلة وطبيعة (عابدين) أى موحدين
 مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلاة * القصة الثالثة قصة لوط عليه السلام المذكورة
 في قوله تعالى (ولوطاً) أى وأبنا لوطاً واذكر لوطاً ثم استأنف قوله تعالى (آتيناه حاكماً) أى
 نبوة وعملاً محكماً بالعلم وقيل فصلايين الخصوص (وعلمنا) من بنا بالعلم مما ينبغي علمه للانبياء
 (ونجيناه من القرية) أى قرية سدوم (التي كانت) قبل انجاء ناله منها (تعمل) أى أهلها الاعمال
 (الخباثت) من اللواط والرعى بالبدق واللعب بالطيور والتضارط في آثديتهم وغير ذلك وانما
 وصف القرية بصفة أهلها وأسند هذا اليها على حذف المضاف واقامته مقامه وبدل عليه (أنهم
 كانوا) أى بما جبلوا عليه (قوم سوء) أى ذوى قدرة على الشر بانهم ما بهم في الاعمال السيئة
 (فاسقين) أى خارجين من كل خير (وأدخلناه) دونهم (في رجسنا) أى في الاحوال السيئة
 والاقوال العلية والافعال الزكية التي هي سبب للرجة العظمى ومسيبة عنهم على ذلك بقوله
 تعالى (انه من الصالحين) أى الذين سبق لهم منا الحسنى أى لما جبلا به عليه من الخير * القصة
 الرابعة قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ونوحاً) أى واذكر نوحاً (اذ) أى حين
 (نادى) أى دعا الله تعالى على قومه بالهلاك بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً
 ونحوه من الدعاء (من قبل) أى من قبل لوط ومن تقدمه (فاسجيناً) أى أردنا الاجابة
 وأوجدناها بعظمنا (له) في ذلك النداء ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فتجيناه وأهلكه) أى الذين
 دام ثباتهم على الايمان وهم من كان معه في السفينة (من الكرب العظيم) أى من أذى قومه
 ومن الغرق والكرب الغم الشديد قاله السدي وقال أبو حيان الكرب أقصى الغم والاخذ
 بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه بأول احوال مأخذ الغريق (ونصرناه) أى منعناه (من القوم)
 أى المتصفين بالقوة (الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا اليه بسوء وقيل من يعنى على (أنهم
 كانوا قوم سوء) أى لا عمل لهم الا ما يسوء (فأغرقناهم أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق
 والانهمال في الشر لم ينجحوا في قوم الأوأهلكهم الله تعالى * القصة الخامسة قصة داود وسليمان
 عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (وداود وسليمان) ابنه أى اذكرهما واذكر

شأنهما (أذ) أى حين (يحكى في الحرث) الذى أنبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب
على المسبب كالسماء على المطر والنبت قال ابن عباس وأكثروا المفسرين كان ذلك كرما
قد نبت عنما قبله وقال قتادة كان زرعاً قال ابن الخازن وهو أشبهه بالعرف (أذفتت)
أى انتشرت لاسلا بغير راع (فيه غنم القوم) فرعته قال قتادة النفس فى الليل والعمل فى
النهار (وكأنكم هم) أى الحكيم والمحكمين اليهما (شاهد دين) أى كان ذلك بعلمنا
ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وقال القراء جمع الاثنين فقال لحكمهم ويريد داود وسليمان
لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله تعالى فإن كان له أخوة فلائمة السدس وهو يريد أخوين
قال ابن عباس وقتادة وذلك أن رجلين دخلا على داود وعليه السلام أحدهما صاحب حرث
والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع إن هذا انقلبت غنمه إملا فوقعت فى حرثى
فأفسدته فلم تبقى منه شيأ فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام
فقال كيف قضى بينهما فأخبراه فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة لو وليت أمرهما
لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا أرفق بالقرينين فأخبر بذلك داود فدعا فقال كيف
تقضى ويروى أنه قال بحق النبوة والابوة إلا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالقرينين قال ادفع
الغنم الى صاحب الحرث فينتفع بذرتها ونسلها ووصفها ويذكر صاحب الغنم لصاحب الحرث
مثل خرثه فإذا صار الحرث كهيمته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء
ما قضيت كما قال تعالى (فقهمنها) أى الحكومة (سليمان) أى علمناه القضية وألهمنا هاله
* (تنبيه) * يجوز أن تكون حكومتهم ما وصى إلا أن حكومتهم داود ونسخت بحكمته سليمان
ويجوز أن تكون باجتهاد إلا أن اجتهاد سليمان أشبه بالصواب (فان قيل) ما وجه كل واحدة
من الحكومتين (أجيب) بأن وجه حكومتهم داود أن الضرر وقع بالغنم فسلطت بجنائيتها الى
الجنى عليه كما قال أبو حنيفة فى العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند
الشافعى يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه
حكومتهم سليمان أنه جعل الاتقاع بالغنم بازاء ما فات من الاتقاع بالحرث من غير أن يزول ملك
المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
مثاله ما قال أصحاب الشافعى فبين غضب عبداً وأبق من يده أنه يضمن بالقيمة فينتفع بها
المغضوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر تراداً (فان قيل) لو وقعت
هذه الواقعة فى شر يعتنا ما حكمها (أجيب) بأن أباحنيفة وأصحابه لا يرون فيها ضماً
بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع الهيمة سائق أو قائلاً قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء
جباراً رأى هدر رواء الشيطان وغيرهما والشافعى وأصحابه يوجبون الضمان بالليل إذا المعتاد
ضابط الدواب لئلا يلا ذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته
فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل ولما كان ذلك
ربحاً وأهم شيئاً فى أمر داود نفاها بقوله تعالى (وكلا) أى منهم (آتيناهم) أى نبوة وعملا

مؤسسا على حكمة العلم (وعلماء) مؤيدا بصالح العمل وعن الحسن لولا هذه الآية لرأيت القضاة قد هلكوا ولكنه تعالى أثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعلى داود باجتهاده انتهى وهذا على الرأي الثاني وعليه أكثر المفسرين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر وهل كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد لا بعينه رأيان أظهرهما الثاني وإن كان مخالف المفهوم الآية أذلو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم في الحديث معنى وقوله صلى الله عليه وسلم وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والاثم في الخطأ عنه موضوع * (فائدة) * من أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحدىاهما فأتاه لصاحبتهما انما ذهب بابنك وقالت الأخرى انما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخر جئا على سليمان فأخبرناه فقال اتوني بالسكين أشقه بينكما فقامت الصغرى لا تفعل برحلك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ثم انه تعالى ذكر لداود وسليمان بعض معجزات فن بعض معجزات الأول ما ذكره بقوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال) مع صلابتها وعظمتها (بسجن) معه أي بقدس الله تعالى ولوشئنا لجعلنا الحارث والغنم تكلمه بصواب الحكم وقال ابن عباس كان يفهم تسبيح الخمر والشجر وقوله تعالى (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقال وهب كانت الجبال تتجاوبه بالتسبيح وكذا الطير وقال قتادة بسجن أي يصلين معه إذا صلى وقبل كان داود إذا قرأ يسبحه الله تعالى تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتماق إليه وقيل يسبح بلسان الحال وقيل يسبح من رآها تسبى معه بتفسير الله تعالى فلما جبلت على التسبيح وصفت به (وكافاعلين) أي من شأننا الفعل لامثال هذه الأفاعيل ولكل شيء نريده فلا تسكنوا علينا أمر أو أن كان عندكم عجا وقد اتفق نحو هذه الغر واحد من هذه الأمة كان مطرف ابن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه أنبيته وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان الطعام يسبح بحضرته والحصى وغيره (وعلمناه صنعة لبوس) أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قال قتادة أقول من صنع هذه الدروع وسردها واتخذها حلة داود وكانت من قبل صفائح وقد ألان الله تعالى لداود الحديد فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين قال البغوي وهو أي اللبوس في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها وهو بمعنى اللبوس كالحلوب والر كوب وقوله تعالى (لكم) متعلق بعلم أو صفة اللبوس وقوله تعالى (لتحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل اشتمال باعادة الجار ومراجع الضمير يختلف باختلاف القراءات فقر أشعبة بالنون فالضمير لله تعالى وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء على التأنيث فالضمير للصنعة أو اللبوس على تأويل الدرع وقرأ الباقر بالباء التحية فالضمير لداود أو اللبوس وقوله تعالى (فهل أنتم شاكرون) أي لنا على ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة أو التقريع ومن بعض معجزات

الثاني ما ذكره بقوله (ولسليمان) أي وسخر ناسليمان (الريح) قال البغوي وهو هو أي يتحرك وهو
 جسم لطيف يتبع بلطفه من القبض عليه ويظهر الحس بحركته والريح تذكروث (عاصفة)
 أي شديدة الهموب (فان قيل) قد قال تعالى في موضع آخر تجري بأمره رياح والرياء اللين
 (أجيب) بأنها كانت تحت أمره ان أراد أن تشد اشددت وان أراد أن تلين لانت وقيل كانت
 في نفسها رحية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعثت به في مدة يسيرة على ما قال تعالى
 غدوها شهر ورواحها شهر وقوله تعالى (تجري بأمره) أي بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأول
 أو حال من ضميرها (الى الارض التي باركنا فيها) أي الشام وذلك أنها كانت تجري بسليمان
 وأحياه الى حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان عليه
 السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام اليه الخلق والانس حتى يجلس على سريره
 وكان امرأ عزاء قما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض تلك الا ناه حتى يذله فكان
 اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بحشب ثم نصب له على الخشب ثم جل عليه الناس والدواب
 وآلة الحرب فاذا جل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتلمته
 حتى اذا استقلت به أمر الرياء فرت به شهرافي روحته وشهرافي غدوته الى حيث أراد وكانت تمر
 بعسكره الريح الرياء بالزرعة فما تحركها ولا تشترها ولا تؤذي طائرا وقال مقاتل نسجت
 الشياطين لسليمان بساطا فربحها في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط
 البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء عليهم السلام على
 كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتطله
 الطير بأجنحتهم حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصبح الى
 الرواح ومن الرواح الى الغروب وقال سعيد بن جبير كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي
 يجلس الانس مما يليه ثم تليهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت
 الخليل نبي الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخليل فأبذله الله مكانها خيرا منها
 وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها
 فيكون رواحها يابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن
 ألف بيت تركب معه فيه الخلق والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك الركن فاذا
 وارتفعت أتت الريح الرياء فسارت به وبهم يقبل عند قوم ينسبه وينسبهم شهر ولا يدري القوم
 الا وقد أظلمهم معه الجيوش (وكذا) أي أزلا وأبدا باحاطة العظمة (بكل شيء) أي من هذا
 وغيره من أمره وغيره (عالمين) ومن علمنا ان ذلك لا يزيدهم الا تواضعا وكما سخرنا الريح له سخرناها
 للنبي صلى الله عليه وسلم لما الى الاحزاب قال حذيفة رضي الله عنه حتى كانت تقذفهم بالجحارة
 ما تجاوز عسكرهم فهنزهم الله تعالى بها وردوا بغيطهم لما نالوا خيرا وأعطى صلى الله عليه
 وسلم أعمى ما أعطى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أعطى صلى الله عليه وسلم التصرف
 في العالم العلوي الذي جعل الله تعالى منه الفيض على العالم السفلي بالاحتراق لطباقة

بالاسراء تارة وبامسال المطر لما دعا سبع كسبع يوسف عليه السلام وبارساله أخرى كما في أحاديث
 كثيرة وأتى مع ذلك بمناجيات خرائن الارض كلها فردد هاصلي الله عليه وسلم (ومن) أي وسخرنا
 سليمان من (الشياطين) الذين هم أكثر شيء تمردا وعتوا (من يغوصون له) أي يدخلون في البحر
 فيخرجون منه الجواهر وغيرها من المنافع وذلك بأن أكثفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل
 الغوص في الماء معجزة في معجزة وقد خلق نبينا صلى الله عليه وسلم العفريت الذي جاءه بشهاب
 من نار وأسر جماعة من أصحابه رضي الله تعالى عنهم عفاريت أتوا إلى عمر الصدقة وأمكنهم
 الله تعالى منهم (ويعلمون عبادون ذلك) أي سوى الغوص كبناء المدن والقصور واختراع
 الصنائع الغربية كقوله تعالى بعده لولن له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية (وكذلك حافظين)
 أي حتى لا يخترجوا عن أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ماعملوا وكان من عادة
 الشياطين إذا عملوا عملا بالهار وفرغوا منه قبل الدليل أفسدوه وخربوه وفي القصة أن سليمان كان
 إذا بعث شيطانا مع إنسان لي عمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الدليل فاشغله بعمل آخر لئلا
 يفسد ما عمل ويخبر به * القصة السادسة قصة أيوب عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
 (وأيوب) أي وأذكر أيوب ويبدل منه (أذنادى ربه) قال وهب بن منبه كان أيوب عليه السلام
 رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن رزاح بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وكانت
 أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكانت له الثنية من
 أرض البلقاء من أعمال حوران من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف
 المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والبحير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة
 وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبدا امرأة وعبد وولد ومال ويحمل آلة كل
 فدان أتان لكل أتان من الولدان ثمان أو ثلاث أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد
 أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برًا اتقيا حينا بالمساكين يطعمهم ويكفل اليتام
 والارامل ويكرم الضيف ويلبغ ابن السبيل وكان شاكرًا لأنعم الله مؤديا لحق الله تعالى قد امتنع
 من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن
 أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدة قوه رجل من اليمن يقال له
 اليفن ورجلان من بلده يقال لهما بلدد والآخر صابر وكانوا كهولا وكان ابليس
 لا يحب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله تعالى عيسى عليه
 السلام فحبب من أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استرق
 السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى
 وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصد سريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال
 الهى نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو
 ابليس بنزع ما أعطته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ونخرج من طاعتك قال الله
 تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض ثم جع عفاريت

الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة
الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفریت من الشياطين أعطيت من القوة ماذا
سئت تحولت اعصارا من نار واحرق كل شيء أتى عليه قال له ابليس فأت الابل ورعاتها فأتى
الابل وقد وضعت رؤسها ورعت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى نارا من تحت الارض اعصار
من نار لا يدنو منها أحد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله
ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجه قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت
ابلك فأحرقتم او من فيها غديرى فقال أيوب الحمد لله الذي أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله
أعاريها وهو أولى بها اذا شاء تركها واذا شاء نزعها وقديما كنت وطنت نفسي ومالى على الفناء
قال ابليس فان الله ربك أرسل علينا نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مهوتين يتعجبون
منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيا وما كان أيوب الا في غرور ومنهم من يقول لو كان
اله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشتم به عدوه
ويفجع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي
وعريانا أعود في التراب وعريانا أنا حشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعطاك
الله وتجزع حين قبض الله على عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله تعالى فيك أيها العبد
خير النفل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرافا فخرجك فرجع
ابليس الى أصحابه خاصة ثم اذ لبلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفریت
عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذور روح الا خرجت روحه قال ابليس فأت
الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فقتلت أمواتا من عند آخرها وماتت رعاتها
ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه
أيوب مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب
أيوب فقال عفریت عندي من القوة ما اذا شئت تحولات ريحا عاصفا تنسف كل شيء أتى عليه
قال فأت الفسادين والحارث فانطلق حين شرع الفسادون في الحرث والزرع فلم يشعر واحتي
هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان
الحارث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل
ابليس يهلك أمواله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله
تعالى وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال
فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم يتنجس منه بشيء صعد سر يعا حتى وقف في الموقف الذي يقف
فيه وقال الهي ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فأت تعطيه المال فهل أنت مسلط على
ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده
فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى ندأى من
قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا ويرميهم بالخشب والحجارة حتى مثل بهم كل مثله

ورفع القصر فقلبه فصاروا منكبين وانطلق الى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماعه فأخبره وقال لورأيت بك كيف عذبوا وقلوبوا فكانوا منكبين على رؤسهم تسيل دماؤهم ولورأيت كيف شقت بطونهم فتنازرت امعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا وأنا نحو حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعهما على رأسه وقال ليت أتي لم تلدني فاعتنم ابليس ذلك فصعد سريراً بالذي كان من جزع أيوب سروراً به ثم يلبث أيوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناًؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله عز وجل وهو أعلم فوقف ابليس خاسئاً ذليلاً وقال الهى انما هو ن على أيوب المال والولد انه يرى انك ما تمتعه بنفسه فأنك تعبد له المال والولد فهل أنت مسلط على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلطه عليه الارجسة لا يوب ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري العالمين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فأنقض عدو الله سريراً فوجد أيوب في مهلة ساجداً فاجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفتح في منخره نفخة اشتعل منها سائر جسده فخرج من قرنه الى قدمه نابل مثل أليات الغم ووقعت فيه حكمة فحزن بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى بقل لحمه وتقطع وتغير وأتت وأخرجه أهل القرية وجعلوه على كاسة وجعلوا له عريشاً فرضه خلق الله كلهم غير امرأته وهي رجة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فكانت تحمف اليه بما يصلحه وتزوجه ولما رأى الثلاثة من أصحابه وهم البفن وبلدد وصابر ما ابتلاه الله تعالى به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوادينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولا موه وقالوا له تب الى الله تعالى من الذنب الذي عوقبت عليه قال وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم انكم تكلمتم أيها الكهول وانتم أحق بالكلام مني لاسمنا نكم ولكنكم تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجل من الذي أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من اتهمكم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا انه أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطالعكم الله على انه قد سخط شيئاً من أمره منذ ما آناه الله ما آناه الى يومكم هذا ولا انه نزع شيئاً منه من الكرامة التي أكرم بها ولان أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبت موه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاؤاً وإنما على سخطه عليهم ولا الهوا نه لهم ولكنها كرامة وخبرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه أخ أخيتوه على وجه الصحة لكان لا يجب مل بالحكيم أن يعذل أخاه عند

البلاء ولا يعز به بالصيبة ولا يعينه بما لا يعلم وهو مكر وب خزيرين وابكته رثية وبكى معه
ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على أرشداً مرة وليس بحكيم ولا ريث يذم من جهل هذا قاله
الله أي الكهول فقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع الاستكبر ويكسر قلوبكم
ألم تعلموا أن الله عباداً أشكبتهم خشية من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلاء
الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكر واعظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم
وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظام الله واجلاله فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا
الى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخطائين وانهم لا يبرأوا ومع
المتصيرين المفرطين وانهم لا يكاس أقوياء فقال أيوب ان الله سبحانه وتعالى يزرع الحكمة
بالرحمة في قلب الصغير والكبير فيثبت في القلب يظهرها الله تعالى على اللسان وليست
تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيماً
في الصب لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون عليه من الله تعالى نورا الكرامة ثم أعرض عنهم
أيوب عليه السلام يعني الثلاثة وقال أتيتوني غضاباً رهبت قبل أن تسبته رهبوا وبكيت قبل
أن تضربوا فكيف بي لو قلت تصدقوا على بأمور الحكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا قربانا لعل
الله أن يتقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتمكم أنفسكم وظننتم انكم عوضتم باحسانكم
ولو نظرت فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً قدسرتها الله تعالى بالعافية التي
ألسكم وقد كنتم فيما خلا توفرونني وأنا سموع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي
فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام وأنتم كنتم أسد على من مصيبي ثم أعرض عنهم أيوب
وأقبل على ربه مستعيناً به مستغفراً متضرعاً إليه فقال يا رب لا شيء خلقتني لبتني اذكره
لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي علمت فصرفت وجهك الكريم عني
لو كنت أمتسني فألحقني بأبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن لغريب داراً والمسلمين قراراً
ولليتيم وليلاً ولا لدملة قوماً الهى أنا عبدك أنا أحسنك الى فالمن لك وإن أسأت فيبدلك عقوبي
بجعلني البلاء غرضاً وللجنة نصيباً وقد وقع بي بلاء لوسلطته على جبل ضعف عن حمله فكيف
يحمله ضعفي فان قضاءه هو الذي أذاني وان سلطانك هو الذي أسقمي وأنحى جسمي ولو أن
ربي نزع الهيبة التي في صدرى وأطلق لساني حتى أتكم بل عني فأدلى بعذري وأتكم ببراءتي
وأحاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي وابكته ألقاني وتعالى عني فهو يراني
ولا أراه ويستغني ولا أسمعته فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنه أنه أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه
غداً ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول ها أنا قد نوت منك ولم أزل منك قريباً قم فأدل بعذر
وتكلم بحججك وأحاصم عن نفسك واشدد أزرلك وقم مقام جبار يخاصم جباراً ان استعطيت
فانه لا ينبغي أن يخاصمني الاجبار مثلي لقد مننتك نفسك يا أيوب أمر اماً بلغ مثله قوتك أين
أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي عند باطرافها هل أنت علمت بأى
مقدار قدرتها أم على أى شيء وضعت أركانها ابطاءك جعل الماء الارض أم بحكمته كانت

الارض للماء عظاماً أين كذب مني يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا
 يقلها داعم من تحتها هل تبلغ من حكمته أن تجرى نورهات وتسير نجومها أو يختلف بأمر ليلها
 ونهارها أين أنت مني يوم انبعث الانهار وسكرت البحار أبسط انك حبست أمواج البحار على
 حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حتى بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب
 ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع
 تطيق حملها أم هل تدري أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشئت
 السحاب أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار
 بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق
 الاسماع والابصار ومن دانت الملائكة للملكة وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في
 كلام كثير يدل على كمال قدرته ذكرها لا يوب فقال أيوب عليه الصلاة والسلام كل شأني وكل
 لساني وكل عقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض لي يا الهي قد علمت ان كل
 الذي ذكرت صنع يدك وتدير حكمته وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت علمت لا ينجز عنك شيء ولا
 تخفي عليك خافية أذلني البلاء يا الهي قد كملت فكان البلاء هو الذي أنطقني فليت الارض
 انشقت بي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي وليمتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما
 تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترجني كلمة زلت مني فلم أعد قد وضعت يدي
 على شيء وعضضت على لساني وأصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من
 جهد البلاء فأجرتني واستغثت بك من عقابك فأغنني واستعنت بك على أمرى فأعني وأتوكل
 عليك فأكفني واعتمض بك فأعصمني واستغفرك فأغفر لي فلن أعود بشي تكروه مني قال الله
 تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رجتي غضبي فقد غفرت لك فقال أيوب (إني) قد مسني
 الضر بسلطانك الشيطان على فني بدني وأهلي ومالي وقد طمع الآن في ديني وذلك انه زين
 لامرأة أيوب ان تأمره أن يذبح لصنم فانه يبرأ ثم يتوب فقطن لذلك وحلف ليضر بنهما ان
 برأ مانه جلدة وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين وروى عن أنس يرفعه أن أيوب
 لبث ثلاثين سنة وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحاً على
 كاسه لثني اسرائيل سبع سنين وشهر ايمتلفون في الدواء ولا يقر به أحد غير امرأته رجة
 صبرت معه تحمداً لله معه اذا جدد وأيوب مع ذلك لا يفتقر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه
 فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في
 العظم والجسم والجمال على مر كبليس من مرأكب الناس له عظم وبهاء وكما قال
 لها انت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتي قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا فقال لها ان الله
 الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك لانه أطاع الله السماء وتركتني فاعضبني ولو سجد لي
 سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان من مال وولد وأراها اياهم يبطن الوادي الذي
 لقيها فيه قال وهب وقد سمعت أنه انما قال لها لو أن صاحبك أكل طعماً ما ولم يسم عليه لعرفي مما
 به من البلاء وفي بعض الكتب أن ابليس قال لها اسجد لي سجدة حتى أرد عليك المال

والاولاد وأعافى زوجها فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد رأيتك عدو الله
لمفتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عاقبه لضر بها مائة جلدة وعند ذلك قال مسنى الضر من
طمع ابليس في سجود حرمي ودعائه اياها وياى الى الكفر (وأنت) أى والحال أنت (أرحم
الراجين) فافعل بي ما يفعل الرحمن بالضرور وهذا تعرض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما
يوجب الرحمة وذكر به بغاية الرحمة ولم يصرح فكان ذلك اللطف في السؤال فهو أجدر بالنوال
ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشيت جردان بيتي على
العصا فقال لها اللطف في السؤال لاجرم لاردنهما ثوب الفهود وملا بيتها حبا ثم ان الله
تعالى رحيم رحمة امرأه أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبرئ أيوب فأمره
أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربهم به ضربة واحدة كما قال تعالى في آية أخرى
وخذ يدك ضغثا فاضرب به ولا تحمت وروى أن ابليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وجلس
على طريق امرأه أيوب يداوى الناس فزرت به امرأه أيوب فقالت ان لي مريضا أقتداويه قال
نعم ولا يريد شيئا الآن يقول اذا شفيت أنت شفيتني فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد
خدعك وحلف ان يشفا الله تعالى ليضربها مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأه أيوب
تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء ستمها الناس فلا يسه عملها أحد فالتست له يوما
من الايام ما تطعمه فما وجدت شيئا فجرت قرنان من رأسها فباعته برغيف فأنتبه فقال لها أين
قرنك فأخبرته فحينئذ قال مسنى الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه ولسانه
نخشي أن يمتنع عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى
ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فخافا اليه ولم يبق الا عيناه
ورأيا امرأته اعظيما فقالوا لو كان عند الله لك منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما
فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها وجعلت اليه طعاما والثالث قول ابليس اني أدأويه على أن
يقول أنت شفيتني وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأته زنت فقطعت ذوابها فحينئذ عيل
صبره وحلف ليضربها مائة جلدة وقيل معناه مسنى الضر من شمانة الاعداء وقيل قال ذلك
حين وقعت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال كلى جعلني الله تعالى طعامك فعضته
عضة زاد ألمها على جميع ما قامى من عض الديدان (فان قيل) ان الله تعالى سماه صابرا وقد
أظهر الشكوى والجزع بقوله اني مسنى الضر ومسنى الشيطان بنصب (أجيب) بأن هذا
ليس بشكاية انما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجيبنا له) والجزع انما هو الشكوى الى الخلق
وأما الشكوى الى الله تعالى فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب عليه السلام انما أشكو
بشي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله
تعالى لا يكون ذلك جزعاً كما روى أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كيف تجدك قال أجدن مغمو ما أجدن مكر وبأ وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي
الله تعالى عنها حين قالت وأرأساه بل أنا وأرأساه وروى ان امرأه أيوب قالت له يوما ودعوت

الله فقال لها كم كانت مدة الرحا نقالت عاين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت
 مدة بلائي مدة رخائي ثم تسبب عن الاجابة قوله تعالى (فكشفتها) أي بما لنا من العظيمة (مابه
 من ضرر) بأن أمرناه أن يركض برجله فتنسج له عين من ماء كما قال تعالى ان ركض برجلك هذا
 يغتسل بارد وشراب فركض برجله فانفجرت له عين ماء فدخل فيها فغسل فأذهب الله تعالى كل
 ما كان به من البلاء بظاهرة ثم منى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الارض مرة أخرى
 ففعل فنبع عين ماء يارد فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان يسلطه فصار كصالح ما يكون من
 الرجال وأجلهم فأقبلت امرأته تلقسه في مضجعه فلم تجدته فقامت كالوالهة ثم جاءت اليه وهي
 لا تعرفه فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا قال نعم ومالي لأعرفه قبسهم
 وقال أنا هو فرفقه بضمكه فاعسقتة قال ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقه من
 عناقه حتى ردله ما كل ما كان لهم ما كما قال تعالى (وأتيناها أهله) أي أولاده المذكور والاث بأن
 أجوا له وكل من الصنفين ثلاث أوسم (ومثلهم معهم) أي من زوجته رجة وزيد في شباهها هذا
 ما دل عليه أكثر المفسرين وقيل آتاه الله تعالى المنزل من نسل ماله وولده الذي ردة اليه أي فولد
 له من ولده نوافل وقال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وروى النجاشي عن ابن عباس ردة
 الي امرأته شباهها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقال قوم آتى الله تعالى أيوب في الدنيا مثل
 أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وقال عكرمة قيل لا يوب أن
 أهلك لك في الآخرة وان شئت يحلها هم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وأتيناك
 مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية
 وأتيناها أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وروى عن أنس يرفعه كان لا يوب أندران
 أندر للقمح وأندر للشعر فبعث الله تعالى بهما بنين فأفرغت أحدهما على أندر للقمح الذهب
 وأفرغت الأخرى على أندر الشعر الورق حتى فاض وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكا
 فقال ان ربك يقرئك السلام بصرك فأخرج الى أندرك فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب
 قيل انه لما اغتسل وخرج الدود منه جعل الله تعالى له أجنحة فطارت فجعلها الله تعالى جرادا
 من ذهب وأبطرت عليه فطارت واجدة فاتبعها وردتها الى أندره فقال له الملك اما يكفيك ما في
 أندرك فقال هذا بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا آخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحني
 في ثوبه فناده ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقوله
 تعالى (رجة) مفعول له أي نعمة عظيمة وخمها بقوله تعالى (من عندنا) بحيث لا يشك من ينظر
 ذلك انما ما فعلناه الارجة مناله وان غيرنا لا يقدر على ذلك (وذكري) أي عظة عظيمة (للعابدين)
 أي كلهم ليسوا به فيصبروا اذا ابتلوا ولا يظنوا أن ذلك انما يرسل بهم لهواخهم ويشكروا فإتيناها
 كأثيب وقيل لرجينا العابدين فاناد كرههم بالاحسان ولا نيباهم القصص السابعة قصة
 اسمعيل وادريس وذى الكفل المذكور في قوله تعالى (واسمعيل) أي واذا كرا اسمعيل بن

ابراهيم عليهم السلام الذي حفر ناله من الماء بواسطة الروح الامين ما عاش به صغيرا بعد
 ما كان هالكا لا محالة ثم جعلناه طعام طعم وشفاء سقم داعما وصناه وهو كبير من الذبح حين رأى
 أبوه في المنام أنه يذبحه ورؤيا الانبياء وحى وقد يناله بذي عظيم (و) اذكر (ادريس) أى ابن شيث
 ابن آدم عليهم السلام الذي أحييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا وهو أقول نبي بعث من نبي آدم
 عليه السلام وتقدمت قصته في سورة هجر (و) اذكر (ذا الكفل) سمي بذلك قال عطاء لان
 نبيا من أنبياء بني اسرائيل أوحى الله تعالى اليه اني أريد أن أقبض روحك فاعرض ملكك
 على بني اسرائيل فمن تكفل لك أن يصلي بالليل لا يقتر ويصوم بالنهار لا يقتر ويقضى بين الناس
 ولا يعضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا أتكفل لك به فذا فتكفل ووفى به
 فشكر الله له وبناه فسبح ذاك الكفل وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت رجلا من
 الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يقبل مني ثلاثا
 أنستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يعضب فقام رجل فقال أنا فاستخلفه فأنام بليس في
 صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومه فصدق الباب
 فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم
 ظلموني وفعلوا ما فعلوا وجعل يطول حتى ذهب القائلة فقال اذا رحبت فأتني فاني آخذ حقك
 فانطلق وزاح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان الغد جعل
 يقضى بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أنام فصدق الباب فقال من
 أنت فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم أخبث قوم اذا
 عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا اقتجددوني قال فانطلق فاذا جلست فأتني وفاته
 القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه العباس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض
 اهله لا تدعوا هذا الرجل يقرب من هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على العباس فلما كانت تلك
 الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياءه نظر في أى قوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت
 يدق عليه الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمر لك قال أيا من قبلى فلم توت فانظر من
 أين أنت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا بالرجل معه في البيت فقال أتناهم والخصوم
 يبابك فقال أعود والله قال نعم أعيتني ففعلت ما ترى لا غضبك ففعلك الله تعالى فسمي ذا الكفل
 لانه تكفل بأمر قومي به وقيل ان ابليس جاء وقال ان لي غريما ينظني فأجب أن تقوم معي
 وتستوفى حتى منته فانطلق معه حتى اذا كان في البوق خلاه وذهب وروى أنه اعتذر اليه
 وقال صاحبي هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه
 الله تعالى فوفى به واجتمعا وافي أنه هل كان نبيا فقال الحسن كان نبيا وعن ابن عباس أنه الياس
 وقيل هو زكريا وقيل هو يوشع بن نون وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا ونبيا
 قرن الله تعالى بين هؤلاء الثلاثة استأنف مدحهم بقوله تعالى (كل) أى كل واحد منهم (من)
 (الضابر بن) على ما تليناه به فآتيناهم ثواب الصابر بن (وأدخلناهم في رحمنا) أى فعلنا بهم

من الاحسان ما ينعله الراحم عن روجه على وجه عثمهم من جميع جهاتهم فكان ظرفاهم ثم
 علل ذلك بقوله تعالى (انهم من الصالحين) أى لكل ما يرضاه تعالى منهم يعنى أنهم جبلوا بحبه
 خير فعملوا على مقتضى ذلك فكانوا من الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء لان صلاحهم
 معصوم عن كدر الفساد القصة الثامنة قصة يونس عليه الصلاة والسلام المذكورة فى قوله
 تعالى (وذا النون) أى واذكر صاحب الخوف وهو يونس بن متى ويبدل منه (اذذهب مغاضبا)
 واختلفوا فى معنى ذلك فقال الضحاك مغاضبا لقومه وعوروا به العوفى وغيره عن ابن عباس
 قال كان قوم يونس يسكنون فلسطين فغزاها ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفوا ببقى سبطان
 ونصف فأوحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام أن سر الى حزقيل الملك وقل له بوجه نبي
 قويا الى هؤلاء فأتى فى قلوبهم الرعب حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فن ترى
 وكان فى ملكة خمسة أنبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج
 فقال يونس هل أمر الله بأخراجه قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا أنبياء غيرى أقوياء
 فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأتى بحور الروم فركبه وقال عروة بن
 الزبير وسعيد بن جبيرة وجاعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عن قومه العذاب بعد
 ما وعدهم به وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيوا منهم ولم يعلم
 السبب الذى رفع به العذاب عنهم وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وان يسمى كذابا
 لا كراهية الحكم لله تعالى وفى بعض الاخبار انه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جرب عليه
 الكذب فخشى أن يقتلوا لما لم يأثمهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التى
 تكون من واحد كالمنافرة والمعاقبة فعنى قوله مغاضبا أى غضبانا وقال الحسن انما غضب
 ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره لينذهب
 فقيل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأله أن ينظره الى أن يأخذ نعلها فلبسها فلم ينظره وكان فى
 خلقه ضيق فذهب مغاضبا . وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى
 فأندرهم قال التمس دابة قال الامر أجعل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب أن
 يونس كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما أجل عليه أثقال النبوة ففسخ تحتها ففسخ الربيع
 تحت الحمل الثقيل ففقدوها بين يديه وخرج هاربا فلذلك أخرجه الله تعالى من أولى العزم فقال
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبرا ولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الخوف
 اذ نادى وهو مكظوم (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نقضى عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقسادة
 والضحاك وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نقضى عليه الحبس من قوله تعالى الله
 بسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر . وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضرتنى
 أمواج القرآن البارحة فغرت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرر أخذه
 الآية فقال أويظن نبي الله أن لن يقدر عليه قال هذا من القدر الذى معناه الضيق لامن
 القدرة وقال ابن زيد هو استقهم معناه أظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه (فنادى) أى فاقضت

بحكمته ان عاتبناه حتى يستسلم فألقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فكث فيه أربعين من بين يوم
 وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تحوم
 الأرض السابعة ومنعناه أن يكون له طعاما فنادى (في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
 بطن الحوت وقيل في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم
 وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فجعل
 في ظمطي بطن الحوتين وظلمة البحر (أن لا اله الا أنت) ولما نزهه عن الشريك عم فقال تعالى
 (سبحانك) أي تنزهت عن كل نقص فلا يقدر على الانجاء مما أنافيه الا أنت ثم أفصح بطلب
 الخلاص بقوله ناسب الى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله (اني كنت من الظالمين) أي
 في خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي سيرة القادرين روى عن أبي هريرة
 مرفوعا أوحى الله تعالى الى الحوت ان خذ ولا تتخذش له لجارا لا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى
 به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى
 الله تعالى اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه
 فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال
 ذلك عبد يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه
 في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشنعوا فيه عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما
 قال تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله تعالى (فاستجيبنا له) أي أجبناه (ونحييناه من الغم)
 أي من تلك الظلمات تلك الكلمات (وكذلك) أي وكما نحييناه (نفي المؤمنين) من كربهم إذا
 استغاثوا ابتداء عين قال الرازي في اللوامع وشرط كل من يلجئ الى الله أن يبدأ بالتوحيد ثم بعده
 بالتسبيح والثناء ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار وهذا شرط كل داع اه وعن النبي صلى
 الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو به هذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله
 الا اقرارده على نفسه بالظلم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم على
 أن أصله نفي فحذفت النون الثانية كما حذفت الاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء
 فحذفها أو وقع من حذف حرف المضارعة الذي لمعنى وقيل هو ما مضى مجهول أسند الى ضمير
 المصدر وهو النجاء وقرأ الباقون بنونين الثانية مخففة عند الجيم * (تنبيه) * اختلفوا في متى
 كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام فروى سعيده بن جبيرة عن ابن عباس كانت بعد أن
 أخرجه الله تعالى من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في سورة الصافات فنبذناه بالعراء ثم ذكر
 بعده وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى
 وان يونس لمن المرسلين اذ أتى الى القطار المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت
 وهو لم يفلو لأنه كان من المسبحين للبت في بطنه الى يوم يعنون * القصة التاسعة قصة زكريا
 عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (وذكر يا) أي واذا ذكر يا ويبدل منه (اذنادي
 ربه) نداء الحبيب القريب فقال (رب) باسقاط أذا البعد (لا تذرني فردا) أي وحيدا من غير

واذكر يرث ما آتيتني من الحكمة (وَأَنْتَ) أَيُّ وَالْحَالِ أَمْكُ (خَيْرَ الْوَارِثِينَ) أَيُّ الْبَاقِي بَعْدَ
 فَنَاءِ خَلْقِكَ وَكَثِيرًا مَا تَنْجِ ارْتِ بَعْضَ عِبِيدِكَ عِبِيدًا آخَرِينَ فَأَنْتَ الْحَقِيقُ بِأَنْ تَفْعَلَ فِي ارْتِ
 مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مَا أَحْبَبْتَ بَنِي وَلِدَاتِنِ عَلَى بَنِيهِ (فَأَسْجِنَاهُ) بِعَظَمَتَاوَانٍ كَانَتْ فِي حُذْمٍ مِنَ
 السِّنِّ لِأَحْرَالِهِ مَعَهُ وَزَوْجِهِ فِي خَالٍ مِنَ الْعَقْمِ لَا يَرِجِي مَعَهُ حَبْلَهَا فَكَيْفَ وَقَدْ جَاوَزَتْ
 سِنَ الْيَأْسِ وَإِذْ لَكَ عِبْرَتَانِ عَلَى الْعَظْمَةِ فَقَالَ تَعَالَى (وَوَهَبْنَا لَهُ نَحْيِي) وَلِذَا وَارِثَانِيَا أَحْكَمِيَا
 عَظِيمَا (وَأَصْلَحْنَاهُ) خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ (زَوْجِهِ) أَيُّ جَعَلْنَاهَا صَالِحَةً لِكُلِّ
 خَيْرٍ خَالِصَةٍ لَهُ فَأَصْلَحْنَاهَا لِلْوِلَادَةِ بَعْدَ عَقْمِهَا وَأَصْلَحْنَاهَا لِكُرْبَانِهَا كَانَتْ سَرِيعَةً الْغَضَبِ سَيِّئَةً
 الْخَلْقِ فَأَصْلَحْنَاهَا لَهُ وَرَزَقْنَاهَا حَسَنَ الْخَلْقِ (أَنْهَسَم) أَيُّ الْإِنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ
 وَقِيلَ زَكَرِيَّا وَزَوْجُهُ وَيَسْحِي (كَانُوا) أَيُّ جَبَلَهُ وَطَبْعَاهُ (يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) أَيُّ الطَّاعَاتِ
 يَسَالِعُونَ فِي الْإِسْرَاعِ بِهَا مَبَالِغَةً مِنْ يَسَابِقِ آخِرٍ وَدَلَّ عَلَى عَظِيمِ أَقْعَا أَلَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَذْغُونَنَا)
 مَسْتَحْضِرِينَ بِالْإِلَاحَاتِ وَأَعْظَمْنَا وَكَلَمَانَا (رَغْبَا) أَيُّ طَمَعَا فِي رَجْسَانَا (وَرَهْبَا) أَيُّ خَوْفَانَا مِنْ عَذَابِنَا
 (وَكَلَمَانَا) أَيُّ جَبَلَهُ وَطَبْعَاهُ (لَنَا) خَاصَّةً (خَاشِعِينَ) أَيُّ خَاطِفِينَ خَوْفَا عَظِيمَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْخُضُوعِ
 وَالْإِنْسِكَارِ قَالَ مَجَاعِدُ الْخُشُوعِ عَوَالِجُ الْخَوْفِ الْإِلَازِمِ لِلْقَلْبِ وَقِيلَ مَتَوَاضِعِينَ وَسَمَّلَ
 الْإِعْمَاشَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ أَمَا إِنِّي سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ أَلَا تَذْكُرُ قُلْتُ أَقْدَنِي قَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ
 إِذَا أَرَى سِتْرَهُ عَلَيْهِ وَأَعْلَقَ بِأَبِيهِ فَلْيَرِ اللَّهُ مِنْهُ خَيْرَ الْعَلَكِ تَرَى أَنَّهُ يَا كُلَّ خَشْنَانٍ وَبَلَسْ خَشْنَانًا
 وَيَطَاطَى رَأْسَهُ * الْقِصَّةُ الْعَاشِرَةُ قِصَّةُ مَرْيَمَ وَاسْمُهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
 (وَالَّتِي) أَيُّ وَادَّكَرَ مَرْيَمَ الَّتِي (أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا) أَيُّ حَفَظْتَهُ مِنَ الْحِلَالِ وَالْحَرَامِ حَفَظًا يَحْقُوقُهُ
 أَنْ يَذْكَرَ وَيَتَحَدَّثَ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهَا وَلَمْ يَسْجُنْ بِشَرِّهِمْ أَلْبَغْيَا لِأَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ فِي الْعَقَةِ
 وَالصَّبَاطَةِ وَالتَّخَلِّيِ عَنِ الْمَلَاذِي إِلَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ مَعَ مَا جُمِعَتْ مَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْإِمَانَةِ
 وَالْإِحْتِمَادِ فِي مَتَانَةِ الدِّينِ وَالصَّحِيحِ أَنَّهُ أَلَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ (فَتَقْبَضْنَاهُمَا مِنْ رَوْحِنَا) أَيُّ أَمْرٍ تَاجِرِيْلٍ
 حَتَّى نَفْخَ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا فَأَحْدَثْنَا بِذَلِكَ الْفُتُوحَ الْمَسِيحِ فِي بَطْنِهَا وَأَضَافَ الرُّوحَ إِلَيْهِ تَعَالَى
 تَشْرِيفًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ اللَّهُ وَنَاقَةَ اللَّهِ * ثُمَّ بَيْنَ تَعَالَى مَا خُضَّ مَرْيَمَ وَعِيسَى مِنْ
 الْآيَاتِ فَقَالَ تَعَالَى (وَجَعَلْنَاهَا وَاسْتَهَا) أَيُّ قَصَّةً مَا أَوْحَاهُمَا وَإِذْ لَكَ وَحْدُ قَوْلُهُ (آيَةُ لِلْعَالَمِينَ)
 مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَأَنْ مَنْ تَأْتِلُ حَالَهُمَا يَحْقُقُ كَمَالُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى (فَإِنْ قِيلَ) خَلَا
 قَالَ تَعَالَى آيَتَيْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ (أَجِيبْ) بِمَا تَقْدَمُ وَبِأَنَّ الْآيَةَ كَانَتْ
 فِيهِمَا وَاحِدَةً وَهِيَ أَنَّهَا أَقْبَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَلْقٍ وَهِيَ آخَرُ الْقِصَصِ * وَلِمَادِلَ مَا مَضَى مِنْ قِصَصِ
 هَؤُلَاءِ الْإِنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّينِ قَالَ تَعَالَى
 (إِنَّ هَذِهِ) أَيُّ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ (أَمْسَكُوا) أَيُّ دِينِكُمْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ أَيُّ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَظِيمَا خَالِ
 كُونُوا (آيَةً) قَالَ الْبَغَوِيُّ وَأَصْلُ الْأُمَّةِ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تُعَيَّنُ عَلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ أَوْ تُجْعَلُ الشَّرِيعَةُ
 أُمَّةً لِاجْتِمَاعِ أَهْلِهَا عَلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَوْحَى كَدَسْجَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاحِدَةً)
 فَأَبْطَلَ مَا سِوَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَدْيَانِ (وَأَنَارَكُمْ) أَيُّ الْحَسَنَ الْيَكْمَ لَا غَيْرِي فِي كُلِّ زَمَانٍ فَإِنِّي

لا تغير على طول الدهر ولا يشغلني شأن عن شأن (فأعبدون) دون غري فانه لا كف الى * ثم ان بعضهم خالف الامر بالاجتماع كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وتقطعوا) أي بعض المخاطبين (أمرهم بينهم) أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال الكلبي فرقوا دينهم بينهم يلحن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض * (تنبيه) * الاصل وتقطعتم الا أن الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه الى آخرين ويقبح عليهم فعلهم عندهم ويقول لهم ألا تزون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما يتوزع الجماعة الشيء ويقسمونه بينهم فيصير لهذا نصيب ولذا النصيب تشيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزاباً شتى ثم توعدهم بقوله تعالى (كل) أي من هذه الفرق وان بالغ في التردد (الينا) يوم القيامة (راجعون) فتحكمكم بينهم فينسب عن ذلك أن أنجحازهم إقامة للعدل فنعطى كلام من الحق التابع لاصفيا شأوا المبطل المائل الى الشياطين أعداء ما يستحقه وذلك هو معنى قوله تعالى فارقابن المحسن والمسي * تحققة للعدل وتشويقا الى الفضل (فن يعمل) أي منهم الا أن (من الصالحات وهو) أي والحال أنه (مؤمن) أي يأتي بعمله على الاساس الصحيح (فلا كفران) أي لا جود (لسعيه) بل يشكر ويشاب عليه * (تنبيه) * قوله تعالى فلا كفران نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا تكفر سعيه (واناله) أي لسعيه (كاتبون) أي مثبتون في صحيفة عمله وما أشتناه فهو غير ضائع فلا يفقد منه شيأ قل أو جل ومن المعلوم أن قسمه وهو من يعمل من السيئات وهو كافر فلا نقيم له وزنا ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو تحت مشيئتنا قال البقاعي ولعله حذف هذين القسمين ترغيبا في الايمان * ولما كان هذا غير صريح في أن هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله تعالى (وسرام) أي ممنوع (على قرية) أي أهلها (أهلكاها) أي بالموت (أنهم لا يرجعون) أي الينا بأن يذهبوا تحت التراب بالظلمة غير احباس بل الينا بموتهم رجعون فحسبناهم في البرزخ منعين أو معذبين نعيماً أو عذاباً دون النعيم والعذاب الا كبير * (تنبيه) * ما قدرناه في الآية هو ما جرى عليه البقاعي والذي قدره الرخصي أن معنى أهلكاها عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة فتكون لامزيدة والذي قدره الجلال المحلى أن لازائدة أي يتسرع رجوعهم الى الدنيا فيكون الاهلاك بالموت وهذا قريب مما قاله ابن عباس فانه قال وحرام على قرية أهلكاها أن يرجعوا بعد الهلاك فجعل لازائدة قال البغوي وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا يكون لآبائنا ومعناه واجب على أهل قرية أهلكاها أي حكمناهم لا كهم أن لا تقبل أعمالهم لانهم لا يرجعون أي لا يتوبون والدليل على هذا المعنى انه تعالى قال في الآية التي قبلها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي يتقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله انتهى والذي قدره البضاوي قريب مما قدره الرخصي وكل هذه التقادير صحيحة لكن الاول أظهر وقرأ شعبة وحزة والكسائي بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعد الراء

قال البغوي وهم الغتان مثل حل وحلال وقوله تعالى (حتى اذا فتحت يا جوج وما جوج)
متعلق كما قال الزمخشري مجرام وحتى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة
وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام أى فهي الابتداءية لا الجارية ولا العاطقة والمحكى هو الجملة
الشرطية وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء والباقون بالتخفيف ويا جوج وما جوج
اسمان أعجميان اسم لقبيلتين من جنس الانس ويقدر قبله مضاف أى سدهما وذلك قريب
الساعة يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يا جوج وما جوج وقرأهما عاصم بهمزة ساكنة
والباقون بالالف ثم عبر عن كثرتهم التي لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى بقوله تعالى (وهم) أى
والحال أنهم (من كل حذب) أى نشزعال من الارض (ينسلون) أى يسرعون من النسلان
وهو تقارب الخطامع السرعة كشي الذئب وفي العبارة ايما الى أن الأرض كرة وقيل الضمير
راجع الى الناس المسوقين الى المحشر روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى
الله عليه وسلم علينا ونحن ننذاكر الساعة فقال صلى الله عليه وسلم ما ننذاكرون قلنا ننذاكر
الساعة قال انهم ان تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والداية
ويطلع الشمس من مغربها ونزل عيسى بن مريم عليه السلام ويا جوج وما جوج وثلاثة
خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من بين
نظر الناس الى محشرهم (واقرب الوعد الحق) أى يوم القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اتقى
فلو ابعد خروج يا جوج وما جوج لم يركبه حتى تقوم الساعة (فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا) قال الكلبي شخضت ابصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم * (نبيهه) *
فاذا هي اذا لفت فجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا
جاءت الفاء معها تعاوت اعلى وصل الجزاء بالشرط فيكاد ولو قيل اذا هي شاخصة أو فهي
شاخصة كان سديدا قال سيبويه والضمير للقصة بمعنى فاذا القصة شاخصة يعنى القصة أن ابصار
الذين كفروا تنخص عند ذلك وقال الزمخشري هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كإفسر
الذين ظلموا وأسر والنجوى وقولهم (يا ويلنا) أى هلا كامة متعلق بمعدوف تقديره يقولون
يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا وباللتنبيه (قد كنا) أى في الدنيا (في غفلة من
هذا) أى اليوم حيث كذبنا وقلنا انه غير كائن ثم أضربوا عن الغفلة فقالوا (بل كأظالمين)
أنفسنا بعد عدم اعتقاده واضعين الشيء في غير موضعه حيث أعرضنا عن تأمل دلائله والنظر
في محاليله وكذبنا الرسل وعبدنا الاوثان وقوله تعالى (أنشكم) خطاب لاهل مكة وأكده
لأنكارهم مضمون الخبر (وماتعدون من دون الله) أى غيره من الاوثان (حصب جهنم) أى
وقودها وهو ما يرمى به اليها وتهيج به حن حصبه يحصبه اذا رماه بالحصب والحصب في لغة أهل
العين الحطب وقال عكرمة هو الحطب بالحشيشة قال الضمالي يعنى يرمون بهم في النار كما يرمى
بالحصب وقوله تعالى (أنتم لها واردون) أى داخلون استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام
معوضة من على للاختصاص والبالالة على ان ورودهم لا يحلها (لو كان هؤلاء) أى الاوثان

(آلهة) أي كما زعم (ماوردوها) أي ما دخل الاوثان وعابدها النار وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبدا لالهزة الثانية يا مخلص في الوصل بعد تحقيق الاولى والباقيون بتحقيقهما (وكل) أي من العابدین والمعبودین (فيها) أي في جهنم (خالدون) لا انفك الله عنهم عنها بل يحمي بكل منهم فيها على الآخر (فان قيل) لم قرأوا بأكثرهم (أجيب) بأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العذوقاب من العذاب لانهم قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويتفقون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أبغض اليهم منهم (فان قيل) اذا عذبت بما تعبدون الاوثان فما معنى قوله تعالى (لهم فيها زفير) أي تنفس عظيم على غاية من الشدة والمدتكاد تخرج معه النفس (أجيب) بأنهم اذا كانوا هم وأوثانهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزفيرون الا هم دون الاوثان للتغليب ولعدم الالباس (وهم فيها لا يسمعون) شيئاً أشد غلبتها وقال ابن مسعود في هذه الآية اذ ابني في النار من يخلف فيها جاعلوا في نوايت من نار ثم جعلت تلك التوايت في نوايت أخرى عليها ماسمير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم ان أحدًا يعذب في النار غيره وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ومسانيد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثمانمائة وستون صنما فحس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذه ثم تلا عليهم انكم وماتعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبير السلمي فرأهم يتهايمون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدت له خصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمته ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزير والنصارى عبدوا المسيح ومنهم عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى (ان الذين سبقتم لهم من الحسن) أي الحكم بالوعدة البالغة في الحسن في الازل ومنهم من ذكر سواء أضل بأحد منهم الكفار فاطره أم لا (أو ولك) أي العالو الرتبة (عنها) أي جهنم (مبعدون) برحمة الله تعالى لانهم أحسنوا في العبادة واتقوا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وفي رواية عن ابن عباس ان ابن الزبير لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكنت ولم يجب فضحك القوم فنزل قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون وقالوا أألهتنا خيرا أم هو ما ضربوه لك الاجد لا بل هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة ان الذين سبقتم لهم من الحسن الآية وقد أسلم ابن الزبير بعد ذلك رضى الله تعالى عنه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وادعى جماعة أن المراد من الآية الاصنام لان الله تعالى قال وماتعبدون من دون الله ولو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون يروى ان عليا رضى الله تعالى عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطهحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر داءه وهو يقول (لا يسمعون حسيها) أي حركتها البالغة وصوتها الشديد فكيف

بعبادته لأن الجنس مطلق الصوت أو الصوت الخفي كما قاله البغوي فاذا زادت حروفه زاد معناه
 فذكر ذلك بدلا من مبعدون أو حال من ضمير المبالغة في اعبادهم عنها (وهم) أي الذين
 سبقت لهم من الحسن (في ما استنتجت أنفسهم) في الجنة كما قال تعالى وفيها ما تشتهي
 الانفس وتلد الاعين والشهوة طلب النفس اللذة (خالدون) أي دائما أبدا في غاية التمتع وتقديم
 الطرف للاختصاص والاهتمام به * (فائدة) * في هناء مقطوعة من ما ولما كان معنى ذلك أن
 سرورهم ليس له زوال أكد بقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قال الحسن هو حين
 يؤمر بالعباد إلى النار وقال ابن عباس هو النفخة الأخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور
 ففزع من في السموات ومن في الأرض وقال ابن جريج هو حين يذبح الموت ويشادى بأهل
 النار خلود بلا موت وقال سعيد بن جبيرة هو أن تنطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله تعالى منها
 من يريد أن يخرج (وتلقاهم) أي تستقبلهم (الملائكة) قال البغوي على أبواب الجنة يهنئونهم
 وقال الجلال المحلى عند خروجهم من القبور ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم
 (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم به في الدنيا فابشروا
 فيه بجميع ما يسركم * ولما كانت هذه الأفعال على غاية من الأحوال تشوق بها النفس إلى
 معرفة اليوم الذي تكون فيه قال تعالى (يوم) أي تكون هذه الأشياء يوم (تطوى السماء)
 طيا فتكون كأنهم لم تكن ثم مورطها بما يعرفونه فقال مشبها للمصدر الذي دل عليه الفعل
 (كطى السجل) واختلف في السجل فقال بعضهم هو الكاتب الذي له العلق والقدرة على
 مكتوبه (للكتاب) أي القراطس الذي يكتبه ويرسله إلى أحد وقال السدي هو ملك يكتب أعمال
 العباد وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذه الأقوال اسم للصيغة
 المكتوب فيها وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون السجل الصيغة والمعنى كطى الصيغة
 على مكتوبها والطنى هو الدرج وهو ضد النشر وإنما وقع هذا الاختلاف لأن السجل يطلق
 على الكتاب وعلى الكاتب فله في القاموس وقرأ حفص وحزرة والكسائي بضم الكاف والتاء
 على الجمع والباقيون بكسر الكاف وفتح التاء وبين الكاف والتاء ألف على الأفراد فقرأه
 الأفراد لقلب اللفظ السماء والجمع للدلالة على أن المراد الجنس لجميع السموات تطوى روى عن
 ابن عباس أنه قال يطوى الله تعالى السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها
 من الخليقة بطوى ذلك كله بيمينه أي بقدرته حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة وروى عن ابن عباس
 أنه قال قام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظته فقال أيها الناس انكم محشورون إلى
 الله حفاة عراة غرلا أي غير محتونين (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم
 عراة غرلا غير محتونين نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جئتمونا فردى كما خلقناكم
 أول مرة (وعدا) وأكد ذلك بقوله تعالى (علينا) وزاده بقوله تعالى (أنا كذا) أي أزلنا وأبدأنا على
 حالة لا تحول (فاعلين) أي شائنا أن نفعل ما نريد لا كلفة علينا في شيء من ذلك ثم إنه تعالى حقق
 ذلك بقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبيرة ومجاهد الزبور جميع

كتب الله تعالى المنزلة والذكر أم الكتاب الذي عنده ومعناه من بعدما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحك الزبور والتوراة والذكر التكتب المنزلة من بعدما التوراة وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور كتاب داود وعليه السلام والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أي قبله وقرأ جزء بضم الزاي والباقون بفتحها (أن الارض) أي ارض الجنة (يرثها عبادي) وحقق ذلك ما أفادته اضافتهم اليه بقوله تعالى (الصالحون) أي المحققون باخلاق أهل الذكر المقبولون على ربهم الموحدون له المشفقون من الساعة الراهبون من سطوته الراغبون في رجمته الخاشعون له فهذا عام في كل صالح وقال مجاهد يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء وقال ابن عباس أراد أن أراضى الكفار بفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى بإظهار الدين وأزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة وقيل أراد بجنس الارض الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها ولا أرض المحشر والجنة وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى وبحر على هذا البقاع في تفسيره وقرأ جزء بسكون الباء والباقون بفتحها (أن في هذا) أي القرآن كما قاله البغوي (لبلاغاً) أي وصولاً الى البغية فإن من اتبع القرآن وعمل به وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل بلاغاً أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغه أي كفاية والقرآن زاد الجنة كبرلاغ المسافر وقال الرازي هذا الإشارة الى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة (لقوم عابدين) أي عاملين به وقال ابن عباس عالمين قال الرازي والاولى أنهم الجامعون بين أمرين لأن العلم كالشجرة والعمل كالثمر والشجر بدون الثمر غير مفيد والثمر بدون الشجر غير كائن وقال كعب الاحبار هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان * ولما كان هذا مشيراً الى ارشادهم فكان التقدير فتناً أرسلناك الا لاسعادهم عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) أي على حالة من الاحوال (الا) على حال كونك (رحمة للعالمين) كلهم أهل السموات وأهل الارض من الجن والانس وغيرهم طاقعهم بالثواب وعاصيهم بتأخير العقاب الذي كانت تأمل الامم به فنحن نعلمهم ونترفق بهم نأظهار الشرفك واعلاء لقدرك ثم نرد كثير منهم الى دينك ونجعلهم من أكابر أنصارك وأعظم أعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتكابهم في أشراك المحال ومن أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف في عزم الرحمة وقت الشفاعة العظمى يوم يجمع الله تعالى الاولين والآخرين فيقوم الملائكة صفوفاً والنقلان وسطهم ويوج بعضهم في بعض من شدة ما هم فيه يطلبون من يشفع لهم فيقصدون أكابر الانبياء نبياً نبيا عليهم الصلاة والسلام فيجبل بعضهم على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى يأتيه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها وبقوم معه لواء الحمد فنشفعه الله تعالى وهو المقام المحمود الذي يعظم به الاولون والآخرين فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين * ولما أورد تعالى على الكفار الخبيخ في أن لا اله سواه وبين أنه أرسل

رسوله رحمة للعالمين أتبع ذلك بأمره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل انما يوحى الى انما الهكم
اله واحد) أي ما يوحى الى في أمر الاله الا وحدها يقته وما الهكم الا اله واحد لم يوح الى فيما
تدعون من الشرك تغيير ذلك فالاول من قصر الصفة على الموصوف والثاني من قصر الموصوف
على الصفة والمخاطب بهم من يعتقد الشرك فهو قصر قلب وقال الزنجشيري انما القصر الحكم
على شيء أو قصر الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه
الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم
وقائده اجتماعهما بالدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار
الله تعالى بالوحدانية انتهى * ولما كان الوحي الوارد على هذه السنن موجباً أن يخلصوا التوحيد
لله تعالى قال صلى الله عليه وسلم (فهل أنتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى الى من وحدانية الاله
والاستقهام بمعنى الامر أي أسلموا (فان تولوا) أي لم يقبلوا ما دعوتهم اليه (فقل) أي لهم
(آذنبكم) أي أعلمتكم بالحرب كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسن منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد
وأشهر النبذ وأشاعه وأذنبهم جميعاً بذلك وقوله (على سواء) حال من الفاعل والمفعول أي
مستويين في الاعلام لم أطوه عن أحد منكم ولا أستبد به دونكم لتناهبوا (وان) أي وما
(أدرى أقرب) جسد بحيث يكون قربه على ما يتعارفونه (أم بعبد ما توعدون) من غلب
المسلمين عليكم أو عذاب الله أو القيامة المشتملة عليه وان ذلك كائن للاحالة ولا بد أن يلحقكم
بذلك الذلة والصغار وان كنت لأدرى متى يكون ذلك لان الله تعالى لم يعلن علمه ولم يطلعني عليه
وانما يعلمه الله تعالى (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أي مما يجهرون به من العظام وغير ذلك
وبنه تعالى على ذلك فان من أجوال الجهر أن ترتفع الاصوات بحيث تحتلط ولا يميز بينها
ولا يعرف كثير من حاضرهما فانه أكثر القائلين فأعلم سبحانه وتعالى أنه لا يشغله صوت عن آخر
ولا يفوته شيء من ذلك ولو كثرت (ويعلم ما تكتمون) مما تضرعونه في صدوركم من الاحقاد للمسلمين
ونظير ذلك قوله تعالى في أول السورة قل ربي يعلم القول في السماء والارض ومن لازم ذلك
المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتأجيل فستعلمون كيف تحب ظنونكم وتحقق
ما أقول فتعلمون حينئذ بانى صادق ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن فهو من أبلغ التهديد
فانه لا يبلغ من التهديد بالعلم * ولما كان الامهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال (وان)
أي وما (أدرى) أن يكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أم لا (لعله) أي تأخير العذاب
(فنته) أي اختبار (لكم) ليظهر ما يعلم منكم من السر لغيبه لان حالكم حال من يتوقع منه
ذلك (ومتاع) لكم تتبعون به (الى حين) أي بلوغ مدة آجالكم التي ضربها لكم في الازل
ثم يأخذكم بغتة وأنتم لا تشعرون * ولما كان الله أن يفعل ما يشاء من عدل وفضل وكان من العدل
جواز تعذيب الله تعالى الطائع وتعيم المؤمن العاصي وكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية
في البيان لهم وهم قد بلغوا النهاية في أدبته وتكذيبه أمر الله تعالى أن يفوض الامر اليه
تسليمه له بقوله تعالى (قل رب) أي أيها المحسن الى (أحكم) أي أنجز الحكم بيني وبين قومي (اللعن)

أى بالامر الذى يحق لكل من آمن نصر وخذلان وقرأ أحفص بفتح القاف وألف بعدها وفتح
 اللام بصيغة الماضى على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون بضم القاف وسكون
 اللام بصيغة الامر (فان قيل) كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم بالحق والله تعالى
 لا يحكم الا بالحق (أجيب) بأن الحق ههنا معنى العذاب فكأنه استجمل العذاب لقومه فعذبوا
 يوم بدر نظيره قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك
 الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب أم لم يطلب ومعنى الطلب
 ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه الحق (وربنا) أى المحسن اليه الأجمعين (الرحمن) أى العام
 الرحمة لنا ولكم بادارها علينا ولولا عموم رحمته لاهلكنا أجمعين وان كنا نحن أظعننا لانا
 لا نقدره حق قدره ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورهم من دابة (المستعان) أى
 المطلوب منه العون (على ما تصفون) من كذبكم على الله تعالى فى قولكم اتخذ الله ولدا وعلى
 فى قولكم ساحر وعلى القرآن فى قولكم شعرقال الرازى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول
 ذلك فى حروبه ولم يذكر له سندا وأما ما رواه البيضاوى بغير الخبر من أن الله صلى الله عليه وسلم
 قال من قرأ اقرب حاسبه الله حسابا يسيرا وصاحفه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن
 فحديث موضوع والله تعالى أعلم بالصواب

(سورة الحج مكية)

الاومن الناس من يعبد الله على حرف الايتين والاهدان خصمان الست آيات
 خديئات وهى ثمان وقيل خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

(بسم الله) أى الذى اقتضت عظمته خضوع كل شئ (الرحمن) الذى عمّ برحمته كل موجود
 (الرحيم) الذى خص بفضله من شاء من عباده * ولما ختمت السورة التى قبل هذه بالترهيب
 من الفزع الاكبر وطى السماء واتبان ما يوعدون وكان أعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه
 السورة بالامر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى الذين تقدم
 أول تلك أنه اقرب لهم حسابهم ان أريد أن ذلك عام والافهم وغيرهم (اتقوا) أى احذروا
 عقاب (ربكم) أى المحسن اليكم بأنواع الاحسان بأن تجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية الطاعات
 * ولما أمرهم بالتقوى علل ذلك مرهبا لهم بقوله تعالى (ان زلزلة الساعة) أى حركتها الشديدة
 للاشياء على الاسناد المجازى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله ويصح أن يكون الى
 المقول فيه على طريق الاتساع فى الطرف واجرائه مجرى المقول به كقوله تعالى بل مكر الليل
 والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذ زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها
 فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
 الذى هو اقرب للساعة (شئ عظيم) أى أمر كبير وخطر جليل وحادث هائل لا تحتمل العقول
 وصفه وهذا للزلزلة تنفسها كيف بجميع ما يحدث فى ذلك اليوم الذى لا بد لكم من الحشر فيه

الى الله تعالى ليجازيكم على ما كان منكم لا ينسى منه تقير ولا قطمير (يوم ترونها) أى الزلزلة
أو الساعة أو كل مرضة أضرها قبل الذكركم ويل للامم وترويعا للنفس (تذهل) بسبب ذلك
(كل مرضة) أى بالفعل أى تنسى وتغفل حائرة مدهوشة والعامل فى يوم تذهل (فان قيل)
لم قال تعالى مرضة ولم يقل مرضع (أجيب) بأن المرضة هى التى فى حال الارضاع ملقمة نديها
للطفل والمرضع التى شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وضعها فقال مرضة ليدل
على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت نديها تنزعه من فيه لما يلحقها من الدهشة
(عما أَرْضعت) عن ارضاعها وعن الذى أَرْضعته وهو الطفل فاما مصدريه أو موصولة
(ونضع كل ذات حمل حملها) أى تسقطه قبل التمام رعبا وفزعاً * (تنبيه) * هذا ظاهر على القول
الثانى وهو قول علقمة والشعبي على أن ذلك يكون عند طلوع الشمس من مغربها وأما على
القول الاول وهو قول الحسن على أن ذلك يوم القيامة كيف يكون ذلك فقيل هو تصور ليهولها
قاله البضاوى وقال البقاعى فى المرضة هى من ماتت مع ابنها رضيعا وفى ذات الحمل من ماتت
حاملا فإن كل أحد يقوم على ما مات عليه وهذا أولى فأنى فى حال كآبتي فى هذا المحل حضر عندى
سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فنعنا الله تعالى ببركته فذكرت له هذين القولين فأنشرح
صدره لترجيح هذا الثانى وذلك يوم ناسوا من شهر الله المحرم سنة ست وخمسين وتسعمائة
وعن الحسن تذهل المرضة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها بغير فطام وبؤيده أن
هذه الزلزلة تكون بعد البعث ما روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادى رواية والخير فى يديك
فينادى بصوت ان الله يأمر ل أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال
من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تفتح الحوامل حملها ويشيب الوليد وساق بقية
الآية وهو (وترى الناس سكارى) أى لما هم فيه من الدهشة والحيرة ثم بين الله تعالى أن ذلك
ليس بسكر حقيقة بقوله تعالى (وما هم بسكارى) أى من الشراب ولما تبنى أن يكونوا سكارى من
الشراب أثبت ما أوجب لهم تلك الحالة بقوله (ولكن عذاب الله) ذى العزة والجبروت (شديد)
فهو الذى أوجب أن يظن بهم السكر لأن هول أهذه أذهب عقولهم وطيرت عقولهم ثم الحديث عند آخر
الآية فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زادى رواية قالوا يا رسول الله أيا ذلك
الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياجوج وما جوج تسعمائة وتسعة وتسعون
ومنكم واحد ثم أنتم فى الناس كالشجرة السوداء فى الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء فى الثور
الأسود وفى رواية كالرقعة فى ذراع الحمار وإنى أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال
ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا وفى رواية إنى لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل
الجنة روى عمران بن حصين رضى الله عنه أن هاتين الآيتين نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا
فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقرأ كثيرا يكمن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا

السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا بين حزين وبالك
ومفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم
يقول الله لا آدم قم فابعث النار وذلك نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي
سبعون ألفا الجنة بغير حساب قال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا وقرأ آخرة
والكسائي بفتح السين وسكون الكاف فيهما والباقون بضم السين وفتح الكاف وبعد الكاف
ألف وأمال الالف بعد الراء أبو عمرو وحزرة والكسائي محضة وورش بين بين والباقون بالفتح
ونزل في النضر بن الحرث وكان كثير الجدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول الملائكة
بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وأحياء من صارت رابا (ومن الناس) أى
المذبذبين (من) لا يسعى في اعلاء نفسه وتهذيبها فيكذب فيؤبى بسوء عمله لانه (بجادل في الله) أى
في قدرته على ذلك اليوم وفي غير ذلك بعد أن جاءه العلم بها اجتراء على سلطانه العظيم (بغير علم) بل
بالباطل الذي هو جهل صرف فيترك اتباع الهداة (ويتبع) بغاية جهده في جداله (كل
شيطان) محترق بالسوء مبعث بالعين (مرید) أى متجرب للفساد ولا شغل له غيره قال البيضاوى
وأصله العري أى عن السائر (كتب) أى قدر وقضى على سبيل الحتم الذى لا بد منه تعبيراً
باللازم عن المزموم (عليه) أى على ذلك الشيطان (أنه) أى الشأن (من تولاه) أى فعل معه فعل
الولى مع وليه باتباعه والاقبال على ما يزينه (فانه يضله) بما يغض اليه من الطاعات فيخطئ سبيل
الخير (ويهديه) أى يمايزين له من الشهوات الخاملة على الزلات (الى عذاب السعير) أى النار
ثم ألزم الحجة منكرى البعث بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى كافة ويجوز أن يزايله المنكر فقط
(ان كنتم في ريب) أى شك وتهممة وحاجة الى البيان (من البعث) وهو قيام الاجسام بأرواحها
كما كانت قبل مما تم افتسكروا في خلقكم الاولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أَوْلَا قَادِر على
خلقكم ثانياً ثم انه سبحانه وتعالى ذكر من انب الخلقه الاولى أموراً سبعة المرتبة الاولى قوله
تعالى (فانا خلقناكم) بقدرتنا التي لا يتعاطىها شيء (من تراب) لم يسبق له اتصاف بالحياة وفي الخلق
من تراب وجهان أحدهما أنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه الصلاة والسلام من تراب كما قال
تعالى كمثل آدم خلقه من تراب الثانى من الاغذية والاعذية أما حيوانية وأما نباتية وغذاء
الحيوان ينتهى الى النبات قطعاً للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصيح قوله تعالى
انا خلقناكم من تراب المرتبة الثانية قوله تعالى (ثم من نقطة) وحالها أبعد شئ عن حال التراب
فانها بيضاء سائلة لزجة صافية كما قال تعالى من ماء دافق وأصلها الماء القليل قاله البغوى
وأصل النطف الصب قاله البيضاوى المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم من علقه) أى قطعة دم جراء
جامدة ليس فيها أهلية للسيلان ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة المرتبة
الرابعة قوله تعالى (ثم من مضغة) أى قطعة لحم صغيرة وهى فى الاصل قدر ما يعضغ (مخلقة) أى
منسوجة لانقص فيها ولا عيب يقال خلق السوالك والعود سواه ولمسه من قوله هم صخرة خلقه
إذا كانت ملمسا (وغير مخلقة) أى وغير منسوجة فكان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها

ما هو كامل الخلقة وأملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
 تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتماهم ونقصانهم هذا قول قتادة
 والضمك وقال مجاهد الخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير الخلقة السقط وقال قوم الخلقة
 المصورة وغير الخلقة غير المصورة وهو الذي يبقى للجان غير تخطيط وتشكيل واحتجوا بما
 روى علقمة عن عبد الله بن مسعود قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها
 ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قد فيها في الرحم دما ولم تكن نسمة
 وان قال مخلقة قال الملك أي رب ذكر أم أنثى وشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي
 أرض توت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب
 فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفتها والذي أخرجه في الصحيحين عنه قال حدثنا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة
 ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي
 أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم لم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
 وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم لم يعمل بعمل
 أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها
 فكانه تعالى يقول انما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لبيّن لكم) بهذا
 التدرج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من التراب والماء أو لانهم من نطفة
 ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهم ما تبين ظاهر ثم يجعل
 العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على إعادة ما أبداه بل هو أدخل في القدرة من تلك وأهون
 في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بأن أفعاله هذه تبين بهما من قدرته وعلمه
 ما لا يحيط به الوصف ولا يكتنفه الذكر (ونقر في الارحام) أي من ذلك الذي خلقناه (مائشاء)
 انتم (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين بحسب
 قوة الارحام وضعفها وقوة المخلقات وضعفها وكثرة تغذيته من الدماء وقلته الى غير ذلك من
 أحوال وشؤون لا يعلمها الا باريها بجات قدرته وتعال عظمته وما لم نشأ اقراره بحجته الارحام
 وأسقطته دون التمام أو تحرقه فيضجعل المرتبة الخامسة قوله تعالى (ثم نخرجكم طفلا) وهو
 معطوف على نبيين ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين أحدهما أن نبين
 قدرتنا والثاني أن نقتر في الارحام من نقر حتى تولدوا في حال الطفولية من ضعف الجثة وضعف
 البدن والسمع والبصر وجميع الحواس لثلاثهم لكونهم كبرأجرامكم وعظم أجسامكم
 المرتبة السادسة قوله تعالى (ثم أي عند أهلكم) (لتبلغوا) بهذا الانتقال في أسنان الاجسام
 من الرضاع الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة (أشدكم) أي الكمال والقوة وهو ما بين
 الثلاثين الى الأربعين جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنه شدة في الامور المرتبة السابعة قوله
 تعالى (ومنكم من يتوفى) أي عند بلوغ الاشد أو قبله (ومنكم من يرد) بالشيوخوخة وبشأن
 المعجول اشارة الى سهولته عليه لاستبعاد ما لا تكرار والملاحظة عند الناظر لتلك القوة والنشاط

وحسن التواصل بين أعضائه والارتباط (الى أرذل) أى أخس (العمى) وهو من الهرم
فتنقص جميع قواه (لكيلا يعلم من بعد علم) كان أوتي (شيئاً) أى ليعود كهيئته الاولى
فى أو ان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه ويشكر من عرفه حتى يسأل عنه
من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فيا ليت لحظة الاسألك عنه (فان قيل) هذه
الحالة لا تحصل للمؤمنين لقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات (أجيب) بأن معنى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين هو دلالة على الذم فالمراد به
ما يجرى مجرى العقوبة ولذلك قال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لكن قال
عكرمة من قرأ القرآن لم يصر الى هذه الحالة وقد علم بعود الانسان فى ذهاب العلم وصغر الجسم
الى نحو ما كان عليه فى ابتداء الخلق قطعاً أن الذى أعاده الى ذلك قادر على اعادته بعد الممات
* ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم المقدمات وأصح النتائج وكان أول الابداع فيه
غير مشاهد ذكر الله تعالى دليلاً آخر على البعث مشاهداً بقوله (وترى الارض هامدة) أى
يابسة ساكنة ساكنة سكوت الميت (فاذا أنزلنا) أى بما لنا من القدرة (عليها الماء اهتزت) أى
تحركت وتأنهت لأخراج النبات (وربت) أى ارتفعت وذلك أول ما يظهر منها للعين وزادت
ونمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والماء وقوله تعالى (وأبنت) مجاز لأن
الله تعالى هو المئنت وأضيف الى الارض توسعاً أى أثبت بتقديرنا لأنهم المئنة (من كل
روح) أى صنف (بهيج) أى حسن نصير من أشنات النبات فى اختلاف ألوانها وطعموها
وروائحها وأشكالها ومنافعها ومقاديرها قال الجلال المحلى من زائدة ولم أر من ذكر ذلك
من المفسرين * (تنبيه) * فى الآية إشارة الى أن النبات كما توجه من نقص الى كمال
فكذلك الانسان المؤمن يرتقى من نقص الى كمال فى المعاد يصل الى كماله الذى أعد له
من البقاء والغنى والعلم والصفاء والخلود فى دار السلام مبرأ عن عوارض هذا العالم
* ولما قرر سبحانه هذين الدليلين رتب عليهم ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أمورا خمسة
أحدها قوله تعالى (ذلك) أى المذكور من بدء الخلق الى آخر احياء الارض (بأن) أى
بسبب أن تعلموا أن (الله) أى الجامع لا وصف الكمال (هو) أى وحده (الحق) أى
الثابت الدائم وما سواه فان ثابتهما قوله تعالى (وأنه يحيى الموتى) أى قادر على ذلك والامنا
أحيا المنطقة والارض الميتة ثابتهما قوله تعالى (وأنه على كل شيء) من الخلق وغيره (قدير)
انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون رابعها قوله تعالى (وأن الساعة) التى تقدم
ذكرها وتقدم التحذير منها وهى حشر الخلائق كلها (آية لاريب) أى لاشك (فيها) أى
بوجه من الوجوه مما دل عليه مما لا سبيل الى انكاره بقول من لا مرء لقوله وهو حكيم لا يختلف
مبعاده ولا يسوغ بوجه أن يترك عبادته بغير حساب خامسها قوله تعالى (وأن الله يبعث)
بالاحياء (من فى القبور) بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن
يفي بما وعده ونزل فى أبى جهل بن هشام كما قاله ابن عباس (ومن الناس من يتجادل) أى بغاية

جهده (في الله) أي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان الذي
 لا مثل له ولا يخفاه فيه (بغير علم) أتاه عن الله تعالى على لسان أحد من أصفياه أعظم من أن يكون
 كتاباً أو غيره (ولا هدى) أرشده إليه أعظم من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كتاب منير) له نور
 منه صح لديه انه من الله تعالى ومن المعلوم أنه بالتقاء هذه الثلاثة لا يكون جداله الا بالباطل وقيل
 قوله تعالى ومن الناس كتر كما كرت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين
 وقوله تعالى (ثاني عطفه) حال أي لاوى عنقه تكبراً عن الايمان كما قال تعالى واذا تلى عليه
 آياتنا لولى مستكبراً والعطف في الاصل الجانب عن عين أو شمائل وقوله تعالى (ايضل عن سبيل
 الله) عليه الجدل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الباء والباقون بضمها (فان قيل) على قراءة
 الضم ما كان غرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف عطف به وما كان على قراءة
 الفتح مهتدياً حتى اذا جدل خرج بالجدال عن الهدى الى الضلال (أجيب) عن الاول
 بأن جداله لما أدى الى الضلال جعل كانه غرضه وعن الثاني بأن الهدى لما كان معرضاً لغيره
 وأعرض عنه وأقبل على الجدال الباطل جعل كانه خارج من الهدى الى الضلال * ولما ذكر
 فعله وغرضه ذكر ما أعد له عليه في الدنيا بقوله تعالى (له في الدنيا خزي) أي اهانة وذلل وان طال زمن
 استدراج به بتبعه حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه وما أعد له عليه في الآخرة بقوله
 تعالى (ونذيقه يوم القيامة) الذي يجمع فيه الخلاقي بالا حياء بعد الموت (عذاب الحريق) أي
 الاسراق بالنار وعن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة ويقال له
 حقيقة أو مجازاً (ذلك) أي العذاب العظيم (بما قدمت يدك) أي بعملك ولكن جرت عادة
 العرب أن تضيف الاعمال الى اليد لانها آلة أكثر العمل وضافة ما يؤدى اليهما أنكى
 (وأن) أي وبسبب أن (الله ليس بظلام) أي بذى ظلم ما (للعبيد) وانما هو مجاز لهما على
 أعمالهم أو ان المبالغة لكثرة العبيد * ونزل في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين
 من باديهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصحبهم اجسمه وتحت بهم ففرسه مهراً وولدت امرأته
 غلاماً وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت به خيراً واطمأن به وان كان الامر بخلافه قال
 ما أصبت الا شرافينقلب عن دينه (ومن الناس من يعبد الله) أي يعمل على سبيل الاستمرار
 والتجدي بما أمر الله به من طاعته (على حرف) فهو منزل كزل من يكون على حرف شفير أو
 بحبل أو غيره لا استعراؤه وكالذي على طرف من العسكر فان رأى غنمة استمر وان توهم خوفها
 طار وفر وذلك معنى قوله تعالى (فان أصابه خير) أي من الدنيا (اطمأن به) أي بسببه وثبت على
 ما هو عليه (وان أصابه فتنة) أي محنة وسقم في نفسه وماله (انقلب على وجهه) أي رجع
 الى الكفر وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب فقام
 بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألقى فقال ان الاسلام لا يقال فزلت * ولما كان
 انقلابه هذا مقسداً لدينه ولا خربة قال تعالى (خسر الدنيا) بفوات ما أملة منها ويكون ذلك
 سبب التغير عليه قال تعالى ولولأنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كانوا

من فوقهم ومن تحت أرجلهم وروى أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (والآخرة)
 بالكفر ثم عظم مصيبتة بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر العظيم (هو) أي لا غيره (الخسران المبين)
 أي المبين إذا لخسران مثله ثم بين هذا الخسران الذي رده إلى ما كان فيه قبل الإيمان
 الحرفي بقوله تعالى (يدعو) أي يعبد حقيقة أو مجازاً (من دون الله) أي غيره من الصنم
 (ما لا بضرة) أن لم يعبد (وما لا يتقعه) أن عبده (ذلك) أي الدعاء (هو الضلال البعيد) عن
 الحق والشاد استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعد في التيه ضالاً فطالت وبعدت مسافة
 ضلاله * ولما كان الاحسان جالباً للانسان لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها بين
 أن ما قيل في جلب النفع انما هو على سبيل القرض فقال تعالى (يدعون) أي من (ضرته)
 بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة (أقرب من تقعه) الذي
 يتوقع منه بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى * (تنبيه) * علم مما تقرر أن اللام
 في لمن مزيدة كما قال الجلال المحلى (فان قيل) الضرر والنفع منفقان عن الاصنام مثبتان لهما في
 الآيتين وهذا متناقض (أجيب) بأن المعنى إذا حصل ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سقه
 الكافر بأنه يعبد جاداً لا يملك ضرراً ولا نفعاً وهو يعمته قد فيه بجهله وضلاله أنه ينتفع به حين
 يستشفع به ثم يوم القيامة يقوم هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استغثاره بالاصنام ودخوله
 النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاهالها وقيل الآية الاولى في الاصنام والثانية في
 الرؤساء وهم الذين كانوا يقرعون اليهم بدليل قوله تعالى (لبئس المولى) أي الناصر هو (ولبئس
 العشير) أي صاحب هو قال الرازي وهذا الوصف بالرؤساء أليق لأن ذلك لا يكاد يستعمل
 في الاوثان فبين تعالى أنهم يعدلون عن عبادة الله إلى عبادة الاصنام وإلى طاعة الرؤساء
 * ولما بين سبحانه وتعالى حال الكفار عقبه بحال المؤمنين بقوله تعالى (إن الله) أي الجامع لجميع
 صفات الكمال المستزعة عن جميع شوائب النقص (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا)
 تصديقاً لإيمانهم (بالحال) من القروض والنوافل الخاصة الشاهدة بثباتهم في الإيمان
 (جنات تجري من تحتها) أي في أي مكان من أرضها (الأنهار) * ولما بين سبحانه وتعالى
 حال الفريقين قال تعالى (إن الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (يفعل ما يريد) من أكرام من
 يطعوه واهانة من يعصيه لادفع له ولا مانع وقوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله
 في الدنيا والآخرة) فيه اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن
 خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه فالضمير راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) لم يجز له
 ذكر في هذه الآية (أجيب) بأن فيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله تعالى إن الله
 يدخل الذين آمنوا وإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله وقيل الضمير راجع إلى من في أول الآية لأنه
 المذكور ومن حق السكينة أن ترجع إلى المذكور إذا أمكن ذلك وعلى هذا المراد بالنصر
 الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصرني نصره الله أي من يعطيني
 أعطاء الله فكأنه قال من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة (فلم يدب سبب) أي

بجبل (الى السماء) أى سقفت بيته يشد بينه وبين عمقه (ثم ليقطع) أى ليخشق به بأن يقطع نفسه
من الارض كما فى الصحاح وقبل فلم يدخبل الى سماء الدنيا ثم ليعد عليه فيجثدى دفع نصر
النبي صلى الله عليه وسلم على الاول أو يحصل رزقه على الثانى وقرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر
بكسر اللام والباقون بسكونها (فليُنظر) يبصره وبصيرته (هل يذهبن) وان اجتهد (كيدَه)
فى عدم نصرته النبي صلى الله عليه وسلم وفى تحصيل رزقه (ما يعيق) من ذلك والمعنى فليخشق
غظا فلا بد من نصرته صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته أو ان ذلك لا يغلب القسمة فان الارزاق
سد الله لا تنال الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا كما يقال لمن أدبر عنه أمر فخرج اضرب
برأسك الحداد ان لم ترض هذا مات غظا ونحو ذلك والحاصل انه لم يصبر طوعا صبر كرها
واختلف فى سبب نزول هذه الآية على القول الاول فذكرها وجوها أحدها كان قوم من
المسلمين لشدة غيظهم على الكفار يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر فزات ثانيها قال
مقاتل نزات فى نفر من أسد وغطفان قالوا لنخاف أن الله لا ينصر محمد افسية طع الذى بينا وبين
حلفائنا من اليهود فلا يبرؤنا ثالثها ان حساده وأعداءه كثيرة وكانوا يتوقعون أن لا ينصره
وأن لا يعينه على أعدائه ففى شاهدوا أن الله نصره غاظهم ذلك (وكذلك) أى ومثله ما أنزلنا
هذه الآيات لسان حكمها واظهار أسرارها (أنزلناه) أى القرآن الباقى وقوله تعالى (آيات
بينات) أى معجزات نظمها كما كان معجزا حكمها حال وقوله تعالى (وأن الله) أى الموصوف
بالاكرام كما هو موصوف بالانتقام (يهدى) أى بآياته (من يريد) أى هدايته أى يشبهه على
الهدى معطوف على محمل أنزلناه * ولما قال تعالى وأن الله يهدى من يريد أن تبعه بيان من
يهديه ومن لا يهديه وبدأ بالقسم الاول بقوله (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وعبر بالفعل ليشمل
الاقرار باللسان الذى هو أدنى وجوه الايمان ثم شرع فى القسم الثانى بقوله تعالى (والذين
هادوا) أى اتبعوا دين اليهودية (والصابئين) وهم فرقة من النصارى سميت بذلك قيل لنسبتهم الى
صابى نعم نوح عليه السلام وقيل لخروجهم عن دين الى دين آخر واطلاق الصابئة على هذا هو
المشهور وتارة يوافقونهم فى أصول دينهم فتحمل منا حكمهم وتارة يخالفونهم فلا تحمل منا حكمهم
وتطلق أيضا على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار
اليها ويبنون الصانع المختار فهو لا يتحمل منا حكمهم وقد ألقى الاصطخرى والهاملى بقتلهم
لما استفتى القاهر الفقهاء فيهم فبذلوا له أموالا كثيرة فتركهم والبلاء قدیم وقرأ نافع بالباء
التخمية بعد البناء والباقون بهمزة مكسورة بعد البناء الموحدة (والنصارى) أى الذين اتبعوا
دين النصرانية (والمجوس) قال قتادة هم عبدة الشمس والقمر والنيران قال (والذين أشركوا)
هم عبدة الاوثان قال مقاتل الاديان كلها سئة واحد للرجن وهو الاسلام وخسة للشيطان
وقيل خسة أربعة للشيطان وواحد للرجن يجعل الصابئين مع النصارى لانهم فرع منهم كما مر
على المشهور وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى سورة البقرة (ان الله) الذى هو أحكم
الحاكمين (يفصل بينهم يوم القيامة) بادخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار وأدخلت ان

على كل واحد من جزأى الجلالة لزيادة التأكيده ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

ثم علل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال (على كل شئ) من الاشياء كلها (شهيد) أى عالم به علم مشاهدته (ألم تر) أى تعلم (أن الله يسجد له) أى يخضع منه قادات امره سبحانه مسخرو المايريد منه تسخير من هو فى غاية الاجتهاد فى العبادة والاخلاص

فيها (من فى السموات ومن فى الارض) ان خصصت بذلك العاقل أفهم خضوع غيره من باب أولى وان ادخلت غير العاقل فى التغليب ثم أتبعه بأشرف ما ذكر مما لا يعقل لان كلامها عبدة من دون الله أو عبدة شئ منه فقال تعالى (والشمس والقمر والنجوم) من الاجرام العلوية بقعد الشمس

جبر والقمر كناية والدبران تيمم والشعرى نجم والثريا طي وعطار دأسد قاله أبو حيان روى عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا يطوف بالبيت ويسكى فاذا هو طواس فقال أعجبت من بكائى قلت نعم قال ورب السكبة ان هذا القمر ليس بكى من خشية الله ولا ذنب له * ثم أتبع ذلك أعلى الذوات السفلية فقال (والجبال) أى التى قد نحتت منها الاصنام (والشجر) أى التى عبد بعضها

(والدواب) أى التى عبد منها البقر كل هذه الاشياء تتقاد لامر الله ولا تأبى عن تدبيره (وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة الخضوع سجد سجودا هو منه عبادة مشروعة فحق له الثواب

(وكثير) أى من الناس (حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (ومن بين الله) أى يشقه (خاله من مكرم) أى مسعد لانه لا قدرة لغيره أصلا (ان الله) أى الملك الاعظم (يفعل ما يشاء) من الإكرام والاهانة لا مانع له من ذلك نقل عن على

رضى الله تعالى عنه أنه قيل له ان رجلا يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله لما يشاء أو لما شئت قال بل لما يشاء قال فيمرضك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيشفيك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيمدخلك حيث شئت أو حيث يشاء قال بل حيث يشاء

قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيننا بالسيف * ولما بين تعالى أن الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر كيفية اختصاصهم بقوله تعالى (هذان خصمان) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة

وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (اختصموا) أى أوقعوا الخصومة بغاية الجهد (فى ربهم) أى دينه وروى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسمان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حزة وعلى وعبيدة بن الحارث

وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه فى الصحابين وعن ابن عباس قال لما بارز على وحزة وعبيدة عتبة وشيبة والوليد قالوا لهم تكلموا نعرفكم قال أنا على وهذا حزة وهذا عبيدة فقالوا أ كفاء كرام فقال على أدعوكم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عتبة

هلم للمبارزة فبارز على شيبه فلم يلبث أن قتله وبارز حزة عتبة فقتله وبارز عبيدة الوليد فمضع عليه فأبى على فقتله فنزلت وعن قتادة نزلت الآية فى المسالين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب

نينا قبل نبيكم وكنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم قال المسلمون كتابنا يقضى على الكتب
 كلها ونينا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فنحن أولى بالله منكم وعن ابن عباس أنها نزلت
 كذلك **لكن** قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم بين يديكم كتابا ونينا قبل نبيكم
 وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنّا بنبيكم وبما أنزل الله
 من كتاب وانكم تعرفون نينا وكنا ناتمركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل
 المؤمنون والكافرون من أى ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان
 الجنة والنار لما روى عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة
 والنار فقالت النار أو ثرت بالمكبرين والمجبرين وقالت الجنة فالى لا يدخلنى الاضعفاء الناس
 وسقطهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رضى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت
 مذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها وعن عكرمة فقالت النار
 خلقنى الله لعقوبته وقالت الجنة خلقنى الله لرحمته وهذا القول بعيد عن السياق لأن الله تعالى
 ذكر جزاء الخسعين بقوله تعالى (فالتزين كفروا) وهو الفصل بينهم المعنى بقوله تعالى ان الله
 يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت) أى قدرت (لهم) على تقادير جثثهم (ثياب من نار) أى نيران
 تحيط بهم احاطة الثياب سابقة عليهم كما كانوا يلبسون الثياب فى الدنيا فاخراوت كبرا
 وعن ابراهيم التيمى أنه قال سبحانه من قطع من النار ثيابا وعن سعيد بن جبير قال قطعت من
 نحاس وليس من الانية شئ اذا حى أشد حرارة منه وقال فى قوله (يصب) أى اذا دخلوها
 (من فوق رؤوسهم الحميم) قال ابن النحاس يذاب على رؤوسهم ولكن المشهور أنه الماء الحار وعن
 ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها والجلة حال من الضمير فى لهم أو خبر ثان
 وقرأ أبو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وقرأ جزء والكسافى بضم الهاء والميم والباقون بكسر
 الهاء وضم الميم هذا فى الوصل فان وقف على رؤوسهم فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم ونجزة
 على أصله فى الوقف على رؤوسهم تسهيل الهمزة (يصهر) أى يذاب (به) من شدة حرارته
 (ما فى بطونهم) من شحم وغيره (والجلود) فيكون أثره فى الباطن والظاهر سواء وقال ابن عباس
 يسقون ماء اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون (ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر
 ثم فتح وهو عود حديد وقيل سوط يضرب به الوجه والرأس ليرد المضروب عن مراده وذا
 عنيفا ثم نفي الجواز بقوله تعالى (من حديد) أى يقيمون بها روى أبو سعيد الخدرى عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقمعا من حديد وضع فى الارض فأجمع الثقلان ما أفلوه
 من الارض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان (كلما أرادوا أن يخرجوا
 منها) أى من تلك الثياب ألهم من النار (من غم) أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم
 من الغم والكرب الذى يأخذ بأنفسهم (أعيدوا فيها) أى رددوا اليها بالمقامع وعن الحسن أنهم
 يضربون بلباب النار وترفعهم حتى اذا كانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وانها سبعين
 خريفا وعن الفضيل بن عياض قال والله ما طمعو فى الخروج لان الارجل مقيمة واليدى

مؤثقة ولكن يرفعهم ليهبها وتردهم مقامها وعن الحسن قال كان عمر يقول أكثر وأذكر النار
فإن حرها شديد وقعرها بعيد وأن مقامها من حديد (و) قبل لهم (ذوقوا عذاب الحريق)
أى البالغ نهاية الاحراق * ولما ذكر تعالى الملائكة المخلصين وهم الكافرون أتبعه ما لا آخر
وهو المؤمنون وغيره لا سلب فيه حيث لم يقل والذين آمنوا عطف على الذين كفروا وأسند
الادخال فيه الى الله تعالى وأكده بأن أجماد الحال المؤمنين وتغظيما شأنهم فقال (إن الله) أى
الذى له الامر كله (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات)
من الفروض والنوافل الخالصة الشاهدة بثباتهم فى الايمان (جنات تجري) أى دائما (من)
تحتها الانهار) أى المياه الواسعة أينما أردت من أرضها جرى للنهر فى مقابلة ما يجري من فوق
رؤس أهل النار عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن فى الجنة بحر الماء وبحر
العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أن خرج الترمذى وقال حديث صحيح (يحلون
فيها) من حليت المرأة اذ البست الحلى فى مقابلة ما يزال من بواطن الكفرة وظواهرهم وقوله
تعالى (من أساور) صفة مفحول محذوف أى حلما من أساور ومن زائدة أو تسعصة وأساور جمع
أسورة وهى جمع سوار * ولما كان المقصود الخث على التقوى المعلىة الى الانعام بالفضل
شوق اليه بأعلى ما يعرف من الخلية فقال (من ذهب) وقوله تعالى (ولو لو) معطوف على أساور
لاعلى ذهب لانه لم يعهد السوار منه الآن راد المرصعة وعن أبى موسى الاشعري أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جنات من فضة آيتهم ما وافهم ما وجنتان من ذهب آيتهم ما وافهم ما
وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وعن أبى
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها التضى ما بين
المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقرأنا نافع وعاصم بنصب الهمزة الثانية
مع التنوين عطف على محمل أساور وأضمارا للناسب مثل ويؤتون والباقون بالخفض مع
التنوين وابدل الهمزة الاولى الساكنة حرف مد السوسى وأبو بكر هذا حالة الوصل وأما
الوقف فخمزة يبدل الاولى واو وكذا الثانية تبدل واو وله أيضا فى الروم وقوله تعالى (ولباسهم
فيها حرير) وهو الابريسم المحرم لبسه على الرجال المكلفين فى الدنيا فى مقابلة لباس الكفار
كما كان لباس الكفار فى الدنيا حريرا ولباس المؤمنين دون ذلك وقد ورد فى الصحيحين عن عبد الله
ابن الزبير عن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه
فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير فى الآخرة
لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير انتهى وفى الصحيحين أيضا عن عمر رضى الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يلبس هذه من لاخلق له فى الآخرة قال البقاعى
فيوشك المنسب بالكفار فى لباسهم أن يلحقه الله بهم فلا يموت مسلما اهـ والاولى أن يحمل
ذلك على أنه لا يلبسه مع السابقين فإن مات على الاسلام لا يتم دخوله الجنة أو على من
استقبله من الرجال المكلفين (وهذا) أى فى الدنيا (الى الطيب من القول) قال ابن عباس

هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي
هو القرآن وقال عطاء هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهذا إلى صراط
الجميل) أي طريق الله المحمود ودينه فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا فدخلوا الجنة
التي هي أشرف دار عند خير جبار وحلو فيها أشرف الخلق كما تجلوا في الدنيا بأشرف الطرائق
عكس الكفار فانهم آثروا الفاني لحضوره وأعرضوا عن الباقي مع شرفه لغبابه فدخلوا نارا
كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ثم ذكر تعالى بعد ما فصل بين الفريقين حرمة البيت
وعظم جرم من صد عنه فقال تعالى (أن الذين كفروا) أي أوقعوا هذا الفعل الخبيث وصح
عطف (ويصدون) وإن كان مضارعا على الماضي لأن المضارع قد لا يلاحظ منه زمان معين
من حال أو أسبق يقال بل يكون المقصود منه الدلالة على مجزئ الاستمرار كما يقال فلان يحسن إلى
الفقراء لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه فالصدود منهم مستقر
دائم للناس (عن سبيل الله) أي عن طاعته باقسامهم طرق مكة يقول بعضهم لمن يمر به خرج فينا
ساعروا آخر يقول شاعروا آخر يقول كاهن فلا تسمعوا منه فإنه يريد أن يردكم عن دينكم حتى
قال من أسلم لم ير الوابي حتى جعلت في أذني الكرسف مخافة أن أسمع شيئا من كلامهم وكانوا
يؤذون من أسلم إلى غير ذلك من أعمالهم (و) يصدون عن (المسجد الحرام) أن تقام شعائره
من الطواف بالبيت والصلاة والحج والاعتمار من هو أهل ذلك من أوليائنا ثم وصفه بما يبين
شديد ظلمهم في الصد عنه بقوله تعالى (الذي جعلناه) بما لنا من العظمة (للناس) أي كاهنهم
ثم بين جعله لهم بقوله تعالى (سواء العاكف) أي المقيم (فيه والباد) أي الطائر من البادية
وهو الجاني إليه من غربة وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب إذا جاءه للتعبد وإن لم يكن
من أهله قال الزمخشري وقد استشهد به هذا أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد
الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وأجارتها انتهى وأيضاً هو مذهب ابن عمر وعمر
ابن عبد العزيز وأصح الحنطى المعروف بابن راهوية قال البضاوي وهو مع ضعفه معارض
بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم الآية وشري عمروار السخن فيها من غير تكبير انتهى
ووجه الرازي الضعف بقوله لأن العاكف قد يراد به الملازم للمسجد المعتقد فيه على
الدوام أو في الأكثر فلا يلزم ما ذكر ويحتمل أن يراد بالعاكف المحاور للمسجد المتكبر في كل وقت
من الاوقات من التعبد فيه فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات انتهى
واستدل أيضا للجواز بقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له أسامة بن زيد يا رسول الله أتزل غدا
بدارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دورو وكان عقيل ورث أبا طالب دون علي
وجعفر لانهم ما كانوا مسلمين ولا يورث الا ما كان الميت ماله كك قال الروياني ويكره بيعها
وأجارتها للخروج من الخلاف ونازعه النووي في مجموعته وقال انه خلاف الاولى لأنه لم يرد فيه
نهى مقصود والاوّل كما قال الزركشي هو المخصوص بل اعترض على النووي فإنه صرح
بكرهه ببيع المصحف والشطرنج ولم يرد في ذلك نهى مقصود كك (تبيينه) محل الخلاف بين العلماء

في بيع نفس الارض أما البناء فهو مملوك يجوز بيعه بلا خلاف أي اذ لم يكن من أجزاء أرضها
 قبل ان اسحق الخنطى ناظر الشافعي رضى الله تعالى عنه بمكة في بيع دور مكة فاستمدل
 الشافعي بما مر واستدل هو على المنع بقوله حدثني بعض التابعين بأنهم الاتباع فقال له الشافعي
 لو قام غيرك مقامك لا مرت بفرقك أذنيه أقول لك قال الله ورسوله تقول حدثني بعض التابعين
 وقال الرازي فقال اسحق فلما علمت أن الحجة لزممتي تركت قولي وقرأ حفص سواء بالنصب على
 أنه ثانی مفعولي جعلناه أي جعلناه مستويا للعاكف فيه والباد والباقون بالرفع على أن
 الجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالاً من الهاء ويصح أن يكون حالاً من المستكن
 في الناس يجعله مفعولاً ثانياً لجعلناه وقرأ ورش وأبو عمرو والبادى بإثبات الياء بعد الدال وصلوا
 لا وقفوا وأثبتهم ابن كثير وقفوا وصلوا وحدثها الباقر وقفا وصلوا (ومن يرد فيه) أي المسجد
 الحرام (بالحاد بظلم) أي يميل الى الظلم والاحاد العدول عن القصد وأصله الحاد الحافر وقبل
 الاحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء منهي عنه من قول أو فعل حتى شتم
 الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شيء من محظورات الاحرام من قتل صبيد
 أو قطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يملك أو تظلم فيه من لا يظلم وقال مجاهد
 هو تضاعف السبائات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال سعيد بن جبيرة احتكار الطعام بمكة يدل
 ما روى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم الحرام
 وعن عطاء قول الرجل في المبايع لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان
 أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقبل له فقال
 كما تحدثت أن من الاحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله * (تنبيهه) * قوله بالحاد بظلم
 حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراداً ما عاد لا
 عن القصد ظالم (نذره من عذاب أليم) أي مؤلم أي بعضه وخبر أن محذوف دلالة لجواب الشرط
 عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم
 فكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك فينبغي لمن كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد
 والعدل في جميع ما هم به ويقصده * ولما ذكر تعالى الفريقين وجزاء كل وختمه بذكر البيت أتبعه
 التذكرة فقول تعالى (واذ) أي واذا كذا (بأن لا يراهيم مكان البيت) أي جعلناه مكان البيت
 مبوءاً أي مرجعاً يرجع اليه للعبادة والعبادة فإن البيت رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من
 ياقوته جزاء فأعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كشفت ما حوله
 فبناه على اسمه القديم وقيل بعث الله تعالى له سحابة بقدر البيت فقامت بجبال البيت وفيها رأس
 يتكلم بالابراهيم ابن علي دورى فبنى عليه وعن عطاء بن أبي رباح قال لما أهبط الله آدم عليه السلام
 كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع تسبيح أهل السماء ودعاهم وأنس اليهم فهابت
 الملائكة منه حتى شكت الى الله تعالى في دعائها وقيل في صلاتها فاخضضه الله تعالى الى
 الارض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش وقيل أقول من بنى البيت ابراهيم لما روى وورد

في الصحاحين عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أولاً قال المسجد الحرام قلت ثم
 أي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم فسّر التبوئة بقوله تعالى (أن لا تشرك بي
 شيئاً) فابتدأ بأص العبادات ورأسها وعطف على النهي قوله تعالى (وطهر بيتي) أي عن كل مالا
 يليق به من الأوثان والأقدار ووطأ فعرين به كما كانت العرب تفعل (للطائفين) أي الذين
 يطوفون بالبيت (فان قيل) كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيراً لتبوئة
 (أجيب) بأن التبوئة لما كانت مقصودة من أجل العبادات فكانه قيل تعبدوا بآبائهم قلنا له
 لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين وقال ابن عباس للطائفين بالبيت من غير أهله (والقائمين)
 أي المقيمين (والركع السجود) أي المصلين من الكل وقال غيره القائمين هم المصلون لأن
 المصلي لا بد أن يكون في صلاته جامعاً بين القيام والركوع والسجود قال البيضاوي ولعله عبر
 عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت
 (وأذن في الناس) أي أعلمهم ونادفهم (بالحج) وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة
 المخصوصة بالمشارع المنصوصة وفي المأثور بذلك قولان أحدهما وعليه أكثر المفسرين أنه
 إبراهيم عليه السلام قالوا لما فرغ من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال يارب
 وما يبلغ صوتي قال عليك الأذان وعلى البسلاخ فسمع إبراهيم الصفا وفي رواية أخرى أباقيس
 وفي رواية أخرى على المقام قال إبراهيم كيف أقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو أقول من لي
 وفي رواية أخرى صعد على الصفا فقال يا أيها الناس إن الله كتب عليكم حج هذا البيت العتيق
 فسمعه ما بين السماء والأرض فثابني شيء سمع صوته الأقبيل يلبى يقول لبيك اللهم لبيك وفي رواية
 أخرى إن الله يدعوك إلى حج بيته الحرام لبيثيكم به الجنة ويجبركم من النار فأجابهم يومئذ من كان
 في أصلاب الرجال وأرحام النساء وكل من وصل إليه صوته من حجر أو شجر أو آنية أو تراب قال
 مجاهد فاجع انسان ولا يحج أحد حتى تقوم الساعة الا وقد أسمع ذلك النداء فمن أجاب مرتب
 مرة ومن أجاب مرتين أو أكثر فحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار وفي رواية فنادى على جبل
 أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأوجب الحج عليكم إليه فأجيبوا ربكم والفت
 بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجاب كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام
 الاقهار لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس قال لما أمر الله إبراهيم بالأذان نواضعت له الجبال
 وخفضت وارتفعت له القري القول الثاني إن المأمور بذلك هو النبي محمد صلى الله عليه
 وسلم وهو قول الحسن واختاره أكثر المعتزلة واحتجوا عليه بأن ما جاء في القرآن وأمكن حمله
 على أن يمجداً صلى الله عليه وسلم هو الخطاب به فهو أولى لأن قوله تعالى واذا نواضعت له
 واذا ذكر يا محمد اذنوا فافهم في حكم المذكور فاذا قال تعالى واذا نواضعت له يرجع الخطاب أمر أن
 يفعل ذلك في حجة الوداع روى عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا وجواب الامر (يأتونك) أي يأتوا بيتك
 الذي بنيت له لذلك مجيبين لصوتك بأذن الله تعالى طائعين مخبتين خاشعين من أخطار الأرض كما

يحبسون صوت الداعي من قبله اذ ادعاهم بعد الموت غسل ذلك (رجالاً) أى شاة على أرجلهم
جمع راجل كقائم وقيام (و) ركباناً (على كل ضامر) أى بعير مهزول وهو يطلق على الذكرو الانثى
* (نفسه) على كل ضامر حال مغطوف على حال كأنه قال رجالاً وركباناً وقوله تعالى (يأتين)
صفة أكل ضامر لانه في معنى الجمع (من كل فج) أى طريق واسع بين جبلين (عميق) أى بعيد
روى سعيد بن جبير بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحاج الركب له بكل خطوة
تخطوها راحلة سبعون حسنة والمعاشي سبع مائة من حسنات الحرم قبل يارسول الله وما
حسنات الحرم قال كل حسنة بمائة ألف حسنة وفي هذا دلالة على أن المشي أفضل من الركوب
وفي ذلك خلاف بين الأئمة محلله كذب الفقه * ولما كان الانسان ميالاً الى القوائد منشوقاً الى
جبل العوائد على الاتيان بما يرغبه سبحانه من فضله ما يقصده من اخر المعاش بقوله تعالى
(ليشهدوا) أى ليحضر واحضروا تاماً (مناقع لهم) واختلف في تلك المناقع فبعضهم جعلها على
مناقع الدنيا وهى أن يجربوا في أيام الحج وبعضهم جعلها على مناقع الآخرة وهى العقوب والمغفرة
وبعضهم جعلها على الامر بنجده وهو كما قال الرازى أولى فبدأت تلك المناقع يتناولون من مشعر
من مشاعر الحج الى مشعر ومن مشعر الى مشعر مجموعين بالدعوة خاشعين بالهيبسة حائقين
من السطوة راجين للمغفرة ثم يتقربون الى منازلهم ومواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم
كالسائر الى مواقع الحشر يوم البعث والنشر المتفرقين الى دارى النعيم والجحيم فبدأت
المصدقون بأن خليلنا ابراهيم عليه السلام نادى بالحج فأجابته بقدرتنا كرامة له من أراد
الله تعالى حجه على بعد أقطارهم وتناسى دارهم ممن كان موجوداً في ذلك الزمان ومن كان
في ظهو والآباء والامتهات الاقربين والابعدين صدقوا ان الداعي من قبلنا بالنفخ في الصور
يجيبه كل من كان على ظهرها من حفظنا له جسده أو سلطانا عليه الارض فترقبناه حتى صار
تراباً وما بين ذلك لأن الكل علمنا بيسير قال الزمخشري وعن أبى حنيفة رجه الله انه كان
يقاضل بين العبادات كلها قبل أن يخرج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها المشاهدة من تلك
الخصائص * ولما كانت المناقع لا تطيب ولا تتمر الا بالتقوى وكان الحامل على التقوى ذكر الله
تعالى قال تعالى (ويذكر واسم الله) أى الجامع لجميع الكلمات بالتكبير وغيره عند الذبح
وغيره وقيل كنى بالذبح عن الذبح لأن ذبح المسلمين لا يتفك عنه تنبيهاً على ان المقصود بما
يتقرب به الى الله تعالى أن يذكر اسم الله * واختلف في الايام المعلومات في قوله تعالى (في أيام
معلومات) فالذى عليه أكثر المفسرين وهو اختيار الشافعى وأبى حنيفة أنه عشر ذى الحجة
واحتجوا بأنهم ما علموا عند الناس بحجهم على علمهم من أجل أن وقت الحج في آخرها ثم للمنافع
أوقات من العشر معرفة كيوم عرفة والمشعر الحرام واما الذبايح وقت منها وهو يوم النحر
وعن ابن عباس أنها أيام التشريق وقيل يوم عرفة الى آخر أيام التشريق وقيل يوم النحر الى آخر
أيام التشريق واستدل لهذا بقوله تعالى (على ما رزقهم من بركة الانعام) وهى الابل والبقر
والغنم من الهدايا والنحايأى يذكر واسم الله تعالى عند نحرها ونحر الضحايا والهدايا يكون
في هذه الايام وتقدم الكلام على الايام المبدوءات في سورة البقرة عند قوله تعالى واذكر والله

في أيام معدودات وقوله تعالى (فكلوا منها) أي من لحومها أمر بإباحة وذلك أن الجاهلية
 كانوا لا يأكلون من لحوم خد إياهم شيئاً فأمر الله تعالى بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى
 إذا كان نطوقاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أخصية النطوق لما روى عن جابر بن عبد الله
 في قصة حجة الوداع تأتي على يدين من اليمن فساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة
 فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين بدنة ونحر على ما عبراى ما بقي وأشرك في بدنه
 ثم أمر من كل بدنة ببيضة أي بقطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها
 أخرجه مسلم واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب
 بإفساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منه قال الشافعي رضي
 الله عنه لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما
 لا يأكل من جزاء الصيد والنذرية كل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق وقال مالك لا يأكل
 من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وعن
 أصحاب أبي حنيفة أنه يأكل من كل من كل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله
 تعالى (وأطعموا البائس) أي الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقر) أي المحتاج أمر بإيجاب وقد
 قيل به في الأول (ثم ليقتضوا نفقهم) أي يزيلوا أساخهم وشعثهم كقص الشارب والاطفار
 وتنف الابط والاستحذاء عند الاحلال (وليوفوا نذرهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا)
 طواف الافاضة الذي به تمام التحلل (بالبیت العتيق) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس
 وقال ابن عباس سمي عتيقاً لأن الله تعالى أعثقه من تسلط الجبابرة فبكم من جبار سار إليه
 ليهدمه فغنه الله تعالى منه (فان قيل) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (أجيب) بأنه ما قصد التسلط
 على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لإخراجه ثم نباه لما قصد التسلط عليه ابرهة فعزل به
 ما فعل وقيل لأن الله تعالى أعثقه من الغرق فإنه رفع في أيام الطوفان وقال مجاهد لأنه لم يعلك قط
 وقيل بيت كريم أي العتيق بمعنى الكريم من قولهم عناق الخليل والطير والطواف ينقسم إلى
 ثلاثة هذا ويدخل وقته بعد الوقوف وهذا لا يجبر تركه بدم لأنه ركن الثاني طواف الوداع ووقته
 عند إرادة السفر من مكة وهو واجب يجبر تركه بدم الثالث طواف القدوم وهو مستحب للعاج
 والحلال إذا قدم مكة روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه نوضاً ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله وقرأ ابن ذكوان وليوفوا
 وليطوفوا بكسر اللام فيهما والباقون باسكانها وفتح أبو بكر والواو من وليوفوا وشدة الفاء وقوله
 تعالى (ذلك) خبر مستدام قدر رأى الأمر والشأن ذلك المذكور كما يقدم الكتاب جملة من كتابه
 في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا فقد كان كذا (ومن يعظم) أي بقاية
 جهده (حرمات الله) ذي الجلال والإكرام كلها وهي ما لا يحل انتهاكها من مناسك الحج وغيرها
 وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتَعْظِيمُهَا أَقَامَتُهَا وَأَتَمَّامُهَا وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس
 الصكبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو) أي

التعظيم الحامل له على امتثال الامر فيها على وجهه واجتناب المنهى عنه كالذبح بذكر اسم غير
 الله والطواف عريانا (خير) كائن (له عند ربه) أى الذى أسدى اليه كل ما هو فيه من النعم في
 الآخرة ومن اتهمكها فهو شر عليه عند ربه ثم انه تعالى بين أحكام الحج بقوله تعالى (وأحلت
 لكم الأنعام) أى أكلها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم (الأماتلى) أى على سبيل التحذير
 مستترا (عليكم) تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن
 يكون متصلا والتعريم لمعارض من الموت ونحوه فخافوا على حيدوده وأياكم أن تحرموا
 مما أحل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحرية والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا ما حرم الله شيئا
 كاحلالهم أكل الموقودة والميتة وغير ذلك * ولما فهم من ذلك حل السواحب وما معها وتحريم
 المذبح للانصاب وكان سبب ذلك كله الاوثان تسبب عنه قوله تعالى (فاجتنبوا) أى بغاية الجهد
 اقتداء بأبيكم ابراهيم عليه السلام الذى تقدم الايصال له بمثل ذلك عند جعل البيت له مباحة
 (الرجس) أى القذر الذى من حقه ان يجنب من غير أمر ثم بينه وبينه بقوله تعالى (من
 الاوثان) أى الذى هو الاوثان كما تجنب الانجاس فهو بيان للرجس وتميزه كقولك عندى
 عشرون من الدراهم وسمى الاوثان رجسا وكذا النجس والميسر والارلام على طريق التشبيه
 يعنى أنكم كما تنفرون بطباعكم من الرجس وتجنبونه فليكن ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل
 تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة
 في اجتنابه أنه رجس والرجس محبذ وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) نعيم بعد تخصيص
 فان عبادة الاوثان رأس الزور لان المشرك زاعم أن الوثن تحقق له العبادة كأنه قال فاجتنبوا
 عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور ككلامه لا تقر بواحدة شيئا لتماذيه
 في القبح والسماجة وما ظنك بشئ من قبيلة عبادة الاوثان والزور من الزور والازوراد وهو
 الانحراف كما ان الافك من أفكها اذا صرفه فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
 قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افتراءهم وقيل هو قول المشركين
 في تلييتهم لبيك لاشريك لك الا شريك هوك تملكه وما ملك وقيل هو شهادة الزور لما روى
 أبو داود والترمذى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما مستقبلا الناس بوجهه
 الكريم وقال عدت شهادة الزور الا شريك بالله قالها ثلاثا وتلا هذه الآية وقوله تعالى
 (حذوا لله) أى مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تأكيده لما قبله
 وهما حالان من الواو (ومن يشرك) أى يوقع شيئا من الشرك (بالله) الذى له العظمة كلها بشئ
 من الاشياء في وقت من الاوقات (فكأنما لم يسمع) أى سقط (من السماء) لعلوا ما كان فيه من
 أوج التوحيد وسفل ما انحط اليه من حضيض الاشراك (فقطفه الطير) أى تأخذه بسرعة
 وهو نازل في الهواء قبل أن يصل الى الارض (أو تهوى به الريح) أى حيث لم يجد في الهواء
 ما يهلكه (في مكان) من الارض (سحق) بعينه فهو لا يرجى خلاصه * (تنبه) قال الزمخشري
 يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها لم يكن كافكا أنه قال من

أشرك بالله تعالى فقد أهلك نفسه هلاكاً ليس بعده هلاكاً بأن صور حاله بصورة حال من خرم
 السماء فاختطفته الطير ففترق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض
 المطاوح البعيدة وان كان مفترقاً فقد شبه الايمان في علوه بالسما والذى ترك الايمان وأشرك بالله
 بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشیطان الذي يطوح به
 في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتافئة اه قوله يطوح به
 الباء مزيدة للتأكيد قال الجوهري طوحه أي توجهه وذهب به ههنا وههنا وقرأ نافع بفتح
 الخاء وتشديد الطاء والباقون باسكان الخاء وتخفيف الطاء ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما
 هو مبدى عنه بالإشارة بأداة البعد فقال تعالى (ذلك) أي الامر العظيم الكبير فمن راعاه
 فاز ومن حاد عنه خاب ثم عطف عليه ما هو أعم من هذا القدر فقال تعالى (ومن يعظم شعائر
 الله) جمع شعيرة وهي البدن التي تهدي للعزم لانها من معالم الحج بأن يختار عظام الاجرام
 حسناً ما غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغفلون في ثلاث ويكبرون
 المكاس فيمن الهدى والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنه ما أنه أهدى
 نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمن ابداً
 فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جل لابي جهل
 في أنفة برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيصدق بلعومها وجلالها
 ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع
 فيه (فانها) أي تعظيمها ناشئ (من تقوى القلوب) فمن لا بداء فان جمعت ببعضه فلا بد من
 حذف تقديره فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم
 المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من يرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها
 مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهرت أثرها في سائر الاعضاء وسميت تلك البدن
 شعائر لشعارها بما يعرف به أنها هدى كطعن حديدية بسنامها قال الباقى ولعله مأخوذ من
 الشعر لانها اذا جرح قطع شيء من شعرها أو أزيل عن محل الجرح فيكون من الازالة (لكم
 فيها) أي البدن (منافع) ركوبها والجل عليها بما لا يضرها وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها
 ركب ومن احتاج الى ابنها شرب وقال أصحاب الراى لا يركبها الا اذا اضطر اليها (الى أجل
 مسمى) وهو وقت فخرها (ثم محلها) أي مكان حل فخرها (الى البيت العتيق) أي عنده والمراد
 الحرم جميعه وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج وبالمنافع الاجر والثواب في قضاء
 المناسك الى انقضاء آجالها وبجعلها محل الناس من احرامهم الى البيت يطوفون به طواف الزيارة
 (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكاً) أي متعبداً وقرانياً يتقربون
 به الى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي منسكاً ههنا وفي آخر السورة بكسر السين في الموضعين
 فيكون بمعنى الموضع والباقون بفتحها مصدر بمعنى النسك (ليذكر واسم الله) أي
 الملك الاعلى وحده على ذبائحهم وقرابينهم لانه الرزق لهم وحده فيقولون عند العز لله

أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك ثم علل الذكر بالنعمة تنسيها على التفكير فيها فقال تعالى (على ما رزقهم من بركة الانعام) فوجب شكره لذلك عليهم وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الانعام (فألهكم) أي الذي شرع هذه المناسك كلها (الله واحد) وان اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضا وإذا كان واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا قال تعالى (قله) وحده (اسماؤا) أي انقادوا ويجمع مع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به أو نهى عنه (وبشر الخبتين) أي المطيعين المتواضعين من الخبت وهو المظتمن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلوا لم ينتصروا * ثم بين علاماتهم بقوله تعالى (الذين إذا ذكر الله) أي الذي له الجلال والجمال (وجلّت) أي خافت خوفا من عجا (قلوبهم) فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين) الذين صارا الصبر عاداتهم (على ما أصابهم) من المكاف والمصائب ولما كان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى (والمقيمي الصلاة) في أوقاتها والمحافظة عليها وان حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل ولذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة الى أنه لا يقيها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل الاراسخ في حجب افهم لما تمكن حجبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كأنهم دائماً في صلاة (ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في أنعامها وغير ذلك احسانا الى خلق الله تعالى * ولما قدم تعالى الحديث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل أعظمها خلقا وأجلها في أنفسهم أمر اخصها بالذكر فقال تعالى (والبدن) أي الابل المعروفة بجمع بدنة كتعب وخشبة واتصافه بفعل يقصره (جعلناه لكم من شعائر الله) أي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى وقيل لانهم اتشعروا هي أن تطعن بحديدية في سنامها ليعلم بذلك أنهم اهتدى (لكم فيها خبير) أي نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس دينا وأخرى وروى الترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب الى الله من هراقة الدم وأنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وان الدم ليقع من الله بكمكان قبل أن يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وروى الدارقطني في السنن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نخيرة في يوم عيّد وعن بعض السلف أنه لم يملك الاتسعة دنائير فاشتري بها بدنة فقبل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير (فأذكروا اسم الله عليها) أي على ذبحها بالكبير حال كونها (صواف) أي قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث (فاذا وجبت جنوبها) أي سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا من وجب الحائط وجمعة سقطت ووجبت الشمس وجمعة غربت قال ابن كثير وقد خاف في حديث مرفوع ولا تعجلوا النفوس أن تزهد وقوله تعالى (فكلوا منها) أي اذا كانت تطوعا أمر اباحة دفعها لما قد يظن أنه يحرم الاكل منها لا الأمر بتقريبها لله تعالى (واطعموا القانع) أي المتعرض للسؤال بخشوع وانكسار (والمعتر) أي السائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رجه الله تعالى

قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل والمعتز هو الزائر وقيل القانع هو الجالس في بيته المتعفف الذي يفتع بما يعطى ولا يسأل ولا يعترض والمعتز المتعزز وقيل القانع هو المسكين والمعتز الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيعترض لهم لأجل حاجتهم (كذلك) أي مثل هذا التحذير العظيم الذي وصفناه من تحذرها قايماً (سخرناها) بعظمتنا التي لولاهما ما كان ذلك (لكم) وذلكنا إليها ونهانا مع عظمها وقوتها تأخذونها منقاداً فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها جرماً وأقل قوة (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم لنعرفوا أن ما دلهما لكم إلا الله تعالى فيكون حالكم حال من يرجو شكره فتوقعوا الشكر بأن لا تحترموا منها إلا ما حرّم عليكم ولا تحلوا منها إلا ما أحل وتمهدوا منها ما حلت على أهدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم * ولما حلت تعالى على التقرب بهم امدكورا اسمه عليها قال تعالى (لن ينال الله الذي له صفات الكمال (لحومها) المأكولة (ولادماؤها) المهرقة أي لا يرفعان إليه (ولكن يناله التقوى منكم) أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان كما قال تعالى والعمل الصالح يرفعه أي يقبله وقيل كان أهل الجاهلية إذا فحروا البدن نفخوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فترات * ثم كثر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تحذيرها منبها على ما أوجب عليهم به بقوله تعالى (كذلك) أي التحذير العظيم (سخرها لكم) بعظمته وعنايته عنكم (لشكر الله على ما هداناكم) أي أوردكم لمعالم دينه ومناسك حجه كأن تقولوا الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته * ثم وعدم امتثال الأمر بقوله تعالى (وبشر المحسنين) أي المخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل وبشر المحبتين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الأعمال ويتمسك به فيصير محبباً إلى نفسه بتوفير الثواب عليه وقال ابن عباس الموحدين وقوله تعالى (إن الله) أي الذي لا كف له (يدفع عن الذين آمنوا) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء وسكون الدال وفتح الفاء والباقون بضم الياء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أي يبالغ في الدفع مبالغته من يقالب فيه ولم يذكر الله تعالى ما يدفعه عنهم حتى يكون أعظم وأنخم وأعم وأن كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين فلذلك قال تعالى بعده (إن الله) أي الذي له صفات الكمال (لا يحب) أي لا يكرم كما يفعل المحب (كل حوآن) في أماته (كفور) لنعمة وهزم المشركون قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شركاً وكفروا بنعمة فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وقال مقاتل يدفع عن الذين آمنوا بكم حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين أذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سراً فنهأهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم في قتلهم بقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون) أي المشركين والمأذون لهم فيه وهو في القتال محذوف دلالة يقاتلون عليه (بأنهم) أي بسبب أنهم (ظلموا) فكانوا يأثونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوع يتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر فأزات وهي أول

آية نزلت في القتال بعد ما منى عنه في نيف وسبعين آية وقبل نزلت في قوم بأعيانهم مهاجرين
من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين منعوهم من
الهجرة بأنهم ظلموا واعتدوا عليهم بالأيذاء وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة والباقون
بفتحها * ولما كان التقدير فان الله أراد اظهار دينه بهم عطف عليه قوله تعالى (وان الله) أى
الذى هو الملك الاعلى (على نصرهم لقدير) وفي ذلك وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم
بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) الى الشعب والحشة والمدينة (بغير حق) أوجب ذلك
ما أخرجوا (الآن يقولوا) أى يقولهم (ربنا الله) وهذا القول حق والاخراج به اخراج بغير
حق ونظير ذلك قوله تعالى هل تتقون منا الا ان آمننا بالله * (تنبيه) * الذين أخرجوا من ديارهم
نعت للذين يقاتلون أو بدل منه أو منصوب على الملاح أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف (ولو لا دفع
الله) أى المحيط بكل شئ علما (الناس بعضهم ببعض) أى بتسليط المسلمين منهم على الكافرين
بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمانهم وعلى متعبديهم كما قال تعالى
(ألهدمت) أى خربت (صوامع) وهى معابد صغار للرهبان مرتفعة (ويبيع) ككنايس
للنصارى (وصلوات) أى كنائس لليهود وسببت بها لأنها يصلى فيها وقبل هى كلمة معربة أصلها
بالعبرانية صلواتا (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أى هذه المواضع المذكورة (اسم الله) العلى
العظيم (كثيرا) وتتقطع العبادات بخرابها وقبل الضمير يرجع للمساجد فقط تشرىفها بأن
ذكر الله يحصل فيها كثيرا (فان قيل) لم قدم الصوامع والبسيع في الذكر على المساجد (أجيب)
بأنها أقدم في الوجود وقبل أخرى في الذكر كما في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات ولان الذكر
آخر العمل فلما كان نينا صلى الله عليه وسلم خير الرسل وأتمنا خيرا الام لا جرم كانوا آخرهم
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون والسابقون وقبل أخرى لتكون بعدة عن الهدم
قرينة من الذكر وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح الدال وسكون
الفاء وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال والباقون بتشديد هاوا أظهر الناء عند الصاد
نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها الباقون (ولينصرت الله) أى الملك الاعظم (من ينصره) أى
ينصر دينه وأولياءه كائنا من كان منهم أو من غيرهم وقد أنجز الله تعالى وعده بأن ساطع المهاجرين
والانصار على صناديد العرب وأكسرة العجم وقياسرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله)
أى الذى لا كف له (لقوى) أى على ما يريد (عزيز) أى منيع في سلطانه وقدرته وقوله تعالى
(الذين ان مكاهم) أى بما للنامن القدرة (في الارض) بإعلانهم على ضدهم (أقاموا الصلاة)
أى التى هى عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل القانى (وآتوا الزكاة)
أى المؤذنة بالرهدي الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرحيل (وأمرنا بالمعروف) أى الذى
أمر الله تعالى ورسوله به (ونهى عن المنكر) أى الذى نهى الله ورسوله عنه وصف للذين
هاجروا وهو اخبار من الله تعالى بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين والانصار رضى
الله تعالى عنهم وعن عثمان رضى الله تعالى عنه هذا والله شاء قبل بلا يريد ان الله تعالى أثنى

عليهم قبل أن يحدوثوا من الخير ما أحدثوا * (تنبيه) * في ذلك دليل على صحة خلافة الأئمة الأربعة
 الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين واذا ثبت ذلك وجب أن يكونوا على
 الحق ولا يجوز جل الآية على أمير المؤمنين على وحده لان الآية دالة على الجمع. وعن الحسن هم
 أئمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل الذين منصوب بدل من قوله تعالى من نصره (ولله) أى الملك
 الاعلى (عاقبة الامور) أى آخر أمور الخلق ومصيرها اليه فى الآخرة فلا يكون لاحد فيها أمر
 حتى انه لا ينطق أحد الا باذن منه * ولما بين سبحانه وتعالى فيما تقدم اخراج الكفار للمؤمنين
 من ديارهم بغير حق وأذن فى مقاتلتهم وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم النصر فبين ان الله
 عاقبة الامور أردفه بما يجرى مجرى التسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما هم عليه من
 أذيته وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال تعالى (وان يكذبوا فقد كذبت قبلهم) أى قبل
 قومك (قوم نوح) وتأنيث قوم باعتبار المعنى وتحقير المكذبين فى قدرته وان كانوا من أشد
 الناس (وعاد) أى ذوو الابدان الشداد قوم هود (وعود) أولو الابنية الطوال فى السهول
 والجبال قوم صالح (وقوم ابراهيم) المتجبرون المتكبرون (وقوم لوط) الانحاس بما لم يسبقهم
 اليه أحد من الناس (واصحاب مدين) أرباب الاموال المجموعة من خزائن الضلال فأتت
 يا أشرف الخلق لست بأوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلكم قبل قومك * ولما كان
 موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرئية ثم المسجوعة بحال يأت بمثله أحد من تقدمه فكان
 تكذيبه فى غاية البعد غير سبحانه وتعالى الاسلوب تنبيهها على ذلك وعلى ان الذين أطبقوا على
 تكذيبه القبط وأما قومهم فما كذبهم منهم الا أناس يسير فقال تعالى (وكذب موسى)
 وفى ذلك أيضا تعظيم للتأسية وتفخيم للتسليمة (فأملت للكافرين) أى أهلهم بتأخير العقاب
 عنهم الى الوقت الذى ضربته لهم. وعبر عن طول الاملاء بأداة التراخي لزيادة التأسية فقال
 تعالى (ثم أخذتهم) أخذ عزير مقتدر * ثم نبه سبحانه وتعالى بالاستفهام فى قوله تعالى (فكيف
 كان تكبير) أى انكارى لافعالهم على أنه كان فى أخذهم عبر وعجائب وأهوال وعزائب
 حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا. والاستفهام للتقرير أى وهو واقع
 موقعه فليحذر هؤلاء الذين أتيتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك فان لم يؤمنوا بك ففعلت
 بهم كما فعلت بهم ولما وان كانوا أمكن الناس فلا يحزنك أمرهم * (تنبيه) * أثبت ورش الياء
 بعد الراء من تكبير فى الوصل وحذفها الباقون وقفا ووصلا (وكأن) أى وكمن (من قرينه)
 وقيل معنى كآين رب وقوله تعالى (أهلكتها) قرأه أبو عمر وبعد الكاف بناء فوقية مضمومة
 والباقون بعد الكاف بنون وبعدها ألف والمراد أهلها بدليل قوله تعالى (وهى) أى والحال أنها
 (ظالمة) أى أهلها بكفرهم ويحتمل أن يكون المراد هلاك نفس القرية فيدخل تحت هلاكها
 هلاك من فيها الان العذاب النازل اذ يبلغ أن يهلك القرية فتصير منهمة جعلها كالكل فيها
 وان كان الاول أقرب (فهى) أى فتسبب عن اهلاكلها أنها (خاوية) أى منهمة ساقطة
 أى جدرانها (على عروشها) أى سقوفها اذ كل من ترفع أطلال من سقف بيت أو خيمة أو ظلة

أو كرم فهو عرش والخواوى الساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالى من خوى المنزل اذا خلا
من أهله وخوى بطن الحامل * (تنبيه) * قوله على عروشها لا يتخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون
المعنى انها ساقطة على عروشها أى سقوطها أى تقصفت الاخشاب أو لا من كثرة الامطار وغير
ذلك من الاضرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت فوق السقوف أو خالصة مع بقاء
عروشها وسلامتها واما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خاوية وهي على عروشها أى
فانتهت على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض فسارت في قرار الحيطان
مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة وقوله فهي خاوية جملة معطوفة على أهلكتها
لاعلى وهي ظالمة فانها حال كما قدرته والاحلال ليس حال خرابها فلا يحل لها ان نصبت كما ين
بجند يفسره أهلها كمتا لانهم معطوفة على جملة أهلكتها كما مر وهي منسرفة لا يحل لها وان
رفعت كاي بالابتداء فاعلمها رفع خبرا ثانيا الكاين وانظر الاثر أهلكتها (و) كم من (بئر معطلة)
أى متروكة بموت أهلها (وقصر مشيد) أى رفيع خال بموت أهلها * (تنبيه) * علم مما قدرته ان
بئر معطوف على قرية وهو يقوى على أن عروشها تعنى مع أوجده وروى أن هذه بئر نزل عليها
صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر من آمن به وشجأهم الله تعالى من العذاب وهي
بحضرموت وانما سميت بذلك لأن صالحا حين حضر حامات وثم بلدة عند البئر اسمها حانورا
بناها قوم صالح وأمروا عليهم جيلس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما
فأرسل الله تعالى اليهم حفظة بن منصوران عليه السلام نبيا فاستلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل
بئرهم وخرب تصورهم وقوله تعالى (أفلم يسيرا) أى كفار مكة (في الارض) يتحمل انهم
لم يسافروا فخوا على السفر ليرامى من أهلكتهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم
فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراو ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا
(فكسبون) أى فتسبب عن سرهم أن تكون (لهم قلوب) واعية (يعقلون بها) مارأوه بأبصارهم
بما نزل بالمكذابين قبلهم (أو) أى أو يكون لهم ان كانوا على الابصار كما دل عليه جعل هذا
قسما (أذان يسمعون بها) أخبارهم بالهلاك وشراب الديار فيعتبروا (فأنها) أى التهمة
(لأنهم الابصار) ويتجوز أن يكون التفسير بهما بفسره الابصار وفي تعصى راجع اليه
والمعنى ان أبصارهم صحيحة سالمة لا عى فيها وانما العى لتلوهم كما قال تعالى (ولكن تعصى
القلوب التي في الصدور) ولا يعتد بعصى الابصار فانه ليس بعصى بالاضافة الى عى القلوب
(فان قيل) فأي فائدة في ذكر الصدور (أجيب) بأن الذي قد تورف واعتقد أن العى
على الحقيقة للبصر وهو ان تصاب المحذقة بما يطمس نورها واستعماله في الطلب استمارة
وتتميل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العى الى القلوب حقيقة وتنبيه عن
الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تبين وفصل تعرف لية تتر ان مكان العى هو
القلوب لا الابصار كما تقول ليس المناه بالسين ولكنه لاك الذي بين فكيف فتروك الذي بين
فكيف تقرير لما ادعبه لسانه وثبت لأن حمل المناه هو لا غير فكأنك قلت ما نسب المناه عن

السيف وأثبتته للسالك فلتة ولا سهو أمني ولكن تعمدت به آياه بعينه تعمد أقبل لما نزل قوله
 تعالى ومن كان في حدة أعني فهو في الآخرة أعني فترت (ويستجملونك بالعذاب) الذي توعدتهم به تكذيباً
 واستهزاء (والحال أنه) (لن يخلف الله) أي الذي لا كف له (وعده) لا متنازع الخلف فيه وفي خبره
 سبحانه وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو من بعد حين لكنه تعالى حلیم لا يجمل بالعقوبة وقد
 أفيج يوم بدر (وإن يوماً عند ربك) أي المحسن اليك بتأخير العذاب عنهم أكراماً لك من أيام
 الآخرة بالعذاب (كألف سنة مما تعدون) في الدنيا وطول أيامه حقيقة أو من حيث أن أيام
 الشدة مستطالة وقرأ ابن كثير وجزء والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
 (وكأن من قرية أمليت لها) أي أمهلتها كما أمهلتمكم (وهي ظالمة) كظلمكم بالاستعجال وغيره
 (ثم أخذتم) أي بالعذاب والمراد أهلها (والى المصير) أي المرجع فيقطع كل حكم دون حكمي
 فقهه وعبد وتهديد (فان قيل) لم قال فكان من قرية أهلكتم بالفاء وقال هنا بالواو (أجيب)
 بأن الأولى وقعت بدلالة قوله تعالى فكيف كان تكبير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدم
 من الجملتين المعطوفتين بالواو أعني قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف
 سنة مما تعدون. ولما كان الاستعجال لا يطلب من الرسول وإنما يطلب من المرسل أمره الله تعالى
 بأن يديم لهم التخويف والانداز بقوله تعالى (قل) أي لهم ولا يصدّك عن دعائهم ما أخبرناك
 به من عملهم (يا أيها الناس) أي جميعاً من قومك وغيرهم (انما أنا نذير مبين) أي بين
 الانذار والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن مصدر الكلام وسياقه
 للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم بقوله (فالذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان (وعملوا) أي
 تصديقاً لدعواهم تلك (الصالحات لهم مغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق) أي في الدنيا بالغنائم
 وغيرها وفي الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كریم) أي لا خسة فيه
 ولا دافعة بانقطاع ولا غيره زيادة في غيظهم. ولما كان في سياق الانذار قال معبراً بالماضى زيادة
 في التخويف (والذين سعوا) أي أوقعوا السعي ولو مرة واحدة (في آياتنا) أي القرآن بإبطالها
 (معجزين) من أتبع النبي صلى الله عليه وسلم أي ينسبونهم إلى العجز ويبتطونهم عن الإيمان
 أو مقدرين بحزننا عنهم وقرأ ابن كثير وأبو عمر بتشديد الجيم بعد العين على أنها حال مقسدة
 والباقون بألف بعد العين وتخفيف الجيم أي مسابقين مشاقين للساعين فيها بالتثنية (أو لئلا)
 البعداء البغضاء (أحجاب الجيم) أي النار استحقاقاً بما سعوا فيه كنههم فيها لعلوا أنهم هم
 العاجزون. ولما لاح من ذلك أن الشيطان ألقى شبهاً يخفرون فيها بحمد الهيم في دين الله الذي
 أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بإظهاره وتقريره وأشهاد عطف عليه تسليته صلى
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وما أرسلنا) أي بعظمنا (من قبلك) ثم أكراد الاستغراق بقوله تعالى
 (من رسول) وهو نبي أمر بالتبليغ (ولاني) وهو من لم يؤمر بالتبليغ وهذا هو المشهور فعني
 أرسلنا وحينا فالنبي أعني من الرسول ويدل عليه ما رواه الأمام أحمد من أنه صلى الله عليه وسلم

سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكهم الرسل فقال ثلثمائة وثلاثة
عشر جاغتيرا وقيل كما هو ظاهر الآية الرسول من جمع الى المجزة كتابا من رآه عليه والنبي غير
الرسول من لا كتاب له وقيل يمكن جعل الآية عليه أيضا والرسول من يأتيه الكتاب والنبي يقال
له ولن يوحى اليه في المنام (الا ذاتني) أي تلا على الناس ما أمره الله تعالى به أو حذوهم به
واشتهى في نفسه أن يقبلوه حرصا منه على إيمانهم ثقة عليهم (ألقى الشيطان) من التشبه
والتهليلات (في أميته) أي فيها تلامه أو حدث به واشتهى أن يقبل ما تلقفه منه أو ليأوه
فيجادلونه به أهل الطاعة ليصلوهم وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وكذلك جعلنا
لكل نبي عدا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا كما يفعل
هؤلاء فيما يفترون به في وجه الشريعة أصولا وفروعا من قولهم في القرآن شعر وسحر وكهانة
وقولهم لو شاء الله ما أشركوا ولا آباءنا وقولهم إن ما قلناه تعالى بالمرت حقت أنفسه وأولى بالكل
مما ذبح وقولهم نحن أعلم الله وسكان حرمه ولا يخرج من الحرم فتقف في الحج بالشعر الحرام
وتقف الناس بعرفة ونحن نظوف في ثيابنا وكذا من ولدناه وأما غيرنا فلا يظوف الا عاريا ذكرا
كان أو أنثى الا أن يعطيه أحدنا ما يطلبه ونحو ذلك مما يريدون أن يطفوا به نور الله تعالى
وكذا تأويلات الباطنية والاعتقادية والظاهرية التي الحدود وفيها يضل الله تعالى بها من يشاء
يمحوها من أراد من عباده وما أراد من أمره (فينسخ) أي فينسب عن القائه أنه ينسخ (الله)
أي المحيط بكل شيء علما وقدره (ما يلقي الشيطان) يسطر به إيضاح أمره (ثم يحكم الله آياته) أي ثم
يجعلها جليلة فيما يريد منها وأدل دليل على أن هذا هو المارد من الاقتراح بالمتأخرة في الآيات
اختتام بقوله عطفنا على ما تقديره فآله على ما يشاء قدير (والله عليم) بأحوال خلقه (حكيم)
فيما يقدر عليهم وقيل إنه صلى الله عليه وسلم حدث نفسه بزوال المسكنة فنزل وقال ابن عباس
ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعراض
قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدهم لما جاءهم به حتى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب
بينه وبين قومهم وذلك لحرمه على إيمانهم بخطر ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهل
وأحب يومئذ أن يأتيه من الله تعالى شيء لم يقر واقعته وتفي ذلك فأنزل الله تعالى سورة والنجم إذا
خوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ آخر آية الملات والعزى ومناة الثالثة
الآخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرائق العلى وإن
شفاعتن لترجي ففرح به المشركون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة السورة
كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون لسجوده ومجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق
في المسجد من ولا كافر الا يجد سوى الوليد بن المغيرة وأبو أجيحة عبد بن العاص فانهما
أخذا حفنة من البشاء ورفعاه على جهتهما وسجدا عليهما لانهما كانا شجيين كبيرين فلم
يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقدمهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهما بأحسن
الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله تعالى يحب ويحب ويرزق ولكن هذه آلهما تشفع لنا عنده فإذا

جعل لهم محمد تصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال
 يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله عز وجل فخرن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حزننا شديد واخاف من الله تعالى خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية تعزية له
 وكان به رحيمًا وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم
 سجود قريش وقيل قد أسلت أهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا
 حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يعتقدون به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل
 أحد منهم إلا بجوار مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة
 آلهتنا عند الله تعالى فغير ذلك قال الرازي هذه رواية عامة المفسرين الظاهرية أما أهل
 التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول
 أما القرآن فبوجوه أحدها قوله تعالى ولوقتول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه بالبين ثم
 لقطعنا منه الوتين ثانياها قوله تعالى قل ما يكون لي أن أبتهل من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى
 إلي ثالثها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى وأما السنة فبما روى عن محمد بن خزيمة أنه
 سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال البيهقي هذه القصة
 غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم
 وسجد فيها وسجد المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث الغرائق وأما المعقول
 فنحن وجوه أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لان من
 المعلوم بالضرورة أن النبي كان معظم شعبه في نبي الاوثان ثانياها قوله تعالى فينسخ الله ما يلقى
 الشيطان ثم يحكم الله آياته وازالة ما يلقى الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من
 نسخ هذه الآيات التي تبقى الشبهة معها فإذا أراد الله تعالى احكام الآيات لئلا يلتبس
 ما ليس بقرآن قرأنا فبان يمنع الشيطان من ذلك أصلا ولي ثالثها وهو أقوى الوجوه لو جوزنا
 ذلك ارتفع الايقان عن شرعه ولو جوزنا في كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك
 فيبطل قوله تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من
 الناس فانه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه وزاد الرازي أدلة أخرى
 على ذلك ثم قال وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة أكثر ما في الباب أن جمعنا المفسرين
 ذكروها وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة انتهى وهذه احوال الذي
 يطمئن اليه القلب وان أظن ابن حجر العسقلاني في صحيحها ثم قال وحينئذ فيعين تأويل ما وقع
 فيها مما يشكر وهو قوله ألقي الشيطان على لسانه تلك الغرائق الخ انتهى وعلى القول بما قد
 سلك العلماء في ذلك مسالك أحسنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزل القرآن فارصده
 الشيطان في سكتة من السكات ونطق بذلك الكلمات مما كان يغمسه بحيث سمعه من ذماليه
 فظنهم من قوله وأشاعها وقال البيضاوي بعد أن ذكر بعض هذه القصة وهو مردود عند
 المحققين وان صح فابتلاء بتميزه الثابت على الايمان عن المتردد فيه انتهى قال ابن الاثير
 والغرائق هنا الاصنام وهي في الاصل للذكور من طير الماء واحد ها غرق وغريق سمي به

لبياضه قال وكانوا يزعمون أن الاصنام تقتر بهم من الله وتشفع لهم فشبّهت بالطيور التي تعلق
إلى السماء وترتفع وقيل غنى أى قرأ كقول حسان في حق عثمان بن عفان
غنى كتاب الله أقل ليلة * غنى داود الزبور على رسل

أى على ثأن وتجهل * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حكم به من تمسك الشيطان من هذا الالتقاء
ذكر العلة في ذلك بقوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان) أى في المتلوا والمحدث به من تلك الشبهة
في قلوب أوليائه على التفسير الأول وعلى الثاني وغيره يؤول بما يناسبه (قننة) أى اختبارا
وامتحانا (للذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والقاسية) أى الجافية (قلوبهم) عن قول
الحق وهم المشركون (وأن الظالمين) أى الواضعين لاقوالهم وأفعالهم في غير مواضعها
كفعل من هو في الظلام (لن شقاق) أى خلاف لكونهم في شق غير شق حزب الله بمعجزتهم في
الآيات بتلك الشبهة التي تلقوها من الشيطان وجادلوا بها أولياء الرحمن (بعيد) عن الصواب
لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا ما هم مقترفون وعلى ثبوت
ذكر القصة وجرى عليه الجلال المحلى قال انهم في خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وليعلم الذين أولوا العلم)
باتقان حججه واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين (أنه) أى الشئ الذي تلونه أو تحدثت به
(الحق) أى الثابت الذي لا يمكن زواله (من ربك) أى المحسن اليك بتعليك آياه (فيؤمنوا به)
لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف تلك الشبهة (فتمت) أى تظمت وتختص (له قلوبهم)
وتسكن به نفوسهم (وأن الله) بجلاله وعظمته (لهادى الذين آمنوا) في جميع ما يلقىهم أولياء
الشيطان (إلى صراط مستقيم) أى قويم وهو الاسلام يصلون به إلى معرفة بطلانه حتى لا تلحقهم
حيرة ولا تعتربهم شبهة فيوصلهم ذلك إلى سعادة الدارين (ولا يزال الذين كفروا) أى وجد
منهم الكفر وطبعوا عليه (في صرية) أى شك (منه) قال ابن جرير أى من القرآن وقيل بما
ألقى الشيطان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون خابا لذكرها بخبر ثم ارتد عنها وقيل من
الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيتهم الساعة) أى القيامة وقيل أشراطها وقيل الموت
(بغتة) أى فجأة (أو تأتيتهم عذاب يوم عقيم) قال عكرمة والضحاك لا ليل بعده وهو يوم القيامة
والأكثر على أنه يوم يدورسمى عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم
التي لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ويقوى التفسير الأول
قوله تعالى (الملك يومئذ) أى يوم القيامة (لله) أى المحيط بجميع صفات الكمال وحده * ولما
كان كانه قيل ما معنى اختصاصه به وكل الأيام له قيل (يحكم بينهم) أى المؤمنين والكافرين
بالامر الفصل الذي لا حكم فيه ظاهرا ولا باطنا غيره كما ترونه الآن بل يغشى فيه الامر على أتم
شئ من العدل (فالذين آمنوا وعملوا) أى وصّدقوا دعواهم الايمان بأن عملوا (الصالحات) وهي
ما أمرهم الله به (في جنات النعيم) فضلا منه ورجة لهم بما رجعهم الله تعالى من توفيقهم للأعمال
الصالحات (والذين كفروا) أى ستروا ما أعطيتهم من المعرفة بالادلة على وحدانيتنا (وكذبوا)

بآياتنا) أى ساعين بما أعطيناهم من الفهم في تعجزها بالمجادلة بما يوحى إليهم أولياؤهم من
الشياطين من الشبه (فأولئك) أى البعداء عن أسباب الكرم (لهم عذاب مهين) أى شديد
بسبب ما سبوا في أهانة آياتنا من يدين عزازا أنفسهم بغالبتنا والتكبر عن آياتنا (فان قيل)
لم أدخل القاف في خبر الثاني دون الأول (أجيب) بأن في ذلك تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالحنان
تفضل من الله تعالى وإن عقاب الكافرين من مسبب عن أعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل
هم في عذاب * ولما كان المؤمنون في حصر مع الكفار رغبهم الله في الهجرة بقوله تعالى
(والذين هاجروا في سبيل الله) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب مرضاته من
مكة إلى المدينة (ثم قتلوا) في الجهاد بعد الهجرة وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون
بالخفيف وألحق به مطلق الموت فضلا منه بقوله تعالى (أو ماتوا) أى من غير قتل (ليرزقهم الله)
أى الجامع لصفات الكمال (رزقا حسنا) هو رزق الجنة من حين تفارق أرواحهم أشباحهم
لأنهم أحياء عند ربهم (وإن الله) أى الملك الأعلى القادر على الأحياء كما قدر على الإمامة (لهو
خير الرازقين) فإنه يرزق بغير حساب رزق الخلق عامة البار منهم والفاقر (فان قيل) الرازق
في الحقيقة هو الله تعالى لا رازق الخلق غيره فكيف قال لهو خير الرازقين (أجيب) بأن غير الله
يسمى رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجيوش أى أعطاهم أرزاقهم وإن كان الرازق
في الحقيقة هو الله تعالى * ولما كان الرزق لا يتم إلا بحسن الدار وكان ذلك من أفضل الرزق قال
تعالى دال على ختام التي قبل (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة يكرمون فيه بما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا ينالهم فيها مكروه وقيل هو خيمة في الجنة من درجة
يضاهيها سبعون ألف مصراع وقرأ نافع بفتح الميم أى دخولا ومكان دخول والباقون بالضم
أى ادخلا أو مكان ادخال (وإن الله) أى الذى عمت رحمته وتمت عظمته (يعلم) أى بمقاصدهم
وما عملوا مما رضى به وغيره (حليم) عما قصر واقع من طاعته وما فرطوا في جنبه تعالى فلا
يعاجل أحدا بالعقوبة روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى
الله هؤلاء الذين قد أولوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فىنا
إن متنا معك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (ذلك) أى الأمر المفتر من صفات الله تعالى
الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) أى جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلمان
المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام (ثم نفي عليه) أى ظلم باخراجه من منزله قال
مقاتل نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين للثمين بقيتا من محرم فقال بعضهم
لبعض أن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فأجلوا عليهم فنأشدهم المسلمون وكرهوا
قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال لأجل الشهر الحرام فأبى المشركون فقاتلوه فقتلهم فذلك
بغيرهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروهم الله تعالى عليهم فذلك قوله تعالى (لينصره الله) أى
الذى لا كف له (إن الله) أى الذى أحاط بكل شئ قدرة وعلما (لعفو) عن المؤمنين (عفور) لهم
(فان قيل) لم سعى ابتداء فعلهم عقوبة مع أن العقاب من العقب وهو منصف في الاستداء

(أجيب) بأنه أطلق عليه ذلك للتعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى وجرا سبعة سبعة منها
يخادعون الله وهو خادعهم وكما في قوله كما تدين تدان (فان قيل) كيف طابق ذكر العفو الغفور
في هذا الموضع مع أن ذلك الفعل جائز للمؤمنين لأنهم مظلومون (أجيب) بأن المتصرف لما تبع
هو اه في الانتقام وأعزض عذاب الله تعالى له بقوله تعالى ولمن صبر وعقران ذلك لمن عزم
الامور وبقوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وبقوله تعالى وأن تعفو أقرب للتقوى فكان
في اعراضه عذاب اليه نوع اساءة أدب فكانه تعالى قال عفوت عن هذه الاساءة وعفرتكم الهفاني
أنا الذي أذنت له فيها وفي ذكر العفو تنبيهه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو
الا القادر على ضده (ذلك) أي النصر (بأن الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال (يولي) أي
يدخل لاجل مصالح العباد المسمى والمحسن (الليل في النهار) فيمحو ظلامه بضياءه ولو شاء الله
تعالى مؤاخذه الناس لجعله سرمداً اقتعلت مصالح النهار (ويولي النهار في الليل) فينسخ
ضياءه بظلامه ولو لا ذلك لتعطلت مصالح الليل أو بأن يدخل كلامهم في الآخر فيزيده وذلك
من أثر قدرته التي بهم النصر (وأن الله) بجلاله وعظمته (سميع) لكل ما يقال (بصير) لكل
ما يفعل دائم الانصاف بذلك فهو غير محتاج الى سكون الليل لسمع ولا ضياء النهار ليصير لانه
سبحانه وتعالى منزّه عن الاغراض * ولما وُصف تعالى نفسه بما ليس لغيره عليه بقوله تعالى (ذلك)
أي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم (بأن الله) أي القادر على كل ما أراد (هو) وحده
(الحق) أي الثابت الواجب الوجود (وأن ما يدعون) أي يعبد المشركون (من دونه) وهو
الاصنام (هو الباطل) الزائل وقراً نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالناء على الخطاب للمشركين
والباقون بالياء على الغيبة وأن هذه مقطوعة من مافي الرسم (وأن الله) لكونه هو الحق
الذي لا كف له (هو) وحده (العلي) أي العالي على كل شيء بقدرته (الكبير) وكل ما سواه
سافل حقير تحت قهره وأمره * ثم انه سبحانه وتعالى استدل على كمال قدرته بأمر ستة الاول
قوله تعالى (ألم تر) أي أيم الخطاب (أن الله) أي المحيط قدرة وعلماً (أنزل من السماء ماء) أي
مطراً بأن يرسل رياحاً فتثير سحاباً فيطر على الارض الماء (فتصيح الارض) أي بعد أن كانت
مسودة يابسة ميتة جامدة (مخضرة) حية يانعة مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد
(فان قيل) لم قال تعالى فتصيح ولم يقل فأصيحبت أجيب بأن ذلك لتكنة وهي افادة بقاء المطر زماناً
بعد زمان كما تقول أنعم على فلان عام كذا فأفأ روح وأعذ وشاكراله ولو قلت فرحت وعذوت
شاكراله لم يقع ذلك الموقع (فان قيل) لم رفع ولم ينصب جواباً للاستفهام (أجيب) بأنه لو نصب
لا عطي عكس ما هو الغرض لأن معناه أثبت الاخضر فينقلب بالنصب الى نفي الاخضر
ووجه ذلك بأن النصب تقدير أن وهو علم للاستقبال فيجعل الفعل مترقباً والرفع جزم بإثباته
مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر فان نصبته فأنت ناف للشكره شاكر
في تفریطه فيه وان رفعته فأنت مثبت لشكره وهذا وأمثاله مما يجب أن يتنبه له من اتسم
بالعلم في علم الاعراب وتوقيراً هله (أن الله) أي الذي له تمام النعم وكال العلم (الطيف) بعباده في

اخراج النبات بالماء (خير) أى بمصالح الخلق ومنافعهم فانه مطلع على السر وأروان دقت فلا
 يستبعد عليه اجلاء من أراد بعد موته. وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خير بما فى
 قلوبهم من القنوط الامر الثانى قوله تعالى (له ما فى السموات) أى التى أنزل منها الماء (وما فى
 الارض) أى التى استقر فيها ملكا وخلقها (وان الله) أى الذى له الاحاطة التامة (لهو) أى
 وحده (الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحديد) أى المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله الامر
 الثالث قوله تعالى (ألم تر) أى أيها المخاطب (أن الله) ذا الجلال والاكرام (سخر لكم) فضلامته
 (ما فى الارض) كله من مسالكها وفجاجها وما فيها من حيوان وجاد وزرع وغبار فلول لا تسخره
 تعالى الا بل والبقرمع قوتهم ما حثي ذللهما للضعيف من الناس لما اتفق بهما أحد منهم الامر
 الرابع قوله تعالى (والفلك) أى وسخر لكم الفلك أى السفن ثم بين تسخيرها بقوله (تجروى فى
 البحر) العجاج المتلاطم بالامواج بريح طيبة للركوب والجل (بأمره) أى بأذنه الامر الخامس
 قوله تعالى (ويحك السماء) أى كراهة (أن تقع على الارض) التى تحتها مع علوها وعظمتها وكونها
 بغير مد فتملكوا (الاباذنه) أى بعيشته فيقع ذلك يوم القيامة حين يريد طي هذا العالم وابتعاد
 عالم البقاء (ان الله) أى الذى له الخلق والامر (بالناس) أى على ظلمهم (لرؤف) أى بما يحفظ من
 سرائيرهم (رحيم) أى حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أبواب
 المضار (وهو) أى وحده (الذى أحياكم) أى عن الجحادة بعد أن أوجدكم من العدم (ثم يميتكم)
 أى عند انقضاء آجالكم ليكون الموت واعظا لاولى البصائر منكم (ثم يحييكم) أى يوم البعث
 للثواب والعقاب واظهار العدل فى الجزاء (ان الانسان) أى المشرك (لكنفور) أى
 لم يبلغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به فيوجد له الله تعالى. وقال ابن عباس هو
 الاسود بن عبد الأسد وأبو جهل والعباس بن وائل وأبى بن خلف قال الرازى والاولى تعميه
 فى كل المنكرين (الكل أمة) أى فى كل زمان (جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة يتبعون
 بها (هم ناسكوه) أى عاملون بها وروى عنه أنه قال عبدا وقال مجاهد وقتادة موضع
 قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقرأ جزء والكسائى منسكا بكسر السين والباء
 بفتحها (فلا ينزعك فى الامر) أى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويريد بن
 خنيس قالوا الاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون ولا تأكلون مما قتله الله
 تعالى يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضارئك
 فلان أى فلا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين معناه لا تنازعهم
 آيت (وادع) أى أوقع الدعوة لجميع الخلق (الى ربك) المحسن اليك أى الى دينه * ثم علل ذلك
 بقوله (انك) مؤكده الله بحسب ما عندهم من الانكار (لعل هدى) أى دين واضح (مستقيم)
 هو دين الاسلام (وان جادلوك) أى فى أمر الدين بعد ان ظهر الحق ولزمت الحق (فقل الله)
 أى الملك المحيط بالعلم (أعلم بآتهم ما لم يكون) من الجحالة الباطلة وغيرهافيحار يكتم عليه
 وهذا وعيد فيه رفق وكان ذلك قبل الامر بالقتال * ولما أمر الله تعالى بالامر ارض عنهم وكان

ذلك شديد على النفس لتسوقها الى البصرة رجاء في ذلك بقوله تعالى مستأنفا تحذير لهم (الله)
 أي الذي لا كف له (يحكم بينكم) أي ينسلك مع اتباعك وبينهم (يوم القيامة) الذي هو يوم
 للتعابن (فيما كنتم فيه تجتلقون) من أمر الدين ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به فهو كقوله
 وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال البغوي والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين
 الى خلاف ما ذهب اليه الآخر (ألم تعلم أن الله) بجلال عزه وعظيم سلطانه (يعلم ما في السماء
 والارض) فلا يخفى عليه شيء (أن ذلك) أي ما ذكر (في كتاب) كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه
 قبل وقوعه وكتب جزاؤه وهو اللوح المحفوظ (أن ذلك) أي علم ما ذكر (على الله) وحده
 (يسير) أي سهل لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على السواء (ويعبدون) أي
 المشركون على سبيل التجرد والاستقرار (من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتبة الذي
 قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال وتزويجه عن شوائب النقص
 (ما لم ينزل به سلطانا) أي حجة واحدة من الحجج وهو الاصرام (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من
 ضرورة العقل واستدلالة بالحجة (وما للظالمين) أي الذين وضعوا التعبد في غير موضعه
 لا تركابهم لهذا الأمر العظيم الخطر وأكدهم في المنفى واستغرق المنفى بآيات الجار فقال تعالى
 (من نصير) أي ينصرهم من الله لا مما أشركوه به ولا من غيره في دفع عنهم عذابه أو يقر رمدهم
 (واذا تنلى) أي على سبيل التحذير والمبالغة من أي تال كان (عليهم آياتنا) أي من القرآن حال
 كونها (بينات) لا خفاء فيها عند من له بصيرة في شيء مما دعت اليه من الاصول والفروع
 (تعرف في وجوه الذين كفروا) أي تلبسوا بالكفر (المنكر) أي الانكار الذي هو منكرف في
 نفسه فمظهر أثره في وجوههم من الكراهة والعبوس لما حصل لهم من الغيظ * ثم بين ما لاح
 في وجوههم بقوله تعالى (يكادون يسقطون) أي وقعون السطوة بالبطش والعنف (بالذين يتلون
 عليهم آياتنا) أي الذين يتلون آياتنا الحسنى وصفاتنا العليا القاضية بوحدا يتنما مع كونها
 بينات في غاية الوضوح في أنها كلامنا لما فيها من الحكيم والسلاغة التي يحزوا عنها ثم أمر الله
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقابلهم بالوعيد بقوله تعالى (قل أفأنبئكم) أي أفأخبركم خيرا
 عظيما (بشر من ذلكم) بأمره اليكم من القرآن المتلو عليكم وقوله تعالى (النار) كأنه جواب
 سائل قال ما هو فقيل النار أي هو النار ويجوز أن تكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا)
 جزاء لهم فبئس الموعده (وبئس المصير) أي النار وما بين تعالى أنه لا حجة لعابده غيره اتبعه
 بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغيبي غاية الحقايرة فقال تعالى مباديأ أهل العقل جنبها تنبيهها عاما
 (يأيها الناس ضرب مثل) حاصله أن من عبدتموه من الاصنياع أحقر منكم (فاستمعوا)
 أي انصتوا (له) وتدبروه ثم فسر بقوله تعالى (إن الذين تدعون) أي تعبدون وتدعونهم
 في حوائجكم وتجعلنهم آلهة (من دون الله) أي الملك الاعلى من هذه الاصنياع التي أنتم بها
 مغترون (لن يخلقوا ذبابا) أي لا قدرة لهم على ذلك في زمن من الأزمان على حال من الاحوال
 مع صغره فكيف بما هو أكبر منه (ولو اجتمعوا) أي الذين زعموهم شركاء (له) أي الخلق فهم

في هذا أمثالكم * (تنبيه) * محل ولو اجتمعوا له النص على الحال كانه قال تعالى يستحيل
 أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم خلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل الله
 تعالى في تجهيل قريش واسترك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خدعهم بخداعه
 حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن
 آخرها صوراً وتاميل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأدله وأصغره وأحقه
 ولو اجتمعوا ذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم واتقاء قدرتهم أن هذا الخلق الأقل
 الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا كما قال تعالى (وان يسلمهم
 الذباب) أي الذي تقدم أنهم لا قدرة لهم على خلقه وهو غاية في الحقايرة (شيأ) أي من الأشياء أجل
 أو قل (لا يستنفذونه منه) لعجزهم فكيف يجعلونهم شركاء الله هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب
 مثل * (تنبيه) * الذباب مفرد وجعه القليل أذبه والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغربان
 وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعدل ويغلقون عليها الابواب
 فمدخل الذباب من السكوى فيأكله وعن ابن زيد كانوا يحلون الاصنام بالواقيت واللاقي
 وأنواع الجواهر ويطيبنها بألوان الطيب فربما سقط شيء منها فأتى أخذه طائر أو ذباب فلا
 تقدر الالهة على استرداده منه (ضعف الطالب) قال الضحاك هو العابد (والمطلوب) المعبود
 وقال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو
 الصنم وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أن يخلق الذباب
 لعجز عنه * ولما أنتج هذا جهلهم بالله عز وجل عبر عنه بقوله تعالى (ما قدروا الله) أي الذي له
 الكمال كله (حق قدره) أي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وضعوه حق صفته
 حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا يقتصف منه (أن الله) أي الجامع لصفات الكمال
 (لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) أي لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة
 عن أكلها متهورة من أذلها قال الكلبي في هذه الآية وفي نظيرها في سورة الانعام انها نزلت في
 جماعة من اليهود مالك بن الصيف وكعب بن الأشرف وكعب بن أسد وغيرهم حيث قالوا إن الله
 تعالى لما فرغ من خلق السموات والارض وأجناس خلقها استلقى واستراح ووضع إحدى
 رجله على الأخرى فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم ونزل قوله تعالى وما مسمنن لغوب قال
 الرازي واعلم أن منشأ هذه التشبيهة هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة
 سائر الذوات خلاف ما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن مشابهة سائر الصفات خلاف ما يقوله
 الكرامية وتنزيه أفعاله عن مشابهة سائر الأفعال أعني عن الغرض والدواعي واستحقاق المدح
 والذم خلاف ما يقوله المعتزلة قال أبو القاسم الانصاري رحمه الله تعالى فهو سبحانه وتعالى خير
 النعت عزير الوصف فالأوهام لا تصوره والافكار لا تقدره والعقول لا تمثله والازمنة لا تدركه
 والجلمات لا تحويه ولا يتحدده صمدى الذات سرمدى الصفات * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق
 بالالهيات ذكر ما يتعلق بالنبوات بقوله تعالى (الله) أي الملك الاعلى (يصطفى) أي يختار ويختص

(من الملائكة رسلاً) بجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام (ومن الناس) كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم نزلت حين قالت المشركون أنزل عليه الذر من ينمنا فآخبر تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه (إن الله) أى الذى له الجلال والجمال (سميع) ليقال لهم (بصير) بمن يتخذ رسولاً (يعلم ما بين أيديهم) أى الرسل (وما خلقهم) أى علمه محيط بما هم مطلعون عليه وبما غاب عنهم فلا يفعلون شيئاً إلا بأذنه (والى الله) أى وحده تعالى (ترجع) بغاية السهولة (الأمور) يوم يتجلى لفصل القضاء فيكون أمره ظاهراً لا خفاء فيه ولا يصدر شيء من الأشياء الأعلى وجه العدل الظاهر لكل أحد ولا يكون لأحد النفات إلى غيره. وقرأ ابن عاصم وحزرة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم ولما أثبت سبحانه وتعالى أن الملك والأمر له وحده خاطب المقبلين على دينه وهم المخلص من الناس بقوله تعالى (يأ أيها الذين آمنوا) أى تلبسوا بالإيمان (أو كرموا) تصديقاً لإيمانكم (واسجدوا) أى صلوا الصلاة التى شرعها لكم فانها رأس العبادة ليكون دليلاً على صدقكم فى الإقرار بالإيمان * (تنبيه) * انما خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة لانهما مخالفتا الهيأت المعتادة هما الدالان على الخضوع فحسن التعبير بهما وذكر عن ابن عباس أن الناس كانوا فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون وقيل كان الناس أول ما أسلوا يسجدون ولا ركوع ويركعون بلا سجود حتى نزلت هذه الآية ولما خص أفضل العبادة عمم بقوله تعالى (واعبدوا) أى بأنواع العبادة (ربكم) أى المحسن إليكم بكل نعمة دينية ودنيوية * ولما ذكر عوم العبادة اتبعها ما قد يكون أعم منها مأمورته صورته وأوقد يكون بلائمة فقال (وافعلوا الخير) أى كاه من القرب كصلة الأرحام وعبادة المريض ونحو ذلك من معالى الأخلاق بنية وبغير نية حتى يكون لكم ذلك عادة فيخف عابكم عمله لله تعالى قال أبو حيان بدأ تعالى بخاص وهو الصلاة ثم بعام وهو واعبدوا ربكم ثم بأعم وهو وافعلوا الخير (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كاه وأنتم راجون الفلاح وهو الفوز بالبقاء فى الجنة طامعون فيه غير مستيقنين ولا تسكوا على أعمالكم وقال الامام أبو القاسم الانصارى لعل كلمة ترج تشعربان الإنسان قلباً يخلو فى أداء فريضة من تقصير وليس هو على يقين من أن الذى أتى به مقبول عند الله والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له * (تنبيه) * اختلف فى سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم الى أنه يسجد عندها وهو قول عمرو على وابن عمرو وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود وقول البيضاوى ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدين من لم يسجد هـ ما فلا يقرأ هـ ما حديث ضعيف رواه الترمذى وضعفه وذهب قوم الى أنه لا يسجد وهو قول سفيان الثورى وقول أبي حنيفة وأصحابه لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فى ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة * ولما كان الجهاد أساس العبادة وهو مع كونه حقيقة فى جهاد الكفار صالح لان نيم كل أمر معروف ونهى عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره وكل جهاد

في تهذيب النفس وإخلاص العمل ختم به فقال تعالى (وجاهدوا في الله) أي لله ومن أجله
 أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوى وعنه عليه
 الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعت من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبر
 حديث رواه البيهقي وضعف اسناده وقال غيره لا أصل له قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار
 وبالا كبر جهاد النفس (حق جهاده) أي باستفراغ الطاقة في كل ما أمر به من جهاد العدو
 والنفس على الوجه الذي أمر به من الحج والغزو وغيرهما (فان قيل) ما وجه هذه الاضافة
 وكان القياس حق الجهاد في الله أو حق جهادكم في الله كما قال تعالى وجاهدوا في الله (أجيب)
 بأن الاضافة تكون بأدنى ملازمة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول
 لاجله صحت اضافته اليه وعن مجاهد عن الكاكي ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله
 ما استطعتم * ولما أمر الله تعالى بهذه الاوامر أتبعها ببعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل
 لما قبله فقال تعالى (هو اجنبكم) أي اختاركم لدينه ولنصرته وجعل الرسالة فيه لكم
 والرسول منكم وجعله أشرف الرسل ودينه أشرف الديان وكما به أعظم الكتب وجعلكم
 لكونكم أتباعه خير الامم (وما جعل عليكم في الدين) أي الذي اختاره لكم (من حرج) أي
 من ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يتبلى بشئ من الذنوب الا جعل الله تعالى له منه شحرا جاعضا
 بالتوبة وبعضها برذالم الظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب
 وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن
 وفقه الله تعالى وسهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمريض والمسافر وغير
 ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم رواه البخاري وعن ابن عباس
 أنه قال الحرج ما كان على بنى اسرائيل من الاضرار التي كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه
 الامة وقوله تعالى (ملة أيكم) نصب بنزع الخافض وهو الكاف وعلى المصدر بفعل دل عليه
 مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أيكم أو على الاغراء أي اتبعوا ملة
 أيكم أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أيكم كقولك الحمد لله الحميد وقوله تعالى
 (ابراهيم) عطف بيان (فان قيل) لم كان ابراهيم أبالامة كلها (أجيب) بأنه أبو رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فكان أبالامة لأن أمة الرسول في حكم أولاده واختلف في عود ضمير (هو)
 على قولين أحدهما أنه يعود على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان لكل نبي دعوة مستجابة
 ودعوة ابراهيم عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك فاستجاب الله
 تعالى له فجعلها محمد صلى الله عليه وسلم وأتمته والثاني أنه يعود على الله تعالى في قوله تعالى
 هو اجنبكم وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال ان الله تعالى (سماكم المسلمين من قبل) أي في
 كل الكتب المنزلة التي نزلت قبل انزال هذا القرآن (وفي هذا) أي وسماكم في هذا القرآن الذي
 أنزل عليكم من بعد انزال تلك الكتب وهذا القول كما قال الرازي أقرب لانه تعالى قال (ليكون
 الرسول شهيدا عليكم) أي يوم القيامة أنه بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) أي ان رسوله

بلغتهم فبين أنه تعالى سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلا بالله تعالى وإنما كانوا شهداء على
الناس لسان الأنبياء لا أنهم لم يقرقوا بين أحد منهم وعلموا أن أخبارهم من كتابهم على لسان نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صحت شهادتهم وقبلها الحكم العدل وعن كعب أعطيت هذا
الامة ثلاثا لم يعطهن إلا لانباء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج
وقال تعالى ادعوني استجب لكم وعن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال لم يذكر الله بالايان والاسلام
غير هذه الامة ذكرها بنما وكررها ما جيعا ولم يسمع بأمة ذكرت بالاسلام والايان غيرها وعن
مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تسمى الله عز وجل باسمين سمى بهما متى هو السلام وسمى
أمتي المسلمين وهو المؤمن وسمى أمتي المؤمنين * (تنبيه) * في الآية دليل على أن شهادة غير المسلم
ليست مقبولة * ولما ندبهم تعالى ليكونوا خيرا لامم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فأقيموا الصلاة)
التي هي أركان قلوبكم وصلاته ما بينكم وبين ربكم أي داوموا عليها (وأنوا الزكاة) التي هي
طهارة أبادانكم وصلته بينكم وبين أخوانكم (واعصوا بالله) أي المحيط بجميع صفات الكمال
في جميع ما أمركم به من المناسك التي تقتضيتها وغيرها ثم عمل تعالى أهليته بقوله تعالى (هو) أي
وحده (مولاكم) أي المتولي لجميع أموركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم بحيث أن تتمكنوا
من اظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها * ثم علل الامر بالاعتصام وتوحيده بالولاية بقوله
تعالى (فتم المولى) أي هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم لانه تعالى اذا تولى أحدا كفاه كل
ما أمهه واذا نصر أحدا أعلاه عن كل من خاضه ولا يزال العبدية تقرب الى بالذوافل حتى أحبه
فاذا أحببت الحديث انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديته وهذا نتيجة التقوى وما قبله
من أفعال الطاعة دليلها فقد انطبق آخر السورة على أولها وورد مقطعها على مطلعها وقول
البيضاوي تبعه الزخشي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الأجر
كحجة سبها وعمرة أعتمرها بعد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي حديث موضوع

﴿سورة المؤمنين مكية﴾

وهي مائة وثمان وتسع عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون
كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله) الذي له الامر كله (الرحمن) الذي هم انعامه (الرحيم) الذي خص من أراد بالايان
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحي يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فانزل عليه يوما ففكث ساعة حتى سرى عنه فاستقبل
القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تمنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرنا ولا تؤثر
علينا اللهم أرضنا وارض عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ
(قد أفلق المؤمنون) حتى ختم العشرة آيات قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا
في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة روى هذا الحديث الترمذي وغيره وأنكره النسائي

وغيره* (تنبيه)* قال الزمخشري قد نقضت لما هي ثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بنبات القلاح لهم فخطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه (فان قيل) ما المؤمن (أجيب) بأنه في اللغة هو المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين موافقا لقلبه لسانه فهو مؤمن والاخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق* ثم انه تعالى حكم بحصول الفلاح لمن كان مستجيما لصفات سبعة الصفة الاولى كونهم مؤمنين الصفة الثانية المذكورة في قوله تعالى (الذين هم) أي بضمايرهم وظواهرهم (في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون أذلاء وقيل خائفون وقيل متواضعون وعن قتادة الخشوع الزام موضع السجود روى الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رجمي بصره الى نحو مسجده أي موضع سجوده وكان الرجل اذا قام الى الصلاة هاب الرجن أن يشد بصره الى شيء أو يتحدث بشيء من شأن الدنيا وقبل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الادب فيتوقى ككف الثوب والعبث بجسده وثيابه والتشبيك والاتفات والتطلي والتناوب والتغميض وتغطية القدم والسدل والفرقة والاختصار وتقليل الحصى روى الترمذي لكن بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبت بالحصى وهو يقول اللهم زدني الخور العين فقال بنس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبت وعنه أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ ابن جبل من عرف من علي عيینه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال انما يكتب العبد من صلاته ما عقل منها وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم خطه من قيامه التعب والنصب وقال من لم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا فينبغي للشخص أن يحتاط في صلاته ليوقعها على تمام فان بعض العلماء اختار عدم الامامة ف قيل له في ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأتها أن يعاتبني أبو حنيفة ف اخترت عدم الامامة طلبا للخلاص من هذا الخلاف (فان قيل) لم أضيق الصلاة اليهم (أجيب) بأن الصلاة وصله بين الله وبين عباده والمصلي هو المستفيع بها وحده وهي عتده وذخيرته فهي صلاته وأما الله تعالى فهو غني متعال عن الحاجة اليها والاتقاع بها الصفة الثالثة المذكورة في قوله تعالى (والذين هم) أي بضمايرهم التي تتبعها ظواهرهم (عن اللغو) قال ابن عباس عن الشرك (معروضون) أي تاركون وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج هو كل باطل ولهو وما لا يحمد من القول والفعل وقيل هو كل ما لا يعنى الشخص من قول أو فعل وهو ما يستحق أن يسقط ويلغى فدحهم الله تعالى بأنهم معروضون عن هذا اللغو والاعراض عنه هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخاط من يأتيه كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما أي اذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه الصفة الرابعة المذكورة في قوله تعالى

(والذين هم للزكاة فاعلون) أى مؤدون * (تنبيه) * الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين هو
القدر الذى يخرج من المذكى من النصاب الى المستحق والمعنى فعل المذكى الذى هو التزكية وهو
المراد هنا لأنه ما من مصدر الا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل
الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمذكى فاعل التزكية ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر
مضاف بمحذوق وهو الاداء وقيل الزكاة هنا هى العمل الصالح لأن هذه السورة مكية وانما
فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة قال البقاعى والظاهر أن التى فرضت بالمدينة
هى ذات النصب وأن أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى فى سورة الانعام وأتوا حقها
يوم حصاده انتهى الصفة الخامسة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم لقروجهن) فى
الجماع ومقدماته (حافظون) أى دائماً لا يتبعون شهواتها والفرج اسم لسواة الرجل والمرأة
وحفظه التعفف عن الحرام ثم استثنى من ذلك قوله تعالى (الا على أزواجهن) الا على استحقوا
أبضاعهن بعقد النكاح ولما ذكره على ونظيره كان زياد على البصرة أى والبايعاء ومنه
قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا وقيل على بمعنى من وجرى على ذلك البغوى
(أو ما ملكت أيمانهم) رقا به من الاماء (فان قيل) هلا قال تعالى أو من ملكت (أجيب) بأنه
انما عبر بالقرب الاماء بما لا يعقل لنقصهن عن الحررات الناقصات عن الذكرو لانه اجتمع فيها
وصفان أحدهما الانوثة وهى مظنة نقصان العقل والاخرى كونها يجتنب تباع وتشتري كسائر
السلع قال البغوى والآية فى الرجال خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها
(فانهم غير ملومين) على ذلك اذا كان على وجهه أذن فيه الشرع دون الاتيان فى غير المأوى
وفى حال الخبض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن فعله فانه
ملوم (فى استغنى) أى طلب متعديا (وراء ذلك) العظيم المنفعة الذى وقع استثناءه بربنا ولو لوط
أو استثناء يندأ وبهيمة وغيرها (فأولئك) المبعدون من الفلاح (هم العادون) أى المبالغون
فى تعدي الحدود عن سعيد بن جبير قال عذب الله تعالى أمة كانوا يعبدون عبدا كبيرا أى فى
أيديهم وقيل يحشرون وأيديهم حبلى الصفة السادسة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم
لاماناتهم) أى فى القروج وغيرها سواء كانت بينهم وبين الله كالصلاة والصيام أو بينهم وبين
الخلق كالودائع والبضائع أو فى المعانى الباطنة كالاخلاص والصدق (وعهدهم راعون) أى
حافظون بالقيام والرعاية والاصلاح والعهد ما عهده الشخص على نفسه فيما يقرب به الى ربه
ويقع أيضا على ما أمر الله تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا * (تنبيه) * سمي
الشيء المؤمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل
الامانات الى أهلها وقال تعالى وتحذروا ما ناطقكم وانما تؤدى العيون لا المعانى ويحذر المؤمن
عليه لا الامانة فى نفسها وقرأ ابن كثير لا ماتهم بغير ألف بين النون والتاء على الافراد لمن
الالباس أولانها فى الاصل مصدر والباقون بالالف على الجمع الصفة السابعة المذكورة فى
قوله تعالى (والذين هم على صلواتهم) التى وصفوا بالخشوع فيها (يحافظون) أى يواظبون

عليها ولا يتركون شيأ من مفروضاتها ولا مسنوناتها يجتهدون في كمالها جهدهم ويؤتونها في أوقاتها (فان قيل) كيف كثر الصلاة أو لا وأخر (أجيب) بأنهم ما ذكروا مختلفان فليس بمكرر وصفوا أو لا بالخشوع في صلاتهم وأخر بالحافظة عليهم أو ذلك أن لا يسهموا عنها ويؤتوها في أوقاتها ويقبوا أركانها ويوطنوا أنفسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضاً فقد وجدت أو لا لفقد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجعت آخرها على غير قراءة حزة والكسائي فان غيرهما قرأ بالجمع وأماهما فقرأ بالافراد لتفاد المحافظة على أعدادها وهي الصلوات الخمس والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة والعمدين والكسوفين والاستسقاء والوتر والضحى وصلاة التيسير وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * ولما ذكر تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة فخم حراءهم فقال تعالى (أولئك) أي البالغون من الاحسان أعلى مكان (هم الوارثون) أي المستحقون لهذا الوصف فيرثون منازل أهل الجنة في الجنة روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقال بجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي له في النار وقال بعض المفسرين معنى الورثة هو أن يؤل أمرهم إلى الجنة وينالوها كما يؤل أمر الميراث إلى الوارث (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فاذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس اللهم بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجعلنا ووالدينا وأحبائنا من أهل (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون وأنت الفردوس بقوله تعالى فيها على تأييد الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر روى أن الله تعالى بنى الجنة الفردوس ابنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الریحان وروى أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزى لا يدخلها مد من بحر ولا ديوث والمراد أن الله تعالى لم يكل ذلك إلى غيره من ملك من الملائكة والجنة مخلوقة الآن قال تعالى أعدت للمتقين * ولما أمر سبحانه وتعالى بالعبادات في هذه الآيات والاشتغال بعبادة الله لا يصح الا بعد معرفة الله تعالى عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فقد كرم الدلائل أنواعاً الأول الاستدلال بتقليب الانسان في أدوار الخلق وأدوار القطورة وهي تسع مراتب الأولى قوله تعالى (واقعد خلقنا الانسان) أي آدم (من سلاله) هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجه منه وهو خلاصته وقال ابن عباس السلالة مصفرة الماء وقوله تعالى (من طين) متعلق بسلالة وقيل المراد

بالإنسان هذا النوع والسلافة قال مجاهد من بنى آدم وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر
والعرب تسمى النطفة سلافة والولد سلافا وسلافة لأنهم مأمولون منه المرتبة الثانية قوله
تعالى (ثم جعلناه) أي نسب له خذف المضاف (نطفة) أي منيا من الصلب والترائب بأن خلقناه
منها (في قرار مكين) أي مستقر حصين هو الرحم * (تنبيه) * مكين في الأصل صفة للمسيح تقرر
الرحم وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم) أي بعد تراخ
في الزمان وعلو في المزية والعظمة (خلقنا) أي بما لنا من العظمة (النطفة) أي البيضاء جدا
(علقة) حمراء دماغ لظا شديد الحرارة جامد اغلظا المرتبة الرابعة قوله تعالى (نخلقنا) أي بما لنا
من القوة والقدرة العظيمة (العلقة مضغة) أي قطعة لحم قدر ما يعضغ لاشكل فيها ولا تخطيط
المرتبة الخامسة قوله تعالى (نخلقنا المضغة) أي بتقليها بما شئنا لها من الحرارة والادوار اللطيفة
الغامضة (عظاما) من رأس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة قوله تعالى (فكسونا) بما
لنا من قوة الاختراع تلك (العظام لحا) بما ولدنا منها ترجعها إلها القبل كونها عظاما فاستبرنا
تلك العظام وقويتها وشدناها بالروابط والأعصاب وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظاما والعظام
بفتح العين واسكان الظاء من غير ألف على التوحيد كقضاء باسم الجنس عن الجمع والباقيون
بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع قال الجلال المحلى وخلقنا في المواضع الثلاثة بمعنى
صيرنا المرتبة السابعة قوله تعالى (ثم أنشأناه) أي هذا المحدث عنه بعظمته (خلقنا آخر)
أي خلقنا مباينا للخلق الأول مباينة ما بعده ما حيث جعله حيوانا وكان جادا وناطقا وكان
أبكم وبصيرا وكان أصم وبصيرا وكان أكم وأودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من أعضائه
وكل جزء من أجزائه عجائب فطره وغرائب حكمه لا تدرى بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح
المشارح وثم لما بين الخالقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله فيمن
غضب بيضة فأفرخت عنده فقال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة اه
ولما كان هذا التفصيل لتطویر الانسان سببا لتعظيم الخالق قال تعالى (فتبارك الله) أي تنزه
عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال وأشار إلى جلال الانسان بقوله تعالى (أحسن
الخالقين) أي المقدرين وعبر أحسن بمحذوف أي خلقا روى عن عمر رضي الله تعالى عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقنا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى
أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فناطق بذلك قبل
املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا أنزلت فقال عبد الله ان كان محمد
نبيا يوحى اليه فاناني يوحى الى فلحق بمكة كافر اثم أسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبيرة عن
ابن عباس أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله أحسن الخالقين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي في أربع الصلوة
خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن أو لبيدن الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى
عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع قلت فتبارك الله أحسن الخالقين فقال هكذا أنزل

قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر والشقاوة لعبد الله بن سعد بن أبي
 سرح فانه قيل انه مات كافرا قال الله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا المرتبة الناضجة قوله
 تعالى (ثم انكم بعد ذلك) أى الامر العظيم من الوصف بالحياة والموتى العظمى فى آجال متفاوتة
 ما بين طفل ورضيع ومحتلم شديد وشاب نشيط وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شؤن
 لا يحيط بها الا اللطيف الخبير (لميتون) أى صائرون الى الموت لاحالة ولذلك ذكر النعت
 الذى النبوت وهو ميت دون اسم الفاعل وهو مات فانه للعدوث للنبوت المرتبة التاسعة
 قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة) أى الذى يتجمع فيه جميع الخلائق (تبعثون) للحساب
 والجزاء * النوع الثانى من الدلائل الاستدلال بخلق السموات وهو قوله تعالى (واقد خلقنا
 فوقكم) فى جميع جهة الفوق فى ارتفاع لا تدركونه حق الادراك (تسبع طرائق) أى سموات
 جمع طريقة لانها طرق الملائكة ومعلقة بهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها
 مسيرها وقيل لانها طرق بعضها فوق بعض كطريقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة
 (وما كنا) أى بما لنا من العظمة (عن الخلق) أى الذى خلقناه تحتها (غافلين) أى ان تقط عليهم
 فتم اليكهم بل تمسكها كآية فريضة السماء أن تقع على الارض الاباذنة ولا مهملين أمر هائل
 تحفظها عن الزوال والاختلاف وتدبير أمرها حتى تبلغ منتهى أمرها وما قدر لها من النكال
 حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة * النوع الثالث من الدلائل الاستدلال بنزول
 الامطار وكيفية تأثيرها فى النبات وهو قوله تعالى (وانزلنا من السماء) أى من جرمها وهو ظاهر
 اللفظ وعلمه أكثر المفسرين أو من السحاب وسماء سماه لونه (ماء يقدري) أى بقدر ما يكفيهم
 لمعاشهم فى الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ويسلمون معه من المضرة اذ لو كان فوق
 ذلك لا غرقت البحار الاقطار ولو كان دون ذلك لادى الى جفاف النبات والاشجار (فاسكاهم)
 أى فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض) كقوله تعالى فسلكه ينابيع فى الارض وعن ابن
 عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيجون نهر الهند
 وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة
 من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جذاحى جبريل فاستودعها الجبال
 وأجراها فى الارض وجعل فيها مافع للناس من أصناف معاشهم فاذا كان عند خروج
 بأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود
 من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة ويرفع كل ذلك الى
 السماء وذلك قوله تعالى (وانا على ذهاب به لقادرون) قدرته هى فى نهاية العظمة فانا كإقدارنا
 على ايجاده واختراعه فنقدر على رفعه وازالته وزواله فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض
 فقد أهلكها خير الدين والدنيا قال البغوى وروى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان
 ابن سعد عن سابق الاسكندر عن سلمة بن على عن مقاتل بن حيان * (تبيسه) فى تنكير ذهاب
 ايماء الى تنكير طريقه وفيه ايدان باقتدار المذهب وأنه لا يتعابا عليه شئ اذا أراد وهو أبلغ

في الايعاد من قوله تعالى قل أرايتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيهكم بما معين فعلى العباد
 أن يستعملوا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم. ويخافوا نفاذها اذ لم تشكروا ثم انه
 تعالى سبحانه لما نبه على عظم نعمته بخالق الماء ذكر بعده هذه النعمة الخاصة له من الماء بقوله
 تعالى (فانشأنا) أي فأخرجنا وأحيينا (لكم) خاصة للنا (به) أي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل
 شيء حي (جنات) أي بساكن (من نخيل وأعناب) صرح بهذين الصنفين لشرفهما ولائهما
 أكثر ما عند العرب من الثمار وسمى الاول باسم شجرته لكثرة ما فيه من المنافع المقصودة بخلاف
 الثاني فإنه المقصود من شجرته وأشار الى غيره ما بقوله تعالى (لكم) أي خاصة (فيها) أي
 الجنات (قوا) ككثيرة (تفكهون بها) ومنها أي ومن الجنات من ثمارها وزروعها (تأكلون)
 رطبا ويابساً وعراويزيباً وقوله تعالى (وشجرة) عطف على جنات أي وأنشأنا لكم شجرة أي
 زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه
 السلام بين مصر واية وقيل بفلسطين وفي رواية أخرى طور سينين ولا يخالفاً ما أن يضاف فيه
 الطور الى بقعة اسمها سيناء أو سينين وأما أن يكون اسم الجبل مر بكام من مضاف ومضاف اليه
 كما مر في القديس وبعلبك فيمن أضاف فن كسر سين سيناء وهو نافع وابن كثير وأبو عمر وفقه دمشق
 الصريف للتعريف والعجبة والتأنيث لأنها بقعة وفعلاء لا تكون ألقه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن
 قرأ بفتح السين وهم الباقون لم يصرفه لأن الالف للتأنيث كحجرا قال مجاهد معناه البركة أي
 من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي الجبل الحسن وقال الضمالي هو بالقبطية ومعناه
 الحسن وقال عكرمة بالحشبية وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سيناء وسينين بلغة
 القبط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (تبت) بضم التاء الفوقية وكسر الباء الموحدة من الرباعي
 والباقون بفتح الفوقية وضم الموحدة من الثلاثي فتقوله تعالى (بالدهن) تكون الباء على الاول
 زائدة وعلى الثاني معدية قال المفسرون وانما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لأن منسه
 تشعبت في البلاد وانتشرت ولأن معظمها هناك قال بعض المفسرين وانما عرف الدهن لانه
 أجل الادهان وأكملها وهو في الاصل مائع لزج خفيف يقطع ولا يختلط بالماء الذي هو أصله
 فيسرج ويدهن به وقوله تعالى (ومصبغ للآكلين) عطف على الدهن أي ادام بمصبغ اللقمة
 بغمسها فيه وهو الزيت فيل أنها أول شجرة تبت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في
 قوله تعالى توعد من شجرة مباركة النوع الرابع من الدلائل الاستدلال باحوال الحيوانات
 وهو قوله تعالى (وان لكم في الانعام) وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة) عظيمة تعتبرون بها
 وتستدلون بها على البعث وغيره (تستقيم كما في بطونها) أي اللبن فيجعله لكم شربا نافعا للبدن
 موافقا لاشهوة تلهذون به من بين القرث والدم (ولكم فيها) أي جماعة الانعام وقدم الجار
 تعظيم المنافعها حتى كان غيرها عديم (منافع كثيرة) باستسلامها لما يراى اذ منها مما لا يتيسر من
 أصغر منها وبأولادها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك من آثارها (ومنها ما يكون)
 أي وكما تتفعون بها وهي حية تتفعون بها بعد الذبح أيضا بسهوة من غير امتناع مما من شيء من

ذلك ولو شاء لمنعها وسلطها عليكم ولو شاء لجعل لهما لا ينضج أوجهه له قدر الا يوق كل ولكه
بقدرته وعلمه حياها لما ذكر ذلها (وعليها) أي الانعام الصالحة للحمل وهي الابل والبقر وقيل
المراد الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفن في قوله تعالى
(وعلى الفلك تحملون) لانها سقايت البرف كما يحمل على الفلك في البحر فيحمل على هذه في البر قال
ذوالرمة في المعنى * سفينة يرتحت خدي زمامها * قال الزمخشري يريد صيده أي ناقته لان
اسمها كان صيدح قال

رأيت الناس يتجعون غيثا * فقلت لصيدح اتبعني بالالا

يريد بلال بن أبي بردة الاشعري والى الكوفة * ولما بين سبحانه وتعالى دلائل التوحيد أردفها
بذكر القصص كما هو العادة في سائر السور مبتدئا بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى (ولقد
أرسلنا) أي بملائكة العظمة (نوحا) وهو الاب الثاني بعد آدم عليه الصلاة والسلام وكان اسمه
يشكروا سمى نوحا لوجوه أحدها الكثيرة مانح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله
تعالى بالطوفان فقدم على ذلك ثانيا المراجعة ربه في شأن ابنه ثالثا أنه مرتكب مجرم فقال له
اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك (الى قومه) وهم جميع أهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على
لغة واحدة محصورين لأنه أرسل الى الخلق كافة لأن ذلك من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء (فقال) أي فتسبب عن ذلك ان قال (يا قوم) ترفقا بهم (اعبدوا الله)
وحده لانه الهكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال واستأنف على سبيل التعليل قوله (مالككم
من اله) أي معبود بحق (غيره) فلا تعبدوا سواه (أفلاتتمون) أي أفلا تتخافون عقوبته ان
عبدتم غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء والباقون بضمة ما (فقال) أي فتسبب عن ذلك
ان كذبه بأن قال (الملائكة) أي الاشراف الذي ثلأ رؤيتهم الصدور عظمة (الدين كفروا من
قومه) لغوامهم (ما هذا) أي نوح عليه السلام (الابنم مثلكم) أي فلا يعلم ما لا تعلمون فأنكروا
أن يكون بعض البشر نبيا ولم يشكروا أن يكون بعض الطين انسا فابعض الماء علة وبعض
العلة مضغة الى آخره فكانه قيل ما جعله على ذلك فقالوا (يريد أن يفضل) يتكاف الفضل
بادعاء مثل هذا (عليكم) لتكونوا أتباعا له ولا خسر رصية له دونكم (ولو شاء الله) أي الملك
الاعلى الارسل اليكم وعدم عبادة غيره (لا تنزل) كذلك (ملائكة) رسلا بإبلاغ الوحى اليها قال
الزمخشري وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوّة يبشروا ولا لوهية يتجبر (ما عننا بهدا)
أي الذي دعا اليه نوح من التوحيد (في آياتنا الاولى) أي الامم الماضية (ان) أي ما هو
الارجل به جنة) أي جنون ولا جله يقول ما يدعيه (فتريضاويه) أي فتسبب عن الحكم بجنونه
انا ما أمركم بالكف عنه لانه لا حرج على جنونه (حتى) أي الى (حين) لعله يفيق أو يموت فكانه
قيل فما قال فقبل (قال) عندما آيس من فلا حرجهم (رب انصرتني) أي أعنى عليهم (بما كذبون)
أي بسبب تكذيبهم في فان تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل (فأرحمنا) أي فتسبب عن دعائه
أن أوحيانا (إليه أن اصنع الفلأب) أي السفينة (بأعيننا) أي انه لا يغيب عننا شئ من أمرنا

ولامن أمرهم وأن تعرف قدرتنا على كل شيء فتقو بحفظنا ولا تخف شيئا من أمرهم روى أنه لما
أوحى إليه أن يصنعها على مثال جوجوا الطائر قال الجوهرى جوجوا الطائر والسفينة صدرهما
والجمع الجاسجى * ولما كان لا يعلم الصنعة قال تعالى (ووحينا) أى وأمرنا وتعلمنا كيف تصنع
فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف كيفية اتخاذها له وقد تقدم الكلام عليها مستوفى فى سورة
هود (فاذا جاء أمرنا) أى بالهلاك عقبه إغلك منها أو بالركوب (وفار التنور) قال ابن عباس
وجه الارض وفى القاموس التنور الكائون يخترقه ووجه الارض وعن قتادة أنه أشرف موضع
فى الارض أى أعلاه وعن علي طلع الفجر وعن الحسن أنه الموضع المنخفض من السفينة
الذى يسيل الماء اليه وقيل هو مثل ققولهم حى الوطيس والاقرب كما قال الرازى وعليه
أكثر المفسرين هو التنور المعروف بتنور الخباز فيكون له فيه آية روى أنه قبل لنوح اذا
رأيت الماء يقور فى التنور فاركب أنت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته
امرأته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصارت لى نوح واختلف فى مكانه فعن الشعبي
فى مسجد الكوفة عن عيينة الداخل عمالي باب كندة وكان نوح على السفينة وسط المسجد وقيل
بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقرأ قالون والبرزى وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الاولى
من الهمزتين المقحوجتين من كلمتين وحقق الاول وسهل الثانية ورش وقيل (قاساك) أى أدخل
(فيها) أى السفينة (من كل زوجين) من الحيوان (اثنين) ذكر وأنثى وقرأ حفص بتنوين
اللام من كل أى من كل نوع زوجين فزوجين مفعول واثنين تأكيده وبالباقون بغير تنوين
فاثنين مفعول ومن متعلق بأساك وفى القصة ان الله تعالى حشر لنوح السباع والطيور وغيرهما
لفعل يضرب يده فى كل جمع فمقع يده اليمنى على الذكور واليسرى على الانثى فيحملها
فى السفينة وروى أنه لم يحمل الامايلد ويبض (وأهلك) أى وأهل بيتك من زوجك وأولادك
(الامن سبق عليه) لاله (القول منهم) بالهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام
ويافت فحماهم وزوجاتهم الثلاثة وفى سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة
رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
(ولا تخاطبني) أى بالسؤال فى النجاة (فى الذين ظلموا) أى كفروا ثم عاد ذلك بقوله تعالى (انهم
مغرقون) أى قد حتم القضاء عليهم لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له فانه تعالى
بعد ان أملى لهم البهر المتطاوول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة
للمعتبرين ونحن نكرمك عن سؤال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه وتعالى حيث اتبع النهى عنه
الامر بالجد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى (فاذا استويت) أى اعتدلت (أنت ومن
معك) أى من البشر وغيرهم (على الفلك) فقرعت من امثال الامر بالجل (فقل الحمد لله) أى
الذى لا كف له لانه مختص بصفات الحمد (الذى نجانا) بحملنا فيه (من القوم) أى الاعداء
الاجنباء (الظالمين) أى الكافرين لقوله تعالى قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين * (تنبيه) * انما قال تعالى قل ولم يقل قولوا لان نوحا عليه السلام كان لهم نبيا واماما

فكان قوله قولاً لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك
المخاطبة لا يترقى اليها الا ملكاً أوتى ولما أشار له بهذا القول الى السلامة بالحل أسعجه بالاشارة الى
الوعد باسكان الارض بقوله تعالى (وقل رب أنزلني) في الفلك ثم في الارض وفي كل منزل تنزلي
به وتورثني اياه (منزل مباركاً) أي يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقرأ أبو بكر بفتح
الميم وكسر الزاي أي مكان النزول والباقون بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان ثم ان
الله تعالى أمره أن يشفع الدعاء بالنساء عليه المطابق لمثلته وهو قوله تعالى (وأنت خير المنزلين)
ما ذكرنا لك تكفي نزيلك كل ممل وتعطيه كل أمر * ولما كانت هذه القصة من أغرب القصص
حث على تدبرها بقوله تعالى (ان في ذلك) أي الامر العظيم من أمر نوح والسفينة واهلاك
الكفار (آيات) أي دلالات على قدرة الله تعالى وصدق الانبياء في ان المؤمنين هم المفلحون
وانهم الوارثون للارض بعد الظالمين وان عظمت شوكتهم واشتدت صولتهم (وان كانا)
بما لنا من العظمة والوصف الثابت الدال على تمام القدرة (لمبتلين) أي فاعلين فعل الخير
المختبر لعبادنا بارسال الرسل لظهور في عالم الشهادة الصالح منهم من غيره ثم بتلي الصالحين منهم
بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلي درجاتهم ثم نجعل لهم العاقبة كما قال تعالى والعاقبة
للمتقين * (تنبيه) * ان هي الخففة من الثقلية واسمها ضمير الشأن واللام هي الفارقة * القصة
الثانية قصة هود وقيل صالح عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي أحدثنا
وأحيينا (من بعدهم) أي من بعد اهلاكهم (قرناً) أي قوماً (آخرين) هم عاد قوم هود
وقيل عاد قوم صالح (فأرسلنا) أي فبعثنا انشأناهم وتبب عنه انا أرسلنا (فيهم رسولاً
منهم) هو هود وقيل صالح قال البغوي والأول هو الاظهر وهو المروي عن ابن عباس ويشهده
حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وبخى قصة هود على اثر قصة
نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى (أن اعبدوا
الله) أي وحدوه لانه لا مكافئ له ثم دل على الاستغراق بقوله تعالى (ما لكم من الله من شيء إلا
تتقون) أي هذه الحالة التي أنتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر
والكسائي بضم الذون في الوصل والباقون بكسرها والقراءة في غيره ذكرت قريبا (وقال الملا)
أي الاشراف التي تغلأ رؤيتهم الصدور (من قومه الذين كفروا) أي غطوا ما يعرفون من أدلة
التوحيد والانتقام من المشركين (وكذبوا بقاء الآخرة) أي بالمصير اليها (وأثر قنهم)
أي والحال انما بالامن العظمة نعمناهم (في الحياة الدنيا) بالاموال والاولاد وكثرة السرور
يخاطبون أتباعهم (ما هذا) أشاروا اليه تحقيرا له عند المخاطبين (الابشر مثلكم)
في الخلق والحال ثم وصفوه بما يوههم المساواة لهم في كل وصف فقالوا (يا كل سماتنا كآون منه)
أي من طعام الدنيا (ويشرب مما تشربون) أي من شرايبها فكيف يكون رسولا دونكم وقولهم
(وانن) اللام لام قسم أي والله لنن (أطعمن بشار مثلكم) أي فيما يأمركم به (انكم اذا) أي
ان أطعموه (تطاسرون) أي مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه ثم بينوا

انكارهم بقولهم (أي بعدكم أنكم إذا ممت) ففارقت أرواحكم أجسادكم (وكنتم) أي وكانت
 أجسادكم (تراباً) باستيلاء التراب على مادون عظامكم (وعظماً) مجردة عن اللحم والعصاب
 (أنكم مخرجون) أي من تلك الحالة التي صرتم اليها فراجعون إلى ما كنتم عليه من الحياة
 على ما كان لكم من الأجسام * (تنبيه) * قوله تعالى مخرجون خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية
 تأكد لها الماطال الفصل ثم استأنفوا التصريح بما دل عليه الكلام من استبعاد ذلك فقالوا
 (هيات هيات) اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر أي بعد بعد جداً وقال ابن عباس هو كلمة بعد أي
 بعيد ثم كأنه قيل لا شيء هذا الاستبعاد فقيل (لما تواعدون) من الإخراج من القبور
 (فإن قيل) لما تواعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرفع بهيات كما ارتفع به في قوله
 * فهيات هيات العقيق وأهله * فهاهذه اللام (أجيب) بأن الزجاج قال في تفسيره البعد
 لما تواعدون فترى منزلة المصدر ويصح أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة
 الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيته به وأن اللام زائدة للبيان * (فائدة) * وقف
 البري والكسافي على هيات الأولى والثانية بالهاء والباقيون بالتاء على المرسوم وقولهم (إن هي)
 ضمير لا يعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله أن الحياة (الاحياء الدنيا) ثم وضع هي موضع
 الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت والمعنى لحياتة الأهل هذه الحياة
 لأن أن النفاسة دخلت على هي التي بمعنى الحياة الدالة على الجنس فنفتهم فأوازت لا التي
 نفت ما بعدهم أني الجنس (غوت وغوتي) أي يموت منابن هو موجود وينشأ آخرون بعدهم
 وقيل يموت قوم ويحيى قوم وقيل يموت الآباء وتحيى الأبناء وقيل في الآية تقديم وتأخير أي نحيا
 وغوت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت كما قالوا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت فكانه
 قيل فهاهذه الكلام الذي يقوله فقيل كذب ثم حصر وأمره في الكذب فقالوا (إن) أي ما
 (هو إلا رجل افترى) أي نعهده (على الله) أي الملك الأعلى (كذاباً) فلا يلتفت إليه (وما نحن
 له بمؤمنين) أي بمصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة فكانه قيل فما قال فقيل (قال رب)
 أي أيها المحسن إلى بالرسالة وبارسالي اليهم وبغيره من أنواع النعم (أنصرتني) أي أوقع لي النصر
 (بما كذبون) فاجابه ربه بأن (قال عما قيل) من الزمان وما زائدة وأكدت القلة بزيادتها (ليصجن)
 أي ليصيرن (نادمين) أي على كفرهم وتكذيبهم إذا عابوا العذاب (فأخذتهم الصيحة) أي
 صيحة العذاب والهلاك كأنه (بالحق) أي الأمر الثابت من العذاب الذي لا يمكن مدافعة
 لهم ولا غيرهم غير الله تعالى فأتوا وقيل صيحة جبريل عليه السلام ويكون القوم غود على
 الخلاف السابق (فجعلناهم) بسبب الصيحة (غثاء) أي مطروحين ميتين كما يطرح الغثاء شهوا
 في دمارهم بالغثاء وهو حبل السيل مما يلي وأسود من الورق والعيبدان ومنه قوله فجعله غثاء
 أحوى أي أسود ياباً * ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سبباً لهوانهم عبر عنه بقوله تعالى
 (فبعداً) أي هلاً كما وطردا عن الرحمة (للقوم الظالمين) الذين وضعوا قوتهم التي كان يجب
 عليهم بذلها في نصر الرسل في خذلانهم * (تنبيه) * يحتمل هذا الدعاء عليهم والخبار عنهم ووضع

الظاهر موضع ضميرهم للتعليل وبعدوا ومحقا ونفرا وتخويفا ونحوها مصادر موضوعة مواضع
أفعالها وحشي من جملة المصادر التي قال سيدي به نصبت بأفعال لا يستعمل أظهارها في القصة
الثالثة المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي بظمتنا التي لا يضرها تقديم ولا تأخير (من
بعدهم) أي من بعد من قدمنا ذكره من نوح والقرن الذي بعده (قرونا) أي أقواما (آخرين)
فهو سبحانه وتعالى تارة ينقص علينا في القرآن مفصلا كما تقدم وتارة ينقص مجملا كما هنا وقيل
المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام وعن ابن عباس بنى إسرائيل ثم أنه تعالى
أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الاجل الذي أجل لهم بقوله تعالى (ما نسبق من أمة أجلها)
أي الذي قدر لها بأن تموت قبله (وما يستأخرون) عنه * (تنبيه) * ذكر الضمير بعد تأنيده رعاية
للمعنى ومن زائدة (ثم أرسلنا رسلنا تورا) أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل فقرأ أبو عمرو
رسلنا بسكون السين والباقيون برفعها وقرأ آخر ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتنوين الراء على
أنه مصدر بمعنى الدوار وقع حالا والباقيون بغير تنوين ولما كان كأنه قيل فكان ماذا قيل (كلما
جاء أمة رسولها) أي بما أمر نادم من التوحيد (كذبوه) أي كما فعل هؤلاء بك لما أمرتهم بذلك
(تنبيه) * أضاف الرسول مع الإرسال إلى الرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لان الإرسال
الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه إليهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق
الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو والباقيون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المدة
(فأتبعنا) الذين بسبب تكذيبهم (بعضهم بعضا) في الإهلاك فلم يبق عند الناس منهم الا
أخبارهم كما قال تعالى (وجعلناهم أحاديث) أي أخبارا يسمعونها ويتعجب منها ليكنوا عظة
للمستصرين فيعلموا أنه لا يفلح الكافرون ولا ينجب المؤمنون وما أحسن قول القائل
ولاشئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدينا حديث

والاحاديث تكون جعلا للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جعلا
للحدوث التي هي مثل الاعوبة والالعوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا
ولما نسب عن تكذيبهم خلا كهم المفتضى لبعدهم قال تعالى (فبعدا لقوم) أي أقواما على
ما يطلب منهم (لا يؤمنون) أي لا يوجد منهم إيمان وان جرت عليهم الفصول الاربعة لانه
لا مزاج لهم معتدل * القصة الرابعة قصة موسى وهرون عليهم السلام المذكورة في قوله
تعالى (ثم أرسلنا) أي بما لنا من العظمة (موسى وأخاه هرون بآياتنا) قال ابن عباس الآيات
التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص الثران
(وسلطان مبين) أي حجة بينة وهي العصا وأقردها بالذكر لانها قد تعلق بها معجزات شتى من
انقلابها خيبة وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الخبز بضرها
وكونها حارسا وشعبة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاه فجعلت كأنها ليست بعضا
لما استبدت به من الفضائل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال ويحور أن يراد بالآيات نفس تلك المعجزات وبالسفطان المبين كيفية

دلالتها على الصدق وذلك لانها وان شاركت آيات سائر الانبياء في كونها آيات فقد فارقتها
 في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام وان يراد بالسلطان المئين المعجزات وبالآيات الحجج
 وان يراد بها المعجزات فانها آيات النبوة ووجه بيته على ما يدعيه النبي قال الرازي واعلم ان
 الآية تدل على أن معجزات موسى كانت معجزات هرون أيضا وان النبوة كما كانت مشتركة
 بينهما فكذلك المعجزات (الى فرعون وملائه) أي وقومه ولكن لما كان الاطراف
 لا يخالفون الاشراف عدهم عدا ومن الواضح ان التقدير أن اعبدوا الله مالكم من غيره
 وأشار بقوله تعالى (فاستكبروا) الى انهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعواهم اليه عقب
 الابلاغ من غير تأمل ولا ثبت وطلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم وأشار بالكون الى
 فساد جبلتهم بقوله تعالى (وكانوا قوما) أي أقوياء (عالين) أي متكبرين فاهرين غيرهم بالظلم
 ولما نسب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال تعالى (فقالوا أنؤمن) أي بالله تعالى
 مصدقين (بشرا من مثلنا) أي في البشرية والمآكل والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال
 من تقدمهم (وقومهم) أي والحال ان قومهم أي بني اسرائيل (لنعابدون) خضوعا
 وتذلا لأي في غاية الذلل والانقياد كالعبدة فنحن أعلى منهم بهذا أولانه كان يدعي الالهية فادعى
 للناس العباداة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (فكذبوهما) أي فرعون وملاؤه موسى
 وهرون (فكانوا) أي فرعون وملاؤه بسبب تكذيبهم (من المهلكين) أي بالغرق ببحر القلزم
 ولم تغن عنهم قوتهم في أنفسهم ولا قوتهم على خصوص بني اسرائيل واستعبادهم ولا ضرب بني
 اسرائيل ضعفهم عن دفاعهم ولا ذلهم لهم وصغارهم في أيديهم ولما كان ضلال بني اسرائيل
 بعد انقاذهم من عبودية فرعون وقومه أعجب قال تعالى تسليمة لتبنيه صلى الله عليه وسلم (ولقد
 آتينا) أي بعظم متنا (موسى الكتاب) أي التوراة (العلم) أي قوم موسى وهرون عليهم
 السلام (يهتدون) من الضلالة الى المعارف والاحكام ولا يصح عود الضمير الى فرعون وملئه
 لان التوراة انما اوتيتا بنو اسرائيل بعد ادغراق فرعون وملئه بدليل قوله تعالى واقد آتينا
 موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * القصة الخامسة قصة عيسى عليه السلام
 المذكورة في قوله تعالى (وجعلنا) أي بعظم متنا وقدرتنا (ابن مريم) نسبه اليها حقيقة قال كونه
 لأب له وكونه بشرا مجمولا في البطن مولودا لا يصلح لرتبة الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله
 (وامه) وقال تعالى (آية) ولم يقل آيتين لان الآية قيمها واحدة ولادته من غير غل ويحمل
 ان الآية الاولى حذف لدلالة الثانية عليها والتقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية لان الله
 تعالى جعل مريم آية لانها حلت من غير ذكر وقال الحسن قد تكلمت في صغرها كما تكلم عيسى
 وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقه ثم ثديا قط * (تنبيه) قال
 بعض المفسرين ولعل في ذلك اشارة الى انه تكلمت به آية للقدره على ايجاد الانسان بكل
 اعتبار من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم عليه السلام ومن ذكر بلا أنثى وهي حواء عليها السلام ومن
 أنثى بلا ذكر وهو عيسى عليه السلام ومن الزوجين وهو بقية الناس (وآبناهما) أي

بعظمته (الى ربوة) أى مكان عال من الارض * (تنبيه) * قد اختلف في هذه الربوة فقال عطاء
 عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال كعب هي أقرب الارض الى السماء
 بنسبة عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال السدي
 هي أرض فلسطين وقال ابن زيد هي مصر وقرأ ابن عاصم بفتح الراء والباقون بضم الراء
 (ذات قرار) أى منبسطة مستوية واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) أى ما يجار ظاهرها
 تراه العيون * (تنبيه) * قد اختلف في زيادة معين واصالتها فوجه من جعلها مفعولا أنه
 مدرك العين لظهوره من عاتة اذا أدركه بعينه فتور كبه اذا ضرب به بركبته ووجه من جعله فعلا
 أنه نفاع لظهوره وجره من الماعون وهو المنفعة قيل سبب الايواء أنها هربت بابنها الى الربوة
 وبقيت بها اثني عشرة سنة ثم رجعت الى أهلها بعد مامات ملكهم وههنا آخر القصص وقد
 اختلف في الخطاب بقوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) على وجوه أحدها أنه مجمل
 الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة ثانيها أنه عيسى عليه
 السلام لأنه روى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه ثالثها أنه كل رسول خوطب
 بذلك ووصى به لأنه تعالى في الازل متكلم أمرناه ولا يشترط في الامر وجود المأمورين بل الخطاب
 ازلا على تقدير وجود المخاطبين فقول البيضاوي لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا
 في أزمنة مختلفة بل على معنى ان كلامهم خوطب به في زمانه تبع فيه الكشف فان المعتزلة
 أنكروا قدم الكلام فحملوا الآية على خلاف ظاهرها وأنت خير بأن عدم اشتراط ما ذكر
 انما هو في التعلق المعنوي لا التجيزي الذي الكلام فيه فانه مشروط فيه ذلك وانما خطاب جميع
 الرسل بذلك ليعتقد السامع ان امرأ خوطب به جميع الرسل ووصوابه تحقيق أن يؤخذ به
 ويعمل عليه وهذا كما قال الرازي لأنه روى عن ام عبد الله أنها أخذت شدا بن أوس
 أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدرح من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فرد
 صلى الله عليه وسلم الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت من شاة لي ثم رده صلى الله عليه وسلم
 وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها من مالي فأخذه ثم انها جأته فقالت يا رسول الله
 لم ردده فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا
 والمراد بالطيب الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال الصافي القوام فالحلال هو الذي لا يعصى
 الله تعالى فيه والصافي هو الذي لا ينسب الله فيه والقوام هو الذي يسكن النفس ويحفظ العقل
 وقيل المراد بالطيب المستلذ أى ما تستلذه النفس من المأكول والمشرب والفواكه ويشهده
 بحبيته على عقب قوله تعالى وآتيناهما الى ربوة ذات قرار ومعين واعلم أنه سبحانه وتعالى كما قال
 للمرسلين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال لاه ومنسين يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
 ما رزقناكم ودل سبحانه وتعالى على ان الحلال عون على الطاعة بقوله تعالى (واعملوا الصالحات)
 فرضا ونفلا سرا وجهرا غير خائفين من أحد غير الله تعالى ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله تعالى
 (التي بما) أى بكل شيء (تعملون علم) أى بالغ العلم فاجازيكم عليه وقرأ (وان هذه) بكسر

الهمزة الكوفيون على الاستئناف والباقون بفتحها على تقدير واعلموا أن هذه أى ملة
 الاسلام وخفف النون ساكنة ابن عامر وشدها مفتوحة الباقون (أتسكنم) أى دينكم
 أيها المخاطبون أى يجب أن تكونوا عليها حال كونها (أمة واحدة) لاشتات فيها أصلا
 فسادت موحدة فهي مرضية (وأنار بكم) أى المحسن اليكم بالخلق والرزق وحدي غن
 وحدنى نجا ومن أشرك معى غيرى هلك (فأتقون) أى فاحذرون (فقطعوا) أى الام
 وانما أضمرهم لوضوح ارادتهم لان الآية التى قبلها قد صرح بأن الانبياء ومن نجا منهم
 أمة واحدة لا خلاف بينهم ما فعل قطعا أن الضمير للامم ومن نشأ بعدهم واذلك كان النظر الى
 الامر الذى كان واحدا أهم فقدم وقوله (أمرهم) أى دينهم بعد ان كان مجتمعة مصادرا
 (بينهم) وقوله تعالى (زبرا) حال من فاعل تقطعوا أى أحزابا متخالفين فصاروا فرقا
 كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الاديان المختلفة جمع زبور بمعنى الفرقة وقيل
 معنى زبرا كتبنا أى تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواهم من الكتب (كل
 حزب) أى فرقة من المتحيزين (بمالديهم) أى عندهم من ضلال وهدى وقرأ مجزأة بضم
 الهاء والباقون بكسرها (فرحون) أى مسرورون فضلا عن أنهم راضون وقوله تعالى
 (قدرهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى اترك كفار مكة (فى غرتهم) أى ضلالهم
 شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها (حتى حين) أى الى أن يقتلوا أو يوتوا سلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم ولما
 كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم فى بسط الارزاق من الاموال والاولاد حالة رضا
 عنهم أنكرو ذلك عليهم تنبيها لمن سبقته له السعادة وكتب له الحسن وزيادة فقال تعالى
 (أيحسبون) أى لضعف عقولهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرها
 (أنما آتاهم) أى نعطهم ونجعلهم مدد لهم (به من مال) ينسره لهم (وبين) نمتعهم بهم ثم أخبر عن
 أن بقوله تعالى (نصارع) أى نجل (لهم) أى به (فى الخيرات) لان فعل ذلك (بل لا يشعرون)
 أنهم فى غاية البعد عن الخيرات ستستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فى موضع آخر
 فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليذهبهم بهم فى الحياة الدنيا وترهق أنفسهم
 وهم كافرون وروى عن زيد بن مسرة أنه قال أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء أى يفرح
 عبدي أن أبسط اليه الدنيا وهو أبعد لى ويحزن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب لى
 وعن الحسن انه لما أتى عمر رضى الله عنه بسوارى كسرى فأخذها ووضعها فى يده سارقة
 ابن مالك قبلها منكبيه فقال عمر اللهم انى قد علمت ان نبيك عليه الصلاة والسلام كان يجب أن
 يصيب ما لا ينفقه فى سبيلك فزويت ذلك عنه ثم ان أبابكر كان يجب ذلك اللهم لا يكون ذلك
 مكرامتك ثم فلا يحسبون الآية ولما ذكر أهل الافتراق ذكر أهل الوفاق ووصفهم بأربع
 صفات الاولى قوله تعالى (ان الذين هم) أى يواطنهم (من خشية ربهم) أى الخوف العظيم من
 المحسن اليهم المنعم عليهم (مشفقون) أى دائمون على الحذر الصفة الثانية قوله تعالى (والذين

هم بآيات ربهم) أى القرآن (يؤمنون) أى يصدقون الصفة الثالثة قوله تعالى (والذين هم
 برحيم) أى الذى لا يحسن اليهم غيره (لا يشركون) أى شيأ من شرك فى وقت من الاوقات
 كما لم يشركه فى الاحسان اليهم أحد * ولما أثبت لهم الايمان الخالص نفى عنهم العجب بقوله
 تعالى (والذين يؤمنون) أى يعطون (مأثراً) أى ما أعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة وهذه
 الصفة الرابعة (وقلوبهم وجلت) أى شديدة الخوف أن لا يقبل منهم ولا ينجيهم من عذاب الله
 ثم علل ذلك بقوله تعالى (أنهم إلى ربهم) أى الذى طال احسانه اليهم (واجعون) بالبعث
 فيجازيهم على النسيروالقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير ولا تنفع هناك
 الندامة وليس هناك الاطمانكم العدل والحكم القاطع من جهة مالك الملك قال الحسن
 البصرى المؤمن جمع ايماناً وخشية والمناق جمع اسامة وامانة * ثم أثبت لهم ما فهم ان ضده
 لا ضد ادهم بقوله تعالى (أولئك يسارعون فى الخسرات وهم لها بائون) أى يبادرون الى
 الاعمال الصالحة قبل الموت * ولما ذكر تعالى كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ذكر الله تعالى
 لا يكاف أحد افرق طاقته بشئ من الله تعالى (ولا تكف نفساً الا رسعها) أى طاقتها ففى لم يستطع أن
 يصلى الفرض دائماً فليصل قاعدا ومن لم يستطع أن يصلى قاعدا فليصل مضطجعا ومن لم يستطع
 أن يصوم رمضان فليفطر لان مبنى الخلق على العجز (ولدينا) أى وعندنا (كتاب ينطق بالحق)
 بما علمته كل نفس وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال وقيل كتب المصلحة وتفسير قوله
 تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فبئس
 الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بخلق الناطق
 اذا كان محققاً (فان قيل) ما ذل ذلك الكتاب مع ان الله تعالى يعلم ذلك اذ لا تخفى عليه خافية
 (اجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء وقد يكون فى ذلك حكمة لا يطالع عليها الا ذو تعالى (وهم)
 أى الخلق كـ (يؤمنون) أى لا ينقص من حسناتهم ولا يراذى سيئاتهم * ثم ذكر حال الكفار
 فقال تعالى (بل قلوبهم) أى الكفرة من الخلق (فى غمرة) أى جهالة قد أغرقتها (من هذا) أى
 القرآن الذى وصف به حال هؤلاء ومن كتب الحفظه (ولهم أعمال من دون ذلك) المذكور
 للمؤمنين (هم) أى الكفار (لها) أى لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أى لا بد أن يعملوها
 فيه معذون عليها المسابق لهم من الشقاوة (حتى اذا أخذت الأمم يومهم) أى رؤساهم وأغنياءهم
 (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع دعاء عليهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقال اللهم اشد وطأناك على مشركي واجعلها عليهم سنين كسئ يوسف ذابتها عنهم الله
 تعالى بالقطر حتى أكلوا الكذب والجيف والعظام المحرقة والتذروا الاولاد (اذ اعمهم بجارون)
 أى يصحبون وبستانيون ويجزعون وأصل الجار رفع الصوت بالتشريع فله البغوى فكانه
 قيل فهل يقبل اعتذارهم أو يرجم انكارهم فتقبل لا بل يقال لهم بلدان الحلال أو المقال
 (لا تجاروا اليوم) فان الجار غير نافع لكم * ثم علل ذلك بقوله تعالى (انكم منا لا تنصرون) أى
 بوجه من الوجوه ومن عدم نصرنا لم يجده ناسراً فلا فائدة لجأه الا اظهار الجوع ثم علل عدم

نصره لهم بقوله تعالى (قد كانت آياتي) أي من القرآن (تتلى عليكم) أي من أولياتهم وهم الهداة
 النصحاء (فكنتم) كونا هو كالجبل (على أعقابكم) عند تلاوتها (تكنصون) أي تعرضون
 مدبرين عن سماعها والعمل بها والنكوص الرجوع القهقري (متكبرين) عن الإيمان
 واختلف في عود الضمير في (به) فقال ابن عباس بالبيت الحرام وشهرة استكبارهم واقتضارهم
 أنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره وذلك أنهم يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا ينظر
 علينا أحد ولا يخاف أحد أفيؤمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل بالقرآن فلم يؤمنوا به
 وقوله تعالى (سامرا) نصب على الحال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت وقوله تعالى
 (تجبرون) قرأه نافع بضم التاء وكسر الجيم من الالهجار وهو الاخفاش أي تفحشون وتقولون
 الخناذكر أنهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والباقون بفتح التاء وضم الجيم
 أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان وعن القرآن وترفضونها وتسبون
 القرآن سحرا وشعرا ثم أنه تعالى لما وصف حالهم رد عليهم بأن بين أن اقدامهم على هذه الأمور
 لا بد أن يكون لاحد أمور أربعة أحدها أن لا ياتموا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى
 (أفلم يتدبروا القول) أي القرآن الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصل يدبروا يتدبروا
 أدغمت التاء في الدال ثانياها أن يعتقدوا ان ما جاء به الرسول أمر على خلاف العادة وهو
 المراد من قوله تعالى (أم جاءهم) في هذا القول (مالم يأت آباءهم الأولين) الذين بعد اسمعيل
 وقبله ثانياها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وحسن حاله قبل ادعائه النبوة وهو المراد من قوله تعالى
 (أم لم يعرفوا رسولهم) أي الذي أتاهم بهذا القول الذي لا قول مثله وهم يعرفون نسبه
 وصدقه وأمانته وما جاءهم به من معالي الاخلاق حتى انهم لا يجدون فيه اذا تحققت الحقائق
 فتمتصه يذكرونها ولا وصمة يستحلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث أبي سفيان
 ابن حرب الذي في أول البخاري في سؤال هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه وسلم وقد
 اتفقت كلمتهم عليه بتسميته الامين (فهم) أي فتسبب عن جهلهم به أنهم (له) أي نفسه أو القول
 الذي أتى به (مشكرون) فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الاتي به وفي هذا غاية التوبيخ لهم
 بجهلهم وبعباوتهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق وأعلامهم في كل معنى جميل ثم كذبوه رابعها
 أن يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما جعله على ادعائه الرسالة الجنونه وهو المراد من قوله تعالى
 (أم يقولون) أي بعد تدبر ما أتى به وعدم عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن (به) أي
 رسولهم (جنه) أي جنون فلا يؤثق به * ولما كانت هذه الاقسام منقبة عنه فانهم أعرف
 الناس بهذا النبي الكريم وانه أكملهم خلقا وأشرفهم خلقا وأظهرهم شيما وأعظمهم
 همما وأرجحهم عقلا وأمتهم رأيا وأرضاهم قولا وأصوبهم فعلا اضرب عنها وقال تعالى (بل)
 أي لم ينكصوا عند سماع الآيات ويسمروا ويهجروا الاعتقاد شيئا ماضيا وانما فعلوا
 ذلك لان هذا الرسول الكريم (جاءهم بالحق) أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرايع
 الاسلام وقال الجلال المحلى الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومحجى الرسول للام

الماضية ومعرفه رسولهم بالصدق والامانة وان لاجنون به وبلى للاستقال (وأكثرهم) أى
 والحال ان أكثرهم (للعق كارهون) متابعه لالهواء الرديه والشهوات البهيمية عناداً وانما قيد
 تعالى الحكم بالاكثر لان بعضهم يترك جهلاً وتقليداً وخوفاً من أن يقال صواباً وبعضهم يتبعه
 نوبقاً من الله تعالى وتأييداً ثم بين تعالى ان اتباع الهوى يؤدى الى الفساد العظيم بقوله تعالى
 (ولو اتبع الحق) أى القرآن (أهواءهم) بأن جاء بهما وه من الشرك والولد لله تعالى الله عن
 ذلك علواً كبيراً (لفسد السموات) على علوها واحكامها (والارض) على كثافتها وانظامها
 (ومن فيهن) على كثرتهم واتسارهم وقوتهم أى خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم
 تعدد الالهة لوجود المتاع في الشئ عادة عند تعدد الحاكم كما سبق تقريره في قوله تعالى
 لو كان فيهم ما آلهة الا الله افسدنا (بل آياتناهم) بعظمتها (بذكرهم) أى بالقرآن الذى فيه ذكرهم
 وشرهم وقيل بالذكر الذى عنه وبقولهم لو أن عندنا ذكراً من الاولين (فهم عن ذكرهم) أى
 الذى هو شرهم (معرضون) لا يلتفتون اليه ثم بين تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يطمع
 فيهم حتى يكون ذلك سبباً لنفرتهم بقوله تعالى (أم تسألهم) أى على ما جئتهم به (خرجاً) أى أجراً
 وقرأ جزء والكسائى بفتح الراء وبعدها ألف والباقون يسكون الراء * ولما كان الانكار معناه
 المنفى حسن موقع فاء السيسية في قوله تعالى (تخرج ربك) أى رزقه في الدنيا ونوابه في العقبى
 (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطايتهم وقرأ ابن عامر يسكون الراء والباقون
 يفتحها وألف بعدها قال أبو عمرو بن العلاء الخرج ما تبرعت به والخرج مال زمك أداؤه قال
 الزمخشري والوجه ان الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة أى
 الرقبة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ أخرجاً فخرج ربك يعنى أم تسألهم
 على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقوله تعالى (وهو خير
 الرازقين) تقرير لخيرية خواجه * ولما زيف سبحانه وتعالى طريق القوم اتبعه بصحة ما جاء به
 الرسول عليه السلام بقوله تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد عقولهم السليمة
 على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له كما تشهد له به العقول الصحيحة فى سلوكه وأصله الى
 الغرض فجاز كل شرف * (تنبيه) * قد أزمهم الله تعالى الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم
 وعلمهم فان الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلمه خليف بأن يجنبى مثله
 للرسالة من بين ظهرائهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل له
 سلباً الى النيل من دينهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الى دين الاسلام الذى هو الصراط
 المستقيم الامع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلاصهم بالتدبر والتأمل من غير برهان (وان
 الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) أى الذى لا صراط
 غيره لانه لا موصل الى القصد غيره (لنا كيون) أى عادلون منحرفون فى سائر أحوالهم سائرون
 على غير منهج أصلاً بل خبط عشواء (ولو رجعناهم) أى عاملناهم معاملة المرحوم فى ازالة ضرره
 وهو معنى قوله تعالى (وكشفنا ما بهم من ضرر) أى جوع أصابهم عكة سبع سنين (الجبوا)

أى عادوا وتمادوا (فى طغيانهم) الذى كانوا عليه قبل هذا (بعمهون) أى يترددون (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم أنت تزعم أنك بعثت رجة للعالمين فقال بلى فقال قد قلت الآية بالسيف والابناء بالجوع فقد أكلوا الفرث والعظام والعلهز وشكوا اليه الضرع فادع الله تعالى يكشف عنها هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية * (نبية) * العلهز وبريخط بدماء اللحم فيؤكل فى الجذب والعلهز أيضا القراد الضخم وشكبا بعض الاعراب الى النبى صلى الله عليه وسلم السنة فقال

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الخنظل العامى والعلهز الغسل

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستسقى رفع هذه المحن فقال الله تعالى عنهم (فما استكاثروا) أى خضعوا وخضوعا هو كالجبله لهم وأصله طلب السكون (لربهم) أى المحسن اليهم عقب المحنة (وما يضرعون) أى يجتهدون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع فى كل وقت بحيث يـكون لهم عادة بل هم على ما جبالوا عليه من الاستكبار والعقو (حتى اذا فتحنا عليهم بابا) أى صاحب (عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه) أى ذلك الباب مطروحون لا يقدررون منه على نوع خلاص (مبلسون) مخبرون آيسون من كل خير ثم انه سبحانه التفت الى خطاياهم وبين عظيم نعمته من وجوده أجدها ما ذكره بقوله تعالى (وهو الذى أنشأ) أى خلق (لكم) يامن يكذب بالآخرة (السمع) يعنى الإسماع (والابصار) على غير مثال سبق لخصوا بها ما انصب من الآيات (والآفدة) أى التى هى مراكز العقول فتنفكروا فى الآيات وتستدلوا بها على الوحدة فكنتم بها أعلى من بقية الحيوان جمع فؤاد وهو القلب وانما يخص هذه الثلاثة بالذكر لانه يتعاقبها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها فمن لم يعرفها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما أغنى عنهم معهم ولا أبصارهم ولا أفتدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله * ولما صور لهم هذه النعم وهى بحيث لا يشك عاقل فى أنه لو تصور أن يعطى آدمى شيئا منها لم يقدر على مكافئته حسن تبكيتهم فى كفر النعم فقال تعالى (قليل ما تشكرون) لمن أولاكم هذه النعم التى لا يقدر غيره على شئ منها مع ادعائكم انكم أشكر الناس لمن أسدى اليكم أقل ما يكون من النعم التى يقدر على مثلها كل أحد فكنتم بذلك مثل الحيوانات العجم صما بكما عيا قال أبو مسلم ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد انعمه ما أقل شكر فلان ثانيا ما ذكره فى قوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى ذرأكم) أى خلقكم وشكم (فى الارض) للتناسل (والله) وحده (يتحمرن) يوم التشور ثانيا ما ذكره بقوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى) من شأنه أنه يحيى

ويعتبر) فلما منع لمن البعث ولا غيره مما يريد رابعها ما ذكره بقوله تعالى (وله اختلاف
 الليل والنهار) أى التصرف فيه ما بالسهو والياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) أى
 بالنظر والتأمل ان البعث مناوان قدرتنا من الممكنات كلها وان البعث من جملتها فاعتبرون
 * ولما كان معنى الاستفهام الانكارى النفي حسن بعده قوله تعالى (بل قالوا) أى هؤلاء
 العرب (منل ما قال الاقولون) من قوم نوح ومن بعدهم فقالوا ذلك تقليد للاولين ثم حكى الشبهة
 عنهم من وجهين أحدهما ما ذكره بقوله تعالى (قالوا) أى منكرين للبعث متعجبين من أمره
 (أنهم آمنوا وكا) أى بالبلا بعد الموت (ترابا وعظاما) فجرة ثم أكدوا الانكار بقولهم
 (أننا لمبعوثون) أى لمخشورون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم يتأملوا أنهم قبل ذلك أيضا
 كانوا ترابا خلقوا نائيهما ما ذكره بقوله تعالى أنهم قالوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث
 بعد الموت (من قبل) كأنهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه وسلم فقد وقع قديما
 من سائر الانبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا ان الاعادة تكون في دار الدنيا ثم قالوا (ان)
 أى ما (هذه الاساطير) أى أكاذيب (الاولين) كالأصاحب والاعاجيب جميع اسطورة
 بالضم وقيل جمع أساطير جمع سطر قال رؤبة * انى واسطار سطر سطر * وهو ما كتبه الاقولون
 مما لا حقيقة له * ولما أنكروا البعث هذا الانكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتمل أمره الله تعالى
 أن يقرهم بثلاثة أشياء هم بها مقرون ولها عارفون يلزمهم من تسليمها الاقرار بالبعث قطعاً
 أحدها قوله تعالى (قل) أى يجيب الانكارهم بالبعث لمنزلة لهم (لمن الارض) أى على سعتها
 وكثرة عجائبها (ومن فيها) على كثرتهم واختلافهم (ان كنتم) أى عما هو كالجحيلة لكم (تعاونون)
 أى أهل العلم وفيه تنبيه على أنهم أنكروا شيئاً لا ينكره عاقل * ولما كانوا مقرين بذلك أخبر
 تعالى عن جوابهم قبل جوابهم ام يكون من دلائل النبوة واعلام الرسالة بقوله تعالى استنفاً
 (سيقولون) أى قطعاً ذلك كله (لله) أى المختص بصفات الكمال ثم انه تعالى أمره بقوله (قل)
 أى لهم اذا قالوا ذلك ذلك منكر اعليهم (أفلا تدرون) أى فى ذلك المراكزى طابعكم المقطوع
 به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذى
 هو دون ذلك وتعلموا أنه لا يصلح شئ منها وهو ملوكه أن يكون شريكاً له تعالى ولا ولداً وتعلموا
 ان القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت وأنه لا يصح فى الحكمة أصلاً أن يترك
 البعث لان أقلكم لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل بينهم وقرأ حفص وحزرة والكسائي
 بخفيف الذال والباقر بالتشديد بادغام التاء الثانية فى الذال ثانياً قوله تعالى (قل) أى لهم
 (من رب) أى خالق ومدبر (السموات السبع) كما شاهدون من حر كاتها وسير أفلاكها
 (ورب العرش) أى الكرسي (العظيم) كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض
 (سيقولون لله) أى الذى له كل شئ هو رب ذلك لا جواب لهم غير ذلك ولما تأكد الامر وزاد
 الوضوح حسن التهديد على التحدى فقال تعالى (قل) أى منكر اعليهم (أفلا تتقون)
 أى تحذرون عبادة غيره ثالثاً قوله (قل) أمره الله تعالى بعد ما قرأهم باله المن العلوى والسفلى

أن يقرهم بما هو أعم وأعظم وهو قوله تعالى (من يده) أي من تحت قدرته ومشيئته (ملكوت
 كل شيء) من انس وجن وغيرهما والملكوت المبلغ قال ابن الأثير كانت العرب إذا كان
 السيد فيهم أجاراً أحداً لا يختر جواره وليس لمن دونه أن يجبر عليه إلا يعاب عليه ولو أجاز
 ما أفاد ولهذا قال تعالى (وهو يجبر) أي يمنع ويغيب من شاء فيكون في حرز لا يقدر أحد على
 الدنوس ساحته (ولا يجار عليه) أي ولا يمكن أحداً أبداً أن يجبر جواراً يكون مستعلاً عليه
 بأن يكون على غير مراده بل يأخذ من أراد وإن نصره جميع الخلائق ويعلى من أراد وأن
 تحاملت عليه كل المصائب فتبين كالشمس أنه لا شريك يمانعه ولا ولد يضارعه وأنه السيد
 العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
 ثم ألهمهم إلى المبادرة إلى الاعتراف به وهيجهم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون) أي في عدد من
 يعلم ولذلك استأنف قوله تعالى (سيعولون الله) أي الذي يده ذلك خاصه * (تنبيه) *
 سيعولون الله الأول لا خلاف فيها وأما الثانية والثالثة فقرأ أبو عمرو وسيعولون الله بزيادة
 همزة الوصل مع التفعيض في ما ورفع الهاء والباقيون بغير همزة الوصل مع التريق وكسر الهاء
 والتقدير ذلك كله لله * ولما كان جوابهم بذلك يقتضي انكار ما وقفهم في الإقرار بالبعث استأنف
 قوله تعالى (قل) أي لهم منكراً عليهم (فأتى تسحرون) أي فكيف بعد أقراكم بهذا كله
 تتحدعون وتصرفون عن الحق وكيف يخيل لكم أنه باطل * ولما كان الانكار يعنى النفي حسن
 قوله تعالى (بل) أي ليس الأمر كما يقولون بل (أنبأهم بالحق) أي بالصدق من التوحيد والوعد
 بالنبور (وأنهم يكاذبون) في كل ما أذعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القرآن
 فسادهم ومن أعظم كذبهم قولهم اتخذ الرحمن ولداً قال تعالى رد عليهم (ما اتخذ الله) أي
 الذي لا كف له (من ولد) أي لا من الملائكة ولا من غيرهم لما قام من الأدلة على غناه وأنه
 لا يحتاج له * ولما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال تعالى (وما كان معه) أي بوجه
 من الوجود (من اله) يشابه في الألوهية (إذا) لو كان معه اله آخر (لذهب كل اله بما خلق)
 بالتصرف فيه وحده ليةزماله مما غيره (فان قيل) إذا تدخل الأعلى كلام هو جزاء وجواب
 فكيف وقع قوله تعالى لذهب جزاء وجواباً ولم يتقدم شرط ولا سؤال سائل (أجيب) بأن
 الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من اله
 عليه وهو جواب لمن معه الحاجة من المشركين (ولعل بعضهم) أي بعض الآلهة (على
 بعض) إذا تخالفت أو أمرهم فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقته إلى غيره ولأن عيسى فيه
 أمر على غير مراده كما هو مقتضى العادة فلا يكون المفلوب اله العجزه ولا يكون مجبراً غير
 مجار عليه يده وحده ملكوت كل شيء * ولما طابق الدليل الإلزامي نفي الشريك نزهة نفسه
 الشريفة بما هو نتيجة ذلك من قوله تعالى (سبحان الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال
 المنزه عن شائبة كل نقص (عما يصفون) من كل ما لا يليق بجناحه المقدس من الانداد
 والاولاد لما سبق من الدليل على فساده ثم أقام دليلاً آخر على كماله بوصفه بقوله تعالى (عالم)

الغيب والشهادة) أى ما غاب وما شوهد وقرأنا نافع وحفص وحزرة والنكسائى برفع الميم على أنه
 خبر مبتدأ محذوف تقديره هو والباقيون بالخفض على أنه صفة لله ثم رتب على هذا الدليل
 قوله تعالى (فتعالى) أى تعظم (عما يشركون) معه من الآلهة ثم إن الله تعالى أمر
 نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل رب) أى أيها المحسن إلى (أما) فيه ادغام نون
 أن الشرطية في ما الزائدة أى إن كان لا بد أن (ترى) لأن ما والنون التانيمة (ما يوعدون)
 من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني) بأحسنك إلى (في القوم الظالمين) أى قرىنا لهم
 في العذاب (فإن قيل) كيف يجوز أن يجعل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المعصوم مع
 الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (أجيب) بأنه يجوز أن يسأل العبد ربه عما لم أنه يفعله
 وأن يستعذبه عما لم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعه له وإخباره واستغفاره صلى الله
 عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر
 الصديق رضى الله تعالى عنه وليستكم واست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم
 نفسه وانما ذكر ربه مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع (وأنا) أى بما لنا
 من العظمة (على أن تريك) أى قبل موتك (مانعهم) من العذاب (لقد أدروا) كذا فأنزله
 علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون وهو صادق بالقتل يوم بدر أفتح مكة ثم كأنه قال
 فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) أى من الأقوال والأفعال
 بالصفح والمدارة (السيئة) إذا هم أياك وهذا قبل الأمر بالقتال فهي مفسوخة وقيل محكمة
 لأن المدارة محثوث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين أو مروءة (نحن أعلم بما يصفون) في حقك
 وحقنا فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب وليس أحد باغرينا فاصبر كما صبر أولو العزم
 من الرسل * ولما أذب سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن عليه
 ما به يقوى على ذلك بقوله تعالى (وقل رب) أى أيها المحسن إلى (أعوذ بك) أى التجنى اليك
 (من هزات الشياطين) أى أن يصلوا إلى توساوسهم وأصل الهز الخس ومنه هز هزماز
 الرأض شبه حنهم الناس على المعاصي به من الرأض الذواب على المشي وانما جمع هزات
 لتوقع الوسواس أو لتعدد المضاف إليه (وأعوذ بك رب) أى أيها المربي (أن يحضرون)
 في حال من الأحوال خصوصاً حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال
 وهم انما يحضرون بالسوء ولو لم تصل إلى توساوسهم فإن بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم
 قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي فقال
 الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من
 الشيطان الرجيم من نفثه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفثه الكبر وهمزه المونة
 أخرجه أبو داود لأن الشعر يخرج من القلب فيفظ به اللسان وينفثه كما ينث الريق والمنسكير
 ينثفح ويتعاطم ويجمع نفسه ويحتاج إلى أن ينفع والمونة الجنون والجنون يصير في الدنيا
 كالمنية ثم إن الله تعالى أخبر أن هؤلاء الكفار الذين يشكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا

عند معاينة الموت بقوله تعالى (حتى) وهي هنا كما قال الجلال المحلى استدائية أو متعلقة
بصقون أو بكاذبون كما قال الزمخشري وقدم المنعول لبذهب الوهم في فأعله كل مذهب فقال
(إذا جاء أحدكم الموت) فكشف له الغطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق
في شئ من ذلك ارتياب (قال) متحسراً على ما فرط فيه من الايمان والطاعة مخاطباً للملائكة
العذاب على عادة جهله ووقوفه مع الجسوس من ذأب اليهاثم (رب ارجعون) أى رددوني
الى الديار دار العمل ويجوز أن يكون الجمع له تعالى ولله لائكة أو للتعظيم على عادة مخاطبات
الأكابر سيما الملوك كقوله * ألا فارجدوني يا اله محمد * وقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * أو
القصد تكرير الفعل للتأكيد لانه في معنى ارجعون كما قيل في قفا واطر قافانهم ما بمعنى قف
واطر قاطر * ولما كان في تلك الحالة مع وصوله الى الغرغرة ليس على القطع من اليأس
قال (لعلى أعمل) أى لان كون على رجاء من أن اعمل (صالحاً فيما تركت) أى ضيعت من
الايمان بالله وتوابعه فيدخل في الاعمال الاعمال البدنية والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا ارجعك الى الدنيا فيقول الى دار اللهوم والاحزان بلى قدوما
على الله وأما الكافرية قول رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت قال قتادة ماتمى أن يرجع
الى أهله ولا عشرينه ولا يجمع الدنيا ويقتضى الشهوات ولكن تمى أن يرجع فيعمل بطاعة الله
فرحم الله امرأه عمل فيما تنهاه الكافر اذا رأى العذاب وقال ابن كثير كان العلامة زياد
يقول لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت واستقال ربه فأقاله فيعمل بطاعة الله تعالى
* ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولورجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ولورثوا ما اودوا
لما نهوا عنه وانهم الكاذبون قال الله تعالى له ردعا ورث الكلامه (كلا) أى لا يكون شئ من
ذلك وكأنه قيل فما حكم ما قال فقيل (انها كلمة) والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون الى آخره (هو قائلهما) وقد عرف منه الخداع والكذب
فهى كما عهد منه لاحقية لها فلا يجاب اليها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يخلها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم (ومن ورائهم) أى امامهم والضمير للجماعة (برزخ)
أى حاجر حائل بينهم وبين الرجعة واختاف في معناه فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع
الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو الموت
وقيل هو القبرهم فيه (الى يوم يبعثون) وهو يوم القيامة وفي هذا اقناط كل من الرجوع الى
الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة
(فاذا نفخ في الصور) أى القرن روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه النفخة الاولى ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ
فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتسألون وعن ابن مسعود أنها
النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين
ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له

حق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذه منهم ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم
 يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنها الفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي
 لا يتفخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفخرون بها في الدنيا ولا يتساءلون سؤال توأمل
 كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيل أنت ولم يرد أن الإنسان ينقطع نسبه
 (فان قيل) قد قال تعالى هنا ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض
 يتساءلون (أجيب) بأن ابن عباس قال إن للقيامة أحوالا ومواطن في موطن يشتد عليهم
 الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يبقون افاقة فيتساءلون
 وقيل التساؤل بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (فن ثقلت موازينه) أي
 بالاعمال المقبولة قال البقاعي ولعل الجمع لأن لكل عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره وذلك
 أدل دليل على القدرة (فأولئك) أي خاصة قال أيضا ولعله جمع للبشارة بكثرة الناجي
 بعد أن أفرد للدلالة على كثرة الاعمال أو على عموم الوزن لكل فرد (هم المفلحون) أي
 الفائزون بالحياة والدرجات العلى (ومن خفت موازينه) لأعراضه عن تلك الاعمال المؤسسة
 على الايمان (فأولئك) خاصة (الذين خسروا أنفسهم) لاهلاكهم اياهان باتباعها شهواتها
 في دار الالعمال وشغلها بأهوائها عن مراتب الكمال وقوله تعالى (في جهنم خالدون) بدل
 من الصلة أو خبر ثان لأولئك وهي دار لا ينقل أسيرها ولا ينطفى سعيها ثم استأنف قوله تعالى
 (تلفح) أي تعشى بشدة حرها ومومها ووهجها (وجوههم النار) فتقرتها فاطنك
 بغيرها والفتح كالتفح الا أنه أشد تأثرا (وهم فيها كالحون) أي عابسون قد شمرت شفاههم
 العليا والسفلى عن أسنانهم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 تشويه النار فقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة
 وقوله تعالى (ألم تكن آياتي) أي من القرآن على اضممار القول أي يقال لهم ألم تكن آياتي
 (تلي عليكم) أي تابع لكم قراءتها في الدنيا شيئا فشيئا (فكنتم بها تكذبون) ثم استأنف
 جوابه بقوله تعالى (قالوا ربنا) أي المسبغ علينا نعمه (غلبت علينا شقوتنا) أي ملكتنا بحيث
 صارت أحوالها مؤدية الى سوء العاقبة (وكنا) أي بما جبلنا عليه (قوماضلين) في ذلك عن
 الحق أقوياء في موجبات الشقوة فكان سببا للضلال عن طريق السعادة (ربنا) يا من عودنا
 بالاحسان (أخرجنا منها) أي من النار تفضلا منك على عادة فضلك وردنا الى دار الدنيا لنعمل
 ما يرضيك (فان عدنا) الى مثل ذلك الضلال (فانا ظالمون) لانفسنا ثم استأنف جوابهم
 بان (قال) لهم بلسان ملك بعد قدر الدنيا مرتين كما يقال للكلب (أخسوا) أي انزعروا
 زجر الكلاب وانظروا عن مخاطبتي ساكتين سكوت هوان (فيها) أي النار (ولانكم لظالمون)
 أصلا فانه لم يستم بأهل مخاطبتي لانكم لظالمون ان تراوا متصفين بالظلم فيأس القوم بعد ذلك
 ولا يتكلموا بكلمة الا الرفرير والشهيق والعواء كعواء الكلاب وقال القرطبي اذا قيل لهم ذلك
 انقطع رجائهم وأقبل بعضهم ينبح في وجهه بعض فانطبقت عليهم وعن ابن عباس انهم ست

دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسعدنا فيجابون حق القول من فينادون
 ألقار ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألقاريا ملك لم يقض
 علينا ربك فيجابون انكم ما كنتم فينادون ألقار ربنا أخرجنا منها فيجابون أولم تكونوا أقسمتم
 فينادون ألقار أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألقار رب ارجعون فيجابون
 اخسوا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا الزفير والشهيق والعواء ثم عل ذلك بقوله تعالى (انه
 كان) أى كوننا نباتا (فريق) أى ناس قد استضعفتهم وهم (من عبادى) وهم المؤمنون (يقولون)
 مع الاستمرار (ربنا) أى أيها المحسن الينا بالخلق والرزق (آمنّا) أى أوقعنا الايمان بجميع
 ما جاءتنا به الرسل (فاغفر لنا) أى استرنا زلنا (وارحنا) أى افعل بنا فعل الراحم (وأنت خير
 الراحمين) لانك تخلص برحمتك من كل شقاء وهو ان (فاتخذتموهم) أى فتسبب عن ايمانهم
 ان اتخذتموهم (سخرى) أى تسخرون منهم وتستهزئون بهم وقرأ نافع وحزرة والكسائي بضم
 السين والباقون بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر الا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما
 قبل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفرأ ان المكسور من الهز والمضموم
 من السخرية والعبودية أى تسخرونهم وتتعبدونهم قال الزنجشري والاول مذهب الخليل
 وسيبويه انتهى وأظهر المذال عند التاء ابن كثير وحفص والباقون بالادغام (حتى أنسوكم
 ذكرى) أى بأن تذكرنى فتخافونى وأضاف ذلك اليهم لانهم كانوا السبب فيه لفرط اشتغالهم
 بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم نزلت في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب * ولما شوق
 النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم الى جزائهم قال الله تعالى (انى جزيتهم اليوم) أى بالنعيم المقيم
 (بما صبروا) أى على عبادتى ولم يشغلهم عنها تألمهم بأذاكم كما يشغلكم عنها التذاذكم بها فانهم
 ففازوا دونكم وهو معنى قوله تعالى (انهم هم الفائزون) أى يطلوبهم الناجون من عذاب النار
 وقرأهمزة والكسائي بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها على أنه مفعول ثان
 لجزيتهم ثم ان الله تعالى (قال) لهم على لسان الملك المأمور بسؤالهم تبكيتموا وبقيضا لانهم
 كانوا يظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا إعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنها دائمة وانهم
 فيها يخلدون سألهم (كم أبتتم في الارض) على تلك الحال في الدنيا التي كنتم تعدونها فوزا (عدد
 سنين) أنتم فيها ظافرون ولاعدادكم قاهرون وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي قل كم بضم القاف
 وسكون اللام على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والباقون بفتح القاف واللام وألف
 بينهما خبرا وتقدم توجيهه وأظهر التاء المثلثة عند التاء المشاة فوق نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها
 فيها الباقون (قالوا البنا يوما أو بعض يوم) يشكون في ذلك (فان قيل) كيف يصح في جوابهم أن
 يقولوا ذلك ولا يقع من أهل النار الكذب (أجيب) بأنهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من
 الاحوال وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فاسأل العاديين) أى الملائكة المحصين أعمال
 الخلق واعمارهم قال ابن عباس ما كانوا فيه من العذاب بين النفتين وقيل قالوا ذلك

تصغير البشيم وتحقير اله بالاضافة الى ما وقعوا فيه من دوام العذاب قال بعضهم
 ألا ان أيام الشتاء طويلة * كما أن أيام السرور قصار

وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وترك الهمز بعد داو كذا يفعل حزة في الوقف والباقون
 يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها هم (قال) الله تعالى لهم على لسان الملك (ان) أي ما (لبنتم)
 أي في الدنيا (الأقليل) لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في
 الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي في عدد ادم يعلم في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي
 ولا قبلتم على ما ينفعكم ولتركت أفعالكم التي لا يرضاها عاقل ولكنكم كنتم في عدد ادا البهائم
 وقرأ حزة والكسائي قل أمرا والباقون قال خبرا ولبنتم تقدم منه وتوجيه قال وقل ثم وبخبرهم
 الله تعالى على تغافلهم بقوله تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم) على ما لنا من العظمة وقوله تعالى
 (عبثا) حال أي عابثين كقوله لا عين أومفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم
 الاحكامه اقتضت ذلك وهي أن تعبدكم وتكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي (و) حسبت
 (أنكم البينا لا ترجعون) في الآخرة للجزاء وروى لا ينفق بسنده عن أنس أن رجلا مصابا مر به
 على ابن مسعود فرفاه في أذنه أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم البينا لا ترجعون حتى ختم
 السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على
 جبل زال وقرأ حزة والكسائي بفتح الاء الفوقية وكسر الجيم والباقون بضم الفوقية وفتح
 الجيم ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله ويصفه به المشركون بقوله تعالى (فتعالى الله) أي
 الذي له الجلال والجلال علوا كبيرا عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك) أي المحيط بأهل
 مملكته علما وقدرة وسياسة وحفظا ورعاية (الحق) أي الذي لا يتطرق الباطل اليه في شيء في ذاته
 ولا في صفاته فلا زوال له ولا ملكه (لا اله الا هو) فلا يوجد له نظير أصلا في ذاته ولا في صفاته
 ولا في أفعاله فهو متعال عن سمات النقص والعبث ثم زاد في التبيين والتأكيده والتفرد بوصفه
 بصفة لا يدعيها غيره بقوله تعالى (رب العرش) أي السرير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل
 منه حكمات الاقضية والاحكام ولذا وصفه بالكرم فقال (الكريم) أولسبته الى أكرم الأكرمين
 * ولما بين سبحانه وتعالى أنه الملك الحق لا اله الا هو أتبعه بأن من ادعى الها آخر فقد ادعى باطلا
 بقوله تعالى (ومن يدع مع الله) أي الملك الذي لا كف له (الها آخر) يعبد (لا برهان له) أي
 بسبب دعائه بذلك اذا اجتمع في اقامة برهان على ذلك لم يجد ثم ذكر أن من قال ذلك فخرأه
 العقاب العظيم بقوله تعالى (فانما حسابه) أي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا نقصه (عند ربه)
 أي الذي ربه ولم يربه أحد سواه الذي هو أعلم بسريره وعلايته فلا يخفى عليه شيء من أمره
 * ولما افتتح السورة بقوله قد أفلح المؤمنون ختمها بقوله (انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعدون
 فستان ما بين الفاتحة والخاتمة * ولما شرح الله تعالى أحوال الكفار في جهلهم في الدنيا
 وعذابهم في الآخرة أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالانقطاع اليه والالتجاء الى
 غفرانه ورجيته بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن الى (اغفر وارحم) أي أكثر من هذين

الوصفين (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) فَمِنْ رَحْمَتِهِ أَفْلَحَ بِمَا تَوَقَّعَهُ لَهُمْ مِنْ امْتِثَالٍ مَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ أَوَّلُ السُّورَةِ
فَكَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ مِنَ الْوَارِثِينَ الَّذِينَ يَرْثُونَ الْقُرْدُوسَ هُمْ فِيهِ خَالِدُونَ فَقَدْ انْطَبَقَ عَلَى
الْأَوَّلِ هَذَا الْآخِرُ بِفَوْزِ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَخَبِيَةِ كُلِّ كَافِرٍ فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِأَحِبَّائِنَا الرَّحِمِ رَاحِمٍ وَخَيْرٍ غَافِرَانِ الْمَتَوَلَّى السَّرَّارِ وَالْمَرْجُو لَا مَصْلَاحَ الضَّمَّائِرِ وَمَارُوءِ
الْبَيْضَاوِي تَبَعًا لِلزَّمْخَشَرِيِّ مَنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ قُرْآنِ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ بِشَرْعِهِ الْمَلَائِكَةُ
بِالرُّوحِ وَالرِّيحَانِ وَمَاتَقَرَّبَهُ عَنْهُ عِنْدَ نَزُولِ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ حَدِيثٌ مُوَضَّوعٌ وَقَوْلُهُ أَيْضًا تَبَعًا
لِلزَّمْخَشَرِيِّ رَوَى أَنْ أَوَّلَ سُورَةٍ قَدْ أَفْلَحَ وَآخِرُهَا مِنْ كُنُوزِ الْعَرْشِ مِنْ عَمَلِ ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا
وَاتَعَطَّ بِأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا فَقَدْ تَجَارَعَ أَفْلَحَ قَالَ شَيْخُ شَيْخِنَا ابْنُ جَرَّاحٍ نَظَّمَ عَصْرَهُ دَلِمَ أَجَدَهُ

(سورة النور مدنية)

* (وهي ثلثان أو أربع وستون آية) *

(بِسْمِ اللَّهِ) الَّذِي نَمَتْ كَلِمَتُهُ فَبَهَرَتْ قُدْرَتُهُ (الرَّحْمَنَ) الَّذِي ظَهَرَتْ الْحَقَائِقُ كُلُّهَا بِشَمُولِ رَحْمَتِهِ
(الرَّحِيمِ) الَّذِي شَرَفَ مِنْ اخْتَارِهِ بِخُدْمَتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (سُورَةَ) خَبَرٌ لِبَيْتِ الدَّامِخِذِ وَفِي تَقْدِيرِهِ هَذِهِ
سُورَةٌ أَيْ عَظِيمَةٌ أَوْ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا مَبْتُدَأُ مَوْصُوفٍ وَالْخَبَرُ مَحْدُوفٌ أَيْ فِيمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ سُورَةَ
أَنْزَلْنَاهَا وَقَالَ الْأَخْفَشُ لَا يَبْعُدُ الْإِبْتِدَاءُ بِالْكُفْرَةِ فَدُورَةٌ مَبْتُدَأُ وَأَنْزَلْنَاهَا خَبَرَهُ ثُمَّ رَغِبَ فِي
امْتِثَالٍ مَا فِيهَا مَبِينًا أَنْ تَتَوَسَّعَ فِيهَا التَّعْظِيمُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَنْزَلْنَاهَا) أَيْ بِمِثَالِ الثَّمَنِ الْعَظِيمَةِ وَتَمَامِ
الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ (وَفَرَضْنَاهَا) أَيْ قَدَرْنَا مَا فِيهَا مِنَ الْحُدُودِ وَقِيلَ أَوْجِبْنَاهَا عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ
إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْكَثْرَةَ الْفُرُوضُ وَالْبَاقُونَ بِاللَّخْفِيفِ
(وَأَنْزَلْنَاهَا آيَاتٍ) مِنَ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ وَغَيْرِهَا (بَيِّنَاتٍ) أَيْ وَاضِحَاتٍ
الدَّلَالَةِ (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أَيْ تَتَعَفَّلُونَ وَقَرَأَ خُفْصٌ وَجَزَةٌ وَالْكَسَافِيُّ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ وَالْبَاقُونَ
بِالتَّشْدِيدِ ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي السُّورَةِ أَحْكَامًا كَثِيرَةً * الْحُكْمُ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى (الرَّائِيَةِ وَالزَّانِي)
أَيْ غَيْرِ الْمُحْصَنِينَ لِرَجْمِهِمَا بِالسِّنَةِ وَأَلْ فِيمَا ذَكَرَ مَوْصُولَةٌ وَهِيَ مَبْتُدَأُ وَشِبْهُهَا بِالشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ
فِي خَبَرِهِ وَهُوَ (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) أَيْ ضَرْبِيَّةٌ يُقَالُ جَلْدُهُ إِذَا ضُرِبَ جَلْدُهُ
وَيُرَادُ عَلَى ذَلِكَ بِالسِّنَةِ تَغْرِيبُ عَامٍ وَالرَّقِيقُ عَلَى النِّصْفِ عِمَادٌ كَرَوْلٍ لَرَجْمِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ لَا يَتَنَصَّفُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الزَّانِمَانَ الْبَكَارِ وَيُدَلُّ عَلَيْهِ أَمْرُ أَحَدِهِمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَنَهُ بِالشَّرْكِ وَقَتْلَ النَّفْسِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ثَانِيَةً أَقُولُهُ تَعَالَى وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَةَ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلُهَا ثَالِثًا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجِبَ الْمِائَةَ فِيهِ بِكُلِّهَا بِخِلَافِ حَدِّ الْقَذْفِ وَشَرْبِ الْخَمْرِ وَشَرْعَ فِيهِ
الرَّجْمُ وَرَوَى حَذِيفَةُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَمُوتُ عَشْرُ النَّاسِ اتَّقُوا الزَّانِقَانَ فِيهِ
سِتْ خُدَالٌ ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ أَمَّا اللَّائِقُ فِي الدُّنْيَا فِيهِ ذَهَبُ الْبَهَاءِ وَيُورِثُ الْفَقْرَ
وَيَنْقُصُ الْعُمْرَ وَأَمَّا اللَّائِقُ فِي الْآخِرَةِ فَخُطُّ اللَّهِ سَجَانُهُ وَتَعَالَى وَسُوءُ الْحِسَابِ وَعَذَابُ النَّارِ
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ دَاوِئًا وَهُوَ خَلَقَكَ

قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن ترى بجذبة جارك فأترى
الله تعالى تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يتقون النفس التي حرم الله
الاباحي ولا يزنون والزنا اباح حشفة أو قدرها من مقتطوعها من الذكر المتصل الاصل من
الادمي الواضح ولو أشل وغير منتشر وكان ملفوفاً في خرقه بقبل محرم في نفس الامر لعينه خال
عن الشبهة المسقط للحد مشتمى طبعاً بأن كان فرج آدمي حتى ولا يشترط ازالة البكارة حتى
لو كانت غوراو وأدخل الحشفة فيها ولم يزل بكارتها ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لا بد فيه
من ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك واختلاف في اللواط
هل يطلق عليه اسم الزنا ولا فقال بعضهم يطلق عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا أتى الرجل
الرجل فها زانية والذي عليه أكثر أصحابنا أنه غير داخل تحت اسم الزنا لانه لو حلف لا يرى
فلاط لم يحنث والحديث محمول على الاثم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتت المرأة المرأة فها
زانية وللشافعي في حده قولان أحدهما أن الفاعل ان كان محصناً فإنه يرجم والا فيجوز مائة
ويغرب عاماً وأما المفعول فلا يتصور فيه احصان فيجوز ويغرب والقول الثاني يقتل الفاعل
والمفعول به سواء كان محصناً أم لا لما روى عن ابن عباس أنه قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا
الفاعل والمفعول به وأما تبيان البهائم فغرام باجماع الائمة واختلاف في عقوبته على أقوال
أحدها حد الزنا فيرجم الفاعل المحصن ويجوز غيره ويغرب والثاني أنه يقتل محصناً كان أو غير
محصن لما روى عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوا معه والثالث وهو الاصح أنه يعززلان الحد شرعاً للزجر عما قبل النفس اليه
وضعوا حديث ابن عباس اضعف اسناده وهو ان ثبت فهو معارض بما روى انه صلى الله عليه
وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لما كله وأما السحاق من النساء وتبيان المرأة الميتة والاستمناه
بالبدن فلا يشرع فيه شيء من ذلك الا التعزير والمقيم للحد هو الامام أو نائبه والسيد ان يقيم الحد
على رقيقه ولا تجوز الشفاعة في اسقاط الحد ولا تركه ولا تخفيفه كما قال تعالى (ولا تأخذكم) أي
على أي حال من الاحوال (بهم مارأفة) أي رجة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقبضوها وقرأ ابن كثير
بفتح الهمزة والباقون بكونهم والسوسي على أصله من البدل وقيل معنى الرأفة أن يخففوا
الضرب (في دين الله) أي الذي شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرق فاطمة بنت
محمد لدققت يدها روى أن عمر رضي الله عنه جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها
ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله فقال يا بني ان الله تعالى لم يأمر نابتها
وقد ضربت فأوجعت ثم انه سبحانه وتعالى زاد في الحض على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم
تؤمنون بالله) أي الذي هو أرحم الراحمين فانه ما شرع ذلك الا رجة للناس عموماً وللزانية
خصوصاً فلا تزيد وفي الحد ولا تنقص وامنه شيئاً وفي الحديث يؤتى بال نقص من الحدود
سوطاً فيقول رجة لعل بال ففقال له أنت أرحم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بن زاد سوطاً
فيقول لينتمو اعن معاصيكم فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة اقامة حد بآرض خبير من مطر

أربعين ليلة ثم اتبع ذلك بما يريه بقوله تعالى (واليوم الآخر) الذي يحاسب فيه على النكير
والقطمير والخفي والحلي (وليشهد) أي ويحضر (عذابهم) أي حدهم ما إذا أقيم عليهم ما
(طائفة من المؤمنين) والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي
صفة غالبية كانها الجماعة الحافظة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين
رجلا من المصدقين بالله تعالى وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة
رجلان فصاعدا وعن مجاهد أقلها رجل فصاعدا وقيل رجلان وفضل قول ابن عباس لأن
الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الزنا ولا يجب على الإمام حضور رجم ولا على الشهود لأنه
صلى الله عليه وسلم أمر برجم ما عزو الغامدية ولم يحضر رجمه ما وانما خص المؤمنين بالحضور
لأن ذلك أفضح والفساق بين صلحاء قومه أشجل ويشهد له قول ابن عباس إلى أربعين رجلا من
المصدقين بالله * (تنبيه) * الضرب يكون بسوط واحد لا حديد يجرح ولا خلق لا يؤلم ويفرق بين
السياط على أعضائه ولا يجمعها في موضع واحد واتفقوا على أنه يتقى المهالك كالوجه والبطن
والفرج ويضرب على الرأس لقول أبي بكر رضي الله عنه اضرب على الرأس فان الشيطان
فيه ولا يشديده وينزع الثياب التي تمتع ألم الضرب كالفرج ولو فرق سياط الحد تقريبا لا يحصل
به التكميل مثل أن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين فان فرق وضرب والالم موجود كفي وان
وجب الحد على حامل لا يقيم عليها حتى تضع وترضعه حتى ينقطع ويندب أن يحفر للمرأة إلى
صدرها ان ثبت زناها بالبين لا باقرارها ولا يندب للرجل مطلقا وان وجب الحد على المريض
نظران كان يرجى زواله كصداع انتظر أو لا يرجى كالزمانة فلا يؤخر ولا يضرب بالسياط بل
بعشكال عليه مائة شراخ فيقوم ذلك مقام جلده وأما في حال الحر والبرد الشديدين فان كان
الحد رجما لم يؤخر لأن النفس مستوفاة وان كان جلدا أخر إلى اعتدال الهواء وبقبل رجوع
الزاني عن اقراره ولو في أثناء الحد واذامات في الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر
المسلمين * الحكم الثاني قوله تعالى (الزاني لا ينكح) أي لا يتزوج (الزانية أو مشركه) أي
المعلوم اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية أو مشركه (والزانية لا ينكحها) أي لا يتزوجها
(الازان أو مشرك) أي والمعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشرك اذ الغالب
أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصالح والمسالحة لا يرغب فيها الصالح فان المشاكاة
عله الإلفة والانضمام والخالفه سبب النفرة والافتراق وقال بعضهم الجنسية عله الضم
والمشاكاة سبب المواصله والخالفه توجب المباعده وتحرم المواصله وعن أبي هريرة رضي
الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وعن
علي رضي الله تعالى عنه أنه خطب أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من مقدمه عليهم فقال يا أهل
الكوفة قد علمنا شراركم من خياركم فقالوا كيف ومالك الثلاثة أيام فقال كان معنا شرار
وخيار فانضم خيارنا إلى خياركم وشرارنا إلى شراركم وعن الشعبي أنه قال ان لله ملكا موكلًا
بجميع الاشكال بعضها إلى بعض وقال القائل

عن المرأة لتسأل رسول عن قرينة * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فإن قيل لم قدمت الزانية على الزاني أولاً ثم عليم أنانياً (أجيب) بأن تلك الآية بنسبقت
لحقوبتهما على ما جنىوا والمرأة هي المائدة التي منها نشأت الجنابة لأنها ألوم تطمع الرجل ولم تمكنه
لم يطعم ولم يتمكن فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدئ بذكرها وأما الزانية فسوقة لذكر النكاح
والرجل أصل فيه لأنه الراغب فيه والمخاطب ومنه يبدأ الطلب (وحرم ذلك) أي نكاح الزاني
والزانية فحرم بما لا مشوبة فيه (على المؤمنين) واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال
قوم منهم بجاهد وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن ابن عباس قدم المهاجرون المدينة
وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عسائر وبالمدينة نساء بغايا عن يومئذ أخذت أهل المدينة فرغب ناس
من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
فنزلت هذه الآية وحرم ذلك على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وقال
عكرمة نزلت في نساء كن بمكة وبالمدينة لهن رايات يعرفن بهن منهن أم مهزول جارية السائب
ابن أبي السائب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة فأراد ناس من
المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول
فاشترطت أن تنفق عليه فنزلت هذه الآية وروى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل
يقال له هرث بن أبي هرث الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت
بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دفعته عناق إلى نفسها فقال
هرث إن الله حرم الزنا فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً فأمسك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ير دعي شيئاً فنزل الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجها الترمذي والنسائي
وأبو داود باللفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر
الناس وقال قوم منهم سعيد بن جبير والضحك ورواية عن ابن عباس المراد من النكاح هو
الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا زانية أو مشركه والزانية لا تزني إلا زاناً أو مشركاً وقال
يزني بهن زان جامعها وهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وعن عائشة
رضي الله عنها إن الرجل إذا زنى باهراً فليس له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانياً
وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني الزانية فهو ما زاناً أبداً وقال
الحسن الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلدة والزانية المجلدة لا ينكحها إلا زان مجلود وقال سعيد
ابن المسيب وجاعة منهم الشافعي رحمه الله تعالى إن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية
حرام بهذه الآية فنكحها الله تعالى بقوله تعالى وأنكحوا الإيامي منكم وهو رجوع أيم وهي من لا
زوج لها فدخلت الزانية في إيامي المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلاً
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن امرأتى لا تمنع بدلا من قال طلقها قال فأتى

أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره أمسكها اذا وقد أجازها ابن عباس وشبهه بن
سرق غر شجرة ثم اشتراه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره فكلح
وعن عر رضى الله تعالى عنه أنه ضرب رجلا وامرأة زينا وحرّض أن يجمع بينهما فأبى الغلام
* ولما فرس بجانه وتعالى عن نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة نهى عن الرمي به فقل
تعالى (والذين يرمون) أي بالزنا (المحصنات) جمع محصنة وهي هنا المسلمة الحرة المكففة العفيفة
وهذا هو الحكم الثالث والذي يدل على أن المراد الرمي بالزنا أمور أحدها تقدم ذكر الزنا
ثانيها أنه تعالى ذكر المحصنات وهن العفاف فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميها بضد ذلك
ثالثها انعقاد الإجماع على أنه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا
رابعها قوله تعالى (ثم ليأثوا) أي إلى الحكم (بأربعة شهداء) أي ذكره ورواهم أن هذا
العدد من الشهود غير شرط إلا في الزنا وشرط القاذف الذي يحسب سبب القذف التكليف
والاختيار والتزام الأحكام والعلم بالتحريم وعدم اذن المقدوف وأن يكون غير أصل وألفاظ
القذف تنقسم إلى صريح وكناية وتعرض فننصرح بقوله رجل أو امرأة زيت أو زيت أو
يا زاني أو يا زانية ولو كسر الهمزة في خطاب الرجل وقبحها في خطاب المرأة أو زيت في الجبل ومن
الكناية زناات وزناات في الجبل بالهمز فان نوى بذلك القذف كان قذفا ولا فلا ومن التعريض
يا ابن الحلال وأما أنا فلست بزنا فهذا ليس بقذف وإن نواه (فان قيل) اذا كان ذلك القذف
يشمل الذكر والأنثى فلم كانت الآية الكريمة في الأنثى فقط (أجيب) بأن الكلام في حقهن
أشنع وتنبيه على عظيم حق أئمة المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله تعالى عنها وحدها القاذف المحر
ثمانون كما قال تعالى (فاجلدوهم) أي أيها المؤمنون من الأئمة ونوابهم (ثمانين جلدة) لكل واحد
منهم لكل محصنة وحدها القاذف الرقيق ولو بمعضا أو مكاتبا أربعون جلدة على النصف من
المحر لآية النساء فلعين نصف ما على المحصنات من العذاب فهذه الآية مخصوصة بتلك
إذا فرق بين الذكر والأنثى ولا بين حد الزنا وحد القذف ويدل على أن المراد بالآية الأحرار
قوله تعالى (ولا تقبلوا لهم) أي بعد قذفهم (شهادة) أي شهادة كانت (أبدا) للحكم باقتراثهم
لأن العبد لا يقبل شهادته وإن لم يقذف * ولما كان التقدير أنهم قد افتروا عطف عليه
تحذيرا من الأقدام عليه من غير تثبت (وأولئك) أي الذين تقدم ذمهم بالقذف فزلت رتبهم
جدا (هم الفاسقون) أي المحكومون بنفسهم الثابت لهم هذا الوصف وإن كان القاذف
منهم محققا نفس الامر وفي ذلك دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم القذف لا يقع إلا على
صاحب كبيرة واختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وحكم هذا الاستثناء
المذكور في قوله (الا الذين تابوا) أي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه
وعزموا على أن لا يعودوا (من بعد ذلك) أي الأمر الذي أوجب إبعادهم فذهب قوم إلى أن
القاذف ترد شهادته بنفس القذف فإذا تاب وصلح حاله كما قال تعالى (وأصلحوا) أي بعد التوبة
بعض مدة يظن بها حسن الحال وهي سنة يعتبر بها حال التأيب بالفصول الأربعة التي تكشف

الطبائع (فان الله) أي الذي له صفات السكال (عقور) أي شؤر لهم ما أقدموا عليه رجوعهم عنه (رحيم) أي يفعل بهم من الأكرام فعل الراحم بالرحوم في قبول الشهادة وقبلت شهادته سواء قبل الحد وبعد وزال عنه اسم الفسق وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق ويروي ذلك عن ابن عمرو بن عباس وجمع من الصحابة وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون ويروي ذلك عن الشعبي وشرح به قال أصحاب الرأي قالوا ينقص القذف لآثر شهادته ما لم يحدث قال الشافعي هو قبل أن يحدث شر منه حين يحدث لأن الحد وكفارات فكيف يرد به في أحسن حاله وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة (فان قيل) إذا قلتم بالآول فامعنى قوله تعالى أبدا (أجيب) بأن معنى أبدا مادام مصر على القذف لأن أبدا كل انسان مدته على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا يراد بذلك مادام على كفره فاذا أسلم قبلت شهادته * (تنبيهان) * الاقرار بالزنا هل يثبت بشهادة رجلين أو أربع كالزنا فيه قولان أحدهما أنه يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لأن الفعل يغرض الاطلاع عليه وإذا شهد على فعل الزنا يجب أن يذكر الزاني ومن زنى به إلا أنه قد يراه على جارية لا يسه فبظنه زنا يوجب الحد وأن يقول في شهادته رأيت ذكره يدخل في فرجهما وإن لم يقل دخول الميسل في المكحلة لكن قوله ذلك أولى فلو شهدوا مطلقا أنه زنى لم يقبلوا لأنهم ربما يرون المفاخذة زنا ويشترط أيضا أن يفسر في إقراره كالشهود ويصح رجوعه عن الإقرار ولو في أثناء الحد كما مر ولا فرق في قبول الشهادة بين أن يجيىء الشهود متفرقين أو مجتمعين كما قاله الشافعي وقال أبو حنيفة إذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف ولو شهد على الزنا أقل من أربعة أو أربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا وعليهم الحد لأن شهادة الزوج لا تقبل في حق زوجته قال ابن الرفعة في الكفاية لأمرين أحدهما أن الزنا تعرض لمحل حق الزوج فان الزاني يستمتع بالمنافع المستحقة له فشهادته في حقها تتضمن إثبات جنابة الغير على ما هو مستحق له فلم تستمع كما إذا شهد أنه جنى على عبده والثاني أن من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته دال على إظهار العداوة لأن زناها أبو غرصة بطلخ فراسه وادخل الغير عليه وعلى ولده وهو أبلغ من مؤلم الضرب وقاحش السب ولو قذف رجل وجاء بأربعة فساق شهدوا على المقدوف بالزنا لم يحدث وإن شراط الشهادة بالزنا قد وجدت عند القاضي إلا أنه لم يقبل شهادتهم لأجل التهمة فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك أوجبنا اعتبارها في نفي الحد عنهم * ولما كان لفظ المحصنات عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم وهو الحكم الرابع أفردهن بقوله (والذين يرمون) أي بالزنا (أزواجهن) أي من المؤمنات والكافرات الحررات والأماء (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون على صحة ما قالوه (الأنفسهم) أي غير أنفسهم وهذا ربما يفهم أنه إذا كان الزوج أحد الأربعة كني وهذا المفهوم معطل لكونه حكاية حال واقعة لا شهود فيها وقوله تعالى في الآية قبلها ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فانه يقتضي كون الشهداء غير الراعي بالزنا ولعله استثناء

من الشهداء لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي أنه لا يقبل في ذلك كما قدمناه
 (فشهدا أحدهم) أي قالوا يجب شهادة أحدهم على من رماها أو فعلهم شهادة أحدهم (أربع
 شهادات) من خمس في مقابلة أربعة شهداء (بالله) أي مقر وثقة بهذا الاسم الكريم الاعظم
 الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال (أنه لمن الصادقين) أي فيما قد فيها به وقرأ حفص
 وحزرة والكسائي برفع العين على أنه خبر شهادة والباقر بن صهبا على المصدر (والخامسة ان
 لعنت الله) أي الملك الاعظم (عليه) أي القاذف نفسه (أن كان من الكاذبين) فيما رماها به وقرأ
 نافع بتخفيف ان ساكنة ورفع لعنة والباقر بن شديد النون منصوبة ونصب لعنة ورسمت
 لعنة بتاء مجرورة ووقف عليه باباء ابن كثير وأبو عمر ووالكسائي ووقف الباقر بالتاء وإذا
 وقف الكسائي أمال الهاء هذا العان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عليه وحصول الفرقة
 بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وتقرى الحاكم
 فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولدان تعرض له فيه وشوت حسد الزنا على المرأة بقوله تعالى
 (ويدنا) أي يدفع (عنها) أي المقدوفة (العذاب) أي المعهود وهو الحد الذي أوجب عليه كما
 تقدم (أن تشهد أربع شهادات) من خمس (بالله) الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا
 كما تقدم في الزوج (أنه لمن الكاذبين) فيما قاله عليا (والخامسة) من الشهادات (أن غضب الله)
 الذي له الامر كله (عليها ان كان من الصادقين) أي فيما رماها به روى البخاري في تفسيره وغيره
 عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سماء
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأيت أحدا على
 امرأته رجلا يطلق بلفظ البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حد في ظهرك
 فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبري ظهري من الحد فنزل
 جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين
 فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهم ما حيا أفعام هلال بن أمية فشهدوا النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول والله يعلم ان أحدكم كاذب فهل منك تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت
 عند الخامسة أوقفوها وقالوا انها موحبة قال ابن عباس فتملكات ونكصت حتى ظننا انها
 ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان
 جاءت به أحسن العيين سابع الاليتين خذل الساقين فهو لشريك بن سماء فجاءت به كذلك
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وقد روى البخاري
 أيضا عن سهل بن سعد أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعويير رضي الله عنه وقد تقدم أنه لا يمنع
 أن يكون للامانة الواحدة عدة أسباب معا ومفترقة * (تأنيبه) خصت المرأة بالغضب لانه
 أبلغ من اللعن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وسبب التغليب عليها الخ على
 اعترافها بالحق لما يصدق الزوج من التريسة من أنه لا يتجشم فضيحة أهله المستلزم لفضيحه
 الا وهو صادق ولانها مادة الفساد وخالطة الانساب ويستلزم في اللعان أمر القاضي وتلقيه

كلياته في الجانبين فيقول قل أشهد بالله الخ لأن اللعان عين واليمين لا يعتد بهما قبل استحلاف
 القاضي وان غلب فيه معنى الشهادة فهي لا تؤدى عنده الا باذنه وان تأخر لعانها عن لعانه
 لان لعانها لا يسقط الحد الذي وجب عليه بل لعان الزوج كما علم مما مر ويلاعن آخرس بأشيرة
 مفهومة أو كتابة ويكرر كلمة الشهادة أربعاً ويكتبها مرة ويشير اليها أربعاً ويصح اللعان بالعجمية
 وان عرف العربية وبشترط الولا بين الكلمات الخمس فيؤثر الفصل الطويل ولا يشترط الولا
 بين لعاني الزوجين ولو أبدل لفظ شهادة بحلف ونحوه أو لفظ غضب بلعن أو عكسه أو ذكره
 قبل تمام الشهادة لم يصح ذلك ويصح أن يتلاعنا قائمين وان بغاظ اللعان بزمان وهو بعد عصر
 الجمعة فيؤخر اليه ان لم يكن طلب اكيد والاف بعد عصر أى يوم كان ويمكن عند أشرف بلد
 اللعان فبكرة بين الحجر الاسود والمقام وهو المسمى بالحطيم والمدينة على المنبر وبیت المقدس عند
 الصخرة وغيرها على منبر الجامع وتلاعن حائض بيباب المسجد وذمى في بيعة للنصارى وكنيسة
 لليهود وبیت نارجوس لانهم يعظمونها البيت أو نام وثى لانه لاحرمه وقرأ أحفص والخامسة
 الاخيرة بالنصب والباقيون بالرفع وقرأ نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الصاد ورفع الهاء
 من الاسم الجليل والباقيون بتشديد النون منصوبة ونصب الصاد وخفض الهاء * ولما حرم
 سبحانه وتعالى بهذه الجمل الاعراض والانساب فسان بذلك الدين والاموال علم أن التقدير فلولوا
 أنه سبحانه خير الغافرين وخير الراحمين لما فعل بهكم ذلك ولا فصح المذنبين وأظهر سرائر
 المستخفين ففسد النظام فغطف على هذا الذي علم تقديره قوله تعالى (ولولا فضل الله) أى بماله
 من الكرم والانصاف بصفات الكمال (عليكم ورحمة) أى بكم بالاسترف في ذلك (وان الله) أى الذى
 أحاط بكل شئ قدير وعلم (تواب) بقوله التوبة في ذلك وغير ذلك (حكيم) يحكم الامور فيحكمها
 من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب أربعة شهداء ستر الكرم * الحكم
 الخامس قصة الافك المذكورة في قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالا فك) أى أسوأ الكذب سى
 افك الكونه مصر وفاعن الحق من قولهم أفك الشئ اذا صرفه عن جهته وذلك أن عائشة
 رضى الله تعالى عنها وعن أبويها كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف
 والعفة والكرم فن رماها بسوء فقد قلب الامر عن أحسن وجوهه الى أقبح اقضائه (فان قيل)
 لم ترك تسميتها (أجيب) بأنه ترك تزييم الهاء عن هذا القول وابعاد الصون جانبها العلى عن هذا
 المراد وقوله تعالى (عصبة) خبر ان أى جماعة أقلهم عشرة وأكثرهم أربعون وكذا العصابة
 وقوله تعالى (منكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوا ان من يعد عندكم
 في عدد المسلمين يريد عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وجنة
 بن جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى (لا تحسبوه شر الكرم) مستأنف أى لا تشأعنه فتنة
 ولا يصدق أحد (بل هو خير لكم) لا كتسابكم به الثواب العظيم لانه كان بلا مينا ومحنة
 ظاهرة وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثمان عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتحويل
 الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم شأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعية له وتبعية لآل المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم وتطهير لاهل
البيت وهم وويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تجبه أذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم
القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تحصى على متأملها ولما كان لاشفاء الغيظ الانسان أعظم
من انتصار الملك الديان له علل ذلك بقوله تعالى (لكل امرئ منهم) أى الا فكين (ما اكتسب)
أى بخوضه فيه (من الاثم) الموجب لشقائه (والذى تولى كبره) أى معظمه (منهم) أى من
الخاصين وهو ابن أبى قحافة له وأداعه عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان
ومسطح فانهم اتابعوا بالتصريح به والذي يعنى الذين على هذا (العذاب العظيم) فى الآخرة
أوفى الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعشى أشبل اليدين
ومسطح مكفوف البصر * (تنبيه) * قصة الافك معروفة فى الصحيح والسنن وغيرهما شهيرة جدا
ولكن نذكر منها طرفا تبركاذكر النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر السيدة عائشة وأبويهما رضى الله
تعالى عنهم فنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أراد سفر أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
قالت عائشة فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة فإلينا فإذن ليلة بالرحيل فقامت حين إذا نوا
بالرحيل فثبت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى وإذا عقدلى
من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتفت عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين
يرحلون بي فاحتلوا هودجى فراحوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون أنى فيه
وكان النساء إذا ذلخن فإلم يهلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقه من الطعام فلم يستنكر
القوم خفة الهودج حين رفعوه وجاوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا بالجل وساروا
ووجدت عقدى بعد ما سار الجيش فبخت منازلهم وليس بهم منهم داع ولا حبيب فيمتم منزلى
الذى كنت فيه وطمنت انهم سيفقدونى فيرجعون الى قميننا أنا جالسة فى منزلى غلبتني عيني فتمت
وكان صفوان بن معطل السهمى ثم الذكوانى رضى الله تعالى عنه قد عرس من وراء الجيش فأدلى
فأصبح عند منزلى فرأى سوادا انسانا ثم فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت
باسترجاعه حتى عرفنى فغمرت وجهى بجليلى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير
استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يد هافقمت اليها فركبها فإنا لما يقودى الراحلة
حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى شجر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى
كبرا الافك منهم عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاستسكنت بها شهرا والناس يفيضون
فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يربىنى فى وجهى انى لأعرف من رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتهى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف
تبعكم ثم ينصرف فذلك الذى يربىنى فيه ولا أشعر بالشمر حتى نتهت فخرجت أنا وأم مسطح

قبل المناصع وكان متبرزا وكالا فتخرج الاله لا وذلك قل أن تتخذ الكنف قريبا من يوتنا
 وأمرنا أمر العرب الاولى في البرية وكنا تاذى بالكنف أن تتخذها عند يوتنا فأقبلت أنا وأم
 مسطح حين فرغنا من شأنا عشي فعمرت أم مسطح في مرطها فقاتل نعل مسطح فقتلها بها
 ما قالت أنس بين رجل شهد ابد رافقات يا هنتاه ولم تسمعي ما قال قالت وما قال فأخبرتني بقول
 أهل الافك فازدنت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أنأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما
 قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت أبوي فقلت لامي يا أمه ما ذا يتحدث الناس
 قالت يا بنية هوني عليك فوالله ما كانت امرأة قط وضئعة عند رجل يحبه لها حضرا ثم الأكرن
 عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدثت الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت
 لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
 أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى بسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما
 أسامة فأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله وبألذي يعلم لهم في نفسه من الود
 فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيّق الله
 عليك والنساء سواها كثير ورسول الجارية تصدق قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم برة
 فقال أي برة هل رأيت من شيء يرييك قالت والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها أمر اقط أغمصه
 أكثر من أنما جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها فأتى الداجن فقام كاهه قالت فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي
 والله ما علمت على أهلي الا خيرا وقد ذكر وارجلما علمت عليه الا خيرا ولم يدخل على أهلي الا معي
 فالت فقام سعد أخو بني عبد الاشهل فقال أنا يا رسول الله أعذر لك فان كان من الاوس ضربت
 عنقه وان كان من أخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرنا فقام سعد بن عبادة وهو سيد
 الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن جلته الخمية فقال لسعد كذبت لعمر الله
 لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحبيت أن تقتله فقام أسيد بن حضير ابن عم سعد
 فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لا تقتله **ك** أنك منافق تجادل عن المنافقين قالت فنار
 الحبان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر
 فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكبتوا وسكت قالت فبكيت يومى ذلك كاه
 لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكحل
 بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اني لاظن أن البكاء فائق كبدي فينبأ أبواي جالسان عندي وأنا أبكي
 فاستأذنت علي أمر آت من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينما نحن على ذلك اذ
 دخل عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قبل
 قبلها وقد لبث شهر الا يوحى اليه في شأنى بشيء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت
ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى لا أحس منه بقطرة فقلت لابي أجب
رسول الله فيما قال فقال انى والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لامى
أجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت أمى والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت
وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحديث حتى
استغفرتى أنفسكم وصدقم به فلئن قلت لكم انى بريئة لاتصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله
يعلم انى منه بريئة لاتصدقونى فوالله لا أجدلى ولا لكم مثلاً الا ما قال العبد الصالح أبو يوسف
ولم اذكر اسم حين قال فصر جيل والله المستعان على ما تصفون ثم تحوأت واضطجعت على
فراشى والله يعلم حينئذ انى بريئة والله مبرئى براءتى ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل فى
شأنى وحيا لى لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى فى بأمرى ولكن كنت أرجو
أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى
الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان
يأخذه عند الوحى من البرحاء حتى انه لينحدر منه العرق مثل الجمان فى اليوم الشاق من ثقل
الذى أنزل عليه فصبغى بثوب فوالله ما سرتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان
نفس أبوى ستخرجان فرأى أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس فلما سرتى عنه وهو يضحك
فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى يا عائشة قد برأ الله فكنى أشد ما كنت غضبا فقال لى
أبو اى قولى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجده ولا أجد كما ولا أجد الا الله الذى أنزل براءتى
لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا العشر آيات كلها فقال
أوبىكر والله لا أنفق على مسطح بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا تأتلى أولوا الفضل
منكم الى قوله غفور رحيم فقال أوبىكر الصديق رضى الله عنه بلى والله انى لأحب أن يغفر الله لى
فرجع النقة الى مسطح التى كان ينقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال لزينب ما علمت أو رأيت
فقات يارسول الله أحى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خبرا قالت عائشة وهى التى تسامىنى
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصها الله بالورع قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل
له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت كنف أى قط قالت ثم قتل بعد ذلك
فى سبيل الله تعالى قالت ولما نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا
القرآن وضرب عبد الله بن أبى ومسطحاً وحسان وحمنة الحد قال عروة وكانت عائشة تذكره
أن يسب عند حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاه

وقال الحافظ ابن عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وأنكر قوم أن يكون حسان خاض فى الأذى

زجلد نفسه وروى عن عائشة أنها برأتة من ذلك انتهى وقال غيره والله لا أظن به ذلك أصلاً
وان جاءت تسميته في الصحيح فقد يخطئ الثقة لأسباب لا تحصى كما يعرف ذلك من مارس نقل
الأخبار وكيف يظن به ذلك ولا شغل له إلا المدح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه والذم
لأعدائه وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل معه وهو القائل يدح عائشة ويكذب
من نقل عنه ذلك

حصان رزان ماترن بريية * وتصيح غري من لحوم الغوافل
حليلة خيرا الناس دينا ومنصبا * بي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة تحي من أوى بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيها * وطهرها من كل شين وباطل
وان كان ما بلغت عن قلبه * فلا رفعت سوطي الى أنامل
فكيف وودى ما حنيت ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل
له رتبة عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سيرة المتطاوّل

وفي هذا القدر كفاية لاولى الالباب فان في هذه القصة عبرة لمن اعتبر فان أهل الافلاك استمروا في
هذا أكثر من شهر والله تعالى عالم بما يتولون وان قولهم يكاد يقطع الأكاذيب في أحب خلقه اليه
وهو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه ولا يمكنه سبحانه أراد الناس رفع الدرجات
ولا تخزين الهالكات ولا يأمن ببيان غريب هذه الالفاظ التي وقعت في هذه القصة من كلام
عائشة وغيرها قولها اذن أى أعلم بالرحيل وقولها فقدت عقداً من جرع أنظاره هو نوع من
الخروز وهو الخرج الباني المعروف وقولها لم يبلن أى لم يكثر لجهن من الدين فيثقل وقولها انما
يا كان العلقه من الطعام وهو بضم العين أى البلغة من الطعام وهى قدر ما يمسك الرمي
وقولها ليس بهامنه مداع ولا يجيب أى ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جواباً وقولها
فيمت أى قصدت وقولها قد عرس من وراء الجيش فأدلى التعريس نزول المسافر بالليل للراحة
والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله وقولها باسترجاعه هو قول القائل
انا لله وانا اليه راجعون قولها خرت أى غطيت وجهي بجلباني أى ازارى وقولها موغرين
في نحر الظهيرة الوعر شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة أى أولها وقولها والناس يعضون أى
يخوضون ويتحدثون وقولها وهو يريني يقال رأتى الشيء يريني أى تشككت فيه وقولها ولا
أرى من النبي اللطف أى الرفق بها واللطف في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام وقولها
حين نقهت أى أفقت من المرض والمناضع المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط وبول
وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كسامن صوف أو خر قولها فقالت تعس مستطع أى خسر
وقولها يا هنتاه أى يا بلهأ كأنهم نسبته الى البله وقله المعرفة وقولها لا يرقأ أى لا يقطع وقول
بريرة ان رأيت جمعى النقي أى ما رأيت منها أمر الأغصان عليه بالاصدا الملهمة أى أعيمه
والداجن الشاة التى تألف البيت وتقيم به وقوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني أى انأأ كافته

على سوء ضيقه ان عاقبت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك وقولها ولكن جملته الحجة أى جملة
الغضب والافقة والتعصب على الجهل للقرابة وقولها فتناور الحيان أى تباروا ونهضوا للقتال
والمخاصمة وقولها فلم يزل يخفهم أى يهون عليهم ويسكت وقوله صلى الله عليه وسلم ان كنت
ألمت قيل هو من اللئيم وهو صغار الذنوب قيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل وقولها قلص
دمعى أى انقطع جريانه قوله ما رام أى ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والجسامة الدرة وجمعه
جمان وقولها فسررى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمعى وبصرى أى أمنعهم ما عنى أن
أخبر بما لم أسمع ولم أبصر وقولها وهى التى كانت تسامىنى من السموة وهو العلو والغلبة فعصمها
الله تعالى أى منعها الله من الوقوع فى الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف أى
ستر أى وقول حسان فى عائشة حسان بفتح الحاء اجرة حصان أى متعففة رزان أى ثابتة
ما تزن أى ترمى ولا تهتم بريبة أى أمر يريب الناس وتصبح غرنى أى حائقة الموت والغرث الجوع
من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى انه الاتعاب أحد اعمى هو غافل وقرأ التحسبوه وتحسبونه
ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباءون بكسر ها ولما أخبر سبحانه وتعالى بعقاب أهل
الافك وكان فى المؤمنين من سمعه وسكت وفيهم من سمعه فحدث به متحجباً من قائله أو متشبهاً
فى أمره وفيهم من أكذبه اتبعه سبحانه وتعالى بعنايتهم فى أساليب خطاياهم مثلياً على من كذبه
فقال سبحانه وتعالى مسلماناً محمداً (لولا أى هلا ولم لا) أى حين (سمعتهم) أىها
المدعون للإيمان (ظن المؤمنون) أى منكم (والمؤمنات) وكان الاصل ظننتم أى أيها العصبة
ولكنه التفت الى الغيبة تنبيهاً على التوبيخ وصرح بالنساء وتنبه على الوصف المقضى لحسن
الظن تخويفاً للذى ظن سوء من سوء الخاتعة (بأنفسهم) حقيقة (خيراً) وهم دون من
كذب عليهم اقطعوا ابراءهم الا ان الانسان لا يظن فى الناس الا ما هو متصف به أو باخوانهم لان
المؤمنين كالجسد الواحد وذلك نحو ما يروى ان أبابؤب الانصارى قال لأم أيوب الأترين
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان كنت تقطن بجمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا
قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان
خير منك (وقالوا هذا افك مبين) أى كذب بين (فان قيل) هلا قيل لولا ان سمعتموه وظننتم
بأنفسكم خيراً وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر (أجيب) بأن ذلك
مبالغه فى التوبيخ على طريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دالاً على أن الاشتراك فيه
يقضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عاتب ولا طاعن وفيه تنبيه على
أن حق المؤمن اذا سمع قاله فى أخيه أن يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بل
فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا اللفظ المصرح ببراءة ساحته لا يقول كما
يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذى قل القائل به والحافظ له
وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يسمع ما يسمعه باخوانه ثم عال سبحانه وتعالى كذب الآفكين
أن قال موجباناً اختلقه وأذاعه ملفتاً ما ريد به الى ظن الخير (لولا) أى هلا ولم لا (جاؤا عليه)

بأربعة شهداء) كما تقدم أن القذف لا يباح إلا بها (فأذ) أي حين (لم يأتوا بالشهادة) أي
 الموصوفين (فأولئك) أي البعداء من الصواب (عند الله هم الكاذبون) قد جعل الله التفضل
 بين الرعي الصادق والرعي الكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة واستقامت أواالذين رموا عائشة
 لم تكن لهم ينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين
 وهذا توخي وتضعيف للذين سموه الأفلك فلم يجتدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج عليهم بما هو
 ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب ترك كذب القاذف بغير ينة في التسهيل به إذا قذف
 امرأه محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأثم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حبيب رب العالمين * ولما بين الله سبحانه وتعالى الدليل
 على كذب الخائضين في هذا الكلام وأنهم استحقوا الملام قال عاطفا على لولا الماضية التي
 للتخصيص (ولولا) التي هي لامتناع الشيء لوجود غيره (فضل الله) أي المحظ بصفات الكمال
 (عليكم ورحمته) أي معاملته لكم بعز يد الانعام والاکرام اللازم للرحمة (في الدنيا) بقبول
 التوبة والمعاملة بالحلم (والآخرة) بالعفو عن يرد أن يعفو عنه منكم (مسكم) أي عاجلكم
 (في ما أفضتم) أي أيها العصبية أي خضتم (فيه) من حديث الأفلك (عذاب عظيم) أي يحقر معه
 اللوم والجلد * (فائدة) في مقطوعة في الرسم من ما كما ترى ثم بين تعالى وقت حلول العذاب
 وزمان تجيب له بقوله تعالى (أذ) أي مسكم حين (تلقونه) أي تحتجدهون في تلقى أي قبول هذا
 الكلام القاحش والقائه (بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم كان يلقي
 الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم إلى بعض وحذفت من الفعل إحدى
 التاءين (وتقولون بأفواهكم) أي كلاما مختصا بالأفواه وهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن
 ارتسامه في القلب بنوع دليل وأكده هذا المعنى بقوله تعالى (ماليس لسمكم به علم) أي بوجه من
 الوجوه وتنكيره للتحقير (فإن قيل) القول لا يكون إلا بالقلب فامعنى قوله تعالى بأفواهكم
 (أجيب) بأن معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الأفلك ليس
 الاقولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى
 يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم (وتحسبونه) بدليل سكوتكم عن إنكاره (هينا) أي لا اثم
 فيه (وهو) أي والحال أنه (عند الله) أي الذي لا يبلغ أحد مقدار عظمته (عظيم) في الوزر
 واستحجار العذاب فهذه ثلاثة آثام مرتبة على ما هم العذاب العظيم تلقى الأفلك بألسنتهم
 والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله تعالى عظيم (ولولا) أي وهلا ولم لا (أذ)
 أي حين (سمعتهموه قلتم) من غير توقف ولا تلغم (ما يكون) أي ما ينبغي وما يصح (لنا أن نسلكم
 بهذا) أي القول المخصوص ويجوز أن تكون الإشارة إلى نوعه فإن قذف أحاد الناس محرم
 فكيف بن اختارها العليم الحكيم لصحبة أكمل الخلق (فإن قيل) كيف جاز الفصل بين لولا
 وقلتم (أجيب) بأن الظروف تنزل من الشيء منزلة نفسه لوقوعه فيها وأنها لا تنفك كالحا عنه
 فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (فإن قيل) أي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا

(أجيب) بأن الفائدة نفسه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يذنبوا. أقول ما سمعوا بالافك عن التكليم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قيل) ما معنى يكون والكلام بدونه ملتئم لو قيل ما لئان تسكلم به هذا (أجيب) بأن معناه ينبغي ويصح أى ما ينبغي لئان تسكلم به هذا وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق وقوله تعالى (سبحانك) تعجب من أن يخطر ذلك بالبال فى حال من الاحوال (فان قيل) ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح (أجيب) بأن الاصل فى ذلك أن يسبح الله تعالى عند رؤيته التعجب من صنائعه ثم كثرت حتى استعمل فى كل متعجب منه وقيل تنزيه فهو منزّه عن أن يرضى بظلم هؤلاء القذفة وعن أن لا يعاقبهم وعن أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة قال البيضاوى فان خورها ينقر عنه ويحل بقصود الزواج بخلاف كفرها فانه لا ينقر أى ولهذا كانت امرأة نوح ولو طاف كافر تين وهذا يقتضى حل نكاح الكاينة مع أنها لا تنحل له صلى الله عليه وسلم لانها انكره بحبته ولانه أشرف من أن يضح ماءه فى رحم كافرة بسكاح ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يجوز أن تكون الكافرة أم المؤمنين ولخبر سألت ربي أن لا أزوج الا من كانت معى فى الجنة فأعطاني رواه الحاكم وفتح اسماؤه اما التسرى بالكافرة فلا يحرم لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بريحانة وكانت يهودية من بنى قريظة ولا يشكل تعليلهم السابق من أنه أشرف أن يضع ماءه فى رحم كافرة لان القصد بالنكاح اصاله التوالد فاحتط له وبأنه يلزم منه أن تكون الزوجة المشركة أم المؤمنين بخلاف الملك فيها (هذا بيان) أى كذب يهت من يواجه به ويحيره لشدة ما يفعل فى القوي الباطنة لانه فى غاية الغفلة عنه لكونه أبعد الناس منه ثم هو بقله (عظيم) له عظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار مرتبة علقاتها * ولما كان هذا كله وعظا لهم واستصلا حارجه بقوله (يعظكم الله) أى يرقق قلوبكم الذى له الدكال كله فيهمل بحمله ولا يهمل بحكمته (أن) أى كراهة أن (تعودوا المذلة أبدا) أى مادمت أحياء مكلفين ثم عظم هذا الوعظ بقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) أى متصفين بالايان واسخفين فيه فانكم لا تعودون فان الايمان يمنع عنه وهذا تهيج وتقريع لأنه يخرج عن الايمان كما تقول المعتزلة (فان قيل) هل يجوز أن يسمى الله واعظا كقوله تعالى يعظكم الله (أجيب) بأنه لا يجوز كما قاله الرازى قال كالا يجوز أن يسمى الله معلما كقوله تعالى الرحمن علم القرآن لان أسماء الله تعالى توقيفية (وبين الله) أى عماله من صفات الكمال والاکرام (لكم الآيات) أى الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا (والله) أى المحيط بجميع الكمال (عليم) أى بما يأمر به وينهى عنه (حكيم) لا يضح شيئا الا فى أحكم مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك فلا تتوقفوا فى أمر من أوامره * ولما كان من أعظم الوعظ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب بينه بقوله تعالى (ان الذين يحبون) أى يريدون وعبر بالحب اشارة الى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته الا محبة ولا يحبها الا بعيد عن الاستقامة (أن تسمع) أى تتشرب بالقول أو الفعل (الفاحشة) الفعل الكبيرة القبح (فى الذين آمنوا) أى بنسبتها اليهم وهم العصابة وقيل المنافقون (لهم بذاب أليم فى الدنيا)

أى بالحد للذنب (والآخرة) أى بالنار لحق الله تعالى أن لم يبق (والله) أى المستجمع لصفات
 الجلال والجمال (يعلم) أى له العلم التام فهو يعلم مقادير الأشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة
 في اظهاره أو ستره أو غير ذلك من جميع الامور (وأنتم لاتعاونون) أى ليس لكم علم من أنفسكم
 فاعلموا بما علمكم فلا تتماوزوه ولا تضلوا وقيل معناه يعلم ما في قلب من يجب أن تسمع الفاحشة
 فيجازه عليها وأنتم لاتعلمون ذلك وقيل والله يعلم انتفاء الفاحشة عنهم وأنتم أيها العصبية
 لاتعاونون وجودها فيهم وقوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أى بكم تكرير للمنة
 بترك المعالجة بالعقاب للدلالة على عظم الجزية ولذا عطف عليه (وأن الله) أى الذى له القدرة
 التامة فسبقت رحمته غضبه (رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته وجواب لولا محذوف
 كأنه قال اعذبكم واستأصلكم لئلا يسهو عنكم رؤف رحيم قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح
 وجنة قال الرازى ويجوز أن يكون الخطاب عاما وقيل الجواب في قوله تعالى ما ذكرى منكم من
 أحد وقرأ رؤف نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الله بن عباس والباقر بن بصيرها (يا أيها الذين
 آمنوا لاتتبعوا خطوات) أى طرق (الشيطان) بتزيينه أى لاتسلكوا مسالكه في اشاعة
 الفاحشة ولا في غيرها (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أى المتبع (يأمر بالفحشاء)
 أى بالقبايح من الافعال (والمنكر) أى ما أنكره الشرع وهو كل ما يكرهه الله تعالى وقرأ
 قبيل وابن عامر وحفص والكسائي بضم الطاء والباقر بن السكون (ولو لا فضل الله) أى
 الذى لا اله غيره (عليكم ورحمته) أى بكم بتوفيق التوبة المباحية للذنوب وتشريع الحدود
 المكفرة لها (ما ذكرى) أى ما ظهر من ذنبها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر والاية عند
 بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله أنه لو لا فضل الله ورحمته ما صلح منكم من أحد
 وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما ظهر من هذا الذنب ولا صلح أمره
 بعد الذى فعل بالتوبة منه (ولكن الله) أى العليم بأحوال خلقه (يركئ) أى يظهر (من
 يشاء) من الذنوب بقبول التوبة منها (والله سميع) أى لا قول له (عليم) أى بما في قلوبهم
 (ولا ياتل) أى يحلف اقترع من الالية وهو القسم (أولو الفضل) أى أصحاب الغنى (منكم)
 (والسعة أن) أى أن لا (يؤنوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعقروا
 وليصفحوا) عنهم في ذلك (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى على عقوبكم وصفحكم واحسانكم
 الى من أساء اليكم قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بكر رضى الله عنه حيث حلف أن
 لا يتفق على مسطح وهو ابن خالة أبي بكر رضى الله تعالى عنه وكان يتيماني حظه وكان يتفق عليه
 فلما فرط منه ما فرط قال لهم أبو بكر قوموا الستم مني ولست منكم وكفى بذلك داعيا في المنع
 فان الانسان اذا أحسن الى قريبه وكافأه بالاساءة كان أشد عليه عما اذا صدرت الاساءة من
 أجنبي قال الشاعر

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرء من وضع الحسام المهند

فقال له مسطح نبتك الله والاسلام والقراية لا تحوجنا الى أحد فما كان لنا أول الامر من

ذنب فقال ألم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجباً من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا
أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً لخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون
من الأرض وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الإفك فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل إلى قوله ألا تحبون أن يغفر
الله لكم (والله غفور رحيم) أي مع كمال قدرته فتحلقوا باخلاقه قال بلى يا رب اني أحب أن
تغفر لي فذهب أبو بكر إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على
الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ سخط الله عليكم أما اذ عفا عنكم فرحبا بكم وجعل
له مثلي ما كان له وقال والله لا أنزعها أبداً وذلك من أعظم أنواع المجاهدات ولا شك أن هذا
أعظم من مقاتلة الكفار لان هذا مجاهدة مع النفس وذلك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة
النفس أشد من مجاهدة الكفار ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رجعتنا من الجهاد
الاصغر إلى الجهاد الاكبر (ان الذين يرمون المحصنات) أي العفائف (الغافلات) أي عن
القواحش وهن السليحات الصدور والنقيات القلوب بأن لا يقع في قلوبهن فعلها الا لا يس
فيهن دهاء ولا مكر لانهم لم يجربوا الامور ولم يزنوا الاحوال فلا يقطن لما تنقطع له المجربات
العرفات قال في ذلك القائل متغزلاً

واقدهوت بطفلة تميلة * بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وقيل البله هم الراضون
بنعيم الجنة والظن أنهم يرضوا الا بالنظر إلى وجهه الكريم (المؤمنات) بالله ورسوله (الغواشي)
الدنيا والآخرة) أي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم
قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي ابن سؤل المنافق وروى أنه قيل لسعيد بن جبيرة من
قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة رضي الله تعالى عنها خاصة قال
الرحم شري ولو قلبت القرآن كله وفشت عما أوعده العصاة لم تر أن الله عز وجل قد غلظ في شئ
تغلظته في افك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد
الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستقطاع ما أقدم عليه
ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مقسنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم تنزل الا هذه
الثلاث آيات لسكنى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدهم بالعذاب العظيم
في الآخرة وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم
ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي من قول وفعل وهو يوم القيامة بما أفكوا
وبهم توافقته تعالى يوفيهم جزاءهم الحق كما قال تعالى (يوم توفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم
الواجب الذين هم أهلهم (ويعلمون) عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاء الذي
كانوا يشكون فيه فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكثر وجاء بما لم يقع في وعيد
المشركين وعبداء الاوثان الا ما هو دونه في القناعة وما ذاك الا لامر عظيم وعن ابن عباس

أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من
أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الامن خاض في أمر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر
الافك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد فقال
تعالى وشهد شاهد من أهلها الآية وبرأ موسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه
بالجر الذي ذهب ثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها عليه الصلاة والسلام حين نادى من تحتها اني
عبد الله الآية وبرأ عائشة رضي الله تعالى عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتسلسل
على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانتظر كيف بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك الا
لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبه على آفة محمل سيد ولد آدم وخيرة
الاولين والاخرين ووجه الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه
واحراره لقصب السبق دون كل سابق فليستق ذلك من آيات الافك وليستأمل كيف غضب الله
تعالى له في حرمة وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابيه وقال قوم ليس لمن قذف عائشة وبقيّة
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة لأن الله تعالى لم يذكركم في قذفهن توبة وما ذكركم من أول
السورة فذلك في قذف غيرهن (فان قيل) ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات
(أجيب) بأن الماكان كانت أم المؤمنين جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات
بالاحسان والغفلة والايمان ولذا قيل ان هذا حكم كل قاذف ما لم يتب (فان قيل) ما معنى قوله
تعالى هو الحق المبين (أجيب) بأن معناه ذوالحق المبين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم
في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته كان له أن يجازي المحسن على احسانه
والمسي على اسائه فحق مثله أن يتق ويحتمل محارمه وقرأ يشهد حجة والكسائي بالياء التحتية
والباقون بالقوية ويوم ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم وقرأ أبو عمر ويوفهم الله بكسر الهاء
والميم وحزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم هذا كله في الوصل
وأما الوقف فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم (الخبيثات) أي من النساء والكلمات (الخبيثين)
من الناس (والخبيثون) أي من الناس (الخبيثات) أي عماذكر (والطيبات) أي عماذكر
(للطيبين) أي من الناس (والطيبون) أي منهم (للطيبات) أي عماذكر فاللائق بالخبيث مثله
وبالطيب مثله (أولئك) أي الطيبون والطيبات من النساء ومنهم صفوان وعائشة (مبرزون)
عما يقولون أي الخبيثون والخبيثات من النساء وقيل عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع
كقوله تعالى فان كان له اخوة أي اخوان (لهم) أي الطيبين والطيبات من النساء على الاول
ولصفوان وعائشة على الثاني (مغفرة) أي عفوة عن الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة وروى أن
عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقف بأشياء أعطيتها لم تعطيها امرأة غيرها منها أن جبريل
عليه السلام أتى بصورتها في سرقه من حرير وقال لنبي صلى الله عليه وسلم هذه زوجتك وروى
أنه أتى بصورتها في راحته ومنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها ومنها أنه قبض
صلى الله عليه وسلم ورأسه الشريف في حجرها ومنها أنه دفن في بيتها ومنها أنه كان ينزل

عليه الوحي وهو معها في لحاف ومنه ان برأتها نزلت من السماء ومنها أن البسة خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت بغفرة ورزق كريم وكان
مسروق رجسه الله تعالى اذا روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قال حدثتني الصديقة
بفت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء * الحكم السادس
ما ذكره بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أى التى تسكنونها
فان المؤجر والمعير لا يدخلان الاباذن وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة
والباقون بكسر ها وفى قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر
الذى هو خلاف الاستبحاش لأن الذى يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالستوخش
من خفاء الحال عليه فاذا أذن له فقد استأنس والمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكفاية والارداف لأن هذا النوع من الاستئناس
يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثانى أن يكون من الاستئناس بمعنى الاستعلام
والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره فظاهره مكشوفاً والمعنى تستعلموا
وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست
فلم أر أحدا أى تعرفت واستعلمت وقال الخليل بن أحمد الاستئناس الاستبصار من قولهم
أنست نارا أى أبصرت وقيل هو أن يتكلم بالنسيحة والتكبيرية والتحميدة ويتخبر يؤذن
أهل البيت وعن أبي أيوب الأنصاري قال يا رسول الله ما الاستئناس قال أن يتكلم الرجل
(وتسألوا على أهلها) كان يقول الواحد السلام عليكم أم أدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل
والاربع قال قتادة المرة الاولى للتسميع والثانية لتهيأ والثالثة ان شاء أذن وان شاء رد
وهذا من محاسن الآداب فان أول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال من الاذن وفى الثانية
ربما كان هناك مانع بقتضى المنع فان لم يجب فى الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع ولهذا
كان الاولى فى الاستئذان ثلاثا أن لا تكون متصلة بل يكون بين كل واحدة والاخرى
وقت ما ولا بد من اذن صريح اذا كان الداخل أجنبياً وقرىبا غير محرم سواء كان الباب
مغلقا أم لا وان كان محرما فان كان ساكنا مع صاحبه فيه لم يلزمه الاستئذان ولكن عليه
أن يشعره بدخوله بتخفيف أو شدة وطء أو نحو ذلك ليستتر العريان فان لم يكن ساكنا فان كان
الباب مغلقا لم يدخل الاباذن وان كان مفتوحا فوجهان والوجه الاستئذان وعن أبي موسى
الاشعري انه أتى باب عمر فقال السلام عليكم أم أدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ألع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرة أى قال لها ووضعت قومي الى هذا
فعليه فانه لا يحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أم أدخل فسمع الرجل فقال أدخل
وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته خيفة صباها وحبيته مساء ثم
يدخل فرجأ أصاب صاحب البيت مع امرأته فى لحاف واحد فصدا الله عز وجل عن ذلك وعلم

ما هو الاحسن الاجل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد
 تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك قال الرخشي يئنا أنت في بيتك اذ عرف عليك
 الباب الواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو بمن سيع ما أنزل الله فيه
 وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية (ذلكم خير لكم) أي من
 تحية الجاهلية ومن أن تدخلوا من غير استئذان روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
 أأستأذن على أي قال نعم قال انه اليس لها خادم غيري أأستأذن عليها فكلمت فدخلت قال أتحب
 أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن وقوله تعالى (اعلمكم تذكرون) متعلق بمحمد وفي أي
 أنزل عليكم وقيل بين لكم هذا ارادة أن تذكروا وتعتظوا وتعلموا بما أمرتم به في باب الاستئذان
 وقرأ حفص وحزرة والكسائي بخفيف الذال والباقون بالشديد (فان لم تجدوا فيها) أي
 البيوت (أحدا) يأذن لكم في دخولها (فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم) أي حتى يأتي من يأذن
 لكم فان المانع من الدخول فيه ليس الاطلاع على العورات فقط وانما شرع لئلا يوقف على
 الاحوال التي تطويع الناس في العادة عن غيرهم ويتحققون من اطلاع أحد عليها ولا نه تصرف
 في ملك غيره فلا بد أن يكون برضا والا شبه الغضب والغلب (وان قيل لكم ارجعوا) أي
 بعد الاستئذان (فارجعوا) أي اذا كان في البيت أحد وقال لكم ارجعوا فارجعوا (هو)
 أي الرجوع (أزكى) أي أطهر وأصلح (لكم) من الوقوف على الابواب منتظرين لان هذا
 مما يجلب الكراهة ويقدر في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة مروءة تاضين للآداب
 الحسنة واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤذي اليها من قرع
 الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر
 الناس وعن أبي عبيد رجه الله تعالى ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة
 وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وعن قتادة
 رجه الله تعالى اذا لم يؤذن له لا يقعد وراء الباب فان للناس حاجات وان حضر ولم يستأذن وقعد
 على الباب منتظرا اجاز وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتي باب الانصارى لطلب الحديث
 فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لو أخبرني فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم فاذا وقف فلا ينظر من شق الباب
 اذا كان الباب مردودا لما روى عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 اطلع في بيت قوم فقد حل لهم أن يفتقوا عينه وفي رواية للنسائي قال لو أن امرأ أطلع عليك
 بغير إذن فخذ نفسه ففقت عينه ما كان عليك جناح ولو عرض امرأ في دار من حريق أو حدم
 أو هجوم سارق أو ظهور منسكرك يجب انكاره بآواز الدخول بغير إذن (والله) أي الذي لا يخفى
 عليه شيء (بما تاملون) من الدخول باذن وبغير إذن (علم) فيجازيكم عليه وما رأت آية
 الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس
 فيها انسان فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي اثم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي

بغير استئذان منهم وذلك كي يوت الخانات والربط المسبلة (فيها متاع) أي منقعة (لكم)
 والمنقعة فيها بالنزول وأنواع المتاع والانتقام من الحر والبرد ونحو ذلك وقال ابن زيد هي بيوت
 التجار وحوايتهم التي بالأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنقعة وقال إبراهيم النخعي ليس
 على حوايت الأسواق إذن وكان ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا جاء إلى حانوت السوق يقول
 السلام عليكم أدخل ثم يلج وقال عطاء بن السجدة البيوت الخربة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول
 والغائط وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم
 ما تدرون) أي تظهرون (وما تكفون) أي تخفون في دخول غير بيتكم من قصد صلاح أو غيره
 وفي ذلك وعبد من الله تعالى لمن دخل لفساد أو تطلع على عورات وسيأتي أنهم إذا دخلوا
 بيوتهم سلوا على أنفسهم والحكم السابع حكم النظر المذكور في قوله تعالى (قل للمؤمنين
 يغضوا من أبصارهم) أي عما لا يحل لهم نظره (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل لهم فعله
 بها * (تنبيه) * من التبعض والمراد غرض البصر عما لا يحل كما مر والاقتصاريه على ما يحل
 وجوزوا لا يخفى أن تكون مزبدة وأباه سيمويه (فان قيل) لم دخلت من في غرض البصر دون
 حفظ الفرج (أجيب) بأن في ذلك دلالة على أن المراد أن أمر النظر أوسع بدليل جواز النظر
 للمعاصم فيما عدا ما بين السرة والركبة وأما نظر الفروج فالأمر فيه ضيق وكفاله فقرأ أن أبيع
 النظر إلا ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفشاء
 إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا
 هذا فإنه أراد به الاستتار (فان قيل) لم قدم غرض البصر على حفظ الفرج (أجيب) بأن البلوى
 فيه أشد وروى عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله تعالى عنه قال سألت النبي صلى الله عليه
 وسلم عن نظر النجاة فقال اصرف بصرك وعن بريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعل ياعلى لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية أخرجه
 أبو داود والترمذي وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفيض الرجل إلى الرجل
 في ثوب واحد ولا تنفض المرأة إلى المرأة في ثوب واحد (ذلك) أي غرض البصر وحفظ الفرج
 (أزكى) أي خير (لهم) لمافي من البعد عن الريية سئل الشيخ الشبلي رحمه الله تعالى عن
 قوله تعالى يغضوا من أبصارهم فقال أبصار الرأس عن المحرمات وأبصار القلوب عن المحرمات
 * ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنه خير بأحوالهم وأفعالهم بقوله تعالى (آن الله) أي الملك الذي
 لا يخفى عليه شيء (خير بما يصنعون) بسائر أحوالهم وجوارحهم فعليه إذا عرفوا ذلك
 أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)
 عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله بها روى عن أم سلمة رضى
 الله تعالى عنها أنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث
 إذا قبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمر نأبأ الحجاب فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا

منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أنتم ألسما
تبصرانه وقوله تعالى (ولا يدين) أي يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم والزينة خفية وظاهرة
فانخبة مثل الخنخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد
في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة ما وضعها
من البدن وذكر الزينة للمبالغة في الأمر بالصون والستر لأن هذه الزينة واقعة على مواضع
من الجسد لا يحل النظر إليها (الأمّا ظهر منها) أي من الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم
في هذه الزينة التي استثنّاها الله تعالى فقال سعيد بن جبيرة جماعة هي الوجه والكفان وقال
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هي الثياب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الكحل
والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للأجنبي النظر إليها إن لم يخف
قصة في أحد وجهين وعليه الأكثر وانما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبدي منه من يدينها
لأنه ليس بعورة في الصلاة وسائر بدنهن عورة فيها ولأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجب بدنها
من أوله إلا شيئا يديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة
والشكاح وتضطّر إلى المشي في الطرقات وخاصة الفقيرات والوجه الثاني يحرم لأنه محل الفسنة
ورجحه الباب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي يسترن الرأس والاعناق والصدر
بالمقانع فإن جيوبهن كانت واسعة تبدومنهن فتجوزهن وصدرهن وما حولها وكن يسدان
الخرم من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدنه من قد أمهت حتى تعطينها ويجوز أن يراد
بالجيوب الصدر وتسمية لها باسم ما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب بالنون والصاد
أي سليم الصدر وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الحائط إذا
وضعتها عليه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما أنزل الله
وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاخترن بها والمروط كساء من صوف وخز
أو كان وقيل هو الأزاروقيل هو الدرع وقرا نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بضم الجيم والباقون
بكسرها وكرّر قوله تعالى (ولا يدين زينتهن) لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له أي الزينة
الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولألا جانب وهي ماعد الوجه والكفين (الابيعولتهن)
أي فانهن المقصودون بالزينة واهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج ولولا ذلك لكان
يكره وقال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار عنهن إلا لأزواجهن (أو آبائهن أو آباء

بعولتهن أو بناتهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنى أخوانهن أو بنى أخواتهن) فيجوز
لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الخفية ولا ينظروا إلى ما بين البصرة والكبة وانما سوح في الزينة
الخفية لأولئك المذكورين في الآية للحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة الفسنة
من جهةهم ولما في الطباع من النفرة عن محاسن القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار
للتزول والركوب وغير ذلك (أو نسائهن) أي المؤمنات فإن الكافرات لا يتخرجن عن وضعهن
للرجال فلا يجوز للمسلمة أن تتجرد من ثيابها عند النساء الكافرات لأنهن أجنبيات عن الدين

فكن كالرجال الاجانب لكن يجوز أن ترى الكافرة منها ما يد وعند المهنة وقد كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمامات مع المسلمات وقيل النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف * (تنبيه) * العورة على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وعورة الرجل مع المرأة أما الرجل مع الرجل فيجوز له أن ينظر الى جميع بدنه ما عدا ما بين السرة والركبة وكذلك المرأة مع المرأة وأما المرأة مع الرجل أو الرجل مع المرأة فلا ينظر أحدهما من الآخر شيئا وقيل يجوز للاجنبي أن ينظر الى وجهها وكفيها اذا أمن الفتنة ولم تكن شهوة وقيل يجوز لها أن تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة ويجوز أن أراد أن ينظر حرة أن ينظر وجهها وكفيها وهي تنظر منه اذا أرادت أن تتزوج به ما عدا ما بين السرة والركبة وان أراد أن يتزوج بأمة جاز أن ينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة ويحرم أن ينظر بشهوة ويحرم النظر بشهوة لكل منظور اليه الا لمن أراد أن يتزوج بهم والا حليته ويساح النظر من الاجنبي للمعاملة وشهادة حتى يجوز النظر الى الفرج للشهادة على الزنا والولادة والى الثدي للشهادة على الرضاع وتعليم ومداواة بتدرا الحاجة وكل ما حرم نظره مصلح من نظره منفصلا كشرعانة من رجل أو قلامة ظفر من أجنبية ويحرم اضطجاع رجلين أو امرأتين في ثوب واحد اذا كانا عاريين وان كان كل منهما في جانب من القرائش للخبر المتقدم ويجب التفريق بين ابن عشر سنين واخوته وأخواته في المصنوع اذا كانا عاريين وتسق مصافحة الرجلين والمرأتين خبر ما من مسلمين يلقيان ويتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا وتكره مصافحة من به عاهة كجذام أو برص والمعاينة والتقبيل في الرأس للتمسك عن ذلك الا للقدم من سفر أو سياعة عهد ويسن تقبيل الطفل ولولغير أبويه شفقة ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح ويسن تقبيل يده الحى للصالح أو علم أو زهدا ونحو ذلك ويكره لغنى أو وجهه أو نحو ذلك وقوله تعالى (أو ما ملكت أيمانن) يع الامام والعبيد فيحل نظر العبد العفيف غير المبعوض والمشترك والمكاتب الى سيده العفيفة لما روى ابوداود انه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد وهدبه لها وعلم انوب اذا قهت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فلما راها النبي صلى الله عليه وسلم وماتلق قال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وعملك وعن عائشة أنها قالت لعبد هاذك وان انك اذا وضعتني في القبر ونخرجت فأنت حرة وأما الفاسق والمبعوض والمشترك والمكاتب فكالاجنبي بل قيل ان المراد بالآية الاماء وعند اربعة كالاجنبي وبه قال ابن المسيب آخره وقال لا تغزكم آية النور فان المراد بها الاماء (أو التابعين) أي الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم (غير أولى الاربعة) أي أصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) أي ليس لهم همة الى ذلك ولا حاجة اليهم في النساء لانهم به لا يعرفون شيئا من أمرهن وقيل هم شيوخ صلحاء اذا كانوا معهم غصوا بأبصارهم وقيل هم المدوخنون سواء كان حرا أم لا وهو ذاهب الذكر والاثنيان أما ذاهب الذكر

فقط أو الاثنين فقط فكالفعل وعن أبي حنيفة لا يحل امساك الحصيان واستخدمهم
ويبيعهم وشراؤهم قال الزمخشري فان قلت روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خصي قبله قلت لا يقبل فيما تم به البلوى الاحديث مكشوف وان صح فاعله قبله ليعتقه
أو لسبب من الاسباب انتهى وعندنا يجوز جميع ذلك اذ لا مانع منه وقيل المراد بأولى
الاربعة هو الخنثى وقرأ ابن عامر وشعبة بنصب الراعي على الاستثناء والحال والباقون بكسرهما
على الوصفية وقوله تعالى (أو الطفل) بمعنى الاطفال وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد
الجنس وبينه ما بعده وهو قوله تعالى (الذين لم يظهروا) أي لم يطلعوا (على عورات النساء)
الجماع فيجوز لهن أن يبين لهن ما عدا ما بين السرة والركبة قال امام الحرمين رحمه الله تعالى
اذ لم يبلغ الطفل حدا يحكى ما يراه فكالعدم أو بلغه من غير شهوة فكالمحرم أو بشهوة فكالبالغ
(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) وذلك ان المرأة كانت تضرب برجلها الارض
ليقع خنثا لها فيعلم أنهن اذا تخطت الخنثى وقيل كانت تضرب باحدى رجلها على الاخرى ليعلم أنها
ذات خنثى لئلا يفهم عن ذلك لان ذلك يورث ميلافى الرجال واذا وقع النهى عن اظهار صوت
الحلى فواضع الحلى أبلغ في النهى وأمر الله ونواهيته في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على
مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يتجاوز من تقصير يقع منه فلذلك قال تعالى (ويؤتى الى الله)
أي الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (جميعا أي المؤمنين) أي بما وقع لكم من
النظر المنوع منه ومن غيره * وشروط التوبة أن يقلع الشخص عن الذنب ويندم على ماضى
منه ويعزم على أن لا يعود اليه ويرد الحقوق لاهلها وقرأ ابن عامر في الوصل أي المؤمنين بضم
الهاء لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت
حركتها حركة ما قبلها والباقون بفتحها وأما الوقف فوق أبو عمرو والكسافي بالالف بعد الهاء
ووقف الباقون على الهاء ساكنة (عليكم تفحسون) أي تنجون من ذلك بقبول التوبة منه وفي
الآية تغليب الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية عليكم
تسعدون في الدنيا والآخرة (فان قيل) على هذا قد صحت التوبة بالاسلام لانه يجب ما قبلها
معنى هذه التوبة (أجيب) بأن بعض العلماء قال ان من أذنب ذنبا ثم تاب منه لم يكره أن
يجدد التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه على عدم العود الى أن يلقى الله تعالى والذي
عليه الاكثر أنه لا يلزمه تجديدها وعن أبي بردة أنه سمع الاغر يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى ربكم فاني أتوب الى ربي كل يوم مائة مرة وعن
ابن عمر قال انا كنا نعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك
أنت التواب الغفور مائة مرة وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب
قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة * ولما نهى
عما سببه فضى الى السفاح الخلل بالنسب المقصود للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية

الى بقاء النوع بعد الزرع منه مباغلة فيه عقبه بالحكم الثامن وهو الامر بالنكاح المذكور
في قوله تعالى (وانكحوا الايامي منكم) جمع ايم والايامى واليتامى اصلهم ما يايام ويتايم
فقلبا والاييم هي من ليس لها زوج بكرة أو ثيبا ومن ليس له امرأة فيشمل ذلك الذكر
والانثى قال الشاعر

فان تنكحى انكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم

أى أقرب الى الشباب منك وأتأيم بالرفع على قوله جواب ان تتأيمى وما ينهى ما جله معترضة
والمعنى أو افعلك فى حالتى التزويج والتأيم وان كنت أقرب الى الشباب منك وعنه صلى الله عليه
وسلم اللهم ان الله عزبك من العيمة والغيبة والايمة والقزم والبقرة والعيمة شهوة اللبن والغيبة العطش
والايمة شهوة النكاح مع الخلق من الزوجية والقزم البخل والقرم شهوة اللحم وهذا فى الاحرار
والحرار وأما غيرهم فهو قوله تعالى (والصالحين) أى المؤمنين (من عبادكم) وهومن جموع
عبد (وأما نكحكم) والخطاب للاولياء والسادة وهذا الامر أمر ندى فيستحب لمن تأقت نفسه
للكناح ووجد أهبتها أن يتزوج ومن لم يجد أهبتها استحب له أن يكسر شهوته بالصوم لما ورد
أنه صلى الله عليه وسلم قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر
وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أى قاطع لشهوته لأن الوجاء بكسر
الواو ونوع من الخصاص وهو أن ترض عروق الانثيين وتترك الخصيتان كماهما فحبه الصوم فى قطعه
شهوة النكاح بالوجاء الذى يقطع النسل والباءة بالتمتؤن النكاح وهى المهر وكسوة فصل
التكفين ونفقة يومه فان لم تكسر شهوته بالصوم فلا يكسرهاب الكافور ونحوه بل يتزوج ويكره
لغير التائق ان فقد الالهة أو وجدها وكان به علة كهرم فان وجدها ولا علة به وهو غير تائق
فالتخلى للعبادة أفضل من النكاح ان كان متعبدا فان لم يتعبد فالكناح أفضل من تركه لقوله
صلى الله عليه وسلم من أحب فطرقتى فليستن بسنتى وهى النكاح وعنه صلى الله عليه وسلم من
كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم عجب شيطانه
ياويله عصم ابن آدم منى ثلثي دينه والاحاديث فى ذلك كثيرة وربما كان واجب الترك اذا أدى
الى معصية أو مفسدة وعنه صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتى مائة وعشرون سنة فقد حلت لهم
العزوبة والعزلة والستره على رؤس الجبال وفى رواية يأتى على الناس زمان لا تنال المعيشة
فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ويندب النكاح للمرأة التائقة وفى معناها
المتحاجة الى النفقة والحائفة من اقحام الفجرة ويستحب أن تكون المنكوحه بكرة الا لعذر
لقوله صلى الله عليه وسلم هلا بكمرا اتلاعنها وتلاعبك ولودا لقوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا
الولود والودود فاني مكاثركم بالام يوم القيامة وفى رواية يا عياض لا تتزوج بجوز ولا عاقرا
فاني مكاثركم دينة لما روى عبيد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا
متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل المراد بالصالحين الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
وقوله تعالى (ان يكونوا) أى الاحرار (فقراء يغنهم الله) أى بالتزويج (من فضله) رذلما عساه

أن يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعهن فقر الخاطب والخطوبة من المناجحة فإن في فضل الله غنية
عن المال فإنه غادر رائج أو وعد من الله تعالى بالغنى لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى
في هذه الآية لكن ينبغي أن تكون شريطة الله تعالى غير منسبة في هذا الوعد وظائره وهي
مشيئة ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريعة منصوصة في قوله تعالى وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله إن شاء الله تعالى حكيم ومن لم ينس هذه الشريعة لم يتصب معترضا بعزب كان
غنيا فافقره النكاح وبها سبق تاب واتفق الله وكان له شيء فقني وأصبح مسكينا وورد التمسوا
الرزق بالنكاح وشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل الحاجة فقال عليك بالباطمة أى النكاح
وعن عمر رضي الله عنه عجبت لمن يتغنى بغنى النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فاقا
بغنىهم الله من فضله وحكى عنه أنه قال عجبت لمن لم يطالب الغنى بالبلاء وقال طلحة بن مطرف
ترزقوا فإنه أوسع لكم في رزقكم وأوسع في أخلاقكم ويزيد الله في ثروتكم قال الرمنشري
ولقد كان عندنا رجل وازح الحال ثم رأيت بعد سنين وقد اتعبت حاله وحسنت فسألت فقال
كنت في أول أمرى على ما علت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن
الفقر فلما ولدى الثاني ازدادت خيرا فلما تاملت ما أتت من الله على الخير صبا فأصبحت إلى ما ترى
اتسمى (والله) أى الذى له الملك كله (واسع) أى ذو سعة خلقه لا تنفد نعمه إذ لا تنهى قدرته
(عليهم) بهم ينسب الرزق لمن يشاء ويقدر ولما ذكر تعالى تزويج الحرائر والاماء ذكر حال من
يعجز عن ذلك بقوله (وليس تعفف الذين لا يجدون نكاحا) أى وليجهد في طلب العفة عن الزنا
والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التمكن وكسوة فصله وقبل لا يجدون
ما ينكحون (حتى يغنيهم الله) أى يوسع عليهم (من فضله) فينكحون ولما ذكر تعالى نكاح
الصالحين من العبيد والاماء حث على كتابتهم بالحكم التاسع وهو الأمر بالكتابة المذكور
في قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) أى يطلبون الكتابة (عما ملكت أيمانكم) أى من
العبيد والاماء (فكتابوهم إن علمتم فيهم خيرا) أى أمانة وقدرة على الكسب لإداء مال الكتابة
وسبب نزول هذه الآية ما روى أن غلاما لحو يطب بن عبد العزى يقال له الصبيح سأل مولا
أن يكتبه فأبى فأنزله الله هذه الآية فكانت له حويطب على مائة دينار وذهب له منها عشرين
فأذاها وقتل يوم حنين في الحرب وأركانها أربعة رقيق وصيغة وعوض وسيد وشرط في السيد
كونه مختارا أهل تبرع ولاء وكتابة المريض مرض الموت محسوبة من الثلث فإن خلف منلى
قيمة صحت الكتابة في كله أو مثل قيمته صحت في ثلثيه أو لم يخلف غيره صحت في ثلثه وشرط
في الرقيق اختيار وعدم صبا وجنون وأن لا يتعلق به حق أدبي لازم وشرط في الصيغة لفظ يشعر
بالكتابة كأن يقول السيد لم لوكة كاتبك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فاذا أديت ما فأتى حر
فيقول العبد قبلت ذلك فلا يصح عقد هذا إلا وجلا منكما بنجمن فأكتر كما جرى عليه الصحابة فمن
بعدهم فلا بد من بيان قدر العوض وصفته وعدد النجوم وقسط كل نجم فلا يجوز عند الشافعي

رضى الله تعالى عنه بهم واحدا ولا بحال لان العبد لا يملك شيئا ففقدوا بحال يمنع من حصول
 الغرض لانه لا يقدر على أداء البدل عاجلا وعند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه تجوز حالا
 ومؤجلا ومنهما وغير منجم لان الله تعالى لم يذكر التجنيم وقياسا على سائر العقود وهي سنة
 لا واجبة وان طلبها الرقيق لثلاثة عطل أثر الملك وتصحكم الممايلك على الملك بطلب رقيق
 أمين قوى على الكسب وبهم ما فسر الشافعي الظهير في الآية واعتبرت الامانة لئلا يضيع ما يحصله
 فلا يعتق والطلب والقدرة على الكسب ليوثق بحصول التجنيم روى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاذاء والناسك يريد العفاف والمجاهد في سبيل
 الله فان فقدت هذه الشروط أو بعضها فهي مباحة اذا يقوى رجاء العتق بها ولا تكرر بحال
 لانهم اعند قدماء كرهت تفضي الى العتق نعم ان كان الرقيق فاسقا بسيرة أو فحواها وعلم سيده
 أنه لو كاتبه مع العجز عن الكسب اكتسب بطريق الفسق لم يبعد تحريره اجتنابا لفسادها
 التمكن من الفساد ونصح على عوض قليل وكثير ويجب أن يحط عنه قبل عتقه شيئا ممتولا
 من التجنيم أو يدفعه اليه من جنسها أو من غيرها كما قال تعالى (وَأَوْفُوا) أمر للسادة (من
 مال الله الذي آتاكم) ما يستعينون به في أداء ما التزموا لكم أم السادة وفي معنى اليتام
 حط شيئا ممتولا مما التزموا به بل الحط أولى من الدفع لان المقصد بالحط الاعانة على العتق وهي
 محقة فيه موهومة في الدفع اذ قد يصرف المدفوع في جهة أخرى وكون ذلك في النجم الاخير
 أولى منه فيما قبله لانه أقرب الى العتق يروى ان عمر رضى الله تعالى عنه كاتب عبد الله يكنى
 بأمية وهو أول عبد كوثب في الاسلام فاتاه بأول شحم فدفعه اليه عمر وقال استغن به على
 كتابتك فقال لو أخرته الى آخر شحم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وكونه ربعا من التجنيم أولى
 فان لم تسبح به نفسه فكونه سبعا أولى روى حط الربع للناسي وغيره وحط السبع مالك عن ابن
 عمر رضى الله تعالى عنه وعند أبي حنيفة أمر للمسلمين على جهة الوجوب بإعتاقهم للمكاتبين
 واعطائهم سهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب ولما بين تعالى ما يصح
 من تزويج العبيد والاماء أتبع ذلك بالحكم العاشر وهو الاكراه على الزنا المذكور في قوله
 تعالى (ولا تكرر واقباتكم) أي اماءكم (على البغاء) أي الزنا كان لعبد الله بن أبي رأس
 المنافقين ست جوار معاذة ومسيكة وأمية وعمرة وأروى وقيلة يكرههن على البغاء
 وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وكذلك
 كانوا يفعلون في الجاهلية يواجزون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت مسيكة لمعاذة ان هذا
 الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يكن خيرا فقد استكثرنا منه وان يكن شرا فقد آن
 لنا أن ندعه فانزل الله هذه الآية وروى أنه جاء احدى الجاريتين يوم ابيرد وجاءت الاخرى
 بدينار فقال لهما ارجعا فانينا فقالا والله لا نقبل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فانينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وشكنا اليه فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل أحدكم قساي وقتاي ولا يقبل عبدي وأمي (ان أردت)

(تخصنا) أى تعفوا عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفعول للشرط لان الاكراه لا يتصور
 الا عند ارادة التخصن فأما اذا لم ترد المرأة التخصن فانها بغير الطبع طوعا وكلة ان واشارها
 على اذا ايدان بأن البناغيات كن يقعلن ذلك برغبة وطواعية منهم وأن ما وجد من معاذة
 ومسيكة من حيز الشاذ النادر ولان الكلام ورد على سبب وهو الذى ذكر فى سبب نزول
 الآية فخرج النهى على صورة صفة السبب وان لم تكن شرطافيه وقال الحسين بن الفضل
 فى الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنكحوا الاياحى منكم ان أردن تخصنا ولا تنكروها
 قسما بكم على البغاء (لتنكحوا عرض الحياة الدنيا) أى تطلبوا من أموال الدنيا بكمسبها
 وأولادها (ومن يكرههين فان الله من بعدا كراهتهن غفور) أى لهن (رحيم) بمن
 وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن أى لا للمكره الا اذا تاب (فان قيل) ان
 المكره غير آئمة فلا حاجة الى المغفرة (أجيب) بأن الزنا لا يساح بالاكراه فبى آئمة لكن لاحد
 عليهم الاكراه ولما ذكر تعالى فى هذه السورة هذه الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث أحدها
 قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبيّنات) أى الآيات التى بينت فى هذه السورة وأوضحت فيها
 الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائى بكسر الهمزة والتخفيف والباقون
 بفتحها لانهم اوضحوا تصديقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة من بين معنى تبيين أولانها
 بينت الاحكام والحدود بانها قوله تعالى (ومثلنا من الذين خلوا من قبلكم) أى من جنس
 أمثالهم أى وقصة مجيبة مثل قصصهم وحى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة
 يوسف ومريم عليهم السلام ثالثا قوله تعالى (وموعظة للمتقين) أى ما وعظ به فى قوله تعالى
 ولا تأخذكم بهم مارأفة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ وفى قوله تعالى
 لولا اذ سمعتموه قلتم الخ وفى قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين
 لانهم المستفعدون بها * واختلاف فى معنى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) فقال ابن
 عباس الله هادى أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبه دايته من حيرة
 الضلال ينجون وقال الضحاك من نور السموات والارض فقال نور السماء باللام لا بكسرة ونور
 الارض بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور فى السموات والارض وقال أبى بن كعب والحسن
 وأبو العباسه من زين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض
 بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار وقبل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان
 رجة أى منه الرجة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل
 اذا سار عبد الله من مر وليله * فقد سار منها نورها وجالها
 وسبب هذا الاختلاف ان النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة أو لا وبواسطتها سائر
 المبصرات كالكيفية الفاضة من النيران على الاجرام الكثيفة المحاذية لها وهو بهذا
 المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى الاعلى ضرب من التجوز كالمثلية المتقدمة أو على تقدير
 مضاف كقولك زيد كرم وجوده ثم تقول ينبعث الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات

والارض ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبسائه كقوله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور الى
السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشواضته حتى نضيء له
السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به واختلف
أيضاً في معنى قوله تعالى (مثل نوره) فقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن أي مثل
نور الله في قلب المؤمن وهو النور الذي يمتد به كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال
الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبير والفحالك هو محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل أراد بالنور الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلاً
أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كمشكاة) أي كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أي سراج ضخم ناقب (المصباح في زجاجة) أي قنديل
من زجاج شامى أزهر وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النهار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد
في الزجاج ثم وصف الزجاجة بقوله تعالى (الزجاجة كأنها) أي النور فيها (كوكب دري)
أي مضى مشبهها في الضوء باحدى الدراري من الكواكب الخمسة العظام وهي المشاهير
المشترى والزهرة والمريخ وزحل وعطارد (فان قيل) لم شبه بالكواكب ولم يشبه بالشمس
والقمر (أجيب) بأنهم سماي لهما الخسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها ذلك وقرأ
أبو عمرو والكسائي بكسر الدال من الدر بمعنى الدفع لدفعه الظلام والباقون بضمها منسوب
الى الدر أي اللؤلؤ في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أكثر وضواً من الدر لكن يفضل
الكواكب بصفائه كما يفضل الدر من الرمال الحب وهمز مع المد أبو عمرو وشعبة وجزرة والكسائي
والباقون بغير همز وكل من أهل الهمز على من تنبه في المد (توقد من شجرة مباركة زيتونة)
أي ابتداء توقده من شجرة الزيتون المتكاثرة نفعه بأن رويت قبيلة المصباح بزيت الشجرة
وهي شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو أصنى
الادهان وأضوأها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وتبشيد القاف على وزن
تفعل على الماضي أي المصباح وقرأ أبو بكر وجزرة والكسائي بضم التاء القوقية وتخفيف
القاف أي المصباح (لا شرقية ولا غربية) أي ليست بشرقية وحدها لاتصيحها الشمس اذا
غربت ولا غربية وحدها فلا تصيحها الشمس اذا طلعت بل هي مصاحبة للشمس طول النهار تصيحها
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون
زيتها أضوأ وهذا كما يقال فلان ليس أسود ولا أبيض أي ليس أسود خالصاً ولا أبيض خالصاً بل
اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الرمان ليس بجمل ولا حامض أي اجتمع فيه الحلاوة والحامضة
هذا أقول ابن عباس والا كثيرين وقال السدي وجماعة معناه أنها ليست في مقابلة لاتصيحها
الشمس ولا في مضخة لاتصيحها الظل فهي لاتنضرها شمس ولا ظل والمقابلة بقاف فنون فهمزة
وهي بفتح النون وضما المكان الذي لا تطاع عليه الشمس وقول البيضاوي تبعه اللزخشمري

وفي الحديث لا خير في شجرة مقناة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيها في مضى قال ابن حجر
العسقلاني لم أجده وقيل معناه انهم معتدلة ليست في شرق يصيبها الحر ولا في غرب يقصرها البرد
وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرق ولا غرب وقيل ليست هذه الشجرة من
أشجار الدنيا لانها كانت في الدنيا لما كانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره
(يكاد زيتها) أي من صفاته (يضئ ولولم تفسه نار) أي يكاد يتلا ولا يضي بنفسه من
غير نار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة * (تنبيه) * اختلاف أهل العلم في معنى هذا
التمثيل فقال بعضهم وقع التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار
أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة تتوقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة
يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم الله نبي كما يكاد ذلك الزيت يضي
ولولم تفسه نار وروى سالم عن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله تعالى فيه لاشرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصراني
توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال
محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل عليهما السلام والمصباح محمد صلى الله
عليه وسلم سماء الله تعالى مصباحا كما سماه سراجا فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة
وهي ابراهيم عليه السلام سماء مباركا لان أكثر الانبياء من صلبه لاشرقية ولا غربية يعني
ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصريا ولا سكنا كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب
والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضي ولولم تفسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم عليهما السلام
وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى أبو العالنية عن أبي بن كعب قال هذا مثل
المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله من الايمان والقرآن في قلبه توقد
من شجرة مباركة وهي الاخلاص لله وحده فثله كمثل شجرة التفاح الشجر فهو خضر ناعمة
لا تصيبها الشمس لا اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترم من أن يصيبه شيء من
الفتن فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق
يكاد زيتها يضي أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته اياه نور على نور قال
أبي أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومضيه
الى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهذا في قلب المؤمن كما يكاد الزيت
الصافي يضي قبل أن تفسه النار فاذا مسسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكاد قلب المؤمن
يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاء العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال
الكلبي قوله تعالى نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الايمان ونور القرآن
وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى

بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فيه وأسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد يزيها
 بضئى يعنى تكاد حجة القرآن تنضج وان لم يقرأ نور على نور يعنى القرآن نور من الله خلقه مع
 ما قام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور (يهدى الله
 لنوره) قال ابن عباس دين الاسلام وقيل القرآن (من يشاء) فان الاسباب بدون مشيئته
 لاغية وقيل يوفق الله لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب
 عن الجادة الموصلة اليه عينا وشملا ومن لم يدبر فهو كالاعمى سواء عليه جنح الليل الدامس
 وضخوة النهار الشامس (ويضرب) أى بين (الله الامثال للناس) تقريرا للافهام وتسهيلا
 لا كدار (والله بكل شئ عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعبد لمن
 تدبرها ولم يكثر بها وقوله تعالى (في بيوت) يتعلق بما قبله أى كشكاة فى بعض بيوت الله وهى
 المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى فى المسجد نور المشكاة التى من صفتها كيت وكيت أو بما بعده
 وهو يسبح أى يسبح رجال فى بيوت وفى قوله فيها تكرر قوله فى بيوت كقوله زيد فى الدار رجال
 فيها أو محمد وفى قوله تعالى فى تسع آيات أى سجدوا فى بيوت والبيوت هى المساجد قال
 سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله فى الارض وهى تضى لاهل السماء
 كما تضى النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت المساجد الثلاثة وقيل المراد أربعة
 مساجد لم يبينها الا النبى الكعبة بئها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فجعلها قبلة وبيت
 المقدس بئها داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء بئها محمد والنبي صلى
 الله عليه وسلم وأتى فيها مجمع الكثرة دون جمع القلة للتعظيم (أذن الله أن ترفع) قال مجاهد
 تبنى نظيره قوله تعالى واذرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن تعظم أى فلا يذكر فيها
 الفحش من القول وتظهر من الانحسار والاقدار وقوله تعالى (ويذكر فيها اسمه) عام فيها
 يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى أفعاله والمباحثنة فى أحكامه وقال ابن عباس يتلى فيها كتابه
 (يسبح) أى يصلى (لها فيها بالغدوة والصال) أى بالغداة والعشى قال أهل التفسير أراد به
 الصلوات المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدى بالامصال صلاة الظهر
 والعصر والعشاء من لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت وقيل أراد به الصبح والعصر قال صلى
 الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة أراد صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس
 التسبيح بالغدوة صلاة الضحى وروى من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج
 الهرم ومن مشى الى تسبيح الضحى لا ينصبه الاياه فأجره كأجر العمر وصلاة على ارض صلاة لا لغو
 بينهما كتاب فى عليين وقرأ ابن عامر وشعبة بفتح الباء الموحدة والباقون بكسر ها (رجال لاتلهيهم
 تجارة) أى معاملته راجحة وقيل المراد بالتجارة الشراء لقوله تعالى (ولا يبيع عن ذكر الله) اطلاقا
 لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة صالحة اذا اتجعه له يبيع صالح أو شر وعلى
 الاول ذكر مبالغة للتعظيم والتعميم بعد التخصيص وقيل التجارة لاهل الجلب تقول تجر فلان
 فى كذا أى جلب * (ففيه) * قوله تعالى رجال فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل

له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسجد وحذف من قوله تعالى
(واقام الصلاة) الهاء تحقيقاً أي واقامة الصلاة وأراد أداءه دافئ وقت الآن من آخر الصلاة عن
وقت لا يكون من مقبلي الصلاة وانما ذكر اقام الصلاة مع ان المراد من ذكر الله الصلوات الخمس
لانه تعالى أراد باقامة الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت
الصلاة فقام الناس وغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد قال ابن عمر فهم نزلت هذه الآية (وآتاء
الزكاة) قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يجسوها أي فيخرجون ما يجب اخراجه
من المال للمستحقين وقيل هي الاعمال الصالحة ومع ما هم عليه (يتخافون يوماً) أي يوم القيامة
(تتقلب) أي تضطرب (فيه القلوب) بين النجاة والهلاك (والابصار) بين ناحيتي المين والشمال
وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغمية
وقوله تعالى (ليجزئهم الله) متعلق بيسجد أو بآياتهم أو بآياتهم (أحسن ما عملوا) في الطاعات
فرضها ونقلها أي ثوابه الموعود لهم من الجنة وأحسن بمعنى حسن (ويزيدهم من فضله) ما لم
يستحقوه بأعمالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب)
تقرر الزيادة وتنبه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان وكمال جوده فكانه سبحانه
وتعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك يكونون في نهاية الخوف قاله سبحانه
وتعالى يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم
وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب) أي فخالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التي
يحسبونهم اصالحة نافعة عند الله تعالى يجدونها الاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في
الفلاة وقت الضحى الا كبرشيبه بالماء الجاري وهو ليس بماء ولكن الذي ينظر اليه من بعيد
يظنه ماء جارياً وقبل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري الذي يخيل للناظر
انه الماء السارب أي الجاري فاذا قرب منه انقش فلم ير شيئاً وأما الآل فأنما يكون أول النهار
كانه ماء بين السماء والارض وقال البغوي والآل ما ارتفع عن الارض وهو شعاع يجري
بين السماء والارض بالغدوات شبه بالمرأة ترفع فيها الشخص من رجليها الصغير كبير والقصير
طويلاً والرقراق يكون بالعتاء وهو ما ترقق من السراب أي جاء وذهب وقوله تعالى (بقية)
جمع قاع وهي أرض سهلة مطمئنة قد انقرجت عنها الجبال والآل كما قاله في القاموس وقيل
البقية بمعنى القاع وهو الارض المستوية المنبسطة وفيها يكون السراب وقال القراء جمع قاع
كجاروجيرة وقال الفارسي جمعه قبيعة وقيعان (يحسبه) أي يظنه (الظمان) أي العطشان
الشديد العطش من ضعف العقل (ماء) فيقصده ولا يزال سائراً (حتى اذا جاءه) أي ما قدر أنه ماء
وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجد شيئاً) مما حسبه ووجه التشبيه أن الذي جاء به الكافران
كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواباً مع أنه يعتقد ان له ثواباً عليه وان كان من أفعال الاثم
فهو يستحق عليه العقاب مع أنه يعتقد ان له ثواباً فكيف كان فهو يعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى
فاذا وافى غرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى عنه

فيسببه حاله حال الظلمات الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق به قلبه
فاذا جاء له لم يجد شيئا فكذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجد شيئا
ولا ينفعه وقال مجاهد السراب عمل الكافر واتباعه اياه موته ومقارعة الدنيا (فان قيل) قوله
تعالى حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله تعالى لم يجد شيئا مناقض له (أجيب) بأن معناه لم
يجد شيئا نافعاً كما يقال فلان ما عمل شيئا وان كان قد اجتهد أو أنه اذا جاء موضع السراب لم يجد
السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كانه ضباب وهباء فاذا قرب منه رقى وانتشر وصار
كالهواء (ووجد الله عنده) أي ووجد عقاب الله الذي توعد به الكفار ووجد زبانية الله
أو ووجه محاسب اياه أو قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله قيل نزلت في عتبة بن ربيعة
فانه قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر بالاسلام قال ابن الخازن والاصح
أن الآية عامة في حق جميع الكفار (والله سريع الحساب) لانه تعالى عالم بجميع المعلومات
فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد وفي هذا رد على المشبهة قبحهم الله تعالى لانه تعالى لو كان
متكافيا لكان يقولون لما صح ذلك وقوله تعالى (أو ظلمات) عطف على كسراب على حذف
مضاف واحد تقديره أو كذا ظلمات ودل على هذا المضاف قوله تعالى اذا أخرج يده لم يكد
يراه قال الكاظمي تعود الى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي وقال غيره على حذف مضافين
تقديره أو كما عمل ذي ظلمات فقد ردى ليصح غود الضمير اليه في قوله تعالى اذا أخرج يده وقد ر
أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب
الظلمة أو للتخيير فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب ولا تكون اخالية عن نور
الحق كالظلمات المتراكمة من ليج البحر والامواج والسحاب والتبويغ فان أعمالهم ان كانت
حسنة فكالسراب وان كانت فيجحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في
الدنيا وكالسراب في الآخرة وقوله تعالى (في بحر لحى) صفة لظلمات فيستلحق بمحذوف واللحى
منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالنساء وهي أيضا معظمه فاللحى هو
العميق الكثير الماء وقوله تعالى (بغشاء) أي يغطي هذا البحر ويعاوه (موج) كائن (من فوقه
موج) أي أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) أي الموج الثاني المركوم وقوله تعالى (سحاب)
أي غيم غطي النجوم وجب أنوارها صفة أخرى لبحر وقوله تعالى (ظلمات) أي من البحر
والموجين والسحاب خبر مبتدأ مضمرة تقديره هذه ظلمات أو تلك ظلمات ويجوز أن يكون ظلمات
مبتدأ والجملة من قوله تعالى (بعضها فوق بعض) خبره قاله الخوفي (فان قيل) لا منسوخ
للابتداء بهذه النكرة (أجيب) بأنهم اوصوفة تقدير أي ظلمات كثيرة متكاثفة وقرأ البرزى
سحاب بلا تنوين وجر ظلمات وقيل ينون سحاب ويجر ظلمات والبرزى جعل الموج المتراكم
بمنزلة السحاب وأما قيل فانه جعل ظلمات بدل من ظلمات الاولى والباقون بتنوين سحاب
وظلمات بالرفع فيهما (اذا أخرج) أي الكافر في هذا البحر بدلالة المعنى وان لم يجز له ذكر (يده)
وهي أقرب ما يرى اليه في هذه الظلمات (لم يكد) أي الكائن فيه (يراه) أي لم يقرب من

رؤيتها فضلا عن أن يراها كقول ذي الرمة
 اذا غيبر التأني (أي البعد وفي نسخة الهجر) المحيين لم يكده*
 ريس الهوى (أي ثابته بمعنى الهوى الثابت) من حب مية يبرح
 أي يزول المعنى لم يقرب من البراح فضلا عن أن يبرح* (تنبيه)* في كيفية هذا التشبيه وجوه
 أحدها قال الحسن أن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة
 الصحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاثة ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل ثانیها قال ابن
 عباس شبه قلبه وسمعته وبصره بهذه الظلمات الثلاث ثالثها أن الكافر لا يدرى ولا يدري أنه
 لا يدرى ويعتقد أنه يدري فهذه المراتب الثلاثة تشبه تلك الظلمات الثلاث رابعها قلب مظلم
 في صدر مظلم في جسد مظلم خامسها أن هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدته اصراؤه على
 كفره قد تراكت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده أظهر الدلائل لم يفهمه (ومن لم يجعل الله)
 أي الملك الأعظم (لنور أخاه من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له
 وقيل من لم يهتده الله فلا هادي له لأنه تعالى قادر على ما يريد* ولما وصف تعالى أنوار قلوب
 المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد بقوله تعالى (ألم تر) أي تعلم علما
 يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال (أن الله) أي الحائز لصفات الكمال
 (يسبح له) أي ينزهه عن كل شائبة نقص (من في السموات والأرض) لأن التسبيح لا يرى بالبصر
 بل يعلم بالقلب وهذا الاستفهام والمراد به التقرير والبيان وهذا التسبيح إما أن يكون المراد منه
 دلالة بخلق هذه الأشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بنبعوت الخلال أو يكون
 المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقي النطق باللسان قال الرازي والاول
 أقرب لأن القسم الثاني متعذر لأن في الأرض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون
 منهم من لا يسبح أيضا بهذا المعنى كالكفار وأما القسم الثالث وهو أن يقال إن من في السموات
 وهم الملائكة يسبحون باللسان وأما الذين في الأرض فمنهم من يسبح باللسان ومنهم من يسبح
 على لسان الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جائز
 عند أكثر العلماء فلم يبق إلا القسم الأول وهو أن هذه الأشياء مشتركة في أن أجسامها
 وصفاتها تدل على تنزيه الله تعالى وقدرته والهيبة وتوحيده وعدله فسمى ذلك تنزيها توسعا
 (فان قيل) فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فاوجه تخصيصه ههنا بالعقلاء (أجيب)
 بأن خلقه العقلاء أشد دلالة على وجود الصانع سبحانه وتعالى لأن المجانب والغرائب في
 خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والفهم* ولما كان أمر الطير دلالة أعجب ولأنها قد تكون
 بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من فيها خصها بالذكور من جملة الحيوان بقوله تعالى
 (والطير صافات) أي باسطات أجنحتها في جوار السماء لاشبهة في أنه لا يسكنها إلا الله تعالى
 وأما كد لها في الجو مع أنها أجرام ثقيلة وأقذار لها فيبقى على القبض والبسط حجة قاطعة على
 كمال قدرته تعالى واختلاف في عود الضمائر في قوله تعالى (كل) أي من المخلوقات (قد علم)

صلاته وتسميته) على قولين أحدهما أنها كلها عائنة على كل أى كل قد علم هو صلة نفسه
وتسميتها قال ابن عادل وهذا أولى لتوافق الضمائر ثانيهما أن الضمير في علم عائدة الى الله تعالى
وفي صلته وتسميته عائدة على كل ويدل عليه قوله تعالى (والله) أى المحيط علما وقدره (عليم بما
يفعلون) وقيل ان ضرب أجنحة الطير صلته وتسميته وهذا يؤيد أن المراد من التسييح دلالة هذه
الامور على التنزيه لا النطق باللسان روى أن أبا ثبات قال كنت جالسا عند أبي جعفر الباقر
فقال لي أتدري ما تقول هذه العصا في عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فانتهى بقدر سن
الله ربهن ويسألته قوت يومه ن قال بعض العلماء اننا شاهد من الطيور ووسائل الحوانات أعمالا
اطيفة يجز عنها كثير من العقلاء فاذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهيها معرفته ودعاه وتسميته
وبأن أنه تعالى ألهمها الاعمال اللطيفة بوجوده أحدها أن الدب يرمي بالحجارة ويأخذ العصا
ويرمى الانسان حتى يتوهم أنه مات فيتركه وربما عاد يشبهه ويتجسس نفسه ويصعد الشجرة
أخف صعود ويهشم الخورزين كفيه تقرى بالواحدة ومصدمة الاخرى ثم يفتح فاه فيذر
قشره ويتغذى به ويحكى عن الفأر في سرقة أمور عجبية ثانيها أمر النحل وماله من الرياسة
واليبوت المسدسة التي لا يتمكن من بنائها أفاضل المهندسين ثالثها انتقال الكركى من
طرف من اطراف العالم الى الطرف الاخر طالبا الميا والافقه من الاهوية ويقال من خواص
الخيل ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتما والتماسيح تنفخ أفواهها الطائر يقع
عليها يقال لها القطقاط وينظف ما بين أسنانها وعلى رأس ذلك الطائر كالشوكه فاذا هم التساخ
بالتقام ذلك الطائر تأذى من تلك الشوكه فيفتح فاه فيخرج ذلك الطائر والسلم فاة تتناول بعد
أكل الحية سعتها جليبا ثم تعود وقد عوفيت من ذلك وحكى عن بعض الثقات الجربين
للصيد أنه شاهد الجبارى تقال الافعى وتنهزم عنها الى بقة تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك
وكان ذلك الشخص فاعدا في كني وكانت البقة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الجبارى بالافعى
قلع البقة فعاد الجبارى الى منبته فلم يجد حافا أخذ يدور حول منبته ادورا نامت باعيا حتى خرميتا
فعلم الشخص أنه يعالج بأكلها من السمعة وذلك البقة هي الجربير البرى وابن عرس يستظهر
في مقاتلة الحية بأكل السذاب فان السمكة السذابة تنقر منها الافعى والكلاب اذا مرضت
بطونها أكلت سنبل القمح واذا جرحت داوت الجراحة بالسعتر الجبلى رابعها القنافة تحس
بالشمان والجنوب قبل الهبوب تغير المذخل الى جحرها وكان رجل بالقسطنطينية قد أثرى
بسبب أنه يذرب بالرياح قبل هبوبها وينفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ افي داره يفعل
الصنيع المذكور فيستدل به والخطاف صناع في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان
أعوزه الطين ابتل وتعرغ في التراب ليحمل جناحه قدرا من الطين واذا فرغ بالغ في تعهد الفراخ
وتأخذ زرقها بمنقارها وترميها من العش والغرائق تصعد في الجو عند الطيران فان حجب بعضها
عن بعض سحاب أو ضباب أحدثت عن أجنحتها حفيفا مسموعا يتبع به بعضها بعضا واذا باتت
على جبل فانهم انضع رأسها تحت أجنحتها الا القنافة انه ينام مكشوف الرأس فيسترع انتباهه

واذا سمع حرسا صاح ونال الخيل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا
 أمر عجيب واذا كشف عن بيوتها السائر الذي كان يسترها وكان تحتها بيض لها فان كل غلة
 تأخذ بيضة في فيها وتذهب في أمر ع وقت والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع
 الحيوان والمقصود من ذلك أن الفضلاء من العقلاء يعجزون عن أمثال تلك الحيل واذا كان
 كذلك فلم لا يجوز أن يقال انها تسبح الله تعالى وتثنى عليه وان كانت غير عارفة بسرائر الامور
 التي تعرفها الناس فيؤيد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله صلى الله عليه وسلم
 ان نوحا عليه السلام أوصى فيه عذموته بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع
 لو كن في حلقة مبهمة قصصهن وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال
 الغزالي في الاحياء روى أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت
 ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق فيها
 يرزقون قال فقلت وما هي يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر
 الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز
 وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه * ثم نبه سبحانه وتعالى بقوله
 (ولله ملك السموات والارض) على أن الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والله ممكن
 والمحدث لا يوجد الا بعد الانتهاء الى القديم الواجب الوجود ويدخل في هذا جميع الاجرام
 والاعراض وأفعال العباد وأحوالهم وخوابيرهم وفي قوله تعالى (والى الله) أى الذى له
 الاحاطة بكل شيء (المصير) دليل على المعاذ وأنه لا بد من مصير الكل اليه بعد الغناء والروية
 في قوله تعالى (المرت) نظرية (أن الله) أى ذا الجلال والجمال (يرجى سبحانه) أى يسوقه برفق
 بعد أن أنشأ من العدم تارة من السفلى وتارة من العلو ضعيفاً رقيقاً متفرقاً قال أبو
 حيان وهو اسم جنس واحد من سبحانه والمعنى يسوق سبحانه الى سبحانه وهو معنى قوله تعالى (ثم
 يؤلف بينهم) أى بين أجزائه بعد أن كان قطعاً في جهات مختلفة فيجعل القطع المنفردة قطعة
 واحدة (ثم يجعلهم ركاماً) في غاية العظمة متراكباً بعضه على بعض بعد أن كان في غاية الرقة (فترى)
 أى في تلك الحالة المستمرة (الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فوقه التى حدثت
 بالتراكم وارهاس بعضها في بعض (فان قيل) بين انما تدخل على مثنى فما فوقه فلم تدخل هنا
 على مفرد (أجيب) بأن المراد بالجنس فعاد الضمير على حكمه أو على حذف مضاف أى
 بين أجزائه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة سبحانه وقرأ السوسى فترى فى الوصل بالامالة بخلاف
 عنه والباقون بالفتح وأما فى الوقف فأبو عمر ووجزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالامالة
 بين بين والباقون بالفتح (وينزل من السماء) أى من الغمام وكل ما علا فهو سماء (من جبال فيها)
 أى فى السماء وهى البحاب الذى صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى (من برد) بيان للجبال
 والمفعول محذوف أى ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها من بردا فمن الاول لا تبدأ
 الغاية باتفاق والثانية لا تبعض والثالثة للبيان ويجوز أن تكون الثانية لا تبدأ الغاية أيضاً

ويجزورها بدل من الاولى باعادة العامل والتقدير ينزل من جبال أى من جبال فيها فهو بدل
 اشتغال والاخيرة للتبعض واقع موقع المفعول (فان قيل) ما معنى من جبال فيها من برد
 (أجيب) بأن فيه معنيين أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال
 حجر وليس في العقل قاطع يمنع الثاني أن يراد الكثيرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا
 من ذهب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون واخفائها عند الزاى وتخفيف الزاى
 والباقون بفتح النون وتشديد الزاى ثم بين تعالى أن ذلك باختياره وارادته بقوله تعالى (فيصيب
 به) أى بكل من البرد والمطر على وجه التقسية أو الرحمة (من يشاء) أى من الناس وغيرهم
 (ويصرفه عن من يشاء) صرفه عنه (فائدة) عن مقطوعة من من في الرسم ثم نبه تعالى على ما هو
 غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النور الذي ربما نزل منه صاعقة فأحرق ما لا تحرق النار
 بقوله تعالى (يكاد) أى يقرب (سنا) أى ضوء (برقه) وهو اضطراب النور في خلاله (يذهب)
 أى هو متبديا (بالابصار) أى الناظرة له أى يحفظها الستة لمعانته وتلاوته فتكون قوة البرق
 دالة على تكاثف السحاب وبشيرة بقوة المطر ونذير بانزول الصواعق واعلم أن البرق الذي
 صفة كذلك لا بد وأن يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فظهر به مقتضى ظهور
 الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدره قادر حكيم ثم ذكر تعالى ما هو أدل على الاختيار بقوله
 تعالى مترجما لما يشمل ماضى وزيادة (يقاب الله) أى الذى له الامر كله يتحوّل الظلام ضياء
 والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة أخرى مع المطر تارة والصحو أخرى (الليل والنهار) فينشأ
 عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والتسويج واليبس ما يبهّر العقول ولهذا قال منها على
 النتيجة (أن في ذلك) الامر العظيم الذى ذكر من جميع ما تقدم (أعبرة) أى دلالة على وجود
 الصانع القديم وكمال قدرته وحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزيهه عن الحاجة وما يقضى اليها
 (لاولى الابصار) أى لا صاحب البصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده ولما استدل تعالى أولا
 بأحوال السماء والارض وثانيا بالانوار العالوية استدل ثالثا بأحوال الحيوانات بقوله
 تعالى (والله) أى الذى له العلم الكامل والقدرة الشاملة (خلق كل دابة) أى حيوان (من ماء)
 وقرأ أجزءة والكسائي بأنف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وكسر لام كل والباقون بفتح
 اللام والخاء ولا ألف بينهما ونصب لام كل (فان قيل) كسبر من الحيوانات لم يخلق من الماء
 كالملائكة خلقوا من النور وهم أعظم الحيوانات عددا وكذا الجن وهم مخلوقون من النار
 وخلق آدم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الریح كما قال تعالى
 فنفخنا فيه من روحنا ونرى كثيرا من الحيوانات يتولد من نطفة (أجيب) بوجوه أحسنها
 ما قال القائل أن من ماء صله كل دابة وليس هو من صله خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من
 الماء فهى مخلوقة لله تعالى ثانيا أن أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روى أن أول
 ما خلق الله تعالى جوهره فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم قسم ذلك الماء فخلق منه النار
 والهواء والنور والتراب والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة فكان أصل الخلقة الماء

فلهذا ذكره الله تعالى ثلثها المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنها هناك فتخرج
 الملائكة والجن رابعها لما كان الغالب من هذه الحيوانات كونهم مخلوقة من الماء اما لانها
 متولدة من الرطبة واما لانهم لا تعيش الا بالماء أطلق عليها لفظ كل تنزيلا للغالب منزلة الكل
 (فان قيل) لم نذكر الماء في قوله تعالى من ماء وعرفه في قوله تعالى من الماء كل شيء حي (أجيب)
 بأنه جاء ههنا من تكرار اللفظ المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء مختصا بتلك الدابة وعرفه
 في قوله تعالى من الماء كل شيء حي لان المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا
 بيان أن ذلك الجنس ينقسم الى أنواع كثيرة (فهم) أي الدواب (من يشي على بطنه) كالجمجمة
 والحيتان والديدان واستعمل المشي للزحف على البطن كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا
 الامر ويقال فلان ما مشى له أمر أو هي بذلك للمشاة كذا كذا الرزاحف مع الماشي (ومنهم
 من يشي على رجلين) أي فقط كالآدمي والطير (ومنهم من يشي على أربع) أي من
 الأيدي والأرجل كالنعم والوحش (فان قيل) لم حصر القسمة في هذه الثلاثة أنواع
 من المشي وقد نجد من يشي على أكثر من أربع كالغناكب والعقارب والحيوان الذي له
 أربع وأربعون رجلا الذي يسمى دخال الاذن (أجيب) بأن هذا القسم الذي لم يذكر كالنادر
 فكان ملحقا بالعدم وقال النقاش انه اكتفى بذلك ما يشي على أربع عن ذكر ما يشي على أكثر
 من أربع لان جميع الحيوان انما اعتماده على أربع وهي قوائم مشيه وكثرة الأرجل لبعض
 الحيوان زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبأن قوله تعالى (يخلق
 الله ما يشاء) كالتمهيد على سائر الأقسام (فان قيل) لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا
 الترتيب (أجيب) بأنه قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل
 أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع * (تنبيه) * انما أطلق من على غير العاقل
 لاختلاطه بالعاقل في المفصل عن وهو كل دابة وكان التعبير عن أولى ليوافق اللفظ * ولما
 كانت هذه الأدلة ناظرة الى البعث أتم نظره وكانوا منكروين له أكد ذلك بقوله تعالى (ان الله)
 أي الذي له الكمال المطلق (على كل شيء) من ذلك وغيره (قدير) لانه القادر على الكل والعالم
 بالكل فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات فأى عقل يقف عليها وأى خاطر يصل الى ذرة
 من أسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كيف يشاء ولا يجمعه منه مانع * ولما انقضت بهذا
 ما لله تعالى من صفات الكمال والتزهد عن كل شائبة نقص وقامت أدلة الوحدة دانية على
 ساق واتسقت براهين الألوهية أي اتساق قال تعالى مترجما تلك الأدلة (لقد أنزلنا) أي
 في هذه السورة وما تقدمها بما جئنا من العظمة (آيات) أي مما لنا من الحكم والاحكام والأدلة
 والامثال (مبينات) للحقائق بأنواع الدلائل التي لا يخفها فيها (والله) أي الملك الاعظم (يهدي
 من يشاء) من عباده (الى صراط) طريق (مستقيم) هودين الاسلام الموصل الى دار الحق
 والقور بالجنة * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد أتبعه بذكر قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم
 ولكنهم لم يفعلوه بقلوبهم فقال تعالى (ويقولون) أي الذين ذمهم الله تعالى (أما بالله) أي

الذي أوضع لنا جلاله وعظمته وكأله (وبالرسول) أي الذي علمنا كمال رسالته وعمومها بما قام عليها من الأدلة (وأطعنا) أي وأوجدنا الطاعة لله ورسوله ثم عظم المخالفة بين الفعل والقول بأداة البعد فقال تعالى (ثم يتولى) أي يرتد بانكار القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلأ لا منهم من الحق (فريق منهم) أي ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (من بعد ذلك) أي القول السديد المؤكد مع الله الذي هو أكبر من كل شيء ومع رسوله الذي هو أشرف الخلائق (وما أولئك) أي البعداء البغضاء الذين صاروا بتوليهم في محل البعد (بالمؤمنين) أي المعهودين الموافقة قلوبهم أسنتهم (فإن قيل) أنه تعالى حكى عن كلهم أنهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم التولي فكيف يصح أن يقول في جميعهم وما أولئك بالمؤمنين مع أن التولي فريق (أجيب) بأن قوله تعالى وما أولئك بالمؤمنين راجع إلى الذين تولوا إلى الجلالة الأولى ولورجع إلى الجلالة الأولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم أي يرجع عن هذا الفريق إلى الباقي فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما أظهره بينهم * ولما فتنهم بما أخفوه من توليهم فخب عليهم ما أظهره فقال تعالى معبراً بأداة التحقيق (وإذا دعوا) أي الفريق الذين ادعوا الإيمان من أي داع كان (إلى الله) أي إلى ما نصب الملك الأعظم من أحكامه (ورسوله) وأورد الضمير في قوله تعالى (ليحكم) وقد تقدم اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه لأن حكم رسوله هو حكمه قال الرمنشيري كقولك أعجبتني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله

ومثل من الفلاني أوسطه * غلسته قبل القطا وقرطه

أي قبل قرط القطا (بينهم) أي بما أراه الله (إذا فريق منهم) أي ناس مجبولون على الأذى (معرضون) أي فاجؤا الأعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه (وأن يكن لهم) أي على سبيل الفرض (الحق) أي بلا شبهة (بأنوا إليه) أي الرسول (مذعنين) أي منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم لأنهم يعلمون أنه أرفع الحق لهم وعليهم فليس انقيادهم لطاعة الله ورسوله * (تنبيه) * قوله تعالى إليه يجوز تعليقه بآتوا الآن أي وجاء قديراً بآتوا إلى ويحوز أن يتعلق بمذعنين لأنه بمعنى مسرعين في الطاعة وصحبه الرمنشيري قال بتقديم صاته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى الأمر في عدولهم عن حكومتهم صلى الله عليه وسلم إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب بقوله تعالى (أفي قلوبهم مرض) أي نوع فساد من أصل الفطرة يحكمهم على الضلال وأمر تابين في بقوته بقوله تعالى (أم أرتابوا) أي بأن رأوا منك تهمة فزال ثقتهم وبقينهم بك أو خائفين الخيف في قضائه بقوله تعالى (أم يخافون أن يخيف) أي يجور (الله) أي الغنى عن كل شيء لأن له كل شيء (عليهم ورسوله) أي الذي لا ينطق عن الهوى * ثم أضرِبَ عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأول بقوله تعالى (بل أولئك) أي البعداء البغضاء (هم الظالمون) أي الكاملون في الظلم ووجه التقسيم أن امتناعهم عما خلل فيهم أوفى الحاكم والناسي أما أن يكون محققاً

عندهم أو متوقعا وكل منهم باطل لأن منصب نبوته وفراط أمانته تمنعه فتعين الأول فظلمهم بـ
خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف وضمير القسيل لتقي ذلك عن غيرهم (فان قيل) إذا
خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا وإذا ارتابوا في قلوبهم مرض والكل
واحد فأى فائدة في التعديد (أجيب) بأن قوله تعالى في قلوبهم مرض أشار به إلى النفاق وقوله
تعالى أم ارتابوا الإشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث يتركون الدين بسببه (فان قيل)
هذه الثلاثة متغايرة ولكنهما تلازمة فكيف أدخل عليها كلمة أم (أجيب) بأنه تعالى نهيهم على
كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها شك وارتاب
وكانوا يخافون الحيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق واختلفوا في سبب نزول
هذه الآية فقال مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصمهم بديار في أرض فقال اليهودي
تحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق تحاكم إلى كعب بن الأشرف فان محمد اجحف
علينا فأمر الله تعالى هذه الآية وقدمت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة
ابن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض تقاسمها فوقع إلى علي ما لا يصيبه الماء
الابسقة فقال المغيرة يعني أرضك فباعه أياها وتقابضا فقبل المغيرة أخذت سبعة لا ينالها الماء
فقال لعلي اقبض أرضك فأنما اشتريتها ان رضيتم ما لم أرضها فقال علي بل اشتريتها ورضيتما
وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها امدك ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المغيرة أما محمد فلا تأتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغيضي وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت الآية
وقال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر * ولما نفي تعالى
عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به كان كانه سئل عن حال المؤمنين فقال تعالى (انما كان)
أى دأبنا (قول المؤمنين) أى العريقين في ذلك الوصف (اداعوا) أى من أى دأع كان
(إلى الله) أى إلى ما أنزل الملك الذى لا كف له من أحكامه (ورسوله) الذى لا ينطق عن الهوى
(ليحكمهم) أى الرسول (بينهم) بما أراه الله تعالى أى حكومة من الحكومات لهم أو عليهم
(أن يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس
على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى ان المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا (وأولئك)
أى العالو الرتبة (هم المفلحون) الذين وصفهم الله تعالى في أول المؤمنين وهذا يدل على
عادة تعالى في اتباع ذكر الحق المبطل والتنبية على ما ينبغي بعد انكاره ما لا ينبغي * ولما رتب
تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى (ومن يطع الله) أى الذى
له الامركاه (ورسوله) أى فيما ساءه وسره (ويخش الله) أى فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي
ليحمله ذلك على كل خير (وبتقته) أى الله فيما بقي من عمره بأن يجعل بينه وبين ما يخطئ وقاية
من المباحات فيتركها ورعا (فأولئك) أى العالو الرتبة (هم الفائزون) بما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية ومن يطع
الله في فرائضه ورسوله في سنته ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقته فيما يستقبل وعن بعض

المولود أنه سأل عن آية كافية فتليت عليه هذه الآية وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاّد وبقية يسكون
 الهاء بخلاف عن خلاّد وقالون باختلاس كسرة الهاء وخص يسكون القاف وقصر كسرة
 الهاء والباقيون وبلاّد في أحد وجهيه بأشباع كسرة الهاء * ولما ذكر تعالى ما رتب على الطاعة
 الظاهرة التي هي ذليل الأقياد الباطن ذكر حال المنافقين بقوله تعالى (وأقسموا بالله) أي
 الذي له الكمال المطلق وقوله تعالى (جهداً أيمانهم) مستعار من جهده نفسه إذا بلغ أقصى
 وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها أو وكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد بالغ
 في اليمين وبلغ غاية شدتها (لئن أمرتهم) أي أمر من الأمور (ليخرجن) مما هم متلبسون به
 من خلافه كأنما كان وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما
 كنت نكون معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقتلنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله
 تعالى (قل) أي لهم (لأنفسهم) أي لا تحلقوا فإن العلم بما أنتم عليه لا يحتاج إلى الأقسام
 وههنا قدم الكلام ولو كان قسمهم صادقا لما نواعدنا لأن من حلف على القيام بالبر لا ينهي عنه
 فثبت أن قسمهم كان لفظاً قهراً وكان باطنهم يخالف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفاء
 فقصه قبيح قال المتنبي

وفي اليمين على ما أنت وأعده * ما دلّك في المعادهم

وفي رفع قوله تعالى (طاعة معروفة) ثلاثة أوجه أحدها أنه خبر مبتدأ ضمير تقديره أمر ناطقة
 أو المطلوب طاعة ثانياً أنه مبتدأ والخبر محذوف أي أمثل أو أولى أو خير أي طاعة معروفة
 للنبي صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ثالثاً طاعة مبتدأ أي هذه الحقيقة
 ومعروفة والخبر أي معروفة منكم ومن غيركم وإرادة الحقيقة هو الذي سوغ الابتداء بهامع
 تشكيك لفظها لأن العموم الذي تصلح له قد تخصص بإرادة الحقيقة كما قاله في أعرف المعارف
 والمعنى إن الطاعة وإن اجتهد العبد في إخفائها لا بد أن تظهر بخباياها على شأنه وكذا المعصية
 لأنه ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءه رواه الطبراني عن عثمان وعن عثمان بن عفان
 رضي الله تعالى عنه قال لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت فأدّى هناك عملاً أو شئ الناس أن
 يتحدّثوا به وما من عامل عمل عملاً إلا كساه الله رداءه أنه كان خيراً من غيره وإن كان شراً فشر
 وعن سعيد لو أن أحدكم يعدل في حفرة سما ليس لها باب ولا كوة فخرج عمله للناس كأنما كان
 (إن الله) أي الذي له الأحاطة بكل شئ (خيراً بما تعملون) أي لا يخفى عليه شئ من سرائركم فإنه
 فاضحكم لا محالة ومجان يكتم على نفاقكم * ولما به تعالى على خداعهم وأشار إلى عدم الاعتذار
 بإيمانهم أمر بترغيبهم وترهيبهم مشيراً إلى الأعراض عن عقوبتهم بقوله تعالى (قل) أي لهم
 (أطيعوا الله) أي الذي له الكمال المطلق (وأطيعوا الرسول) أي الذي له الرسالة المطلقة ظاهراً
 وباطناً وقوله تعالى (فإن تولوا) أي عن طاعته بمحذوف إحدى التاءين خطاب لهم أي فإن تولوا
 فاضربوهم وانما ضربتم أنفسكم (فانما عليه) أي محض صلى الله عليه وسلم (ما حمل) أي
 ما حمله الله تعالى من أداء الرسالة وإذا أدّى فقد خرج من عهدته التكليف (وعليكم) أي وأما

أنتم فعليكم (ما حلتكم) أي ما كفتكم من التلويح بالقبول والاذعان فإن لم تفعلوا وتوليت فقد عرضتم
 أنفسكم لخط الله وعذابه وإن أظعنتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى
 الهدى فالنفع والضرر عند اليكم (وإن تطيعوه) بالأقبال على كل ما يأمركم به (تتهتدوا)
 أي إلى كل خير (وما على الرسول) أي من جهة غيره (الابلاغ) أي وما الرسول إلا ناصح
 وهاذ وما عليه إلا أن يبلغ ما له أنفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليتكم والبلاغ بمعنى التبليغ
 كالإداء بمعنى التأدية ومعنى (المبين) كونه مقرر وبالأيات والمعجزات روي أنه صلى الله عليه
 وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
 بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رجة والفرقة عذاب وقال أبو امامة الباهلي عليكم بالسواد
 الأعظم فقال رجل ما السواد الأعظم فنأدى أبو امامة هذه الآية في سورة النور فإن تولوا فإنا
 عليه ما حل وعليكم ما حلتكم وقوله تعالى (وعد الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (الذين
 آمنوا منكم وعملوا) أي تصديقاً لآيمانهم (الصالحات) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
 وللأمة أوله ولين معه ومن للبيان ثم كد غابة التأكد بلام القسم لماعة أي كثر الناس من
 الريب في ذلك بقوله تعالى (ليستخلفنهم في الأرض) أي أرض العرب والعجم بأن يات زمانهم
 وينفذ أحكامهم فيجعلهم متصرفين في الأرض تصرف الملوك في محاليتهم (كما استخلف الذين
 من قبلهم) أي من الأمم من بني إسرائيل وغيرهم من كل من حصلت له مكنة وظفر على الأعداء
 بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى عليه
 السلام أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقرأ أبو بكر بضم التاء
 الفوقية وكسر اللام والباقون بفتح التاء واللام (ولم يكن لهم) أي في الباطن والظاهر (دينهم
 الذي أرتضى لهم) وهو دين الإسلام وعكيبته تشيته ونوك كيد وضافه إليهم إشارة إلى
 روي أخذاهم فيه وأنه الذي لا ينسخ * ولما بشرهم بالتمكين أشار لهم إلى مقداره بقوله تعالى
 (وليسبئلتهم من بعد خوفهم) أي الذي كانوا عليه (آمناً) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه مكثوا عكة عشرين خاتفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصحبون في السلاح ويمسكون
 فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تصبرون
 إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم تحتها ليس فيه حديدة وأنجز الله تعالى وعده
 وأظفرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعض بلاد المشرق والمغرب ومن قوا ملك الأكاسرة
 وملكوا خرائثهم واستولوا على الدنيا واستعبدوا أبناء القياصرة وعككوا واشرقوا وغر بامكنة لم
 تحصل قبلهم لامة من الأمم كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فראيت مشارقها
 ومغاربها وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها ولما قتلوا عثمان رضي الله عنه وخرجوا على علي
 ثم ابنه الحسن نزع الله ذلك الأمر كما أشير إليه بن وتنكير أمنا وجاء الخوف واستمر يتناول
 ويزداد قليلاً قليلاً إلى أن صار في زمانها هذا إلى أمر عظيم وذلك تصديق لقوله عليه أفضل الصلاة
 والسلام الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يلك الله من يشاء فتصير ملكاً ثم تصير بيزي قطع سبيل

وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها والثلاثون خلافة أبي بكر سنتان وخلافة عمر عشرة
 وخلافة عثمان اثنا عشر وخلافة علي ستة والبريزي بكسر الباء وتشديد الزاي الاولى
 والقصر السلب والتغلب وقوله قطع سبيل نصب اما عطف بيان لقوله بيزري أو بدل منه وقراً
 ابن كثير وأبو بكر يسكنون الباء الموحدة وتخفيف الدال والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال
 ثم اتبع ذلك بنتيجته بقوله تعالى تعليلاً للتمكين ومآعه (يعبدوني) أي وحدي وقوله تعالى
 (لا يشركون بي شيئاً) حال من الواو أي يعبدوني غير مشركين (فان قيل) فما محل يعبدوني
 (أجيب) بأنه مستأنف لا محل له كان قائلاً قال ما لهم مستخلفين ويؤمنون فقال يعبدوني
 ويجوز أن يكون حالاً عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وأخلافهم فحله نصب
 ولما كان التقدير فن ثبت على دين الاسلام وانقاد لأحكامه واستقام ناله هذه البشرية عطف
 عليه قوله تعالى (ومن كفر) أي ارتد وكفر هذه النعمة (بعد ذلك) أي بعد الوعد والخلافة
 (فأولئك) أي البعدها من الخير (هم الفاسقون) أي الخارجون عن الدين خروجا كاملاً
 لا يقبل منه معذرة ولا يقال لصاحبه عثرة بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى منهم
 ملام ولا تؤخذ بهم رأفة عند انتقام كما تقدم أول السورة فيمن لزمه الجلد وقيل المراد بالكفر
 كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله تعالى فأولئك هم الفاسقون أي العاصون لله وقوله تعالى
 (وأطيعوا الصلاة) أي فأنها اقوام ما ينسبكم وبين ربكم معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا
 الرسول قال الزنجشيري وليس يبعد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال
 لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه (وأولئك) أي فأنها نظام ما ينسبكم وبين
 اخوانكم (وأطيعوا الرسول) أي في كل حال يأمركم به وكررت طاعة الرسول تأكيدها لوجوبها
 (لعلكم ترجون) أي لتكنوا على رجاء من الرحمة من لاراحم في الحقيقة غيره والفاعل
 في قوله تعالى (لا تحسبن) ضمير المخاطب أي لا تحسبن أيها المخاطب (الذين كفروا) أي وان
 ازدادت كثرتهم على العتد وتجاوزت عظمتهم الحد (معجزين) أي لاهل ودنا وقيل لنا
 (في الارض) أي فأنهم مأخوذون لاهتالة وقرأ ابن عامر وحزرة بالياء على الغيبة قال النحاس
 ما علمت أحداً من أهل العربية بصرياً ولا كوفياً الا وهو يلحن قراءة جزئهم من يقول هي لحن
 لانه لم يأت الابقول واحداً يحسبن وأجيب عن ذلك من وجهين أحدهما أن المفعول الأول
 محذوف تقديره ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين الا ان حذف أحد المفعولين ضعيف
 عند البصريين ومنه قول عنتره

واقدر نزلت فلا تظني غيره * مني عزلة الحب المكرم

أي فلا تظني غيره واقعاً والثاني ان المفعولين هما قوله معجزين في الارض قاله الكوفيون وقرأ
 الباقر بالتاء على الخطاب وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة وكسرهما الباقر وقوله تعالى
 (وماواهم النار) أي مسكنهم معطوف على لا يحسبن الذين كفروا ومعجزين كانه قيل الذين
 كفروا لا يفوتون أهل ودنا أو لا يفوتوننا وماواهم النار والمراد بهم المقسمون عليه بالله جهده

أيمانهم * ولما كانت سكنى الشيء لا تكون الا بعد المصير اليه قال تعالى (ولبئس المصير)
 أى المروج مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى واختلف في سبب نزول قوله تعالى
 (يا أيها الذين آمنوا لیس تأذَنكم الذين ملکت ايمانکم) الآية فقال ابن عباس وجه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر رضى الله تعالى عنه
 وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فنزلت وقال مقاتل نزلت في
 أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت فكرهته فأنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقالت ان خدمنا وعلما بنا يدخلون علينا في حال نكرهها فنزلت واللام في لیس تأذَنكم
 للامر وملك المين يشمل العبيد والاماء قال بعض المفسرين هذا الخطاب وان كان ظاهره
 للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التذكير يغلب على التأنيث قال الرازي والاولى عندي
 ان الحكم ثابت في النساء بقياس جلي لان النساء في باب العورة أشد حالا من الرجال فهو كتحريم
 الضرب بالقياس على حرمة التأنيث وقال ابن عباس هي في الرجال والنساء أى البالغين أو من
 قاربوا البلوغ يستأذنون على كل حال في الليل والنهار للدخول عليكم كراهة الاطلاع على
 عوراتكم والتطرق بذلك الى مساكنكم واختلف العلماء في هذا الامر فقبل للنبد وقبل
 للوجوب واستظهر (والذين) أى وليست تأذَنكم الذين ظهر واعلى عورات النساء ولو كنهم
 (لم يبلغوا الحلم) وقدمه بقوله تعالى (منكم) ليخرج الكفار والارقاء وعبر عن البلوغ بالاحتملام
 لانه أقوى دلالة (ثلاث مرات) في اليوم والليلة وقبل ثلاث استئذانات في كل مرة فان لم يحصل
 الاذن رجع المستأذن كما تقدم المرة الاولى من الاوقات الثلاث (من قبل صلاة الفجر) لانه
 وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم (و) المرة الثانية (حين تضعون ثيابكم) أى الى
 للخروج بين الناس (من الظهيرة) أى شدة الحر وهو اتصاف النهار (و) المرة الثالثة (من
 بعد صلاة العشاء) لانه وقت الانفصال من ثياب البقطة والاتصال بثياب النوم وخص هذه
 الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب والاتصاف بالحاف وأثبت من في الموضعين
 دلالة على قرب الزمن من الوقت المذکور لضبطه وأسقطها في الاوسط دلالة على استغراقه لانه
 غير منضبط ثم علل ذلك بقوله تعالى (ثلاث عورات) أى اختلالات في التستر والنحفظ
 (لكم) لانها من ساعات وضع الثياب والخلوة قال البيضاوى وأصل العورة الخلل ومنها
 اعور المكان ورجل أعور اذا بدا فيه خلل انتهى وسميت هذه الاوقات عورات لان
 الانسان يضع فيها ثيابه فربما تدعو عورته وقرأ أبو بكر وحزرة والكسائي في الوصل ثلاث
 بالنصب بتقدير أوقات منصوب ببدل من محل ما قبله فام المضاف اليه مقامه والباقون بالرفع على
 انها خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أى هي أوقات ويجوز أن يكون
 مبتدأ وخبره ما بعده ثم بين سبحانه وتعالى حكم ما عدا ذلك بقوله تعالى مستأنفا (ليس عليكم)
 أى في ترك الامر (ولا عليهم) أى المماليك والصبيان في ترك الاستئذان (جناب) أى اسم
 وأصله الميل في الدخول عليكم في جميع الساعات (بعدن) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة اذا

فجمعوا عليكم ثم علل الاباحة في غيرها فخرجوا لغيرهم بقوله تعالى (طوافون عليكم) أي لعمل
 ما تحت اجون في الخدمة كما أنتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم ويصلحكم في الاستخدام
 (بعضكم) طواف (على بعض) لعمل ما يعجز عنه الآخر أو يشق عليه فلو عم الامر بالاستئذان
 لآدى الى المخرج (فان قيل) لم رفع بعضكم على بعض (أجيب) بأنه رفع بالابتداء وخبره على
 بعض أي طواف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع يطوف منصرفا
 لتلك الدلالة (كذلك) أي كما بين ما ذكر (بين الله) أي بما له من احاطة العلم والقدرة (لكم)
 أيها الامة (الآيات) في الاحكام وغيرها بعلمه وحكمته (والله) أي الذي له الاحاطة العامة
 بكل شيء (عليم) بكل شيء (حكيم) فيما يريد فلا يقدر أحد على نقضه وختم الآية بهذا الوصف
 يدل على انها محكمة لم تنسخ واختلف في ذلك فقال الزمخشري عن ابن عباس انه قال آية
 لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لا امر جارتي أي زوجتي أن تستأذن عليّ وسأله عطاء
 استأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجر فتعونه وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جردهن
 الناس الاذن كله وقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال الناس أعظمكم بيتا وقوله واذا
 حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن
 الشعبي ليست منسوخة فتقبل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن
 جبيران الناس يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها وقال قوم
 هي منسوخة روى البغوي عن ابن عباس أنه قال لم يكن للشوم ستر ولا حجاب فكان الخدم
 والولائد يخلون فربما يرون منهم ما لا يحبون فأمروا بالا متئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ
 الناس المستور فاهل الرواية اختلفت عن ابن عباس ولما بين تعالى حكم الصبيان والارثاء
 الذين هم أطوع للأمر وأقبل لكل خبر أتبعه حكم البالغين من الاحرار بقوله تعالى (واذا بلغ
 الاطفال منكم الحلم) أي اذا بلغ أطفالكم الاحرار بلغ السن الذي يكون فيه انزال المني
 سواء رأى منبأ أم لا واختلف في ذلك السن فقال جماعة العلماء هو خمس عشرة سنة أي قربة
 تخميدية لا فرق في ذلك بين الذكر وغيره وقال أبو حنيفة هو ثمان عشرة سنة في الغلام وسبع
 عشرة سنة في البكرية وعن علي رضي الله عنه أنه تعبر القامة وتقدر بجمعة أشبار وبه أخذ
 الثرزدق في قوله

ما زال مذقة يداه ازاره * وهما فأدر لك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الابيات أي للعانة وعن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه سأل عن غلام له فقال هل
 اخضر ازاره أي نبت شعر عاتيه فاستد الاخضر اراي الازار على الجاز ولانه مما اشتل عليه
 الازار ونبات العانة الحسن عندنا علامة على بلوغ ولد الكافر فقط أما اذا رأى المني في وقت
 اسكانه وهو استكمال تسع سنين قرية فانا نحكم بلوغه سواء كان ذكر أم أنثى مسلما كانا
 وأما الخنثى فلا بد أن يمين من فريجه أو يعض بالفرج ويعنى من الذكر (فليستأذنا) أي
 على غيرهم في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أي من الاحرار البكار الذين

جعلوا قسما للمماليك فلا يدخل في ذلك الا رقاق فلا يستدل بذلك على أن العبد البالغ يستأذن
 على سيده وقيل المراد الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام (كذلك) أى كباين
 لكم ما ذكر (بين الله) أى الذى له الاحاطة والقدرة (لكم) آيتها الامة (آياته) أى دلالاته
 (والله) أى الذى يعلم السر وأخفى (عليم) أى بأحوال خلقه (حكيم) أى فيما دبر لهم قال
 سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فأنما أنزلت هذه الآية في ذلك وسئل حذيفة أيستأذن
 الرجل على والدته فقال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره وعن أنس قال لما كانت صبيحة يوم
 احتلت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته انى قد احتلت فقال لا تدخل على النساء
 فما أتى على يوم كان أشد منه * ولما ذكر تعالى اقبال الشباب في تعيين حكم الحجاب أبعده الحكم
 عند ادبار الشباب في اتقاء الظاهر من الشباب بقوله تعالى (والقواعد من النساء) أى
 اللاتي قد عدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يمحضن واحدهن قاعد بلاهه وقيل
 قد عدن عن الأزواج وهو معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يردن الرجال لكبرهن
 قال ابن منبه سميت المرأة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ربيعة هن العجز الواوي
 اذا رآهن الرجل استقدرن فأمامن كان فيها بقية من جمال وهى تحمل الشهوة فلا تدخل
 في هذه الآية (فليس عليهن جناح) أى خرج في (أن يضعن ثيابهن) أى الظاهرة فوق الثياب
 الساترة بحضرة الرجال كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار أما الخمار فلا يجوز وضعه لما
 فيه من كشف العورة (غير متبرجات بزينة) أى من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء
 اظهار زينتهن ثم ان الزينة الخفية فى قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الالبعواتن أو غير قاصدات
 بالوضع التبرج والتبرج هو أن تظهر المرأة محيا من ما ينبغي لها أن تستره * ولما ذكر الله تعالى
 الجوارع عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها بقوله تعالى (وأن
 يستغفرن) أى فلا يلقين الرداء أو الجلباب (خير لهن) من الالقاء كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب
 للتقوى وان تصدقوا لانه أبعد عن التهمة (والله) أى الذى جلت عظمته (سميع) لقولكم
 (عليم) بما فى قلوبكم واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (امس على الاعمى حرج) أى فى مواكاة
 غيره (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) كذلك فقال ابن عباس لما أنزل الله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تخرج المسلمون عن مواكاة المرضى
 والزمنى والاعمى والعرج وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن أكل المال
 بالباطل والاعمى لا يصير موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستقيم
 المزاج على الطعام والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفى من الطعام حقه فأنزل الله تعالى
 هذه الآية وعلى هذا تكون على معنى فى أى ليس فى الاعمى أى ليس عليكم فى مواكاة الاعمى
 والاعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبيرة والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان
 والمرضى يتزهون عن مواكاة الاصحاء لان الناس يستقدرون منهم ويكرهون مواكאתهم وعن
 عكرمة كانت الانصار فى أنفسهم اقزاة فكانت لاتأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وكان

هؤلاء يقولون الا عني ربما كل أكرور بما سبقت يده الى ما سبقت عين آكله اليه وهو لا يشعر
والاعرج ربما أخذ في مجلسه مكان اثنين فيضيق على جلسه والمريض لا يخلو من راحة
تؤذي أو جرح يعض أو نحو ذلك فنزل وقال مجاهد نزل الآية ترخيصا لهؤلاء في الاكل من
بيوت من سمى الله في هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون محل الرجل لطلب الطعام فاذا
لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيت آبيه وبيت امه وبعض من سمى الله تعالى في هذه الآية
فكان أهل الزمانه يتخرجون من هذا الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره فنزل الآية وقال
سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غروا وغلقوا منازلهم ويدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون
قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب
فأنزل الله تعالى هذه الآية رخصة لهم وقال الحسن نزلت رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد
وقال تم الكلام عند قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى (ولا على أنفسكم أن
تأكلوا من بيوتكم) كلام مستأنف منقطع عما قبله (فان قيل) أي فائدة في إباحة أكل الانسان
طعامه في بيته (أجيب) بأن المراد من البيوت التي فيها أزواجكم وعبالككم فيدخل فيه بيوت
الاولاد لان بيت ولده كبيته قال صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك وقال صلى الله عليه وسلم
ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وقيل لما نزل قوله تعالى ولاتأكلوا
أموالكم بينهم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا أن يأكل عند أحدنا فأنزل الله تعالى ولا على
أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم (أو بيوت آبائكم)
أي وان بعدت أنسابهم قال البقاعي واهله جمع لذلك فانها امر باكم وحرمتها حرمتمكم (أو بيوت
أمتها تكم) كذلك وقدم الاب لانه أجل وهو كما بيته داغما والمال له (أو بيوت اخوانكم) أي
من الابوين أو الاب أو الام بالنسب أو الرضاع فانهم من أولى من رضى بذلك بعد الوالدين لانهم
منكم وهم أولياء بيوتهم (أو بيوت اخوانكم) فانهم بعدهم من أولى البيت فان كن من زوجات
فلا بد من اذن الزوج (أو بيوت أعمامكم) فانهم شقائق آبائكم سواء كانوا أشقاء أو لاب أم لام
ولو أفرز العالم توهم انه الشقيق فقط فانه أحق بالاسم (أو بيوت عماتكم) فانهم بعد الاعمام
لضعفهن ولانهم ربما كان أولياء بيوتهم من الأزواج (أو بيوت أخوانكم) لانهم شقائق
أمتها تكم (أو بيوت خالاتكم) آخرهن لما ذكر في العمات (أو ما ملكتكم مفاتيحه) قال ابن
عباس عني بذلك وكيل الرجل وقبته في ضيعته وما شئته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته
ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخرو ملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقال الضحاك
يعني من بيوت عبيدكم وعماليكم لان السيد يملك منزله وعبداه والمفاتيح الخزان لقوله تعالى وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويجوز أن تكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح
فهو خازن فلا بأس أن يظم الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولى طعام غيره ويقوم عليه فلا
بأس أن يأكل منه وقيل أو ما ملكتكم مفاتيحه ما خزنتموه عندهم وقال مجاهد وقناعة من بيوت
أنفسكم مما أذخرتم وملكتم (أو صديقيكم) أي أو بيوت اصدقاؤكم والصديق هو الذي

صدق في المودة ويكون واحدا وجعا وكذا الخليط والطين والعدو قال ابن عباس نزلت
في الحرب بن عر وخرج غازي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله
فلما رجع وجد مجهدا فأسأله عن حاله فقال تحرجت أكل طعامك بغير إذنك فانزل الله هذه
الآية فيحكى عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استولوا من تحت سريره
فيها الخبيص ولطائف الاطعمة وهم مكبون عليها كأكون فتمالت أسارير وجهه سرورا
وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدرين وكان الرجل منهم يدخل
دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيه فيأخذ ماشاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها
سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق أن جعله الله تعالى في الانس والثمة
والابسا وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والابن والاخ وعن ابن عباس الصديق أكبر
من الوالدين ان الجاهنين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا اننا من شافعين
ولا صديق حميم والمعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا اذا علم رضا صاحب
البيت باذن أو قرينة ظاهرة الحال فان ذلك يقوم مقام الاذن الصريح ولذلك خصص هؤلاء
فانهم يعمدون التبسط بينهم وربما سمح الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن
صاحبه في الاكل منه (فان قيل) اذا كان ذلك لا بد فيه من العلم بالرضا فحينئذ لا فرق بينهم وبين
غيرهم (أجيب) بأن هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة بل ينبغي أن يشترط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا
بخلاف غيرهم لا بد فيه من صريح الاذن أو قرينة قوية هذا ما ظهر لي ولم أر من تعرض
لذلك وكان الحسن وقنادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والاكل من طعامه بغير اذنه لهذه
الآية واحتج أبو حنيفة بهذه الآية على أن من سرق من ذي رحم محرم أنه لا يقطع لأن الله تعالى
أباح لهم الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذنهم (فان قيل) فيلزم أن لا يقطع اذا سرق من
مال صديقه (أجيب) بأن من سرق من ماله لا يكون صديقه وقيل ان هذا كان أول الاسلام
ثم نسخ فلا دليل له فيه وقرأ يوتكم بيوت وبيوتنا ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة
والباقون بالكسر وقرأ حزة والكسائي أتهاتكم في الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم
وكسر الميم حزة وفتحها الباقون * وماذا كر تعالى معدن الاكل ذكر حاله بقوله تعالى (ليس
عليكم جناح) أي اثم (أن تأكلوا جميعا) أي مجتمعين (أو أشاتا) أي متفرقين واختلف في سبب
نزول هذه الآية فقال الاكثر نزلت في بني ليث بن عمرو من كثرة وكأنوا يتحرجون أن يأكل
الرجل وحده فربما قعد منظر انهم اراه الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة وقال عطاء
عن ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه
فيهول والله اني لا أخرج أي أخرج أن أكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقال
عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الامع ضيفهم
فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين أو أشاتا متفرقين وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا
لأكل طعاما عزلوا الا على طعاما وحده وكذلك الزمن والمريض فينبى الله تعالى لهم أن ذلك غير

واجب وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض * (تنبيه) * جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتا ناعطف عليه وهو جمع شت وشتي جمع شيت وشستان تشنيه شت روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا تأكل ولا تشبع قال فاعلمكم تأكلون متفرقين اجتماعا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه ياربكم فيه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال كوا جميعا ولا تفرقوا واذكروا اسم الله فان البركة مع الجماعة * ولما بين تعالى موطن الاكل وكيفيته ذكر الحال التي عليها الدخول الى تلك المواطن وأغبرها بقوله تعالى (فاذا دخلتم) أي بسبب ذلك أو غيره (بيوتا) أي من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أي على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة جعل أنفس المؤمنين كالنفس الواحدة كقوله تعالى ولا تقهولوا أنفسكم وقال ابن عباس اذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق بالسلام من سلمت عليهم واذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا أن الملائكة ترد عليه (تحية من عند الله) أي ثابتة بأمره مشروعة من الله (مباركة) أي لانه يرجي بهازيادة الخير والثواب (طيبة) أي تطيب به النفس المستمع والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والحمي من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجي بهامن الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنين وقيل تسع سنين فما قال لي شيء ففعلته لم فعلته ولا قال لي شيء تركته لم تركته وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنفع به انك بلي بأبي أنت وأمتي يا رسول الله قال بتي اقيت من أمتي أحد افسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة البرار الاواين * (تنبيه) * تحية منصوب على المضمر من معنى فسلوا فهو من باب تعدت جلوسا فكانه قال خيوا تحية وقال القفال وان كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى وكررت قوله تعالى (كذلك بين الله) أي الذي أحاط علمه بكل شيء (الآيات) تلك الما زيدا لكي يدون تخيم الاحكام المحقة به وفصل الاولين بما هو مقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال تعالى (لعلكم تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وأدبه * ولما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل موطن تجب الإقامة فيه ويحجر ما عداه من الاوطان قال تعالى (انما المؤمنون) أي الكاملون في الايمان (الذين آمنوا بالله) أي الملك الاعلى (ورسوله) أي ظاهره وباطنه (واذا كانوا معه) أي الرسول صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل ووصف الامر بالجمع للمباغاة أو من الاسناد المجازي لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا (لم يذهبوا) أي يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له لعذرهم (حتى يستأذنه) قال الكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في خطبته بالمانقين ويعيهم فينظر المنافقون عينا وشمالا فاذا لم يرههم أحد انسلوا وخرجوا

ولم يصلوا وان أبصرهم أحد لبثوا ووصلوا خوفاً فزات هذه الآية فكان المؤمن بعد نزولها لا يخرج لحاجة حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يخرجون بغير إذن قال مجاهد أن أذن الامام يوم الجمعة أن يشير يده قال أهل العلم كذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنع من المقام فان حدث سبب يمنع من المقام كان يكونوا في المسجد فحيض منهم امرأاً أو يوجب الرجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان * ولما كان اعتبار الاذن كالمصدق لصحة كمال الايمان والمميز للخلص فيه أعاده مؤكداً على أساليب أبلغ بقوله تعالى (ان الذين يستأذنونك) أي تعظيماً و رعاية للادب (أو أولئك) أي العاقلون الرتبة (الذين يؤمنون بالله) أي الذي له الامر كله (ورسوله) فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لا محالة وان الذهاب بغير إذن ليس كذلك * ولما نص على الاستئذان تسبب عن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم بما يفعل اذا ذاك بقوله تعالى (فاذا استأذنتهم لبعض شأنهم) وهو ما نشأته الحاجة اليه (فأذن لمن شئت منهم) بالانصراف أي ان شئت فأذن وان شئت فلا تأذن ففي ذلك تفويض الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدلاله على أن بعض الاحكام مفوض الى رأيه قال الضحاك ومقاتل المراد عروب الخطاب وذلك أنه استأذن في غزوة تبوك في الرجوع الى أهله فأذن له وقال انطلق فوالله ما أنت بمنافق يريد أن يسمع المنافقون ذلك الكلام فلما سمعوا ذلك قالوا ما بال محمد اذا استأذنه أصحابه أذن لهم واذا استأذناه أي فوالله ما زاه يعدل قال ابن عباس ان عمر استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العسرة فأذن له ثم قال يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك ولما كان في الاستئذان ولو بعد رقصور لأن فيه تقديم الامر الدنيا على امر الدين أمره الله تعالى بأن يستغفر لهم بقوله تعالى (واستغفر لهم الله) أي الذي له الامر كله بعد الاذن ليكون ذلك شاملاً لمن حجت دعواه وغيره ثم علل ذلك ترغيباً في الاستغفار وتطبيعاً للقلوب أشل الاوزار بقوله تعالى (ان الله) أي الذي لا يخفى عليه شيء (غفور) أي لفرط العباد (رحيم) أي بالتستر عليهم ولما أظهرت هذه السورة بعمومها وهذه الآيات بخصوصها من شرف الرسول ما أبهر العقول صرح بتعظيم شأنه وتعظيم مقامه بقوله تعالى (لا تجعلوا) أي يا أيها الذين آمنوا (دعاء الرسول ينسلكم كدعاء بعضهم بعضاً) قال سعيد بن جبيرة وجاعة معناه لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخطبوه بالتوقير فتقولوا يا رسول الله يا نبي الله وعلى هذا يكون المصدر مضافاً لمفعوله وقال المبرد والقفال لا تجعلوا دعاء اياكم كدعاء بعضهم لبعض فتباطون عنه كما يتباطأ بعضهم عن بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم المبادرة لامرهم ويؤيده قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره وعلى هذا يكون المصدر مضافاً للفاعل وقال ابن عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا أسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وروى عنه ايضا لا ترفعوا أصواتكم في دعائه وهو المراد من قوله ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وقول المبرد كما قال ابن عادل اقرب الى نظم الآية ولما كان بعضهم يظهر الموافقة ويبطن المخالفة

حذر من ذلك بقوله تعالى (قد يعلم الله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (الذين يتسللون منكم) أي من أولاد قريظة ليجعلوا ذهابهم في غاية الخفاء ونظير تسلل تدرج وتدخل وقوله تعالى (لو إذا) حال أي ملاوذين واللواد والملاوذة التستر يقال لاذ فلان بكذا إذا استتر به وقال ابن عباس أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة لاسيما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استنار وقد للتحقيق وتسبب عن علمه تعالى قوله تعالى (فليحذر) أي يوقع الحذر (الذين يخافون عن أمره) أي يعرضون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصرفون عنه بغير إذنه وقال أبو بصير الرأزي الضمير في أمره لله لأنه يليه وقال الجلال المحلى أي الله ورسوله وكل صحيح فإن مخالفة أمر أحدهم مخالفة أمر الآخر (أن) أي لثلاث (تصيههم ثمنه) قال مجاهد يلا في الدنيا وعن ابن عباس قسمة قتل وعن عطاء زلازل وأحوال وعن جعفر بن محمد يسلط الله عليهم سلطا ناجرا (أو يصيهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة * (تنبيه) الآية تدل على أن الأمر للوجوب لأن تارك الأمر مخالف للأمر يستحق العذاب ولا معنى للوجوب إلا ذلك ولما أقام تعالى الأدلة على أنه نور السموات والأرض وختم بالتحذير لكل مخالف أن ينج ذلك أن له كل شيء فقال تعالى (ألا إن لله ما في السموات والأرض) خلقا وملكا وعبيدا (فان قيل) ما فائدة ذكر عبيد بعد ملكا (أجيب) عنه انما ذكرنا لئلا يتوهم أن ما لما لا يعقل فقط ولما كانت أحوالهم من جملة ما هو له وانما بخلقهم قال تعالى (قد يعلم ما أنتم) أي أيها المكلفون (عليه) أي من الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق وانما كد علمه بقدر لنا كيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التأكيد في نحو قول بعضهم

فان تمس مهجورا فربما * أقام به بعد الوعد وفود

ونحو قول زهير

أخى ثقة لانهلك الخرماله * ولكنه قد يهلك المال نائلة

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به تعالى فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وقوله تعالى (ويوم) أي ويعلم يوم (يرجعون إليه) فيه التفات عن الخطاب أي متى تكون أو يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء (فينبئهم) أي فسبب عن ذلك أنه يخبرهم (بما عملوا) أي من الخير والشر فيجازيهم عليه (والله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (بكل شيء) أي من أعمالهم وغيرها (عليهم) عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله في البيع في صحيحه وأما قول البيضاوي تعالى الكشاف من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنة بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي فهو حديث موضوع

(سورة الفرقان مكية)

الاقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى رحمتي اخذني وآيهم اسبوع وسبعون
آية وعما ثمانمائة واثنان وسبعون كلمة وعدد حر وفها ثلاثة آلاف وسبع مائة وعمانون حرفا

(بسم الله) الذي له الحجة البالغة (الرحمن) الذي علم الخلق بنعمه (الرحيم) الذي وسعت رحمة
كل شيء (بارك) قال الزجاج تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومنه تبارك الله وفيه
معنيان تزايد خيره وتكاثر أوترايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وعن ابن عباس
كان معناه جاءنا بكل بركة وخير وقال الضحاك تبارك تعظيم ولا يستعمل الله تعالى ولا
يتصرف فيه ثم وصف ذاته الشريفة بما يدل على ذلك بقوله تعالى (الذي نزل الفرقان) أي
القرآن والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق
والباطل ولانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى
قوله تعالى وقرآنا فرقناه لنتقرأه على الناس على مكث (على عبده) أي محمد صلى الله عليه وسلم
وأضافه الى نفسه اضافة تشريف وفي عود ضمير (ليكون) ثلاثة أمججه أحدها أنه يعود على
الذي نزل أي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا الثاني أنه يعون على الفرقان أي ليكون الفرقان
نذيرا وأضاف الانذار اليه كما أضاف الهداية اليه في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي
أقوم قال ابن عادل وهو بعيد لان المنذر والنذير في صفات الفاعل المخوف ووصف القرآن به
مجازا ورجل الكلام على الحقيقة أولى الثالث أنه يعود على عبده أي ليكون عبده محمد صلى الله
عليه وسلم (للعالمين نذيرا) أي وبشيرا وهذا أحسن الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه
والضمير يعود على أقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذير وانما قدم لاجل القواصل ونذير اجمعين
منذر أي مخوف ويجوز أن يكون مصدرا جعيا الانذار كالتكبير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى
فكيف كان عذابي ونذر * (تنبيه) * المراد بالعالمين قال البقاعي أي المكلفين كلهم من الجن
والانس والملائكة اه ولكن في ارساله للملائكة خلاف بين العلماء فقد نقل الجلال المحلى
في شرحه على جمع الجوامع الاجماع على أنه لم يرسل اليهم وغيره صرح بأنه أرسل اليهم ومن حفظ
حجة على من لم يحفظ (فان قيل) قوله تعالى تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمدح كورعقه
لا بد وأن يكون مبينا لكثرة الخير والمنافع والانداز يوجب النعم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا
الموضع (أجيب) بأن الانذار يجري مجرى تأديب الوالد أنه (١) كما كان المبالغ في تأديب
الوالد أكثر كان رجوع الخلق الى الله تعالى أكثر وكانت السعادة الآخرة أتم وأكثر وهذا
كالتنبيه على أنه لا تنتفع الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه أن يعطي الخيرات
الكثيرة لم يذكر الامنافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة وقوله تعالى (الذي له ملك السموات
والارض) اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه وتعالى حال حدوثها وانه تعالى
هو المتصرف فيها كيف يشاء فلا انكار أن يرسل رسولا الى كل من فيها * (تنبيه) * يجوز في

الذي رفع نعتا للذي الاول اويسانا وبدا لا وخبر المبتدأ حذوف والنصب على المدح وما
بعده يدل على أنه من تمام النحلة فليس أجنيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا
جعلنا الثاني تابعا له (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد أبدا ولا يصح أن يكون غيره تعالى معبودا
ووارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالوهية
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاءه عن كل من سواه تعالى ولم يشغل قلبه الا برحمته
واحسانه وفيه رد على الوثنية القائلين بعبادة النجوم والاثان * ولما نفي تعالى الشريك
فكان قائلا يقول ههنا أقوام يعترفون بنبي الشريك والشركاء والانداد ومع ذلك يقولون
بخلق أفعال أنفسمهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (وخلق كل شيء) أي من شأنه أن يخلق ومنه
أفعال العباد والخلق ههنا يعني الاحداث أي احداث كل شيء احداثا ماضيا فيه التقدير
والتسوية (فقدرة تقدير) أي هيأ لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل
المقدر الذي تراه فقدرة للتكليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان
وجاد جاء به على الجملة المستوية المقدرة وسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمة
الاعلى وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدرة تقدير في ايجادها ولم يوجد
متفاوتا ولو جعل خلق كل شيء على معناه الاصل من التقدير لصار الكلام وقدّر كل شيء فقدرة
فلم يصر له كبير فائدة وقيل لفعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدرة للبقاء الى امد معلوم واختلف في
عود الضمير في قوله تعالى (واتخذوا من دونه) أي الله تعالى أي غيره (الالهة) على ثلاثة
أوجه أحدها أنه يعود على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين ثانيها أنه يعود على من ادعى
لله شريكا وولد الدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ذولا ولم يكن له شريك في الملك ثالثا أنه يعود على
المنذرين الدلالة نذرا عليهم * ولما وُصف نفسه سبحانه وتعالى بصفات الجلال والعزة
والعلو وأردفه بتزييف مذهب من يعبد غيره من وجوه منها أنه اليست خالقة للاشياء بقوله تعالى
(لا يخلقون شيئا) والا لا يجب أن يكون قادر على الخلق والايجاد ومنها أنها مخلوقة بقوله تعالى
(وهم يخلقون) والمخلوق محتاج والا لا يجب أن يكون غنيا وغلب العقل على غيرهم لان
الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام
التي يمجسونها ويصورونها ومنها أنها الاتاك لانفسها ضرا ولا تنفعا بقوله تعالى (ولا يملكون)
أي لا يستطيعون (لانفسهم ضرا) أي دفعه (ولا تنفعا) أي جلبه ومن كان كذلك فليس بالاله ومنها
انها لا تقدر على موت ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى (ولا يهلكون موتا ولا حياة) أي امانة
لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) أي بعثا لااموات فيجب أن يكون المعبود قادرا على ايصال
الثواب الى اطيعين والعقاب الى العصاة فن لا يكون كذلك يجب أن لا يصلح للالهية * (تنبيه) *
انحج أهل السنة بقوله تعالى لا يخلقون شيئا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه تعالى عاب
هؤلاء الكفار من حيث عبدوا وما لا يخلق شيئا وذلك يدل على أن من خلق يستحق أن يعبد

فلو كان العبد خالفا لكان معبودا الهايم ولما تكلم تعالى **أولا** على التوحيد وثانيا في الرد على عبدة غيره تكلم ثالثا في مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **الشبهة الاولى** قوله تعالى **(وقال الذين كفروا)** أى مظهر والوصف الذى جعلهم على هذا القول وهو ستر ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس والاجتهاد في اخفائه **(ان)** أى ما **(هذا)** أى القرآن **(الاول)** أى كذب مصر وفعن وجهه **(اقتراه)** اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم **(وأعانه عليه)** أى القرآن **(قوم آخرون)** أى من غير قومه وهم اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم وهو يعبر عنها بعبادته وقيل عداس مولى حبيب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحنفري وأبو فكيمة الروى كانوا جعة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا يأخذ منهم فردا لله تعالى عليهم بقوله تعالى **(فقد جاءوا)** أى فأنزلوه هذه المقالة **(ظلمنا)** وهو جعل الكلام المعجزا فكا مختلفا متلقا من اليهود وجعلوا العرب يتلقن من العجى الروى كلاما عريسا أعجز بنفسه صاحته جميع فصحاء العرب **(وزورا)** أى بتموه بنسبة ما هو برى منه اليه وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام **(تنبيه)** * جاء وأنى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وظلما مفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض أى جاءوا بظلم **الشبهة الثانية** قوله تعالى **(وقالوا أساطير الاولين)** أى ماسطره الاولون من آكاذيبهم جمع أسطورة بالضم كأحد وثة أو أسطار **(اكتبها)** أى تطلب كتابتها من ذلك القوم وأخذها والمعنى ان هذا القرآن ليس من الله تعالى انما هو ماسطره الاولون **الأول** كآخديث رسمه واسفنديار استنسخها محمد من أهل الكتاب **(فهى)** أى فتسبب عن تكلفه ذلك أنما **(على عليه)** أى تقرأ عليه ليحفظها **(بكرة)** قبل أن تنتشر الناس **(وأصيلا)** أى عشا حين يأوون الى مساكنهم أو دأعماله تكلف حفظها بالانساخ لانه أتمى لا يقدر أن يكرر من الكتاب أوليكب وهذا كما ترى لا يقوله من له مسكة في عقل أو مرؤة كيف وهو يدعوههم الى المعارضة ولو بشرة من مثله وفيهم الكتاب والشعراء والبلغاء والخطباء وهم أكثر منه مالا وأعظم أعوانا ولا يتقديرون على شيء منه **(فان قيل)** كيف قيل اكتبها فهى على عليه وانما يقال أمليت عليه فهو يكتبها **(أجيب)** بوجهين أحدهما أراد اكتبها وطلبه فهى على عليه الثانى أنها كتبت له وهو أتمى فهى على أى تلقى عليه من كتاب ليحفظها لان صورة الالتقاء على الحافظ كصورة الالتقاء على الكاتب وقرأ فهى قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الياء والباقون بكسر هاء ثم أمره الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى **(قل)** أى دالا على بطلان ما قالوه ومهدد اليهم **(أنزل الذى يعلم السر)** أى الغيب **(في السموات والارض)** لانه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه أخبارا عن مغيبات مستقبله وأشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه أساطير الاولين مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته بما يشهرونه وهو يحاربكم على ما علم منكم وعلم منه **(فان قيل)** كيف يطابق هذا قوله تعالى **(أنه كان)** أى أنزلا وأبدا **(غفورا رحيم)** أجيب بأنه لما كان ما يقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة

عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة الا القادر على العقوبة أو هو يتبسط على انهم استوجبوا
بما كبرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولو كان صرف ذلك عنهم لانه غفور رحيم يهمل
ولا يعاجل * الشبهة الثالثة قوله تعالى (وقالوا ما هذا الرسول) أي ما لهذا الذي يزعم الرسالة
وقبه استهانة وتهمكم وتصغير شأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه
رسول ونحوه قول فرعون أن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون أي ان أصح انه رسول الله
فما باله حاله مثل حالنا (يا كل الطعام) أي كإنا كاه (وعيشي) أي ويتردد (في الاسواق) لطلب
المعاش كما عشي فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة يعنون انه يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن
الاكل والشرب والتعيش وكذلك كانوا يقولون له لست انت بملك لانك تأكل الطعام والملك
لا يأكل ولأن الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وما قالوه فاسد لان أكاسه الطعام لكونه آدميا
ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن حجابا في الاسواق وليس شيء
من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع أنه ملك من المملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا الى
اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يساندوه في الانذار والتخويف فقالوا (لولا) أي هلا (أنزل
اليه ملك) أي يصدقه ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أي داعيا ثم نزلوا أيضا الى أنه لم يكن مرفودا
بملك فليكن مرفودا بكثر فقالوا (أو يلقى اليه كثر) أي ينزل عليه كثر من السماء ينقذه فلا يحتاج
الى المشي في الاسواق لطلب المعاش ثم نزلوا فاقنعوا بأن يكون رجلا له بستان فقالوا (أو تكون
له جنة) أي بستان (يا كل منها) أي ان لم يلقى اليه كثر فلا أقل أن يكون له بستان كالمساير
فيتعيش بريعه وقرأ حزة والكسافي بالنون أن نأكل نحن منها فيكون له من ربه علينا بها
والباقيون بالياء وقوله تعالى (وقال الظالمون) وضع فيه الظاهر موضع المضمر اذا اصل وقالوا
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا (ان) أي ما (تتبعون الارجال مسجورا) أي محدوعا مغلوبا على
عقله وقيل مصر وفاق الحق ولما أنهى تعالى ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم التفت
سبحانه وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم مسالبا بقوله تعالى (انظر) أي يا أفضل الخلق
(كيف ضربوا لك الامثال) أي بالمسحور والمحتاج الى ما ينقذه الى ملك يقوم معه بالامر
(فضلوا) أي بذلك عن جميع طرق الهدى (فلا يستطيعون) أي في الحال ولان في الحال بسبب
الضلال (سيبلا) أي سلوك سبيل من السبل الموصلة الى ما يستحق أن يقصده بل هم في مجاهل
موحشة وفيما في مهلكة * ولما أثبت انهم لاعلم لهم ولا قدرة ولا يمن ولا بركة أثبت لنفسه سبحانه
وتعالى ما يستحق من الكمال الذي يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء بقوله تعالى (تبارك)
أي ثبت نبأنا مقترنا باليمن والمبركة لأشبات الا هو (الذي ان شاء) فانه لا مكر له (جعل لك) أي
في الدنيا (خير من ذلك) أي من الذي قالوه على طريق التهم من الكثر والبستان وقوله تعالى
(جنات) بدل من خيرا ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أعني ثم وصفها بقوله تعالى (تجري من
تحته الانهار) أي تكون أرضها عيونا تابعة أي في أي موضع أريد منه اجرا من جري فمهي

لا تزال ريانتي صاحبها عن كل حاجة ولا تتوجه في استمرارها الى سقي (ويجعل لك قصورا) أيضا
وهي جمع قصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون القصور وهي البيوت المشيدة والعرب تسمى
كل بيت مشيد قصر او يحتمل أن يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا منتزعا ويجوز أن تكون
القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل جنان في الآخرة وقصورا في
الدنيا ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ما أشار اليه في هذه الآية الشريفة في هذه الدنيا الثانية وآخره
الى الآخرة الباقية وقد عرض عليه سبحانه وتعالى ما شاء في ذلك في الدنيا فأباه روى أنه عليه
الصلاة والسلام قال عرض علي ربي لي جعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع
يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا ونحو هذا فاذا جعلت تضمر عت اليك واذا شبعت حمدتك
وشكرتك وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت
لسارت معي جبال مكة ذهبا جاني ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت
نبيأ عبدا وان شئت نبيأ ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فأشار لي أن ضع نفسك فقلت نبيأ
عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا ويقول آكل كايأ كل
العبد وأجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن
ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ان الله يحبك أن يعطيك مفااتيح كل شيء لم يعطه أحد اقبالك ولا يد طبعه أحد ابعذك من غير
أن ينقصك مما أؤد الشئ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجتمعها لي في الآخرة فنزل تبارك الذي
ان شاء الآية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل وفيه وجهان
أحدهما أنه مستأنف والثاني أنه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا وقع ما ضيا جاز
في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان آتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

والباقيون بالجزم ويجوز في يجعل لك اذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع * ثم
أضرب سبحانه وتعالى عن كلامهم في حق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (بل) أي
لا يظنوا أنهم كذبوا بما جئت به لانهم لا يعتقدون فيك كذبا بل (كذبوا بالساعة) أي القنامة
فقصرت أنظارهم على الخطام الدنيوى وظنوا أن الكرامة انما هي بالمال فلا يرجون ثوابا ولا
عقابا فلا يتكلفون النظر والفكر ولهذا الآية تنعون بما يورد عليهم من الدلائل (وأعدنا) أي
والحال انا أعدنا أي هيأنا بالنا من العظمة (لمن كذب) من هؤلاء وغيرهم (بالساعة سعيرا) أي
نارا شديدة الاتقاد بما أعظموا الحريق في قلوب من كذبهم من الانبياء وأتباعهم وعن الحسن
أن السعير اسم من أسماء جهنم * (تنبيه) * احتج أحل السنة على أن الجنة مخلوقة بقوله تعالى
أعدت للمتقين وعلى أن النار وهي دار العقاب مخلوقة بهذه الآية (اذا رأيتهم من مكان بعيد)
وهو أقصى ما تمكن رؤيته منهم وقال الكلبي والسدى من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوأ عيني جهنم مقعدا قالوا وهل
لهم من عيني قال نعم ألم تسمع قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد وقال البضاوي تبعنا
للزحشري إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا ترائي نارا هما أي لا تتقاربان
بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على الجواز انتهى وهذا تأويل للامثلة بناء منهم على
أن الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف الاشاعة فانهم يجوزون رؤيتها حقيقة كتغيطها وزفيرها
في قوله تعالى (سمعوا لها تغيطا) أي غلينا كالغضب ان ادغى صدره من الغضب (وزفيرا) أي
صوتا شديدا اذا لامتناع من أنها تكون رائية مغناطة زافرة وأشار البضاوي الى ذلك بعد
ما ذكره بقوله هذا وان الحماة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبيئة أمكن أن يخلق الله فيها حياة
فقرى وتغيط وزفر وقال الجلال الهلي وسماع التغيط رؤيته وعلمه انتهى قال عبد الله بن عمر
تفرج جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خروجه و قبل اذا رأتهم
زبايئهم تغيطوا وزفروا غضبا على الكفار لا انتقام منهم فنسب اليها على حذف مضاف (واذا
ألقوا) أي طرحوا طرح اهانة (منها) أي النار (مكانا) ثم وصفه تعالى بقوله تعالى (ضيقا)
زيادة في قطعتهما قال ابن عباس يضيق عليهم كايضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي مصنفين
زيادة قد قرنت أيديهم الى أعناقهم من الاغلال وقد قيل الكرب مع الضيق كما أن الروح
مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان
لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله تعالى على أهل النار أنواع الضيق
والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما مرغن ابن عباس أنه يضيق
عليهم كايضيق الزج في الرمح وهو منقول أيضا عن ابن عمر وشئ النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكروهون في النار كما يستكروه الوثني في الحائط وهم مع ذلك
الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم ويقرن مع كل كافر شيطانه
في سلسله في أرجلهم * (تنبيه) * مكانا منصوب على الظرف ومنها في محمل نصب على الحال
من مكانا لأنه في الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول ألقوا وقرأ ابن كثير ضيقا بسكون
الياء والباقون بكسر الياء مشددة (دعوا هتلك) أي في ذلك المكان البغيض البعيد
عن الرفق (ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقال الضحاك هلا كافة قولون واثبورا هذا حينئذ
وزمانك لأنه لا مدام لهم غيره وليس يحضر أحد منهم سواه قال البغوي وفي الحديث ان أول
من يكسى حلة من النار بلديس قبضه على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه
وهو يقول يا ثبورا وهم ينادون يا ثبورهم حتى يشفوا على النار فيقال لهم (لاندعوا اليوم)
أي أيها الكفار (ثبورا واحدا) لانكم لا تموتون اذا حلت بكم أسباب العذاب والهلاك
(وادعوا ثبورا كثيرا) أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة أو ادعوا أدعية كثيرة
وقال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبه * ولما وصف تعالى

العقاب المعتد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكده الحسرة والندامة بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء
 البعداء البغضاء (أذلك) أي المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد) أي الإقامة
 الدائمة (التي وعد المتقون) أي وعدا الله تعالى لهم فالراجع إلى الموصوف وهو هاء وعدها
 محذوف (فان قيل) كيف يقال العذاب خير أم جنة الخلد وهل يجوز أن يقول القائل السكر
 أحلى أم الصبر (أجيب) بأنه يحسن في معرض التقرير كما إذا أعطى السيد عبده مالا
 فتردوا بى واستكبر فضر به ويقول له هذا خير أم ذلك قال أبو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع
 نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا تريد منكم جزاء ولا شكورا
 (فان قيل) الجنة اسم لدار الخلد فأى فائدة في قوله تعالى جنة الخلد (أجيب) بأن الإضافة
 قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ وهذا من هذا
 البيان أول التمييز عن جنات الدنيا ثم حقق تعالى أمر دأنا كيد البشارة بقوله (كانت لهم جزاء)
 أي ثوابا على أعمالهم بفضل الله تعالى وكرمه (ومصيرا) أي مرجعا (فان قيل) إن الجنة مستصير
 للمتقين جزاء ومصير الكفار بعد ما صارت كذلك فلم قال تعالى كانت (أجيب) من وجهين
 الأول أن ما وعد الله تعالى فهو في تحققه كالواقع الثاني أنه كان مكتوبا في الألواح المحفوظة
 قبل أن يخلقهم الله تعالى بأمره متطاولة إن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قيل) لم جمع تعالى
 بين الجزاء والمصير (أجيب) بأن ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت من تقا قدح الثواب
 ومكانه كما قال تعالى بنس الشراب وساء من تقا قدح العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتعم
 الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والانتغص وكذلك العقاب يتضاعف
 بغشائه الموضوع وضيقه وظلمته فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * (تنبيه) * المتقي يشتمل من
 اتقى الكفر وان لم يتق المعاصي وان كان غيره أكمل * ثم ذكر تعالى تنعمهم فيها بعد أن ذكر
 نعيمهم بقوله تعالى (لهم فيها) أي الجنة (ما يشاؤون) من كل ما تشتهيه أنفسهم كما قال تعالى
 ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم وفيها ما تشتهون الأنفس (فان قيل) أهل الدرجات النازلة إذا
 شاهدوا الدرجات العالية لا بد وأن يريدوها فإذا سألوا ربهم فإن أعطاها لهم لم يبق بين الناقص
 والكمال تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون (أجيب)
 بأن الله تعالى يزيل هذا الخاطر عن قلوب أهل الجنة ويشتهون بما هم فيه من اللذات عن
 الالتفات إلى حال غيرهم وقوله تعالى (خالدين) منصوب على الحال أمامن فاعل يشاؤون وأما
 من فاعل لهم لوقوعه خيرا والعايد على ما يحذوف أي لهم فيها الذي يشاؤون حال كونهم
 خالدين وقوله تعالى (كان على ربك) أي وعدهم ما ذكر (وعدا) يدل على أن الجنة جعلت لهم
 بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق وقوله تعالى (منشورا) أي مطبوعا باختلاف في السائل
 فالأكثر على أن المؤمنين سألوا ربه في الدنيا حين قالوا ربنا وأنتنا ما وعدتنا على رسلك روي أنه
 صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من يدعو بدعوة ليس فيها ثم ولا قطعة رجم الأعداء بها
 إحدى ثلاث أما أن يجعل له دعوته وأما أن يدخرها له في الآخرة وأما أن يصرف عنه من

السوء مثلها قالوا اذ انكسر قال الله تعالى اكفر وروى أنه يدعى بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه الله تعالى بين يديه فيقول عبدى فيقول نعم يارب فيقول انى امرتك أن تدعوتنى ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوتنى اما انك لم تدعنى بدعوة الا استجبت لك أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لم نزل بك ان أفرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يارب فيقول انى بعلمت انك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لم نزل بك ان أفرج عنك فلم تفرج يا قال نعم يارب فيقول انى ادخرت لكى فى الجنة كذا وكذا ودعوتنى فى حاجة أقصم لك فى يوم كذا وكذا فقصيتها فىقول نعم يارب فيقول انى بعلمت انك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقصم لك فلم ترقضها فيقول نعم يارب فيقول انى ادخرت لكى فى الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعا عبده المؤمن الا بين له اما أن يكون عمل له فى الدنيا واما أن يكون ادخله فى الآخرة فيقول المؤمن فى هذا المقام باليسة لم يكن عمل له شئ من دعائه وروى لا تعجلوا فى الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء أحد وروى ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة وروى يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيه يقول دعوت فلم يستجب لى وروى لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر أى عمل عند ذلك ويدع الدعاء فليدع الانسان وهو موقن بالاجابة وقال محمد بن كعب القرظى العلق من الملائكة للمؤمنين سألو اربهم للمؤمنين بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوها بلسان الحال لانهم لما تحموا المشقة الشديدة فى طاعة الله كان ذلك قائما مقام السؤال قال المتنبى

وفى النفس حاجات وفك فطانة * سكوتى كلام عندها وخطاب

* ولما ذكر تعالى حالهم فى أنفسهم أتبعه ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه بقوله تعالى (ويوم) أى واذكر لهم يوم (نحشرهم) أى المشركين وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون واختلاف فى المراد بقوله تعالى (وما يعبدون من دون الله) أى غيره فقال الا كثرون من الملائكة والجن والمسبح وعزرو غيرهم وقال عكرمة والضحاك والكلى من الاصنام فقل لهم كيف يخاطب الله تعالى الجاد بقوله تعالى (فيقول أنتم أضللتم عبادى هؤلاء) أى أوقعتمهم فى الضلال بأمركم اياهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أى طريق الحق بأنفسهم فأجابوا بوجهين أحدهما انه تعالى يخلق الحياة فيم اويخاطبها فانهم ما أن يكون ذلك بالكلام النفسانى لا بالقول اللسانى بل بلسان الحال كما ذكره بعضهم فى تسبيح الجاد وكلام الايدى والارجل ويجوز أن يكون السؤال عامالهم جميعا (فان قيل) كيف صح استعمال ما فى العقلاء (أجيب) على الاول بأنه أريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الاتراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيدت عنى أطويل أم قصير فقيه أم طيب وقال تعالى والسماء وما بناها ولا أنتم عابدون ما أعبد وأما على القول الثانى فواضح وأما على القول الثالث فغلب غير العاقل

الغلبة عبادة أو تحقيرا (فان قيل) ما فائدة هذا السؤال مع ان الله تعالى كان عالما في الازل بحال
 المسؤل عنه (أجيب) بأن هذا سؤال تقرير للمشر كين كما قال لعيسى عليه السلام أفأنت قلت
 للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقرأ ابن عامر فقول بالذنون والباقون بالياء وقرأ
 أنتم نافع وابن كثير بتسهيل الثانية وادخال ألف بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن
 كثير بتسهيل الثانية ولا ألف بينهما وبين الاولى ولورش وجه آخر وهو ابدال الثانية ألفا
 وهشام بتسهيل الثانية وتحقيقهما مع الادخال والباقون بتحقيقهما وقرأ هؤلاء أم هم نافع وابن
 كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة من أم ياعنصرة والباقون بتحقيقها (قالوا سبحانك)
 أي تنزيها لك عما لا يليق بك أو تعجبا عما قيل لهم لانهم اماما لا تسبوا أو انبياء معصومون فما
 أبعدهم عن الضلال الذي هو مختص بالبدن وجنوده أو جمادات وهي لا تقدر على شيء أو اشعارا
 بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبده (ما كان ينبغي) أي يستقيم
 (لنا أن نتخذ) أي تسكف أن نأخذ باختيارنا بغير ارادة منك (من دونك) أي غيرك (من أولياء)
 له صفة أو لعدم القدرة فكيف يستقيم لنا أن نأمر بعبادتنا (فان قيل) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل
 أضللتهم عبادة هؤلاء أم ضلوا السبيل (أجيب) بأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لا
 وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام
 حتى يعلم أنه المسؤل عنه * (تنبيه) * من أولياء مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله
 المفعول الثاني ولما تضمن كلامهم انهم نضلوا ولم يحملهم على الضلال حسن الاستدراك
 بقولهم (ولكن متعمد وآباءهم) وهو أن ذكر واسبه أي أئمت عليهم وعلى آباءهم من قبلهم بأنواع
 النعم والصحة وطول العمر في الدنيا فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم عكس القضية (حتى نسوا
 الذكرك) أي تركوا الايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكره وعقلوا عنه (وكافوا) أي في علمك
 بما قضيت عليهم في الازل (قوم ابورا) أي هلكي وهو مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد
 والجمع أو جمع باثر كعائذ وعوذ وقوله (فقد كذبكم) فيه التفات الى العبد بالاحتجاج والالزام
 على حذف القول والمعنى فقد كذب المعبودون العابدين (بما) أي بسبب ما (تقولون) أي أيها
 العابدون من أنهم يستحقون العبادة وأنهم يشفعون لكم وأنهم أضلواكم ولما نسب عن
 تخليصهم عن عبدتهم أنه لا نفع في أيديهم ولا ضرر قال تعالى (فما يستطيعون) أي المعبودون
 (صرفا) أي لشيء من الأشياء عن أحد من الناس لأنهم ولا غيركم من عذاب ولا غير وجه حيلة
 ولا شفاعاة ولا معاداة (ولا نصرا) أي منعا لكم من الله تعالى ان أراد بكم سوءا وهذا نحو قوله
 تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقرأ حفص بالتاء على الخطأ والباقون بالياء
 على الغيبة (ومن يظلم) أي بالشرك (ممنكم) أي أيها المكافون (نذقه) أي بما لنا من العظمة
 (عذابا كبيرا) أي شديدا في الدنيا بالقتل أو الاسر أو ضرب الجزية وفي الاخرة بنار جهنم * روى
 الضحاك عن ابن عباس أنه قال لماعير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم
 ما هذا الرسول الى آخرها أنزل الله تعالى (وما أرسلنا قبلك) أي يا أشرف الخلق أحدا (من)

المرسلين الا وحالهم انهم لياكلون الطعام كاتأكل وياً كل غيرك من الادميين ويمشون
 في الاسواق كما تفعل فهم هذه عادة مستمرة من الله تعالى في كل رسوله وهم يعلمون ذلك بالسمع
 من اخبارهم وهذا تأكيد من الله تعالى لانهم لا يكذبونه صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
 وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا قد قيل لهم مثل هذا انهم يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
 كما قال تعالى في موضع آخر ما يقال لك الا قد قيل للرسل من قبلك (وجعلنا) أى بالعطاء والمنع
 بالثامن العظمة (بعضكم) أى أيها الناس (لبعض فتنة) أى بلية والمعنى أنه تعالى ابتلى المرسلين
 بالمرسل اليهم وبما صبتهم والعداوة لهم وأقاولهم الخارجة عن حد الانصاف وبجعل الفتنة
 فتنة للفقير والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع يقول الثاني من كل مالى لأكون
 كالاول وقال ابن عباس جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون
 من خلافهم فتنبعوا الهدى أم لا وقال مقاتل زلت هذه الآية في أبى جهل والوليد بن عتبة
 والعاصم بن وائل والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا الأذروا بن مسعود وعماراً وبلاً وصهيباً
 وعامر بن فهيرة ومن دونهم قد أساوا قبائلهم فقالوا أنسلم ونكون مثل هؤلاء وقيل جعلنا لك فتنة
 لهم لانك لو كنت غنياً صاحب كنوز وحنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدينا فتكون
 موزجة بالدينا وانما بمنالك فقير التكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوى
 وقوله تعالى (أتصبرون) أى على ما تسمعون مما ابتليتم به استقامتكم على الأمر أى اصبروا (وكان
 ربك) أى المحسن اليك احساناً لم يحسنه الى أحد سواك لاسيما يجعلك نبياً عبداً (بصيراً) أى بكل
 شئ فهو عالم بالانسان قبل الامتحان لم يفده ذلك علم لم يكن عنده واسكن يعلم ذلك شهادة كما يعلم
 علم الغيب ولتقوم عليهم بذلك الحجة فلا يضيقة صدرك ولا تنسفقت أقاويلهم فان صبرك عليها
 سعادتك وفوزك في الدارين روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم من فضل عليه في
 المال والجسم فامتنظر الى من هو دونه في المال والجسم وروى انظر الى من هو أسفل منك ولا
 تنظروا الى من هو فوقكم حذر أن تزدروا نعمة الله عليكم * الشبهة الرابعة للكرى نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافون البعث قال الفراء الرجا
 بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى مالمكم لا ترجون الله وقاراً أى لا تخافون الله عظمة
 (لولا) أى هـ لا ولم لا (أنزل) أى على أى وجه كان من أى منزل كان (علينا الملائكة) كما نزلت
 عليه فيما يزعم وكانوا رسل الانبياء وفتخبرنا بصدقه (أو نرى ربنا) بحاله علينا من الاحسان وعلينا
 نحن من العظمة بالقوة بالاموال وغيرها فأيامنا بما يريد من غير حاجة الى واسطة قال الله ردنا
 عليهم (لقد اساءت كبروا) أى تعظموا (آتى) شأن (أنفسهم) أى أظهروا الاساءة تكبر عن الحق
 وهو الكفر والعداوة في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
 (وعتوا) أى تجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبراً) أى بالغاً أقصى مراتبه حيث عابوا المعجزات
 الظاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا انفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامع النفوس القدسية
 واللام جواب قسم محذوف وفي خوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى

أَنَّ الْمُعْنَى مَا أَشَدَّ اسْتِكْبَارَهُمْ وَمَا كَبَّرَتْهُمُ * ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى لَهُمْ حَالَهُمْ عِنْدَ بَعْضِ مَا طَلَبُوا بِقَوْلِهِ
 تَعَالَى (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) أَيَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ الْمَوْتِ (لَا بُشْرَى) أَيَّ مِنَ الْبُشْرَى
 أَصْلًا (يَوْمَئِذٍ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (لِلْجَحِيمِ) أَيَّ الْكَافِرِينَ أَمَا ظَاهِرُ فِى مَوْضِعِ ضَمِيرٍ وَلَمَّا لَانَهُ عَامٌ
 فَقَدْ تَنَاوَلَهُمْ بِعَمُومِهِ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَهَلُمَّ الْبُشْرَى بِالْجَنَّةِ * (تَنْبِيهِ) * فِى نَصْبِ يَوْمٍ أَوْ جِهَةٍ
 أَحَدُهَا أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِأَخْبَارِ فِعْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى لَا بُشْرَى أَيَّ يَنْعَوْنَ الْبُشْرَى يَوْمَ يَرَوْنَ
 الثَّانِى بِإِذْكَرٍ فَيَكُونُ مَعْنَى لَابِهِ الثَّالِثُ يَتَعَذَّبُونَ بِمَقْدَرِهِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ نَفْسُ الْبُشْرَى
 لَوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مَصْدَرٌ وَالْمَصْدَرُ لَا يَعْمَلُ فَيَمَاقِلُهُ وَالثَّانِى أَنَّهُ مُنْقَضَةٌ بِمَا بَعْدَ لَا لَا يَعْمَلُ
 فَيَمَاقِلُهُ أَوْ قَوْلُهُ (وَيَقُولُونَ) أَيَّ فِى ذَلِكَ الْوَقْتِ (جَحْرًا مَحْجُورًا) عَطْفٌ عَلَى الْمَدْلُولِ وَيَقُولُ الْكَفَرَةُ
 لَهُمْ حِينَئِذٍ هَذِهِ الْكَلِمَةُ اسْتِعَاذَةٌ وَطَلَبُ مَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمْنَعَ لِقَاءَ الْمَلَائِكَةِ عَنْهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا
 يَطْلُبُونَ نَزُولَ الْمَلَائِكَةِ وَيَقْتَرِحُونَهُ وَهُمْ إِذَا رَأَوْهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَرِهُوا الْقِيَامَةَ
 وَفَرَّغُوا مِنْهُمْ لَانَهُمْ لَا يَلْقَوْنَهُمْ إِلَّا بِكُرْهٍ وَقَالُوا عِنْدَ رُؤْيِهِمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَهُ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَذْرَاءِ
 وَالشَّدَةِ النَّازِلَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ جَحْرًا مَحْجُورًا يَضَعُونَهُ أَوْ مَوْضِعَ اسْتِعَاذَتِهِمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ إِذَا عَابَهُوا
 الْمَلَائِكَةَ قَالَ سَبِيحُ يَهُ يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ تَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ جَحْرًا وَهِيَ مِنْ جَحْرِهِ إِذَا مَنَعَهُ
 لِأَنَّ الْمُسْتَعِذَ طَالِبٌ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَمْنَعَ الْمَكْرُوهَ عَنْهُ فَلَا يَحِقُّهُ وَكَانَ الْمَعْنَى أَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَمْنَعَ ذَلِكَ
 مَنَعًا وَيَحْجُرُهُ جَحْرًا وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ حَرَامًا مَحْرَمًا أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ الْأَمِنْ قَالَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقِيلَ إِذَا خَرَجَ الْكَافِرُ مِنْ قَبْرِهِمْ يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ حَرَامٌ مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ
 أَنْ تَكُونَ لَكُمْ الْبُشْرَى * وَلَمَّا كَانَ الْمَرْيدُ لَا يَطْلُبُ شَيْئًا لَشَدَّةِ كَرَاهَتِهِ لَهُ لَا يَنْقَعُ فِى إِطْلَاقِهِ بغيرِهِ بَلْ
 يَأْتِيهِ بِنَفْسِهِ فَيَسْأَلُهُ عِبْرَتَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ (وَقَدْ مَنَّا) أَيَّ وَعَدْنَا بِمَا نَأْمَنُ الْعِظَمَةَ وَالْقُدْرَةَ الْبَاسِعَةَ فِى
 ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِى يَرَوْنَ فِيهِ الْمَلَائِكَةَ سِوَاهُ كَانَتْ فِى الدُّنْيَا أَمْ فِى الْآخِرَةِ (إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ)
 أَيَّ مِنْ مَكَارِمِ الْإِخْلَاقِ مِنَ الْجُودِ وَصَلَةِ الرَّحْمِ وَأَعَانَةِ الْمَلْهُوفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ (فَلَعَلَّاهُ) أَيْ كَوْنُهُ
 لَمْ يُوَسَّسْ عَلَى الْإِيمَانِ وَانْمَاحَ وَهُوَ لِلْهَوَى وَالشَّيْطَانِ (هَبَاءٌ) وَهُوَ مَا يَرَى فِى شِعَاعِ الشَّمْسِ
 الدَّاخِلِ مِنْ كَوْنِهِ بِمَا يَشَبَّهُ الْقُبَارَ (مَنْثُورًا) أَيَّ مَفْرَقًا أَيَّ مِثْلَهُ فِى عَدَمِ النِّفْعِ إِذَا ثَوَابٌ فِيهِ لِعَدَمِ
 شَرْطِهِ وَيَجَازُونَ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا فَتَكُونُ النَّارُ مِنْهُمْ مُسْتَقَرَّةٌ وَمَقْبَلَةٌ وَلِهَذَا بَيَّنَّ حَالُ أَصْدَادِهِمْ
 وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ) أَيَّ يَوْمِ إِذْ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ (خَيْرٌ مِنْهُمْ) (أَيَّ
 مِنَ الْكَافِرِ) (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) مِنْهُمْ وَالْمُسْتَقَرُّ الْمَكَانُ الَّذِى يَكُونُونَ فِيهِ أَكْثَرًا وَقَاتِهِمْ
 مُسْتَقَرِّينَ يَتَجَالَسُونَ وَيَتَعَادَلُونَ وَالْمَقِيلُ الْمَكَانُ الَّذِى يَأْوُونَ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ تَرَوَّاحٌ إِلَى أَرْوَاجِهِمْ
 وَالتَّمَتُّعُ بِغَيْرِ لَهْتَيْنِ وَمَلَامَسَتُهُنَّ كَمَا أَنَّ الْمُتَرَفِّينَ فِى الدُّنْيَا يَعِيشُونَ عَلَى ذَلِكَ التَّرْتِيبِ رَوَى أَنَّهُ يَفْرُغُ
 مِنَ الْحِسَابِ فِى نِصْفِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَقِيلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِى الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ فِى النَّارِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ
 لَا يَتَمَتَّعُ النَّهَارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقِيلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِى الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ فِى النَّارِ وَقَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ فِى هَذِهِ الْآيَةِ الْحِسَابُ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي آوَلِهِ وَقَالَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقْصُرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى
 يَكُونَ قَدْرُ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ * (تَنْبِيهِ) * فِى أَفْعَلٍ هَهُنَا قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَعْلَى

بأنهم من التفضيل والمعنى أن المؤمنين خير في الآخرة مستقراً من مستقر الكفار وأحسن
 مقبلاً من مقبليهم ولو فرض أن يكون لهم ذلك أو على أنهم خير في الآخرة منهم في الدنيا والثاني
 أن يكون لجرد الوصف من غير مقاضاة ومن ذلك المعنى قوله تعالى أن أصحاب الجنة اليوم في
 شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ذكر وافي تفسير الشغل اقتضاض
 الأكل والناسحى مكان دعوتهم واسترواحهم الحور ومقبلاً مع أنه لا نوم في الجنة على طريق
 التشبيه * ثم عطف تعالى على قوله يوم يرون قوله تعالى (ويوم تشق السماء) أى كل سماء
 (بالغمام) أى كما تشق الأرض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها وهو غيم أبيض رقيق مثل
 الضباب ولم يكن إلا بين إسرائيل في تيههم * (تنبيه) * في هذه الباء ثلاثة أوجه أحدها أنها
 سببية أى بسبب الغمام يعنى سبب طلوعه منها ونحوه السماء منقطر به كانه الذى تشق به
 السماء الثاني أنها للحال أى ملتبسة بالغمام الثالث أنها بمعنى عن أى عن الغمام كقوله تعالى
 يوم تشق الأرض عنهم سراعا والباء وعن يتعاقبان تقول رميت عن القوس وبالقوس وقرأ
 أبو عمرو والكوفون بتخفيف الشين والباقون بتشديدها ثم أشار تعالى إلى جهل من طلب
 نزول الملائكة دفعة واحدة بقوله تعالى (ونزل الملائكة) أى بالتدريج بأمر حتم لا يمكنهم
 التخلف عنه بأمر من الأمور وغيره من الذين طلبوا أن يروهم في حال واحد (تنزيلاً) في أيديهم
 صحائف الأعمال قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من في الأرض من
 الجن والانس ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر من أهل سماء الدنيا وأهل
 الأرض جنًا وانسًا ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يدورون على السماء
 التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حمله العرش (فان قيل) ثبت أن نسبة الأرض إلى سماء الدنيا
 كحكمة في فلاة فكيف تسع الأرض هؤلاء (أجاب) بعض المفسرين بأن الملائكة تكون في
 الغمام والغمام يكون مقر الملائكة ويجوز أن الله تعالى يوسع الأرض حتى تسع الجميع وقرأ
 ابن كثير بتوئين الأولى مضعومة والثانية ساكنة وتخفيف الزاى ورفع اللام ونصب الملائكة
 والباقون بنون واحدة والزاى مشددة ونصب اللام ورفع الملائكة ثم بين تعالى أن ذلك اليوم
 لا يقضى فيه غيره بقوله تعالى (الملك يومئذ) أى اذ تشق السماء بالغمام ثم وصف الملك بقوله
 تعالى (الحق) أى النابت ثباتاً لا يمكن زواله ثم أخبر عنه بقوله تعالى (الرجن) أى العام الرجة
 في الدارين ومن عموم رجنه وحقيقته ما كنه أن يسر قلوب أهل وده بتعذيب أهل عداوته
 الذين عادوهم فيه لتضييعهم الحق باتباع الباطل ولولا اتصافه بالرجة لم يدخل أحد الجنة (فان
 قيل) مثل هذا الملك لم يكن قط إلا للرجن فما الفائدة في قوله تعالى يومئذ (أجيب) بأن في ذلك
 اليوم لا مالك له سواء لاقى الصورة ولا فى المعنى فتخضع له الملوكة وتغفله الوجود وتذل له الجبابرة
 بخلاف سائر الأيام (وكان) أى ذلك اليوم الذى تظهر فيه الملائكة الذى طلب الكفار رؤيتهم له
 (يوم على الكافرين عسيرا) أى شديد العسر والاستعصار * (تنبيه) * هذا الخطاب يدل على أنه
 لا يكون على المؤمنين عسيرا جاء في الحديث أنه يوم يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه

أخف من صلاة مكتوبة صلاحاً في الدنيا وقوله تعالى (ويوم يعرض الظالم) أي المشرط لظرف
تأنيده لما يرى فيه من الإهوال معقول لمحذوف أو معطوف على يوم تشقق وأل في الظالم تحتل
العهد والجنس لكن قال ابن عباس أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان
لا يقدم من سفر الا صنع طعاماً ودعا اليه جهر اجترانه وأشراف قومه وكان يكثر بحجالة النبي
صلى الله عليه وسلم ويحببه حديثه فقدم ذات يوم من سفر فضع طعاماً ودعا الناس ودعا النبي
صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد
أن لا إله الا الله وإني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله
فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقاً لابي بن خلف فلما أتى أبي بن خلف قال له
يا عقبة صيأت فقال لا والله ما صيأت ولكن دخل على رجل فاني أن يأكل طعامي الا أن أشهده
فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال ما أنا بالذي
أرضى منك أبداً الآن تأتيه وقبص في وجهه وتطافقه وتطلم وجهه وعينه فوجد ساجداً في
دار الندوة ففعل ذلك عقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أقاله خارجاً من مكة الا علوت رأسك
بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبراً أمر علياً رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أفلح
الأنصاري وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد طعنه في المبارزة فزجج
إلى مكة ومات قال الضحالك لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه في وجهه
فاحترق خداه فكان أثر ذلك فيه حتى مات وقال الشعبي كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة
فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان يابعت محمداً فكفروا به وارتدوا فأنزل الله تعالى (ويوم يعرض
الظالم أي عقبة (على يديه) قال الضحالك يا كل يديه إلى المرفق ثم تثبت ولا يزال هكذا كلما
أكلها تبنت وقال المحققون هذه اللفظة للتخسر والغم يقال عرض أنامله وعرض على يديه وهو
لا يشعر حال كونه مع هذا الفعل (يقول) أي يجده في كل لحظة قوله (يا ليتني اتخذت) أي
أرغمت نفسي وكافهم أن أخذني في الدنيا (مع الرسول) أي محمداً صلى الله عليه وسلم (سبيلاً)
أي طراً بقا إلى الهدى * ولما تأسف على مجاورة الرسول ندم على مضادقة غيره بقوله (يا وليتي)
أي يا هلالاً الذي ليس لي منادم غيره لأنه ليس يحضرني سواء (ليتني لم ألتحق فلانا) أي أيساً
(خليلاً) أي صديقاً وافقه في أعماله المألعت من سوء عاقبتك فكنى عن اسمه وان أراد به الجنس
فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان خليله اسم علم عليه لا محالة فجعله كناية عنه وقرأ أبو عمرو
بفتح الياء والباءقون بالسكون وأظهر الدال عند التاء ابن كثير وحقق وأدغمها الباقون ثم
استأنف قوله الذي يتوقع كل سامع أن يقوله (أقد) أي والله لقد (أضلني عن الذكر) أي عني على
طريق القرآن الذي لا ذكر في الحقيقة غيره وضربني عنه والجللة في موضع العلة لما قبلها (بعد
اذ جاءني) ولم يكن لي منه مانع يردني عن الإيمان به وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال
والباءقون بالادغام وقوله تعالى (وكان الشيطان) إشارة إلى خليله سماه شيطاناً لأنه أضله
كما يضل الشيطان أو إلى كل من كان سبباً للضلال من عتاة الجن والانس (لأنسان خذولاً) أي

شديد الخذلان بوردته ثم ينسله الى أكره ما يكون لا ينصره ولو أراد ما استطاع بل هو في شر من ذلك
 لان عليه أئمة في نفسه ومثل ائمة من أضله * (تنبيه) * حكم هذه الآية عام في كل خليلين ومخابئين
 اجتمعوا على معصية الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل
 المسك ونافخ الكبر ما أن يجرق ثيابك وما أن يجردك وما أن يتباع منه وما أن تجدر بحاطبية
 ونافخ الكبر ما أن يجرق ثيابك وما أن تجدر بحاطبية وقال صلى الله عليه وسلم المرء على
 دين خليله فليتنظر أحدكم من يخال قال صلى الله عليه وسلم لان صاحب الامؤمنين لا يأكل
 طعامك الا تقي * ولما ذكر تعالى أقوال الكفار ذكر قول رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله
 تعالى (وقال الرسول يا رب) أي أيها المحسن الى بأنواع الاحسان وعبر باداة البعد هضمها
 لنفسه ومباغة في التضرع (ان قومي) أي قريشا الذين لهم قوة ومنعة (اتخذوا هذا
 القرآن) أي المفتضى للاجتماع عليه والمبادرة اليه (مشجورا) أي تروكوا عبيد المومنين وابه
 ولم يقبلوه وأعرضوا عن استماعه * (تنبيه) * أشار بصيغة الاقتعال الى أنهم عاجلوا أنفسهم
 في تركه علاجا كثيرا ما يرون من حسن نظمه ويزدقون من لذيذ معانيه ورائق أساليبه واطيف
 بحجابه وبديع غرائبه وأكبر المفسرين على أن هذا القول وقع من النبي صلى الله عليه
 وسلم وقال أبو مسلم بل المراد أنه يقول في الآية كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة
 بشهيد الآية والاول أولى لان قوله تعالى (وكذلك) أي كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك
 (جعلنا لكل نبي) من الانبياء قبلك رفعة لدرجاتهم (عدوا من الجرمين) أي من المشركين
 تسليمة له صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى يقول له فاصبر كما صبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول
 منه (وكنتي ربك) أي المحسن اليك (هاديا) أي يهدي بك من قضى بسعادته (ونصيرا) أي ينصرك
 على من حكم بشقاوته * (تنبيه) * احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه تعالى خلق الخير والشر
 لان قوله تعالى لكل نبي عدو فايدل على أن تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر
 (فان قيل) قوله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا كقول نوح عليه السلام رب
 اني دعوت قومي ليلادني ارا فلم يزد هم دعائي الا فرارا فكيف ان المقصود من هذا انزال العذاب
 فكذلك ما هنا فكيف يليق هذا بن وعنه الله تعالى بالرجة في قوله تعالى وما أرسلناك الا رجة
 للعالمين (أجيب) بأن نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم
 لما ذكر هذا لم يدع عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك
 كلاما له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فافترقا * الشبهة الخامسة لم تكرر النبوة ما حكاه الله
 تعالى عنهم بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي الذين غطوا عداوة وحسد امائهم بقولهم
 بصحة من أن القرآن كلام الله تعالى لا يحازه لهم مقرر فافضل عن كونه مجمعا (ولولا) أي هلا
 (نزل عليه القرآن) أي أنزل كغيره بمعنى أخيرا لئلا يناقض قولهم (جمله) وأكثروا بقولهم
 (واحدة) أي من أوله الى آخره كما أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزيور على
 داود لتحقيق أنه من عند الله تعالى وبزول عنائهم وهم من أنه الذي يرتبه قليلا قليلا وهذا

الاعتراض في غاية السقوط لان الاعجاز لا يتخلف بنزوله بجملة أو متفرقا مع أن للتفريق قوائد
 منها ما أشار إليه بقوله تعالى (كذلك) أي أنزلناه شيئا فشيئا على هذا الوجه العظيم الذي أنكروه
 (النبت) أي تنوى (به قوائدك) أي قلبك تنعيه وتحفظه لأن الملقن انما يقوى قلبه على
 حفظ العلم شيئا فشيئا وجزأ عقب جزء ولما أتى عليه جملة واحدة لتعينا بحفظه والرسول على
 الله عليه وسلم فارت حاله داود وموسى عليهما السلام وعيسى حيث كان أميا لا يقرأ ولا
 يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزله الله عليه منجبا في عشرين
 سنة وقيل في ثلاث وعشرين سنة وأيضاً فكان ينزل على حسب الخواص وجوابات السائلين
 ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يأتى ذلك الا فيما أنزل مفردا (فان قيل) ذاق كذلك
 يجب أن يكون إشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله بجملة فكيف فسر كذلك بأنزلناه
 مفردا (أجيب) بأن الإشارة الى الانزال مفردا لا الى جملة والدليل على فساد هذا الاعتراض
 أيضا أنهم لم يحجزوا عن أن يأتيوا بفهم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أقصر السور
 فأبرزوا مصفحة يحجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذوابا بالمناسبة وفزعوا الى المجاذبة ثم
 قالوا لا نزل جملة واحدة كأنهم قد روعوا على تفاريقه حتى يقدر روعا على جلته وقوله تعالى
 (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال تعالى كذلك فرقناه ورتلناه
 ترتيلا ومعنى ترتيله قال ابن عباس ينهائنا والترتيل التبيين في ثبوت وثبت وقال السدي
 فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في اثربعض وقال الحسن تفريقا آية بعد آية ووقعة عقب
 وقعة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي
 اقرأه بترتل وثبت ومنه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في مصفحة قراءته لا كسر دم هذا
 لو أراد السامع أن يعتد بجزوفه لعدّها وقبل هو أن ينزله مع كونه متفرقا على نمك وتعمل في مدة
 متباعدة وهي عشرون سنة ولم تفرقه في مدة مقاربة * ولما كان التقدير قد بطل ما أتوا به من
 هذا الاعتراض عطف عليه (ولا يأتونك) أي بأشرف الخلق أي المشركون (بمثل) أي باعتراض
 في ابطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء يجتهدون في تنقيح وتحسينه وتدقيقه حتى يصير
 عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى (الاجتنالك) في جوابه (بالحق) أي الذي
 لا محمد عنه فيزهد ما أتوا به لبطالانه فسمى ما يوردون من الشبه مشلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا
 (وأحسن) أي من مثلهم (تفسيرا) أي بيان وتفصيلا * ولما كان التفسير هو التوكيف
 عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه
 كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجبية يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك فحو أن يقرن
 بك ملك يندرمعك أو يلقى اليك ككز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة واحدة
 الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا أن نعطاه وما هو أحسن
 فكشفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته * ثم بين تعالى حال هؤلاء المعاندين في الاخرة بقوله
 تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يجمعون قهرا ما شين مقلوبين (على وجوههم)

مسجونين (الى جهنم) أى كما أنهم لم ينظروا فى الدنيا بعين الانصاف فان الآخرة مرآة
 الدنيا مهما عمل هنأرأه هناك كما أن الدنيا مرآة الآخرة مهما عمل فيها حتى غمره هناك روى
 البخارى ان رجلا قال يا بنى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال الذى أمشاه
 على الرجلين فى الدنيا قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة وروى البيهقى يحشر الناس يوم
 القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الوجوه وصنف على الاقدام * ولما
 وصف الله تعالى المتعنتين فى أمر القرآن بهذا الوصف استأنف الاخبار عنهم بقوله تعالى
 (أولئك) أى البعداء البغضاء (نمر) أى شر الخلق (مكائا) هو جهنم (وأضل سبيلا) أى أخطأ
 طريقا من غيرهم وهو كفرهم * ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من الجرمين
 وذكر ذلك فى معرض التسلية لصلى الله عليه وسلم ذكر قصص جماعة من الانبياء وعرفه تكذيب
 أنهم زيادة فى تسلية * القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (ولقد
 آتينا) أى بما لنا من العظمة (موسى الكتاب) أى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أى
 معيناً (فان قيل) كونه وزيرا كلفنا فى لكونه شريكاً له فى النبوة والرسالة (أجيب) بأنه لا منافاة
 بين النبوة والرسالة والوزارة فقد كان يعث فى الزمن الواحد أنبياء متعددون ويؤمنون
 بأن يوازي بعضهم بعضاً * (تنبيه) * هرون بدل أوبيان أو منصوب على القطع ووزير امفعول ثان
 وقيل حال والمفعول الثانى معه ويدل على رسالة هرون عليه السلام قوله تعالى (فقلنا اذهب
 الى القوم) أى الذين فيهم قوة وقدرة على ما يعانونه وهم القبط فرعون وقومه (الذين كذبوا
 بآياتنا) فذهب اليهم بالرسالة فكذبوها (قدمناهم تدميرا) أى أهلكناهم اهلا كما أى فأنت
 يا محمد لست أول من كذب من الرسل فلك اسوة بمن قبلك (فان قيل) الفاء للعقيب والاهلال لم
 يحصل عقب بعثة موسى وهرون اليهم بل بعده بمدة مديدة (أجيب) بأن فاء العقب محمولة هنا
 على الحكم باهلا كهم لاعلى الوقوع أو على أنه على ارادة اختصار القصة فاقصر على حاشيتها
 أى أولها وآخرها لانهم المقصودان من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
 التدبير بتكذيبهم * (تنبيه) * قوله تعالى كذبوا بآياتنا ان حملنا تكذيب الآيات على الآيات
 الالهية فهو ظاهر وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ وان كان للماضى فالمراد به
 المستقبل * القصة الثانية قصة نوح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وقوم) أى ودمرنا
 قوم (نوح لما كذبوا الرسل) كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا وكان تكذيبهم
 لواحد منهم تكذبا للجميع بالقوة لان المعجزات هى البرهان على صدقهم وهى متساوية
 الاقدام فى كونها خوارق لا يقدر على معارضتها فالتكذيب بشئ منها تكذيب للجميع أولم يروا
 بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وهم قوم ينعون بعثة الرسل نسبوا الى رجل يقال له رهام قدمه
 لهم ذلك وقزروه فى عقولهم ولأنهم علوا تكذيبهم بأنه من البشر فزعمهم تكذيب كل رسول من
 البشر * ثم بين تعالى تدميرهم بقوله تعالى (أغرقتناهم) قال الكلبى أمطرنا عليهم السماء أربعين
 يوما وأخرج ماء الأرض أيضا فى تلك الأربعين فصارت الأرض بحرا واحدا (وجعلناهم) أى

قوم نوح في ذلك (للناس آية) أي بان بعدهم عبرة ليعتبر كل من سلك طريقهم (وأعندنا) أي
 هبأنا في الآخرة (لظالمين) أي للكافرين وكان الأصل اهلهم ولكنه تعالى أظهر تعميما
 وتعليقا للحكم بالوصف (عذابا أليما) أي مؤلما سوى ما يحل بهم في الدنيا * القصة الثالثة قصة
 هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وعادا) أي ودمرنا عادا قوم هود بالربح * القصة
 الرابعة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله (وعدودا) أي ودمرنا عدودا قوم صالح
 بالصيحة * القصة الخامسة المذكورة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) أي البئر التي هي غير مطوية
 أي مبنية قال ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر أي ودمرناهم
 بالخشف واختلف في نبيهم فقبل شعيب وقيل غيره كانوا عودا حولها فانهارت بهم وبنوازلهم
 فهلكوا جميعا وقال الكلبي الرس بئر يفلج الياقة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وفلج بفتح الفاء
 واللام والجيم قرية عظيمة بناحية اليمن من مساكن عاد وبسكون اللام واد قريب من البصرة
 وقيل الرس الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا التجار وقيل أصحاب حنظلة بن
 صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقه هاو كانت
 تسكن جبلهم الذي يقال له تخ قبل هو بناء فوقية فخاء معجمة أو مهملة وباء تسمية وجيم وهي
 تنقض على صيانتهم فخطفهم ان أعوزها الصمد فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم انهم
 قتلوا حنظلة فأهلكوا (وقرونا) أي ودمرنا قرونا (بين ذلك) أي الامر العظيم المذكور وهو
 بين كل أمتين من هذه الامم وقديكر اذا كرأشيا مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويجسب الجانب
 أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كبت وكبت على معنى فذلك المحسوب أو المعداد ثم قال الله
 تعالى (كثيرا) وناهيك بما يقول فيه سبحانه وتعالى انه كثير وأسند البغوى في تفسير أمة
 وسطا في البقرة عن أبي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة
 العصر فارتل شيئا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس
 النخل وأطراف الخيطان قال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كالبقي من يومكم هذا الا وان هذه
 الامة توفى سبعين أمة هي آخرها واكرمها على الله عز وجل ثم انه تعالى قال تسليمة لنبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم وأسية وبيان للنشر بعنه بالعفو عن أمتيه (وكلا) أي من هذه الامم
 (ضربنا) أي بما لنا من العظمة (له الامثال) حتى وضع له السيل وقام من غير شبهة الدليل
 (وكلا تبرنا تبيرا) أي أهلكنا اهلاكا وقال الاخفش كسرنا تكسيرا وقال الزجاج كل
 شيء كسرته وفتته فقد تبرته (ولقد أتوا) أي هؤلاء المكذبون من قومك (على القرية التي
 أمطرت) أي وقع امطارها من لا يقدر على الامطار سواء بالحجارة ولذا قال تعالى (مطر السوء)
 مصدر ساء وهي قرى قوم لوط قال البغوى كانت خمس قرى فأهلك الله تعالى أربعها منها
 لعملهم الفاحشة وبجنتهم واحدة منهم وهي صغر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (فان
 قيل) لم عبر تعالى بالقرية وهي قرى (أجيب) بأنه تعالى قال ذلك تحقير الشأن في جنب قدرته
 تعالى واهانة لمن يريد عذابه ولأنهم ما كرههم على الفاحشة جميعهم حتى كانوا كائنا منهم شيء واحد

وقوله تعالى (أفلم يكونوا يرون هابل كانوا اليرجون) أى لا يخافون (نشورا) أى بعثا
 بعد الموت لانه استعقر في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة واستعزوا بعلمه قرنا بعد
 قرن حتى تمكن منهم ذلك ~~تسكن~~ لا ينفع معه الاعتبار الأمن شاء الله (وآذار أولك) أى مع
 ما يعاون من صدق حديثك وكرم أفعالك ولولم تأتهم بمعجزة فكيف وقد آتيتهم بما بهر العقول
 (إن) أى ما (يتخذونك الالهزوا) أى مهزواً بك وعبر تعالى بالمصدرا إشارة الى ما بالغتم
 في الاستهزاء مع شدة بعده صل الله عليه وسلم عن ذلك يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا)
 أى في دعواه محققين له أن تأتية الرسالة وقولهم (إن) مخففة من الثقيلة أى انه (كذلك لنا)
 أى يصرفنا (عن آلهتنا) أى عن عبادتها بقرط اجتماعه في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
 بما سبق الى الذهن انها حجة ومعجزات (لولا ان ضربنا) أى بما لنا من الاجتماع والتعاضد
 (عليها) أى على التمسك بعبادتها قال الله تعالى (وسوف يعلمون) أى في حال لا ينفعهم
 فيه العمل ولا العلم وان طال مدة الامهال في التمكين (حين يرون العذاب) عيانا في الآخرة
 (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون * ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا
 على رجوعهم ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم سلاه تعالى بقوله تعالى متحجبا من حالهم
 (أرايت) أى أخبرني (من اتخذ الهه هواه) أى أطاعه وبنى عليه دينه لاسمع حجة ولا تنظر
 دليلا (فان قيل) لم أخره والاصل قولك اتخذ الهوى الهنا (أجيب) بأنه ما هو الاتقديم
 المقعول الثاني على الاول للناية كما تقول علمت منطلقا زيدا الفضل عمايتك بالمنطلق ولما كان
 لا يقدر على صرف الهوى الا الله تعالى تسبب عن شدة حرصه على هدايتهم بقوله تعالى (أفأنت
 تسكون عليه وكيل) أى حافظ تحفظه من اتباع هواه لا قدرة لك على ذلك (أم تحسب
 أن أكثرهم) أى هؤلاء المدعويين (يسمعون) أى سماع من ينزجر ولو كان غير عاقل كالبهائم
 (أو يعقلون) أى كالبهائم ما يرون وان لم يكن لهم سمع حتى تطمع في رجوعهم باختيارهم من
 غير قسر (فان قيل) انه تعالى لما نفي عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين
 وكيف بعث اليهم الرسول فان من شرط التكليف العقل (أجيب) بأنه ليس المراد أنهم
 لا يعقلون شيئا بل المراد أنهم لم يتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما أنت
 أعمى وأصم (فان قيل) لم خص الاكثر بذلك دون الكل (أجيب) بأنه كان منهم من آمن
 ومنهم من عقل الحق فكابراستكبارا وخوفا على الرياسة ولما كان هذا الاستهزاء مقيدا
 للنفي استأنف ما فهمه بقوله تعالى (إن) أى ما (هم الا كالانعام) أى في عدم انتفاعهم بقرع
 الآيات آذانهم وعدم تذكيرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل) أى منها
 (سبيلا) لانها تقادح في تعهد بها وتغيز من يحسن اليها عن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها
 وتجتنب ما يضرها وتهدى لراعيها ومشاربها وهؤلاء لا يتقادون لرهبهم ولا يعرفون احسانه
 اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون
 العقاب الذى هو أشد المضار والمهلك ولا يهتمون للعق الذى هو المشرع الهى والغضب الروى

* ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلائل التوحيد وبين فساد طريقهم ذكر أنواعا من
الدلائل على وجود الصانع أولها الاستدلال بالنظر الى حال الظل مخاطبا بأهل المخلصين
الناظرين هذا النظر حثا لاهل وده على مثل ذلك بقوله تعالى (ألم تر) أى تنظر (الى ربك)
أى الى صنعه وقدرته (كيف مد الظل) وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس يجعله مدودا
لانه ظل لا شمس معه كما قال تعالى فى ظل الجنة وظل عمودا لم يكن معه شمس وان كان بينهما
فرق وهو الليل لأن ظل الارض الممدود على قريب من نصف وجهها مدة تحجب نور الشمس
عما قابل قرصها من الارض حتى امتد بساطه وضرب فسطاطه كـما يجب ظل ضلالهم
أنوار عقولهم وغفلة طباعهم نفوذ اسماعهم (ولو شاء جعله) أى الظل (سأكا) أى دائما ثابتا
لا يزول ولا تذهب الشمس لاصفا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينفع به
أحد سعى انبساط الظل وامتداده تحركه كما منه وعدم ذلك سكونا لكنه تعالى لم يشأ بل جعله
متحركا كما يسوق الشمس له وقال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والناس ما نسخ
الشمس وهو بعد الزوال سعى فدا لانه فاه من جانب المشرق الى جانب المغرب (ثم جعلنا الشمس
عليه) أى الظل (دليلا) أى ان الناس يستدلون بالشمس وأحوالها فى مسيرها على
أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان أو زائلا ومتسعا أو متقلصا فلم تكن الشمس لما
عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أى الظل
(الينا) أى الى الجهة التى أردنا لا يقدرا أحد غيرنا أن يحوله الى جهة غيرها والقبض جمع
المنبسط من الشئ ومعناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت قبض الله
الظل (قبضا يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شئ من المنافع مالا
يعتد ولا يخصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا
وقبل المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض أسبابها وهى الاجرام
التي تلقى الظلال وقوله تعالى يسيرا كقوله تعالى حشر علينا يسيرا (فان قيل) ثم فى هذين
الموضعين كـ كيف موقعها (أجيب) بأن موقعها بيان تفاضل الامور الثلاثة كان
الثانى أعظم من الأول والثالث أعظم منهما ما تشبه التباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين
الحوادث فى الوقت * ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار وهو النوع الثانى قال تعالى مصرحا
بهما (وهو) أى ربك المحسن اليك وحده (الذى جعل) دليلا على الحق واظهارا للنعمة
على الخلق (لكم الليل) أى الذى تكامل به مد الظل (لباسا) أى ساترا للاشياء شبه ظلامه
باللباس فى ستره (والنوم سباتا) أى راحة لا يدان بقطع المشاغل هو عبارة عن كونه مونا أصغر
طاويا لما كان من الاحساس قاطعا لما كان من الشعور والتقلب فيه دلائل لاهل البصائر
قال البغوى وغيره وأصل السبب القطع وفى جعله تعالى لذلك من القوائد الدينية والدنيوية
ما لا يعتد ولا يخصى وكذا فى قوله تعالى (وجعل) أى وحده (النهار نشورا) أى منشورا
فيه لا بقاء الرزق وغيره وفى ذلك اشارة الى أن النوم واليقظة أعوذ جان للموت والنشور يحكى

ان لقمان قال لابنه يا بني: كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنتشر* ثم ذكر النوع الثالث بقوله تعالى
 (وهو) أي وحده (الذي أرسل الرياح) وقرأه ابن كثير بالافراد لارادة الجنس وقرأه الباقون
 بالجمع لكونها نارة صبا ونارة دبور ونارة شمالا ونارة جنوبا وغير ذلك ويستد الدعاء عند هبوب
 الريح ويكره سبها لخبر الرريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتوها فلا تسبوها
 واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن وقوله تعالى
 (نשרا) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمر وبضم النون والشين أي ناشرات للسحاب وقرأه ابن
 عامر بضم النون وسكون الشين على التخفيف وقرأه عاصم بالياء الموحدة مضمومة وسكون
 الشين جمع بشور بمعنى مبشر وقرأه جزء والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه
 مصدر وصف به (بين يدي رحمة) أي قدام المطر* ولما كان الماء مسببا عما تحمله الريح من
 السحاب أتبعه بقوله تعالى (وأنزلنا) أي بالنا من العظمة (من السماء) أي من السحاب
 أو الجرم المهود (ماء) ثم أبدل منه بيانا للنعمة به فقال تعالى (طهورا) أي طاهرا في نفسه
 مطهرا للغيره كما قال تعالى في آية أخرى ليطهركم به فهو اسم لما يطهر به كالوضوء لما يتوضأ به
 وكالستحور اسم لما يستحربه والبطور اسم لما يقطر به قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور
 ماؤه الحل ميتته أراد به المطهر فالماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والخبث وذهب
 بعض الأئمة الى أن الطهور هو الطاهر حتى يجوز ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل ورد
 بأنه لو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعض منهم الى أن الطهور ما يتكرر
 به التطهير كالصبر واسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور واسم لمن يتكرر منه الشكر حتى
 يجوز الوضوء بالماء الذي يتوضأ به مرة بعد مرة ورد بأن فعولا يأتي اسم الالة كسجور لما
 يتسحر به كما ترفيجوز أن يكون طهور كذلك ولو سلم اقتضاؤه التكرر فالمراد جمع بين الأدلة
 فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يجتمعوا الماء في أسفارهم القليلة الماء بل عدلوا عنه الى التيمم
 ثبوت ذلك لجنس الماء أو في المحل الذي كان يتر عليه فانه يظهر كل جزء منه (النجي به) أي
 بالماء (بلدة ميتا) أي بالنبتان وذكر ميتا باعتبار المكان (ونسقيه) أي بالماء وهو من أسقاه
 من يدرسقه وهما الغتان قال ابن القطاع سقيتك شرابا وأسقيتك والله تعالى أسقى عباده وأرضه
 (مما خلقنا أنعاما) أي ابلا وبقرًا وغنما (وأناسي كثيرا) جمع انسان وأصله أناسين فأبدلت
 النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع أنسي وقدم تعالى النبات لأن به حياة الانعام والانعام على
 الانسان لأن بها كمال حياته (فان قيل) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان (أجيب) بأن
 الطير والوحش تبعدي طلب الماء فلا بد وزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة
 منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم يسقى أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قيل) لما نكر الانعام
 والاناسي ووصفها بالكثرة (أجيب) بأن جل الناس من يخون بالقرب من الاودية والانهار ومنايع
 الماء فهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمة
 وسعة باسمائه وكذلك قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا يريد به بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان

الماء واختلف في عود الهاء في قوله تعالى (ولقد صرفناه بينهم) على ثلاثة أوجه أولها قال الجمهور انها ترجع الى المطر أى صرفنا نزول الماء من وابل وطل وغير ذلك مرة ببلد ومرة ببلدة أخرى قال ابن عباس ما عام بأمر من عام آخر ولكن الله تعالى يصرفه في الارض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا من ساعة من ليل أو نهار الا والسما قطرها فيصرفه الله تعالى حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمر من أخرى ولكن الله تعالى قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الضيافي والجار وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد ثانيا قال أبو مسلم الضمير راجع الى المطر والسحاب والظلال وسائر ما ذكره الله من الأدلة ثالثها صرفناه هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر (ليذكروا) أى ليشكروا ويعلموا كمال القدرة وحق النعمة ويقوموا بشكره * (تنبيه) * أضل يذكروا يذكروا وأدغمت التاء في الذال وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال ورفع الكاف مخففة والماقون بفتح الذال والكاف مشددين (فأبى) أى لم يرد (أكثر الناس) أى بعدادتهم (الأكفورا) أى بخودا للنعمة وقلة الاكثراث بها وكفرانهم هو أنهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وهو بفتح النون وهمزة آخره وقت النجم الفلاني على عادة العرب في اضافة المطر الى الانواء فيكره أن يقول ذلك لايهامه ان النوء فاعل المطر حقيقة فان اعتقد أنه الفاعل له حقيقة كفر روى زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحد يمية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله اعلم قال قال أصبح من عبادى من هو مؤمن بى وكافر بى فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بى مؤمن بالكواكب وأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بى وكافر بالكواكب وأفاد تعليق الحكم بالباء أنه لو قال مطرنا فى نوء كذا لم يكره ونقل الشافعي عن بعض الصحابة أنه كان يقول عند المطر مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا عمل لها (ولو شئنا لبغتنا) أى بما لنا من العظمة ونفوذ الكلمة (فى كل قرية تذكرا) أى رسولا يذكروهم من البشر والملائكة أو غيرهم كما قسمنا المطر عليهم وانما قصرنا الامر عليك وعظمتك به وأجلناك وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) فيما قصدوا من التفتير عن الدعاء به بما يدونه من المقترحات أو يظهرهون لك من المداينة أو من القلق من صادع الانذار ويخيلون لك أنك لو أقلت منه رجوا أن يوافقوك وقابل ذلك بالتشدد والتصبر (وجاهدكم) أى بالدعاء (به) أى القرآن الذى تقدم التحدث عنه فى قوله تعالى ولقد صرفناه أو بترك طاعتهم المذلول عليه بقوله تعالى فلا تطع أو بالسيف والا قرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان (جهادا كبيرا) أى جامع لكل المجاهدات الظاهرة والباطنة لان فى ذلك اقبال كثير

من الناس اليك واجتماعهم عليك فيقوى أمرك ويعظم خطبك وتضعف شوكتهم وتتكسر
 سورتهم فان مجاهدة السفهاء بالحق أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف * ثم ذكر النوع الرابع
 بقوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي الماءين الواسعين الكبيرين بأن خلاهما متجاورين
 متلاصقين وهو بقدرته تعالى يفصل بينهما ويضعهما التمازج (هذا عذب) أي حلوسائع (فرات)
 أي شديد العذوبة بالغ الغاية فيها حتى يضرب الى الخلاوة لافرق بين ما كان منه على وجه
 الارض وما كان في بطنها (وهذا ملح) أي شديد الملوحة (أجاج) أي مترحرق بملوحته وممراته
 لا يصلح لسقي ولا شرب * (تبينه) * أشارتعالى بأداة القرب في الموضعين تنبيه على وجود
 الوصفين مع شدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى انه اذا حفر على شاطئ البحر الملح
 بالقرب جدا منه خرج الماء عذبا (وجعل) أي الله تعالى (بينهما برزخا) أي حاجزا من قدرته
 مانعا من اختلاطهما ثم انه تعالى أتم تقرير النعمة في منعهما من الاختلاط بالكلمة التي جرت
 عادتهم بقولها عند التعوذ تشبيها لكل منهما بالتعوذ بقوله تعالى (وحجرا محجورا) فكان كل
 واحد من البحرين يعوذ من صاحبه ويقول لذلك كما قال تعالى لا يغمان أي لا يغني أحدهما
 على صاحبه بالملوحة أو العذوبة فانتفاء البغي كالتعوذ ههنا ثم جعل كل واحد منهما في صورة
 الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من أحسن الاستعارات وأشهدا على البلاغة
 (فان قيل) لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا (أجيب) بأن المراد منه الاودية
 العظام كالنيل وجيحون ومن البحر الاجاج البحار البكار * ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى
 (وهو) أي وحده (الذي خلق من الماء) أي المني من الرجل والمرأة (بشرا) أي انسانا (فجعله)
 أي بعد ذلك بالتطوير في أطوار الخلق والتدوير في أدوار التربية (نسما) أي ذكرنا نسب اليه
 (وصهرا) أي أنثى يصاهر بها فيقسم هذا الماء بعد التطوير الى ذكر وأنثى كما جعل ذلك الماء
 قسمين عذبا وملحا ونحو هذا قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل النسب مالا
 يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها قال البغوي
 وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم
 للنكاح وقد ذكر الله تعالى أنه حرم بالنسب سبعة في قوله تعالى في النساء حرمت عليكم أمهاتكم
 (وكان ربك) أي المحسن اليك بأرسالك وانزال هذا الذكر اليك (قديرا) حيث خلق من مادة
 واحدة بشرا إذا أعضاء مختلفة وطبائع متباينة وجعله قسمين ذكر وأنثى وربما يخلق من نقطة
 واحدة نوعين ذكر وأنثى فهو يوفق من يشاء فيجعل عذب المذاق سهل الاخلاق ويخذل من
 يشاء فيجعل من الاخلاق كثير الشقاق غريفا في النفاق * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد
 عاد الى تمجيد سيرتهم فقال تعالى (ويعبدون) أي هؤلاء الكفرة (من دون الله) أي مما
 يعلمون أنه في الرتبة دون الله المستجمع لصفات الكمال والعظمة بحيث انه لا ضر ولا نفع الا وهو
 بيده (ما لا ينفعهم) بوجه من الوجوه ان عبوديه ازالة كربة (ولا يضرهم) في ازالة نعمة من نعم
 الله تعالى عليهم ان تركوه (وكان الكافر) أي مع علمه بضيقه وعجزه (على ربه) أي المحسن اليه

لا غيره (ظهيراً) أي معينا للشيطان من الانس والجن على أولياء الله تعالى روى أنهم أنزلت في أبي
 جهل ويجوز أن يراد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق
 والخليل وعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس فإن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين
 الله قال تعالى واخوانهم بعدوهم في النجى وهذا أولى لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
 ولأنه أوفق لمظاهر قوله تعالى ويعبدون من دون الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل
 وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هيناً مهيئاً من قولهم ظهرت به إذا خلقت خلف ظهره
 لا تلقت اليه وهو نحو قوله تعالى أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم
 * ولما كان التقدير تسليته صلى الله عليه وسلم فالزم ما نأمره به ولا يردهم من ردهم عما هم
 فيه فإنا ما أرسلناك عليهم وكيلاً عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق بما لنا
 من العظمة (الأمشراً) بالواب على الإيمان والطاعة (وتديراً) أي مخوفاً بالعقاب على الكفر
 والمعصية * ثم كأنه قيل فإذا أقول لهم إذا طعنوا في الرسالة فقال تعالى (قل) أي لهم يا أكرم
 الخلق حقيقة وأعد لهم طريقة محتجاً عليهم بازالة ما يكون موضعاً للثمة (ما أسألكم عليه)
 أي على تبليغ ما أرسلت به (من أجر) فتمهوني أني أدعوكم لأجله إذا عرض لي الانسحار ثم أكد
 هذا المعنى بقوله تعالى مستثنيان لأن الاستثناء معيار العموم (الامن) أي الأجر من (شاء أن
 يتخذ) أي يكلف نفسه ويخالف هواه ويجعل له (إلى ربه سبيلاً) فانه إذا اهتدى به دابة ربه كان
 لي مثل أجره لا نفع لي من جهته لكم إلا هذا فان سمعتم هذا أجزأه ومطلوب ولا مريية في أنه
 لا ينقص أحد شيئاً من دنياه فأفاد فائدتين الأولى أنه لا طمع له أصلاً في شيء ينقصهم والثانية
 اظهار الشفقة البالغة حيث لم يقصد بمنفعته الموصلة لهم إلى ربهم ثواباً لنفسه وقيل الاستثناء
 منقطع أي لكن من يشاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل وجرى على هذا الجلال المحلى وقال
 ابن عادل في الاقول نظر لانه لم يستند السؤال المنقح في الظاهر إلى الله تعالى إنما استند إلى
 مخاطبين فكيف يصح هذا التقدير انتهى وقرأ قالون والبرى وأبو عمر وباسقاط الهزة
 الأولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الثانية ولهما أيضاً البداهة ألفاً والباقون بتحقيق
 الهزتين * ولما بين تعالى أن الكفار يتظاهرون على إيدائه وأمره أن لا يطلب منهم أجر
 أمره أن يتوكل عليه في دفع جميع المضار وجلب جميع المنافع بقوله تعالى (وتوكل) أي أظهر
 العجز والضعف واستسلم واعتمد في أمره كما ولا سيما في مواجعتهم بالانذار وفي ردهم من عقابهم
 (على الحى الذى لا يموت) فلا ضياع لمن توكل عليه فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء
 الذين يموتون فانهم إذا ما تواضع من توكل عليهم وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح
 لذى عقل أن يثق بعدها بخلق (وسبح) متلبساً (بحمده) أي نزهه عن كل نقص مشبهاً كل كمال
 وقيل صل لشكر اعلى نعمه وقيل قل سبحانه الله والحمد لله وحده وعلى هذا اقتصر الجلال
 المحلى (وكفى به بذنوب عباده) أي ما ظهر منها وما بطن وكل ما سواه عبد (خبيراً) أي عالماً مطلقاً
 فلا يخفى عليه خافية شيء منها وان دق ولا عليلك ان آمنوا أو كفروا وهذه الكلمة يراد بها المبالغة

يقال كني بالعلم كما لا وكني بالأدب ما لا وهو معنى حسبك أى لا تحتاج معه الى غيره لانه تعالى خير
بأحوالهم قادر على مكافأتهم وهذا وعيد شديد * ولما أمر الله تعالى رسوله بحمد اصيلي الله عليه
وسلم أن يتوكل عليه وصف تعالى نفسه بأمر منها أنه حتى لا يموت ومنها أنه عالم بجميع
المعلومات ومنها أنه قادر على كل الممكنات وهو قوله تعالى (الذى خالق السموات والارض) على
عظمهما (وما بينهما) من القضاء والعناصر والعباد وأعمالهم من الذنوب وغيرها لا يعلم من
خلق وقوله تعالى (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا تعجيب للعجب الجاهل وتدريب للفظن العالم فى
الحلم والناة والصبر على عباد الله تعالى فى دعوتهم (فان قيل) الايام عبارة عن حركة الشمس فى
السموات فقبل السموات لا أيام فكيف قال تعالى فى ستة أيام (أجيب) بأنه تعالى خلقها فى
مدة مقدارها هذه الايام (فان قيل) يلزم على هذا اقدم الزمان وهو ممنوع (أجيب) بأن الله
تعالى خلق هذه المدة أو لا تم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة أيام فلا يلزم من ذلك قدم
الزمن وقبل فى ستة أيام من أيام الآخرة كل يوم مقداره ألف سنة وهو بعيد لان التعريف
لا بد وأن يكون بأمر معلوم لا بأمر مجهول (فان قيل) لم قدر الخلق والايحاسب هذا المقدار
(أجيب) بأنه يجب على المكلف أن يقطع الطمع عن مثل هذا فانه بجزء لا ساحل له من ذلك تقدير
الملائكة الذين هم أصحاب النار بسعة عشر ووجه العرش بثمانية والشهور بياثى عشر والسموات
بالسبع وعدد الصلوات ومقادير النصب فى الزكوات والحدود والكفارات فالأقارب أن
كل ما قاله الله حق هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الاشياء وقد نص الله تعالى على
ذلك فى قوله عز وجل وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا قنينة للذين
كفروا يستيقن الذين أوثروا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوثروا الكتاب
والمؤمنون ولبعول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهم ذاملا ثم قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا اجواب أيضا عن أنه لم لم يخلقها فى لحظة وهو قادر على ذلك وعن
سعيد بن جبيرة انما خلقها فى ستة أيام وهو قادر أن يخلقها فى لحظة واحدة تعليم خلقه الرفق
والثبوت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عبد المسلمين وعن مجاهد أول الايام يوم
الاحد وآخرها يوم الجمعة * ولما كان تدبير هذا الملك أمر اباها أشار اليه بأداة التراخي بقوله
تعالى (ثم استوى على العرش) أى شرع فى التدبير لهذا الملك الذى اخترعه وأوجده
ولا يجوز أن يفسر بالاستقرار لانه يقتضى التغير الذى هو دليل الحدوث ويقتضى التركيب
وكل ذلك على الله محال (فان قيل) يلزم من ذلك أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات
وقد قال تعالى وكان عرشه على الماء (أجيب) بأن كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه
على السموات وهو فى اللغة سير الملك وفى رفع قوله تعالى (الرحن) أوجه أحدها أنه خبر
الذى خلق أو خبر مبتدأ من رأى هو الرحمن ولهذا أجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم
يتبدى الرحمن أى هو الرحمن الذى لا ينفى السجود والتعظيم الاله أو يكون بدلا من الضمير فى
استوى وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى واختلف فى معنى الفاء فى قوله تعالى (فأسئل به) على

قولين أحدهما أنهما على بابهما وهي متعلقة بالسؤال والمراد بقوله (خيرا) أي عالمنا يخبرك بحقيقته هو الله تعالى ويكون من التجريد كقوله رأيت به أسدا والمعنى فاسأل الله الخبير بالاشياء قال الزمخشري أو فاسأل بسؤاله خيرا كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته انتهى قال الكلبي فقوله به يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبر وذلك الخبر هو الله تعالى لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض والاستواء على العرش ولا يعلمها أحد الا الله تعالى والثاني أن تكون الباء بمعنى عن أما مطلقا وأما مع السؤال خاصة كهذه الآية وكقول علقمة بن عبيدة

فان تسألوني بالنساء فأنني * خير بأدواء النساء طيب

والضمير في به لله وخبر امر من صفات الملك وهو جبريل عليه السلام فعن ابن عباس أن ذلك الخبر هو جبريل وانما أقدم لرؤس الآي وحسن النظم وقال ابن جرير الباء في به صلة والمعنى فاسأله خيرا وخبر انصب على الحال وقيل به يجري مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به وقيل فاسأل به هذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من يشكرك ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليامة يعنون مسيلة الكذاب وكان يقال له رجن اليامة وقيل فاسأل بسبب سؤالك اياه خيرا عن هذه الامور وكل أمر تريد فيخبرك بحقيقة أمره ابتداء وحالا وما لا فلا يضيئ صدرك بسبب هؤلاء المدعين فإنه ما أرباك الا وهو عالم بهم فيملي كعبك عليهم ويحسن لك العاقبة وقرأ ابن كثير والكسائي بالنقل وكذا يقرأ جزة في الوقف والباقون بسكون السين وفتح الهمزة * ولما ذكر تعالى احسانه اليهم وانعامه عليهم ذكرا ما أبدوه من كفرهم في موضع شكرهم بقوله (واذا قيل لهم) أي من أي قائل قال لهؤلاء الذين يتقبلون في نعمه (اسجدوا) أي اخضعوا بالصلاة وغيرها (للمرجن) أي الذي لانعمة لكم الامنه (قالوا وما الرجن) متجاهلين في معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين بأداة ما لا يعقل وقال ابن عربي انما عبروا بذلك اشارة الى جهلهم بالصفة دون الموصوف ثم عجبوا من أمره بذلك منكرين علمه بقواهم (أنسجد لما تأمرنا) فغير واعنه بعد التجاهل في أمره والانكار على الداعي اليه أيضا بأداة ما لا يعقل (وزادهم) أي هذا الامر الواضح المقتضى للاقبال والسكون شكر النعمة وطمع في الزيادة (تقورا) أي عن الايمان والسجود * (تنبيه) * هذه السجدة من عزائم سجود التلاوة يسن للقارئ والمستمع والسماع أن يسجد عند قراءتها أو سماعها وقرأوا اذا قيل لهم هشام والكسائي بالاشمام وضم القاف مع سكون الباء والباقون بكسر القاف وقرأ الما بأمر ناجزة والكسائي بالياء التحية والباقون بالياء الفوقية وأبدل ورش والسوسي الهمزة وقفًا ووصلا ووجه وقفًا لا وصلا * ولما حكى تعالى عن الكفار مزبذبة النقرة عن السجود وذكروا ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرجن قال عز من قائل (بارك) أي ثبت ثباتا لا نظيره (الذي جعل في السماء) التي تقدم أنه اخترعها واختلف في معنى قوله (بروجا) فقال الزجاج ومجاهد وقتادة هي النجوم الكبار سميت بروجها

اظهرها وقال عطية العوفي هي القصور فيها الحرس كما قال تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة
 وقال عطاء عن ابن عباس هي الاشعشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي
 الحمل والنور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى
 والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ والنور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء
 والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا
 المشتري والجدى والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربعة فيكون
 نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية
 والنور والسنبلة والجدى مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
 والعقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها) أى السماء وقيل البروج (سراجا) أى شمسا
 وقرأ جزء والكسائي بضم السين والراء على الجمع للتنبه على عظمتها في ذلك من حيث انه أعظم
 من ألوف من السرج فهو قائم مقام الوصف كما في الذي بعده كما سيأتي وقيل المراد بالجمع
 الشمس والكواكب الكبار والباقيون بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على التوحيد
 (وقرأ منبرا) أى مضيا بالليل * ولما ذكر تعالى هاتين الآيتين ذكر ما هما آيتاه بقوله تعالى (وهو
 الذي جعل الليل) أى الذى آتاه القمر (والنهار) أى الذى آتاه الشمس (خليفة) أى ذوى
 حالة معروفة في الاختلاف فيأتى هذا خلف ذلك بضمتها له من الاوصاف وقال ابن عباس
 والحسن يعنى خلفا وعوضا يقوم أحدهما مقام صاحبه في فاته عمله في أحدهما قضاءه في الآخر
 قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فأتنى الصلاة الليلة قال أدرك
 ما فأنك من ليلتك في غمارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خليفة (لمن أراد أن يذكر) أى
 يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعته فيعلم أنه لا يبدله من صانع حكيم واجب الذات رحيم على
 العباد وقرأ جزء بسكون الذال وضم الكاف مخففة من ذكر يعنى تذكر والباقيون بفتح الكاف
 والذال مشددين (أو أراد شكورا) أى شكر نعمته ربه عليه من الاتيان بكل منهم ما بعد
 الآخر لا جتناء غراته ولو جعل أحدهما دائما لكانت مصالح الآخر ولصلت السائمة
 والمثلل منه والتواني في الأمور المقدرة بالاوقات وقتر العزم الذى انما يشهده لادراكها دخول
 وقت آخر وغير ذلك من الأمور التى أحكمها العلى الكبير وعن الحسن من فاته عمله من
 التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعيب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعيب
 * ولما ذكر الله تعالى عباده الذين خذلهم بتسلط الشيطان عليهم فصاروا حريبا ولم يصفهم الى
 اسم من اسمائه ايدنا بانابا هانتهم لهوانهم عنده أشار الى عباده الذين أخلصهم لنفسه بقوله تعالى
 (وعباد الرحمن) فأضافهم اليه رفعة لهم وان كان الخلق كلهم عباده وأضافهم الى وصف
 الرحمة الابلى الذى أنكره أولئك تبشير لهم ثم وصفهم بضما وصف به المتكبرين عن السجود
 إشارة الى أنهم متخلفون من هذه الصفة التى أضيفوا اليها باصفات كثيرة الصفة الاولى قوله
 تعالى (الذين يشون) وقال تعالى (على الارض) تذكيرا بما يصيرون اليه وحناءا على السعي في

أعلى الأخلاق (هونا) أي هيتين أو مشاهيتا مصدر وصف به مبالغة والمهون الرفق واللين
ومنه الحديث أحب جيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون والمثل إذا عزأ أخوك فهن والمعنى
إذا عاسر فيأسر والمعنى أنهم يعيشون بسكينة وتواضع ووقار لا يضر بون لو قارهم بأقدامهم ولا
يحققون به عالم أشرا وبطر ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق لقوله تعالى ويعشون
في الأسواق * (تنبية) * عباد مرفوع بالابتداء وفي خبره وجهان أحدهما الجلة الأخيرة
في آخر السورة أو تلك يجزون وبه بدأ الرخصى والذين يعيشون وما بعده صفات للمبتدأ والثاني
أن الخبر الذين يعيشون الصفة الثانية (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي بما يكرهون (قالوا سلاما)
أي تسليما منكم لانجها لكم ومتاركة لاخير بيننا ولا شر أي فسلم منكم تسليما فأقيم السلام
مقام التسليم وقيل قالوا سدا دامن القول أي يسلمون فيه من الأثم والايذاء وليس المراد التحية
لأن المؤمنين لم يؤمر وبالسلام على المشركين وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة إلى
ادعاء النبي بآية القتال ولا غيرها لأن الأغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب
والمرأة والنسبة أسلم للعرض والورع وأطلق الخطاب إعلاما بأن أكثر خصال الجاهل وهو
الذي يخالف العلم والحكمة الجهل وهو السفه وقوله الأدب من قوله

الالايجهلن أحدعلينا * فجهل فوق جهل الجاهلينا

* ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة بقوله تعالى (والذين
يسئلون) من البيوتة قال الزجاج كل من أدركه الليل قيل بات وان لم ينام كما يقال بات فلان
قلقا والمعنى يسئلون (لربهم) أي المحسن اليهم (سجدا) على وجوههم في الصلاة وقدمه لأنه أنهم
الخضوع وأخر عنه قوله تعالى (وقياما) أي على أقدامهم وان كان تطويل القيام أفضل
للرؤى وتخصيص البيوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء قال الرخصى والظاهر
أنه وصف لهم بأجاء الليل أو أكثره وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات
ساجدا وقائما وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء وكعتين فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى
الصبح في جماعة كان كقيام ليلة * ولما ذكر تعالى تهذيبهم للخلق والخلق وصفهم الله تعالى أنهم
مع ذلك طائفون وجلون وهي الصفة الرابعة بقوله تعالى (والذين يقولون ربنا) أي المحسنين
الينا (أصرف عنا عذاب جهنم) قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول
ثم علل سؤالهم بقوله تعالى (أن عذابها كان) أي كونا جبات عليه (غراما) أي هلاكا وخسرا
لما لازما لا ينفل عنه كما قال

ان يعاتب يكن غراما وان يع * طبريز يلافانه لا يلى الى

ومنه الغريم للآزمته والحاحه فهم يبتلون إلى الله تعالى في صرف العذاب عنهم لعدم اعتدادهم
بأعمالهم ووثوقهم على استقرار أحوالهم * ولما ثبت لهم هذا الوصف أتي بقوله تعالى (انهم اساءت)

أى تناهت هى فى كل ما يحصل منه سوء وهى فى معنى ينسب فى جميع المذام (مستقرا) أى موضع
استقرار (ومقاما) أى موضع إقامة * (تنبيه) * ساءت فى حكم ينسب كما مترفعها ضمير بهم
يقدره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو
الذى ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز أن تكون ساءت بمعنى أخرت فقيم الضمير
اسم ان ومستقرا حال أو تمييز والتعليل ان يصح أن يكونا متداخلين أو مترادفين وأن يكونا من
كلام الله تعالى وحكاية لقولهم * ولما ذكر تعالى أفعالهم وأقوالهم اتسع ذلك بذكر انفاقهم وهو
الصفة الخامسة بقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا) أى للخلق أو الخلق فى واجب أو مستحب
أو مباح (لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا الحد فى النفقة بالتبذير فيضيعوا الاموال فى غير حقها (ولم
يقتروا) أى لم يضيعوا فيضيعوا الحقوق (وكان) أى انفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار
(قواما) أى وسطا * (تنبيه) * اسم كان ضمير يعود على الانفاق المفهوم من قوله تعالى انفقوا
وخبرها قواما وبين ذلك معمول له وقيل غير ذلك وذكر المفسرون فى الاسراف والتقتير وجوها
أحد ها قال الرازى وهو الاقوى وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقتير وبذلك أمر صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط اذ يقال ما عال من
اقتصد وسأل رجل بعض العلماء ما البناء الذى لا سرف فيه قال ما سرتك من الشمس وأكنك من
المطر قال فما الطعام الذى لا سرف فيه قال مائدة الجوعة قال فما اللباس الذى لا سرف فيه قال
ما ستر عورتك وأد قال من البرد * ثانيا هو قول ابن عباس الاسراف النفقة فى معصية الله
تعالى والاقتار منع حق الله تعالى وقال مجاهد لو أنفق أحد مثل جبل أنى قبس ذهب فى
طاعة الله تعالى لم يكن سرفا ولو أنفق صاعا فى معصية الله تعالى كان سرفا وقال الحسن
لم ينفقوا فى معاصى الله ولم يسكروا عما ينبغى وأنشدوا

ذهاب المال فى جد وخير * ذهاب لا يقال له ذهاب

وسمع رجل رجلا يقول لآخر فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز
انه شكر عبد الملك بن مروان حين تزوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت
وصنعت وجاء بكلام كثير حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام أعد لهذا المقام فسكت
عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال النفقة
بين الشئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى هذا أيضا مما أعدّه
* وثالثها السرف مجاوزة الحد فى التمتع والتوسع فى الدنيا وإن كان من حلال لانه يؤدى الى
الخيلاء وكسر قلوب الفقراء فكانت الصحابة لا يأكلون طعاما للتمتع واللذة ولا يلبسون ثوبا
للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما بسدت جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون
ما يستر عوراتهم ويقويه من الحر والبرد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهى
الرجل شيئا الا اشتراه فأكله وقرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية وكسر الفوقية من اقتر
وابن كثير وأبو عمرو بفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية * ولما

ذكر تعالى ما تحلوا به من أصول الطاعات أتبعه يذكر ما تحلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي
 الفحشاء والمنكر وهو الصفة السادسة بقوله تعالى (والذين لا يدعون) أي رجعة لانفسهم
 واستعمال العدل (مع الله) أي الذي اختص بصفات الكمال (الها آخر) أي دعاء جليل بالعبادة
 ولا خفاء بالرياء ولما نفي عنهم ما يوجب قتل انفسهم بخسارتهم اياها أتبعه نفي قتل غيرهم بقوله
 سبحانه (ولا يقتلون النفس) رجعة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرمة له بين
 المراد بقوله تعالى (التي حرم الله) أي منع من قتلها (الابالحق) أي بأن تعمل ما يبيع قتلها ولما
 ذكر القتل الجلي أتبعه الخفي بتضييع نسب الولد بقوله تعالى (ولا يزنون) أي رجعة للزنى بها
 ولا قاربها ان تنهك حرمتهم مع رجعة لنفسه على أن الزنا أيضا جاري القتل والقتل وفيه
 النسب الى ايجاد نفس بالباطل كما أن القتل سبب الى اعدامها بذلك وقد روي في الصحيح عن
 عبد الله بن مسعود أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم وفي رواية أكبر غنيد الله
 قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال أن تقتل ولدا مخافة أن يطعم معك ثم أي
 قال أن تراني حليمة جارية فأنزله الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية (وقد
 استشكل) تصديق هذه الآية للخبر من حيث أن الذي فيه قتل خاص وزنا خاص والتقييد بكونه
 أكبر والذي فيه اطلاق القتل والزنا من غير تعرض اعظم (وأجيب) بدفع الاشكال بأنها انطلقت
 بتعظيم ذلك من سبعة أوجه الاول الاعتراض بين المبتدأ الذي هو وعباد الرحمن وما عطف عليه
 والخبر الذي هو أولئك يجوزون الغرقة على اخدي الروايتين بذلك هذه الثلاثة خاصة وذلك دال
 على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثاني الاشارة بأداة البعد في قوله تعالى (ومن يفعل
 ذلك) أي هذا الفعل العظيم القبيح مع قرب المذكورات فدل على أن البعد من رتبة ما فهو اشارة
 الى جميع ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فلذلك وحده وأدغم لام يفعل في الدال أبو الحارث والباقون
 بالاطهار الثالث التعبير بالتي مع المصدر المزياد الدال على زيادة المعنى في قوله (يلق أثاما) دون
 يأثم ويلق أثما أي جزاءه الرابع التقييد بالمضاعفة في قوله تعالى مستأثما (يضاعف) بأسهل
 أمر (له العذاب) جزاء ما أتبع نفسه هوها الخامس التحويل بقوله تعالى (يوم القيامة)
 الذي هو أهول من غيره بما لا يقاس السادس الاختصار بالولد الذي أقل درجته أن يكون
 مكناطويا بقوله تعالى (ويحلفيه) وقرأ بضاعف ويحلف ابن عامر وشعبة برفع الفاء والدال
 والباقون يجوزونها وأسقط الالف من يضاعف مع تشديد العين ابن كثير وابن عامر فالجزم على
 أنهم ما بدلان من يلقي بدل اشتمال والرفع على الاستئناف السابع التصريح بقوله تعالى
 (مها) فلما أعظم الأمر من هذه الأوجه علم أن كلامنا من هذه الذنوب كبير وإذا كان
 الاعم كبيرا كان الاخض المذكور أعظم من مطلق الاعم لانه زاد عليه بما صار به خاصا ثبت
 بهذا أنها كارتوان قتل الولد والزنا بجملته الجسار أكبر ما ذكر فوجد تصديق الآية للخبر وقرأ
 حفص مع ابن كثير بصله الها بالياء من فيه قبل مها (فان قيل) ذكر أن من صفات عباد
 الرحمن صفات حسنة فكيف يليق بعد ذلك أن يظهرهم عن الامور العظيمة مثل الشر والقتل

والزنا فلو كان الترتيب بالعكس كان أولى (أجيب) بأن الموصوف بتلك الصفات السابقة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا وبقتل الموءدة تدينا وبالزنا تدينا فبين تعالى أن المراد لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب تلك الكبائر وأجاب الحسن بأن المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال تعالى وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله الها آخروا أنتم تدعون ولا يقتلون ولا يقتلون وأنتم تقتلون الموءدة ولا يزنون وأنتم تزنون * ولما أنتم تعالى تهديد الفجار على هذه الاوزار اتبعه ترغيب الابرار الى العزيز الغفار بقوله تعالى (الامن تاب) أي رجع عن كل شيء كان فيه من هذه النقائص (وآمن) أي أوجسد الاساس الذي لا يثبت على بدونه وهو الايمان وأكذر جوعه بقوله تعالى (وعمل عملا صالحا) أي مؤسسا على أساس الايمان (فان قيل) العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايمان فذكرهما قبل العمل الصالح يستغنى عنه (أجيب) بأنهم ما أفردوا بالذكر لعلو شأنها * (تنبيه) * اختلف في هذا الاستثناء على وجهين أحدهما أنه استثناء متصل وهو ما دل عليه كلام الجمهور لانه من الجنس والثاني أنه منقطع ورجحه أبو حيان مع الإبقاء أن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضاعف بخلافه في المنقطع فان التقدير لكن من تاب الى آخره فلا يلقى عذابا بالية ووجه كلام الجمهور بأن ما ذكر ليس بلازم اذا المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ما ذكر الا أن يتوب وأما اصابة أصل العذاب وعدمه فلا تعرض في الآية له ثم زاد تعالى في الترغيب بالاتباع بالافاء ربطا للجزاء بالشروط دليل على أنه سببه فقال تعالى (فأولئك) أي العالو المنزلة (يبدل الله) أي الذي له العظمة والكبرياء (سيئاتهم حسنات) قال ابن عباس ومجاهد هذا التبديل في الدنيا فيبدل الله تعالى قبائح أعمالهم في الشرك بحاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا احسانا وعفة فكانه تعالى يشرحهم بتوفيقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبوا بها الثواب وقال الزجاج ان السيئة بعينها لا تصير حسنة فالتأويل أن السيئة تنجي بالتوبة وتكتب مع التوبة حسنة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه السيئات وقال سعيد بن المسيب ومكحول ان الله تعالى يحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه الآية وهذا هو ظاهر الآية ويدل له ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لا أعلم آخر رجل يخرج من النار رجل يوتى به يوم القيامة فيقال له اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم فلا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له انك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال أبو هريرة فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (وكان الله) أي الذي له الجلال والاکرام على الاطلاق أزلا وأبدا (عفورا) أي ستورا للذنوب كل من تاب بهذا الشرط (رحيما) به بأن يعام له بالا كرام كما

يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة روى البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت
 في أهل الشرك ولم تنزل صرّها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأنتنا
 القوا أحسن فأمر الله الأمن تاب إلى رحيم روى البخاري في التفسير أن ناساً من أهل الشرك
 كانوا يقتلوا قاتلاً كثيراً ووزناً كثيراً وأتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول
 وتدعوا إليه أحسن لو تخبرنا أن لما علمنا ككفارة فترلت هذه الآية ونزل قل يا عبادي الذين
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ومن تاب) أي عن ذنوبه غير ما ذكر (وعمل)
 تصديقاً لادعائه التوبة (صالحاً) ولو كان كل من نيته وعمله ضعيفاً ورغب سبحانه في ذلك
 بقوله تعالى معلماً أنه يصل إلى الله (فإنه يتوب) أي يرجع واصل (إلى الله) أي الذي له صفات
 الكمال فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (متاباً) أي رجوعاً عن ضياع عبد الله بأن
 يرغبه تعالى في الأعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة بنيته وعمله فيخف عليه ما كان ثقیلاً
 ويتيسر عليه ما كان عسيراً ويسهل عليه ما كان صعباً كما مر في أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 هم خير من الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات فذلك حتى يحبه فيكون سمعاً الذي يسمع به وبصره الذي
 يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها بأن يوفقه للخير فلا يسمع إلا ما يرضيه وهكذا
 * ولما وصف سبحانه وتعالى عباده بأنهم تحلوا بأصول الفضائل وتحلوا عن أمهات الرذائل
 ورغب في التوبة لأن الإنسان لعجزه لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة أخرى وهي الصفة
 المذكورة في قوله تعالى (والذين لا يشهدون) أي لا يحضرون (الزور) أي القول المخرف
 عن الصدق كذبا كان أو مقاربه بالفضل لا عن أن يفوهوا به للخير فلا يسمعون أو يقرروا عليه في
 مواظبة عيسى بن مريم عليه السلام أياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور
 فحذف المضاد وأقيم المضاد إليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية للهو
 والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين ثم عطف عليه بما هو أعلم منه بقوله تعالى (وإذا مروا
 باللغو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كما) أي أمرين بالمعروف
 ناهين عن المنكر أن تعلق بهم أمر أو نهى إشارة أو عبارة على حسب ما يرون فأنعافا لم
 يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه لقوله تعالى
 وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنّا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
 ومن ذلك الأعضاء عن القوا أحسن والصفح عن الذنوب والكفاية عما ييسرهم حتى التصريح
 وعن الحسن لم تشقهم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الذي أعرضوا عنه * ثم ذكر
 الصفة الثامنة بقوله تعالى (والذين إذا ذكروا) أي ذكرهم غيرهم كأنهم كانوا لا يسمعون
 الحق بنفسه لا بقلبه (بآيات ربهم) أي الذي وقفهم ليدركوا إحسانه إليهم في حسن تربيته لهم
 بالاعتبار بالآيات المرئية والمسموعة (لم يحزوا) أي لم يستقوا (عليها ضحاً) أي غير واعين لها
 (وعياناً) أي غير متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر كأي جهل والآخر بن شريق بل حزوا
 سامعين بأذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من التي في الحال وهي صما وعما نادون

الفعل وهو الحزن ورفا المراد نفي القيد دون المقيد كما تقول لا يلقاني زيد مسلما عوني للسلام
 للقاء * الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى (والذين يقولون) أي علمانهم بعد انصافهم
 بجميع ما مضى أنهم أهل للإمامة (ربنا هب لنا من أزواجنا) اللاتي قرنتن بنا كما فعلت بنبيك
 محمد صلى الله عليه وسلم قد حث أزواجه في كلامك القديم وجعلت مدحهن يتلى على تعاقب
 الأزمان والسنين (وذرياتنا قرة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك ولاشيء أسر للمؤمن من أن يرى
 حبيبهم بطيع الله تعالى وعن محمد بن كعب ليس شيء أنقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده
 يطيعون الله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وخصوا الأزواج والذرية بذلك لأن
 الأقربين أولى بالمعروف * (تنبيهه) * من في قوله تعالى من أزواجنا يحتمل أن تكون بيانية
 كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بيئت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه ان اجعلهم
 لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب
 لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح وأما يجمع القسالة في أعين لأن المتقين الذين
 يفعلون الطاعة ويسرون بها قلبون في جنب العصاة وقيل سألو أن يلحق الله بهم أزواجهم
 وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووجد القرة لأنهم مصدر وأصلها من البرد لأن العرب
 تتأذى من الحر وتروح إلى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وخنة العين عند الحزن ويقال
 دمع العين عند السرور وبارد عند الحزن حار وقال الأزهرى معنى قرة العين أن يصادف
 قلبه من يرضاه فقرة عينه عن النظر إلى غيره وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بألف بعد
 الياء على الجمع والباقيون بغير ألف على الأفراد (واجعلنا للمتقين إماما) أي أئمة يقتدون بنا في
 أمر الدين بأضافة العلم والتوفيق للعمل فاكتفى بالواحد دلالة على الجنس وعدم اللبس
 كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أرادوا واجعل كل واحد منا أو أرادوا جمع أم كصائم
 وصيام أو أرادوا اجعلنا إماما واحدا للاتحاد واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على
 أن الرئاسة في الدين يحسن أن تطلب ويرغب فيها وقال الحسن نقدي والمتقين ويقعدى
 المتقون بنا وقيل هذا من المقلوب أي واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم وهو
 قول مجاهد وقيل نزلت هذه الآية في العشرة المبشرين بالجنة * ولما بين تعالى صفات المتقين
 المخلصين بين بعده إحسانه إليهم بقوله تعالى (أو لئن) أي العالو الرتبة العظيمة العظيمو المنزلة
 (يجزون) أي فضلا من الله تعالى على ما وفقهم له من هذه الأعمال الزاكية والأحوال
 الصافية (الغرفة) أي الغرفات وهي العلال في الجنة فوحدا اقتصارا على الواحد للزيادة
 على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي من أسماء الجنة
 * ولما كانت القرب في غاية التعجب لنا فأنهم الشهوات النفس وهوها وطبع البدن رغب فيها
 بأن جعلها أسبابا لهذا الجزاء بقوله تعالى (عاصروا) أي أوقعو الصبر على أمر ربهم ومراة
 غريبتهم بين الجاهلين في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وغير ذلك من معالي خلالهم * ولما كان
 المنزل لا يطيب إلا بالكرامة والسلامة قال تعالى (ويلقون فيها) أي الغرفة (نجية) أي دعاء

الحياة من بعضهم لبعض ومن الملائكة الذين لا يرد دعائهم ولا يعتري في اخبارهم لانهم عن الله تعالى ينطقون وذلك على وجه الاعظام والاكرام مكان ما اهانهم عباد الشيطان وقيل ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي من الله والملائكة وغيرهم وسلامة من كل آفة مكان ما اصابهم بالمصائب اللهم وثقنا لما اعتك واجعلنا من أهل رحمتك وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك يا أرحم الراحمين وقرأ جزءا والكسافي وشعبة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف من لقي كما قال تعالى فسوف يلقون غيا والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى لاقين بأيسر أمر كما قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (خالد بن فيها) أي الغرفة لا يموتون ولا يخرجون مكان ما أزعجهم من ديارهم حتى هاجر وادل على علو أمرها وعظيم قدرها يا باراز مدحها في مظهر التعجب بقوله تعالى (حسنت) أي ما أحسنها (مستقرا) أي موضع استقرار (ومقاما) أي موضع إقامة وهذا مقابل سات ومثله في الاعراب * ولما شرح سبحانه وتعالى صفات المتقين وأثنى عليهم من أجلها وشرح ثوابهم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل) أي لكفار مكة (ما يعبا) أي ما يصنع (بكم) أيها الكافرون من عبأت الجيوش أو لا يعبد بكم (ربي) أي المحسن الي واليكم برحانيته المخصص لي بالاحسان برحميته وانما خص بالاضافة لاعترافه دونهم (لولا دعائكم) أي عبادتكم وما متضمنة اعني الاستغفار وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل وأي تعب يعبا بكم لولا عبادتكم وطاعتكم اياه كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فقد كذبتم) بما أخبركم به حيث خالفتموه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم ما يعبا ما يبالي بغفرانكم ربي لولا دعائكم معه آلهة وما يفعل بعدا بكم لولا شرككم كما قال تعالى ما يفعل الله بعدا بكم ان شكرتم وأمنتم لولا دعائكم أي نداؤكم في الشدايد كما قال تعالى فاذا ركبو في الغلاك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فاخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم بتضرعون ويجوز أن تكون ماناقية ويرى على ذلك الجلال المحلى (فسوف) أي قسب عن تكذيبكم أن يجازيكم على ذلك ولكنه مع قدرته واختياره وقوته لا يعاجلكم بل (يكون) جزاء هذا التكذيب عند انقضاء ما ضرب له لكم من الآجال (لزاما) أي لازما يقيق بكم لا محالة فاعتدوا وتميؤا لذلك اليوم فكل آت قريب وكل بعيد عندكم قريب عنده وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لو لم يكن القتل لزاما قتل منهم تسعون وأسر منهم سبعون وعن ابن مسعود خمس قدمضين الدخان والقمر والروم والبطنة واللزام وما رواه البضاوي تبع للزحني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية

لأريب فيها وادخل الجنة بغير حساب

حديث موضوع

والله أعلم

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة الشعراء)